



مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

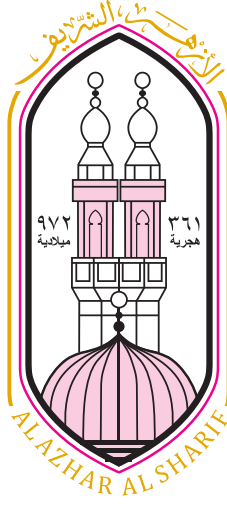
مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ



المجلد الخمسون - القسم الأول

السنة ١٣٩٨ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

١٢٥
٢٢٢٢٢٢

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أدلة كل شهر عربي

مدير التحرير
رأب إدارة
الدكتور
عبد الوارث عيسى

الجزء الأول . السنة الخمسون . محرم . صفر . ربيع الأول ١٣٩٨
يناير . فبراير . مارس ١٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الإسلام من الفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

- ١ -

نحب بتوفيق الله تعالى أن نتحدث عن موقف الإسلام من الفلسفة وليس كل دراسة عقلية تسمى فلسفة : فإن الرياضيات من المباحث العقلية اليقينية ولا تعد في العصر الحاضر من مباحث الفلسفة . ونحن حينما نتحدث هنا عن الفلسفة فانما نعني : البحث العقلي والبحث في ما وراء الطبيعة وفي الأخلاق . ونعني بما وراء الطبيعة : الالهيات أو ما يسمى في عرف المتكلمين : العقائد ، ونعني بالأخلاق : معناها

٢ - المسائل العملية :

كيف يجب أن يكون مسلكنا في الحياة ؟

كيف نربي الناشئين تربية حسنة ؟
ماذا يجب لقيادة الدولة حتى تسير على النهج المستقيم ؟

كل هاتيك المسائل عليها تتوقف الاخلاق او تستمد هي من الاخلاق
* وهذا الذى ذكره الأستاذ اندريه كرسن هو رأينا الذى نسير على ضوئه في موضوعنا هذا .

* ان كل من يتصفح تاريخ الفكر الفلسفى في الاسلام يجد مجموعة من كبار المفكرين بحثوا ، في نغمق ، الموضوعات الفلسفية هذه ، وأنتجوا فيها إنتاجا يتفاوت كما وكيفا بحسب شخصياتهم .

وبدأت هذه المجموعة بفيلسوف العرب : « أبو يعقوب الكندى » .

* وقد نال ابو يعقوب الكندى تقديرا كبيرا ، وقال شهرة ذائعة في الشرق والغرب ، وفيه يقول الفيلسوف الايطالى المتوفى سنة ١٥٧٦ م

الشامل الذى يتضمن التشريع الذى يحرم المنكرويردع الذين يفعلونه ، وقد يخالفنا هذا الباحث أو ذاك في هذا الذى نغنيه بالفلسفة ، ولكننا أحببنا أن نتفق والقارىء على اصطلاح محدد ، وفي اطار هذا الاصطلاح يسير بنا البحث .

يقول الاستاذ « اندريه كرس »
في كتابه : « المشكلة الاخلاقية والفلسفية » ما يلى :

ان الفلسفة بمعناها الخاص قد دارت - ولا تزال تدور - حول طائفتين اساسيتين من المسائل :

١ - المسائل النظرية :

ما الكائن ؟

ما أصله ؟

ما المصير الذى ينتظره هو وما تفرع منه ؟

أفى طوق العقل الانسانى أن يضع حلولا لهذه المسائل ، أم أن ذلك فى حكم المستحيل ؟

كل هاتيك المسائل تعتبر مسائل ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) .

« انه واحد من اثني عشر مفكرا هم أنفذ المفكرين وأرجحهم نقدا وتفكيرا ، وعنه يقول الققطي : فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها » .

* ولكننا نتساءل الآن : لماذا كان المحدثون وكثير غيرهم خصوما للفلاسفة ؟ وما هي حكمتهم في ذلك ؟

* ونال جميع فلاسفة الاسلام مثل ما نال الكندي من شهرة ومن تقدير ، بيد ان شهرتهم وتقديرهم لم ينمعا ان يكون لهم خصوم هم من المكانة بالمنزلة الرفيعة بل ان خصومهم اكثر من انصارهم .

* ان الدين : الهيات وأخلاق تستند الى الوحي والوحي معصوم ، والفلسفة الهيات وأخلاق تستند الى العقل والعقل يخطئ ويصيب ، وهو حينما يخطئ لا يعلم يقينا أنه أخطأ ، وحينما يصيب لا يعلم يقينا انه أصاب .

* وعلى رأس خصومهم المحدثون ، وعلى رأس المحدثين : الامام احمد بن حنبل ، ومن خصومهم المتعمقين : الامام ابن تيمية .

* ويقولون ، او لسان حالهم يقول :

« لقد ضمن الله لنا العصمة في الوحي ، ولم يضمن لنا العصمة في الآراء العقلية »

* وحينما أخذ المتفلسفون يترجمون كتب اليونان وغيرهم قال معارضو الفلسفة :

* على ان الخصم الذي كان لكتابه شهرة لا حد لها ، وتأثير عظيم هو : حجة الاسلام ، الامام الغزالي ، صاحب كتاب : « تهافت الفلاسفة » . وكلمة « تهافت » تعنى السقوط والانهيار .

« اذا كان ما عند اليونان في العقائد حقا فعندنا ما هو احق منه وهو عقائد الاسلام لأنها بالأسلوب

* وسنتحدث فيما بعد عن رأى الامام الغزالي :

يلخصه ما كتبه ابن طفيل في رسالته « حى بن يقظان » وما كتب ابن طفيل رسالته هذه او قصته الاليرر موقف الفلاسفة ويشد من أزرهم بالنسبة لما يعترض عليهم به من مخالفة الفلسفة للدين .

وتحرى ابن طفيل في ما كتب أربعة أهداف :

١ - هل يصل الانسان بعقله الى اثبات وجود الله تعالى والى رسم طريق للسلوك يرضى عنه الله سبحانه ؟

٢ - هل يصل الانسان روحيا الى القرب من الله تعالى والى المعرفة طريق مباشر ، أو بتعبير آخر : هل الطريق الصوفى طريق موصل ؟ وان كان ابن طفيل لم يستعمل كلمة تصوف .

٣ - هل يلتقى الطريق العقلى والطريق الروحى فى انسجام لا اختلاف فيه ؟

هل يلتقى ذلك كله بمبادئ الوحى أو بالطريق الدينى فى تناغم ووحدة وائتلاف ؟

الالهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونحن اذا فى غنى عن عقائدهم واذا كان ما عندهم باطلا فنحن فى غنى عن الباطل ، وكذلك كان موقفهم من الأخلاق بمعناها العام ان كانت أخلاق اليونان فاضلة فعندنا ما هو أفضل منها ولم تتم مكارم الاخلاق الا فى العهد الاسلامى (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وان كانت أخلاق اليونان فاسدة فنحن نعوذ بالله من كل فساد .

* وعارضوا الترجمة فى الجانب الالهى وعارضوها فى الجانب الأخلاقى ... ولكنهم لم يعارضوها وانما شجعوا عليها فى جانب العلوم المادية : مثل الطبيعة ، والكيمياء ، والفلك ... وعارضوا التفلسف بكل ما أوتوا من قوة .

* ولكن التيار الفلسفى استمر فى المجتمع الاسلامى ، واذا كان قد تهاقت فى المشرق بتأثير حجة الاسلام فانه قد ازدهر فى المغرب على لسان ابن ماجة وابن طفيل وابن رشد .

* أما تبرير الفلاسفة لموقفهم فى مواجهة معارضة خصومهم فانه

يقظان » فانه بعد أن شب وترعرع وبلغ دور التمييز، وانتهى الى مرحلة التعقل والاستدلال ، والبرهان :

أدرك بطريق النظر ، حقيقة الجسم . وأنه متناه ، وأدرك أبدية العالم وحصلت عنده فكرة نظرية عما وراء الطبيعة ، واستقام له الحق ، بطريق البحث والنظر .

فلما انتهى من هذه المرحلة ، بدأ في المرحلة الثانية مرحلة الوصول الى الحكمة بطريق الرياضة ،

وكان مما يقوم به من الارتياض : انه كان يلزم الفكرة في الوجود الواجب الوجود . ثم يقطع علائق المحسوسات ، ويغض عينيه ويسد أذنيه ، ويضرب جهده ، عن تتبع الخيال ، ويروم ، بمبلغ طاقته ، أن لا يفكر في شيء سواه ولا يشرك به أحدا .

ويستبين على ذلك : بالاستدارة على نفسه ، وبلاستحثاث فيها فكان اذا اشتد في الاستدارة . غابت عنه جميع المحسوسات ، وضعف الخيال وسائر القوى التي تحتاج الى الآلات

ومن أجل الاجابة على هذه الأسئلة كتب ابن طفيل قصة ، قصة خيالية عقلية لطيفة .

انها قصة طفل نشأ في جزيرة منذ طفولته الأولى، وأخذ ابن طفيل يتدرج معه في تطوره الجسمي الى ان اكتمل جسميا ، وأخذ يتدرج معه في تطوره العقلي من فكرة الى فكرة ومن مبدأ الى مبدأ حتى وصل الفتى الى اثبات وجود الله بطريق العقل المحض .

والحق ان ابن طفيل كان بارعا في تسلسله بالافكار والمبادئ الى أن انتهى الى غايته وهي أن الانسان يستطيع بعقله أن يثبت وجود الله وبدأ فتانا يفكر فرأى ان كل موجود يمكن الاتصال به على وضع يليق به فأخذ يفكر في كيفية الاتصال .

ونحب أن ندع ابن طفيل نفسه يتكلم :

انه يرى أن هناك رتبة من المعرفة ينتهى اليها بطريق العلم النظرى والبحث الفكرى وهذه الرتبة : تعتبر طوراً من أطوار « حى بن

الجسمانية ، وقوى فعل ذاته ، التى
هى بريئة من الجسم •

فكانت فى بعض الأوقات ، فكرته
قد تخلص عن الثوب ، ويشاهد بها
الموجود الواجب الوجود •

ثم تكرر عليه القوى الجسمانية ،
فتفسد عليه حاله ، وترده الى أسفل
السافلين فيعود من ذى قبل •

فإن لحقه ضعف يقطع به عن
غرضه ، تناول بعض الأغذية بحسب
شرائط معينة ثم انتقل الى شأنه •

ثم رأى أن الحركة من أخص
صفات الأجسام ، وكان يريد طرح
أوصاف الجسمية عن ذاته ، فأخذ
يقتصر على السكون فى مغارته
مطرقا ، غاضا بصره معرضا عن جميع
المحسوسات ، والقوى الجسمانية ،
مجتمع الهم والفكرة فى الموجود
الواجب الوجود وحده دون شركة •

فتمتى سنح لخياله سائح سواء ،
طرده من خياله جهده وواقعه ، وراض
نفسه على ذلك ، وذهب فيه مدة

طويلة ، بحيث تمر عليه عدة أيام
لا يتغذى فيها ولا يتحرك •

وفى خلال مدة مجاهدته هذه :
ربما كانت تغيب عن ذكره وفكره
جميع الأشياء الا ذاته ، فانها كانت
لا تغيب عنه فى وقت استغراقه
بمشاهدة الموجود الأول الحق ،
الواجب الوجود ، فكان يسوؤه
ذلك ، ويعلم أنه شوب فى المشاهدة
المحضة وشركة فى الملاحظة •

وما زال يطلب الفناء عن نفسه ،
والاخلاص فى مشاهدة الحق ، حتى
تأتى له ذلك ، وغابت عن ذكره
وفكره السموات والأرض وما بينهما ،
وجميع الصور الروحانية والقوى
الجسمانية ، وجميع القوى
المفارقة للمواد ، والتى هى الذوات
العارفة بالموجود الحق وغابت ذاته
فى جملة تلك الذوات ، وتلاشى
الكل واضمحل ، وصار هباء منثورا ،
ولم يبق الا الواحد الحق الموجود
الثابت الوجود ، وهو يقول بقوله
الذى ليس معنى زائدا على ذاته :

« لمن الملك اليوم ، لله الواحد
القهار » ففهم كلامه ، وسمع

نداءه ، ولم يمنعه عن فهمه ، كونه لا يعرف الكلام ولا يتكلم .

واستغرق في حالته هذه ، وشاهد ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اهـ .

« ثم اذا بلغت به الارادة والرياضة حداً ما ، عنت له خلصات من اطلاع نور الحق ، لذيدة كأنها بروق تومض اليه ، ثم تخمد عنه .

وكان كل ما وصل اليه ابن طفيل ، عن طريق الرياضة ، منسجماً تماماً — فيما يزعم — وما وصل اليه عن طريق العقل .

ثم أنه تكثر عليه هذه الفواشئ اذا أمعن في الارتياض ، فكلما لمح شيئاً عاج عنه الى جناب القدس ، فيذكر من أمره ، فيغشاه غاش ، فيكاد يرى الحق في كل شيء . ثم أنه لتبلغ به الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته سكينه فيصير المخطوف مألوفاً والوميض شهاباً بيناً ، وتحصل له معرفة مستقرة كأنها صخرة مستمرة ...

وابن طفيل في هذا يسير على نسط سار فيه ابن سينا من قبله ، وهذا التوافق بينهما بالغ الأهمية : انهما من كبار المفكرين ويكاد يكونان متطابقاً تماماً في أن العقل الانساني يصل الى الله بالدليل والبرهان ، وفي أن القلب الانساني يصل الى الله بالرياضة الروحية : العبادة : صلاة وصياماً وذكرًا

الى ما وصفه — على حد تعبير ابن طفيل — من تدرج المراتب واتتهائها الى النيل بأن يصير سره مرآة مجلوة يحاذي بها شطر الحق .

لقد أثبت ابن سينا وجود الله بالعقل ، ودليله المرتكز على :

« الامكان والوجوب »

وحينئذ تدر عليه اللذات العلى ، ويفرح بنفسه لما يرى بها من أثر الحق ويكون له في هذه المرتبة نظر

معروف مشهور

أما جانب الرياضة الروحية فيقول

الى الحق ، ونظر الى نفسه ، وهو بعد : متردد ثم أنه ليغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط ، وان لحظ نفسه فمن حيث هى لحظة وهناك يحق الوصول »

ونعود الى ابن طفيل
أنه بعد أن وصل الى الله بطريق العقل وبطريق الرياضة الروحية ، تأمل فى ثمرة الطريقين فوجد أن نتيجتهما واحدة ، وانهما لا يختلفان الا فى درجة الوضوح وأبان عن ذلك ، وبذلك يكون قد وصل الى الاجابة عن السؤال الثالث •

وأناحت المصادفة للشيخ - حى ابن يقظان - أن يلتقى برجل يدين بدين منزل صحيح وثقاهم معه فى كل ما وصل اليه عقله ، وما وصل اليه قلبه فوجد التطابق التام ، ووصل ابن طفيل برسائله اللطيفة الحجم الى كل ما كان يرجو أن يصل فيه الى جواب صحيح يرضى العقل ويرضى الدين ... وكانت آمال وأمانى فلاسفة الاسلام الوصول - عن طريق المحاولات العقلية المستمرة - الى التوفيق بين الدين والفلسفة •

✽ والفلسفة فى الاسلام اذن تحاول جاهدة أن تعلن فى نوع من الدعاية المزخرفة انها تتفق مع الدين فيما أتى به الدين ، وانها لا تختلف عنه فى مبادئها •

✽ وعند كل فيلسوف فى الاسلام وعند كل مؤرخ للفلسفة الاسلامية فقرات وفصول بعنوان « التوفيق بين الدين والفلسفة » سواء أكان هذا العنوان ظاهرا أم مستورا أنجحت الفلسفة فى هذا أم أخفقت ؟

✽ ومن أجل الاجابة على هذا السؤال نحب أن نتحدث أولا عن الجو الذى نشأت فيه الفلسفة •

✽ انها نشأت عند قدماء اليونان قبل الميلاد •

✽ وكانت اليونان فيما قبل الميلاد بقرون تدين بدين وثنى ، كانوا يؤمنون بمجموعة من الآلهة قابلة للزيادة عن طريق الزواج والتناسل . وهى آلهة تحب وتبغض وتتنازع وتتشاجن ، ويحاول بعضها أن يعتدى على الأعراض وعلى السلطان ، وهى فى نزاع مستمر • ثم هى

وعليه تقوم ، ان العقل ينشئها ويسير معها خطوة بخطوة حتى يصل بها - في تدرج - الى غايتها ، انها مذاهب عقلية ، انها مذاهب بشرية • انها في المستوى البشرى •

* واذا كانت أسطورية الدين اليونانى هى التى دفعت هؤلاء المفكرين على ما أقدموا عليه فان الأمر لم يكن كذلك فيما قبل •

* كان الوضع فيما قبل التفرقة بين مجالين من مجالى المعرفة :

١ - مجال المعرفة الحسية ، وهو مجال آلات المعرفة فيه الحواس وموضوعه المادة ، والعقل يجول فيه مستنبطاً ومستنتجاً ، فيؤلف فيه ويركب ويعيد تأليفه وتركيبه ، ويستخرج قوانينه وقواعده ، فتكون الحضارة ويكون العلم بمفهومه الغربى الحديث أو بمفهومه الكونى المادى : طبيعة وكيمياء وفلك •

٢ - مجال المعرفة الروحية والأخلاقية وهو مجال ليست الحواس مصدره وليس العقل منشئه أو مبتدعه ، وانما مرده الى الوحي ينزله الله على السنة من يصطفهم لحمل الرسالة من خلقه ، انه من

تحابى من البشر من يقدم لها القرايين والأضاحى وتخذل من لم يفعل ذلك ، وكانت فى مستواها الأخلاقى العام بعيدة عن الكمال والفضيلة ، وكان الالف والتكرار والتعود يجعل هذا الوضع للآلهة وضعاً عادياً لا يشير نقداً ولا استنكاراً •

* بيد أنه نشأ فى القرن الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد فى بلاد اليونان مجموعة كثيرة من المفكرين النابهين ، بل ومن العباقره ، وفكروا وتأملوا ونقدوا واستنكروا واقصّلوا عن الدين يعلنون ذلك فى صخب أو فى هدوء ، وفى كثير من الأحيان يسيرون ذلك ويخفونه فى نفوسهم ، ولكنهم على أى وضع كانوا ، ألفوا مذاهب آمنوا بها واعتقدوها مذاهب بشرية لم تؤسس على وحي ولم ينزلها الله على لسان أنبيائه ورسله •

* ألفوا مذاهب تتصل بالله سبحانه وبالآخرة وبالسلوك الانسانى الذى يجب ان يلتزمه الانسان •

* انها مذاهب مؤسسة على العقل : عنه تصدر ، ومنه تنبع ،

اختصاص الله تعالى يبينه على السنة
رسله • وكان أبرزهم في هذا المجال
الفيلسوف « توما الاكوينى » •

• وسار الأمر على هذه الكيفية
الى العهد اليونانى القديم : فخلص
الانسان فى مجال الحس - وهو
اختصاصه - وخاض فى مجال الروح
بعقله ، وليس للعقل فى مجال الغيب
الا محاولة الفهم : اذ الانشاء
والابتداع فى هذا المجال ليس
للانسان ، وليس من اختصاصه •

• واذا قرأت « ديكارت »
تجده كأنه كان يمشى على الشوك
وهو يتفلسف محاولا - ما استطاع
الى ذلك سييلا - مداراة
القساوسة وعلماء الدين ، والجو
العام الفلسفى اذ يعلن ، فى مجاملة
بالغة ، أنه يؤيد الدين ولا ينحرف
عنه وأنه يقدم اتناجه ويعرضه على
علماء الدين متقبلا ملاحظاتهم التى
يوليها عنايته الفائقة • كان هذا
موقف ديكارت وغيره •••

• وجاءت المسيحية فردت الأمر
الى حالته الطبيعية : عالم الحس
للانسان ان يفكر فيه ويستنبط
وعالم الروح يتفهمه الانسان عن
طريق الوحي •

• وجاء الاسلام : يهدى
للتى هى أقوم ، وليخرج الناس
من الظلمات الى النور ، وليقود
الانسانية نحو مرضاة الله تعالى ،
ووضع الأمور فى نصابها مبينا
بأسلوب لا لبس فيه أن : العقيدة ،
والأخلاق ، ونظام المجتمع ،
والتشريع ، من أمر الله تعالى •
وقد شاعت رحمته سبحانه أن يرسم
للانسانية طريقها المعصوم فى كل
ذلك فأرسل الرحمة المهداة ، خاتم
النبيين - محمدا صلى الله عليه
وسلم :

• ولكن التيار الفلسفى
اليونانى - وقد أصبح سنة
مألوفة - غزا الجو المسيحى وأخذ
مكائنه المرموقة بين المفكرين
الغربيين فنشأ فيهم الفلاسفة ونشأت
فى أجوائهم الفلسفة •

• وأخذ فلاسفة الغرب يحاولون
التوفيق بين المسيحية والفلسفة

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا يابأئهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبة » .

✽ ولكن الفلسفة اليونانية دخلت على استحياء فى عهد المنصور ، وقوى جناحها فى عهد المأمون ، وأصبح فى الأمة الاسلامية فلاسفة ، وسنين فى استفاضة - ان شاء الله - ذلك فيما بعد .

د . عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر

المؤمن يلوم نفسه

عن أنس بن مالك أنه قال لما نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى آخر الآية » جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمر وما شأن ثابت أشتكى قال سعد أنه لجأرى وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة .

رواه مسلم

الحكمة في تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحريدي الطبري

قال الله تعالى :

«فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» (الآية ٣ من سورة النساء)
« الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » (الآية ٢٢٩ من سورة البقرة)

البيان

أنزلها الله - أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكن زواج العربي أو غيره قبل الاسلام ، مقيداً بعدد معين من النساء ، بل كان يتزوج منهن العدد الذي تتيحه له قدرته ، وكان هذا أمراً عادياً لا يثير عجباً ، ولا يستتبع تثيرياً ، لا من عليه القوم ولا من سفلتهم .

ولما أنزل الله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » للحيلولة دون المآثم والمظالم التي كانت تستتبعها تلك الحرية في تعداد الزوجات - لما

وكان من هؤلاء رجل اسمه غيلان ، أسلم وهو زوج لعشر نساء ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أمسك أربعاً وفارق سائرهن » ومنهم قيس بن الحارث الأسدي ، أسلم وعنده ثمان نسوة ، فقال له صلى الله عليه وسلم « اختر منهن أربعاً وخلّ سائرهن » أي

أولادا ، وكلاهما يريد البقاء مع الآخر ، فحفاظا على دوام عشرتهما ، وطلباً لانجاب الأولاد أبيع للزوج أن يجمع معها في عصمته غيرها بحيث لا يزيد على هذا القدر .

٥ - ان الزوجة قد يكون لها أولاد ، ولكنها سيئة العشرة مع زوجها ، فليلا يطلقها فيتعرض أولادها للمتعاب الكثيرة ، أبيع له أن يتزوج سواها وهي في عصمته ، ليستريح من سوء عشرتها معه ، ولتبقى مع أولادها لرعاية شؤونهم .

٦ - ان الحرب يخوض غمارها الرجال ، فيموت منهم كثيرون ، وتتأيم بعدهم نساؤهم ، وتتيتم بناتهم ، ويفقدن من يعولهن ، كما أن عدد النساء في معظم البلاد أكثر من عدد

الرجال ، فيتعرضن بسبب ذلك لأخطار العرض ، وأخطار الفاقة ، فلهذا عالج الاسلام كثرتهن وأخطارها باجازه التعدد على النحو الذي جاء في الآية الكريمة .

٧ - ان الزام الزوج بزوجة واحدة مهما كانت صفاتها وأحوالها يؤدي الى انتشار البغاء السري

وفارق باقيهن ، ولهذا التشريع حكم عديدة نبينها فيما يلي :

١ - أن الرجل لا يستطيع أن يعول أكثر من أربع نساء ونسلهن غالبا ، فحتى لا يتردى النساء في مزالق الفاقة ولا يتشرد الأولاد ، لم يشرع الله الزواج بأكثر من هذا العدد .

٢ - ان اباحة التعدد الى أربع كانت له آثار عظيمة في زيادة المسلمين وكثرتهم أمام أعدائهم على امتداد العصور ، فخافوهم وفُت في أعضادهم ، فانطلق الاسلام يشق طريقه في المشارق والمغرب لا يخشى مخالفيه الذين يتربصون به الدوائر ولا يستطيعون منازلة رجاله .

٣ - ان الرجل لا يستطيع - غالبا - أن يعِف أكثر من أربع ، فحماية للزوجات من الجنوح الى الرذيلة وشطَطِ الهوى والجوع الجنسي ، أوجب الله عليه أن لا يتجاوز هذا العدد .

٤ - ان الزوجين قد يكونان متحابين ، ولكن الزوجة لا تنجب

والعنى ، واتخاذ الخليلات ، وانجاب أولاد غير شرعيين ، لا ينتسبون الى والد شرعى ، وتلك ظاهرة يشهد بها الواقع ، فان الأمم التى تدين بالزوجة الواحدة ، تنتشر فيها الدعارة بشتى ألوانها المخزية ، وبعض الخاطئات يحملن سفاحا ، ثم يلدن فى دور الولادة العامة ، ومنهن من يلدن فى عيادات طبية خاصة ، ومنهن من يجهضن أنفسهن بشتى الوسائل ، وكثيرات منهن يمارسن رذيلة السفاح ولا يحملن : امّا لأنهن عاقرات ، أو لأنهن يستعملن وسائل مانعة من الحمل •

وقد أغفل من حسابه اللائى ولدن بالعيادات الخاصة، والنساء المتزوجات اللائى يلوثن فراش الزوجية بالسفاح وغير المتزوجات اللائى يستملن العقاقير المانعة للحمل ، ويمارسن هذه الرذيلة ، وما أكثر السفاح الذى لم يستعقب أولادا بسبب استعمال هذا العقار فلو استطاعت الجهة التى قامت بهذا الاحصاء ، أن تتعرف هذه الحالات وما أكثرها - ظهرت نسبة هذه الرذيلة بشكل مروع خطير •

ولا غرابة فى ذلك ، فان قصر الزوج على الزوجة واحده لا يملك أمر التخلص منها بالطلاق ، أو الزواج بأخرى وهى فى عصمته ، من أهم الأسباب المستتعبة لتلك الجريمة وأثارها ، فقد تكون المرأة غير جميلة فلا ترضى زوجها ، أو جميلة ولكنها شاذة الطبع مشاكسة أو متساهلة

ولقد ازدادت نسبة الانحراف فى هذا العصر ، وولادة الأولاد غير الشرعيين ، وقد أحصى بعض المعاهد المعنية بالاحصاء فى احدى الدول التى توجب شريعتها الزوجة الواحدة - أحصى الأولاد الشرعيين وغيرهم سنة ١٩٦٨ م فوجد نسبة أولاد السفاح الى الأولاد الشرعيين واحدا الى ستة ، وهذا الاحصاء لا يمثل نسبة السفاح على وجه الحقيقة، فانه

عديدة في أوروبا وأمريكا تدعو الى تعدد الزوجات وفق ما كان الأمر يجرى عليه قبل أن تتدخل الكنيسة لمنع تعدد الزوجات ، فقد كان التعدد موجودا في الوسط المسيحي بين الملوك والرعايا ، ثم تدخلت الكنيسة فمنعته من غير نص تستند اليه... ويلاحظ أن التوراة هي العهد القديم عندهم ، وهي لا تحرم التعدد بل تجيزه ، فمن أين جاءوا بحظره وتحريمه ؟ ..

متى يباح تعدد الزوجات في الاسلام:

ان شريعة الاسلام لم تطلق اباحة التعدد للرجال ، بل قيدتها بأن لا يخافوا الجور عليهن في حقوقهن المشروعة ، من اغصافهن ورزقهن وكسوتهن واسكانهن ، فان خافوا الجور وعدم العدل وجب الاقتصار على زوجة واحدة ، وحرّم التزوج بأكثر منها ، قال تعالى « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ثم قال « ذلك أدنى أن لا تعدلوا » أى ذلك الاقتصار على الزوجة الواحدة ، أقرب من أن تجوروا عليهن ، أى أنه يبعدكم عن الجور في حقهن .

في عرضها وهو لا يستطيع اثبات انحرافها حتى يطلقها ، أو غير ذلك من الأسباب ، فيضطر الزوج الى طلب المتعة في سواها بطريق غير شرعى ، فيتخذ من الخيلات ما شاء له هواه وقد شاعت الفاحشة في دول بأكملها من أجل ذلك ، وأطلقوا عليها عنوان الحب تخفيفا لاسم الجريمة، ولا تجد أبا أو أما يمنعان ابنتهما عن ممارسة حريتها الجنسية ، لأنهما يمارسانها بنفس القدر الذى تمارسه ابنتهما أو أكثر .

فأى الأمرين أجدى على الخلق وأنفع للمجتمع ؟ .. أن يباح للرجل تعدد الزوجات بطريق شرعى يستتبع أولادا شرعيين ، أم أن يقتصر على زوجة واحدة لا يتعدها ولا يستطيع طلاقها ان وجد بها ما يمنع من دوام العشرة الراضية الوديدة معها ويتخذ من الخيلات ما شاء وقد يتجاوز أربعا ، ثم ينسل منهن أولاد غير شرعيين ، لا شك عند المنصف في أن الأول هو الأجدى على الأخلاق ، والأفقع للمجتمع ، اننا نسمع دعوات صريحة من نواح

وانما حرم التعدد حينئذ لأن الجور حرام ، فما يؤدي اليه يكون حراما .

وقد أصبح الجور في زماننا هذا متوقفا بل حاصلا بطريقة عامة لكل من يتزوج أكثر من واحدة، لارتفاع تكاليف المعيشة وتعدد أنواعها ، وحاجة أولاد الزوجات المتعددات الى التربية الحسنة ، وثقل تكاليف هذه التربية كما هو مشاهد وملموس، وهذا لا يجعل الأزواج قادرين على العدل بين زوجاتهم المتعددات ، ولا بين أولادهن ، ويبعث على الهرب من القسم العادل بينهن ، والانحياز الى بعضهن ، ليتجنبوا مطالب سائر الزوجات وأولادهن ، وما أقسى هذا في شريعة الاسلام الحريصة على العدل والانصاف .

أثيرة زوجاتهم على أنفسهم أمر واقع لا شك فيه ، فاذا كان سلفنا الصالح استطاع أن يعدل بين زوجاته العديديات فان ذلك لقوة الوازع الدينى والخلقى عنده وعند زوجاته، أما في هذا العصر فان العدل بينهم متعذر لضعف الوازع الدينى .

ولو أن رجلا في زماننا له أخلاق أولئك الصالحين وجمع بين أكثر من واحدة الى أربع وهو يعتقد أنه سيعدل بينهن فان ذلك جائز حتما بنص الآية الشريفة .

ولكن هذا اللون من الرجال يندر وجوده الآن ، فلو جمع أحد لا تتوفر في نفسه دواعى العدل ، فمع حرمة الجمع يصح الزواج .

والأجدر بالناس في هذا العصر تفادى هذه الحرمة بالاعتصار على الزوجة الواحدة ، ما لم يجد الزوج من الدواعى الملحة ما يقتضى التعدد، فان كان الأمر كذلك فليفعل ، وعليه أن يلزم نفسه العدل والمساواة في الحقوق العينية ، وبشاشة الوجه ولين الكلام قدر الامكان، وأما ميل القلب

أضف الى هذا انحدار مستوى الأخلاق بين الرجال والنساء في هذا العصر ، فحب المرأة حظ نفسها وإيثارها مصلاحتها على حق غيرها يدعوها الى حمل زوجها على هجر ضراتها وظلمهن بمختلف الوسائل ، واستجابة الأزواج لنداء الجور من

وعلموه غير هضمية ، فكم فيه من متاهات ، وكم له من دروب مخيفة ، وكم له من آثار عنيفة على الأولاد وعلى المجتمع ، وكم له من مشكلات في دور القضاء .

ما غيّر أهل الوعي ؟ ! . فانهم لا يبالون بالتعدد ، ولا يهتمون بمسئوليّاته ، ولا يحسبون لآثاره حسابا ، وغالبا ما يكون الباعث لهم عليه الاستكثار من الأولاد للاستفادة من كسبهم كما هو الحال في بلاد الريف ، ولعل فيما ذكرناه عبرة وتبصرة لأولى الألباب ، فان الله تعالى لا يشرع حكما الا لما يترتب عليه من المصالح والمنافع . فلا ينبغي للمسلم أن يحول تشريع ربه الى غير هدفه . ونستطيع أن نقول استنباطا من واقع الحياة المصرية ان أمر التعدد في بلادنا غير مخيف لأنه في سبيله الى الاضمحلال ، لما يحدثه في زماننا هذا من متاعب مالية وقضائية ، ومشكلات اجتماعية - كما مر بيانه - فليس الأمر بحاجة الى جهد والتشريع للحد من تعدد الزوجات .

فليجتهد في العدل فيه بقدر الطاقة البشرية ، وما لم يقدر عليه فمعفو عنه ، وينبغي أن يقول ما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » يعنى بذلك محبة القلب وميله ، فان ذلك الى الله تعالى الذي يحول القلوب كيف يشاء .

وقد يكون من أسباب الميل وزيادة الحب ، أمور غالبية في بعض النساء لا تتوافر في ضرائهن كطيب القلب ولين الجانب ، وبشاشة الوجه وسماحة النفس ، وحسن التأويل لتصرفات الزوج ، وغير ذلك من الفضائل التي تقهر الزوج على الميل القلبي نحو صاحبته ، ولكن على الزوج - مع هذا - أن يعالج قلبه ويحاول العدل بينهما في الحب قدر الطاقة البشرية ، كما عدل بينهما في العينية ، والله تعالى يغفر ما يتجاوز طاقته .

وقل أن نجد اليوم في البيئات الواعية من يقدم على هذا الامتحان الرهيب الا مضطرا ، فمواده صعبة

قصية من الطرائف

نهاره وليله ما يرقده
فلست في أمر النساء أحمده
فقال زوجها :

زهدنى في فرشها وفي الحجل^(١)
أنى أمرؤ أذهلنى ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جمل^(٢)
فقال كعب :

ان لها حقاً عليك يارجل
نصيبتها في أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : ان الله عز وجل قد أحل
لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ،
فلك ثلاثة أيام بلياليها تعبد فيها ربك
فقال عمر : والله ما أدري من أى
أمريك أعجب ، أمن فهمك أمرهما ،
أم من حكمك بينهما ، اذهب فقد
وليتك قضاء البصرة •

من أطرف القضايا التى عرضت
على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
قضية تدل على امكان صبر المرأة
عن زوجها ثلاث ليال ، أخذنا من آية
اباحة التعدد فى الزوجات • وخلصتها
أن امرأة جاءت به فقالت : يا أمير
المؤمنين • زوجى يصوم النهار
ويقوم الليل ، فقال لها : نعم الزوج
زوجك ، فجعلت تكره عليه القول
ويكرر عليها الجواب ، فقال كعب
الأسدى يا أمير المؤمنين : هذه
الزوجة تشكو زوجها فى مبادئه
اياها عن فراشه ، فقال له عمر : كما
فهمت كلامها فاقض بينهما ، فأحضر
زوجها وقال له : ان امرأتك هذه
تشكوك ، فقال : أفى طعام أم فى
شراب ؟ قال : لا ، قالت المرأة :

ياأيها القاضى الحكيم رشده
ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبهده
فاقض القضا كعب ولا تردده

(١) الحجل جمع حجله وهى بيت يزين بالثياب وألستور للعروس .
(٢) السبع الطول - أى الطوال وهى السور السبع الطويلة فى
أول القرآن ، والتخويف الذى جاء فيها وفى سورة النحل ، المراد منه ما
جاء فيها من آيات الوعيد على ترك الطاعات وغشيان المعاصى .

الطلاق وحكمته

ثم قال : والله لا أوويك الى ولا تخلين أبدا ، فأنزل الله تعالى الآية •

بهذا التحديد لعدد المرات في الطلاق ، قضى على استغلال الزوج الماكن لا باحة الطلاق بلا قيد ولا شرط في الاضرار بالزوجة وتعذيبها بتكرار الطلاق والمراجعة كما يشاء ، فلا هو يتركها حتى تنقضى عدتها فتتزوج غيره ، ولا هو يمسكها بالمعروف •

وحكمة مشروعية الطلاق أن الزوجين قد يظهر لهما بعد الزواج أنهما غير مؤتلفين في الطباع والأخلاق ، وان دوام العشرة الطيبة بينهما متعذر ، أو قد يطرأ على عشرينهما الطيبة من الأسباب المالية أو الخلقية أو غيرها ما يعكر صفوها ويجعل حلوها مرا ، ونعيمها شقاء ، ويتعذر علاج الجراح التي سببتها تلك الأحداث ، أو أن تكون الزوجة عاقرا والزوج ليس كذلك ويريد الانجاب ولا يستطيع أن يجمع بين امرأتين ، فهذا كله شرع الله الطلاق حتى تستقيم لكليهما الحياة ان أصرا أو أحدهما على القراق والافتصال ، أو يعود الى المسىء منهما رشده

أنزل الله تعالى في الطلاق عدة آيات لتشريع أحكامه المختلفة ، منها قوله تعالى « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » •

وفي هذه الآية شرع الله الطلاق ثلاث مرات ، اثنتان منهما تحل المراجعة بعد كليتهما وقبل انقضاء عدتها منهما ، والثالثة هي التي عبر الله عنها بقوله جل ثناؤه «أو تسريح بإحسان» أخرج أبو داود وجماعة عن أبي رزين الأسدي ، أن رجلا قال : يا رسول الله انى أسمع الله تعالى يقول •• « الطلاق مرتان فأين الثالثة ؟ فقال « التسريح بإحسان هو الثالثة »

وقد كان الطلاق والمراجعة قبل نزول هذه الآية بدون قيد ولا عدد استتباعا للعهد الجاهلى ، أخرج الامام مالك والشافعى والترمذى وغيرهم عن عروة قال : (كان الرجل اذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضى عدتها ، كان ذلك له وان طلقها ألف مرة ، فعمد رجل الى امرأته فطلقها ، حتى اذا ما شارفت انقضاء عدتها ، ارتجعها ثم طلقها ،

فيؤنبه ضميره على ما اقترف ، ويعده الى رجعة يسود فيها المعروف ، وتزول فيها دواعي الخصومة والاتصال .

ولهذا شرع الله عدة للمطلقة كافية لمراجعة النفس وتهذيبها بعد درس الطلاق القاسى على كليهما ، وشرع الرجعة في أثناءها ، وجعل الطلاق الذى تحل بعده الرجعة مرتين أثناء العدة تكرارا للتأديب ان عادت المساءة مرة أخرى ، وشرع المراجعة مرتين رحمة بالزوجين ، ورغبة في دوام الترابط بينهما .

فان تجددت المساءة بعدهما ولم يمكن رأب الصدع وجبر الكسر ، وطلقها الزوج للمرة الثالثة ، فلا يحل لهما أن يتراجعا ولا أن يعقد عليهما لا في العدة ولا بعدها ، تأديبا للمساءة ، ولتعذر حسن العشرة بينهما . فان تزوجت غيره بعد انقضاء عدة الطلاق الثالث ، ثم طلقها الزوج الثانى ، جاز للأول أن يتزوجها بعد أن يطلقها الثانى وتنقضى عدتها منه عملا بقوله تعالى « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ويعود اليه الحق في عدد الطلاق بالنسبة اليها كما لو كانت

زوجة جديدة . وانما ساءت له العودة اليها شرعا بعد تعذر العشرة بينهما من قبل لأن فيما حدث من أدب الطلاق الثلاث وحرمان كلا الزوجين من الآخر ، وتزوج المرأة بزواج آخر ثم تطليقه لها - لأن في كل ذلك - ما يكفى لتهديب المسىء وردة الى الصواب والحكمة في المعاملة .

لماذا كان الطلاق من حق الزوج

جعل الله تعالى حكم الطلاق من حق الزوج لحكم عديدة ، (منها) أن الزوج هو الذى أعطى الصداق فلا يليق ولا يجمل أن ينزع منه حق الطلاق ويعطى للزوجة التى لم تدفع له شيئا تخاف ضياعه ، حتى لا تستعمله سلاحا ضده عند غضبها منه ، فتضيق عليه ما بذله في سبيلها ، وقد يكون مالا كثيرا أنفق فيه الجهد حتى دبره ، فضلا عن أنها بهذا الطلاق تحمله على أن يدبر غيره ليتزوج سواها ، وقد يعجز عن ذلك فيتضاعف ضرره ، أضف الى ذلك أنها اذا طلقته استفادت نفقة العدة وأجرة حضانة أطفالها منه ، وخسر الزوج كل شيء ، فيكون وضع هذا السلاح في يدها شديدا الخطورة عليه وعلى أولاده ، فلذا

الطلاق أمام القاضي ، لأنه سوف يسأل المطلق عن دواعيه ، وقد يكون منها ما لا يليق اعلانه أمامه ، وعلى مسمع المتقاضين ، كالزنا والسرقة ، فان في اعلان ذلك تشهيرا بالزوجة وفضيحة لها ولأسرتها وأولادها ، وقد يترتب على ابدائه أن يقتل الزوجة أهلها ثارا لكرامتهم وشرفهم ممن لوثته ، ويقتلوا من اعتدى عليها وفسق بها ، وهيهات أن يتزوجها غيره بعد أن استعلن أمرها أمام القضاء ، فلماذا جعل الطلاق حقا للزوج يمارسه دون تشهير واعلان .

ويعتبر تشريع الطلاق في ذاته وفي عدده ، وعدم وجوبه أمام القضاء ، وأن أسبابه ليست قاصرة على الزنا وحق الرجعة بعده مرتين . ويعتبر الطلاق - بهذه الصيغة - من محاسن الشريعة الاسلامية الغراء ، ولهذا نرى المطلقة من رجل يتزوجها آخر دون تخرج من أنها طليقة لأن معظم أسباب الطلاق في ديننا ترجع الى الشقاق ، ورُب امرأة تكون غير موفقة في عشرتها مع زوج ، فان فارقت وتزوجت سواء يحالفها التوفيق والسعادة .

مصطفى محمد الحديدي الطبري

جعل من حق الزوج دون الزوجة (ومنها) أن اعطاء حق الطلاق للزوج ، يجعله يتأني في استعماله حذرا من الأضرار المترتبة عليه في ماله وفي أولاده، ولهذا نرى الأزواج يتحملون مرارة العيش ، ويصبرون على المتاعب الزوجية ، فلا يسارعون الى تطبيق زوجاتهم ، أملا في صلاح أحوالهن معهم ، وحرصا على مصلحة أولادهم ، وحذرا من ضياع ما انفقوه في زواجهن بهن ، وما سوف ينفقونه عليهن في العدة وأجرة الحضانة للأطفال ، وما يتكبدونه من الأموال في القضاء عند الاختلاف ، فضلا عن احتياجهم أو اضطرارهم الى العودة الى تجربة الزواج من جديد وخوفهم من الخلاف بين الزوجة الجديدة والأولاد وتحملهم في سبيل هذا الزواج الجديد أموالا قد لا يستطيعونها ، وقد يفشلون في هذا الزواج ، فلماذا كله جعل حق الطلاق للأزواج دون الزوجات ، فهم أكثر منهن حرصا على دوام العشرة وازالة أسباب الخلاف ، ليتجنبوا تبعات الطلاق السيئة عنهم .

لماذا لم يجب الطلاق أمام القضاء
لم يوجب الشرع الحكيم أن يكون

في ذكرى إصراف المسجل الأرمي

للعلامة المودودي

— ٢ —

من الوطن القومي الى الدولة القومية: رفعت حكومة بريطانيا قضية فلسطين الى جمعية الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ • كأنها ترمى من ذلك الى أن الخدمة التي كانت ألقتهها عصبة الأمم على عاتقها أدتها على ما يرام فلتتقدم الآن جمعية الأمم المتحدة : خليفة عصبة الأمم الراحلة ، بالقضية والتوصل بها الى الهدف المنشود ، فلندرس الآن موقف جمعية الأمم المتحدة التي حملت لواء فشر العدل والسلام في الدنيا من قضية فلسطين و « اجراءاتها العادلة » حيالها •

قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود في نوفمبر ١٩٤٧ م • فكيف صدر هذا القرار ؟ كان عدد الأصوات الى جانب التقسيم ٣٣ صوتا وعدد الأصوات ضد التقسيم ١٣ صوتا • وامتنعت عشر دول من التصويت • وهذا هو أقل نسبة الأصوات لاستصدار أى قرار في الجمعية العامة • والى ما قبل بضعة أيام من صدور هذا القرار لم يكن من الممكن الحصول على هذا القدر من الأصوات • ولكن في النهاية ركزت أمريكا ضغطها الشديد على كل من هايتى والفلبين وليبيريا لانجاح قرار التقسيم ، والذي نجده مسجلا اليوم في مضابط الكونجرس الأمريكى: أن أمريكا انتزعت هذه الأصوات الثلاثة باستخدام وسائل الارغام والاجبار كما أن جيمس فورستال كتب في مذكراته : « قد بلغت الاجراءات في تكريس الضغط على الأمم الأخرى وارغامها على التصويت الى جانب التقسيم درجة الفضيحة الصريحة •

العربية الكائنة في قطاع العرب الذين كانوا عزلا عن كل سلاح • فجمع اليهود سكانها صفا واحدا، رجلا ونساء وشيوخا وأطفالا • ثم رشوهم بالنار وأمعنوا في تعذيبهم أثناء عملية القتل والذبح فبقروا بطون الجبال وأخرجوا الأطفال وذبحوهم وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا أجسامهم حتى يصعب التعرف إليها ثم جمعوا الجثث وجردوها من الألبسة وألقوا بها في بئر القرية • وسيروا النساء بعد تجريدن من الألبسة في الشوارع عاريات • وأعلنوا بمكبرات الصوت في مختلف الأنحاء بأننا نحن اليهود فعلنا بأهل دير ياسين كذا وكذا والذي يجب الأمان فليخرج من داره •

وبعد استخدام هذه الوسائل البغيضة لاصدار قرار التقسيم قد أعطى ٥٥٪ من مساحة فلسطين الى ٣٣٪ من سكانها اليهود الدخلاء ، و ٤٥٪ من مساحتها الى ٦٧٪ من سكانها العرب الأصليين ، والحال أن اليهود ما كانوا يملكون من فلسطين أيام صدور القرار الا نسبة ٦٪ منها فقط • هذا هو العدل الذي التزمت به جمعية الأمم المتحدة بيد أن اليهود لم يرضوا حتى بهذه القسوة الضيزى فلجأوا عقب صدور القرار الى وسائل القتل والارهاب وتشريد العرب من ديارهم وأموالهم والسيطرة على أكثر ما يمكن من المساحة •

وعلى كل من به مسحة من العقل أن يتفكر هل يمكن أن تصدر هذه الأعمال من شعب فيه ذرة من الانسانية والنبل •

وفي ١٤ مايو ١٩٤٨ م حينما كانت الجمعية العامة قد استأنفت بحثها في موضوع القضية الفلسطينية أعلنت الوكالة اليهودية في فلسطين اقامة دولة اسرائيل في الساعة العاشرة من

وان المجازر التي ارتكبتها الصهاينة في هذه المرحلة يشير اليها المؤرخ البريطاني توينبي في كتابه : دراسات في التاريخ قائلا : ان هذه المجازر لم تكن في فظاعتها وهمجيتها أقل مما ارتكبه النازيون • وقد ذكر توينبي مذبحه دير ياسين بصفة خاصة حدثت في ٩ أبريل ١٩٤٨ م • هجم اليهود على قرية دير ياسين

الليل • وبادرت أمريكا وروسيا الى الاعتراف بها قبل غيرهما • مع أن الجمعية العامة لم تخول اليهود بعد اقامة دولتهم • وفي الوقت الذي أعلن فيه قيام دولة اسرائيل كان ستمائة ألف نفر من العرب الفلسطينيين مشردين منفيين من أملاكهم • كما كانت اسرائيل احتلت أكثر من نصف مدينة اورشليم (القدس) ضد اقتراح الأمم المتحدة • وبعد اعلان دولة الصهاينة تدخلت الدول العربية المجاورة لانتقاد السكان العرب المنكوبين من العدوان الصهيوني ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين • غير أن اليهود كانوا قد بلغوا من القوة والمنعة حيث لم تتمكن سائر الدول العربية المجاورة من قمعهم وقطع دابرهم • بل لما أصدرت الأمم المتحدة قرار الهدنة في نوفمبر ١٩٤٨م كانت القوات الاسرائيلية استطاعت بسط احتلالها على أكثر من ٧٧٪ من مساحة فلسطين • والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد من الذي وفر لليهود هذا القدر الهائل من القوة

الحرية حتى ما تمكنت القوات الموحدة من خمس دول مجابهتها ؟ الجواب : أن الرأسمالية والاشتراكية كلتاهما كانت تزود اسرائيل بهذه القوة • بل معظم الأسلحة الحرية التي استخدمتها اسرائيل في تلك الآونة كانت أسلحة تشيكوسلوفاكية البلد الاشتراكي الذي يعاني اليوم الاضطهاد الروسي • والمناقشات التي جرت في قاعة الأمم المتحدة حول قضية فلسطين مضابطها تبرهن على أن حاملي لواء النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي كانوا يتسابقون في مساعدة اليهود ومناوأة العرب وكان من المتعذر القول على وجه التحديد أيهما أكبر مؤيد لليهود •

المرحلة الثالثة من المخطط الصهيوني:
وبدأت المرحلة الثالثة من المخطط الصهيوني التي طالت ١٩ عاما وبلغت مرماها في ٥ حزيران ١٩٦٧م باستيلاء الصهاينة على القدس والبقية المتبقية من فلسطين (الضفة الغربية) وشبه جزيرة سيناء بكاملها ومرتفعات الجولان الكائنة في حدود سورية • كانت المساحة المحتلة في

نوفمبر ١٩٤٨ م سبعة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعين ميلا مربعا .
 وأضيفت فى ٥ حزيران ١٩٦٧ م اليها تلك المساحة الجديدة التى تشتمل على سبعة وعشرين ألف ميل مربع . ووقع حوالى المليون ونصف المليون من العرب تحت استعباد الصهاينة . والسر فى نجاح اسرائيل فى تنفيذ مخططها المشؤوم فى هذه المرحلة يعود الى كون أمريكا أكبر مساند لها وقيام بريطانيا وفرنسا والدول الغربية الأخرى بخدمة تأييدها فى نطاقها . أما روسيا والكتلة الشرقية فانها كانت الى ما قبل عام ١٩٥٥ م صديقة اسرائيل علنا ، ولما خابت آمال العرب فى الحصول على السلاح من أمريكا والدول الغربية للدفاع عنهم مالوا مكرهين الى الكتلة الاشتراكية التى سارعت الى تزويدهم بالسلاح رامية من ورائه الى كسب الفرصة لبث الاشتراكية فى دائرة نفوذها . ولكن هذا التحول لم يوصل البلاد العربية الى ما كانت تهدف اليه من كسب القوة والتكافؤ لمجابهة اسرائيل ،

بل الذى حصل هو أن روسيا وجدت الفرصة المتاحة لبث بذور الاشتراكية امتدادا من مصر وسوريا الى اليمن ومن العراق الى الجزائر . وأثر ذلك رفع الصراع بين الرجعية والتقدمية رأسه ، وتفاقم أمره حتى أصبحت هذه البلدان تتصارع بعضها مع بعض بدلا من أن تتخلص من اسرائيل .

والمعونة المالية التى قدمتها أمريكا لاسرائيل فى هذه المرحلة التى طالت ١٩ عاما قدرها ألف وستمائة مليون دولار . كما أن ألمانيا دفعت التعويضات الهائلة لاسرائيل ومجموعها اثنان وثمانمائة مليون دولار كما أن اليهود فى العالم اغدقوا عليها بالتبرعات التى بلغ مجموعها أكثر من ألفى مليون دولار فقوت بها اقتصادها .

ومن الناحية العسكرية فقد جعلوها مدججة بالسلاح الحربى من رأسها الى أخمصها تكهن معه الخبراء الأمريكان قبل نشوب حرب حزيران بأيام بأن اسرائيل تستطيع أن تضرب جميع الدول المجاورة

في خمسة أو ستة أيام • ومن الناحية السياسية فقد دعمتها أمريكا وحليفاتها في كل مناسبة من المناسبات ونظرا للمساعدات الأمريكية لاسرائيل ما قدرت الأمم المتحدة على ردع اسرائيل من اعتداءاتها المتكررة ومن الغريب في الأمر أن اسرائيل في الفترة ما بين عامي ١٩٧٤م و ١٩٧٥م • قد مزقت ٢٨ قرارا صادرا من الأمم المتحدة كما استصدرت الأمم المتحدة من سبتمبر ١٩٤٨ م الى نوفمبر ١٩٦٦م سبع قرارات نددت فيها بعدوان اسرائيل • غير أنها لم تعر أسماعها الى كل ذلك • ولتقدروا مدى جسارتها وعنادها كفاكم أن تعرفوا أنه لما تقرر انعقاد جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م صرح رئيس وزراء اسرائيل آنذاك ليفي أشكول: « لن نسحب من المناطق المفتوحة أبدا ولو صوت مائة وواحد وعشرون عضوا من بين مائة واثنين وعشرين عضوا في الأمم المتحدة ضدنا ولم يبق في تأييدنا الا صوت اسرائيل نفسها ويرجع غرورها وعنادها وضربها الرأي العالمي عرض الحائط الى أن

أمريكا وحليفاتها تعضدها بمعنى الكلمة وأصبحت الأمم المتحدة نفسها عاجزة أمامها •

ولكى تعرفوا مدى اهتمام أمريكا باسرائيل عليكم أن تجيلوا نظركم في الموقف الذي وقفته أمريكا في حرب ٥ حزيران • فقد قال رئيس أركان الحرب الأمريكي الجنرال ويلراكد للرئيس جونسون بأن اسرائيل اذا أخذت زمام المبادرة بشن الهجوم الجوي على البلاد العربية فلا جرم أنها ستنكس العرب في خلال ثلاثة أو أربعة ايام • غير أن جونسون لم يقتنع بهذا التأكيد وطلب من رئيس المخابرات الأمريكية هيلمز (Helms) رأيه في هذا الباب وافق بدوره على صحة تقدير ويلر فخفف جونسون واتصل بروسيا • وبعد أن نال الاقتناع من روسيا أيضا بأنها لن تتدخل فعلا لمساعدة العرب ، « أوحى » الى اسرائيل بأن هذه هي الفرصة الذهبية للهجوم على البلاد العربية • ومضافا الى ذلك فان الأسطول السادس كانت سفنه تبحر قرب سواحل مصر

عبد الناصر ليلة فجر الهجوم على القواعد المصرية بأن لاهجوم من اسرائيل • ويشبه هذا التأكيد بالتأكيد الذي أعطته أمريكا لباكستان في سبتمبر ١٩٦٥ م بأن الهند لن تخرق أبدا الحدود المعترف بها دوليا • والتعليق الذي أصدره أحد الدبلوماسيين اليوغوسلافيين على موقف روسيا هذا من العرب لمن الدروس القاسية يقول الدبلوماسي: اذا أرادت قوة كبيرة أن تتخلى عنكم تسقطكم من الطائرة بدون المظلات •

هذه هي الأسباب التي ضمنت لليهود نجاح حلقهم الثالثة من التخطيط طويل الأمد وقد احتلوا بموجبها القدس والضفة الغربية وسيناء بكاملها •

الحلقة الرابعة من التخطيط الصهيوني :

والذي يواجهه اليوم العالم الاسلامي هو الحلقة الرابعة والأخيرة من التخطيط اليهودي • الحلقة التي يتملص الصهيانة لتحقيقها من ألفى سنة • ويتابعون نشاطهم الفعلي لابرارها منذ ٩٠ عاما •

واسرائيل تترقب فرصة الخدمة التي تلزمها •

ومن ظواهر مملأة بريطانيا لاسرائيل أنه كانت لبريطانيا الباخرتان الحريتان حاملتا الطائرات احدهما واقفة في مالطة والأخرى في عدن مستعدتين لدخول المعركة بعد الانذار بدقيقة واحدة فقط •

وقد نشرت جريدة صنداي تيمس البريطانية بعد الحرب بأيام كتابا أسمته : « حرب ٥ حزيران المقدسة » وجعلت عنوان الباب الذي

يتناول قصة الاحتلال الاسرائيلي على القدس : « العودة بعد ٨٩٦ عاما » ومن الظاهر الجلي أن كانت القدس الى ما قبل ٨٩٦ عاما محتلة من قبل الصليبيين لا من قبل اليهود • ويبدو ومن ذلك بوضوح أن التعاون الانكليزي اليهودي تخالطه العواطف الصليبية • وأن الانكليز نظروا الى هذه الحرب نظرتهم الى الحروب الصليبية بل اعتبروها حلقة من حلقاتها •

وأما ما يتعلق بصداقة روسيا مع العرب فان روسيا قد أكدت لصديقتها

الرجعيون • كما أن الطائفة الثانية التي تعد من الطوائف التقدمية المنتورة والتي تملك فعلا زمام السلطة في اسرائيل ترى أن اليهود باستيلائهم على القدس وحائط المبكى دخلوا عصر المسيح (Messiahic Era) وهذا ما أعلنه كبير الحاخامين في الجيش الاسرائيلي يوم وقف أمام حائط المبكى بعد احتلال القدس ويده التوراة فكان مما قال دخلنا اليوم عصر المسيح للملة اليهودية ونظرا لهذين السبعين فان اسرائيل بدل أن تفاجئ العالم بهدم المسجد الأقصى دبرت احراقه كخطوة تمهيدية لتبين بذلك مدى رد فعل العالم الاسلامي في جانب، وفي الجانب الآخر تجهز الشعب اليهودي تدريجيا لمجابهة اجرائها النهائي •

والجزء الثاني من هذا المخطط الاستيلاء على أرض الميعاد • وما هي حدود « أرض الميعاد » ؟ نجد هذه الحدود مكتوبة على باب الكنيسة الاسرائيلي بكلمات قالية: « حدودك يا اسرائيل ، من الفرات الى النيل » •

ومن أجزاء هذه الحلقة جزءان هما من الأهمية بمكان • الأول : هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبناء الهيكل السليمانى على موقعه • وأن بناء الهيكل لا يتم الا بهدم هذين الأثرين الاسلاميين • والثانى الاستيلاء على الأرض كلها التي يعتبرها اليهود (أرض الميعاد) ونود أن يكون المسلمون على معرفة جيدة بهذين الجزأين من المخطط •

أما الجزء الأول فان اسرائيل كانت أحرزت القوة للاقدام على ابرازه حينما هجمت على القدس واحتلته في حزيران ١٩٦٧ م • غير أنها بقيت بين الاقدام والاحجام لسبعين : أولهما تخوفها وتخوف حليفتها أمريكا من حدوث رد الفعل العنيف في العالم الاسلامي على هذا الاجراء

وثانيهما اختلاف اليهود فيما بينهم من الوجهة الدينية على هذه الأسطورة • اذ هناك طائفة يهودية تعتقد بأن الهيكل لايقوم باعادة بنائه الا المسيح فعلينا أن ننتظره حتى يظهر ويبنى الهيكل مرة ثانية • ويقول بهذا الرأي اليهود المحافظون

١ - اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي سجلت مطاعمها في اراضي الشعوب الأخرى على برلمانها بكل وقاحة . وأى بلد غيرها ما تجاسر على اعلان مطاعمه العدوانية بهذه الصورة المكشوفة . والتفصيل الذي ذكرته الحركة الصهيونية في العالم في خريطتها

لمملكة اسرائيل بموجبه فرض سيطرتها على البلدان التالية : مصر حتى دلتا النيل الأردن بكامله ، سورية بكاملها ، لبنان بكاملها ، الجزء الكبير من العراق ، الجزء الجنوبي من تركيا ، وكذلك أعالي الحجاز حتى المدينة المنورة . ولو استمرت البلاد العربية فيما هي فيه من الضعف والتفكك اليوم، ولم ينفع رد فعل العالم الاسلامي على جريمة احراق المسجد الأقصى ، ولا سمح الله ، فلا مناص أن نواجه اليوم الذي يتخذ فيه أعداء الاسلام اجراء حاسما لتنفيذ مطاعمهم الخطيرة اللينة .

٢ - تعليق الآمال على الكتلة الاشتراكية في هذا الباب غلطة كبيرة . هذه الكتلة لن تعرض نفسها للخطر بمنع اسرائيل من العدوان . وأكثر ما يمكن لنا من الاستفادة من هذه الكتلة هو الحصول على السلاح منها . وذلك الأمر أيضا مقرون بشرط أن نضع في أعناقنا أغلال الاشتراكية ونفنى الاسلام من موطننا .

٣ - لاتتعدى الأمم المتحدة دور اقرار الاقتراحات أبدا . اذ هي لا تملك من القوة والمنعة ما تصد به اسرائيل من خطوة اجرامية تريدها .

٤ - القوة العربية لا تعادل القوة الاسرائيلية . هذا ما برهنت عليه تجارب اثنتين وعشرين سنة مضت .

ما هو السبيل :

ويتضح مما سبق الأمور التالية :

رقعة حكوماتهم وهى ثلاثون أو اثنان وثلاثون حكومة ، من اندونيسيا شرقا الى مراكش وغربى افريقية غربا ... واذا التقى رؤساء وملوك هذه الحكومات ودرسوا هذه القضية بجد واهتمام واخلص وصدق واستعد المسلمون فى أرجاء العالم أن يضحوا بأنفسهم وأموالهم لا يتعذر علينا حل هذه القضية باذن الله .

الحل الوحيد لقضية فلسطين :

ويجب أن نكون على بينة من أن القضية لا تقتصر على الدفاع عن المسجد الأقصى فقط فما دام القدس تدنسه أقدام اليهود لا يمكن صون المسجد الأقصى منهم والقدس نفسه لا يسان من الاجراءات اليهودية التعسفية لو بقوا يحتلون فلسطين .

ولذلك فان القضية قضية تحرير فلسطين من السيطرة المقتصبة لليهود والحل المعقول السليم لها هو قصر حق العيش فى فلسطين على اليهود الذين كانوا يعيشون فيها قبل وعد بلفور أما اليهود الذين جلبوا

ولم يبق لنا أمام هذه الحقائق التاريخية لا لاتخاذ المسجد الأقصى فقط بل للدفاع عن المدينة المنورة من مد المطامع الصهيونية القادمة أيضا الا أمر واحد .. هو : تكتيل قوة العالم الاسلامى بأسره بصورة دائمة لمجابهة الخطر اليهودى والدفاع عن المقدسات الاسلامية ومن الخطأ الذى ارتكبه بعض القادة العرب حتى اليوم قصر قضية فلسطين على الدول العربية مع أن المسلمين فى العالم ظلوا يعلنون أن هذه القضية قضية اسلامية تخص جميع المسلمين فى العالم . ومما شكر الله عليه أن جريمة احراق المسجد الأقصى فتحت عيون هؤلاء القادة وعادوا يتفهمون أن هذه المؤامرة الدولية التى دبرتها الحركة الصهيونية العالمية وتساهم فى تنفيذها القوى العالمية بكل حماس واندفاع ليست أمرا هينا تكفى لمجابهته البلاد العربية وحدها واذا كان عدد اليهود فى العالم ستة عشر مليونا فان المسلمين عددهم سبعمائة مليون وزيادة . وتمتد

من الخارج بعد عام ١٩١٧ م فعليلهم
 أن يخرجوا منها انهم جعلوا وطن
 شعب يعيش فيه منذ مئات من
 السنين وطنهم القومى بوسائل
 الحديد والنار ثم حولوه
 الى « الدولة القومية » ثم شرعوا
 فى تنفيذ سلسلة غير متناهية من
 المطامع التوسعية العدوانية لبسط
 الاحتلال على الأراضى المجاورة. بل
 كتبوا على برلمانهم علنا أسماء البلدان
 التى يريدون أن يجعلوها عرضة
 لعدوانهم وان وجود دولة عدوانية
 كهذه جريمة بنفسها وخطر على
 السلام العالمى . ويعرض العالم
 الاسلامى للخطر أكثر من غيره لكون
 مقدساته الاسلامية هدفا لمطامعهم
 الاجرامية اذن لا نستطيع أن نتحمل

كيان هذه الدولة الفاشية . ويجب
 أن يطرد المغتصبون المجرمون الذين
 دخلوها من الخارج وجعلوها وطننا
 قوميا لهم أولا ثم دولتهم القومية .
 ليس من حل معقول وسليم ماعدا
 هذا الحل . أما أمريكا التى تندفع
 وراء تأييد المغتصبين بعد أن وضعت
 ضميرها رهنا فى أيديهم ، واتتهكت
 حرمة كل مبدأ من مبادئ الأخلاق
 فقد آن الأوان لأن ينذرها جميع
 المسلمين فى العالم بصراحة بأن موقفها
 هذا اذا استمر فى شناعته فانها لن
 تجد على وجه الأرض نفرا من
 المسلمين يضمر فى صدره أدنى ذرة
 من النية الحسنة تجاهها .

ابو الأعلى المودودى

حرب فلسطين في الحديث الشريف

لفضيلة الأستاذ عبد الله كنوت

من أعلام نبوته صلى الله عليه
أخباره بمغيبات وقعت كما أخبر بها
ان في حياته أو بعد وفاته ،
وهي مما يدخل في حيز المعجزة التي
تدل على صدق الرسالة ، لأنها
بمثابة تزكية الله لرسوله . والمعجزة
هي الأمر الخارق للعادة المقرون
بالتحدى مع عدم المعارضة ، وتكون
مادية ومعنوية وأما مترددا بينهما .
وإذا كانت معجزات الرسل السابقين
عليهم السلام في أكثرها مادية فإن
معجزة نبينا العظمى إنما كانت
معنوية أي عقلية علمية وهي القرآن
وذلك لكونه خاتم الرسل ، فناسب
أن تكون معجزته باقية على مر
الزمان ليؤمن بها من يأتي بعده من
الأمم والأجيال ، ولذلك جاء في
الحديث الصحيح : « ما من نبي
الا أوتي ما مثله آمن عليه البشر ،
وانما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه

الله الى ، فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعا يوم القيامة .
وليس معنى هذا أنه صلى الله
عليه وسلم ليس له معجزات مادية
من جنس المعجزات المحسوسة التي
كانت للأنبياء قبله ، وانما المقصود
التنويه بمعجزات القرآن الخالدة
لأنه اختص بها من بين سائر المرسلين
للحكمة المشار إليها ، فالقصر
في الحديث اضافي وليس حقيقيا .
ويخطئ بعض الكتاب المعاصرين
حين يسكتون عن معجزاته غير
القرآن ، ويوهمون قراءهم بأن معجزته
الوحيدة أو الثابتة هي القرآن فقط
تملقا للعقلية العصرية التي تميل الى
نهي الأعاجيب وانكار الخوارق ،
والأمر ما دام متعلقا بالعقيدة الدينية
والاحتجاج لها بما روى متواترا عن
جميع الأنبياء والرسل ، فلا معنى
لاستثناء خاتمهم منه وغض الطرف

مثلهم واطهارهم السماتة بالمسلمين
لأنهم أقرب للروم من الفرس بحكم
كون الروم من أهل الكتاب ، وقد
حدد ذلك على سبيل الجزم والقطع
ببضع سنين فكان الأمر كما قال
وهو ما تشير اليه الآية الكريمة :

« الم ، غلبت الروم في أدنى
الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين » •

ولرب قائل يقول بأن أمرا مثل
هذا مما يدرك بالحدق والذكاء
ومشارفة أحوال الأمم والاطلاع على
مجريات السياسة العامة ، ونحن
نقول ان المجازفة بالاخبار عن مثل
هذا الأمر مع تحديد زمن وقوعه
بهذه الطريقة الحاسمة ، لا تكون
الا بوحى وتوقيف من عالم الغيب
سبحانه وتعالى ، والا فهذا قمة من
قمم الفكر الحديث ورائد الشيوعية
العالمية كارل ماركس قد تنبأ بأن
الثورة العمالية ستكون في الدول
المصنعة كألمانيا وبريطانيا ، فاذا بها
تقوم في الدولة الأكثر تخلفا والأقل
تصنيعا ، أفكان ينقصه علم بأحوال
الأمم والسياسة العامة في عهده ؟ •
ان علماءنا قسموا الخارق للعادة الى

عن معجزاته المشابهة ، ولا سيما ومنها
ما روى لنا بطريق التواتر ، ففى
البخارى طلب المشركون من النبى
صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية
فأراهم انشقاق القمر « أى ما جاء
به القرآن وهو قوله تعالى :
« اقتربت الساعة وانشق
القمر » ومنها ما روى بالطرق
الصحيحة كحنين الجذع ونبع الماء
من بين أصابعه وتسييح الحصى في
كفه ، وغير ذلك حتى لقد عقد بعض
العلماء مقارنة بين معجزاته ومعجزات
النبيين قبله ، وفضل بعضها على
بعض معجزاتهم كنبع الماء من بين
أصابعه وتفجير موسى عليه السلام
للحجر باثنتى عشرة عينا ، فان انفجار
الأحجار بالماء معهود ولا كذلك
انفجار الأصابع بالماء •

ونحن هنا يهمننا من معجزاته
(صلى الله عليه وسلم) ما كان من
قييل الاخبار بالغيب ، وهو الذى
نعدّه مترددا بين المادى والمعنوى ،
وقد روى لنا الكثير منه بالتواتر
والطرق الصحيحة ، فمن المتواتر
اخباره (صلى الله عليه وسلم) بغلبة
الروم للفرس بعد هزيمتهم لهم
وفرح المشركين بذلك لأنهم وثنيون

أقسام، ومنه ما يقع على يد الفاسق، قالوا فان كان وفق مراده فهو استدراج أخبر عنه القرآن الكريم في هذه الآية : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم، ان كيدى متين » وان جرى على خلاف مراده فهو اهانة . وذلك كما حكى عن مسيلمة الكذاب حين أخبر بمعجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) ف قيل له أنه مسح بكفه على عين أعمى نحصر بصيرا . فقال أنا أفعل مثل ذلك ومسح على عين أعور فذهبت عنه الصحيحة ، وقيل له ان محمدا تفل في بئر مالحه قليلة الماء ففاضت بالماء العذب فتفل هو في بئر شحيحة فنضبت وجفت . وما أشبه أن يكون خبر ماركس من هذا القبيل !

(رضى الله عنه) وحقنه بذلك للماء المسلمين واطفائه لنار الحرب التي كانت مشتعلة بين الطرفين وكانت هذه المنقبة العظيمة للسبط النبوى الكريم ، مما وطد سيادته ، ورفع قدره فوق الولاية ، وجعله قبلة أنظار المسلمين روحيا وانسانيا ، فبرزه في الحكم ارتفع الى مقام القطبانية الدينية ، وباشاعته للسلام تيمن الناس بنقيته وعدشوا كل ما جاءهم من خير بعد ذلك انما هو بيركته . أليس هذا مصداق كلام النبوة وتطبيق حديثها الصحيح ؟

ومن هذا الباب، ولكن على النطاق العام ، حديث ثوبان عن أبى داود وأحمد عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق تداعى الأكلة على القصعة ، قيل : أمن قلة بنا يا رسول الله ؟ قال : لا ، أتم كثير ولكن غناء كغناء السيل ، يـقـذـف في قلوبكم الوهن وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لجبكم الدنيا وكرهيتكم الموت . » وقد تحقق هذا الخبر مرارا ، وأكثر ما كان

ومما روى في الصحيح من خبر الغيب قوله (صلى الله عليه وسلم) في الحسن أن ابني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . وقد تحقق هذا الخبر بتنازل سيدنا الحسن (رضى الله عنه) لمعاوية بعد وفاة سيدنا على

بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم ،
دعاة على أبواب جهنم من أجايبهم
اليها قذفوه فيها • قلت صفهم
لنا يا رسول الله قال هم من جلدتنا
ويتكلمون بألسنتنا • وهذه اشارة
الى المبادئ والأفكار المادية
المستوردة ، فانها شر محض ، وشر
ما فيها تبني أناس منا لها ودعوتهم
اليها • قال حذيفة : قلت فما تأمرني
يا رسول الله ان أدركني ذلك ؟ قال :
تلزم جماعة المسلمين وامامهم ، وهذا
من الكلام البليغ المعجز الذي لم ندرك
قيمته الا في أيامنا هذه • حين أصبح
في المسلمين طوائف وأحزاب كل له
ميل ولون ، فأمر الرسول عليه
السلام بملازمة الجماعة التي لا ائتماء
لها الا الى الاسلام ولا تعرف الا به ،
كالماء الذي تكون به الطهارة ،
فانه ما يصدق عليه اسم ماء
بلا قيد ، لا ماء زهر ولا ماء
كولونيا ولا غيرهما ، كذلك
لم يقل النبي (صلى الله عليه وسلم)
جماعة المسلمين ورؤيسهم أو زعيمهم
أو ما الى ذلك • بل قال امامهم ،
فالرئيس ان لم يكن اماما للمسلمين
أى متقيدا بشرع الاسلام وملتما

ذلك في الحروب الصليبية التي تملأت
فيها أمم الصليب من كل شعب على
المسلمين • • وهو اليوم أكثر تحققا ،
ولا منجاة لنا الا بعكس القضية
وتغيير ما بأنفسنا ، فان عزفنا عن
الدنيا ، ولا سيما دنيا الذل والهوان
التي نعيشها ، واسترخصنا أرواحنا
في سبيل العزة والكرامة فذلك هو
سبيل نجاحنا وفلاحنا •

ومنه حديث حذيفة ، وهو برواية
البخارى قال : كان الناس يسألون
النبي (صلى الله عليه وسلم) عن
الخير وكنت أسأله عن الشر ، مخافة
أن يدركني • فقلت يا رسول الله :
انا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله
بهذا الخير - يعنى الاسلام - فهل
بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم
ويعنى (صلى الله عليه وسلم) ما وقع
بين الصحابة من الخلاف - قلت
فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال
نعم وفيه دخن • قلت وما دخنه ؟
قال : أناس يهدون بغير هدى ،
تعرف منهم وتنكر - ويعنى بذلك
(صلى الله عليه وسلم) ظهور
المذاهب والفرق الضالة • قلت فهل

شعائره ، فليس هو المراد ، وفي هذا التعبير فائدة أخرى : وهى الإشارة الى البلاد التى لها رئيس غير مسلم أو يكون الحكم فيها لغير المسلمين ، فالمقصود حينئذ هو امام الصلاة ، لأن الصلاة هى فرق ما بين المسلم والكافر . فترى أنه (صلى الله عليه وسلم) فى هذا الحديث ينظر الى الغيب من ستر رقيق ، ويصف حال المسلمين فى هذه الأيام وصفا كاشفا للدقيق والجليل ، ويعطى فى الوقت نفسه النصائح النافعة ، والارشادات الناجحة .

والأحاديث فى منحى الاعلام بالغيب عن مستقبل الاسلام والمسلمين ، كثيرة يطول تتبعها ، فلننظر فيما يرتبط منها بهذا الحدث الأخير ، وهو حرب فلسطين المحتلة من طرف اليهود بمعاونة الصليبيين الجدد ، ولنبدأ منها بما دلالاته عامة ، ولكنه يؤول اليها فى الأخير ، ثم نأتى بما هو صريح فيها من غير تأويل ، وان كان لا ينفصل عن الأول ، بل هو نتيجة له مترتبة عليه .

والأول هو قوله (صلى الله عليه وسلم) : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك ، أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن والامام أحمد وابن حبان والطبرانى وغيرهم ، وبلغ عدد الصحابة الذين رواه عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أكثر من خمسة عشر صحابيا منهم ثوبان والمغيرة ومعاوية وأبو هريرة وقره ابن اياس وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعمران بن حصين وعقبة بن عامر وسعد بن أبى وقاص وأبو أمامة وسلمة بن قيسل وسواهم ، فهو حديث متفق عليه متواتر ، ناهيك ان مسلما رواه عن سبعة من الصحابة بأحد عشر طريقا . أما البخارى فقد رواه فى ثلاثة مواضع من صحيحه عن اثنين من الصحابة . وقد بين فى أحد هذه المواضع المراد بالطائفة المذكورة فقال (هم أهل العلم) وقال ابن المدينى « هم أصحاب الحديث » كذلك قال الامام أحمد : « ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم » .

وقال بعض شراح الحديث: (هم الفقهاء) أخذوا من رواية معاوية للحديث التي جاء فيها « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين (الحديث) ، فجمع بين أول الحديث وآخره وحمل هذه الطائفة على الفقهاء (١) » .

ولكننا اذا نظرنا في روايات الحديث وألفاظه المختلفة عند مسلم فقط ، وقد قلنا أنه رواه من طريق سبعة من الصحابة ، فاننا نجد في بعضها : « لن يبرح هذا الدين قائما (يقاتل عليه) عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة » وفي رواية أخرى : « لا تزال طائفة من أمتي (يقاتلون على الحق) ظاهرين الى يوم القيامة » وفي ثالثة : (لا تزال عصاة من أمتي) يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم (لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة » فالأمر

اذن أمر معركة وجهاد ، والقصة قصة قتال وغلبة للعدو ، لا أمر علم وفقه وحديث

وتأتى رواية النسائي للحديث فترفع كل لبس لأنها صريحة في الحرب والنضال من أجل الحق والدين ونصها عن سلمة بن نقييل قال : كنت جالسا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال رجل يا رسول الله : أزال الناس الخيل ، ووضعوا السلاح وقالوا : لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها ، يعنى تماما كما يقول القعدة اليوم ودعاة التخاذل ، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بوجهه وقال : كذبوا ، الآن الآن جاء القتال ، ولا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام (هكذا بالتكثير يعنى يساندونهم) ويرزقهم منهم ، حتى تقوم الساعة وحتى يأتى وعد الله » .

(١) في رأى النووى أنه يجوز أن تكون هذه الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقه ومحدث وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم وتفرقهم في الاقطار .

تكنى عن العرب بأهل الغرب ، وجاء في حديث مماثل في المعنى : (اذا ذل العرب ذل الاسلام) .. فلو كان (صلى الله عليه وسلم) يريد العرب مطلقا لعبر بهم كما عبر في هذا الحديث .

وقيل المراد بالغرب الحدة والشدة،

فغرب كل شئ حده ومنه غرب السيف أى حده ، ولا شك أن أهل الشدة والشجاعة يكونون ظاهرين وغالبيين ، ولكن لا يلزم أن يكونوا على الحق بل كثير ما كان أهل القوة ظالمين غاشمين .. وقد قيل : الظلم تحت جناح كل أحد ، القوة تظهره والعجز يخفيه ، فحمل الحديث على هذا المحمل بعيد أيضا .

والصواب حملة على الجهة والناحية كما قال بذلك آخرون ، قالوا : والمراد بها حينئذ الشام لأنها تقع غربى الحجاز .. لكن وقع في رواية عبد بن حميد وبقى بن مخلد للحديث « لا يزال أهل المغرب (بالميم ، وفي رواية للدار قطنى : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق (فى المغرب) حتى تقوم

ولا أعلق على هذه الرواية بأكثر مما قلت فانها أوضح من أن تحتاج الى تعليق . ولكنى أسارع فأذكر ما جاء فى بعض روايات الحديث من بيان لمكان تواجد هذه الطائفة وفى بعضها الآخر من تعيين لها بالنص الذى لا يحتمل التشكيك .

فمن المكان جاء فى البخارى تعليقا عن معاذ (رضى الله عنه) : « وهم بالشام » وجاء عند أحمد من حديث أبى أمامة « أنهم بيت المقدس » ونحوه للطبرانى ، وله فى الأوسط من حديث أبى هريرة (يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله) .

وعن تعيينها بالنص جاء فى صحيح مسلم موصولا مرفوعا من طريق سعد بن أبى وقاص : لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » الحديث . واختلف العلماء فى أهل الغرب هؤلاء من المراد بهم » فقال على بن المدينى : (المراد بالغرب الدلو الكبيرة وهم العرب ، لأنهم أصحابها لا يستقى بها غيرهم » ونظن أن الالافى النبوية لا تضيق بها العبارة حتى

المنطقة بعينها من بين بلاد الاسلام لوقوعها مقابل منطقة غرب البحر المذكور ، ونحن جميعا نعلم من بتلك المنطقة وتما لأهم على حربنا ، فمنها انطلقت الجيوش الصليبية ، والحملات الاستعمارية ، وما تزال غائلتهم لا تؤمن ، وفي الوقت الحاضر ، نعلم أن أمن المتوسط أصبح مشكلة دولية ، ومن أجلها تسربت الأساطيل من الشرق والغرب اليه ، بدعوى حفظ التوازن وما الى ذلك ، فالحديث الشريف يشير اتبها الى وجوب الاستعداد والتأهب للحرب التي تكون تارة بدعوى حماية الأماكن المقدسة وتارة بدعوى حماية الدول القائمة في المنطقة وتارة وتارة مما لا أحتاج الى ذكره من عوامل اقتصادية وسياسية ، فوجود الطائفة المذكورة في الحديث في هذه المنطقة أمر ضروري وواقع مصداقا للحديث ، واذا قلنا بأن الحديث ربما كان معناه الطلب وان جاء بلفظ الخبر ، وهذا أسلوب بلاغي معهود ، فدلالته حينئذ : الأمر والطلب بأن تكون في هذه

الساعة » • وبحث فيه ابن حجر باحتمال أن يكون راويه رواه بالمعنى فأبدل الغرب بالمغرب وهو تمحل ظاهر •

على كل حال ترجح أن المراد بأهل الغرب في حديث مسلم ، أهل هذه الناحية ، والشام داخل فيها ، ولاشك من حيث كونه غربا من الحجاز ومن حيث تعيينه في بعض الروايات ، ولكن رواية أهل المغرب لا يجوز ردها ما دام الجمع بين الروايات ممكنا •

وانطلاقا من حديث على كرم الله وجهه وقد قيل له : « هل خصكم آل البيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشيء ؟ فقال : لا ، الا ما في هذه الصحيفة أو فهم » أو تيه رجل مسلم •• ونقول : يظهر والله أعلم أن المراد بالحديث المنطقة التي تبتدىء بالشام وتنتهى مميزة معينة محدودة موصوفة • هي المنطقة التي تبتدىء بالشام وتنتهى بالمغرب ولم تذكر فيها مصر ، لأنها داخلة بحكم وقوعها بين الحدين المذكورين • وتخصيص هذه

يجب مرة في العمر - وعلى التراخي لا على الفور ، فهو في الجهاد الواجب دائما والمتعين بمجىء العدو أولى وأخرى •

ويا لله من حديث الصادق المصدوق ، ما أبلغه !! وما أحكمه !! وما أدلة على أنه وحى يوحى من لدن العليم الخبير !! فقبل أن تقع الحوادث الراهنة - هل كان لنا أن نفسره بهذا التفسير المطابق للواقع ، حتى كأنه خبر عما يجرى أو أمر بما يجب فعله في هذا المقام على حسب ما قرناه من جواز حمله على الطلب ؟ •

واذا كنا في فهم المراد بهذا الحديث على وجه الحقيقة والواقع ، قد لجأنا الى الشرح والتأويل فان الحديث الثانى الذى نوردته الآن ، صريح فى الموضوع ، لا خفاء به ولا يحتمل أى تفسير غير ما يؤخذ من ألفاظه الواضحة والدالة بدلالة المطابقة على المراد منه ، وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) فيما أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن ابن

المنطقة العربية المسلمة طائفة هذه صفتها ، وذلك على سبيل الدوام والاستمرار الى قيام الساعة ، مع الاخبار بوعد الله لها وتعهد نصرتها وبأن تكون ظاهرة على من ناوأها وهى بشارة عظيمة للجهاديين فى هذه المنطقة ما دام قصدهم نصره الحق والقيام بأمر الله وحماية العقيدة والدين •

ولسنا نقول هذا الكلام بدون دليل ، فلنا من السنة سند نستظهر به ونعتمد عليه فيما ذهبنا اليه من هذا رأى ، وذلك هو حديثه (صلى الله عليه وسلم) الذى حدد فيه مواقيت الحج ، فجعل لأهل اليمن يللم ولأهل نجد قرنا وذات عرق للعراق وذات الحليفة لأهل المدينة ولأهل الشام الجحفة •

ولم يعين لمصر ولا للمغرب ميقاتا ، فجعلت الأمة باجماع ميقات الشام ميقاتا لأهل مصر والمغرب حملا لهذه البلاد على أنها منطقة واحدة وقطر واحد • واذا كان هذا فى الحج وهو

واذا خرجت هذه الحروب ، فانه لا يبقى في التاريخ أى حرب قاتل المسلمون فيها اليهود ، الا حرب فلسطين هذه القائمة الآن .
واذا كانت العبرة الأولى في الحديث ، هى الاخبار عن قيام حرب ضروس بين المسلمين واليهود ، في حين أن أمرا مثل هذا لم يكن يخطر بالبال أيام غز المسلمين وامتداد دولتهم من المشرق الى المغرب وذل اليهود وتشتتهم في أنحاء الأرض ، فان الأعمال بالخواتم ، وقد تضمن الحديث الى جانب هذا الخبر بشارة عظمى وهى انتصار المسلمين على اليهود في هذه الحرب ، مهما كانت الظروف والأحوال انتصارا حاسما لا يبقى منهم ولا يذر ، وهذا أمر آت ولا ريب ، كما أتى ما أخبر به الحديث السابق ، وتحقق بجميع تفاصيله ، من قيام طائفة من أمته (صلى الله عليه وسلم) بالقتال على الحق وعلى أمر الله ودينه لا يضرها من خالفها أو أخذها ، وها هى الآن مرابطة ما بين الشام والمغرب وعلى

عمر : « تقاتلون اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى فاقتله » وفي رواية أخرى لمسلم عن أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله » .

في الرواية الثانية لهذا الحديث ، يتجه المؤشر ليلتقى مع الحديث السابق في قدر من الزمن غير محدد ، ولكنه مشترك بينهما بكل تأكيد ، وذلك حين يقول الرسول في الحديث السابق : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق .. حتى تقوم الساعة ، ويقول في هذا الحديث : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود .. » .

والمهم أنه يخرج الحروب التى قامت بين المسلمين وبين اليهود في حياته (صلى الله عليه وسلم) .

أبواب دمشق وما حولها وأبواب بيت المقدس وما حوله ، وقد كتب لها من الظهور والغلبة وقهر عدوها العنيد ، ما هو مشاهد ومعلوم ، فكذلك الشطر الثانى من الحديث الأخير سيتحقق لا محالة ونقاتل - نحن المسلمين - اليهود فى فلسطين المحتلة ونظهر أرضها المقدسة من رجسهم وذنسهم بحول الله وقوته ، تصديقا لخبر رسوله (صلى الله عليه وسلم) الذى لا ينطق عن الهوى ، وإيماننا بوعده عز وجل لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين والفتح المبين . » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد تخوفهم أمنا » .

وفائدة الخبر - بل الأخبار كلها - أن ذلك لا يكون الا بالقتال

والاستعداد له وتحفز المسلمين - فى هذه المنطقة من الأرض بالخصوص - على الدوام والاستمرار لمنازلة عدوهم المتربص بهم البوائر ، وقد كان فيما قبل انما هو الصليبي المتعصب المتعنت الذى لا يفتأ متطلعا للسيطرة على الأرض التى ولد فوقها المسيح وقام منها ، فانضم اليه اليوم عدو جديد لم يكن فى الحساب وان أخبرنا به الرسول من قبل وهو الصهيونى العنصرى المقيت الذى يريد أن يقيم فيها له دولة • ويبنى هيكل سليمان - بزعمه - على أنقاض المسجد الأقصى ••

فليستيقظ المسلمون من سباتهم وليأخذوا حذرهم ، وليكونوا فى مستوى أحداث الزمن دائما ، وليجعلوا من قوله تعالى « وأعدوا لهم » شعارا خالدا •

عبد الله كنون

الفئة تامة :

لولا الإسلام لما بقى دين سماوى للأستاذ أحمد حسين

وتاريخ الانسانية ، ووضع المؤلفات
فى كلا الفرعين ، ولكى أقدم الدليل
على ذلك ، فسوف أخرج القرآن
الكريم من البحث فى الشق الأول
منه ، لأستعرض ما يقال فى كتب
كل منهما ، وسرى كيف أن الحال
كان سينتهى بهما الى ما انتهى اليه
أى دين آخر ، لولا أن جاء الاسلام
أو بالأحرى نزل القرآن الكريم .

اليهودية كما هى فى كتاب اليهود :

ان الكتاب الذى يسميه المسيحيون
بالعهد القديم ، ويسميه اليهود
« بالتوراة » والتوراة لا يمكن
الا أن تكون منه براء ، هذا الكتاب
يجعلنا من أول صفحة فيه حتى آخر
صفحة ، نؤمن اننا بازاء دين وثنى
مائة فى المائة ، من هذا النوع
الذى ساد البشرية فى فترة من
الفترات عندما كان لكل قبيلة آلهها
الخاص وشعائرها وطقوسها الوثنية

هذا بحث ودراسة يحسن بكل
من يتصدى للوعظ والارشاد أن
يعيها جيدا ، وخاصة اذا ما كان من
رجال هذين الدينين ، ولما كانت
مجلة الأزهر منارة للعالمين ، فقد
رأيت أن ألفت النظر على صفحاتها
لهذه الحقيقة المؤكدة تاريخيا ، تاركا
لرجال الاختصاص أن يزيدوها
شرحاً وتفصيلاً ، ليعلم من لم يكن
يعلم أن كل تهجم على الاسلام
ممن يؤمنون باليهودية أو النصرانية ،
فان هذا الهجوم يعود على أديانهم
بالشر والوبال ، فلولا فضل
الاسلام على هاتين الديانتين لانقرضتا
وزالتا من الوجود باعتبارهما ديارتين
سماويتين ، واعتبرتا من الأديان
الوثنية .

وأنا أقرر ذلك لا باعتبارى مسلماً
يتعصب لدينه ، ولكن باعتبارى
مجرد مفكر درس الأديان المقارنة

من ألوف الأمثلة ، فهارون شقيق موسى هو الذى صنع من الذهب عجلا وطلب من اليهود أن يسجدوا له باعتباره الههم .

وداود عندما كان ملكا وقع فى غرام امرأة متزوجة لأحد قادة جيوشه فبعث به الى الحرب وأوصى بأن يقتل فى الحرب ليغنى هو زوجته ، وسليمان ابنه أقام الأوثان وعبدها مرضاة لزوجاته الوثنيات ، وكان عدد زوجاته ٣٠٠ وعدد سراريه (أى جواريه) ٧٠٠ أى انه كان يعيش مع ألف امرأة .

وانتهى هذا الدنس والرجس والكفريات الى المسيح عيسى ابن مريم ، وكان من غير المعقول أن يصدقوا بولادته المعجزة ، فهم قوم ماديون وثنيون ، فقالوا عن مريم ما قالوا ، وانتهوا بالمسيح حسب رواية كتاب النصارى الى الصلب وقتلوه بعد أن عذبوه .

الى أين كان يمكن أن ينتهى كل ذلك: ويكون السؤال الى أين كان يمكن أن ينتهى كل ذلك ؟ لسنأ فى

والمفرقة فى الوثنية ، فالله فى هذا الكتاب هو « رب الجنود » الذى يعيش وسط شعبه اسرائيل ، ويسير أمامهم وهم يتبعونه ، وهو الههم الخاص بهم ، ولا يعترف بأحد غيرهم ، ويدعو شعبه لأن يعتبروا بقية البشر عبيدا وخداما لهم يقتلون منهم من يشاءون وييقون على من يشاءون ، وقد عقد الاله معهم صفقة وأبرم عقدا مع جداهم الأول ابراهيم ، وهى أن يعبدوا الله ويكونوا شعبا له وفى مقابل ذلك فسوف يعطيهم الأرض من النيل الى الفرات ، ويمضى هذا العهد القديم ، وليس فيه الا جرائم الكفر بالله وبالأخلاق وبالسلوك تنسب الى قادتهم وزعمائهم سواء كانوا أنبياء أو ملوكا ، ابتداء من ابراهيم نفسه وبقية أفراد أسرته ، ولن نزعجك بالتفاصيل والا لاحتجنا أن ننقل لك العهد القديم كله بألوف صفحاته ، حسبك أن تعلم على سبيل المثال أن ابنتى « لوط » سقيتا بأباهما خمرا حتى يغيب عن وعيه ويضاجعهما ليكون لهما من أيهما نسل ، وليس ذلك الا مثالا واحدا

الرومانية ، سرعان ما تقمصت المبادئ الوثنية الرومانية (وهذه حقيقة تفوت على الكثيرين وهى ان الكنيسة المصرية قد برئت من هذه الخطايا ، وكان هذا هو السر فى اضطهادها) •

وأول هذه المبادئ الوثنية انهم أحلوا مريم العذراء محل ايزيس (الالهة الفرعونية) فكادوا يعبدونها باعتبارها أم الاله ، ولا تزال تماثيلها فى كل كنيسة كاثوليكية شاهدا على ذلك ثم راحت المجامع الكنسية تتدخل فى صياغة العقيدة المسيحية ، ولست أناقش هذه العقيدة فهذا شأن المسيحيين •

ولكن الأمر المحقق تاريخيا ، انه كلما حاولت أوروبا النهوض الى ما تسميه عهد التنوير والعلم ، كانت تبدأ أول ما تبدأ بمحاولة اقتلاع العقيدة المسيحية ، حدث هذا فى القرن الثامن عشر خلال الثورة الفرنسية ، حتى نادى روبسيير زعيم الثورة بدين العقل ، ونصبه العامة فى احتفال شعبى كاهنا أعظم لدين العقل •

حاجة للاستنتاج أو التخيل ، فقد أغنتنا حقائق التاريخ وهى أن البشر وبدون استثناء اعتبروا اليهود أعداء البشر ، وعملوا على القضاء عليهم وتشريدهم •• بل وبادتهم ، وقد حدث هذا فى التاريخ مرتين ، أولا هما على يد نبوخذ ناصر (بختنصر) قبل الميلاد بعدة قرون ، وثانيتها على يد أحد قياصرة الرومان •

ولم يكن للمسيحية دخل فيما حاق باليهود فعلينا أن نتصور ما الذى يحل باليهود فى ظل الدول المسيحية ، لقد سمح لليهود الذين يظنون بعد المذابح التى تجرى عليهم أن يعيشوا فى مناطق خاصة بهم باعتبارهم وباء وجراثيم •

وماذا عن النصرانية ؟

وغنى عن البيان أن صفحة النصرانية باعتبارها مبادئ وأفكار هى صفحة مشرقة فقد كانت حياة المسيح دعوة متصلة للحب والتآخى وكل القيم الروحية والانسانية ، ولكن المسيحية على يد الكنيسة

وتكرر ذلك مرة ثانية في نهضة أوروبا في القرن التاسع عشر حيث نادى المنادى ووجد من يستمع له في كل أرجاء أوروبا ان الدين هو « أفيون الشعوب » وغنى عن البيان ان الدين الذى يعرفونه هو اليهودية والنصرانية ، ولما آلت السلطة الى اتباع هذه الدعوة المتنورة التقدمية فى روسيا نزلت الضربة على الدين ورجاله وأصبح الالحاد والكفر بالله والدين هو شرط أساسى لكل مواطن متعلم مستنير

القرآن واليهود :

وفد كان القرآن هو الذى أكد وجود سيدنا ابراهيم عليه السلام وأكد رسالته وانه مبعوث الله للبشر بدين التوحيد الصافى، وكشف عن كونه جد العرب المستعربة عن طريق اسماعيل وانه هو بانى الكعبة ، والداعى الى شريعة الحج التى هى أحد أركان الاسلام بل جعل جوهر الاسلام هو عين ما دعا اليه سيدنا ابراهيم وهى « الحنيفية السمحة » وسجل القرآن الكريم دور سيدنا موسى وكيف بعثه الله رسولا نبيا ، وأنزل عليه التوراة ،

فعندما نقرر أن اليهودية والنصرانية كاتتا حتما الى زوال ، فنحن نستند الى أحداث وقعت بالفعل وهى محل اتفاق ، فما الذى أبقى على هاتين الديانتين ، لا شئ غير القرآن والاسلام واليك التفصيل •

وجاء الاسلام وما ادراك ما الاسلام :

وكان القرآن الكريم ، والقرآن الكريم فقط هو الذى حمى هاتين الديانتين من أن تزولا وطهرهما من الرجز والشوائب والانحرافات التى ألت بهما ، وقرر ان جوهرهما من جوهر الاسلام ، وأطلق على

القضية الأساسية هى قضية ميلاد السيد المسيح المعجز عن غير أب وقال القرآن الكريم ، ان خلق عيسى عن غير أب لن يكون أكثر اعجازا من خلق آدم من غير أب ولا أم •

المسلمون فتحوا الدنيا فى ظل هذه المبادئ :

وفى ظل الشهادة لليهودية والنصرانية بأنهما دياتان سماويتان هزم المسلمون القوتين المتحكمتين فى العالم ، ولما كانت أحد القوتين « وثنية » وهى قوة الفرس الذين كانوا يعبدون « النار » فقد أزالوها من الوجود ولم يرضوا من الفرس بغير الاسلام دينا ، أما بالنسبة للقوة الثانية قوة النصرانية فقد تركوها قائمة وأعطى المسلمون النصرارى فى كل بلد دخلوه عهد الأمان ليس فقط على أرواحهم وأموالهم بل على كنائسهم ومعتقداتهم •

وحيث كان اليهود يعاملون فى أوروبا على ما قدمنا ، فقد عاشوا فى الدولة الاسلامية ، لا أقول فى أمان بل وفى ازدهار •

الى الحد الذى جعل اليهود يحتاجون رسول الله والمسلمين من بعده بسؤال واحد ، هل التوراة من عند الله أم لا ؟ والرد على هذا السؤال « نعم هى من عند الله » فيكون قولهم : « فهل من المعقول أن يغير الله كلامه » وعندنا ان هذا هو السبب الذى نزلت للرد عليه آية النسخ « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها » فجوهر التوراة هو جوهر الاسلام وهو الايمان بآله واحد منزله عن الشريك والولد واننا ميتون فمبعوثون فمحاسبون اما الى جنة أو نار •

والمهم فى كل ذلك ان القرآن شهد لليهودية بأنها تستند الى دين سماوى •

القرآن والمسيحية :

أما بالنسبة للمسيحية فقد حسم الله قضيتها الأساسية الى الأبد ، والتي لولا القرآن الكريم لظلت فرية اليهود تلاحتها وخاصة فى المجتمعات والعصور المادية التى تؤمن بما يسمونه « العقلانية » وهذه

العصر الحديث :

الاسلامية ، ما يمكن تصور امكان
وجود الديانتين اليهودية والنصرانية
حيث لا يشهد لهما الا الاسلام ولله
في خلقه شئون .

احمد حسين

فلا يتصورن متصور أن المستقبل
للمسيحية أو اليهودية ، فلو سادت
الآراء المسماة « بالتقدمية والتحررية »
لأيدت الديانتان ، وليس الا في ظل
عالم اسلامى قوى يرفع لواء الشريعة

بيان من ادارة المجلة

تعلم ادارة المجلة عن عميق أسفها لهذا التأخير الذى لم
يكن فى مقدورها تلافيه أو تجنبه .

لقد تدخلت عوامل كثيرة فى هذا التأخير الذى أدى الى
احتجاب المجلة فترة طويلة واعتبار العدد الخاص الذى
صدر بمناسبة انعقاد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية
ختام السنة الماضية ١٣٩٧ هـ ، كما أدى الى اعادة ترتيب
أعداد السنة الحالية بحيث يشتمل هذا العدد على ثلاثة
أعداد من السنة الجديدة وهى أعداد أشهر محرم وصفر
وربيع الأول حتى تتمكن من تخطي هذه الفجوة التى فرضتها
علينا ظروف قاسية ، ولما كانت المجلة تحتجب عادة فى شهرى
جمادى الأولى وجمادى الآخرة من كل سنة فقد تقرر صدور
المجلة فى هذه الفترة تعويضا لما فاتها فى الأشهر السابقة .

الدفاع عن الفصحى

للإمام الركن : محمود سعيد خطاب

عقد في مدينة (بازل) السويسرية عام ١٨٩٧ المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة هيرتزل ، فخرج بمقررات خطيرة جدا ، منها خلق دولة العدو الصهيوني في الأرض المقدسة : فلسطين .

وبعد انقضاء هذا المؤتمر ، صرح هيرتزل قائلا : « ولدت دولة اسرائيل ،

خلال خمس سنوات .. ربما .. وخلال خمسين سنة .. حتما .. »

وكان من جملة مقررات المؤتمر الصهيوني الأول ، احياء التوراه لغة وعقيدة ، ليكون للصهيونية ودولتها ما يميز الوطن القومي : لغة يتفاهم بها اليهود هي العبرية ، وعقيدة تجمع شتاتهم هي اليهودية وأرض هي فلسطين .

ولكى يحققوا أهدافهم في احياء التوراة لغة وعقيدة ، جابهوا

وكما هجر اليهود لغتهم العبرية ، هجروا دينهم اليهودي ، فاقصر التدوين على الطاعنين في العسر ، واندمجت الأكرثية في أوروبا وأمريكا بالمجتمع ، فأصبحوا يهودا جغرافيين بالاسم فقط ، دون التطبيق العملي ، وأصبح الدين شعارا لا عملا .

وبدأت عقول الصهاينة بعد مؤتمرهم الأول ، تبذل قصارى جهدها ، لتحقيق قرار (الاحياء) كما يطلقون عليه ، فأنشأوا المدارس

والمعاهد والجامعات لتعليم العبرية وتدرّس الدين ، واشترطوا على المهاجرين الجدد الى فلسطين شرطين: التكلم بالعبرية أولا ، والتمسك باليهودية ثانيا ، لقاء حوافز مادية ومعنوية مغرية ، يتلقاها المهاجرون الجدد مكافأة لهم على تعلم اللغة والتمسك بالدين .

وقد اكتشفت أن حركة (احياء) التوراة لغة وعقيدة حديثا ، بدأت فى نفس الوقت بالضبط الذى بدأت فيه الأصوات الناشئة المربية بحركة اماتة القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا !

بدأت الدعوة الى العامية، وحجتهم أن كل قطر عربى له لهجته العامية الخاصة به ، فللعراق وللمصر ولسورية وللبنان مثلا لهجة خاصة بكل قطر من هذه الأقطار شائعة على ألسنة سكانه ، ولكل قطر من أقطار المشرق العربى والمغرب العربى ، لهجة خاصة بسكانه ، فلماذا يعانى العرب من الازدواجية فى اللغة ، وهذه الازدواجية تعرقل تعلم التلاميذ !

ولا أعرف دعوة أسخف ولا أكذب من هذه الدعوة .

أما فى الأرض المقدسة ، فقد فرضت الوكالة الصهيونية تعلم العبرية ، وجعلت منها بمعاونة الاستعمار الانكليزى لغة رسمية بالنسبة ليهود فلسطين القدامى والجدد ، وحرمت استعمال لغة أخرى فى المكاتب الرسمية وفى المعاملات والمصارف وفى المعابد .

وكما بذلت الصهيونية العالمية مبالغ ضخمة لخلع السلطان عبد الحميد ، لأنه رفض رفضا قاطعا ما عرضه عليه هيرتزل سنة ١٩٠٣ حول تخصيص قطعة من الأرض الفلسطينية لليهود مقابل ملايين الجنيهات الذهبية ، بذلت الصهيونية مبالغ ضخمة لحياء التوراة لغة

اذ لا أعرف لغة في العالم كله الا وفيها
لغة فصحي ولغة عامية •

وفي مصر مثلاً لهجات عامية كثيرة،
بل في كل مدينة من مدنها لهجات
عامية كثيرة ، وما يقال عن مصريقال
عن سائر الأقطار العربية ؛ فأى لهجة
عامية فلزم بها أبناء المدينة الواحدة
في القطر العربى الواحد ؟ !

لقد زرت المغرب في رمضان المنصرم
وأنا من العراق ، ولولا الفصحى
لما استطعت أن أفهمهم مع الأشقاء
هناك ولما استطاعوا •

ومن حق أعداء العرب والمسلمين
أن يدعوا الى العامية ، حتى تصبح
الفصحى غريبة بين أبنائها ، ومن ثم
يصبح القرآن غريباً •

فما عذر أبناء العرب والمسلمين،
الذين يشايعون أعداءهم في هذا
المجال ؟ !

أيمكن أن يكون هؤلاء جهلاء ؟
أيمكن أن يكونوا مغرراً بهم ؟

انهم مثقفون ثقافة عالية كما
يزعمون أو كما يزعم من وراءهم من
الأيدي الخفية التى تشيد بهم صباح

دعوة كاذبة سخيفة ، لأن الفصحى
هى التى تجمع شمل العرب شرقاً
وغرباً ، فاذا تكلمنا العامية فقد
مزقنا الشمل وجعلناه بددا •

وكاذبة سخيفة ، لأن الفصحى هى
لغة القرآن الكريم ، وهى همزة
الوصل بين العرب والمسلمين بكل
مكان ، فلمصلحة من تقطع هذه
الصلة القوية الرصينة •

لقد سمعنا كثيراً من المسلمين ،
قدموا من روسيا والهند وأوروبا
 وأمريكا وأستراليا وإفريقية يتكلمون
العربية الفصحى بطلاقة ، فيفهمون
بها مع العرب وفيما بينهم بسهولة
ويسر فيماذا كانوا يفهمون
لو تحول العرب عن الفصحى الى
العامية ؟ !

ولكن !

وهل العربية وحدها تعاني من
العامية ، ان كل لغات العالم فيها
عامية ، فلماذا نطالب العرب وحدهم
بالتخلي عن الفصحى من أجل العامية؟

ان الذين يدعون أن العرب وحدهم
لهم لهجات عامية كاذبون بادعائهم ،

مساء ، وتنعتهم بنعوت العلماء ،
وتمنحهم أعلى الدرجات العلمية ،
وتغدق عليهم المناصب الرفيعة والمال
الحرام •

ومن نعوتهم : قادة الفكر، وهكذا
يكون القادة والا فلا •
والمذهل حقا ، أن هؤلاء جميعا ،
لم يدخلوا مسجدا للصلاة في كل
حياتهم ، ولم يؤدوا هذه الفريضة
في يوم من الأيام •

وسيفضحهم الله ويكشف حقيقتهم
اليوم أو غدا ، ويومئذ يجد الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون !

وظهرت مع الدعوة الى تبني
اللهجات العامية ، دعوة مريبة أخرى
لا تقل خطرا عن الدعوة الأولى ،
هى كتابة الفصحى بالحروف
اللاتينية !

وحجة دعاة الحروف اللاتينية أنها
حروف عالمية ، والكتابة بها أسهل
من الكتابة بالحروف العربية ، وقد
استبدل كمال أتاتورك في تركيا
الحروف اللاتينية بالحروف العربية
فنجحت تجربته •• الخ ••

أما الحروف اللاتينية التى يدعون
أنها عالمية ، فالحروف العربية عالمية

ولست أنسى يوم مات أحدهم ،
فحملة أهله الى أحد المساجد للصلاة
عليه ، ولكن أحد الحاضرين الذين
عرفوا الميت فى حياته واطلعوا على
طويته قال بأعلى صوته : « لا أصلى
عليه أبدا ، لأنه لم يكن يؤمن
بالصلاة ، ولم يدخل مسجدا
وهو حى » •

وغادر المصلون المسجد ، وبقي
فيه غير المصلين ، حيث حملوا الميت
الى مشواه الأخير دون صلاة •

وأخفقت الدعوة الى العامية ،
واسودت وجوه دعااتها ، ولا عبرة

أيضا ، لأن العرب يستعملونها ويستعملها معهم مئات الملايين من اخوانهم المسلمين في كثير من الدول الاسلامية ، ويكفى أن تكون عالمية لأن القرآن الكريم مكتوب بها •

كما أن الحروف العربية لها جمالها الخاص بها ، حتى ليتمكن اعتبار الخط العربى نوعا رفيعا من النقوش الجميلة •

وبين مخلفات بابوات روما ، ثوب لأحدهم ، مكتوب عليه آية الكرسي بالحروف العربية ، وكان البابا الذى يرتديه يظن أن ثوبه مطرز بنوع رفيع من أنواع التطريز ، دون أن يعرف أنها آية الكرسي من القرآن الكريم بالحروف العربية !

وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى قد سأل عبد العزيز فهمى عن أسباب دعوته لكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، فقال عبد العزيز

فهمى : نريد أن (نعمم) العربية • فأجابه المرحوم البشرى فورا : « تريد أن (تبرنطها) لا أن (تعممها) » •

نعم ، انه كان يريد أن يجعل العربية ذنبا للاتينية ، ويقضى قضاء

أما الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية بحجة أن الكتابة بها أسهل من الكتابة بالحروف العربية ، فهذا غير صحيح أبدا ، فهناك حروف عربية غير موجودة فى الحروف اللاتينية ، والكتابة بالحروف العربية أسرع من الكتابة بالحروف اللاتينية ، فاذا كتبنا كلمة (الأزهر) بالحروف العربية واللاتينية ، كان الوقت الذى نقضيه بكتابتها بحروف لاتينية أكثر من ضعف الوقت الذى نقضيه عند كتابتها بالحروف العربية ، والتجربة خير برهان عملى على ذلك •

وتجربة كمال أتاتورك لم تنجح مطلقا ، ويكفى أن تجربته قضت قضاء مبرما على التراث التركى ، فأصبحت مصادره تباع بالوزن للبقالين ، ولا أحد من الجيل التركى الحاضر يستطيع قراءتها والاستفادة

الخفية التي دفعتهم الى الجهر بدعوتهم •

ولكن دعاة العامية ودعاة الحروف اللاتينية لم يأسوا من تطبيق مخططاتهم المريبة الهدامة في يوم من الأيام ، لأن الأيدى الخفية التي وراءهم تستحثهم على الدأب في مجال تطبيق خططهم لجعل هذا القرآن مهجورا ، فلا يسعهم الا تنفيذ ما يريد أسيادهم لقاء ما يتلقونه من سند مادي ومعنوى ودعم •

والواقع هو أن محاولة الطعن في لغة القرآن الكريم قديمة قدم نزول القرآن ، فقد بدأت يهود يشرب ثم امتدت الى عبد الله بن سبأ اليهودي الذي عاصر الامام عليا ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وتبناها الشعوبيون بعد الفتح الاسلامى العظيم ، وكانت موضع حقن الصليبيين أيام الحروب الصليبية • وبعد ذلك عمل من أجلها المستشرقون في أواخر القرن

مبرما على التراث العربى الاسلامى ، والأهم من كل ذلك ، وهو الهدف الذى تريده الصهيونية ويريده أعداء العرب والمسلمين ، أن يجعلوا القرآن مهجورا ، فلا يستطيع أحد أن يقرأه كما أنزله الله ، ومن ثم يدخل عليه التحريف والتبديل •

وهيهات •••

وصدق الله العظيم : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١) • وأخفقت الدعوة الى الحروف اللاتينية ، كما اخفقت الدعوة الى العامية ، والفضل في كل ذلك يعود الى القرآن الكريم •

واسودت وجوه دعاة الحروف اللاتينية ، ولا عبرة بالقطارات التي أطلق اسم قسم منهم عليها ، وبالشوارع في القاهرة التي بأسماء قسم منهم ، فسيأتى الوقت الذى تخلع فيه أسماءهم من القطارات والشوارع ، يوم يعرف أصحاب السلطان حقيقة أمر أولئك النفر المخربين والأسباب

هى السبب الكامن من وراء هذا التخلف ، لأنها لغة ترف ذهنى ، وليست لغة ابداع علمى ، ولأنها لغة عزلت الجماهير الهائلة من محاولات الفعل والخلق » ، ثم يزعم أن الحل الذى لا بديل عنه ، هو طرح الفصحى ، والتمسك بالعامية » .

وفى سنة ١٩٠١ نشر القاضى الانكليزى (ولمور) كتابه : (العربية المحكية فى مصر) لضرب الفصحى والترويج للعامية .

وفى سنة ١٩٢٥ عاد (ويلكوكس) الى الميدان من جديد ، فترجم (الانجيل) الى العامية ، ونشر رسالة بالانجليزية يزعم فيها أن مصر وشمالى افريقية وسورية ومالطة تتكلم البونية لا العربية ، وألف بالعامية كتابه : (الأكل والايمان) الذى صدرت منه ثلاث طبعات الى سنة ١٩٢٩

وتصاعدت محاولات اضعاف الفصحى تمهيدا للقضاء عليها بظهور كتاب بالعربية يطعنونها من الخلف بخناجر مسمومة ، ففي الربع الثانى

التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لأهداف استعمارية ، فكتب (ولهم سبيتا) سنة ١٨٨٠ كتابه : (قواعد العربية العامية فى مصر) باللغة الألمانية متبنا فى هذا الكتاب بموت الفصحى كما ماتت اللاتينية من قبل . وفى سنة ١٨٨١ انبرت مجلة (المقتطف) تدعو الى كتابة العلوم بالعامية ، زاعمة أن الفصحى لغة النخبة وليست لسان الشعب .

وزج الاستعمار القديم كل قوته لتطويق الفصحى ، ففي سنة ١٨٩٩ جعل التعليم فى المدارس العصرية بمصر وبعض أقطار المشرق بالانكليزية وفى أقطار المغرب العربى بالفرنسية ، ولم يكتف الفرنسيون بالمدارس بل فرنسوا الشارع والمكتبة والمكتب والكتب .

ويمضى المخطط الى غايته ، فيدعو مهندس الرى الانكليزى فى مصر (ويلكوكس) الى احلال العامية محل الفصحى ، فيتساءل : « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الى الآن ؟ » ، ويجيب : « ان الفصحى

والقبطية ، وأن بعث لغة ماتت لا جدوى فيه ، وأن اللغات الأوربية فيها تراث على مستوى صوابى أروع من التراث العربى فلا خوف من التخلّى عن تراثنا اذا تخلينا عن العربية، وأن الكساد المادى والمعنوى جميعا منوط بأولئك الذين يجهدون أنفسهم فى دراسة اللغة العربية ، وأن الافتتاح والامتلاء جميعا منوطان بأولئك الذين يعملون فى مجال اللغات الأوربية الحية •

هكذا بكل بساطة، يريد (شميل) هذا ، شطب العربية من الوجود ، واتخاذ اللغات الأوربية لغة للعرب، دون خوف على التراث ، وعلى رأسه القرآن الكريم ، لأن فى اللغات الأجنبية تراثا أرقى من التراث العربى الاسلامى وأكثر جدوى منه •

ولكن ، لماذا يدعى (شميل) بأن العربية ماتت ولا يدعى نفس الادعاء بالنسبة للغة العبرية ! ومن قال : ان اليونانية والسريانية والكلدانية والقبطية قد ماتت ؟

من القرن الثانى تبنى الكاتب المصرى (سلامة موسى) مهاجمة الفصحى بطريقة أشد من طرق المستشرقين الأجانب ، فزعم أن الفصحى لاتخدم التفكير العلمى والفلسفى وليست قادرة على ايجاد مجتمع علمى ولا على التفكير السديد ، وهى لغة الالتهالات والعواطف والماضى والمبالغة والكراهية والمتراذفات والاطناب والتعقيد ، وزعم : « أن اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الأمة الى الأمام مئات السنين ويكسبها عقلية المتدنيين ويجعل دراسة العلوم سهلة وهو خطوة نحو الاتحاد البشرى » •

وضرب (أميل شميل) على نفس الوتر ، فزعم أن العربية الفصحى وصلت الى مرحلة العجز الكامل عن مواكبة التطور الحضارى ، ولذلك فلا بد من هجرها الى لغة أجنبية أكثر قربا من التطور الحضارى ، وأن العربية ماضية فى طريقها الى الموت كما ماتت من قبلها لغات كانت لها نفس الخصائص والمكونات ، كال يونانية والسريانية والكلدانية

والدم والجنون ، الى آخر هذه
النعوت التى ردها بدون خوف
ولا حياء •

وكانت خطورة آراء (سلامة
موسى) تأتى من أنه كاتب عربى ،
ولكن عبد العزيز فهمى كان أكثر
خطرا ، لأنه مفكر عربى مسلم ،
وهو يدرك بدون شك خطورة مثل
هذه الدعوات على القرآن الكريم
وعلى التراث العربى الاسلامى ،
وعلى كل مقومات العرب والمسلمين •

وأخيرا ، جاء مؤتمر بيروت الذى
عقد فى شهر حزيران (يونية)
سنة ١٩٧٣ ، فدعا الى الاختصار على
الجملة الاسمية ، وقبول المفردات
العامة فى اللغة المكتوبة ، والاكتفاء
فى جمع المذكر السالم بصيغة الياء
والنون ، وتوحيد صيغة الأسماء
الخمسة فيقال : (أبو) فى الرفع
والنصب والجر ، وجميع الكلمات
والتركيب العامة •

وظهر من يدعو الى تسكين أواخر
الكلمات هروبا من صعوبات الضبط
وتملصا من قوانين الحركة فى اللغة •

ان اليونان والأقباط قادرون على
تكذيب هذا الادعاء ، كما أستطيع
أن أكذبه جازما بصفتى من أهل
العراق ، بالنسبة للغتين السريانية
والكلدانية ، وحسبى أن أذكر أن
هناك (مجعلا) فى بغداد للغة
السريانية ، وأن هذا المجمع أصدر
عدة كتب بهذه اللغة وعقد مؤتمرا
عالميا قبل عامين احتفالا بذكرى أحد
علماء السريانين الغابرين •

وظهر عبد العزيز فهمى الذى دعا :
الى العدول الكامل عن الحرف
العربى الى الحرف اللاتينى ، توخيا
للسهولة المزعومة ، وتمشيا مع الفكر
الحديث ، واستغناء عن عبثية
الضبط بالشكل الى صوابية الضبط
بالحروف •

واتهمز (سلامة موسى) هذه
الفرصة السانحة ، فرصة دعوة
عبد العزيز فهمى ، فشن حملة ضارية
على الحرف العربى ، مؤكدا أن
أفدح عناصر الجذب الوراثى فى
تاريخ المنطقة العربية هو رفض
ارتفاع لغة حضارية حياة والاستمسك
بأحافير لغة الصحراء والناقة والحجاب

وظهر من يدعو الى تيسير قواعد العربية ، والى تيسير الكتابة بالحروف العربية ، والى تيسير علوم اللغة •
وعلموها ولا حرص على تعلمها وتعليمها كما كان الذين تعلموا بالأسلوب القديم •

وأشهد أن الذين درسوا اللغة وعلموها بالأسلوب القديم الذى كان يتخذه الأزهر الشريف فى أروقه ، ويتخذه الشيوخ الأجلاء فى الزيتونة والقرويين والجوامع والمساجد فى أرجاء العالم الاسلامى ، اعتمادا على كتب اللغة وعلموها القديمة ، أتقنوا ما تعلموه اتقاناً متميزاً لا مثيل له ، فتخرج فى تلك المدارس والمعاهد والجامعات علماء أفذاذ فى اللغة وعلموها لا يشق لهم غبار علما وغيره على العربية واعتزازا بها وحرصا على تعلمها وتعليمها •

وكان خط الذين درسوا بالأسلوب القديم كأنه اللؤلؤ المنضود حسنا وجمالا ، فأصبح خط الذين درسوا بالأسلوب الحديث كأنه آثار ذبابة غطست فى مجبرة وتحركت فوق قرطاس أبيض قبجا وضعفا •
وهناك مصاحف لا تعد ولا تحصى، وكتب قديمة من التراث العربى الاسلامى لا حصر لها ، فى المتاحف والمكتبات العامة والخاصة ، مكتوبة بخط عربى جميل ، تثبت ما كان عليه السلف الصالح من اهتمام بالخط العربى الأصيل •

أما الذين درسوا اللغة وعلموها بالأسلوب الحديث ، الذى طبقته المدارس والمعاهد والجامعات الحديثة، اعتمادا على كتب اللغة وعلموها الميسرة ، كالنحو الواضح والبلاغة الواضحة (مثلا) وغيرهما من الكتب الميسرة ، فلم يتقنوا ما تعلموه ، وليست لديهم غيرة على العربية

وقد أخرجت بعض المطابع مصاحف عديدة بالتصوير قلا عن خطها اليدوى الجميل ، فكافت آية

وأصبح المعلم والأستاذ أسوة سيئة للتلميذ والطالب ، لأنهما يعتقدان بأنها لغة الصحراء والكهوف والتخلف نتيجة للمناهج الاستعمارية التى طبقت عليهما فى التعليم ، فاستقر فى خلدتهما أن الفصحى لغة صعبة عويصة ، واتقاناها من المستحيلات التى لا تتحقق الا لذوى العزم ، وأن حسن الخط لا أهمية له ولا قيمة ، فهو وسيلة للقراءة فحسب ، وليس غاية من أعظم الغايات •

لقد كان المعلم والأستاذ اللذان تعلمنا عليهما الفصحى خريجي مناهج دولة مستقلة ، فتغذينا على يديهما بالاعتزاز والفخر بالفصحى وكل ما يمت اليها بسبب •

وتعلم أولادنا على معلم وأستاذ خريجي مناهج دولة مستعمرة ، فتغذوا على يديهما ازدراء الفصحى وكرهها وكل ما يتصل بها من علوم وفنون •

وحتى الذين لم يتقنوا الفصحى من جيلنا يرونها شيئا مقدسا وأساسا

فى الجمال والدقة والاتقان ، وكمثال على ذلك المصحف الذى أخرجته أوقاف العراق للناس ، فبهر المسلمين بجمال خطه وأدهش خبراء الخط المسلمين وغير المسلمين •

وفى المتحف البريطانى مصحف خطته امرأة أندلسية قبل قرون ، يستحيل على أى خطاط عربى اليوم أن يأتى بمثله ، وقد اعتذرت كاتبة هذا المصحف فى الصفحة الأخيرة منه فقالت : « كتبت المصحف وأنا أهر مهد طفلى الرضيع ، فجاء الخط كما لا أشتهى ! »

ان المعلم والأستاذ يؤثران فى التلميذ والطالب بالمثال الشخصى وقد كان معلم العربية وأستاذها ، يؤمنان بأن الفصحى لغة القرآن الكريم ولغة الاسلام ، وأن اتقانها عبادة من أجل العبادات ، لذلك فتعلمها موضع اعتزاز وفخر ، وهى ليست صعبة ولا عويصة ، وقد أتقنها كثير من العجم اتقانا رائعا بسهولة ويسر ، فكيف يصعب اتقانها على العرب وهى لغتهم وهم أبناءؤها ؟ !

لكل علم وأدب وفن ، وحتى الذين أتقنوها من الجيل الذى جاء بعدنا ، يرونها شيئا هامشيا لا صلة لها بالعلم والأدب والفن •

وقد درست المصطلحات العسكرية فى هذا الكتاب ، ونشرت قسما من هذه الدراسة فى مجلة : (الأزهر) ، قبل سنوات ، فظهر لى أن المصطلحات العسكرية المتيسرة فيه ، تغطى كل ما نحتاج اليه من مصطلحات عسكرية حديثة ثم يبقى منها احتياط للمستقبل •

وكان للمصطلحات العسكرية فى (المخصص) شأن أى شأن فى مجال توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية ، والمعجم العسكرى الموحد الذى صدر قبل خمس سنوات شاهد على ذلك •

وما يقال عن المصطلحات العسكرية فى (المخصص) ، يقال عن مصطلحات العلوم والفنون الأخرى وألفاظ الحضارة ، ولكن أين من ينقب فى هذا الكتاب وفى أمثاله من الكتب الأخرى من العلماء ، ليقبس ألفاظه العلمية والحضارية فى مجال وضع المصطلحات العلمية والحضارية

وقد استفتت مجلة عربية صفوة علماء العربية : هل تصلح العربية لغة للعلم ؟ فأجاب أكثرهم : أنها لا تصلح للعلم فى الدراسات الجامعية !!

وكان جوابى الحاسم : انها تصلح ، والضعف ليس فى العربية ولكن فى العرب •

والتقيت بأحد الذين يعتبرهم الناس من صفوة علماء العربية من الذين أجابوا : انها لا تصلح ! فسألته : هل قرأت كتاب المخصص لابن سيد ؟؟

وصدمت صدمة عنيفة ، لأنه قال : لم أقرأ هذا الكتاب ، ولم اسمع به !!

وكنت أظن أن هذا الكتاب اللغوى أشهر من أن يعرف ، ولكننى

لقد سأل أحد النواب الأنكليز اللورد جراى عن تعليم اللغة العربية بمصر ، فأجاب : « لا تصلح اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم لأنها تفتقر الى الاصطلاحات العلمية والفنية » .

وأصدر (دانلوب) وهو ابن قسيس متعصب لدينه ، وكان مستشارا لنظارة المعارف منشورا بتعليم جميع العلوم فى المدارس باللغة الانكليزية ما عدا مختارات من اللغة العربية والدين الاسلامى فى نطاق محدود .

وما فعله (دانلوب) فى مصر فعله أمثاله فى البلاد العربية التى ابتليت بالاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى .

والدعوة الى العامة ، والى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، لم تقتصر على مصر وحدها ، بل شملت البلاد العربية كلها ، والقاسم المشترك الظاهر بين جميع الدعاة الى العامة والحروف اللاتينية من العرب المسلمين هو عدم التزامهم بتعاليم الاسلام أولا ، وائتمائهم الى

ان المصيبة بالنسبة للصفوة من العلميين العرب ، هى أن أكثرهم تلقوا العلم فى جامعات أجنبية بلغة غير عربية دون أن تكون لهم أسس قوية فى العربية وعلومها ، أو تلقوا العلم فى جامعات عربية بلغة غير عربية على أساتذة مستغربين ؛ وهؤلاء مصادرهم أجنبية ، ويكادون يجهلون كل الجهد مصادر العربية وعلومها والمرء عدو ما جهل ، فمن الطبيعى جدا أن يعارضوا تدريس العلوم بالعربية فى الجامعات العربية ، وأن يؤمنوا بأن العربية لا تصلح لغة للعلم ، لسبب بسيط هو جهلهم العربية وطاقاتها المذهلة المتيسرة فى مصادر اللغة ومعجماتها خاصة ، وقدرة العربية الفذة على النهوض بألفاظ العلوم والفنون والحضارة وتاريخ العربية — لمن يعرفه — خير شاهد ودليل .

وكل عربى وكل مسلم ، يستطيع أن يفهم أهداف أعداء العرب والمسلمين فى انتقاص العربية والتشجيع عليها .

أما أن يطعن عربى أو مسلم العربية من الخلف ، فهذا ما لا يستطيع عربى ومسلم أن يفهمه .

جميعات مربية كالماسونية ثانيا ،
وارتباطهم الوثيق بالاستعمار
الفكرى ثالثا •

الحضارة والعلم في العالم ، وكانت
الجسر الذي عبرت فوقه الحضارات
والعلوم الى أوروبا ، كما يقرر ذلك
المنصفون من العلماء الأجانب •

ذلك ما ظهر في هؤلاء الدعاة
، وما خفى كان أعظم !

وقد تتلمذ (جيربر Gerber)
على علماء العرب في أشبيلية وقرطبة
زهراء ثلاث سنين ، درس فيها
الهندسة والفلك والميكانيكا ، فلما
عاد الى أوروبا بهر الاظار بعلمه •
وتدرج في مناصب الكنيسة حتى
ارتقى كرسى البابوية باسم سلفستر
الثاني ، وقد حملت براعته العلمية
الكثيرين على اتهامه بالسحر ،
وينسب اليه فضل ادخال الارقام
العربية الى فرنسا ، وكذلك الساعة
الدقيقة •

ولا لوم على دعاة العامية
والحروف اللاتينية من الاجانب
ومن العرب غير المسلمين ، لأنهم
يصلولون لغة القرآن من أجل هدفهم
في هجر القرآن ، ولكن اللوم كله
يقع على الدعاة العرب المسلمين ،
اذ لا أجد لهم عذرا مقبولا ولا حجة
مقنعة •

وكان أمراء أوروبا كلما احتاجوا
الى جراح أو مهندس أو مغن أو
خياط ، وجهوا طلبهم الى قرطبة ،
فداع صيت هذه العاصمة
الاسلامية ، ووصفتها راهبة
سكسونية بأنها جوهرة العالم •

هل من المصادفة أن تتفق محاولة
توقيت احياء التواراة لغة وعقيدة
بمحاولة توقيت اماتة القرآن لغة
وعقيدة وتشريعا ؟

أيمكن أن يصدق أحد ، بأن اللغة
العربية تعجز عن حمل رسالة العلم
والحضارة ؟

وقد غزت العربية لغات العالم
كلها ، وكان العلم والحضارة من

لقد استوعبت العربية جميع
الحضارات السابقة ، فأصبحت لغة

وسائلها في هذا الغزو ، وقد صدرت
معجمات في جميع اللغات العالمية
وغير العالمية تسجل المفردات
العربية في تلك اللغات ، وآخر ما
صدر من تلك المعجمات معجم :
مسلم •

وإذا كانت (العبرية) قد أصبحت
لغة العلم ، يتباهى بها الصهاينة
ويعتزون ، فمن العار على عربى
أو مسلم أن يدعى بأن العريية
لا تصلح لغة للعلم الا اذا كان ذلك
العربى أو المسلم جاهلا أو عميلا
أو امعة أو معتنقا مذهبا مرييا يعمل
لمصلحة أعداء العرب والمسلمين
بعد احيائها •

فهل يمكن أن تشيع العربية في
جميع اللغات بدون استثناء عثا ؟
ان الصهاينة يدرسون العلوم
الحديثة في جامعاتهم باللغة العبرية
فهل من المعقول والمنطق أن
تنهض العبرية بالدراسات العلمية
كافة ، وتعجز العربية عن النهوض
بتلك الدراسات !

ولست أخاف على العربية من
أعدائها ، ولكننى أخاف عليها من
أبنائها •

مخالطة الناس افضل

ذكروا عندوهاب بن منبه عزلة بنى اسرائيل وشستانهم
فقال وهب رحمه الله : « من خالط الناس فورع وصبر
على اذاهم هم كان افضل عندى » .

لغتنا العربية

ماذا يراد بها؟

لفضيلة الدكتور على العمادى

٣

قد يهول العاقل ، الحريص على
مجد أمته ، المحفيظ على تراثها ،
الحذب على دينها ولغتها •

قد يهوله ما يقرؤه وما يسمعه في
الحين بعد الحين من تطاول على
ما ورثناه من علم وأدب، وما يلمسه
من الاستهانة بما بذل فيه أسلافنا كل
مرتخص وغال •

فان أفرادا من قومنا ، ومن بنى
جلدتنا ، دينهم ديننا ، ولغتهم لغتنا،
ومجدنا مجدهم ، ودينهم الاسلام ،
ولغتهم العربية ، يرفعون أصواتا
واضحة حيناً ، مضطربة أحيانا ، بأن
تنخلى عن تراثنا ، أو عن بعضه ،
فاللغة العربية الفصحى عندهم لغة
تراث ، وليست لغة عصر ، وعلوم
البلاغة العربية تاريخ أكثر منها رؤية
مستقبلية ، زاعمين انها كتبت لعصر
غير عصرنا ، ولأجيال غير جيلنا ،

وفي أحوال لا تشبهها أحوالنا •

وان افرادا آخرين يفعلون
ولا يقولون ، يهدمون بما يصنعون
أفخر امجادنا ، موقنين أنهم سيكونون
القدوة والأسوة فيما يتخذون من
مناهج في الاستهانة باللغة العربية
الفصحى ، والابتعاد عنها •

ولقد رصدت الأسباب التى دفعت
بهؤلاء الى ما يقولون وما يصنعون
فبان لى منها أمور :

فمنهم - بل أكثرهم - ينادى
بذلك جهلا بتراثنا ، وقصورا عن
فهمه ، ومنهم من يتظرف بالزراية
على القديم ، يرى أنه يكون ذامكانة
عند الناس حين يتظاهر بأنه رجل
عصرى • ومنهم الساخطون الناقمون
على القديم كراهية للأسلام ، وبغضا
للعرب والعربية •

وفي مجالنا هذا أؤكد أن الذين نادوا بالتخلي عن تراثنا لم يكتبوا شيئاً يمكن الانتفاع به ، والاعتماد عليه .
ولنأخذ علوم البلاغة مثلاً .

لقد قرأنا ، ومازلنا نقرأ أن علوم البلاغة القديمة لا جدوى من دراستها ، ولا غناء فيها ، وأنه ينبغي التخلي عنها ، وإحلال بلاغة عصرية محلها ، وقد ألفت في هذه الدعوة كتب ، ونشرت أبحاث تعيب على علماء البلاغة المتقدمين مناهجهم في تدوين البلاغة ، ومع كل هذا الهرج والمرج والصراخ الطويل العريض لم نقرأ لواحد منهم كتاباً يحدد لنا فيه ملامح بلاغة عصرية نعتمد عليها في الافادة والتدريس ، ولم نر واحداً منهم وضع - ولو فصلاً واحداً - يغنينا عن فصل شبيه به من فصول البلاغة القديمة . اللهم الا اذا كان كتاب (البلاغة العصرية) لسلامة موسى هو الأمل المنشود ، والمنقذ الموعود ، والجدير بأن نحله محل أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، وسر الفصاحة والمثل السائر ،

ومنهم المقلدون لفريق من هؤلاء ، يهرفون بما لا يعرفون ، يرون أن القول بما يقوله فلان وفلان من ذوى الصيت البعيد والصوت الجهير لحق بهم ، ومشاركة في مضارهم .

وقليل منهم خلصت نواياهم ، وسلمت صدورهم ، ولكن التبتت عليهم الأمور ، واشتبهت في طريقهم المعالم ، فظنوا أن من الخير للأمة أن تجدد لغتها كما تجدد ثيابها ، وأن تبكر في شريعتها ما يرضى عنه الضائقون بالشرعية الاسلامية .

وأحب أن أؤكد أنى ، وكل الذين يطلقون عليهم محافظين ، لا ندافع عن القديم لأنه قديم ، ولا تنكر لبعض الجديد لأنه جديد .

فانه وان كان ما هدتها اليه الدراسة أن القديم في جملته خير وأنفع ، وأعمق وأوعى من الجديد في جملته تؤثر الجيد النافع من أى انسان صدر وفي أى مكان أو زمان
• قيل

والصناعتين ، والايضاح والعمدة ،
وأشباه هذه الكتب •
لجلاله ، معترفين بكماله ، سواء منهم
التام والخديج ، والسمين والفت ،
ان كان فيه تام وسمين •

فان هجس في خاطر واحد منهم
مثل هذا الضلال ، فياخية الأمل ،
وياضلال المسعى ، وياسفاهة الرأى •
فإذا أشرنا الى ما صنع بالنحو
العربى كانت حجتنا أقوى ، ودليلنا
أنصح ، لقد غاب بعض الباحثين على
النحاة ، ولا يزال أفراد الجيل الناشئ
يعيون عليهم ، فهل وضعت في
عصرنا كتب أو كتاب واحد يغنى
عن كتب المتقدمين ؟
لقد قلت في مقال سابق ، ان كل
المحاولات التى بذلت فيما سمي
باحياء النحو أو تحرير النحومات في
مهدا ، لم تنفع أحدا ، ولم يقتنع
بها معهد واحد من المعاهد التى
تدرس لأبنائها النحو العربى •

وأسوأ ما نلقاه من دعاة التجديد
أنهم يناضلون عن عجزهم ، أو من
عجز الآخرين ، فكل ما لا يحسنونه
قديم بال ينبغي القاؤه فى البحر ،
ومن العبث أن نحاول الارتفاع
بمستوى العاجزين ، بل علينا -
فيما يزعمون - أن نضع القواعد
والضوابط التى تجعل عجزهم
مشروعا بقانون •

ومما لا شك فيه أن ما يصدر عن
الأمم فى أيامها الأولى أجمل وأروع

وقل مثل ذلك فى كل العلوم التى
قتلها المتقدمون بحثا ودرسا •

والمدعون بأنهم أنصار الجديد
لا يرضيهم الا أن يؤمن الناس
بجديدهم ، وأن يسجدوا له مقدسين

القدامى ويلقون عليهم التهم جزافا
فى حين نرى المحافظين على تراثنا
يباركون صنيع كل من يأتى بجديد
نافع فى قضايا النحو ، أو فى طرق
تدريسه •



وقد كنت على نية المضى فى التنبيه
الى ما تضمنته كتب - (من أسرار
اللغة) و (لغتنا المعاصرة) و (النحو
المعقول) من تجن على النحاة ، ومن
مجانبة الصواب فيما ذكرت هذه
الكتب وزعمته أخطاء •

ولكن لفت نظرى مقال ورد فى
احدى المجلات الشهرية يعيد فيه
كاتبه قضية (فصحى التراث) و
(فصحى العصر) •

وقد كنت عرضت لهذه القضية
فى أول مقال من هذه المقالات التى
أكتبها فى مجلة الأزهر ، كما عرضت
لها فى مقال نشر بمجلة الاذاعة ،
وظننت أن ما أوردته من حجج على
ابطال هذا التفريق كفى بأن يعيده
الى الصواب ، ويقنعه بأنه من الخطأ
والخطر أن نبرز لغة أخرى نجعلها

حما يصدر عنها حين تختلط عليها
الأمور ، ويسود أبناءها الضعف
والجهل •

ومما لا شك فيه - أيضا - أنه
لا يوجد عاقل يتنكر للجيد من الجديد
أو يخف من وزنه ، ويحط من قدره ،
فالذى يعجب بالقديم لا يعجب به
عصية أو حقدا على الجديد ، وانما
يعجب به لأنه جيد ، فهو - اذن -
يعرف لكل جيد قدره ، وينزله
منزله اللائقة به •

والذى يدفع كل شك فى ذلك أننا
قرأنا كثيرا صدر من علماء عصرنا
وأدبائه فى قضية القديم والجديد ،
فوجدنا من يسمونهم محافظين ، أو
متعصبين للقديم ، وجدناهم يشيدون
بفضل الجيد من الجديد ، ووجدنا
دعاة التجديد يعضون من شأن القديم
كأنهم يرون أن جديدهم لا يقف
شامخا عاليا الا على أنقاض القديم ،
وقل منهم المنصفون •

ففى الأبحاث النحوية - مثلا -
وجدنا أكثر من يتصدون للتجديد
يبدأون بالازراء على النحويين

مقابلة للغتنا العربية ، وأن ندعو الى أن تكون اللغة (المستهدفة) في التعليم والتأليف والاذاعة •

فيبدو أن الكاتب لم يقرأ ما كتبت أو قرأ ولم يقتنع ، أو قرأ واقتنع ولكن غلبه جب الجدل على اثار الحق ، والرجوع الى الصواب •

لفت نظري هذا المقال فرأيت أن أعيد الحديث موجزا عن هذه القضية •

وأول ما تعجب له من أمر هؤلاء الذين يتصدون للقضايا الكبرى أن أقلامهم لا تتورع عن اتهام الذين يريدون أن يحافظوا على العربية

كما كان ينطق بها العرب ، والتي نزل بها القرآن الكريم ، وصيغت بها احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكتبت بها ملايين الكتب •

أكل هؤلاء العلماء ، وجلهم من كبار رجال التعليم في الأزهر ، وفي وزارة التربية والتعليم • أكل هؤلاء أصحاب فكر متخلف ، وعصبية وجمود ، وليس صاحب فكر تقدمي الا كاتب المقال ، وحفنة من أمثاله لا تعد على الأصابع ؟

لا تتورع أقلامهم عن اتهامهم بالجمود ، وقذفهم بشنع الأوصاف ، فهم — كما ورد في المقال — أصحاب

عندما أصبح الموت نفسه أهم منها
بكثير، نحتفل به ، وتقيم له الشوادر،
ويلعل صوت المقرئ ، وتوزع
القهوة ، والماء الثلج) • كما جاء
فيه (تعالوا بنا نبدأ من أول وجديد)
وقوله : (احنا مالنا مزقنيها على

نفسنا كده ليه، ما تبججوها شوية،
ده كده الموت أرحم من الحياة) •
وقوله: (من يريد أن يهلس فليهلس) •

وسيجار الكاتب ولا شك في تعيين
مستوى هذه العامية، وغالبا ما يقول
انها لغة السوق ، وربما قال انها
عامية المثقفين أو المتنورين ، ولكن
هل يدري أنها لكاتب مشهور في
مقال نشرته صحيفة وقور ، كانت
في بعض عهودها ميدانا للأدب
الرفيع •

ولا أدري لم تحمل صحيفة
الأهرام القاهرية وزر محاربة اللغة
الفصحى بما تنشره لبعض الكتاب
الذين قد يقتدى بهم الناشئة ، من
مذكرات أو كلمات تصطنع العامية
الهابطة ؟ •

أهذا جزاء رجال قضوا أعمارهم
في تعليم اللغة العربية والحفاظ
عليها ؟ • وممن يجيء هذا الاتهام؟ •
من أحد تلاميذهم الذي لقن العربية
من أفواههم ، ومضى في الطريق
مهتديا بأضوائهم •

وقد كان الكاتب في مقال سبق
تكرم على القراء بأن لهم لغتين :
(فصحي التراث) و (فصحي
العصر) •

وفي هذا المقال - نقلا عن أحد
الباحثين - رفع العدد فجعله خمسا،
فهناك - كما نقل - فصحي التراث،
وفصحي العصر ، وعامية المثقفين ،
وعامية المتنورين ، وعامية الأميين •
ولو أقسم انسان أنه لا يعرف
فرقا بين هذه المستويات الثلاث
الأخيرة لبر في قسمه •

وهأنذا أنقل له عبارات أرجو
أن يرشدني من أى مستوى هى ؟
بدأ الكاتب كلامه بقوله : (مش
قوى كده) ، وقد جاء فيه : (والحياة

ان أصغر كاتب من هؤلاء يتركوا هذه المجالات حتى يقدرُوا ، لا يعجزه - فيما أظن - أن يكتب مقاله كله بلغة عربية صحيحة ، ان لم أقل فصيحة ، فلم الارتكاس الى درك العامة وهي كما نعرف ليست لغة أدب .

ولكن نرى أن كثيرين ممن يكتبون أو يذيعون لا يحسنون الا الادعاء والتبجح ، ونراهم يدخلون في ميادين لم يعدوا أنفسهم لها الاعداد الكافي فهم كما قيل (كساع الى الهيجا بغير سلاح) .

ومن هنا ضيقت اللغة العربية على ألسنتهم ، وفي أقلامهم .

ثم أعود الى فصحي العصر ، وفصحي التراث .

لقد قلت فيما سبق أن اللغة العربية في أي عصر من العصور لم تكن ذات مستوى واحد . وانما كانت لها مستويات حتى في العصر الجاهلي ، فقد وجدنا البون بعيدا - مثلا - بين معلقة ليبيد بن ربيعة ، ومعلقة الحارث بن حلزة ، من حيث غرابة الألفاظ والنفا ، ومن حيث

وأي كسب أدبي يعود على هذه الصحيفة الوقور من افساحها المجال أمام العامة ، وتكون بذلك قدوة سيئة لمن يعالجون كتابة المقال الأدبي ؟

أما يكفي ما نسمعه في الاذاعة والتلفزيون مما يؤذي آذاننا ، ويحزن قلوبنا ؟

انا لنأسف لهذا العداء الصريح للفتنة العربية الصريحة ، ولئن كان يقبل على الرغم منا من غير المثقفين ثقافة عربية أن يتحدثوا بالعامة الدارجة فانه لا يقبل ممن يعالجون موضوعات ثقافية دينية أو لغوية ، وقد شدوا شيئا من العربية ، لا يقبل منهم أن يصطنعوا العامة في أحاديثهم .

واذا لم يكن في قدرة هؤلاء أن يتحدثوا بعربية صحيحة فعليهم أن

ولأن صاحب المستويات ادعى أن من أخطأنا في التعليم أن نبداً الطالب بلغة التراث كما يسميها ، فأردت أن أثبت لهم أن في لغتنا العربية ، وفي تراثنا مستوى سهلا كل السهولة ، واضحا كل الوضوح ، وأتينا - لو أخلصنا - نستطيع أن نصطنع هذا المستوى في التعليم ، وعند مخاطبة العامة وأشباههم ، ولا حاجة بنا الى أن نفرّد لغة نسميها (فصحي العصر) فنباعد بين الناشئة وبين لغتنا العربية الصحيحة الفصيحة .

ولا تصرفنا الدعوة الى أن نستعمل لغة عربية ميسرة في التعليم أو في مخاطبة العامة ، عن الدعوة - وبنية صادقة - الى أن يرتفع الكتاب والمؤلفون الى لغة البلغاء من أمثال الجاحظ والتوحيدى والمتنبى والشريف الرضى .

ثم : من قال ان اللغة الفصحى تعوق الشاعر أو الكاتب أو المتحدث (عن الانطلاق)

انما يعوق بعض هؤلاء عن الانطلاق جهله بالعربية ، وضالة ثروته من مفرداتها وتراكيبها .

جزالة الكلمات ورقتها ، ومن حيث غموض التراكيب ووضوحها .
والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى .

وقد قلت في بعض المواقف ، ان من الشعر الجاهلى شعرا لو قرأه من شدا شيئا من العربية لفهمه ، ولا يكاد يحتاج الى البحث في المعاجم عن كلمة من كلماته ، وضربت مثلا بقول النابغة الذبياني وهو من كبار شعراء الجاهلية :

المرء يأمل أن يعيش

وطول عيش قد يضره

تغنى بشاشته ويبغى

بعد حلو العيش مره

وتسوءه الأيام حتى

ما يرى شيئا يسره

كم شامت بى ان هلكت

وقائل لله دره

ومثل هذا الشعر في العصر الجاهلى كثير ، وانما قلت ذلك لأن محدثي - وكنا في جماعة المثقفين - زعم أن الشعر الجاهلى كله غامض ، وأن علينا أن نقى تلاميذ المدارس من دراسته .

ان كثيرا ممن يتصدون للشعر
والكتابة والحديث لا يحفظون من

اللغة الا النزر اليسير ، ولو أنهم
عنوا بالقراءة والحفظ من شعر
الشعراء ، ورسائل البلغاء ، ووصايا
الحكماء لاستطاعوا أن يؤدوا
ما يجول بخواطهم في يسر وسهولة،
ودون مشقة أو معاناة •

فان كان الجواب أنها تسير على
نهج العربية فهي عربية ، ولا داعي
لوضع اسم جديد لها مما يشعر
بأنها لغة أخرى غير العربية التي
نعهدها ، وان كان الجواب أنها
تجيد حينا أو أحيانا عن منهج العربية
فهى - حينئذ - مرفوضة ممقوتة
من كل حريص على لفته ، خائف
عليها من الضياع •

هل يريد الكاتب من المجامع
اللغوية ، ومن المهيمين على العربية
أن يصدروا قانونا يجعل الجهل بلغة
التراث - كما يسميها - تقدما
وحضارة ؟ !

وعلينهم - كما يطلب ويلح - أن
يضعوا القواعد للغة أخرى يسمونها
(فصحي العصر) لتصبح اللغة

المستهدفة في التعليم والتأليف
والكتابة •

اننا نسأل سؤالا واحدا : هل
تسير هذه الفصحى العصرية في
مفرداتها وتراكيبها على أصول
العربية أو تجيد عنها ؟

فان كان الجواب أنها تسير على
نهج العربية فهي عربية ، ولا داعي
لوضع اسم جديد لها مما يشعر
بأنها لغة أخرى غير العربية التي
نعهدها ، وان كان الجواب أنها
تجيد حينا أو أحيانا عن منهج العربية
فهى - حينئذ - مرفوضة ممقوتة
من كل حريص على لفته ، خائف
عليها من الضياع •

ان الكاتب يريد أن تقترب من
العامية ، بل نجعلها مدخلا لتعليم
الطفل العربية ، والحريصون على
العربية يرون وجوب الارتفاع عن
العامية وتبغيضها الى المتعلمين حتى
ينشأوا على حب العربية الصحيحة •

وقد قال مرة أحد كبار رجال
التربية : يجب أن نقول للتلميذ في

أول عهده بالمدرسة : هذا شباك ،
ولا نقول له : هذه نافذة • فقلت
له : هب انك تريد أن تعرفه معنى
هذه الصورة بالانجليزية الست تشير
له الى النافذة ، وتقول له : يطلق على
هذه في لغة الانجليز كذا • فلتقل له:

والعرب يسمونها نافذة ، وتكرر
أمامه الكلمة كلما جاءت لها مناسبة
فيحفظها ، وهكذا حتى يعرف قدرا
كبيرا من ألفاظ اللغة مما يتناسب
مع مداركه •
واذا كنا نرفض - وباصرار -
أن يقال : ان اللغة التي يجب أن
تسود في التعليم وفي التأليف هي
فصحى العصر فإنا نرفض كذلك ،
وبكل عنف أن نجعل للعامة سواء
كانت عامية المثقفين أو المتورين
مكانا فيما يكتب الناس أو يؤلفون،
أو يتحدثون الى الجماهير •

ان حديث المستويات يصلح أن
يكون بحثا نظريا لا تترتب عليه
أى نتائج فيما يتصل بتعليم العربية،
وهو - بعد - حديث لا يثبت عند
الفحص والتحليل والا فما الفوارق
والفواصل بين عامية المثقفين وعامية
المتورين ؟

لا بد أن نحارب العامية في الكتابة
وفي الصحافة وفي الاذاعة ، ونكتب
بلغة عربية فصيحة ، ونحدث الى
المستمعين بلغة عربية صحيحة ميسرة،
ثم نحاول أن نرتفع بمستوى هؤلاء
المستمعين فندخل في أحاديثنا
الأساليب العالية الرفيعة ، وبذلك
نحافظ على لغتنا ، ونرتفع بعقول
قومنا وأذواقهم •

قد يذكر الباحث فروقا ولكنها
في النهاية تتضاءل حين نرى أن
ما يجرى على ألسنة المثقفين كثيرا
ما يجرى على ألسنة المتورين ،
بل على ألسنة الأميين •

ولسنا نحارب التطور ولا التقدم،
وانما نحارب الكسل والجهل ،
والدعوى الضارة، واصطناع العامية
في الكتابة ، لا سيما في المجالات

في رأي أن مثل هذه الأبحاث

الثقافية ، والصحف اليومية التي لا ينكر تأثيرها على القراء •

الدركات ، وأبكاني لأنه أساء الى المعنى القرآنى حين أبرزه في هذا المعنى العامى الساذج •

انها لظاهرة مروعة أن تفتح صحيفة كبيرة فنجد فيها كل يوم كلمة أو كلمات لا تتورع عن ايراد كلمات عامية تظرفا أو جهلا بمرادفاتا العربية •

وانها لنكسة خطيرة أن يدعو بعض من يظهرون الحرص على لغتنا الجميلة ، يدعونا الى أن نزل لغتنا العربية الفصحى عن مجالات التعبير

أو نستمع الى احدى الاذاعات العربية في قطر شقيق فنفاجأ بأحد القائلين يفسر القرآن باللغة العامية، المسرفة في عاميتها ، ولقد أضحكنى وأبكاني هذا القائل حين سمعته يعبر عن بعض الاستفهامات الواردة في القرآن الكريم بعامية عجيبة •

العصرى ، وأن نستكين الى جهل الجاهلين ، وتخبطات المتخبطين الذى يجعلون جهلهم مبررا لهجرهم الفصحى ، وادعائهم أنها لا تقى بالمعانى العصرية مع أن لغة العربى الذى كان يأكل الشيح والقيصوم تستطيع أن تؤدى أدق المعانى ، وأعمق الأغراض •

أضحكنى لأن الأسلوب الذى استعمله يهبط بالتعبير الى أدنى

د . على محمد حسن العمارى

النُّظُورُ والنُّقْدَمُ الْعِلْمِي

من أسباب القوة

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

من الحقائق المعروفة أن محتويات « القوة » وأسبابها تتطور على مر العصور ، فلقد كانت قوة الأمم في الماضي تقاس بقوة جيوشها ، لكن الأمر لم يعد كذلك في عصرنا الذي نعيش فيه ، حيث أصبحت قوة أية دولة تقاس بمتانة اقتصادها ووحدة شعبها ومدى تقدمها العلمي (والتكنولوجي) وغيرها من العوامل المادية والمعنوية الى جانب قوتها العسكرية .

وأصبح من سمات العصر أن جميع مرافق الدولة وقواتها المسلحة تحتوى على أجهزة متخصصة للبحوث والتطوير لا تضن عليها الدولة بالمال ولا بالعلماء والمتخصصين ، لايمانها بالارتباط الوثيق والمباشر بين التقدم وبين أمنها وسلامتها ووجودها ومستقبلها .

والأمة العربية والاسلامية أحوج ما تكون في هذا العصر الى الأخذ بكل أسباب التطور والتقدم ، والى أن تلقى بكل ثقلها في هذا المجال الحيوى وهى تسعى نحو نهضتها الحضارية الشاملة .

● فالتكليف القرآنى للأمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » تكليف قائم ومستمر الى أن تقوم الساعة ، وهذا يقتضى

وتسابق الأمم في عصرنا نحو التفوق في مجالات التطور والتقدم العلمى ، بعد أن أصبح من الضرورات الحيوية للأمة ألا تتوقف أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمى عند حد حل المشكلات أو استخلاص النظريات والقوانين ، بل يجب أن تمتد الى تحقيق غاية عليا هى التجديد والتطور .

الأكوان قاطبة ، فى الانسان الفرد وفى المجتمعات .. وقد دعاهم الى كشف آثار هذه السنة والارتفاع بها وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف فى وجهها ، وليس ذلك سوى النتيجة الطبيعية لكون الدين دعوة لتغيير الانسان ، وتغيير عاداته الفاسدة ، ومعتقداته السيئة ، وأوهامه وتصوراته الجامدة المعوقة لحركته نحو الكمال .

لذلك كانت لعنات الله تعالى تنرى على الذين يأبون التطور والتغيير بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء ، وهو ما يفهم من قوله جل شأنه :

« انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (الزخرف ٢٣) - « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (البقرة ١٧٠)

● ووصف الله سبحانه وتعالى المقلدين بأنهم يرددون ما تلقوه كالبيغاوات أو العجماوات فقال جل شأنه :

- منطقيا - أن تتطور « القوة » فى شكلها ونوعها وتركيبها لتناسب روح العصر الذى يحتويها . وان لم تفعل الأمة ذلك تخلفت عن مقتضيات عصرها ، وفقدت القوة التى أمرها ربها بأعدادها قيمتها وفعاليتها ، ومن ثم تتعرض للخطر والهلاك .

● والتطوير يمكن الأمة الاسلامية من أن تكون لها أسرارها الصناعية والحرية وغيرها ، مما يمنحها ميزة التفوق على أعدائها .

● كما أن التطوير يحقق للأمة الاكتفاء الذاتى فى مجالات بناء القوة ، فتكون المصادر المختلفة لانتاج القوة فى أرضها ومن ابتكار أبنائها ونبوغهم ، وبذلك تتحرر الأمة من التبعية لغيرها ، تلك التبعية التى تنطوى على مخاطر كثيرة ، وتضعها فى مهبط تقلبات المصالح والأهواء ، وموازين القوى .

● والحق أن القرآن لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم الى شئ بعد التوحيد مثلما نبههم الى سنة التطور فى الكائنات جميعها ، وفى

التطور والتقدم وملاحقة العصر ،
فقد كان جيش الاسلام الأول في
معركة بدر - أول مواجهة عسكرية
مع العدو - جيشا صغيرا لا يزيد
عن ثلاثمائة وخمسة من المقاتلين
ومعهم سبعون بعيرا وفرسان اثنتان
فقط ، وكانت أسلحته يسيرة جدا ،
ثم تطور هذا الجيش ليلحق
بمقتضيات عصره بتخطيط رائع
محكم يتجلى فيما يلى :

١ - كانت الاستراتيجية العسكرية
لكل من فارس وبيزنطة وهما أعظم
قوتين عالميتين في ذلك الوقت ، تقوم
على أساس أن عنصر الفرسان يشكل
« القوة الرئيسية الضاربة » في
جيوشهما ، فحرص النبي صلى الله
عليه وسلم على ملاحقة هذا المستوى
المعاصر الذى تتفوق فيه الجيوش
الأجنبية المحيطة بالدولة الإسلامية ،
وليس أدل على ذلك من اجراء مقارنة
بسيطة بين قوة الفرسان في جيش
الاسلام في أول معركة وآخر معركة
في عهد النبوة :

- ففي غزوة بدر كانت نسبة
الفرسان الى قوة الجيش لا تكاد
تذكر ، اذ كانت أقل من واحد

« ومثل الذين كفروا كمثل الذى
ينفق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ،
حسم بكم عمى فهم لا يعقلون »
(البقرة ١٧١) •

والرسول صلى الله عليه وسلم
يقول : « لا يكن أحدكم امعة ،
يقول : ان أحسن الناس أحسنت ،
وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا
أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ،
وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم » •

● ولا بد هنا من التنويه بأن
منهج الاسلام في العلم والبحث يؤكد
صلتهما بالأخلاق وتلك احدى
الخصائص الرفيعة والنبيلة لهذا
المنهج الذى لا يرضى للعلم أن يكون
علما ضالا مفسدا تسخره الشهوات
ويقود الى الخراب والدمار ، وصدق
الله اذ يقول : « أفرأيت من اتخذ
إلهه هواه وأضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
أفلا تذكرون » •

● ولقد قدم لنا الرسول صلى
الله عليه وسلم مثلا يحتذى في مجال

بالمائة (فرسان مع ٣٠٥ من بعض الفرسان الأشداء يخرج للقتال المقاتلين) •

بفرسين يحارب عليهما ويأخذ أسنمهما كما فعل الزبير بن العوام في غزوة حنين وفي حروب الشام المختلفة •

٢ - وكانت مهارة الفرس في الرماية مهارة فائقة، ويقول الطبري في ذلك :

« بلغ من مهارة الفرس في الرماية أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالنشاب (أى السهم) » • وقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفرس يتفوقون على العرب في هذا المجال كما يستفاد من قوله عن الفرس :

« هم أقوى منكم رمية » ، ومن ثم كان اهتمامه الفائق بتدريب المسلمين على الرمي بصورة توحى برغبته الشديدة في رفع مستوى كفاءتهم فيه الى أعلى المستويات فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام •

— أما في غزوة تبوك فقد كانت قوة المسلمين ٣٠٠٠٠ مقاتل منها ١٠٠٠٠ فارس أى أن النسبة قفزت الى الثلث (٣٣ بالمائة) وقد حدث هذا التطور في أقل من سبع سنوات، وهذا التطور يفسر سر اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم الشديد بتدريب المسلمين على ركوب الخيل والحرب بها ومن ذلك قوله :

« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة » — « عاتبوا الخيل فانها تعتب » (١) •

كما رغب عليه الصلاة والسلام في اقتناء الخيل والعناية بها ، فجعل للفارس عند توزيع الغنائم سهمين وجعل للراجل سهمًا واحدًا ، وذلك لكي يستعين الفارس بالسهم الزائد على اعاشة فرسه واعدادها

(١) عاتبوا الخيل : اى ادبوها وروضوها للحرب والركوب فانها تتادب وتقبل العتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) •

« ألا ان القوة الرمى » ومن أعظم ما يدل على اهتمام الرسول بالتدريب على الرمى أنه •

مر بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى ، فنزع نعليه وقال : روض من رياض الجنة • • يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع (وهو التدريب على الرمى) يوجب روضة من رياض الجنة ، وكان عليه

الصلاة والسلام يشجع المسلمين على اقتناء الرمح والقوس بالاشادة بهما فى قوله لما رأى القوس : « بهذا وبرماح القنا تفتحون البلاد » ، وقوله « جعل رزقى تحت ظل رمحى » •

وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد ، ثم ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يؤكد على ضرورة « الاستمرار » فى التدريب ويحذر من الانقطاع عنه حتى لا يضعف مستوى الكفاءة فى الرمى فيقول :

« من ترك الرمى بعد ما علمه فانما هى نعمة جحدتها » ويقول

« ألا ان القوة الرمى »

• وكررها ثلاثا •

« ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر ، صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامي به والممد به ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا » •

« كل ما يلهو به المرء المسلم باطل ، الا رمية بقوسه ، وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » •

« وخرج صلى الله عليه وسلم مع نفر من أسلم ينتضلون بالسوق (أى يتسابقون فى الرمى) فقال : ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان ، فأمسك أحد الفريقين ، فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف ترمى وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم جميعا •

وقال أنس : ما ذكرت القوس عند النبى عليه السلام الا قال : « ما سبقها سلاح الى خير قط » •

أيضا : « من علم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » .

٣ - كذلك عنى النبي عليه الصلاة والسلام بملاحقة التطوير والتقدم فلم يكتفوا بملاحقة عصرهم بل انهم تناولوا الأسلحة بالتحسين والتهديب حتى أدهشوا في ذلك الفرس والروم حين كثر استخدامهم لهذه الأسلحة في قتالهم وفي حصار المدن المحصنة ذات الأسوار العالية في حروب العراق والشام وفتح مصر وغيرها .

وقد اعترف بذلك الامبراطور البيزنطى (ليو) مع ما عرف عنه من تعصب ضد العرب والمسلمين ، فقد نقل عنه فون كريم (فى كتابه الشرق تحت حكم الخلفاء) قوله : « ان الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المؤن والسلاح فالأسلحة هى نفس الأسلحة القوس والسهم والسيف والبلطة والخوذة وقاية للرأس ، والدرع وقاية للبدن والحديد يلبس فى الأذرع والسيقان » .

فقد أرسل عليه الصلاة والسلام بعثة من اثنين من المسلمين هما عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة الى جرش ليتعلما صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات وكلها من أسلحة القتال التى لم يألّفها المسلمون من قبل .

وقد استخدم الرسول المنجنيق والدبابات فى حصار الطائف ، كما روى أنه نصب المنجنيق فى حصار خيبر للتهديد ولكنه لم يرم به فعلا فقد روى ابن خلدون (أن الرسول هم بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا بالهلكة سألوه الصلح) .

ولعل أبرز ما يذكر فى هذا المجال هو اتفاق المسلمين - وهم أبناء الرمال - لركوب البحر وحرب الأساطيل ، وامتلاكهم لخاصية هذا

الجانب الهام من الحرب علما وصناعة دارا لصناعة الآلات البحرية بتونس
وتطبيقا ، حتى لقد هزمت الأساطيل ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله
الاسلامية أسطول بيزنطة فى المعركة ابن الأغلب على يد أسد بن الفرات
البحرية ، وأصبحت البحرية شيخ القتيا » •
الاسلامية قوة يحسب حسابها •

ويقول ابن خلدون أيضا : « ان ويقول ابن خلدون « كان الروم
المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم مهرة فى ركوب البحر والحرب فى
(يعنى البحر الأبيض المتوسط) أساطيله ، ولم يكن العرب أول الأمر
وان أساطيلهم سارت فيه جائية مهرة فى ركوبه ، فلما استقر الملك
وزاهبة من صقلية الى تونس • لهم وشمخ سلطانهم صارت أمم
والرومان والصقالبة والفرنجة جميعا العجم تحت أيديهم وتقرب كل ذى
تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية صنعة اليهم بمبلغ جودة صناعته ،
ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين فاستخدموا فى حاجتهم البحرية كثيرا
التى ضربت عليهم كضراء الأسد من هؤلاء وأنشأوا السفن وشحنوا
على فريسته » • الأساطيل بالرجال والسلاح وأسسوا
اللواء محمد جمال الدين محفوظ

انفع الناس وأضرهم

انفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزور فيه
خيرا أو تصنع اليه معروفا فانه نعم العون لك على منفعتك
وكما لك فانتفاعك به فى الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر، وأضر
الناس عليك من مكن نفسه منك حتى تعصى الله فيه فانه
عون لك على مضرتك ونقصك •

ابن القيم - الفوائد

الشيخ أمير خسرو الدهلوى وشعره العربى للككتور ظهیر احمد اظہر

ان تاريخ المسلمين الثقافى والأدبى والعلمى فى شبه القارة غنى جدا اذ هو ملىء بالأمجاد والآثار الخالدة كما أنه ملىء بالعباقة الأفذاذ من العلماء والفنانين والشعراء ، ومن بين هؤلاء العباقة الأفذاذ كان الشيخ أمير خسرو بن الشيخ سيف الدين محمود البخارى ثم الدهلوى ، ان الشعب المسلم فى هذه المنطقة ليزهو ويفتخر بما قام به العلماء من أمثال الشيخ أمير خسرو الدهلوى فى خدمة اللغة العربية وعلومها وفنونها وآدابها واننا لا نبالغ اذا قلنا ان الشيخ أمير خسرو قد كان أعجوبة من عجائب الوجود وآية من آيات الله فى خلقه فقد كان هو ، الى جانب المكانة المرموقة بين متصوفى شبه القارة وعلمائها ، الموسيقار المبدع العملاق لم يبلغ شأوه أحد من القدماء والمحدثين فى هذا الفن ، وقد أبدع أصوات الغناء والحنان

الموسيقى التى لا تزال متداولة شعبية حتى اليوم والتى عول عليها الأجيال القادمة من الفنانين كما أنه أبدع أوتارا وأدوات موسيقية قد عرفت باسمه وخلدت ذكراه . وكذلك فانه قد كان شاعرا موهوبا ملهما يقول الشعر بالعربية والفارسية والتركية والسنيسكريتية والهندية وغيرها من اللغات المحلية حتى أنه عرف بشاعر اللغات السبع (هفت زيان شاعر) وعدد أبيات شعره باللغات المختلفة يزيد على مئات من الألوف !

مولده ونشأته :

وقد ولد هذا الشاعر الموهوب والفنان العبقري فى قرية اسمها « بتيالى » من قرى الهند فى ناحية من نواحى دلهى ، ونشأ فى أسرة كريمة محافظة كانت قد هاجرت الى الهند من بلاد ماوراء النهرين فاستوطنت الهند وأقامت بها

واننا لا نبالغ اذا قلنا ان الشيخ أمير خسرو قد كان أعجوبة من عجائب الوجود وآية من آيات الله فى خلقه فقد كان هو ، الى جانب المكانة المرموقة بين متصوفى شبه القارة وعلمائها ، الموسيقار المبدع العملاق لم يبلغ شأوه أحد من القدماء والمحدثين فى هذا الفن ، وقد أبدع أصوات الغناء والحنان

الأدوات الموسيقية جميلة الوقع
وخلابة التأثير وهي تعرف باسمه
الى الآن يتداولها الفنانون في بلادنا
بكل اعجاب وتقدير •

تصوف الشيخ وزهده :

ومن الطبيعي أن يميل الشاعر
الفنان العالم المتدين الى الزهد
والتصوف ، وعليه فنراه ينقطع الى
عبادة الله والزهد في الدنيا ، وأراد
أن ينسلك في سلسلة من سلاسل
المتصوفين والزهاد فتوجه الى شيخ
المشائخ وسيد الأولياء نظام الدين
محمد بن أحمد البدايوني الدهلوي
الذي يعتبر من كبار المتصوفين
والزهاد في شه القارة ، فالتحق أمير
خسرو بحلقة الشيخ البدايوني
واكتسب منه فيوضاً روحية ، وتقدم
في درجات التصوف حتى أصبح من
أخص أتباعه ومريديه، وكان الشيخ
البدايوني يحبه حباً شديداً ويفيض
عليه من قلبه أنوار الحضرة السرمدية •
ومما لا شك فيه أن انقطاع الشيخ
أمير خسرو الى سلسلة التصوف
والرجوع الى الله والزهد في الدنيا
كان قد أضاف أبعاداً جديدة الى
شعره من لطافة المعاني وورقتها

وعاشت تحت رعاية سلاطين دلهي
وأمرائها عيشة الأغنياء والمترفين وذلك
في عهد السلطان محمد بن غياث الدين
الملك المسلم الذي عرف بعنايته
بالعلم وأهله والاتفاق من خزائنه
على العلماء والفنانين وتقديره لهم ؛
وقد بدأ الشيخ أمير خسرو الدهلوي
يتدرج في مهده الثراء والفضل فقرأ
القرآن على المنهج المتداول في أبناء
زمانه من المسلمين ثم تعلم اللغات
المحلية والفارسية والعربية وتخرج
في العلوم الدينية المتداولة على علماء
مدينة دلهي وفضلاتها ، ففاق أقرانه
حتى أصبح نادرة زمانه وعلماء من
أعلام التاريخ الاسلامي •

ومنذ طفولته كان يميل الشيخ
الى الشعر والموسيقى والتصوف ،
فبعد فراغه من التعليم العادي
المتداول وتخرجه انقطع الى الشعر
والموسيقى وبلغ فيهما غاية لا غاية
بعدها ، وأضاف اليهما قيامة جديدة ،
وأتى بالعجائب من ابداع الصنائع
والبدائع وايجاد الألحان والأصوات
الموسيقية الجميلة ، حتى احتل مكانة
كبيرة في هذين الفنين ، واعترف
بفضله أهل زمانه والأجيال القادمة ،
وقد ابتدع الشيخ ، كما قلنا ، بعض

وسلسلة الألفاظ ودقتها ورونق الأسلوب وجماله •
وسبعمائة وقد بلغ الرابعة والسبعين من عمره ، رحمه الله •

مكانته الاجتماعية :

آراء أهل العلم فى شخصيته :

وقد كان الشيخ أمير خسرو - رحمه الله - من المحظوظين السعداء الآمنين فقد كان ملوك عهده وأمراء عصره يقربونه من حضرتهم ويفيضون عليه من صلاتهم وجوائزهم وعطاياهم • كما أنه كان قد حظى بسمعة طيبة وعزة ومكانة فى نفوس عامة الشعب • وقد لقى كل تقدير وتكريم من الحكام والمواطنين : ويقال ان سلطان دلهى الملك محمد بن غياث الدين أراد أن يستدعى الشيخ السعدى شاعر اللغة الفارسية الشهير فاعتذر اليه ، واقترح عليه أن يختار الشيخ أمير خسرو الذى كان فى عنفوان شبابه فى ذلك الوقت وقال له : « انى لأرى فيه كفاءة وبراعة ويبدو عليه علامات واضحة تدل على عظمتة ومكاته فى المستقبل » •

وفاته :

وقد توفى الشيخ أمير خسرو ابن سيف الدين الدهلوى فى الثامن عشر من شوال المكرم سنة خمس وعشرين

ويقول ضياء الدين البرنى المؤرخ المعاصر للشيخ أمير خسرو : « ان الشيخ أمير خسرو قد كان ملك ملوك الشعراء وأمير أمرائهم ولم يبلغ أحد علو كعبه فى كثرة المؤلفات وجودتها ولم يوجد له نظير فى اختراع المعانى الدقيقة وابداع الرموز الغريبة ! » ، وكان الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى يلقب الشيخ أمير خسرو بسلطان الشعراء وبرهان الفضلاء ووحيد النوع البشرى : وذكره فى كتابه المعروف بأخبار الأخيار فقال : « انه كان عالما فريدا وخطيبا مصقعا وقد توفر له من ابداع المعانى وابتكار الألفاظ فى ميدان الشعر والنثر ما لم يتوفر لأحد من القدماء والمحدثين ؛ ويقول عنه عمدة المتأخرين الشيخ الشريف مولانا عبد الحى اللكنوى والد الشيخ العلامة أبى الحسن على الندوى : « ان الشيخ الامام الفاضل أمير خسرو بن سيف الدين محمود البخارى الدهلوى أشهر الشعراء

بهشت) أى الجنات السبع وهذا الديوان الأخير وحده يشمل ثمانية عشر ألف بيت من الشعر وأكمله فى مدة سنتين فقط ! ، ومن مؤلفاته

قران السعدين وتاج الفتوح وخزائن الفتوح ونه سبهر وديول رانى خضر خان وتغلق نامه •

شعره :

ومن أغرب ما اكتشفناه فى خلال دراستنا المتابعة لكتب التراجم وسير الرجال التى عنيت بتراجم علماء العربية وشعرائها فى شبه القارة خاصة هى لا تكاد تذكر الشيخ أمير خسرو الدهلوى كشاعر اللغة العربية وكاتبها، وحتى الشاعر المفلح والأديب المؤرخ حسان الهند غلام على آزاد البلكرامى قد أهمل الشيخ أمير خسرو ولم يذكره فيما ذكر من شعراء الهند وأدبائها فى كتابه « سبحة المرجان فى آئام هندوستان » ومع ذلك فأننا نرى هؤلاء المؤلفين الذى اعتنوا بتراجم شعراء الهند وعلمائها قد ترجموا لأشخاص لم يساهموا فى الأدب العربى الا بشرح كتاب أو التعليق عليه أو قالوا بيتا أو بيتين من الشعر

فى الهند ولم يكن له نظير فى العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون آخر ، قبله ولا بعده ! » •

مؤلفاته :

وقد أكثر الشيخ أمير خسرو من تأليف الكتب ونظم الشعر حتى أنه ترك تراثا غاليا غنيا جدا ومن بينها : اعجاز خسروى (وهو مجلد ضخيم يشمل النثر العربى والفارسى ويتخلله الشعر باللغتين العربية والفارسية) ومجينات الكلام فى الصنائع والبدائع (وأفضل الفوائد وخمسة دواوين من الشعر الفارسى وهى : تحفة الصغر (الشعر الذى قاله فى الطفولة) ووسط الحياة (شعر الشباب) وغرة الكمال (وهو يشمل الشعر الفارسى الذى قاله عند الشباب الناضج) ونهاية الكمال (شعر الكهولة) والبقية النقية (وهو الشعر الذى قاله فى الشيخوخة) ؛ وله خمسة دواوين أخرى باللغة الفارسية من الطراز المثنوى عارض بها الدواوين الخمسة للشاعر الفارسى الشهير « نظامى كنجوى » وهى : مطلع الأنوار وشيرين خسرو ولىلى مجنون وآتينه سكندرى (وهشت

فقط ، أما الشيخ أمير خسرو فإن
أبياته التي قالها باللغة العربية لا يقل
عددها عن ست مئة بيت من الشعر
الى جانب النماذج الرائعة من النثر
العربي الفنى :

على كل فإن الشيخ أمير خسرو
قد كان شاعرا عربيا مجيدا كما أنه
كان كاتبا عربيا بارعا ، وله شعر
جميل رصين وعليه طابع خاص يجمع
بين الفصاحة العربية والنظافة
الفارسية ؛ ومعظم شعره العربي نجده
في ديوانه « غرة الكمال » وبعضه
في كتابه « خالدة » « اعجاز خسروى »
متفرقا كاللآلىء المتناثرة في قيعان
البحار كما أنه يوجد بعض شعره
العربي في مؤلفاته الأخرى في الشعر
والنثر . وأما نثره الفنى العربى
فكذلك قد جاء معظمه في « اعجاز
خسروى » ونخص بالذكر من بين
ذلك رسالته النادرة الرائعة في معانى
الحروف الأبجدية العربية .

غنى بالأصداق النقية والجواهر
المتألثة التي لا حصر لها ، ولكنه
لا بأس اذا درسنا منه بيتا أو بيتين
على سبيل المثال فمنه هذا الدوبيت
أو الرباعى :

ايوان مراد بس بلندرست
آنجا بهوس رسيدتوان
ئين شربت عاشقى است
مى خون جكرچشيد تتوان
ان قصر الأهداف لرفيع جدا
ولا يمكن لأحد أن يصله أو يحقق
أهدافه بالأمانى الكاذبة والأهواء
الباطلة :
فهو كأس العشق التي لا يمكن
مسها الا بالكد والكذب والتضحية
والجهاد !
ورغم أن شعره العربى شعر رائع
شين الا أنه كان متواضعا جدا
فناه يعترف بعدم كفاءته ومعرفته
بالعربية :

وكما ذكرنا أنه - رحمة الله -
كان يقول الشعر بشتى اللغات ،
ولسنا الآن بصدد دراسة شعره
الفارسى فهو بحر لا ساحل له وهو
ترك هندوستانيم من ، هندوى كويم
چو آب
شكر مصرى ندارم كز عرب كويم
سخن

انشاء رب من عجائب صنعه
الورد تسكت والروائح تنطق
كسك ليس يخفى في ثياب
وريح الورد في حجب كثيرة
ومن قصيدته الميمية في ديوانه
غرة الكمال :

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم
وحكى المدامع كل ما أفا أكرم
أفريت عمرى وحانت منيتى
خان الزمان وللمنية أسقم
واذا أبحت لدى الورى كرب النوى
تبكى الأحبة والأعادي ترحم
يا عاذل العشاق دعنى باكيا
ان السكون على المحب محرم
من بات مثلى فهو يدرى حالتي
طول الليالى كيف بات متيم
يا صاح لا تطعن علينا فالهوى
هذا من الرحمن حكم محكم

لا تشربن مدام ود خرائد
قد ذقته أن الصبابة عظم
ما جاء صحبى راحلو من بيننا
جاء البهار وقد تبسم جوجم

وقد كان الشيخ أمير خسرو مولعا
بالصنائع اللفظية والبدائع المعنوية

اننى من الأتراك الهنديين وأقول
شعرا رصينا بالهندية أما باللغة
العربية فلست أملك السكر المصرى
(أى فصاحة المصريين وحلاوة
كلامهم) حتى أقول الشعر بها !

ورغم هذا كله فانه قد كان
يواظب على دراسة الشعر العربى
كما صرح به فى كتابه « اعجاز
خسروى » ومقدمة ديوانه « غرة
الكمال » ، فانه يقول : قد درست
دواوين الشعراء العرب من أمثال
كعب بن زهير وابن الوردى وحسان
ابن ثابت الأنصارى والمتنبى وأبى تمام
والبحترى وغيرهم ، وقد خرجت
من مطالعة هذه الدواوين بثقة وعزم
أن أخلط المسك العربى بالصندل
العجمى على طريقة لا يمكن التمييز
أو التفريق بينهما وليجمع شعرى
بين الفصاحة العربية واللطافة
الفارسية !

وهذه الأمثلة الثلاثة من شعره
تجمع بين الأسلوب العربى والأسلوب
الفارسى فقولها عربية ومعانيها
عربية :

ذو الزور تذكره بطيب شمائل
كالكذب تكتبه بمسك ضائع

أو ذو الوجهين وهى أن ينظم الشاعر بيتا من الشعر يمكن قراءته باللغتين العربية والفارسية فى نفس الوقت والمعنى يختلف فى كلا الوجهين ومثال ذلك ما قاله الشيخ :

رشيدى نديدى مرادى نجائى
رمانى ييأسى تبارى نسائى

فهو فى هذا البيت يخاطب صديقا له قائلا بأنه هو مقصوده وقبلته وبذكائه الباهر يمكن أن يخلصه من نسوته اللاتى تبارين وقد يئأس من خيرهن :

وهذا البيت نفسه يمكن أن تقرأه باللغة الفارسية وذلك بتغيير بعض النقط فقط :

رسيدى بديدى مرا ، دى بجائى
زمانى يياشى ييارى بشائى
والمعنى : أنك جئت بالأمس ورأيتنى فى مكان خاص وكان يجب أن تبقى عندى لمدة فانك تستحق الود والصدقة :

د . ظهور أحمد أظهر

وقد ابتكر عدة أنواع فمنها صنعة سماها « ترجمة اللفظ » وهى أن يأتى الشاعر بلفظة فى شعره من اللغة العربية ثم يأتى بعدها بلفظة أخرى من اللغة نفسها الا أن القارئ قد يتوهم أن اللفظة الثانية كلمة فارسية قد جاءت كترجمة لللفظة الأولى :

إذا دعا بعطايك انجما نادى
غدا النجوم كما فى مسرة شادى

ومحل الاستشهاد المطلوب هنا فى الكلمتين الأخيرتين من المصارعين كليهما فمثلا كلمة « انجما » هى جمع نجم بالعربية ولكن بالفارسية كلمة « انجمن » معناها المجلس أو النادى ، وكلمة نادى (على صيغة الماضى هنا) اذا قرئت بكسر الدال تصبح ترجمة لكلمة « انجمن » الفارسية ، وهكذا فى كلمتى « مسرة » و « شادى » فشادى بالفارسية معناها : المسرة وبالعربية اسم الفاعل من الشدو ص ٩ •

ومن الصناعات الشعرية البديعية التى ابتكرها الشيخ أمير خسرو الدهلوى صنعة سماها « ذوالرؤيتين »

المرأة في الإسلام

لفضيلة الدكتور روفى شلبى

- ٢ -

(ب) الواجبات على الزوجة نحو زوجها

على حافتى طريق الورود الذى
تتهادى فيه الحياة الزوجية يغرس
الاسلام لافتات الحقوق على المرأة
تجاه زوجها من أجل حياة عشنا
الأمين وعشنا الوردى فيلزمها
بما يلى :

ومن الاحترام لمشاعره الا تتعت
له صاحبها ففى الحديث الشريف :
لا تبأشر المرأة المرأة فتنعتها
لزوجها كأنه ينظر إليها •
(رواه أحمد والبخارى والترمذى)

● التزين له وحده :

الزوجية معاشرة بالمعروف ومقتضى
هذا المعروف أن تكون مفاتن المرأة
لزوجها وحده •

أنها ان استبقت محاسنها لزوجها
فقط فقد ادخرت لها وله عمرا طويلا
فى مباهاج السعادة الزوجية •

أما اذا بذلت مفاتنها للمجتمع فقد
فتنت قلب الرجل مطلقا وصارت
النسب فى تفاوت المحاسن مشتهى
لكل من يهوى وانتقلت اللذة من

● احترام مشاعره :

ففى الحديث الشريف : لا يحل
لا امرأة تؤمن بالله أن تأذن فى بيت
زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو
كاره ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل
فراشه ، ولا تضربه فان كان أظلم
فلتأته حتى ترضيه « الحاكم » •

ففى الحديث حث على الوفاء
الجميل واحترام للعشرة وتأکید
للميثاق الطيظ •

عشها الوردي الحلال الى قارعة الطريق كأنها حبات تفاح عطبت وعف عنها الذوق الكريم فصارت نهبا لكل جائم من أبايل الذباب •

الاسلام الحنيف هذه القواعد في حياة الاسرة ، فقرر الحديث الشريف :

« لا يحل لامرأة أن تهجر فراش زوجها » •

ومن هنا ترسم اللوحة الفنية لزينة المرأة في الجو الاسلامي على نحو ما يبين الحديث الشريف :

« اذا باتت المرأة هاجرة زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » •

« اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأتته لعنتها الملائكة حتى تصبح » •

(البخارى وأحمد)

اذا تعطرت المرأة لغير زوجها فانما هو نار وشنار •

(الطبرانى)

ومن الملاحظ فى هذه الأحاديث أن الأحكام فقها غير منتهية بجزاء مادى كما فى السرقة والزنا بل الأحكام فيها متروكة لفطرة التدين والخوف من الله .. ومعنى هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو صاحب حق فى التشريع لم يضع عقابا ماديا لمن تخالف هذه الأحكام، فان الأسرة لا تقوم أحكام تنظيمها على أساس من العقاب المادى بقدر ما تقوم على أساس من الخلق ورعاية محارم الله جل شأنه •

والمراة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى زانية (أحمد) •

وما غض البصر للمؤمنين والمؤمنات فى سورة النور الا منعا لتطاول البصر عن محاولة كشف المستور من الزينات وليس من معناه أن يكون القفل عن المكشوف منها اذ القرآن لا يبيح حراما وينهى عن التطلع اليه ليبقى عرفا مسنونا •

● الوفاء وعدم التناؤل عليه :

ولهذا فان أى تشريع وضعى يحاول أن يضيف قيودا جديدة على أنظمة الاسلام فى تشريع للأسرة فهو

وصدق المعاشرة يستلزم حسن الأخلاق ومن محاسن الأخلاق الاعتراف بالجميل ، وقد أرسى

عبث وتدخل لا مبرر له وافساد للجمال الذى شرعه الله تعالى :
 ● الحفاظ على ماله :

التصرف فى بيت الزوجية متروك لمستوى العلاقة والثقة بين الزوجين، وقد وضعت السنة المطهرة موازين هذا التصرف انه لا ضرر ولا ضرار، ولا اسراف ولا مفسدة .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم: اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا .

ولكن هناك شذوذ عن القواعد العامة لأن الحياة بصفة عامة لا تخلو من الكدر ، والحياة الزوجية مثل الحياة العامة والتشريع الإسلامى تشريع يلبس الواقع ويضع له الموازين بالقسط والعدل .

من مشكلات الأسرة

ومن النشاز الشاذ عن القاعدة الأسرية نشوز الحياة الزوجية وهو نشوز قد يكون من الرجل أو قد يكون من المرأة أو منهما معا .

● الخلافات الزوجية :

● الطلاق :

● تعدد الزوجات :

● منهج التغلب على الخلافات الزوجية :

وقد وضع الإسلام لمعالجة هذا النشوز منهاجا .

(١) فان كانت المرأة هى الناشز كان على الرجل معالجة هذا النشوز: بالموعظة الحسنة أو بالهجر فى المضجع أو بالضرب لا على الوجه ولا مع تقبيح بلفظ خارج .

القاعدة العامة فى الأسرة الإسلامية والتى يمكن لكل زوجة أن تجعلها نبراسا شخصيا لها : حديث النبى صلى الله عليه وسلم :

وهذا النهج الثلاثي صالح لثلاث مستويات من نماذج النساء •
 يصلح لذلك بالتدرج في معالجة الزوجة الواحدة :

• أولا يعظها

• ثانيا يهجرها

• ثالثا يضربها

ولا ملامة من المرأة على الاسلام اذ
 أذن للزوج أن يضرب لأن الاسلام
 قدم لها الموعظة والهجر كحلين بل
 كعاصمين من فشل الحياة الزوجية.

وأباح الضرب لا من أجل أذاها
 بل للحفاظ على مقدسات الأسرة
 وحمايتها من الضياع •

فهناك نموذج يكفيه الكلمة الطيبة
 اذا سمعتها الزوجة من زوجها فكأنما
 هددهد على العواطف ومسح بيد
 الحنان على أساها وغسل بمعسول
 كلامه وسوسة الشيطان •

وهناك نموذج لا تعى أذنها الكلمة
 الطيبة ولا يعبأ بالهجر فلم يبق
 الا تنبيه الأعصاب بضرب غير مبرح
 لا يقع على الوجه ولا يصاحب
 بتقبيح •

فصورة الضرب هنا هي آخر
 علاج يقدمه الاسلام للاعلان عن
 اهتمام الاسلام ببقاء الاسرة سليمة
 دون تفكك والاهتمام بها عند
 التفكك حتى لا تصير الى الضياع •

فاذا لامت المرأة أحدا فلا بد وأن
 تلوم نفسها لأنها عند النشوز لم تصنع
 للموعظة الحسنة ، ولم ترتدع بعد
 الهجر ، فماذا يبقى لصيانة الاسرة :
 الضرب فهو تنبيه أعصابها قبل أن
 يفيض الكيل ويتسع الخرق على
 الراقع •

وهناك نموذج لا تعى أذنها الكلمة
 الخطة الأولى والثانية وجب على
 الرجل أن ينهى قطيعة زوجته بالاتصال
 وهذا الاتصال هو ارهاص بألم عبر
 عنه القرآن بالضرب لأنه الوسيلة
 الطبيعية وحددته السنة بأنه ألم
 لا يحدث كسرا ، ولا يبقى في السمع
 صدى لفظ جارح فهو نوع من
 المغازلة في صورة الضرب لأن الموقف
 موقف خصام •

وهذا النهج الثلاثي الخطوات

(ب) وان كان النشوز من الرجل أساسى وهو أن يكون معروفا بميله أو منهما معا :
للصلح في الخصومات •

فان الاسلام لا يترك أسرار الأسرة نهبا للقليل والقال في المؤسسات الاجتماعية بل ضيق الشروط وقلل في أعداد الحكمة فقال الله تعالى :

« وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما حكيما » •

الطلاق أبغض الحلال

(٣٥ النساء)

الحياة الأسرية سكن :
فمن المعروف أن بين الزوجين أسرارها والاسلام لا يسمح بافشائها ولا بالاطلاع عليها لأجنبى عن الأسرة ولذا قرر :

١ - ارسال حكم من أهل الزوجة •
٢ - ارسال حكم من أهل الزوج •

(ب) واشترط فيهما ارادة الاصلاح بين الزوجين لا التعصب للتغلب والنصرة لواحد على الآخر •
وتبقى قيمة السكن وقيمة اللباس •
ما بقى أثرها محمودا مؤنسا •

اذن ليس كل واحد من أهل الزوجة ولا من أهل الزوج يصلح لهذه الحكومة بل هناك شرط
أما اذا عجزت عن اعطاء الروح والفكر والمشاعر مباحج الحياة الأسرية ولم يمكن التغلب على

أسباب هذا الضرر فماذا يكون يشأ لهم أن يتعاشروا على الهون
الحل ٠٠ ؟ والضيق •

هل يبقى الزوج وزوجته حبيين والاسلام اذ يشرع الطلاق انما
فى مسجن داخل بيت يسمى بيت يلجأ الى الحلال البغيض الذى لا مفر
الزوجية ؟ منه تجنبا للاسرة عن الأذى •

أو يتصرف كل واحد على انطلاق وفى الحديث الشريف :
تام فى الاباحة لهواه ؟ «أبغض الحلال الى الله الطلاق» •
أو يتفرقا فيغنى الله كلا منهما (أبو داود ، وابن ماجه)
من سعته ٠٠ ؟

أخذ الاسلام بالحل الثالث : وكان الطلاق حلالا لأنه حماية
للأعراض والأنساب من السقوط اذا عاشت الأسرة فى ظل عقم من الحب
والمودة ، وسجن الزوجان على كره وهون فانزلنا الى هاوية الشهوة ،
لم يقبل الاسلام أن يبقى الزوجان فى سجن دائم •
ولم يقبل الاسلام أن يترك الهوى
يعبث بقيم النفوس بل شرع الطلاق
بعد المحاولات التى بذلت سالفا ولم
تنجح •

يقول الله تعالى : وكان أبغض لأنه فراغ بعد أن
أخذ الله من كلا الزوجين ميثاقا
عظيما • « وان يتفرقا يغنى الله كلا من
سعته وكان الله واسعا حكيما » •
(١٣٠ - النساء)

ولهذا فلم يسمح الاسلام أن
يكون الطلاق والرجعة ألعبوبة تتبع
الهوى والرغبة فأعفى من مسئولية
فهو حل يحترم الطبع البشرى
لأن الله جل شأنه خلق الناس ولم

ذلك النساء ولم يجعله في يد الرجل
هكذا دون شروط وأدب بل جعل

الطلاق بمقدمات للصلح ، وحدده
في ظروف بيولوجية خاصة بالزوجة

وزمن مخصوص ، وعلق عليه آثارا
تحمي حق المرأة في الحياة وفي الشرف
والعرض .

فألزم الرجل بالنفقة والسكنى .
وألزمه بالمهر المتبقى .

وألزمه بتعانة جبرا للضرر الأدبي
الذي قد يلحقها بسبب الطلاق
وألزمه برعاية الولد الرضيع .

وجعل العدة على المرأة حفاظا على
شرفها واستيثاقا بخلوها من صلة
نسبية بزوجها الأول أو فترة قد
يتراجعان فيها .

وقد جعل الاسلام هذه الشرائع
كلها في اطار المعروف ولا تنسوا
الفضل بينكم ، والعفو من الذي
بيده عقدة النكاح والتأمر بالرضى
والمودة .

ولم يلجأ الاسلام في تشريعات
الأحكام المترتبة على الطلاق الى عنف

أو قسوة مما يفيد أن أمر الأسرة
كله ينبغي أن يقوم على :

« فامساك بمعروف أو تسريح
بأحسان » .

فاذا ما تخلخلت الأمور في العصر
الحديث فانما هو لفساد المسلمين
في بعدهم عن الدين وعن روح
الاسلام ومنهجه . . فهل يصلح
المسلمون بشرع وضعى أو بعودة
كاملة الى دين الله ؟

ليس في المسيحية شرع للطلاق :

ذلك شرعنا شرع الأمة التي قالت
لربها سمعنا وأطعنا أما الذين قالوا
لله : « سمعنا وعصينا » فقد خلقوا
لأنفسهم قانونا ليس من عند الله
ولا من عند رسوله عليه السلام، فان
ما يدعى بأن المسيحية ليس فيها طلاق

ليس صحيحا بالاطلاق ، فقد ذكر
في الانجيل على فرض التسليم بأنه
لصاحبه الذي ألفه محاورة بين
الفريسيين وهم طائفة من اليهود
مع سيدنا عيسى عليه السلام ،

حول ما جاء عن موسى من شريعة
الطلاق وما رأى في ذلك ، وهى

مطورة مبتورة لا تصلح أن تكون
حكما بأن عيسى حرم الطلاق أو انه
يقول ما ينسخ ما جاء به موسى كما
لا قنهنص نسا يصلح للاجتهاد فيه
لاستنباط حكم منه •

فماذا تريد الحركة النسائية
العربية المعاصرة من تقييد الطلاق
وقد حرم الله ذلك ؟ أفغير دين
يريدون ؟

يقول الله تعالى :
« اتخذوا أبحارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله » (التوبة)
وذلك بما شرعوه لهم من
دون الله •

على أن الحياة المعاصرة للمسيحيين
اليوم جعلتهم يقتربون في حياتهم
الأسرية الى النظام الاسلامى فقد
أباحت الكنيسة في ايطاليا الطلاق
كما أباحته من قبل كنيسة ألمانيا
البروتستانتية • فماذا تريد الحركة
النسائية العربية المعاصرة من تقييد
حكم الطلاق في الاسلام ؟ • • وهو
عمل لم يرد به نص ولم يرد حوله
شئ من عمل الصحابة ، ولا قال
به أحد الفقهاء السابقين ، وقد عاشت
الامة الاسلامية ردحا طويلا من

تعدد الزوجات

من الخطأ الشائع والخطأ المقصود
أن يقال أن الاسلام صانع تعدد
الزوجات •

ومن الخطأ المقصود ما يثيره أعداء
الاسلام بربط قضية تعدد الزوجات
بالنظام الاسلامى •

والحق أن تعدد الزوجات كان
ظاهرة عالمية قبل الاسلام ، بل انه في
العصر الحديث مسألة تمارس عن

طريق الخليلات والعشيقات اللائى
يسمح بهن - كنظام اجتماعى -
قانون الدول الحديثة ، ولكنهم
لا يطلقون عليه تعدد الزوجات مع
أنه أفحش فى قيم الأخلاق وأضر
بالمجتمع من اباحة تعدد الزوجات :
ولقد أباحت الشرائع السماوية
قبل الاسلام تعدد الزوجات •
فقد تزوج سيدنا ابراهيم ساره

• وهاجر •

وأباح تلمود اليهود تعدد الزوجات
على اطلاقه دون قيد •

وليس فى الانجيل على تعدد
نسخه وكتابه ما يفيد منع التعدد •

- بل ان ملك ايرلنده فيارمات كان
له زوجتان •

- وكان لشارلمان زوجتان
وعدد كثير من المحظيات •

- وكان فيليب ملك هيسى
وفردريك ويليام الثانى ملك بروسيا
يمارسان تعدد الزوجات تحت بركات
القساوسة اللوثريون •

- وفى مونستر عام ١٥٣١ دعا
القساوسة الى تعدد الزوجات •

- بل أن مفكرى أوروبا جوستاف
لوبون ، وتوماس يذهبان الى اباحة
التعدد عندما انفرد عقد البغاء
وعللوا رأيهم فى اباحة ذلك بقولهم :
« ان اباحة التعدد تجعل كل امرأة
ربة بيت وتجعلها أما لأولاد شرعيين،
ويعفيها من التردى فى هاوية
الانحرافات وأعشاش العشاق وظلام
المستقبل .. ! » •

وهناك فرق مسيحية فى المجتمع
المسيحى المعاصر تدافع عن تعدد
الزوجات • ومن هذه الفرق •

(ا) فرقة المورمون

بالولايات المتحدة الأمريكية التى
ظهرت فى القرن التاسع عشر وكانت
ترى أن تعدد الزوجات نظام الهى
فى الديانة المسيحية •

(ب) فرقة أنا بافستى الألمانية
التي ظهرت فى القرن السادس عشر
وكانت تدافع عن تعدد الزوجات
كنظام بديل عن نظام العشيقات •

اذن فتعدد الزوجات ليس قضية
اسلامية تنسب الى الاسلام، بل الذى

فأصل حد التعدد بأربع هو الدفاع عن حق نوع من النساء ضعيفات... فلما نزلت الآية والمجتمع صاحب بأنماط

من التعدد تفوق الأربع بين النبي صلى الله عليه وسلم : ان كل مسلم تحته أكثر من أربع وجب عليه أن يقلل من التعدد والا يبلغ بالعدد الذى تحته أكثر من الأربع ففى الالوسى : ان غيلان أسلم وتحته عشر نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك أربعاً وفارق سائرهن *

فالحديث الشريف هو الذى حصر أعلى التعدد فى أربع بعد أن كان التعدد فوضى *

واذن فالاسلام لم ينشئ مسألة تعدد الزوجات بل الاسلام حد منها ووضع لها الضوابط والأهداف *

حكم الاباحة يبقى اباحة :

والله سبحانه وتعالى جعل التعدد المحدود بأربع مباحا بشرط العدل ولا يصح بعد تشريع الله أن يضاف شرط لهذا الشرط أبدا *

لأن التعدد قائم لحل مشكلات قد تكون فردية وقد تكون عامة *

ينسب الى الاسلام انه حدد التعدد ونظمه وجعله علاجاً لمشكلات اجتماعية *

ولقد نقل الاسلام التعدد من اطلاقه الى تعدد محدود بأربع *

ونقل الاسلام التعدد من اطلاقه الى تعدد مع اقامة العدل وأدناه : فلا تذرّوها كالمعلقة *

وتبرز قصة تحديد التعدد فى سورة النساء حفاظاً على شؤون البنية ففى الحديث الشريف :

كان عروة بن الزبير قد سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قول الله تعالى : وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع... » قالت : يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبها مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيهامثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمرؤا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن... الحديث *

فالدولة التي تحارب ويظهر لديها
في بعض الأحيان أعداد كثيرة من
الأرامل ماذا تفعل بهن ؟
ونجيب نعم ولكنه أحلى من
الرهينة لمن استطاعت الى ذلك
سبيلا •

ان منح الدولة لهن بالمعاش
لا يكفي حاجاتها كأثى وإذا تزوجت
انقطع المعاش ، وحياتها في جوار
رجل حلال أشهى لنفسها من التخصي
في ستائر الليل البهيم •
والأفراد أذواق وقدرات وهناك
الأغنياء الذين لا تكفيهم واحدة
وعندهم القدرة على كفاية الحقوق
فأى الأمور أفضل زوجات لثرى
أو عشيقات له •• ؟ !

فهل اذا أرادت أن تتزوج يتحتم
عليها أن تأخذ اذنا من الزوجة
الأولى ، أو أن يكون ذلك أمام
القاضى ؟ والمسألة الزوجية أسرار
تمس الذوق والمشاعر قبل العقل
والمنطق •
والعقم له دور خطير فأى الأحوال
أفضل : زوجة عقيم تبقى مع زوجها
على ضرة قد ينبج منها أو يطلقها ؟
أو يبقى عقيما الى الأبد ؟

رابعا : انطور الرابع

الجنة تحت أقدام الأمهات :

وهنا يأتى حكم الاباحة ليريح
جماعات الأرامل من فضائح الضرات
في المحاكم •
وقد يقال انها نصف سعادة أو أنه
نصف رجل مع كل زوجة •
ولا يترك الاسلام المرأة بعد أن
أدت رسالتها تحت رحمة التقاليد
والعادات بل جعل الوفاء بجميلها
دينا ، وجاور هذا الحق في القدسية
الايمان بالله يقول الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك
الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل
لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
ونجيب نعم ، ولكنه أحلى وأشهى
من رجال كثير مع سيدة واحدة •
ونجيب نعم ، ولكنه أحلى من
اتخاذ عشيق واحد •

كرهما ، واخفض لهما جناح الذل من
الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا (٢٣ - ٢٥ الاسراء) •
(ووصينا الانسان بوالديه حملته
أُمّه وهنا على وهن وفصاله
في عامين أن أشكر لى ولوالديك
الى المصير •

لقد طلب الاسلام من الأنبياء
تجاه الوالدين أن يخضعوا لهما في
خشوع رحيم ، وابرز ذلك في صورة
«واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»
تتهادى آثار عطف الوالد على والديه
كما تتهادى أجنحة الطير من عل في
خفة خفيفة لا يضار معها هابط ولا
مهبوط عليه •

وبعد :

وجعل الاسلام هذا الحق للأُم
مطلقا حتى ولو كانت مشركة ، ففى
مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى
الله عنهما قالت :
قدمت على أُمى وهى مشركة فى
عهد قريش اذ عاهدهم فاستفتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله : قدمت على
أُمى وهى راغبة أفأصل أُمى ؟ قال :
نعم صلى أُمك •

وهى طفلة جعلها الله عوناً لأبيها
فهى مصدر بركة •
وهى فتاة أعطاها حرية الرأى فى
اختيار زوجها فرضاها أصل وهى
زوجة على كرامتها ومشاعرها
ونسبها وأموالها وقيل لها أدخلى
الجنة من أى الأبواب شئت •

والله تعالى يقول فى القرآن
الكريم :

وهى أم قيل لها الجنة تحت أقدام مرفوض من جانب الاسلام فقد
الأمهات فماذا تريد المرأة المعاصرة أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا •
في بلادنا الاسلامية ؟

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا

لعلها صريحة : أتريد الاسلام لا مبدل لكلماته وهو السميع
أم غيره ؟
العليم » •

(سورة الأنعام)

أما أنها تريد أن تضع في الاسلام

د . رءوف شلبي

الأفاعيل باسم التطور والتقدم فهذا

النصح للمسلمين

أمر جرير بن عبد الله رضى الله عنه موله أن يشتري
له فرسا، فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه
لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من
ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ ، قال ذلك اليك
يا عبد الله ، فقال : فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة
درهم ؟ ثم لم يزل يزيده مائه فمائه وصاحبه يرضى وجرير
يقول فرسك خير الى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ،
فقليل له في ذلك ، فقال انى بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على النصح لكل مسلم .

عظمة الرسول

كأبرارها الطالب الأمريكي واشنجنطون أرفنج

التحرير

لقد تناول « واشنجنطون أرفنج » متاعب واضطهادات ، وهو لا يرجو حياة النبي في مختلف مظاهرها ودرس عبقريته في شتى صورها .
وكان طبيعيا أن يتحدث عن مدى تعلق هذا النبي برسائلته وإخلاصه لدعوته . وفي هذا الصدد كتب يقول :

« تعتمد حياة هذا النبي على الإخلاص ، ولم يكن هناك ما يدفعه إلى خوض هذه المصاعب والعقبات التي صادفته عند إعلان دعوته ، لو لم يكن الإيمان الخالص لرب العالمين يسلا فراغ عقله وقلبه . لقد كان قبل دعوته أمينا محبوبا منتميا إلى أشرف قبائل العرب ، وكانت زوجته خديجة على ثراء عريض ، فاجتمع لديه قبل دعوته كرم المحتد والنسب ووفرة المال وطيب السمعة ، ومع ذلك أعلن دعوته بالرغم عما كان يحطيه من

« لقد وقف أبو سفيان - الذي لم يترك فرصة واحدة تمر لا يذأه النبي وأتباعه إلا انتهزها - أمام النبي بعد فتح مكة فعفا عنه ، فما كان من أبي سفيان إلا أن عاد إلى قومه مناديا قائلا :
يا معشر قريش من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . . ومن دخل داره فهو آمن . »

أما عكرمة بن أبي جهل الذي ورث العداوة عن أبيه فقر عند

دعوته أمينا محبوبا منتميا إلى أشرف قبائل العرب ، وكانت زوجته خديجة على ثراء عريض ، فاجتمع لديه قبل دعوته كرم المحتد والنسب ووفرة المال وطيب السمعة ، ومع ذلك أعلن دعوته بالرغم عما كان يحطيه من

دخول النبي مكة • تاركا زوجته الصغيرة الجميلة تتقدم الى النبي وتركم عند قدميه طالبة العفو عن زوجها ، فتقدم نحوها النبي وأخذ

بيدها ، معلنا عفوه عن زوجها ، فأسرعت هذه الزوجة الشابة الى الشاطئ لتخبر زوجها بهذا العفو قبل أن يرحل من البلاد • ولما علم عكرمة بتسامح النبي وعفوه عاد هو وزوجته معنا اسلامه • وعندما

وقفت نساء قريش أمام النبي بعد فتح مكة رأى بينهن هنداً زوجة أبي سفيان ، تلك الزوجة التي لاكت قلب حمزة بعد قتله وقرضته بأسنانها • وظل النبي صلى الله عليه وسلم شاخصا اليها فترة طويلة ، فشعرت بالندم والخجل ، وأسهرت نحوه راكعة تحت أقدامه طالبة الصفح والغفران قائلة :

أنا زوجة أبي سفيان أطلب الصفح والغفران • فعفا عنها النبي بالرغم مما أبدته من قسوة وعنف، وصفح النبي أيضا عن صفع ابنته وهى فى طريقها من مكة الى المدينة صفعة كانت سببا فى القضاء عليها •

فهل وجدنا فى تاريخ العالم كله تسامحا كالذى رأيناه من هذا الرسول الكريم •

لقد كان هذا التسامح سلاحا فعالا من أسلحة المسلمين ، فقد أثرت سماحة النبي وتسامحه فى نفوس العرب فلانت قلوبهم ورقت نفوسهم ، فأقبلوا نحوه فى نفوس آمنة وقلوب واعية ••

وتناول « واشنجطون أرفنج » بعد ذلك بعوثة السياسية ورسله الى القياصرة والملوك فكتب يقول : « أراد النبي أن ينشر دينه فى نطاق واسع ففكر فى الوسائل السياسية والدبلوماسية فأرسل رسله الى القياصرة والملوك والأمراء ، داعيا اياهم الى احتضان دينه ونشره ، ولذلك لم يلجأ الى السيف الا بعد أن استنفذ الوسائل السلمية الأخرى •

لقد أرسل رسله الى كسرى ملك الفرس ، والى قيصر ملك الروم والى المقوقس حاكم مصر كما أرسلها الى النجاشى ملك الحبشة •

كسرى قضى نجه مقتولا بيد ولده
في نفس اللحظة التي كانا يحادثان
فيها النبي • أما رسول النبي الى
قيصر الروم فكان أوفر حظا ، اذ قابله
قيصر مقابلة حسنة ، وحمله عند
عودته بالهدايا وان كان لم يرد على
الرسالة ردا حاسما •

وفي مصر استقبل المقوقس مبعوث
النبي أحسن استقبال وأكرم وفادته
وحمله ايضا بالهدايا عند عودته وكان
من بين هذه الهدايا بغلة لركوب
النبي وجاريتان ، فوقع النبي في حيرة
من أمر قبول الجاريتين كمحظيتين ،
فتزوج أحدهما وهي مارية القبطية
وتزوج أحد أتباعه الجارية الأخرى ،
وكان لذلك أثر حسن عند أقباط
مصر • أما النجاشي ملك الحبشة فقد
قبل الاسلام بمجرد أن تلقى دعوة
النبي •

هذه الرسل والبعوث تدل دلالة
واضحة على أن النبي لم يلجأ الى
القتال الا بعد أن استنفد جميع
الأساليب السياسية والدبلوماسية •
وفي هذا حكمة وروية ومحبة
للسلام ••

وعندما ذهب رسوله الى كسرى
قدم اليه رسالة نبيه ، فأعطاها كسرى
لأحد رجاله الذي بدأ يقرأ ويقول :
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله •• ورسول
الله •• الى كسرى ملك الفرس •
فصاح كسرى غاضبا :

ماذا يقول ؟ !

هل هناك من يجرؤ على أن يكتب
اسمه قبل اسم كسرى ؟ !

وأمسك بالخطاب في غضب وحقد
ومزقه قبل أن يعرف محتوياته •

« لم يكتف كسرى بذلك بل
أصدر أوامره الى حاكم اليمن بأن
يلقى القبض على نبي الاسلام ،
فأرسل هذا الحاكم رجلين الى المدينة
لهذا الغرض فلما وصلا الى المدينة
أبلغا النبي رسالة ملكهم •

فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم :

هل لكما ملك ؟

فبدت الحيرة على وجوههم •
ولما عادا الى دارهما عرفا أن

- وبحث « واشنجنطون أرفنج » ولكي يصور « واشنجنطون أرفنج »
 انتصاراته الحربية وتوسعه السياسى موقف الرسول عند موت ابنه كتب
 وأثرها فى تغير نفسيته وخلقه فكتب يقول :
 فى هذا الصدد يقول :
 « ثم يوقظ انتصاراته الحربية وقد بدأ خضوعه لارادة الله فى
 والسياسية فيه الزهو والفخار ، ولم وضوح تام عندما كان واقفا بجانب
 تثر فى نفسه الأنانية والرغبات ابنه ابراهيم وهو على فراش الموت • •
 الشخصية الجامحة ، بل بقى النبى وكان عزاؤه الوحيد أنه سيلقى ابنه
 بالرغم من هذا كله زاهدا متواضعا فى الفردوس •
 كما كان فى بداية حياته •
 لقد كانت الثروة والجاه بين يديه
 ورهن اشارته ولكن لم ينفقها الا من
 أجل الدين واعلاء كلمة الله •
 لم يكن فى بيت النبى عند موته وكانت الكلمات الأخيرة التى
 دينار ولا درهم ، ولا عبد ولا جارية ، اضطربت على شفثيه رغبته فى أن
 لقد وضع الله كنوز الأرض كلها بين يدخل ملكوت الله مع الأنبياء
 يديه ولكنه كان زاهدا فيها كلها» • السابقين •

من الدراسات المقارنة في الأديان فكرة الألوهية والنبوة ما بين أهل الكتاب والإسلام للمستشار محمد عزت الطرطاوى

فكرة الألوهية عند الاسرائيلين :

ويسمون أيضا باليهود بعث الله اليهم نبيه موسى عليه السلام فاستنقذهم من فرعون وعذابه اذ كان يستحق نساءهم ويذبح أبناءهم وبعد أن نجاهم الله من فرعون وملائه أمرهم بمتابعة الكتاب الذى أنزله على موسى عليه السلام خصوصا ما تعلق بالعقيدة وقد كانت عقيدة التوحيد في بداية أمرهم •

وفي هذه العقيدة كانت تتصف الذات الالهية بالوحدة والكمال ويدل على ذلك ما ورد في سفر التثنية قوله (اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد •• فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك «) •

(انظر الاصحاح ١٦ من سفر التثنية عدد ٤ ، عدد ٥ - العهد القديم من الكتاب المقدس) •

الا أن أسفار العهد القديم والتلمود وهى المراجع الحالية التى تستقى منها فكرة الألوهية عند اليهود ذكرت أن ذلك الاله فى صورة (يهوا) اله شعب اسرائيل فقط وهى صورة بعيدة عن الوحدانية يشترك معه آلهة كثيرون تعبدوها الأمم التى جاورت اليهود فى أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم وكان تصورهم لهذا الاله فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل كما ورد فى سفر التكوين وهذا نصه (فحزن الرب لأنه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه) وقوله (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج) انظر الاصحاح ٦ عدد ٦ من سفر التكوين وكذلك الاصحاح ١١ عدد ٥ من السفر المذكور من العهد القديم من الكتاب المقدس •

ولقد كان اعتقاد اليهود أن الههم (يهوا) هذا لا يريد من شعب إسرائيل أن يلتفت إلى الآلهة الأخرى لأنه يريد أن يستأثر بشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الشعوب وأن يستأثر شعب إسرائيل به لأنفسهم بين سائر الآلهة - وكان النبي أرميا يقول لهم بلسان الرب الههم أن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى - وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها .

ويستخلص مما تقدم أن اليهود لم يكونوا ينكرون وجود الآلهة الكثرين غير الههم (يهوا) الذي يعبدونه تارة - ويتركونه تارة أخرى إنما يحسبون الكفر به ضربا من خيانة الرعية للملكها - وإذا تركوا (يهوا) حيناً من الزمن ثم آثروا الرجعة إلى عبادته فإنما يرجعون إليه لاعتقادهم بالتجربة المزعومة أنه أقدر على التمكن منهم والتنكيل بهم - وإن الآلهة الأخرى عجزت عن حمايتهم من سخطه وانتقامه .

(ماذا وجد في آباءكم من جور حتى ابتمعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا - ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر ..) .

والمتتبع لتاريخ اليهود منذ نشأتهم حتى عصر الميلاد المسيحي يتبين أنهم ضيقوا أفق العبادة لهذا الإله (يهوا) حسب الآتي :

- ١ - فمنذ الابتداء كان شعبه المختار علما شاملا لأبناء إبراهيم عليه السلام .
 - ٢ - ثم أصبح بعد بضعة قرون محصورا على أبناء يعقوب بن اسحق ابن إبراهيم عليهم السلام .
 - ٣ - ثم صار قاصرا على قوم موسى عليه السلام فقط .
- (تقول لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم) .
- انظر سفر أرميا الاصحاح الثاني عدد ٥ وكذلك الاصحاح الخامس عدد ١٩ من السفر المذكور من العهد القديم من الكتاب المقدس .

المرحلة الأولى :

ابتدأ المسيح عليه السلام دعوته في البداية مختصا بها بنى إسرائيل دون سواهم من العالمين كما هو مصرح بذلك في الأناجيل المتداولة بينهم أنه لم يرسل الا الى خراف بنى إسرائيل الضالة - لكنه مع ذلك كان يشير بدعوة التوحيد للاله الواحد وأنه مجرد رسول بشر كما ورد في الأناجيل على لسانه (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) - أنظر الاصحاح ١٧ عدد ٣ من أنجيل يوحنا وقوله (فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد) أنظر الاصحاح ١٢ عدد ٢٩ من انجيل مرقس •

المرحلة الثانية :

لما مضى عصر المسيح عليه السلام جاء بعده عصر بولس والذي لم ير المسيح ولم يتلمذ عليه بل كان عدوا له ولأتباعه وبعد ذهاب المسيح عن العالم انضم الى تلاميذه

٤ - ثم اقتصر بعد ذلك على أبناء داود وعلى من يدينون لعرشه بالولاء ومن ذريته يعتقدون أنه كان ينبغى أن يظهر المسيح المخلص لهم في آخر الزمان من الذلة والضعف وينهض بهم نهضة قوية كما فعل بهم داود عليه السلام من قبل •

وجمد اليهود على هذا المفهوم حتى ظل في عقيدتهم أن (يهوا) اله عبري يستأثر به الذين يدينون بالولاء لعرش داود وذريته من بعده الذين هم من نسل ابراهيم بالجسد فعقيدتهم هي عقيدة شعب مختار بين الشعوب في اله مختار بين الآلهة •

واذا فليس في هذه العقيدة ايمان بالتوحيد ولا هي مما يتسع لديانة الانسانية عامة •

فكرة الالهية عند النصارى :

وهم الذين يقولون أنهم أتباع المسيح عيسى عليه السلام ولقد تطورت هذه الفكرة الى مراحل ثلاث •

جديدة هي عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس وتتلخص في اعتقادهم بأن المسيح المخلص هو ابن الله وان الله أرسله ليقتل فداءً لأبناء آدم وحواء وكفارة عن الخطيئة التي وقع فيها أثراً كليهما من شجرة المعرفة في الجنة بعد أن نهاهما ربهما عن الاقتراب منها •

وان الله وان كان واحداً إلا أنه من أقانيم ثلاثة هي الآب والابن والروح القدس - وأن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم وهو ذو طبيعة الهية واحدة في مذهب فريق من النصارى وذو طبيعتين الهية وانسانية في مذهب فريق آخر •

فكرة الألوهية في الإسلام :

المتبع للعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد أن هذه العقيدة هي عقيدة التوحيد الخالص المجرد لله سبحانه وتعالى - وأن موقف الإسلام في هذه العقيدة كان موقف المصحح للعقائد الكتابية السابقة - ولم يكن موقف الناقل المستعير (كما يزعم بذلك المبشرون والمستشرقون) •

وحواريه وزعم أنه رسول مثلهم ثم اختلف معهم واقرّد بتعاليم خاصة اذ أضاف الى عقيدة الألوهية التي كانت لدى العبرانيين من ذرية ابراهيم تفسيراً آخر بأن البنوة لابراهيم عليه السلام لا تتوقف على بنوة الجسد بل أنها بنوة روحية تشمل الغرباء عن اليهود ممن يعتقدون باعتقاد بولس لذلك كانت عقيدة النصرانية وقتئذ في الألوهية فكرة متطورة عن العقيدة اليهودية في الألوهية فبعد أن كانت العقيدة الالهية عند اليهود هي الايمان بالاله لأبناء ابراهيم في الجسد صارت عند النصارى الايمان بالاله لأبناء ابراهيم في الروح (فانه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببر الايمان) هذا ما ورد برسالة بولس الى أهل رومية بالأصحاح الرابع عدد ١٣

المرحلة الثالثة :

لما اتصلت النصرانية بالأمم الأجنبية بعد ذلك وفي مقدمتها الأمة المصرية شاعت فيها عقيدة الهية

لذلك كانت دعوته الى الله دعوة الى اله منزه عن لوثة الشرك منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب منزه عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية الى الأديان الكتابية .

٤ - وهو واحد أحد ما كان له أن يلد أو يولد قال تعالى (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد .) سورة الاخلاص ١، ٢، ٣ .
٥ - ولم يكن له شبيه قال تعالى :

١ - فالله الذى تعبدته أمة الاسلام اله واحد لم يكن له شركاء قال تعالى (أم لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون) سورة الطور ٤٣

(ولا تزر وازرة وزر أخرى) سورة الاسراء ١٥
٢ - وما هو رب قبيلة ولاسلالة يؤثرها على سواها كسلالة ابراهيم ويعقوب وداود ولكنه هو رب العالمين - قال تعالى :

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) سورة البقرة ١٣٤
(الحمد لله رب العالمين) سورة الفاتحة ٢

٣ - خلق الله الناس جميعا ليتعارفوا ويتفاضلوا بالتقوى فلا فضل بينهم لعربى على عجمى أو قرشى على حبشى قال تعالى :

٨ - ولا يدين العالم كله بغير نذير قال تعالى :
(وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا) سورة الاسراء ١٥

٩ - والاسلام دين الرحمة فافتتح كل سورة من كتابه الكريم بقوله تعالى :
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان (سورة الأحزاب ٧٢

(بسم الله الرحمن الرحيم) سورة الفاتحة ١
١٣ - ويتصل بأمانة التكليف قابلية الانسان للعلم قال تعالى :

١٠ - كما ان الاسلام أيضا دين العدل قال تعالى :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق) سورة العلق ١

(وما أنا بظلام للعبيد) سورة ق ٢٩
(اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) سورة العلق ٥،٤،٣

١١ - والآله في الاسلام عليهم بكل شيء قال تعالى :

١٤ - ولا يعرف الاسلام الخطيئة الموروثة فخطيئة آدم لا تدينه أبدا ما دام قد رجع الى ربه ولا تدين أبنائه من بعده - ونجاته كانت رهينة بتوبته الى الله قال تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى) سورة طه ١٢١ ، ١٢٢ (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) سورة البقرة ٣٧

(وسع ربنا كل شيء علما) سورة الأعراف ٨٩
(وهو بكل خلق عليم) سورة يس ٧٩

١٢ - وحمل الانسان بوصفه خليفة الله في الأرض أمانة التكليف فان أقامها ارتفع مكانا فوق مكان الملائكة - وان أهملها هبط الى أسفل سافلين بل الى زمرة الشياطين قال تعالى :

(انا عرضنا الأمانة على السموات
أما عن الشر والشیطان فقد كان اعتقاد اليهود في الشيطان أنه روح من أرواح كثيرة (تستطيع القيام

بالعمل كما يفعل معبودهم والههم (يهو) •

(ا) ففي الاصحاح الثالث عشر من سفر زكريا عدد ٢ قوله (وأزيل الأنبياء أيضا والروح القدس من الأرض) •

(ب) وقوله (وأرسل الرب روحا رديا بين أيمالك وأهل شكيم) انظر سفر القضاة اصحاح ٩ عدد ٢٣ بالعهد القديم •

(ج) وقوله (والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه أنبيائك هؤلاء) انظر سفر أخيار الأيام الثاني اصحاح ١٨ عدد ٢٢ بالعهد القديم •

(د) كما جاء في سفر أخيار الأيام الأول بالعهد القديم أن الشيطان هو الذى وسوس لداود وأمره باحصاء بنى اسرائيل ومعه بنو يهوذا وذلك في الاصحاح ٢١ عدد ١ وما بعده في قوله (ووقف الشيطان ضد اسرائيل وأغوى داود ليحصى اسرائيل) •

ولما ظهرت النصرانية شاع في اعتقادها أن للشيطان عملا جسيما يوشك أن يضارع عمل الاله حتى أنه سمي في كتبهم باسم رئيس هذا العالم الذى يضل العالم أو الأسد الزائر وقد كانت له مملكة الدنيا ولله ملكوت السموات - وانه لولاه لما وقعت الخطيئة التى سقط الجنس البشرى فيها ولا وجبت الكفارة بالفداء • فقد ورد في الاصحاح الخامس من رسالة بطرس الأولى عدد ٨ قوله (اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقا من يبتلعه) كما ورد في الاصحاح الثاني عشر عدد ٧ من رؤيا يوحنا اللاهوتى قوله (والشيطان الذى يضل العالم كله طرح الى الأرض وطرحته معه ملائكته) أما الاسلام فقد اعتبر الشيطان قوة الشر لا مراء ولكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الانسان ما لم يستسلم لها بهواه قال تعالى في كتابه العزيز حاكيا عن الشيطان (وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من

سلطان الا أن دعوتكم فاستجيتهم
لى - فلا تلو موني ولوموا أنفسكم)
على المغييات امتحانا لصدق النبى
فى دعواه •

سورة ابراهيم ٢٢

ففى سفر صموئيل انهم كانوا
يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية
الضائعة وينقدنه أجره على ردها
والنصوص الآتية تؤكد ذلك وهى
فى الاصحاح التاسع من سفر
صموئيل الأول •

(ان عبادى ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين)
سورة الحجر ٤٢

فكرة النبوة عند اليهود والنصارى:

كانت النبوات فى القديم تقوم
حجتها الكبرى على الغرائب
والأعاجيب والخوارق والمعجزات -
وكان اليهود يسمون النبى بالرائى
أو الناظر أو رجل الله ولم يطلقوا
عليه اسم النبى الا بعد مجاورتهم
للعرب - ومعرفتهم بأربعة من
أنبيائهم هم ملكاى صادق الذى كان
معاصرا لابراهيم الخليل -
وأيوب - وبلعام - وشعيب معلم
موسى عليهم السلام •

١ - (وكان رجل من بنيامين
اسمه قيس بن أييبيل •• وكان له ابن
اسمه شاول •• فضلت أتن قيس أبى
شاول فقال قيس لشاول ابنه: خذ معك
واحدا من الغلمان وقم اذهب فتنش
على الأتن •• ولما دخلا أرض
صوف قال شاول لعلامه الذى معه
تعالى نرجع لئلا يترك أبى الأتن
ويهتم بنا - فقال له هو ذا رجل
الله فى هذه المدينة والرجل مكرم -
كل ما يقوله يصير لنذهب الآن الى
هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى
نسلك فيها فقال شاول للغلام هوذا
نذهب فماذا تقدم للرجل - لأن
الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من
هدية تقدمها لرجل الله - ماذا
معنا - فعاد الغلام وأجاب شاول

وقد ذكر الأستاذ هولشر
والأستاذ شميدت وهما من علماء
الغرب أن كلمة نبى دخلت فى اللغة
العبرية بعد وفود بنى اسرائيل الى
فلسطين - وكان بنو اسرائيل
يخلطون بين مطالب السحر والتنجيم
ومطالب الهداية - ويجعلون الاطلاع

بنيه وقال اجتمعوا لأبئكم بما
يصيبيكم في آخر الأيام - اجتمعوا
واسمعوا يا بني يعقوب واصغوا
الى اسرائيل أبيكم) *

١ - راوينا أنت بكرى قوتي
... فائرا كالماء لا تتفضل ...

٢ - شمعون ولاوى اخوان
آلات ظلم سيوفهما فى مجلسهما
لا تدخل نفسى *

٣ - بمجمعهما لا تتحد كرامتى
... ملعون غضبهما فانه شديد
وسخطهما فانه قاس *

٤ - يهوذا ... جرو أسد من
فريسة صعدت يا ابنى - جثا
وربض كأسد وكلبوة من ينهضه *

٥ - زبلون عند ساحل البحر
يسكن ...

٦ - يساكر حمار جسيم رابض
بين الحظائر ...

٧ - دان يدين شعبه ... يكون
دان حية على الطريق أفعوانا على
السبيل يلسع عقبى الفرس *

وقال هوذا يوجد بيدى ربع شاقل
فضه فاعطه لرجل الله فيخبرنا عن
طريقنا سابقا فى اسرائيل هكذا
كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل
الله « هلم نذهب الى الرائي » لأن
النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي ...
والرب كشف اذن صموئيل قبل
مجيء شاول بيوم ... فاجاب صموئيل
شاول وقال أنا الرائي ... واما الاتن
الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع
قلبك عليها لأنها قد وجدت ... *

(انظر سفر صموئيل الأول
الاصحاح التاسع من عدد ١ الى
عدد ٣٠) *

كان يؤخذ من النبوءات التى
نسبوها الى النبي يعقوب جد بنى
اسرائيل انهم كانوا يعولون عليه
فى صناعة التنجيم - كما أن
النبوءات المقرونة بأسماء أبناء
يعقوب قد تشير الى حيوانات أو
الى أبراج السماء وما ينسب اليها
من طوابع - ومثال ذلك ما ورد
فى الاصحاح التاسع والأربعين من
سفر التكوين منسوباً الى يعقوب
عليه السلام فى قوله (ودعا يعقوب

من نقمة (يهو) الذي تعودوا أن يعاقبهم بالمصائب الجسيمة كلما انحرفوا عن شريعته وأشركوا بعبادته ربا آخر من آلهة الشعوب الأخرى ومثال ذلك ما ورد بالاصحاح الخامس عشر من انجيل متى عدد ٢١ عن المسيح عليه السلام قوله (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني ياسيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جدا ... حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريد فشفيت ابنتها من تلك الساعة) *

فكرة النبوة في الاسلام :

أما النبوة في الاسلام فقد برئت من شوائب السحر والكهانة والتنجيم والمغيبات وخوارق العادات لذلك لم تكن منقولة من نبوة اليهود ولا هي محرفة عنها أو نسخة منها لأن النبوة في الاسلام تقوم حجتها الكبرى على هداية العقل والضمير لا على عمل الفرائب والأعاجيب وكانت لا تدعو الى رب

٨ - جاد يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخره *

٩ - أشير - خبزه سمين وهو يعطى لذات ملوك *

١٠ - قتالي - أيله مسبيه يعطى أقوالا حسنه *

١١ - يوسف غصن شجرة مشمرة على عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط *

١٢ - بنيامين - ذئب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهبا *

وكانت النبوة صناعة وراثية عند اليهود يتلقاها الأبناء عن الآباء كما جاء في سفر الملوك الثاني في الاصحاح السادس (وقال بنو الأنبياء لاليشع هو ذا الموضع الذي نحن مقيمون فيه أمامك ضيق علينا فلنذهب الى الأردن) وكان يجب على النبي في عرف اليهود أن يكون مستعدا بكراماته ومعجزاته كلما أراده أو طلبت منه خصوصا استطلاع الخبايا كما قدمنا أو انذار

سلالة أو رب قبيلة بل كانت نبوة ولا يعلم أن الخوارق والمعجزات
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تنفع أحدا لا ينتفع بعقله ولا يتفكر
تدعو الى عبادة الله رب العالمين فيما يسمع من نبي أو رسول •
رب العربي والأعجمي رب الأبيض قال تعالى (قل إن الأمر كله لله)
والأسود ورب كل قبيلة •

سورة آل عمران ١٥٤

قال تعالى (قل يا أيها الناس اني وقال تعالى (قل لا أقول لكم
رسول الله اليكم جميعا) سورة عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب)
الأعراف ١٥٨

سورة الأنعام ٥٠

المستشار
محمد عزت اسماعيل
الطهطاوى

وأن النبي في الاسلام لا يعلم
الغيب ولا يملك خزائن الأرض ولا
يلدغ السوء عن نفسه فضلا عن قومه

شذرات متفرقة

- * ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه .
- * الذنوب جراحات ورب جرح وقع في مقتل .
- * قيل لبعض العباد الى كم تتعب نفسك فقال راحتها أريد .
- * المعاصي سد في باب الكسب وإن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه .

في مواجهة الإلحاد المعاصر

نقد نظرية التطور الحيوي عند رابرت وارين وأتباعه

للكيثرينجيمى لهاشم

المقال الأول

أولا : وقوعها في جملة من الأخطاء والتجاوزات العلمية شاع أمرها في الأوساط العلمية التجريبية المعاصرة .

ثانيا : قيامها على عدد من الافتراضات غير الملزمة .

ثالثا : قيامها على القول بالصلفة في أهم مراحل التطور ، وهو قول لا يستسيغه العلم أو الدين على السواء .

رابعا : استناد أدلتها الى فكرتي التشابه والترتيب بين الأطوار ، وهو لا يصلح أساسا للقول بضرورة وجود علاقة ذاتية بين هذه الأطوار .

خامسا : أنه مع التسليم بصحة الافتراضات التي قامت عليها النظرية فهي لا تقتضى إلغاء الإرادة الالهية ومن ثم ينبغي أن يبقى فيها مكان

يتوجه هذا النقد الى فاحيتين : ناحية عامة يشترك فيها ما يشاع عن هذه النظرية مع النظريات الأخرى التي تحاول أن تتخذ من العلم التجريبي سندا لرفض المعرفة الالهية أو الميتافيزيقية وذلك حيث تقوم على « الاعتقاد » بأن المادة أصل الأشياء .

والرد على ذلك بوجه عام يرجع الى المباحث الخاصة بالعلاقة بين الدين والعلم ، وبيان انحراف المذاهب المادية عن العلم الصحيح فيما تذهب اليه من افكار الغيبات METAPHYSIC أو المطلقات ABSOLUTE أو انكار الارادة الالهية .

ويتوجه النقد الى نظرية التطور من الناحية الخاصة بها في النقاط الخمسة التالية :

خاص لنظرية الخلق الخاص بالنسبة لبعض الأنواع (الانسان) • وهذا ما تحتمه وجهة النظر الاسلامية التي لا تترك مجالاً للتوفيق بينها وبين هذه النظرية فيما يتعلق بخلق آدم مهما تكن محاولات هذا التوفيق •

وستكلم عن كل نقطة من هذه النقاط بشئ من التفصيل فيما يلي:

ولا : نقد المذهب في الاوساط العلمية :

١ - علت الصيحة من جوانب العالم الجديد - أمريكا - منذ سنين بأن نظرية داروين في أصل الأنواع لا تتفق والمشاهدات الحديثة التي قامت بها فئة من العلماء الطبيعيين ، وعلى رأسهم العلامة باتسون ، حيث صرح في الاجتماع الذي عقدته جماعة تقدم العلم في أمريكا بمدينة تورنتو عام ١٩٢١ بقوله : « ان جزءاً جوهرياً من نظرية النشوء العضوي - ذلك الجزء الذي يبحث في أصل الأنواع وطبيعتها -

ولقد بلغت حملة دكتور باتسون على نظرية النشوء غاية ما يمكن أن تبلغ حملة عملية من التأثير فان دعوة ذلك الباحث قد امتدت الى نواح من أوروبا ، وكانت على أشدها في الولايات المتحدة وكندا ، حتى أن ولاية « كانساس » قد أصدرت قانوناً يحرم على جامعاتها تدريس مذهب النشوء (١) •

٢ - وترتبط نظرية النشوء بنظريات علم الجيولوجيا ، وتتوقف

على نظرية النشوء غاية ما يمكن أن تبلغ حملة عملية من التأثير فان دعوة ذلك الباحث قد امتدت الى نواح من أوروبا ، وكانت على أشدها في الولايات المتحدة وكندا ، حتى أن ولاية « كانساس » قد أصدرت قانوناً يحرم على جامعاتها تدريس مذهب النشوء (١) •

(١) انظر ملقى السيل لاسماعيل مظهر ص ٣١٥ ، بينما يتصدى .

المؤلف لشرح نظرية داروين والدفاع عنها دفاعاً عاماً . والذي يعيننا هنا هو أن نوضح أن النظرية ليست موضع التسليم من الاوساط العلمية نفسها ، بما في ذلك المعاصرة .

وكان يؤيد مذاهب النكبات كثير
من فحول العلماء منهم «سيدويك»
و «بوكلاند» و «كونيسير»
و «هيويل» و «هنسلو»
و «كوفيه» .

وفي أوائل القرن التاسع عشر
ظهر كل من سكروب ، و ليل ،
الذين أخذوا يهدمان مذهب النكبات .

وإذا كان كثير من العلماء
يستبعدون مذهب النكبات فانهم
يفعلون ذلك باعتبار أنه يتحدث عن
أخبار أو فروض أو احتمالات
لا سبيل له الى أن يؤكد بالبحوث
التجريبية .

وفي نظري أن من يطلون هذا
المذهب يرتكبون نفس ما ارتكبه
من الانسياق وراء فروض لا سبيل
الى تأكيدها عن طريق البحوث
التجريبية .

ويتبين ذلك من الأساس النظري
الذي يقوم عليه ابطال مذهب
النكبات . فهو يقوم على القاعدة
التالية التي وصفها سكروب في
كتابه الذي نشره عام ١٨٢٢ م

صحتها على ما يتقرر في علم
الجيولوجيا من نظريات أو حقائق ،
لصلة ذلك بالحفريات التي تتخذها
النظرية دليلا على ما تذهب اليه .
ومن المقرر أن هذه النظرية تعتمد
اعتمادا أساسيا على بطلان مذهب
النكبات في الجيولوجيا .

وينحصر القول في مذهب النكبات
بأن الأرض كان ينتابها في عصورها
الأولى نكبات جيولوجية تمضي بكل
ما على سطحها من حيوان ونبات ،
ثم تأخذ الحياة العضوية في الظهور
على سطح الأرض حالا بعد حال ،
حتى تنتابها نكبة أخرى تمضي بما
يكون قد نشأ فيها من الأحياء ،
وهكذا دواليك على مر العصور .

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر
« لاجرم أن هذا المذهب الذي
انتشر وذاع في أواخر القرن الثامن
عشر وأوائل القرن التاسع عشر كان
أكبر حائل يقوم دون انتشار مذهب
النشوء والارتقاء » .

وذلك لأنه يقضى قضاء تاما على
دلالة الحفريات التي تعتمد عليها
نظرية النشوء .

ويلحق كونات على مذهب تشارلى ليل «مذهب اطراد القوى» فيقول: «أنه غالى في موقفه من انكار التغيرات العنيفة المحتملة مغالاة صرفت عنه الجيولوجيين من بعده» كتب أحد رجال هذا العلم منذ قريب يقول «ان مذهب اطراد القوى ليس صحيحا كله في كل وقت» • ثم يقول كونانت «ونحن اذا قرأنا اليوم في كتاب في الجيولوجيا: أن الصخور تصنع اليوم بنفس الطريقة التي صنعت بها منذ مئات الألوف من السنين وآمنا بكل ما في هذه الجملة من معنى لم نأمن ضلالا^(٢)» •

ويقول كونانت بعد أن يسوق تقدير الجيولوجيين المحدثين لعمر الأرض بأنه حوالى بليونين من الأعوام: «أن أكثر من عالم فيزيائى شك في صحة فرض أن المادة كانت تتطبع في تلك الأعمار البعيدة كما هى تنطبع اليوم، وتساءل: ما أثر هذا المعنى الجديد - معنى الزمن

» هنالك ظاهرات طبيعية عديدة تؤثر في الوقت الحاضر في سطح الكرة الأرضية فتحدث تغيرات متعددة في تكوين أوصافها الظاهرة مسببة كل الشبه بما كان ينتاب الأرض في عصورها الأولى» ^(١) •

ويتبين من كلام سكروپ أن علم الجيولوجيا يجب أن يقتصر على دراسة «الظاهرات الطبيعية العديدة التى تؤثر في الوقت الحاضر في سطح الكرة الأرضية» وأنه يفترض أن هذه التغيرات «شبيهة كل الشبه بما كان ينتاب الأرض في عصورها الأولى» •

ومن الواضح أن هذا الأساس يقوم على مجرد التشابه المفترض، وهو لا يشفى غيلا، ولا يكفى لاستخلاص النتائج التى تذهب إليها نظرية النشوء والارتقاء، بل انه يقوم على افتراضات لا فرق بينها وبين الأخبار التى ذهب إليها مذهب النكبات في ميزان النقد العلمى التجريبي الصحيح •

(١) انظر ملقى السبيل من ص ٢٠٠ الى ٢٠٦

(٢) مواقف حاسمة في تاريخ العلم ص ٣٨٩

هذه الأرض أحداث عنيفة في أحقاب سابقة بعيدة ، كان فيها بناء الجبال وأشباه الجبال ، عملت فيها قوى هائلة أعنف كثيرا مما تعودنا منها على ظهر الأرض .. (١) وهذا يعنى عدم اطراح مذهب النكبات اطراحا تاما .

وإذا كان بعض الباحثين يتشكك في دلالة الحفريات الآن بعد أن حدثت أخيرا التفجيرات الذرية وامتلاء الجو بالاشعاعات وكثر تشغيل الأفران الذرية (أو ما يسمى بالمفاعلات النووية) مما تتج عنه أحزمة منيعة حول الأرض لم يسبرغور أثرها حتى الآن .. (٢) .

فإن لنا أن نتوقف كثيرا أمام دلالة هذه الحفريات حتى قبل حدوث التفجيرات النووية المعاصرة، لاحتمال قريب يفرضه التصور

« أما اليوم فكل النظريات العلمية لحدوث أحداث كونية أو الجيولوجية متفقة على أنه كانت على أرضية شبيهة بهذه التفجيرات أو

يقاس بالآلاف الملايين من السنين فيما نحن فيه اليوم من أمور ؟

أن الفيزيائي وجد أخيرا أن الضرورة تضطره الى تغيير آرائه عن كل من الفراغ والزمن ، اذا واجهته في بحوثه سرعات عالية بالغة العلو ومسافات صغيرة بالغة الصغر لم يكن له بها عمد . والذي جاز هناك يجوز هنا - أى في الجيولوجيا - ، واذن يصح أن نقول أن صورتنا الحاضرة عن الزمن لا يصح نقلها في الشئون الكونية الى ملايين السنين ومشروعاتنا التصورية في العلم عندما يدخلها هذا العامل الجديد - عامل هذا الزمن البعيد - قد تتعرض لمعارضات ومناقضات كلما حاولت أن تحتوى الجديد من حقائق العلم .

ثم يقول بالنسبة لمذهب اطراح القوى :

(١) مواقف حاسمة ص ٣٩٦ ، ٣٩٧

(٢) الدكتور محمود أحمد الشربيني في بحث له بعنوان « الانسان بين العلم والبيئة » بمجلة عالم الفكر. العدد الرابع من المجلد السابع ص ٩١٣ - ٩١٥

المقال الثاني

ثالثا : وتفتقد نظرية النشوء والارتقاء أساسها التجريبي عند ما تعجز عن تقديم مشاهداتها « للحلقات المتوسطة » •

يقول أصحاب هذا النقد أن فقدان الصور الوسطى التي تربط بين الأنواع ، وعدم ظهور جزئيات التحول الحقيقي في شعب النظام العضوى في الحفريات التي عشر عليها حتى الآن دليل على أن المذهب غير صحيح ، أو على الأقل على أن المذهب أبتز غير كامل في كثير من وجوه العملية والاستنتاجية •

ويلخص الأستاذ مظهر دفاع زعماء النشوء ضد الاعتراض فيقول :

« ان الباحث اذا تعمق في الدرس وجد أن الجيولوجيين والحفرين وعلماء التاريخ الطبيعى والحياة قد اتفقت مباحثهم على الايمان بوجود حلقات تربط بين كثير من الأنواع الحية ، وحلقات تربط بين أنواع

أعظم منها في تاريخ الأرض الطويل تحول بيننا وبين أى استنتاج صحيح من الحفريات ••

ويعلق كونات على دلالات الاشعاع في علم الجيولوجيا فيقول « في السنوات الختامية من القرن الماضى اكتشفت ظاهرة النشاط الاشعاعى ، ونشأ منذ الخمسين من السنوات الماضية علم جديد نافع شديد النفع للجيولوجيين ، فقد وجد أنه به يمكن تحديد تاريخ طبقات الصخور المختلفة ••

ولكن كونات يكشف لنا عن أن دلالات الاشعاع في هذا المجال مبنية على افتراضات ، هى :

أولا : افتراض أن سرعة التغير الحادث فى النشاط الاشعاعى كانت ثابتة على الأحقاب الكثيرة الماضية» •

ثانيا : « افتراض أن المعدنيات التى حللناها بقيت ثابتة التركيب طوال تلك الأجيال ، ويؤكد كونات ما نذهب اليه فيقول : « ومع هذا فهى افتراضات (١) •

حية وأنواع منقرضة منذ أزمان موعلة فى القدم • • •
القوانين ، وخضوعها للتغير ، شأنها فى ذلك شأن الظواهر سواء بسواء •

ثم يقول «فاذا وعينا أن النواميس الطبيعية واحدة لم تتغير - ولن تتغير على مدى الأزمان - ثبت لدينا أن ما يصدق على قليل من الأنواع قد يصدق على غيرها قياسا (١) •

وهكذا يتضح أن هذا الدفاع يبين أن النظرية لا تركز على أسس تجريبية وانما تقوم على الايمان - مطلق الايمان - بوجود حلقات لم تعرف بعد ، ويقوم كذلك على الاعتقاد بأن ما يصدق على قليل من الأنواع قد يصدق على غيرها قياسا •

وهذا أيضا يقوم على مطلق الايمان ، كما يقوم على أساس أن النواميس الطبيعية حتمية لا تتغير على مدى الأزمان •

وما يقوله اسماعيل مظهر عن القوانين الطبيعية يخالف به ما تقرر فى الأوساط العلمية من احتمالية هذه

ثم ينحو الأستاذ اسماعيل مظهر فى دفاعه ضد النقد المذكور نحو آخر اذ يقول : (ان الذين يؤمنون بصحة هذا الاعتراض لم يستطيعوا أن يأتوا ببرهان واحد على أن صور الأحياء المنقرضة برمتها قد يمكن حفظها سالمة فى باطن الصخور) وهذا وضع مقلوب ، لأن الناقد مانع ، فليس مطلوباً منه أن يأتى بدليل ، وانما الدليل مطلوب من أصحاب نظرية التطور ، فهم الذين يقال لهم أين دليلكم على أن صور الأحياء المنقرضة برمتها لا يمكن حفظها سالمة فى باطن الصخور ، فاذا عجزوا عن ذلك وذهبوا الى القول بأن (الكثير من صور الأحياء الأولى - أو بالأحرى الحلقات - قد تلاشت بتأثير الأعاصير الطبيعية) فان هذا لا يعنى شيئاً الا أن أصحاب النظرية - نظرية التطور - قد فقدوا مصادر الأدلة التى يمكن أن يلجأوا اليها •

ان داروين نفسه يقول «ان الشطر الأعظم من مجموعتنا الحفرية وصور الحياة المتحجرة غير كامل ، بل هو جزء صغير بالنسبة لما هو مختلف في باطن الأرض » • ويقول « ان الملاحظات الجيولوجية التى تؤيد مذهب النشوء على حال من الاضطراب والنقص قل أن تسبق الى حدس الباحثين » •

ومن الواضح أن القول بما يتعذر بقاؤه في الطبيعة ، وبما يكون العثر عليه فيها أشد تعذرا ، ليس قائما بحال من الأحوال على «الدليل والمشاهدة » وانما يقوم على مجرد الايمان بالغيب •

ويقول الدكتور بخنر - أحد العلماء الفلاسفة الذين آمنوا بداروين على نحو مادي صريح : اذا تذكرنا أن ثلثي الأرض أو ثلاثة أخماسها تحجبها البحار ، وأن قسما كبيرا من الثلث الباقي تغطية الجبال الشاهقة علمنا أنه تمنعنا عن الأبحاث العلمية موانع طبيعية (١) » •

ان داروين نفسه يعترف بخطورة النقد الموجه الى هذا الموضع من النظرية : انه يقول : (الحقيقة أن علم الجيولوجيا لا يجبونا بتلك السلسلة المنظومة من الصور العضوية ، والراجح أن يكون هذا الاعتراض أنكى ما يقوم في وجه التطور) (٢)

فهل يصلح هذا اعتذارا يجعلنا نتقبل النظرية وقد فقدت مصدر أدلتها ؟؟

ان النظرية الداروينية في هذا الموضع الأساسى تقوم على مجرد

(١) ملقى السبيل ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

(٢) ملقى السبيل ص ٢٥٧

(٣) ملقى السبيل ص ٢٥٨

يقول اسماعيل مظهر : (وخلق بنا
أن لا نفعل عن أن الاضطرابات
الأرضية والزلازل وطغيان الماء
والأعاصير الطبيعية التي كانت تنتاب
الأرض حيناً بعد حين ، وتحول
الأرض من يابس الى بحر ، ومن
بحر الى يابسة ، كانت من أبلغ
تلك المؤثرات التي ذهبت ببقايا تلك
العصور ، فالعصور التي غمرها
البحر وقذف بها في طياته لا يمكن
معرفة ، والبقاع التي صارت أرضاً
بعد أن كانت بحراً لا يوجد فيها
صور جديدة باعتبار الباحثين ، اللهم
الا بعض أصداف وبقايا الأسماك
شائعة في كثير من بقاع الأرض وهذا
محض اعلان - غير مقصود -
لافتقاد الأدلة التي تحتاج اليها
النظرية في باب الحفريات (١) .

(٤) وإذا كان النقد يوجه الى
هذه النظرية لفقدان الحلقات
المتوسطة ، فانه وجه اليها أيضاً
لوجود « الصور الثابتة » .

أيمكن بعد أن ظهر تهافت هذه
النظرية في ادعائها القيام على الأدلة
التجريبية والملاحظة الطبيعية أن
يعترض أصحابها على نظرية الخلق
المستقل بأن القول بالخلق المستقل
لم يقم عليه دليل تجريبي أو مشاهدة
طبيعية ؟ (١)

وهل كان الاستناد الى الأدلة
التجريبية الا دعوى أصحاب
التطور ؟ • أليس أصحاب نظرية
الخلق المستقل بعيدين تماماً عن هذا
الادعاء) فكيف يحاسبون عليه ؟
بينما الذين يدعونه صفر اليدين
منه ؟؟

وبالرغم من أنه من المقرر أن نظرية
التطور لم تستند الى أدلة علم
الحفريات الا بعد أن تصدى العلماء
مثل سكروب و ليل لنقد مذهب
النكبات الا أنه من العجيب أننا
نجد أصحاب هذه النظرية يلجأون
الى الاعتذار بالنكبات عندما
يواجهون بفقدان الحلقات المتوسطة .

(١) ملقى السبيل ص ٢٦١

(٢) ملقى السبيل ص ٢٨١

الجيولوجية « بينما » لا نلبث أن نرى في أول العصر الذي يليه أنواعا برمتها أو أجناسا قد انقرضت من الوجود •

وهذا ما دفع الأستاذ اسماعيل مظهر - بالرغم من ايمانه المطلق بنظرية داروين - الى القول :

(الحقيقة أن نشوء العضويات وتطورها كان ذا قفزات فجائية الى التغيرات أو الثبات على صفة من الصفات •• خضوعا لسنن نجهل أكثرها الجهل كله ••) (٢) •

ومع ذلك فإن الأستاذ اسماعيل مظهر يقول في نقده لنظرية الخلق المستقل معتمدا على ما يشبه علم الحفريات :

(لو فرضنا مثلا أن الأنواع قد ظهرت طفرة أو خلقت ووضعت على سطح الأرض بين فترات زمان محدود مستقلة في الخلق والنوعية لوجدت آثار الحيوانات العليا كذوات الثدي

لقد دلت مباحث الحفريات على أن كثيرا من المراتب الحيوانية قد ظلت غير متغيرة خلال أزمان مديدة من الأعصر الجيولوجية فأطلق عليها الباحثون اصطلاحا اسم « الصور الثابتة » •

وهذه الصور الثابتة بعضها « يستنفد قدرته على انتاج التنوعات والأنواع والأجناس حتى تضمحل وتأخذ طريقها الى الانقراض » •

« وكثير من الصور الثابتة قد احتفظت بكيانها الى عصرنا الحاضر، مقصورة في البقاء على بقاع معينة •• قد حازت أكبر الكفاءات التي أهلتها للبقاء في تلك البقاع » (١) •

ومن الواضح أن وجود هذه الصور الثابتة لا يتمشى بأية حال مع قوانين نظرية التطور ، اذ ليس في هذه القوانين ما يجعلها تكف عن احداث التغيرات في بعض الصور ، ويتركها مع ذلك قادرة على البقاء « عصرا برمته من العصور

(١) ملقى السبيل ص ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) ملقى السبيل ص ٢٨١

مثلا في طبقات العصر الجيولوجي الحفريات - ان صحت - من أن
الثاني ، أو الحيوانات الفقارية في الظهور كان على أزمان شديدة
طبقات العصر الجيولوجي الأول • التطاول ••

أما وقد دل البحث على أن كل طبقة من طبقات الأرض تختص بأنواع وصور مخالفة لما تختص به سابقتها أو لاحقها (١) كان ذلك دليلا على تدرج الوجود ، وعرفنا

من جهة أخرى السبب في أن كل طبقة من الطبقات تختص في كل زمان بظهور أنواع معينة من النباتات والحيوانات تنسب إليها (٢) •

وكلام الأستاذ اسماعيل مظهر ينطوي على مغالطين :

أولاهما : قوله بأن نظرية الخلق المستقل تحتم القول بظهور الأنواع « بين فترات زمان محدود » ، وقد ارتكب هذه المغالطة لكي يجعل هذه النظرية تصطدم مع ما تدل عليه

(١) يفترض البحث الجيولوجي المتصل بالحفريات أن الاسماك واللافقاريات ظهرت في العصر الجيولوجي الاول ، والزواحف في الثاني ، والثدييات في الثالث ، والقردة والانسان اول في الرابع . انظر ملقى السبيل ص ٢٥٠

(٢) ملقى السبيل ص ٢٥٣ ، ٢٥٤

فالسلاحف - مثلاً - ظلت بدون تغيير يذكر لمدة تقدر بحوالى ١٧٥ مليون سنة بينما نشأت ثم انقرضت عدة أنواع من الجنس البشرى فى أقل من نصف مليون سنة .

(ب) أن التطور يحدث فى بعض الأزمنة بسرعة أكبر من حدوثه فى أزمنة أخرى ، وذلك بالنسبة للنوع الواحد .

وتعليقنا على هاتين النقطتين أن نقول :

أنه لما كان ذلك لا يتفق مع حتمية قوانين التطور ، وأنه لما كان العلم لا يقدم تفسيره لذلك فأن الرجوع الى مبدأ الارادة الالهية يصبح هو التفسير الوحيد .

(ج) أن التطور لا يكون دائماً الى كائنات أكثر تعقيداً - وهى القاعدة الأساسية فى كل نظريات التطور - اذ توجد بعض الأمثلة لتطور ارتدادى . فمثلاً ، قد انحدرت معظم الطفيليات مثل الاسكارس والبلهارسيا من أسلاف كانت تعيش معيشة حرة ،

٥ - وأثبت البحث العلمى الحديث خطأ نظرية التطور فى جوانب أخرى . . ونجد ذلك عندما يسمى بالداروينية الجديدة ، أو التركيبية الحديثة .

وقد استعمل اسم « الداروينية الجديدة » لأول مرة لآراء العالم الألمانى فايزمان ، الذى نشر أبحاثه فى هذا الموضوع من عام ١٨٦٨ الى ١٨٧٦ م .

ثم اقترح بعض العلماء عدم استعمال هذه التسمية لتجنب الارتباك . فاستبدل بها اسم النظرية « التركيبية الحديثة » . وهى ليست من عمل عالم واحد ، كما أنها لم تنشأ فى صورة كاملة ، وإنما تطورت ببطء خلال الأربعين عاماً الأخيرة ومازالت حتى الآن تنمو فى اطراد .

ومن النتائج الهامة التى توصلت اليها الداروينية الحديثة :

١ - أن التطور لا يحدث بنفس السرعة فى الأنواع المختلفة من الكائنات الحية .

وهذا يدل على أن الكائن البشرى المنتصب القامة الذى يسير على ساقين اثنين كان معاصرا للسلالة الشبيهة بالقردة وليس منحدرًا عنها.

يقول الدكتور أحمد أبو زيد (المهم من كل هذه الكشوف وغيرها هو أن علماء الاثروبولوجيا الفيزيائية يعيدون الآن تقديراتهم السابقة حول نشأة الانسان وظهوره ويردونها الى أحقاب أقدم بكثير مما كانوا يذهبون اليه فى الماضى • والمهم أيضا هو أن فكرة وجود نوع ما من علاقة القرابة بين الانسان والقردة العليا لا تزال تثير الجدل فى الأوساط العلمية على الرغم من ميل معظم العلماء الى قبولها) •

ثم يقول « هناك من العلماء من يرفض فكرة وجود أى صلة ولو بعيدة بين الانسان والقردة العليا ، ولقد عبر ذلك الموقف المتشكك - أو حتى الموقف الراض - عن نفسه فى الاجتماع السنوى الأخير الذى عقدته الرابطة الأمريكية للاثروبولوجيا عام ١٩٧٦ فى واشنطن حيث دارت مناقشات طويلة وصاخبة

وأعضاؤها أكثر تعقيدا • وتعلقنا على ذلك أن فكرة التقدم والانتقال من البسيط الى المركب هى أساس لكل نظرية تحاول التملص من الاعتراف بوجود العناية الالهية ، وبانهدام هذه الفكرة - علميا - ينهار أساس النظرية •

(د) تذهب نظريات التطور الحديثة وعلى رأسها نظرية داروين الى أن الانسان تطور من مخلوق بدائى له سمات أقرب الى سمات القردة العليا •

وأن أقدم أصل للانسان ككائن منتصب القامة يرجع الى نحو مليون سنة فقط حيث يلتقى فى هذه الفترة بأصله المشار اليه •

لكن هناك اكتشافا أعلنه أخيرا الدكتور ريتشارد ليكى - مدير المتحف الوطنى فى كينيا فى نوفمبر ١٩٧٢ أمام الجمعية الجغرافية الوطنية • عن بقايا جمجمة بشرية يرجع تاريخها الى مليونين ونصف مليون سنة ، وعن عظام ساق ترجع الى تلك الحقبة ذاتها •

حول الفرع الجديد من العلوم ثم ان مسألة الحياة على هذه
الاجتماعية المسمى « البيولوجيا الأرض » كيف نشأت « مسألة لا تزال
الاجتماعية » (١) الى اليوم غامضة كغموضها عند

ويقول الدكتور كونانت عن داروين وفي أيامه (٢) •

داروين : ثانيا : وهكذا يتبين لنا أن نظرية

« ان تخيله للنشوء كيف حدث النشوء والارتقاء لا تقوم على أساس
ويحدث قد تغير اليوم تغيرا يحمل من المشاهدة التجريبية وانما على
المرء على أن يقول ان نظرية قديمة أساس من الافتراضات الاعتقادية
قد ذهبت وحل محلها شيء جديد • البحتة •

(١) انظر مقالة مجلة عالم الفكر عدد أبريل ، ومايو ، يونيه سنة

١٩٧٧ ص ٢٤٣ ٢ ٢٤٤

(٢) مواقف حاسمة ص ٧٦

الخوانك والتكايا والرباطات

في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

- ٥ -

غاز طبيعي فوق الصوة :

(وفيها من الحوادث الغريبة أنه
ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة
المعروفة الآن بالحطابة قبالة الباب
المعروف بباب الوزير في وهدة بين
التلول فار كامنة بداخل الأتربة •
واشتهر أمرها وشاع ذكرها • وزاد
ظهورها في أواخر هذه السنة •
فيظهر من خلال التراب ثقب •
ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة
كرائحة الخرق البالية وغير ذلك
وكثر تردد الناس للاطلاع عليها
أفواجا نساء ورجالا وأطفالا
فيمشون عليها وحولها • ويجدون
حرارتها تحت أرجلهم • فيحفرون
قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس •
فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو
ذلك فتدق النار فيها وتورى •
ويصعد منها الدخان • وان غوصوا
فيها خشية أو قسبة احترقت • ولما

ذكرنا في المقال السابق جامع
وخانكاه منجك اليوسفى بشارع
باب الوداع وهو امتداد سكة
المحجر • وقلنا أن المقريزى ذكره
ضمن الجوامع وقال أنه تحت قلعة
الجبل خارج باب الوزير ويعرف
موضعه بالثغرة •

كما ذكرنا المارستان المؤيدى
وأن المقريزى قال أنه فوق الصوة
تحت طبلخاناه قلعة الجبل • والصوة
ما غلظ وارتفع من الأرض •

ويهمنا أن نذكر الخبر الآتى الذى
ساقه الجبرتى فى تاريخه فى أواخر
أخبار سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م)
وان كان بعيدا عن الموضوع ولكنه
يستحق الذكر لما قد يكون له من
أهمية فى الوقت الحاضر • قال
الجبرتى :

سوق السلاح :

ذكرنا في المقالين السابقين أن شارع الدرب الأحمر يمتد باسم شارع التبانة حتى الزاوية المعروفة باسم زاوية عارف باشا • ثم يتفرع الى فرعين متجهين الى جهة القلعة • الفرع الشرقي منهما باسم شارع باب الوزير ثم شارع المحجر ثم سكة المحجر • أما الفرع الغربي فاسمه شارع سوق السلاح ويصل الى الميدان الذى به جامعا السلطان حسن والرفاعى (راجع الخريطة الملحقة بالمقال الثالث) •

واسم سوق السلاح هذا اسم لسوق جدت بعد عهد المقرئى • فقد ذكر المقرئى سوق السلاح فى جهة بين القصرين من القاهرة الفاطمية • فلما انتقل مقر الحكم الى القلعة فى عهد الأيوبيين • وعمرت المنطقة بين القاهرة والقلعة بالمساكن •

شاع ذلك وأخبر بها كتخدابك نزل اليها (١) بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم • وشاهد ذلك • فأمر والى الشرطة بصب الماء عليها وأهالة الأتربة من أعالى التل فوقها • وأحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا وأهلوا عليها الأتربة • وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها • فيقربون منها الخرق والحلفاء والبدكات فتورى وتلخن • واستمر الناس يقدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين • وشاهدت ذلك من جملتهم • ثم بطل ذلك (اهـ) •

وفهم من وصف الجبرتى أن هذا الموقع خارج باب الوزير بالقرب من قبر طراباى الشريفى الذى ذكرناه فى المقال السابق •

(١) كتخدا معناها الوكيل وقد حرفتها العامة الى كيخيا • وكتخدا بك وكبل الباشا والى • وهى وظيفة قريبة من وظيفة رئيس الوزارة • وكان الباشا والى محمد على وكتخدابك كان محمد بك لآل أوغلى المنسوب له التمثال بالميدان المعروف باسمه بجهة المالية والدواوين • وقول الجبرتى (نزل اليها يعنى من القلعة التى كانت مقرا للحكم •

بعد أن كانت مقابر للأموات • نشأت هناك سوق لصناعة وتجارة الأسلحة • وقد ذكرها الجبرتي في تاريخه مرارا بهذا الاسم • وكانت مسرحا في كثير من الأحيان للمصادمات التي كانت بين المماليك البكوات في عهد الحكم العثماني • والاسم باق للآن •

سويقة العزى :

وكانت منطقة سوق السلاح المذكورة تعرف في عهد المقریزی بسويقة العزى • نسبة الى الأمير عز الدين أيك العزى الذي كان تقييا للجيش في عهد الأشرف خليل بن قلاوون • واستشهد في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) • وظل الاسم باقيا للآن •

وفي وصف على مبارك لشارع سويقة العزى نرى أن هذا الاسم في وقته كان يطلق على شارع النبوية الحالي من عند جامع أصلم وعلى الجزء الأول من شارع سوق السلاح الحالي حتى حارة حلوات عند جامع الجائي اليوسفي •

وقد أوقع الفرنسيون في خرائطهم للقاهرة (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) شارع سوق السلاح بنفس وضعه الحالي تماما • وانما سموا جزءا منه في أوله باسم درب التبانة والباقي باسم شارع سوق السلاح •

وشارع سوق السلاح ومنطقته غنيان بالآثار الاسلامية في عهد السلاطين المماليك والعثمانيين • ويطول بنا الأمر لو تعرضنا لهذه الآثار ولكن نذكر منها أكثرها أهمية مما له علاقة بموضوع المقال جامع مدرسة الجائي اليوسفي أو جامع السائس •

ذكره المقریزی في المدارس • وقال : هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بسويقة العزى • أنشأها الأمير الكبير سيف الدين الجائي سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء الحنفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة • وهى من المدارس المعتمدة الجليلة • اه •

والجامع على يسار المتجه بشارع سوق السلاح الى القلعة على رأس حارة حلوات وتدخل اليه من طرقة ملتوية تؤدي الى صحن سماوى يحيط به أربعة ايوانات وبصدر الداخل ايوان القبلة ويبدو وأنه سقط سقف هذا الايوان فرمم بعروق عادية من الخشب . وبالجامع قبر منشئه بأعلاه قبة . والمئذنة مملوكة رشيقة . ولا عمد بالجامع . وبدائره أبواب تؤدي الى غرف بالدورين الأعلىين لخدمة الجامع .

وخرج له السلطان بعساكره . وتحاربوا خارج القاهرة . فانكسر الجائى وهرب والعسكر وراءه حتى ضاقت به الطرق فألقى بنفسه فى النيل بالقرب من قليب فمات غريقا فى ٩ المحرم سنة ٧٧٥ . ونجا الجواد . فأخرجوا جثته . ودفن فى جامع هذا .

وكان ظلما قاسيا جبارا . وقد ذكرنا فى المقال المذكور أنه من المصادفات ما قاله أحد الشعراء :

فى ثامن العشرين من ذى قعدة
كانت صبيحة موت أم الأشرف،

فأله يرحمها ويعظم أجره
ويكون فى عاشوراء موت اليوسفى

ويعرف الجامع المذكور أيضا باسم جامع السائس . لأن الأمير علاء الدين على بن أحمد الطيرسى الشهير بالسائس تولى نظارة هذه المدرسة والجامع بعد وفاة الجائى اليوسفى .

وذكر على باشا مبارك أنه برأس الحارة (يعنى حارة حلوات) عمود يضرب الى الزرقة طوله متران تقريبا

والجائى اليوسفى كان من أمراء مصر فى عهد الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الذى عينه أتابك العساكر . وتزوج الجائى من خوند بركة أم السلطان الأشرف صاحبة جامع أم السلطان بالتبانة الذى سبق ذكره فى المقال الثالث . فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم فى شؤون الدولة تحكما زائدا . فلما توفيت خوند بركة فى ٢٨ ذى القعدة سنة ٧٧٤ هـ اختلف مع ابنها فى ميراثها فخرج بماليكه يريد محاربة السلطان .

دار منجك اليوسفى :

وكانت دار منجك عند نهاية شارع سوق السلاح من جهة الميدان . وقد اندثرت ولم يبق منها الا بضعة عقود على الشارع .

رباط ابن سليمان :

ذكره المقرئى وقال أنه خارج باب زويلة بحارة الهلالية وأنه عرف بأحمد بن سليمان الرفاعى شيخ الفقراء الأحمديّة الرفاعيّة بديار مصر . وكان عبدا صالحا له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم . وينتمى اليه كثيرون من الفقراء الصوفيّة . وروى الحديث عن سبط السلفى ، وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين ٦ ذى الحجة ٦٩١ هـ بهذا الرواق (نوفمبر سنة ١٢٩١م)

وأخطأ المرحوم على باشا مبارك أن ذكر أن هذا الرباط بدرب الأغوات بالسروجيّة . وقال أن مكانه الزاوية الصغيرة المعروفة بزاوية الشيخ القيسونى وآخر يقال له الشيخ عبد الله .

والزاوية التى ذكرها على مبارك موجودة الآن . ودرب الأغوات

وهو من توابع جامع السائس وفوقه مكتب عامر بالأطفال . وقال أنه فى عهد محمد على راجت اشاعة بأن من يدهن هذا العمود بماء الليمون ويلحسه بلسانه ويكرر اللحن حتى يخرج دم أسود من لسانه فاذا استعمل ذلك ثلاث مرات شفى من داء اليرقان وغيره من الأمراض الباطنية . فأقبل الناس على ذلك . واستمروا حتى عهد عباس حلمى الأول . فمنعوا عنه الناس . وغطوا العمود بطبقة من الجبس . ثم تحايل بعض خدمة الجامع فكشفوا جزءا من أسفله وعملوا عليه دولا با على قدر القامة له باب لا يفتح الا بدراهم . وقال على مبارك أن هذا ظل جاريا حتى عمده فى أواخر القرن الماضى .

وبعد وفاة الجائى اليوسفى تولى أتابكية العساكر ايدمر نائب طرابلس الذى توفى بعد مدة يسيرة فخلفه منجك اليوسفى صاحب الجامع خارج باب الوزير وسبق ذكره والذى توفى سنة ٧٧٦ هـ .

قال أن هذه الحارة هي التى عبر عنها المقرئى بحارة المنتجبية • كما أنه عند الكلام فى حارة الدالى حسين (ج ٢ ص ٣٥) - وهى متفرعة من امتداد الشارع الاعظم على يسار الخارج من باب زويلة وتقابل تقريبا درب الأغوات - قال أنه يعتقد أن حارة الدالى حسين هى حارة الهلالية التى ذكرها المقرئى •

ويظهر أن حارة الهلالية كانت ممتدة الى قرب موقع الرباط المذكور الموجود بقاياها فى نهاية حارة سليم باشا المتفرعة من شارع سوق السلاح •

وقد ذكر على مبارك موقع هذا الرباط (ج ٢ ص ١٠٥) أن بآخه حارة سليم باشا زاوية الرفاعين ويقال لها الزاوية البيضاء شعائرها معطلة لتخربها وبداخلها ضريح الشيخ أحمد الحريرى ونظارتها للسيد محمد ياسين شيخ الطريقة الرفاعية •

وذكر المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب بقايا هذا الرباط فى كتابه

متفرع من شارع المغربلين أحد أجزاء امتداد شارع المعز لدين الله على يمين الخارج من باب زويلة •

وقد ذكرنا فى مقال سابق فى سلسلة مقالات (صفحات من تاريخ القاهرة ١٠ عدد المحرم سنة ١٣٩٦) الحارات التى استجبت خارج باب زويلة على جانبي امتداد الشارع الأعظم • وقلنا أنه على يسار الخارج من باب زويلة نشأت حارة البانسية • ثم جنوبا منها حارة المصامدة • ثم جنوبا فى المصامدة حارة الهلالية، أما على يمين الخارج من باب زويلة فقد استجبت حارة السودان أو المنصورية ثم حارة المنتجبية • ثم حارة حلب التى ضاع جزء منها عند فتح شارع محمد على (القلعة حاليا) •

فدرب الأغوات المذكور اما أنه من حقوق حارة المنتجبية أو حارة حلب • وليس من حارة الهلالية • والدليل على ذلك أن على مبارك نفسه عندما تكلم عن درب الأغوات (الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٨)

(جامع السلطان حسن وما حوله) تكية وبها خلاوى للدراويش القادرية وقال أنه أثر نفيس مستتر وقال أن القبة على بساطة مظهرها من الخارج ولكن رائيها من الداخل ينبهر بزخارفها وألوانها ونوادر الصناعة فيها وتنوع الخط ما بين نسخ وكوفي . الخ

وبكل أسف قد سقط أخيرا منزل بجوار الرباط فهدم كثيرا من بقاياها وتصدت القبة ويحتاج المكان لأسعاف عاجل قبل أن يتلاشى نهائيا .

تكية السليمانية :

وقبل أن نتقل من هذه الجهة نذكر تكية السليمانية . لتشابه الاسم مع صاحب الرباط السابق ذكره - وهى فى شارع السروجية أحد أجزاء امتداد الشارع الأعظم . قبل تقاطعه مع شارع محمد على عند الحلمية بقليل . على يسار المتجه الى جهة الحلمية والصلبية . فقال عنها على مبارك (ج ٦ ص ٥٦) أنه عمرها الأمير سليمان باشا سنة ٩٢٠ هـ . وكان أصلها مدرسة باسم مدرسة سليمان باشا ثم صارت

ميدان صلاح الدين - محمد على :

قد تعاقبت الاسماء التاريخية على هذا الموقع . فعرف أولا بالرميلة حيث أنشأ أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٦٩ هـ) قصره العظيم بالقرب من جامع الملحقين بمدينة القطائع . ثم عرف بسوق الخيل . ثم عرف بالمنشية وقره ميدان حيث كان هناك السجن المشهور بهذا الاسم . وعرف جزء منه بميدان محمد على حيث ينتهى شارعا محمد على وسوق السلاح . ثم عرف أخيرا بميدان

والمدارس في مقرراتها صدقة جارية
على المنقطعين للعلم والدراسة •

جامع ومدرسة السلطان حسن :

قال عنه المؤرخون أنه أكبر معبد
في الاسلام • ووصفه المقرئى
بقوله : فلا يعرف في بلاد الاسلام
معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا
الجامع • وقبته لم يبن بديار مصر
والشام والعراق والمغرب واليمن
مثلا • وقال : وفي هذا الجامع
عجائب من البنيان منها أن ذرع
ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا
في مثلها • ويقال أنه أكبر من ايوان
كسرى الذى بالمدائن بخمسة أذرع
ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له •
ومنها البوابة العظيمة • ومنها
المدارس الأربع التى بدور قاعة
الجامع وغير ذلك • وقال : واستمر
العمل فيه ثلاث سنوات بدون انقطاع
مصرفها كل يوم عشرون ألف درهم
وقال : وبلغه أن السلطان حسن
قال لولا أن يقال أن ملك مصر عجز
عن اتمام بناء بناه لترك بناء هذا
الجامع من كثرة ما صرف عليه •

صلاح الدين الذى بديء في انشاء
القلعة في عهده • ونحن نتكلم هنا
عن هذا الجزء من الميدان الذى كان
يسمى ميدان محمد على •

ويحتوى ميدان محمد على على
مجموعة من تحف العمارة الاسلامية
فبوسطه جامعا السلطان حسن
والرفاعى • وبدائره جامع جوهر
اللالا وجامع ومدرسة قانى باى
الرماح وبقايا قصر منجك اليوسفى
السابق ذكره • وبالقرب منه بقايا
قصر قوصون صاحب الخائفكاه التى
ذكرناها في المقال السابق • والذى
آل الى يشبك بن مهدى الدوادار
ثم من بعده الى اقبردى الدوادار
الذى صرفت العامة اسمه الى بردق
حيث أطلقوا اسم حوش بردق على
مجاورات موقع القصر • وسنتناول
كلا مما ذكر بكلمة موجزة • ولو
أنها ليست من الخوانك ولكن
بعضها جمع بين الجامع والمدرسة •
وفي أوقافها ما قد يربطها بالخوانك
برابط الصدقة الجارية • فالخوانك
صدقته جارية على المنقطعين للعبادة

عظيمة ولذا يعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع .

ونقل عن الورتيلاني الرحالة المغربي الذي زار مصر في القرن الثاني عشر الهجرى (١٨ م) :
(انه مسجد لا ثانى له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونباهته وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل في شواهد الجبال) * اهـ

والسلطان حسن منشئ هذا الجامع هو الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، تولى السلطنة وكان ترتييه السابع من اخوته الذين تولوا الحكم بعد أبيهم الناصر محمد بن قلاوون . وكانت سلطنته الأولى من سنة ٧٤٨ هـ - سنة ٧٥٢ هـ وخلع . وتولى بعده أخوه الصالح صلاح الدين صالح . الذي خلع سنة ٧٥٥ هـ وأعيد السلطان حسن حيث استمر في الحكم حتى قتل سنة ٧٦٢ هـ كما هو الأرجح . فلم يعرف كيف ومتى قتل . ولم يظهر لجثته

وذكر لنا المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب طائفة من أقوال بعض المؤرخين . فنقل عن ابيرس : (ان كل ما تراه في هذا الجامع مركب في مكانه تركيا هائلا منسجما . فاذا أمعنت النظر في زخارف ايوان القبلة وقبة القبر جزءا جزءا أحسست احساس الرضا . فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة) .

ونقل عن جومار في كتاب وصف مصر (أنه من أجمل مباني القاهرة والاسلام ويستحق أن يكون في المرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبه العالية وارتفاع مئذنتيه وعظم اتساعه وفخامته وكثرة زخارفه التى تكسو الأرضية والجدران في أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة . كما أن محاشى الخشب والبرونز التى تكسو الأبواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا) .

ونقل عن المصور لينوار : ان جامع السلطان حسن يشرف على القاهرة كلها . وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية . ومساحته

أثر بعد أن كان مقررا أن تدفن في الجامع المذكور • وكان هذا في الاسرار التي احتفظ بكتماها التاريخ •

كانوا رتبوا بمكتب السبيل هناك • فتشاءم السلطان ومنع تجديدها • وألغى المئذنة الرابعة • ولهجت الالسن بأن هذا نذير شؤم على السلطان • وفعلا صادف أنه قتل بعد ٣٢ يوما من سقوط هذه المئذنة •

وكان محل الجامع المذكور قصر هائل أنشأه الناصر محمد بن قلاوون ليلبغا اليحيارى أحد أمراء دولته والمقرين اليه • فهدمه الناصر حسن وأنشأ مكانه جامع ومدرسته للمذاهب الأربعة •

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل البراعة الهندسية في عمارته • أو الذوق الرفيع في زخارفه الفنية من نقوش وكتابة ونجارة وقيشاني ورخام ونحاس مشغول ومحارِب وغير ذلك • فهذا يطول شرحه ويخرجنا من موضوع المقال • ولن يغنى الوصف عن مشاهدة هذه التحفة الفنية المجيدة من العمارة الاسلامية • وقد أسهب في وصفه المرحوم حسن عبد الوهاب في كتابه المذكور كما ذكره المرحوم على مبارك

وبدأ العمل فيه سنة ٧٥٧ هـ • ويفهم من تقدير المقرئ أن الاعمال الاساسية قد تمت سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) وافتتح الجامع والمدرسة في حياة الناصر حسن • وبعد وفاته أتم الطواشي بشير الجمدار (١) الأعمال التكميلية لغاية سنة ٧٦٤ هـ •

تفصيلا في خطظه • ونكتفى أن نذكر أن مساحة الجامع والمدرسة ٧٩٠٦ م.م أي أقل قليلا من فدانين وارتفاع قبته ٤٨ مترا • وارتفاع مئذنته القبلية ٨١٦٠ متر عن صحن

وكان في تصميم الجامع انشاء أربع مآذن • أنشئ منها ثلاث • ثم سقطت احداها التي فوق الباب في ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ فهلك تحتها نحو الثلثمائة نفس من الايتام الذين

الجامع • أما البحرية - التي تقابل جامع الرفاعي - فقد سقطت سنة

١٠٧٠ هـ (سنة ١٦٦٠ هـ) •

وجدها والى العثماني إبراهيم باشا كتحدا سنة ١٠٨٢ هـ (تولى الولاية من شعبان سنة ١٠٨٠ - صفر سنة ١٠٨٤ هـ) •

ونحن نعالج هذا الاثر الاسلامي الجليل • لا من الناحية المعمارية الهندسية الفنية • ولكن من الناحية الانسانية • ففى أوقافه التى أوقفها منشئه والتى تزيد عن ١٥٠٠٠ فدان من أجود الاراضى • لمسات من الخير والصدقة الجارية وتشجيع العلوم • فننقل للقارئ بالارقام بعض مصارف هذه الاوقاف على الجامع والمدرسة • وهى تكفى لرسم صورة من تفكير ذلك العصر ومن سخاء الواقف قياسا على أسعار وقته ومن تفصيل الخدمة فى الجامع والمدرسة وهو صورة أيضا من تقويم الوظائف المختلفة • فرى مثلا الفرق الكبير بين شيوخ العلم وبين الاطباء • وغير ذلك •

فجعل فى كل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب على أربع فرق • كل فرقة ٢٥ طالبا وبها ثلاثة معيدين • وقرر المصارف الآتية :

٣٠٠ درهم شهريا لكل شيخ من شيوخ المدارس الاربع •

وفى وقت الاضطرابات والفتن فى دولتى السلاطين المماليك • استعمل الجامع لارتفاعه مقابلا للقلعة فكان يرمى من سطحه عليها ، فأزيل الدرج وسد الباب الذى كان يؤدى الى السطح ، واشترى المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤ هـ) هذا الباب والتور النحاس الذى كان معلقا هناك بخسمائة دينار وتقلهما الى مسجده على يسار الداخل من باب زويلة سنة ٨١٩ هـ ثم فى سنة ٨٢٥ أعيد الأذان فى المئذنتين كما كان • وأعيد بناء الدرج والبسطة • وركب باب آخر بدلا من الباب الذى أخذه المؤيد شيخ •

وقد تولت لجنة حفظ الآثار العربية فى مطلع القرن الحاضر العناية بهذا الأثر النفيس فرمت جدرانه وجددت بهاء النقوش

- ١٠٠ درهم شهريا لكل معيد
• (٤٨ معيدا) •
- ٤٠ درهم شهريا لمادح يمدح
رسول الله (ص) بالمسجد بعد
الفراغ من التلاوة ثم يدعو للسلطان
- ٤٢٥٠ درهم شهريا لطلبة كل
مذهب (١٠٠ طالب) ويزاد ٢٠ درهم
شهريا لأحدهم تقيب عليهم و ١٠
دراهم شهريا لأحدهم ليدعو للواقف
بعد القراءة •
- ٣٠٠ درهم شهريا لمدرس تفسير
القرآن •
- ١٠٠ درهم شهريا لامام بالايوان
الكبير •
- ٣٠٠ درهم شهريا لثلاثين طالبا
مع المدرس المذكور ويزاد ١٠ دراهم
لأحدهم لاثبات الحضور والغياب •
ولآخر مثلها ليكون داعيا •
- ٦٠ درهم شهريا لأربعة أئمة
بالمدارس الأربع • ويزاد ٤٠ درهما
لكل منهم في شهر رمضان •
- ٣٠٠ درهم شهريا لمدرس الحديث
الشريف •
- ١٠٠ درهم شهريا لاثنتين ميقاتين
عالمين بالمواقيت • ويزاد لكل منهم
١٦ درهما في رمضان •
- ٣٠٠ درهم شهريا لثلاثين طالبا معه
ويزاد ١٠ دراهم لأحدهم لاثبات
الحضور والغياب • ولآخر مثلها
ليكون داعيا •
- ١٠٠٠ درهم شهريا ل ٣٣ مؤذنا
حسنى الأسواط • ويزاد لكل منهم
١٠ دراهم في شهر رمضان •
- ٣٠٠ درهم شهريا لشيخ متصدر
عالم بالفتوى يجلس بالايوان القبلى
أربعة أيام في الاسبوع •
- ١٠٥٠ درهم شهريا ل ٣٠ قارئا
بالقبة نهارا •
- ٤٠ درهم شهريا لمقرئ يحضر
مع الشيخ المذكور •
- ١٣٥٠ درهم شهريا ل ٣٠ قارئا
بالقبة ليلا •

- ٨٠ درهم شهريا لنقيبين لاثبات
حضور القراء ليلا ونهارا •
١٠٠ درهم شهريا لقارئين يقرآن
القرآن بالايوان القبلى •
٣٠ درهم شهريا لحامل المصحف
يضعه على الكرسي بعد صلاة الصبح
وقبل صلاة الجمعة • ثم يعيده الى
موضعه •
١٠٠ درهم شهريا لخازن كتب
الوقف •
١٥٠٠ درهم شهريا لعشرة خدمة
لحفظ القبّة وصياتها من أهل
الفساد •
٢٠٠ درهم شهريا لاثنين لخدمة
المزملة (مايرد فيه الماء) وحفظ
أوانها وملء الكيزان وسقى من يرد
اليها •
٣٦٠ درهم شهريا لتسعة فراشين
اثنين للقبّة وثلاثة للجامع وواحد
لكل مدرسة • ويعملون يوما بعد
يوم •
٣٦٠ درهم شهريا لتسعة فراشين
يتناوبون العمل مع من ذكروا •
١٠٠ درهم شهريا لرئيسين على
الفراشين المذكورين •
٢٤٠ درهم شهريا لستة بوايين
لحفظ الأبواب وفتحها وغلقها •
٣٠٠ درهم شهريا لمائة يتيم نفقة
وكسوة فى مكتبين كل مكتب مائة
يتيم •
٦٠ درهم شهريا لمؤدب لكل من
مكتبى الأيتام •
٤٠ درهم شهريا لعريف لكل من
مكتبى الأيتام •
٥٠ درهم لكل يتيم حفظ القرآن •
ويصرف مثلها للمؤدب • ومن أتم
حفظ القرآن من الأيتام يستبدل
بغيره •
١٢٠ درهم شهريا لطبيين مسلمين
يحضران يوميا لعلاج أرباب الوظائف
والطلبة أحدهما طبيب أبدان والآخر
عارف بصناعة الكحل (طبيب عيون) •
٤٠ درهم شهريا لجراح يحضر مع
الطبيين المذكورين •

- ١٠٠٠ درهم شهريا لناظر الوقف • وقرر كمية وافرة من الشمع الأبيض المشغول على القطن المقتول لمحراب القبلة ومحراب الايوان القبلى الكبير للوقود فى صلاة الصبح والعشاء والتروايح فى شهر رمضان • وقرر بحسب الحاجة مايلزم لحفظ وتجديد أثاث الجامع من حصر وبسط وقناديل وسلاسل وأسطال ومكانس وزيت الوقود ولوازم ليلة نصف شعبان وختم رمضان •
- ١٠٠ درهم شهريا لأمين يتولى حفظ وصرف المرتبات فى آخر كل شهر •
- ١٠٠ درهم شهريا لصراف مسلم دين •
- ٤٠ درهم شهريا لسطوحى يتولى حفظ الأسطحة •
- ٤٠٠ درهم شهريا لعشرة يتولون كنس المراحيض والطرقات والرش أمام الجامع •
- وقرر أن يصرف بحسب الحاجة على سقاية المزملة والسبيل والمكتب وما يحتاج اليه أرباب الوظائف ونقل الماء العذب والأسفنج وغيره •
- وفى كل ليلة جمعة يصرف خمسة قناطير من لحم الضأن وعشرون قنطارا من الخبز غير الأرز والعلل والحبوب وحب الرمان والدهن والحبط وأجرة من يتولى طبخ ذلك ويصرف النصف لأرباب الوظائف بالمسجد والنصف يوزع على الفقراء والمساكين •
- ويشتري فى أول كل سنة مايكفى من زيت الزيتون أو ما يقوم مقامه •
- ويوزع فى شهر رمضان ٢٣ قنطارا من السكر على أرباب الوظائف بحسب درجات مقرراتهم المذكورة •
- وفى عاشوراء يصرف ٤٠ قنطارا من الخبز و١٠ قناطير من لحم الضأن

درهم تظل رصيда دائما لمصاريف الجامع • فاذا زاد الربح عن ذلك تشتري بالزائد أرض تضم لأوقاف الجامع • على أنه اذا كان الجامع غير محتاج لهذا الوقف الجديد فيصرف ريعه في وجوه البر من خلاص المسجونين • ووفاء دين المدينين • وفك أسرى المأسورين • واعانة في تأدية فريضة الحج • وتجهيز فقراء أموات المسلمين • ومداواة المرضى • واطعام الطعام •

جامع الرفاعي :

ويقابل جامع السلطان حسن جامع الرفاعي • وهو لا يضاهي جامع السلطان حسن ضخامة وان كان يساويه ارتفاعا تقريبا • ولكن به أناقة وفن وربما كان لمجاورته للجامع الأكبر ما أوحى لمهندسه أن يبذل قصارى جهده حتى لا يكون قزما بجوار هذا الطود الشامخ •

وهو مجرد جامع للعبادة ويمتاز أن به مدفن لبعض أفراد الأسرة المالكة السابقة •

وأردين من الجبوب التي تعمل في عاشوراء و ٤ قناطير من العسل و ٢٠ قنطارا من السيرج وقيمة الأبازير والخطب وأجرة الطبخ • ويصرف ثمنها على أرباب الوظائف والنصف على الفقراء والمساكين •

وفي كل يوم من رمضان يصرف ١٠ قناطير من اللحم و ٤٠ قنطارا من الخبز غير الأرز والعسل والحبوب ولوازم المطبخ وأجرة الطبخ • ويوزع ذلك مناصفة بين موظفي المسجد وبين الفقراء والمساكين •

وفي عيد الأضحى يصرف ثمن رأسين من الأبل وعشرين رأسا من البقر وعشر رؤوس من الضأن تذبح وتفرق مناصفة كما ذكر •

وكل سنة يصرف ثمن ألف قميص وألف طاقية وألف مداس تفرق مناصفة أيضا •

واذا فضل شيء من ريع الوقف بعد المصارف المذكورة يحفظ تحت يد الناظر حتى يتكون مائة ألف

(لا بالله) لأنه كان يقبض على الناس في الطريق فيستحلفونه (لا بالله) أن يتركهم فيرفض ويسخرهم في العمل بالمسجد بدون أجر • وكتب بعض الناس على مسجد الذخيرة هذين البيتين المشهورين :

بنى مسجدا لله من غير حله
وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كده فرجها
لك الويل لا تزنى ولا تتصدق

وقال المقرئى : وابتلى الله ذخيرة الملك هذا بالأمراض الخارجة عن المعتاد • وذكر عنه في حالتي غسله وحلوله بقبره ما يعيد الله كل مسلم • وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه •

وأمرت خوشيار هانم والدة الخديوى اسماعيل سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) بإنشاء مسجد في هذا المكان على أن يلحق بالمسجد مدافن لها ولأسرتها وقبتان للشيخين على أبى شباك ويحى الأنصارى من ضمن من كانوا مدفونين بزواية الرفاعى المذكورة •

وكان من ضمن مكان الجامع زاوية للرفاعيين أتباع الطريقة الرفاعية وتعرف بالزاوية البيضاء • وذكر هذا على باشا مبارك تابعه المرحوم حسن عبد الوهاب • ولكن نلاحظ أن على مبارك ذكر هذا أيضا على موقع رباط أحمد بن سليمان السابق ذكره • ونعتقد أنه اختلط عليه الأمر لنسبة الرباط الى أحمد بن سليمان الرفاعى • وأن زاوية الرفاعى هى محل هذا الجامع • ومدفون بها الشيخ على أبو شباك والشيخ يحيى الأنصارى وطائفة من أتباع الطريقة الرفاعية • والشيخ على أبو شباك من نسل السيد أحمد الرفاعى الكبير المتوفى سنة ٥٧٨ هـ ومدفون بقرية أم عبيد من قرى العراق والذى يعتبر أحد الأقطاب الأربعة عند عامة الصوفية كما ذكرنا في المقال الأول من هذه السلسلة •

وكان مكان زاوية الرفاعى هذه مسجد فاطمى ذكره المقرئى باسم مسجد الذخيرة • أنشأه ذخيرة الملك متولى الحسبة فى القاهرة سنة ٥١٦ هـ وعرفته العامة باسم مسجد

فاشتريت الأرض المجاورة للزاوية حتى بلغت مساحة المسجد ٦٥٠٠ م.م تقريباً • وبدى العمل فيه ثم أوقف سنة ١٨٨٠ م • لكثرة النفقات وحالة مصر وقتذاك • وتوفيت خوشيار هانم سنة ١٨٨٥ • فاستمر العمل موقوفاً حتى أوائل القرن الحاضر • فأعيد العمل وانتفع بما كان مخزوناً من أدواته • وافتتح للصلاة في غرة المحرم سنة ١٣٣٠ هـ (٢٢ ديسمبر سنة ١٩١١) وكان يوم الجمعة •

وفي مواجهة الداخل من الباب المقابل لجامع السلطان حسن تجد ضريح الشيخ على أبى شباك وفوقه قبة شاهقة الارتفاع تساوى ارتفاع المسجد ويحيط بالضريح دائر من الخشب الثمين المشغول • وفوقه ثريا من الكريستال الفاخر • أما ضريح الشيخ يحيى الأنصارى فبعد قليل من يمين الداخل •

وعلى يسار الداخل حاجز من الخشب المشغول يفصل جزءاً عن باقى الجامع • وبهذا الجزء ضريح الملك السابق أحمد فؤاد الأول وابنه فاروق فى ضريح واحد • وضريح فريال هانم والدته أحمد فؤاد • وعلى الضريحين تركيبتان من الرخام بأدق صنعة •

أما باقى المقابر فهى فى الناحية الأخرى من الجامع ولها باب خارجى مستقل فضلاً عن أبواب تصلها بالجامع • ومدفون بها الخديوى اسماعيل ووالدته خوشيار هانم منشئة الجامع • والسلطان حسين كامل وزوجته السلطانة ملك •

وظل اسم الرفاعى علماً على المسجد •

ولا نطيل فى وصف المسجد • وانما نقول اجمالاً أنه آية من روائع الفن الإسلامى الحديث • سواء فى ارتفاع قبابه وسقفه أو الدعامات الهائلة من الحجر يحيط بكل دعامة أربعة عمد من الرخام ووزراته الرخامية الملونة والمشغولة بتقاسيم هندسية وأثاثه وسجاجيده ونجارته وتقوشه وغير ذلك من البدائع الفنية •

والأميران ابراهيم حلمى وعلى جمال الدين من أبناء اسماعيل • والأميرتان توحيدة وزينب من بنات اسماعيل • وثلاث من زوجات اسماعيل • وعلى كل قبر تركية من الرخام يبدو فيها الفن الجميل والذوق الرفيع •
وغيرها •

ولاحظت وجود صليب فى نقوش التركية الوسطى من أضرحة زوجات اسماعيل • لأنها كانت ايطالية • ويبدو أنها لم تعتنق الاسلام ! • والمسجد بنقوشه وزخارفه وأبعثه جدير بالمشاهدة •

جامع ومدرسة قانى باى امير اخور الرماح :

ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية باسم قايتباى بالتاء • وذكره المرحوم حسن عبد الوهاب باسم قاينباى بتقديم الياء عن النون • وذكره ابن اياس فى بدائع الزهور باسم قانى باى • وهكذا الاسم منقوش بالجامع •

وقانى باى كان من ممالك الأشرف قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١ هـ) • وأعتقه • فتدرج فى الوظائف حتى

وكان ظلما جبارا يأكل الحقوق ويجور على الناس • وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية ولعب الرمح • ولذلك كان يلقب بالرماح • ومن قسوته أن السلطان أرسله مرة الى جهة الشرقية بسبب فساد العربان هناك فكان اذا ظفر بأحدهم يسلمه من رأسه الى قدميه • وقال عنه ابن اياس : وقد أراح الله منه • وقال فيه كعاده بيتين من الشعر :
جهنم منذ قالت
لقانى باى خذ حذارك

- قد زاد نيران وجدى من كثرتى لا تتشارك
- وقال على مبارك (ح ٢ ص ١٠٤) أنه كان بهذا الجامع حجر عتبا لأحد الشبائيك عليه كتابة هيرغليفية متر متر
- وطوله ٢ × ٤٠ ر ٣٠ × وأخذه الفرنسيون أثناء وجودهم بمصر •
- وهو من المساجد المعلقة يرتفع عن أرض الميدان بعدة أمتار تصعد إليها بمرتقى ثم بعدد من الدرجات وتدخل الى الجامع من طرقة ملتوية تصل بك الى صحن سماوى • وعلى اليمين ايوان القبلة • وعلى اليسار ايوان آخر • ومئذنة الجامع من ذوات الرؤوس المزدوجة وهو الطراز الذى انتشر فى أواخر عهد السلاطين المماليك •
- ولقانى باى مسجد آخر غير هذا بحى الناصرية •
- وتسكن المسجد حاليا إحدى العائلات نتيجة لازمة المساكن •
- جامع جوهر اللالا :
- وبالقرب منه جامع جوهر اللالا (راجع الخريطة) وذكره على مبارك
- ح ٢ ص ١٠٤ وج ٤ ص ٧٦ وقال أن وقفته تاريخها سنة ٨٣٣ هـ • وأن جوهر اللالا توفى سنة ٨٤٢ هـ • وكان بجوار الجامع حمام قد زال •
- واللالا وظيفة الطواشى الذى كان يباشر تربية أولاد السلطان • فكان السلطان يرعاه بعطفه • وإذا تولى أحد الأولاد السلطنة حفظ له حق التربية وقدمه فى المناصب •
- وكان جوهر هذا مرييا لأولاد الأشرف برسباى (٨٢٥-٨٤١ هـ) • واختبل عقل برسباى فى آخر حكمه وتولى بعد ابنه العزيز يوسف وخلع بعد ثلاثة شهور سنة ٨٤٢ هـ •
- وهو كجامع قانى باى تصعد اليه بمرتقى ثم عدة درجات وتدخل اليه من طرقة ملتوية تؤدي الى صحن مسقوف وعلى يمين الداخل ايوان القبلة وعلى اليسار ايوان آخر •
- وأرضية الصحن منخفضة عن أرضية الأيوانين بدرجة • وبالجامع وزرة من الرخام الملون بأشكال هندسية بديعة • وبه دكة المبلغ • وهو جامع صغير وبدائره عدة غرف

ربما كانت خلاوى للصوفية وبه قبر منشئه • وقبته بسيطة • ومثذنته فى حالة سيئة •

جامع المحمودية :

وهو بالقرب من جامع قانى باى ويقابل باب الغرب أهم أبواب القلعة •

بقايا قصر قوصون - يشبك - اقبرد :

وكان قانى باى الرماح قد تزوج سنة ٩٠٣ هـ بنت الدوادار يشبك ابن مهدي المتوفى سنة ٨٨٦ هـ وقد ذكرنا فى مقال سابق عن حى القبة (المقال رقم ١٢ من سلسلة صفحات من تاريخ القاهرة - ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ) أن اسم القبة منسوب للقبلة التى أنشأها يشبك بن مهدي هناك • كما أن اسم شارع الدوادار هناك مسمى لذكراه •

وكان يشبك بن مهدي قد سكن قصر قوصون صاحب الخانكاه الذى سبق ذكره فى المقال السابق وقلنا أن هذا القصر نهبه الناس عند القبض على قوصون سنة ٧٤٢ هـ •

ذكره على مبارك (ج ٢ ص ١٠٤) اجمالا مكتفيا باسم منشئه محمود باشا • وقال به قبره • وذكره المرحوم حسن عبد الوهاب ص ٣٦ أن منشئه محمود باشا كان واليا على مصر (٩٧٣ - ٩٧٥ هـ) وكان ظالما مما أدى الى اغتياله ودفن فى مسجده هذا •

والمسجد أيضا مرتفع عن أرض الميدان تصعد اليه بست عشرة درجة وبوسط الجامع طرقة تفصل اايوان القبلة على اليمين عن الايوان الآخر على اليسار • والطريقة منخفضة عن الايوانين بدرجة • وبأعلاه عدة نوافذ مشغولة بالزجاج الملون بها آيات قرآنية • ومنبره بسيط •

وآل القصر المذكور الى يشبك وعصى وهرب الى الشام يريد
فجدده ونقش اسمه ورنكه (سقاره) الاستيلاء عليه • فلم يستطع • وظل
على جانبي مدخله • في عصيانه يحارب الجيوش التي

ترسل اليه • وتوفي سنة ٩٠٤ في
سلطنة الظاهر قانصوه بن قانصوه •
وبقايا هذا القصر تقابل تقريبا
خلف جامع السلطان حسن (راجع
الخريطة) •

وقد حرفت العامة اسم أقبردى
الى بردق • وكانت الجهة هناك
تعرف باسم حوش بردق • كما أن
مصلحة المساحة ذكرت بخرائطها
مكان القصر المذكور وقالت عنه
بقايا سراى الأمير بشتك • وصحته
يشبك كما مر ذكره •
محمد كمال السيد محمد
وبعد يشبك بن مهدي سكن
القصر المذكور أقبردى بن على •
وكان قريبه وحل محله في وظيفته •
وأعطاه السلطان قايتباى هذه الدار
وجميع ما فيها من أوانى وأثاث
وخيل وسلاح • وتمرد أقبردى

يقول من لاخلق له « در مع الدهر حيث دار » واذا لم
يسالمك الزمان فسالمه، وأنا أقول اذا لم يسالمك الزمان فصارعه
وحاربه حتى يفىء الى أمر الله «

محمد اقبال

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

- ٢٥١ - ويقولون: انصاع الولد لرأى أبيه ، وانصاع الخادم لأمر سيده ، وهذا خطأ ، والفصحى أن يقال : انقاد الولد لرأى أبيه ، أو خضع لرأيه ، أو أطاع رأيه أو وافقه على رأيه ونحو ذلك ، أما الانصياع فلا علاقة له بهذه المعانى ، وإنما معناه التفريق ، تقول : الكمى يصوع أقرانه فينصاعون ، أى يحمل عليهم فيفرق جمعهم ، وصاع الراعى الغنم يصوعها صوعا أى فرقها فانصاعت وتفرقت ، قال أوس بن حجر •
- يصوع عنوقها أحوى (١) زنيم (٢) له ظأب (٣) كما صخب الغريم
- ويقال : انصاع القوم اذا تفرقوا وذهبوا سراعا ، وانصاع فلان اذا عسفت اعتسافا (٦) دونها كل مجهل (٧)
- تظل بها الآجال حتى تصوع
- تصوع الجند اذا تفرقوا
- قال ذو الرمة ١
- تقول :
- والتصوع التفرق •
- كالبرق يجتاز أميلا (٥) أعرفا
- فانصاع مذعورا وما تصدفا (٤)
- وقال العجاج :
- (الأصيحا) أى المتفرق
- (فانصاع يكسوها الغبار
- ذهب سريعا ، قال رؤبة :
- الأعرابي « فانصاع مدبرا » أى
- وانقل راجعا ، ومر مسرعا ، وفى حديث

(١) الاحوى : الشاب الاسود .
 (٢) الزنيم : الدمى .
 (٣) الظأب : الجلبة .
 (٤) تصدف : أعرض .
 (٥) الاميل : جبل من الرمل مرتفع .
 (٦) الاعتساف : الميل والعدول .
 (٧) المجهل : الارض لا يهتدى فيها .

٢٥٢ - ويقولون : صعد الولد على السطح ، وصعد الخطيب على المنبر ، فيعدون الفعل خطأ بعلی والفصيح أن يتعدى اما بنفسه واما بالی ، فيقال : صعد الولد السطح أو الى السطح . وصعد الخطيب المنبر أو الى المنبر ، ومما تعدى بالی قوله تعالى « اليه يصعد الكلم الطيب » وقد يتعدى بنى كما فى قولك : صعدت فى السلم أو فى الدرج صعودا .

والتصعد والتصاعد يتعدى فعل كل منهما بنفسه ، تقول : تصعدنى العمل وتصاعدنى اذا شق عليك وصعب ، الصعيد التراب الطاهر ، ومنه قوله تعالى « فتيموا صعيدا طيبا » وكذلك هو وجه الأرض لقوله تعالى :

« ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا » وهو أيضا الطريق جمعه صعد وصعدت بضمين فى كل منهما ، وفى الحديث « اياكم والجلوس بالصعدات » .

وأما صعد المضعف فانه يتعدى بنى ، وبعلى ، فيقال : صعد الصياد فى الجبل أو على الجبل تصعيدا اذا رقيه وعلاه ، قال تعالى « ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » .

والصعود بالفتح هو العقبة الكثود والمشقة فى الأمر ، ومنه قوله سبحانه « كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا » أى سأغشيه عقبة شاقة المصعد .

والصعد بالتحريك العذاب الشديد ومنه قوله تعالى « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » .

٢٥٣ - ومما فشا على الألسنة من الأخطاء قول كثير من الخاصة : هذا الولد عالة على أبيه ، لأنهم أخبروا فى تصعدون ولا تلوون على أحد » .

وأما أصعد المزيّد بالهمز فلا يتعدى الا بنى ، تقول : أصعد الفلاح فى الأرض اذا مضى وسار ، وأصعد فى الوادى اذا انحدر ، وقد يكون لازما كما فى قوله تعالى « اذ تصعدون ولا تلوون على أحد » .

هذا التعبير بالجمع عن المفرد، والفصيح أن يقال : هو عبء على أبيه ، أو عائل على أبيه ، والأولاد عالة على أبيهم ، وذلك مأخوذ من قول العرب : عاله الشيء إذا ثقل عليه وغلبه والأولاد ثقل على أبيهم لأنهم فقراء وبحاجة الى عونته .

كل هذا من عال اليائى ، أما عال الواوى فتقول منه ، عال أبى هذا الصبى يعوله عولا من باب قال إذا كفله ومانه ، وعلت ابنى إذا أثقت عليه ، قال :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أحضو عليك وتهل
وقولهم : هذا يتيم عائل ليس له عائل معناه هذا يتيم فقير ليس له من يموه ويعوله فعائل الأول من العيل اليائى ، وعائل الثانى من العول الواوى .

من الواوى يقال أيضا : عال الحاكم فى حكمه إذا جار وظلم ، ومنه قوله تعالى « ذلك أدنى ألا تعولوا » أى أقرب من ألا تميلوا ولا تجوروا ، وقولك : أعوذ بالله من ميل الظالم وعول الحاكم .

وكذلك يقال : عال الميزان يعول إذا نقص وجار ، وعال فلان فى الميزان ، قال الشاعر :

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا
قول الرسول وعالوا فى الموازين

تقول : عال الولد يعيل من باب سار عيلا وعيلة إذا افتقر ، فهو عائل ، والعيلة الفقر ومنها قوله تعالى « وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » والعائل الفقير ومنه قوله سبحانه « ووجدك عائلا فأغنى » والجمع عالة كقائل وقالة ، وبائع وباعة ، وعيل بضم العين وتشديد الياء مفتوحة كصائم وصيم .

وتقول : عالنى الشيء عيلا ومعिला إذا أعوزك وأحوجك .

وللعيل معنى آخر ، تقول : عال فلان فى مثيه إذا تمايل واختال وتبخر كتعيل ، وامرأة عيالة أى مختالة .

٢٥٤ - ويطلقون على بعض أبناءهم اسم عبد العاطى ، زاعمين أن العاطى من أسماء الله الحسنى وليس الأمر كذلك ، والصواب أن يكون الاسم عبد المعطى ، لأن المعطى اسم فاعل من أعطى .

٢٥٥ - ويرد على ألسنتهم وأسنة أقلامهم كلمة (التطاحن) فيقولون: تطاحن الجيشان ، يعنون تقاطلهم وطحن بعضهم بعضاً، والحق أن التفاعل من الطحن لم يرد عن العرب، فيجب أن تنكره حتى يأتى إلينا من يشبه بالبرهان ، والذي ورد بكتب اللغة هو الفعل الثلاثى ومصدره .

أما العاطى فهو الطبى ، تقول : عطا الطبى يعطو عطاوا اذا تناولوا الى الشجر ليتناولوا من ثمره فهو عاط وعطو وزان عدو ، فالعطو تناول ورفع الرأس واليدين ، قال الشاعر يصف ظبية :

تحك بقرنيها برير^(١) أراكة
وتعطو بظلفيها اذا الغصن طالها

ولهذا قالوا : هذا الشئ طويل لا تعطوه الأيدى ، أى لا تتناولوه ، قال امرؤ القيس :

تعطو برخص غير شثن^(٢) كأنه
أساريع^(٣) طبى أو مساويك^(٤) اسحل

(١) البرير : الأول من ثمرة الأراك .

(٢) الشثن : الخشن .

(٣) الأساريع : جمع أسروع بالضم وهو عصبة تستبطن الرجل واليد .

(٤) الأسحل : شجر يستاك به .

قوس ندف ، وهى التى تعنينا
ها هنا ، وقوس جلاهاق بضم الجيم
وهو البندق الذى يرمى به ، وأصله
بالفارسية (جله) وزان صرر ، وقوس
نبل ، وهى العربية المعروفة، وقوس
النشاب بضم النون وتشديد الشين،
وهى الفارسية ، وقوس الحسبان
بضم الحاء ، وهى السهام الصغار ،
والحسبانة واحدها .

وفى المثل « رموهم عن قوس
واحدة » ويضرب فى الاتفاق .

٢٥٧ - ويقولون : أجنح الولد
الطائر يعنون أنه أصاب جناحه ،
والصواب - كما فى أمهات اللغة -
أن يقال :

جنحه بالفعل الثلاثى ، لأن القاعدة
فيما تقصد اصابته أن يكون فعله
ثلاثيا ، تقول رأسه اذا أصبت
رأسه ، وبطنته اذا أصبت بطنه ،
وأفخته اذا أصبت يا فوخه ، ودمغته
اذا أصبت دماغه، وكبدته اذا أصبت
كبده ، ورأيته اذا أصبت رءقه ،

جمعجة ولا أرى طحنا ، والطواحن
الأضراس » .

ولك أن تتوسع فى المجاز فتقول:
طحنه بمعنى هزمه فى جدل، أو غلبه
فى ملاحاة (١) ، أو كادله حتى
صرعه فى أى ميدان من ميادين
الحياة .

٢٥٦ - ويقولون لما يضرب به
النجاد القطن ليرق وينتفش: القوس ،
والأفصح أن يقال له المندف ،
والمندفة ، والكربال بكسرهن، تقول:
قطن مندوف ، ونديف ومندف
بتشديد الدال ، وقيل المندف وزان
منبر هو الخشبة التى يطرق بها الوتر
ليرق القطن ، وتر المندف يسمى
المشوار بكسر الميم ، والهبرية وزان
شرذمة ما طار من زغب القطن
أو الريش .

وانما قلنا الأفصح لأننا نميل دائما
الى التخصيص ، اذ للقوس ألوان
عدة، ولا بد أن تضاف الى ما يخصصها
فيقال :

وكليته اذا أصبت كليته ، ويديته اذا أصبت يده • وفخذته اذا أصبت فخذته ، وصدرة اذا أصبت صدره ، وفرسته اذا أصبت فريسته، ومعدته اذا أصبت معدته، وكتفته اذا أصبت كتفه ونسيته اذا أصبت نساها (٢) ، ومثنته اذا أصبت مثاته وهكذا •

ومن اشتكى عضوا من أعضائه يقال فيه : فعل بالبناء للمجهول فهو مفعول • تقول : صدر فلان اذا اشتكى صدره فهو مصدور ، وكبد اذا اشتكى كبده فهو مكبود، ومعد اذا اشتكى معدته فهو معمود وهكذا •

٢٥٨ - ويقولون : فلان عيان يقصدون أنه مريض ، وهذا خطأ ، لأن العيان هو من لم يهتد لوجه مراده أو عجز عنه ولم يطق احكامه، تقول : عى الخطيب فى المنطق ، وعى فلان عن حجته اذا حصر ولم يتمكن من البيان ، فهو عى على فعل ، وعيان كحر فهو حران •

وتقول أيضا : عى بالأمر يعيا عيا بالكسر كرضى فهو عى على فعيل • ويقال : أعيأ الماشى اذا كل فهو معى ، وأعيأه الأمر اذا عجز عنه ولم يضبطه • وأعيانى السفر اذا أتعبنى فأعيت ، يستعمل لازما ومتعديا ، ويقال : داء عيأ اذا كان صعبا لا دواء له ، كأنه أعيأ الأطباء، وفعل عيأ اذا كان لا يلقح • والصواب أن يقال: هو مريض ، وهى مريضة ، وهم وهن مراض بالكسر ، ومرضى ومراضى بفتحهما، ويقال : فى قلبه مرض أى نفاق ، وشمس مريضة أى ضعيفة الضوء وأرض مريضة أى ضعيفة الحال أو كثيرة الفتن ، قالت ليلى الأخيلية • اذا بلغ الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها أو يقال : هو عليل أو معتل ، أو مغل وهى عليلة أو معتلة ، أو معلقة وكذا يقال : هو معلول من تداخل

اللغتين ، والأصل أعله الله فعل
بالبناء للمجهول فهو معلول ، وهى
معلولة •
وخلقا بالتحريك اذا بلى فهو خلق ،
وجاءوا فى أخلاق الثياب وخلقانها
بضم الخاء •

٢٥٩ - ويقولون : جبة خلقة
بمعنى بالية ، قياسا على قولهم فى
المذكر قميص خلق ، والصواب أن
يقال جبة خلق ، وملاءة خلق بغير
هاء ، لأن العرب ساوت فيه بين
وصف المذكر والمؤنث ، وذكر بعض
العلماء العلة فى ذلك فقال : كان
الأصل : أعطى خلق جبتك ، فلما
أفرد من الإضافة أبقي على ما كان
عليه •

ويقال : ملحفة خليك بضم ففتح،
صغروه بلا هاء ، لأن الهاء لا تلحق
تصغير الصفات كما قالوا : نصيف
فى امرأة نصف بالتحريك ، وهى
المرأة بين الحدثة والمسنة ، وهن
أنصاف ونصف بضمين وبضمة ،
وهو نصف محركة من أنصاف
ونصفين •
ويقال : خلق الثوب من أبواب
نصر وكرم وسمع خلوقة بالضم ،
ويقال : جبتان خلقان بفتحيتين ،
وأنشد ثعلب شاهدا عليه لأبى
العالية •
كأنهما والآل (١) يجرى عليهما
من البعد عينا برقع خلقان
٢٦٠ - ويقولون : فلان حدث
السن بالتحريك ، يعنون أنه شاب
فتى ، والفصيح أن يقال : هو حديث
السن • والمعنى أن سنه جديدة
قرنية ، ومنه قول العرب : فلان
حديث عهد بالاسلام أى قريب
عهد به ، فاذا حذفت كلمة السن
قلت هو حديث ، وهم أحداث ،
أما قولهم : رجل حدث وزان عجز
وحدث وزان كتف فمعناه أنه حسن
الحديث ، قال الجوهري : ورجل
حدث وحدث بضم الدال وكسرهما
أى حسن الحديث ، ورجل حديث
وزان سكيت أى كثير الحديث ،

٢ - الشقيق ، قال ابن سيدة :
شق الرجل وشقيقه أخوه لأمه وأبيه ،
يقال هو أخى وشق نفسى •

والشقة بالضم لها معنيان : أحدهما
الطريق والسفر الطويل ، ومن هذا
قوله سبحانه « لو كان عرضا قريبا
وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعلت
عليهم الشقة » •

والآخر القطعة من الثوب ، تقول :
أعطنى شقة من الثوب وشققا •

٢٦٢ - ويقولون : غز الولد
زميله بآبرة ، يعنون أنه طعنه ونخسه
بها ، وهذا خطأ ، لأن للغز معنى
لا صلة له بمعناهم هذا ، تقول غز
الولد بزميله غزا ، واغترز به اذا
اختصه بالرد من بين أصحابه ، وغز
الرجل الابل والصبي اذا علق عليهما
العھون من العين ، والغز بالضم
جنس من الترك الواحد غزى كروم
ورومى ، وأغزت الشجرة اذا كثر
شوكها واشتد ، وأغزت البقرة اذا
عسر حملها ، وتغازنا الشئ
تنازعناه ، والغزاز وزان رمان البررة
بالقرابات والأولاد والجيران ولكى

ففرق بين الأولين بأن معناهما الحسن
الحديث ، والأخير معناه الكثيره •

٢٦١ - ويقولون : استأجرنا فى
هذا البيت شقة بفتح الشين ، وهذا
فاسد ، لأن هذه الكلمة بهذا الضبط
عامية ، والصواب أن يقال : استأجرنا
شقة أو شقا بكسر الشين فيهما ،
وقد قال رجال اللغة : قعدوا فى شق
الدار أى فى ناحية منها •

وفى اللسان : الشق والشقة
نصف الشئ ، يقال : أخذت شق
الشاة وشقة الشاة والعرب تقول :
خذ هذا الشق لشقة الشاة ، وفى
الحديث « اتقوا النار ولو بشق
تمر » أى بنصفها ، يريد ألا تستقلوا
من الصدقة شيئا •

والشقة بالكسر شظية من لوح ،
وهى من العصا والثوب ما شق
مستطيلا ونصف الشئ اذا شق ومن
معانى الشق بالكسر •

١ - المشقة والجهد والعناء ، ومنه
قوله تعالى « وتحمل أثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس » •

أى من يطع النساء يلاق مهن
الدواهي التى لا طاقه له بها اذا
عبه وصغرنه فى عيون الناس •

ويقولون : هذه الفتاة ناشئة فى
بلاد الانجليز لأنها تجيد اللغة
الانجليزية ، والصواب أن يقال :
هى ناشئة بغير هاء ، لأن كلمة
ناشئة من الألفاظ التى يستوى فى
الوصف بها المذكر والمؤنث تقول :
نشأ الولد ينشأ من بابى قطع
وخضع نشأ ، ونشوءا اذا حىي
وشب وجاوز حد الصغر فهو ناشئ ،
والجارية ناشئة أيضا ، قال أبو قدامة
الطائى :

قد أجلس المجلس لم يخرج
من ناشئة ذات شوى (١) خدلج (٢)
وقال عبد الواسع بن أسامة
الخزامى من بنى خزامة :

منازل من عوجاء اذهى ناشئة
مؤزرة تصطاد من لا يصيدها

والجمع لهما نشء كصاحب
وصحب ، ووافد ووفد ، تقول : هم

يؤدى المعنى المبتغى يحسن استعمال
أحد التعبيرات التالية :

١ - عزز الولد زميله بآبرة
يفرزه عززا من باب ضرب ، واسم
المكان مغرز بكسر الراء ، والجمع
مغارز ، ومن المجاز أن تقول
لصديقك : أطلب الخير فى مغارسه
ومغارزه ، وابغ الكرم فى معادنه
ومراكزه •

٢ - نخس الولد زميله بدبوس
من بابى نصر وقطع نخسا أى طعنه
به ، والفاعل نخاس مبالغة ، ومنه
خيل لدلال الدواب نخاس •

٣ - غمز الولد زميله بيده يغمزه
غمزا من باب ضرب ، أى نخسه ،
وغمزه بالعين والحاجب أى أشار
إليه بهما ، وفى التنزيل « واذا مروا
بهم يتغامزون » وتقول : أغمزنى
الحر اذا فتر فاجترأت عليه وسرت
هفيه ، وأغمز الرجل فى فلان اذا عابه
وصغره ومنه قول الكميت :

ومن يطع النساء يلاق منها
اذا أغمزن فيه الأقورينا

(١) الشوى : قحف الرأس •

(٢) الخدلج : الممتلىء ، تقول : امرأة خدلجة أى ممتلئة الساقين

والذراعين •

نشء سوء قال بشر بن أبى خازم :
 سبته ولم تخش الذى فعلت به
 منعمة من نشء أسلم معصر
 ويجمع أيضا على نشأ بالتحريك
 كما فى قول نصيب :
 ولولا أن يقال صبا نصيب
 لقلت بنفسى النشأ الصغار
 ويقال : جارية ناشء من جوار
 نواشىء ، والاسم من النشء النشأة ،
 ومنه قوله تعالى « ثم الله ينشئ »
 النشأة الآخرة .

وقوف لدى الأبواب طلاب حاجة
 عوانا من الحاجات أو حاجة بكر
 وقن ، تقول : عبد قن لمن ملك
 هو وأبواه ، وأمة قن ، وعبيد واماء
 قن ، وقيل : عبيد واماء أقنة ، قال
 جرير :

ان سليطا فى الخسار انه
 أولاد قوم خلقوا أقنة
 ويقولون لمن يفضل نفسه ويؤثرها
 على غيره (أفانى) وهذه كلمة عامية ،
 والصواب أن يوصف هذا الانسان
 بأنه أثر وزان ضجر ، والاسم الأثرة

أما ناشئة الليل فهى أول ساعاته ،
 وقيل هى ما ينشأ فيه من الطاعات ،
 وقيل هى مصدر على فاعلة كالعافية
 والباقية فى قوله سبحانه « فهل
 ترى لهم من باقية » أى من بقاء .
 ومن الألفاظ التى يستوى فى
 الوصف بها المذكر والمؤنث خلق
 بالتحريك ، بمعنى بال تقول : ثوب
 خلق ، وملاءة خلق ، وعروس
 تقول : رجل عروس من رجال
 عرس ، وفتاة عروس من فتيات
 عرائس .

بفتحات ، تقول : استأثر فلان بكذا
إذا استبد به وخص به نفسه ، وفي
الحديث « سترون بعدى أثره ، أى
يستأثر أمراء الجور بعدى بالفىء ،
و ضد الأثرة الايثار ، وهو أن يؤثر
الانسان غيره على نفسه ، تقول :
آثرت فلانا بمد الهمزة ايشارا اذا
قدمته على نفسك وأكرمته ، ومنه
قوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة » وقوله
« بل تؤثرون الحياة الدنيا » •

٢٦٣ - ويقولون فى نسب الانسان
الى حرمى مكه والمدينة : فلان حرمى
بفتحين والصواب أن يقال : رجل
حرمى ، وامرأة حرمية بكسر الحاء
وسكون الراء فيهما على غير قياس ،
هكذا ورد عن العرب ، نعم يقال : ثوب
حرمى ، ومنازل حرمية بالفتح على
القياس أى أن هناك فرقا بين الانسان
وغيره فى النسب الى الحرم ، فان كان
المنسوب انسانا كان النسب بكسر
الحاء ، وان كان غيره كان بفتحها ،
قال الأعشى :

أما قولهم (أنا نى) فيزعمون خطأ
أنه منسوب الى قول من يؤثر نفسه
ويفضلها : أنا أنا وهذا نسب فاسد ،
لأن الضمير لا ينسب اليه ، على أنه
لو جاز النسب اليه جدلا ل قيل :
(أنوى أنوى) اذ أن ألف المقصور
يجب أن تقلب واوا فى النسب اذا
كانت ثالثة كما تقول قنوى فى النسب
الى قنا ، وقهوى فى النسب الى قها •

لا تأوين لحرمى مررت به
يوما وان ألقى الحرمى فى النار
وقال أبو ذؤيب :

لهن نشيج (١) بالنشيل كأنها
ضرائر حرمى تفاحش (٢) غارها (٣)
وقال النابغة :

من صوت حرمية قالت وقد ظعنوا
هل فى مخفيكم (٤) من يشتري أداما (٥)

(١) النشيج : الغصص بالبكاء وتردده فى الصدر .

(٢) تفاحش : زاد فى القبح .

(٣) الغار : الغيرة .

(٤) المخف : وزان المعز نقول : اخف فلان اذا صار خفيف الحال .

(٥) الادم : اسم جمع الطعام المأدوم .

الله عليه وسلم « ليس في الخضراوات صدقة » هي جمع خضراء وقياسها خضر ، كما يقال حمر وصفر ، لكنه غلب فيها جانب الاسمية فجُمعت جمع الأسماء ، كصحراء وصحراوات ، وعلى هذا فالجمع قياسي ، لأن فعلاء هنا ليست مؤنثة أفعل في الصفات حتى تجمع على فعل ، وإذا فتدت الوصفية تعينت الاسمية ، وقد سمت العرب الخضر خضراء ومنه « تجنبوا من الخضراء ماله رائحة كريهة » يعني الثوم والبصل والكراث .

٢ - قولهم: حمص بضميتين ثانيتهما مشددة ، يعنون ذلك الحب الذي يزيد في المنى والشهوة ويقوى البدن ، بشرط ألا يؤكل قبل الطعام ولا بعده ، بل في وسطه ، والصواب أن يقال له حمص بكسر الحاء وفتح الميم مشددة . أو حمص بكسرتين ثانيتهما مشددة ، ويرى الرأي الأول ثعلب اذ يقول : والاختيار فتح الميم كقنب ، ويرى الرأي الثاني المبرد ويقول لم يأت عليه من الأسماء الا حلز وهو القصير ، وجلق وهو اسم لموضع بناحية الشام .

ويخطئون حين يجمعون الشعار بالكسر ويفتح على شعارات جمع مؤنث سالما ، وقد فشا هذا الجمع على السنة الخاصة وفي وسائل الاذاعة ، والصواب أن يجمع جمع قلة على أشعرة كبناء وأبنية ، وجمع كثرة على شعر ككتاب وكتب ، وللشعار معان عدة : فهو العلامة في الحرب ، وكذلك هو ما يلي شعر الجسد من الثياب وفي المثل « هم الشعار دون الدثار » يصفهم بالمودة والقرب . وفي حديث عائشة « أنه كان لا ينام في شعرنا » وفي حديث آخر « أنه كان لا يصلى في شعرنا ولا في لحفنا » وفي حديث الأنصاري « أتم الشعار والناس الدثار » أي أتم الخاصة والبطانة ، والشعار بالفتح الشجر الملتف ، تقول أرض ذات شعار .

٢٦٤ - ومن أخطائهم في تسمية بعض البقول .

١ - قولهم لهذه البقول (خضار) والفصيح أن يقال لها : خضر وزان صرر وغرف ، كأنه جمع خضرة ، أو يقال لها خضراء ، وقول الرسول صلى

- ٣ - قولهم لأرومة معروفة (فجل) بكسر الفاء ، والصواب فجل بضمة وبضمتين الواحدة بهاء وهو جيد لوجع المفاصل ، واليرقان ، ولوجع الكبد والاستسقاء ، ونهش الأفاعى والعقارب ، وإن وضع قشره أو ماؤه على عقرب ماتت ، وتناوله يعد الطعام يهضم وأقوى ما فيه بزره ثم قشره ثم ورقه ثم لحمه ، وحب الفجل دواء آخر ، ومنه يتخذ دهن الفجل ، قال ابن دريد : وأحسب اشتقاقه من فجل فجيلا من باب تعب إذا غلظ واسترخى .
- ٤ - قولهم لبقلة حريفة توم ، والقصيح أن يقال ثوم بالثاء المضمومة ، وهو يستانى وبرى ويخرف بثوم الحية ، وكلاهما مخرج للدود ، مدر جدا ، وهذا أفضل ما فيه ، كما أنه جيد للنسيان وللمربو والسعال المزمن ، والطحال وعرق النساء والنقرس ، ولسع الهوام والكلب الكلب ، باهى جذاب ، ومشويه نافع لوجع الأسنان المتأكلة ، حافظ صحة المبرودين والمشايخ والثومة واحدة ، والثومة وزان عنبه شجرة عظيمة بلا ثمر أطيب رائحة من الآس تتخذ منها المساويك .
- أما التوم بالثاء فمعناه الدر أو اللؤلؤ ، واحدة تومة ، تقول : صبى ذو تومتين أى ذو درتين وهو متوم أى مقرط بدرتين ، وقيل : التومة حبة من فضة شبه الدر ، قال المسيب بن على :
عاتية صرف معتقة
يسمى بها ذو تومة لبق
- وقال أبو النجم :
يا رجل قد كنت زمانا محرما
ما كنت تعطين الفقير درهما
وتفرقين للشيخ والمتوما
وتمنعين السنبيل المحزما
- ويقال للصدقة أم تومة علم لها ، ولذلك لم يصرف كإبن دأية للغراب ، ومن المجاز قول ذى الرمة :
وحتى أتى يوم يكاد من اللظى
به التوم فى أفحوصه يتصبح
أى يتشقق أراد البيض فسماه توما على الاستعارة .
- ٥ - وقولهم لبت معروف يطهى ويؤكل (خبيزة) بضم الخاء وكسر الباء مشددة ، وهذا خطأ والصواب

وقال الصغاني : الشبت عرب الى سبت بالسين المهملة ، قال وانما قيل انه مثقل لأن باب المثقل كثير، وباب المخفف نادر نحو ابل •

٨ - وقولهم لأغلظ أنواع الكرب: أرنيط بالهمزة ، وقربيظ بالقاف ، وكلاهما خطأ والصواب : قنييط يضم القاف وتشديد النون مفتوحة، قال بعض الأئمة وأظنه نبطيا •

كما أنهم يقصرون الكرب على أنه مضموم الكاف والراء، والصواب أن فتحهما لغة أخرى للسلق بكسر السين أو نوع منه أحلى وأغض من القنييط ، والبرى منه مر ، ودرهمان من سحق عروقه المخففة في شراب ترياق مجرب من نهشة الأفعى •

٩ - وقولهم لنبات معروف كثير الشبه بالخباز : سبانخ والفصيح أن يقال له اسفاناخ بكسر الهمزة •

١٠ - وقولهم لنوع من الأبازير: كسيرة بضم الكاف وسكون السين وفتح الباء والصواب كزبرة بضميتين بينهما سكون •

١١ - وقولهم لبقلة معروفة (احبر) بفتح الجيم الأولى وكسر الثانية ،

أن يقال له : خباز بضم الخاء وتشديد الباء مفتوحة وزان تفاح وقفاز وخبازة وزان تفاحة ، وفي لغة بألف التأنيث المقصورة فيقال : خبازى بتشديد الباء ، ويخفف فيقال خبازى كخرامى ، وفي لغة أخرى خبيز بضم الخاء وتشديد الباء مفتوحة مع سكون الياء •

٦ - وقولهم لبقول معروف كثيرا ما يتناوله الناس مع طعامهم خص بفتح الخاء وتشديد الصاد والصواب أن يقال له خص بالسين بدلا من الصاد •

أما الخص فهو التفضيل ، نقول : خصه بالشئ خصا بالفتح، وخصوصا وخصوصية بضمهما ويفتح الأخير ، وخصيصى ويمد اذا فضله •

وأما الخص بالضم فهو البيت من القصب ، جمعه خصاص بالكسر ، وخصوص بالضم •

٧ - وقولهم لبقلة معروفة (شبت) بفتحيتين ، والصواب شبت بكسرتين وزان سجل ، قاله الفارابى وابن الجوىلى •

والفصيح جرجير بكسرهما وزان
ازميل ، ويقال لها أيضا جرجر
وزان سمس •

والثاني : كلمة (بنك لأنها

(أعجمية) •

والعرب تقول في هذا المعنى
مصرف وزان منزل ، اسم مكان من
قولك : صرف فلان الدراهم
بالدنانير ، والذهب بالدراهم صرفا ،
ومنه الصراف ، والصيرف ، والصير في
وهو من الصيارفة ، والهاء في هذا
للنسبة ، ويقال بين الدرهمين صرف
أى فضل لجودة فضة أحدهما •

والثالث : كلمة (وفير) يعنون

بها الكثرة ، وهذه عامية ، والفصيح
أن يقال : ربح وافر ، من وفر الربح
وفرا اذا كثر ، أو موفور اسم مفعول
من وفرت الربح اذا أكثرته فهو
موفور ، أو موفر من وفرت الربح
توفيرا فهو موفر اسم مفعول من
المضعف •

والرابع : كلمة يزداد المرفوعة ،
ويحسن في هذا الفعل أن يجزم في
جواب الأمر كما في قول الشاعر :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

١٢ - وقولهم لعب مضلع محرز
يتسلى بأكله (ترمس) بكسر التاء
والميم ، والصواب ترمس بضمهما وزان
بلبل ، وهو أيضا السرداب ، تقول :
حفر الفلاح ترمسه تحت الأرض ،
ومنه قالوا ترمس فلان اذا تغيب عن
حرب أو شغب •

٢٦٥ - نشر في صحيفة الأهرام
بخط عريض قول أحد محرريها •

لشهادات (استثمار) البنك
الأهلى المصرى ربح (وفير) فزود
منها مشترياتك ، واحتفظ بشهاداتك
(يزداد) أمنك ورفاهيتك •

وهذه العبارة على وجازتها
تضمنت أربعة أوهام •

الأول : كلمة استثمار ، اذ لم يرد

عن العرب ادخالها السين والتاء على
الفعل ثمر •

فلم تقل : استثمر الرجل ماله
استثمارا ، كما لم تقل : استساغ
فلان هذا الكلام ، وانما قالت : ثمر

وكما في قول ذى الاصبع العلوانى :
خصلتين من مقدم رأسها عن يمين وشمال •

ألن جانبك لقومك يجهوك، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك •

٢٦٦ - ويقولون : تشكلت اللجنة من ثلاثة رجال ، وتشكلت الوزارة من عشرين وزيرا ، وهذان التعبيران يشوبهما الفساد ، والصواب أن يؤدي هذا المعنى بقولنا تألفت اللجنة ، أو انتلفت ، أو تكونت من كذا ، واللجنة بالفتح جماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه ، وكذا الوزارة أما التشكل فلا صلة له بالمعنى الذى ارتضوا له عبارتيهم ، اذ تقول : تشكل المريض اذا تماثل للشفاء من علته وقارب البرء ، وشكلت المرأة اذا تدلت ، والشكل بكسر الشين وفتحها غنج المرأة ودلها ودلالها ،

تقول من الأول : صلح العمل صلوحا من باب قعد فهو عمل صالح ومنه قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه » وتقول أيضا صلح الرجل صلاحا وهو ضد الفساد ، وقد قالوا : كيف لا يكون من أهل الصلاح من هو من أهل صلاح ، وهو اسم مكة شرفها الله تعالى ، قال حرب بن أمية لأبى مضر الحضرمى يوم الفجار :

أبا مضر هلم الى صلاح
فتكفيك العداوة من قریش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم
أبا مضر هديت لخير عيش

يقال : تشكلت وتدلت ، وتشكل العنب اذا أينع أو اسود وأخذ في النضج ، وتشكل فلان اذا تصور ، وشكله غيره تشكيلا اذا صوره ، وشكلت المرأة شعرها اذا ضفرت

والصلح بالضم الاسم ومعناه السلم والتوفيق ، يذكر ويؤث ، ومنه قوله جل شأنه « والصلح خير » وقد يأتي اسم جمع معناه المصالحون كما في قولك : هم لنا صلح وتقول من الثانى صالحه مصالحة وصلاحا بكسر الصاد •

مما عرضنا آتفا استبان أنه كان يجدر بمحرر الأهرام أن يكتب العنوان على النحو التالى :

اصلاح مواقد النفط ، أو اصلاح مواقد الوقود •

٢٦٨ - ويقولون : الاتقاق الذى

تم للصلح بين الدولتين مبنى على خمسة بنود ، البند الأول كذا ، والبند الثانى كذا وهكذا ، وهذا التعبير خطأ •

والصواب أن يقال : مبنى على خمسة أمور ، أحدهما كذا ، وثانيها كذا وهكذا أما البنود فجمع بند وهو العلم الكبير ، تقول : أقبل العدو مع الجنود والبنود وهى أعلام الروم تحت كل بند عشرة آلاف •

وكذلك هو الحياة والداهية ، تقول : فلان كثير البنود أى كثير الحيل والدواهى •

٢٦٩ - ويقولون بين بلدنا وبلدكم عشرون محطة ، وهذا فاسد ، والصواب أن يقال محطة بغير هاء ،

أما الثالث فهو المطلوب الذى به يؤدى المعنى المبتغى ، تقول أصلح الله الأمير وأصلح فى ذريته وماله ، ومنه قوله تعالى « وأصلح لى فى ذريتى » والمصدر اصلاح ومنه قوله سبحانه « ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما » واسم الفاعل مصلح ومنه قوله « والله يعلم المفسد من المصلح » •

وأما (البواير) فهى كلمة عامية عربيتها مواقد جمع موقد ، وهو موضع الوقود بضم الواو ، كما أن المجلس موضع الجلوس •

وأما الجاز فكلمة عامية أيضا ، والفصح أن يستبدل بها كلمة نفط بكسر النون وفتحها والكسر أجود أو يستبدل بها كلمة وقود بفتح الواو بمعنى الحطب على تشبيه النفط بالحطب ، لأن كلا منهما سبب فى الاتقاد والاشتعال •

اسم مكان بزنة مفعول من حط يحط ، أكثرنا منه ، وأحططنا فيه أى أقللنا ومعناه المنزل تقول حطوا الأحمال

منه .

عن ظهور الجمال من باب نصر حطا إذا أنزلوها من علو إلى سفلى وحطت من الثمن كذا إذا أسقطت، والحطيطة ما يحط من الثمن فعيلة بمعنى مفعولة وجمع المحط محاط بتشديد الطاء فى المفرد والجمع ، لأن الأصل محطط ومحاطط ، ومثل ذلك محل ومحال ، ومقر ومقار والاسم الحطة بكسر الحاء ، ومنها قوله تعالى « وقولوا حطة نفقر لكم خطاياكم » أى قولوا حط عنا أوزارنا

أما المحطة والمحط بكسر الميم فيهما فكل منهما اسم آلة يصقل بها الجلد وينقش ، تقول جارية محطوطة المتين كأنما حطا بالمحط ، وهو ما يحط به الأديم أى يدلك ويصقل، قال النابغة .

محطوطة المتين غير مفاضة (١)
ربا الروادف (٢) بضـة (٣) المتجرد

٢٧٠ - ويقولون لنوع معروف من الفاكهة (مانجو أو مانجة) وكلا

هذين اللفظين عامى والصواب أن يقال له : أنبج وزان أحمد ، وتكسر باؤه ، ثمر شجر هندي معرب أنب وزان أنت ، يكون على خلقة الخوخ ولبابه كلبابه يربب بالعسل .

ونباج الكلب بضم النون، ونبيجه بفتحها نباحه ، تقول : هذا كلب

ومن المجاز قولك حط الله أوزارهم، وحط فلان فى عرض عدوه إذا اندفع فى شتمه ، وأكل من حلوائهم فانحط فى أهوائهم .

ويقال انحط السعر إذا نقص ، والأسعار حاطة ومنحطة ، وأتانا صاحب البيت بطعام فحططنا فيه أى

(١) المرأة المفاضة : من كانت ضخمة البطن مسترخية اللحم غير مجدولة .

(٢) الروادف : طرائق الشحم الواحدة رادفة ويريد بقوله ربا الروادف أنها كثيرة اللحم كبيرة العجز .

(٣) البضة : رخصة الجسد رقيقة الجلد ممثلة ، ومعنى بضـة المتجرد أنها بضـة عند التعرى .

نباج بتشديد الباء ونباجى بالضم أى كثير النباج .

ومنبج وزان مجلس اسم موضع ينسب اليه على غير قياس فيقال : كساء منبجاني وانبجاني بفتح بائهما ...

ويقال للرجل الذى يعطى بلسانه ما لا يفعله منبج بكسر الميم وزان منبر وهو تفاخ نباج ليس معه الا الكلام ، وعند فلان الأنبجات أى الأشياء التى تربب بالعسل كالأهليلج والأترج وهى من الأنبج .

٢٧١ - ويقولون : ولع الخادم المصباح ونحوه توليعا ، وهذا التعبير مشوب بالخطأ ، لأن التوليع معناه استطالة البلق بالتحريك ، وهو سواد وياض يكونان فى الفرس ونحوه ، تقول فرس مولع وثور مولع وفى لونه توليع ، ويقال : رجل مولع اذا كان به لمع أى بقع من برص تقول : ولع الله وجه فلان أى أبرصه ، قال رؤبة :

كأن فى الجلد توليع البهق والبهق بفتح يياض رقيق يكون بظاهر البشرة ، وقولهم : فى جلده

توليع البهق مأخوذ من قولهم للشديد البياض أمهق وأبهق ، والأمهق هو الأبيض لا يخالطه حمرة ويقال من الفعل الثلاثى : ولع فلان من باب وضع ولعا وولعانا اذا استخف وكذب والوالع الكذاب ، جمعه ولعة ككاتب وكتبه ، وولع والى مبالغة ، أى كذب عظيم ويقال لمن يولع بما لا يعنيه ولعة وزان همزة .

ولتأدية المعنى الذى يتفونونه يجب أن يقال : أشعل الخادم المصباح فاشتعل ، ومنه قيل على سبيل المجاز : اشتعل فلان غضبا اذا امتلأ غيظا ، وقوله تعالى « واشتعل الرأس شيئا » فيه استعارة بديعة ، اذ شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى سرعة الالتهاب ، قال لبيد :

ان ترى رأسى أمسى واضحا
سلط الشيب عليه فاشتعل

أو يقال : أوقد الخادم المصباح فاتقد وتوقد ، ومن هذا قوله تعالى :

« كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » أى كلما دبروا مكيدة يلبسون بها الانتصار أبطأها الله .

٢٧٢ - ويقولون لمُتاع من أمتعة البيت يجلس عليه ويتكأ (كنبه) بفتحات ، ويجمعونه على كنب بالتحريك ، وهذا فاسد ، لأن الكنبه كلمة عامية ، والكنب ليس جمعا لها ، وإنما هو مصدر معناه غلظ يعلو الرجل واليد ، أو هو خاص باليد إذا غلظت من العمل القاسى .

تقول : كنبت اليد تكنب من باب فرح كنبنا إذا غلظت .

والفصيح أن يقال لهذا المتاع : أريكة وزان سفينة ، والجمع أريك وأرائك تقول هم متكئون على الأرائك مع بيض كالترائك ، ورأيت على الأريكة تركيبة كالتريكة وهى بيضة النعامة ، وشاهدت نساء كالسبائك والترائك لينات العرائك متكئات على الأرائك .

وفى التنزيل قوله تعالى «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون» وقوله « متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً » .

٢٧٣ - ويقولون : بيت فلان دافى ، وجلسنا نتحدث فى إحدى غرفه الدافئة ، وكان يقوم بما نحتاج اليه رجل دافى فى ليلة دافئة ، وهذه التعبيرات كلها لا نصيب لها من الصحة ، لأن اسم الفاعل من الفعل دفى لم يأت على وزن فاعل .

والفصيح أن يقال : دفى البيت يدفاً من باب تعب فهو دفى ، والحجرة دفئة كتعب وتعبه ويقال : دفى الرجل من البرد دفناً ودفاة بفتحهما فهو دفنان والمرأة دفأى ، كغضبان وغضبى ، وذلك إذا لبس كل منهما من الثياب ما يدفئه .

قال الشارح ما نصه : الدفنان وأثناء خاص بالإنسان ، والنفى ككريم خاص بغيره من زمان أو مكان ، ودفى ككتف مشترك بينهما .

وعلى هذا تقول : الرجل دفنان ودفى ، والمرأة دفأى ودفئة ، والبيت دفى ، ودفى والليل دفى ودفى .

أما الدفء بالكسر ويحرك فهو نقيض حدة البرد كالدفءة بفتح الدال ، وكذلك هو تاج الابل

دفء ابن مروان ودفء ابن أمه يعيش به شرق البلاد وغربها ٢٧٤ - ويقولون : لقينا فلانا صدفة بضم الصاد ، وهذه الكلمة لا وجود لها في العربية ، وانما هي عامية ، والفصح أن يقال : لقيناه مصادفة ، وذلك مأخوذ من قولنا : صادفناه مصادفة اذا وجدناه وقلبلناه يقال : تصادفا اذا تقابلا ، ومنه صدفا المحارة لتقابلهما ، وقوله تعالى «حتى اذا ساوى بين الصدفين» أى رأسى الجبلين المتقابلين •

وتقول : صدف فلان عن الفحشاء من بابى ضرب وجلس صدفا وصدوفا اذا أعرض عنها ومن هذا قوله سبحانه «سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب» وقولك : هذه امرأة صدوف مدح لأن المعنى أنها تعرض وتصد عن الريية : أما قولك : رجل صدوف فهو ذم اذ معناه أنه أبخر ، فكلما تحدث صدف بوجهه لثلا يشم محذته رائحة بخره وهو كمن القم •

عباس أبو السعود

وألبانها وما ينتفع به منها ، قال تعالى «ولكم فيها دفء» وهو ما يستدفأ به من الوبر والصوف والشعر ، لأنه يتخذ منها الأكسية والأخبية ، وفي الحديث «لنا من دفئهم ما سلموا بالميثاق» •

ويقال : ما على فلان دفء أى ثوب يدفئه ، ودفؤ يومنا فهو دفيء ، ودفؤت ليلتنا فهي دفيئة •

ومن المجاز قولهم : ابل مدفئة ، ومدفئة بتشديد الفاء ، أى كثيرة ، لأن بعضها يدفيء بعضا ومن تظللها أدفأته ، وقيل تبنى البيوت بأوبارها قال الشماخ •

وكيف يضيع صاحب مدفئات • على أتباجهن (١) من الصقيع (٢) •

وروى بفتح الفاء أى يدفئها شحومها وأوبارها •

وتقول : أدفأت فلانا ودفأته اذا أجزلت له العطاء ومنحته دفءا كثيرا ، قال :

(١) الأتباج : جمع تج بالتحريك وهو ما بين الكاهل الى الظهر •

(٢) الصقيع : الجليد المحرق للنبات •

رسالة الأدب الصوفي

للمؤلف عبد الحفيظ فرغلي

تلتقى موضوعات الأدب الصوفي مع ما قرره الناقد العربي البصير قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر بقوله « وأما الحسن من الكلام فهو كل ما كان في معالي الأمور وفي محاسنها ، وأحسنه الدعاء الى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اتنى من المسلمين » ثم يتلوه كل ما كان من مكارم الأخلاق ؛ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وكل ما كان من دعاء الى برٍّ وتعطفٍ واصلاح وتآلف وخير يجتلب وشر

ينطبق على الصوفية قوله تعالى: « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله » فهم يدعون الىه ، ودعوتهم الىه - سبحانه - دعوة خالصة مخلصة ، لم يفرهم جاء ، ولم يرههم سلطان ، ولم يقصر بهم عن دعوتهم طول أمل أو يقعدهم عنها غلبة خمول أو ضعف كسل ، بل نذروا أنفسهم لله الذي غلب حبه على قلوبهم فاستعذبوا في الدعوة الىه كل عذاب ، واستهانوا بكل صعب ، واستلذوا كل تعب، وتغلبوا على كل مشقة .

وكان كلامهم في ذلك كلام المحب المخلص الذي يؤمن بكل كلمة تخرج من لسانه فتجد طريقها الى الأسماع

يحتب ، فهو من أحسن الكلام وجميله .. والقبيح من الكلام ما كان في سفاسف الأمور وأراذلها كالنميمة والغيبة والسعاية والكذب واذاعة السر والمكر ، وقد قال

كتابيه أدب المهجر حين قال : « وهل
الأدب الصحيح سوى رسالة سامية
تنير سبل الحياة ؟ وتُعرِّف الناس
كيف يهتدون الى منابع السعادة
والمعرفة فيها ؟ وكيف ينهلون من ذلك
النبع الأزلي الأبدي الذي لا يحد
الزمان ولا المكان لأنه أصل الزمان
والمكان وأصل الحياة والوجود بكل
ما فيها من شمول وأبدية ؟ وهل
الأديب الحق سوى رسول يحمل
بيده مشعل الحب والحرية ويبحث
بكل ما في ضميره من شوق وشغف
وما في نفسه من نشاط وإخلاص عن
مصدر السعادة والمعرفة في الحياة
ليهدى اليهما نفوس البشر الحائرة
فيزيل عن وجه الحياة قشور الكآبة
والجفاف ويكلله بنور النبغة
والإتماع ؟ » .

وهذا الكلام الذي يقرره الناعوري
ينطبق على الأدب الصوفي ؛ فرسالته
نشر المحبة بين الناس والدعوة الى
الأخلاق والتحلى بالفضائل والهداية
أولا وأخيرا الى الله ، وتلك رسالة
من أسس الرسائل في الوجود ، بل
هي أسماها على الإطلاق ، فهي

والقلوب وتترك صداها قويا مؤثرا
في الأرواح والنفوس ، وكانوا في
دعوتهم الى الأخلاق قدوة طيبة
وأسوة حسنة ، فلذلك كان لقولهم
قيمتهم وأثره ، ليس كلاما يشبه كلام
كثير من الوعاظ التقليديين الذين
يحاولون تنميق الكلام بغية التأثير
ثم يلتسون صدهاء مع أدراج الرياح
فلا يجدون شيئا . سئل أحدهم :
مالك تعظ فيبكي الناس وواعظ
المدينة يعظ فلا يبكي من كلامه
أحد ؟ فقال : ليست النائحة الشكلى
كالنايحة المستأجرة .

روعة الفن الأدبي في سمو معناه :

يقول الجرجاني : « ان من كمال
الجمال البلاغى أن تكون مادته الخير
والفضيلة » وقد حقق الصوفية بأدبهم
هذا الهدف فوققوا تتاجهم الأدبي
على الخير والفضيلة ، وبذلك جعلوا
للأدب رسالة سامية وغاية كريمة .
وهذا هو ما يلتقى مع آراء النقاد
المنصفين قدمائهم ومحدثهم .

أما القدماى فقد رأينا قول قدماة
والجرجاني ، ونستشهد للمحدثين
برأى عيسى الناعورى الذى ذكره في

الرسالة التي قصر الأنبياء والمرسلون دعوتهم عليها ، ووقف الهداة والمصلحون أنفسهم على آدائها وإرساء قواعدها .

وفي الأدب الصوفي — كما يقول المرحوم طه عبد الباقي سرور في كتابه أعلام التصوف — « نماذج للفضيلة والخير تهتف بها لحونه وتُنطق بها كلماته ، وهو الأدب العاطفي الحار في مناجاته وإبتهالاته ومبجحاته ، هو أدب فني أصيل ابتدع وحده أدب الحب الإلهي بل أدب الحب الكوني، الحب لكل شيء في الوجود — حب الجمال المطلق الساري في كل ذرة أبدعها المبدع الأعظم ، ثم هو أدب موضوعي يستهدف رسالة في علم النفس والأخلاق والتربية لا يستطيع أن يحلق حول قممها سواه » .

مهمة الأدب الصوفي :

ويمثل الأدب الصوفي في مختلف عصوره النزعة الروحية التي وقفت تجاه الرغبات المادية لتهدب من ضراوتها وتقوم من وحشيتها ، فهو كعصا المؤدب التي تلوح للمتمردين على قواعد الخلق ومبادئ السلوك الانساني ، وتضرب على أيديهم ليحولوا مجراهم من الاندفاع الإباحي التحرري الى الطريق السوي الخالص ، انه رسالة الاحتجاج على ذلك العبث الماكن الذي أبحاثه نظرية الفن للفن، ودعت اليه المدينيات الزائفة في جميع أطوارها ، وروجت له المبادئ الهدامة التي أرادت أن تنال من القيم والمثل العليا ، وأوحت به المادية العنيفة من تحلل وفساد .

وحقا ذلك فان كل كلمة خطها الصوفية — كما تقول مقدمة كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف — كانت خالدة كالقلب الصوفي ؛ لأنها ارتبطت بالله واستهدفت رضاه

لقد أعلنت هذه الرسالة أن الاستهانة بالخلق والتحرر من الدين ليس الا تمردا على الانسانية نفسها وعلى جميع ما تمتلكه من مثل كريمة ومبادئ قديمة ، ولا يمكن للانسان أن يستغنى في انطلاقه الى مستقبله المشرق عن زاد روحى يعينه على أمره وعن قائد الهى يأخذ بزمامه الى غايته . كما لا يمكنه أن يكتفى بما أفاده من علم وتجارب قامت على المادة والعقل أكثر مما قامت على الروح ، والعلم ان لم يكن له من الأخلاق ما يهذه انقلب وحشا ضاريا وأصبح خطرا على كل منتفع به .

وفي كل ذلك شفاء للصدور وأمن للقلوب وصيانة للعقول وتصديق لهذه الكلمة : « اذا سيطرت المادة فى زمننا هذا على كل شىء فقد آن أن تمضى موسيقى الأدب الروحى الى مكان العلة من هذه القلوب فتذهب بقسوتها وجفوتها وترد لها مناعتها الروحية » .

موضوع الأدب الصوفى :

ما تقدم ندرك موضوع الأدب الصوفى فقد حفل بكثير من الموضوعات وطاف حول كثير من المعانى ، فنثر ونظم فى الأخلاق وأدب النفس ووسائل تهذيبها وألوان

وليست قيمة الأدب الصوفى قاصرة على موضوعاته التى تفهم مما تقدم ، ولكنها تتناول تعبيراته وعاطفته وصوره وأخيلته ، فهو فى كل ذلك يعد من أرقى الفنون الأدبية على الإطلاق ، وهو مع ذلك لم يحظ بعد بعناية الأدباء وتقاد الأدب ومؤرخيه العناية الكافية . يقول الدكتور زكى مبارك فى كتابه التصوف الإسلامى وأثره فى الأدب والأخلاق : « كان للصوفية أدب هو أعلى وأشرف من أدب البحرى

معاملتها ومجاهدتها ، وصاغ كثيرا من مواجيدته وألحانه في التضرع والمناجاة ، وأنشأ الكثير في المحبة الالهية وأسرارها وآدابها وأحوالها ، وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، كما حوى الأدب الصوفي كثيرا من الرسائل والوصايا والمواعظ والحكم التي تحث على التزام الطريق السوي واجتناب طريق الغواية والضلال .

وحال الأديب الصوفي دائما بين مجاهدة وذوق لثمار هذه المجاهدة . وفي تعبيره يدور في هذين الفلكين .

فالمجاهدة وما يصحبها من آداب وسلوك ومعاملة ومقامات كانت مصدر الهام لما قيل من دعوة الى الخلق والتمسك بالفضيلة والتحقق بالمقامات المختلفة من صبر وتوبة وتوكل وزهد وغيرها ، ويطلق على هذا اللون من الأدب اسم أدب التصوف العملى .

وتثمر هذه المجاهدة غالبا ثمارا يانعة من المعرفة كما تثمر أحوالا مختلفة من القبض والبسط والحب وما يتصل به من وجد وشوق وأنس وغير ذلك ، وتلك مادة سخية

لما يطلق عليه أدب التصوف النظرى .

التقاء موضوعات الأدب الصوفي مع معانى القرآن الحديث :

ومن شعر الزهد الذى فتح الطريق لشعر الصوفية الزاهدين وغيرهم من الشعراء قول عروة بن أذينة :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

كم من فقير غنى النفس تعرفه
ومن غنى فقير النفس مسكين

وأكثر أبو العتاهية من شعر الزهد وله فيه أفانين كثيرة واختلط في شأنه النقد ، ولكن قول الامام الشافعى رضى الله عنه يمثل شعر زهاد الصوفية تمام التمثيل . ومن ذلك :

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الى عذبتها وعذابها

فلم أرها الا غرورا وباطلا
كما لاح فى ظهر الفلاة سراها

وما هى الا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذباها

فان تجتنبها عشت سلما لأهلها
وان تجتذبها فاهشتك كلابها

من أمثال قوله تعالى « والله بكل شيء محيط » ومن قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود الى الكفر كما يكره أن يقذف به في النار ، وأن يكون الله ورسوله أحب اليه ممن سواهما » .

ومن شعر الصوفية في هذا المعنى قول أستاذنا العارف بالله الشيخ محمد علي منصور الأقدمي رحمه الله :

وأينما وليت لم أر غيره
محيطا ، ولا يدركه عبد هواه
وقول القائل الذي استشهد به
ابن عجيبة في ايقاظ الهمم :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمله لا يبصر القمر

لكن بظنت بما أظهرت محتجبا
وكيف يعرف من بالعزة استرا

وفي تعبيرهم عن الحب الالهي
يؤثرون أسلوب الرمز ضنا بما
يعرفون من أسرار الجلال حتى

فطوبى لنفس أوطأت قصريتها
مغلقة الابواب مرخى حجابها

وقد نظر الشافعي في هذه الأبيات الى تصوير القران الكريم لحال الدنيا في قوله تعالى : « اعلّموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » والى تصوير الحديث الشريف للدنيا في قوله « الدنيا جيفة وطلابها كلاب » .

وهكذا الشأن في الأدب الصوفي الذي ينحو هذا المنحى نراه لا يبعد عن أدب القرآن والحديث ، بل يسج على منوالهما في الدعوة الى الفضائل والحث على الأخلاق ، وأمثلة ذلك كثيرة لا أطيل بذكرها .

حتى في شعر التصوف النظري الذي يتحدث عن ثمار المجاهدة وآثارها وعما يشاهده الصوفي من مشاهدات وعما يضمه من حب شديد لله ورسوله الكريم انما يتحدث عن ذلك في ضوء ما أدركه

لا تتعرض للابتذال ، ومن أمثلة ذلك ما يقوله ابن الفارض :

جری حبها مجرى دمی فی مفاصلی
فأصبح لی عن كل شغل بها شغل

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى
فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد في حب نعم بنفسه
ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ولولا مراعاة الصيانة غيره
ولو كثروا أهل الصباة أو قلوا

لقلت لعشاق الملاحة أقبلوا
اليها على رأي وعن غيرها ولوا

وقد احتل مديح المصطفى صلى
الله عليه وسلم في أشعار الصوفية
مركزا مرموقا ، وصاغوا فيه دررا
غوالي ، اقتداء بأدب القراء ان الكريم
الذي امتدحه بقوله « وانك لعلی

خلق عظیم » وسيرا على قدم من
تقدمهم من شعراء الرسول صلى
الله عليه وسلم من أمثال حسان بن
ثابت الذي يقول :

وأحسن منك لم تر قط عینی
وأفضل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وكعب بن زهير الذي يقول :
ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
ومن بعدهما البوصيري الذي
تسبح شعر المديح ببرده الذهبية ،
وهمزته الوضاعة التي منها :

كيف ترقى رقيق الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد
حال سنا منك دونهم وسناء

انما مثلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء
وقد سار الشعراء على نمط هؤلاء
سواء كانوا صوفيين أم غير صوفيين .

فنون الأدب الصوفي :

والأدب الصوفي ليس قاصرا على
الشعر ، ولكنه في النشر له مقام
مشهود . والشعر بأغراضه التي
أشرت اليها آنفا وأوردت بعض أمثلة

لها من الأخلاقيات والحب الالهي
والمدائح النبوية ، يتصل

بها ما صاغوه في مدح شيوخهم ، النون يرجوه أن يدعو له - :
ويضاف إليها ما صاغوه من نظم « سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل
لعلوم التصوف وضبط قواعده عنك النعم ، واعلم يا أخى أن العلة
ومصطلحاته بأسلوب سهل أخاذ . مجازاة يأنس بها أهل الصفاء والمهم

أما النثر الصوفي فيتنوع الى والضياء، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس
رسائل ووصايا وأحزاب وأدعية من الحكماء ، ومن لم يأمن الشفيق
وصلوات على النبي صلى الله عليه على نفسه فقد أمن أهل التهم على
وسلم وقصص وحكم وغير ذلك أمره ، فليكن معك يا أخى حياء
مما يغص به النثر الصوفي من ألوان يمنعك من الشكوى ، والسلام » .

أدبية رائعة . والرسالة على ايجازها نموذج
رفيع للفن الأدبي الصوفي وما فيه كما أننا نجد بجوار ذلك كتبه
المتعددة التي قعدت قواعد التصوف، من معان مثالية تدل على إثارة الله
وبيئت أصوله وأحواله ومقاماته ، بالحب والاستئناس بالبلاء والفرح
وضبطت أحكامه وأركانه مما يعد ثروة علمية وذخيرة أدبية .

وقد لا يتسع المجال لعرض نماذج ومن نماذج وصاياهم ما أوصى به
لكل فنون النثر الصوفي ولكني أبو سعيد الخراز بعض أصحابه
أكتفى ببعض ذلك للتذكير وفي فقال له : « احفظ وصيتي أيها
الذكرى نفع للمؤمنين . المريد . وارغب في ثواب الله تعالى،

فمن نماذج الرسائل ما كتبه وهو أن ترجع الى نفسك الخبيثة
ذو النون المصري ردا على أحد فتهدبها بالطاعة وتميتها بالمخالفة
اخوانه - وقد اعتل فكتب الى ذى وتذبحها بالاياس فيما سوى الله ،
وتقتلها بالحياء من الله عز وجل ،

ويكون الله حسبك ، وتسارع الى جميع الخيرات وتعمل في جميع المقامات وقلبك وجل ألا يقبل منك» .
رزقوه من موهبة أديبة وبلاغة ومقدرة على صوغ أدق المعاني في أجمل العبارات •

اقرأ هذا الدعاء « هربت اليك بنفسى يا ملجأ الهارين بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، لا أحد شفيعا اليك الا معرفتى أنك أكرم من قصد اليه المضطرون ، وأمل فيما لديه الراغبون ، يامن فتق العقول بمعرفته ، وأطلق الألسنة بحمده ، وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه كفاء لتأدية حقه ، لا تجعل للهوى على عقلى سبيلا ، ولا للباطل على عملى دليلا »

واقرا للشاذلى رضى الله عنه :
« اللهم انك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شئ من جهاتى بعلمك فسمع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك ...
اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لانعلم بما لانعلم ... »

ومن ذلك قول عبد الله بن المبارك لرجل قال له أوصنى : « اترك فضول النظر توفى للخشوع ، واترك فضول الكلام توفى للحكمة ، واترك فضول الطعام توفى للعبادة ، واترك عيوب الناس توفى لمعرفة عيوبك ، واترك الخوض فى ذات الله تسلم من الشك والنفاق » •

وهى وصايا جامعة فى أسلوب رائع ومنطق جميل عنيت بالأسباب والمسببات دون تعقيد والتواء •

أما الأحزاب والأدعية والأوراد وصيغ المناجاة والصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم ، فهى كثيرة لا تحصى ، وان دلت فانها تدل على مدى ما وصل اليه هؤلاء من صفاء فى الروح وصدق فى التوجه واخلاص فى الطلب ، الى جانب ما

فهل ترى معنى أعمق من هذا افتتان :

وأسلوباً أرق من هذا ؟

« اللهم انى أستغفرك من كل

ثم اقرأ هذه الضراعة التى
أجعلها مسك الختام لهذه الحلقة
والتي أرجو الله أن يوفقني ليربطها
بحلقة أخرى تتحدث عن القصة
الصوفية والحكمة الصوفية - اقرأ
هذه الضراعة التى تشهد بما أوتيته
هؤلاء الأدباء من قوة بيان وحسن
ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك ،
ونالته يدى بفضل نعمتك، وانبسطت
اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن
الناس بسترى ، واتكلت فيه على
أناك وحلمك ، وعولت فيه على
كريم عفوك »
عبد الحفيظ فرغلي على القرنى

مناجاة

يسئرب : أين ترى مقام جهنم
للظالمين - غداً - وللغفار ؟
لم يبق عفوك فى السموات العلى
والأرض ، شبرا خاليا من نار
فمر الوجود يشف عنك لى أرى
غضب الحليم ورحمة الجبار

يعقوب بن داود وزير المهدي

للمستأذ السيرة من قرون

كان النصف الأول من القرن الثاني الهجري فريدا في مفاهيمه العقائدية، ومذاهبه الفقهية والفكرية، وحركاته الثورية والسياسية، اجتمع له من النوابع في كل علم وفن كواكب مضيئة ونجوم زاهرة كان لهم الأثر الكبير في صوغ المجتمع الاسلامي والعربي في صورة حضارية أخاذة، وكان الحوار في كل شيء سمة العصر، ولا يسلم السيف من غمده الا اذا اتصل الحوار بالخلافة، فعندها تخرس الألسنة وتصرخ الأسنة، كان الحوار في كل مجتمع وصقع، في المسجد وفي الأسواق وغيرها.

في هذا الجو الثريد الجديد على المجتمع الاسلامي نشأ (يعقوب بن داود بن طهمان) من موالى بني سليم وفي خراسان حيث يعمل والده موظفا عند والي (نصر بن سبار) وشاهد الصراع السياسي والمذهبي بين الهاشميين والامويين والهجمات الضارية التي يشنها الخوارج في كل موسم من مواسم الحج، وعرف جدال العلماء في الكوفة والبصرة، فكان ابن عصره علما وأدبا وسياسة وقد

كل يتحدث، كل يخطب ويجادل ويتحرك، ويكتب أيضا، وكم طال الحوار حول مرتكب الكبيرة، وبة قامت مذاهب متنوعة: مرتكب الكبيرة أكافر أم فاسق أم هو المنزلة بين المنزلتين؟ وسارت في الناس

مأساة قومية هزت المجتمع الاسلامي
هزا عنيفا ، فبقيت تعاليمه تتوغل في
كل مكان ثم صارت مذهبا يتخذه
الأتباع للتعبد ، وفر ابنه (يحيى)
الى خراسان فقتل في (الجوزجان)
بعد أن أوصى الى (محمد بن عبدالله)
من ولد (الحسن بن علي) فقتل
وعهد الى أخيه (ابراهيم) فقام
بالبصرة وشايعه أولو البصائر من
أصحاب الفقه والكلام واستولى
على فارس والأهواز ، فأرسل اليه
ال خليفة المنصور العباس جيوشه
فهزمت ثم قتل (١) ابراهيم وهو
منتصر .

وما شأن يعقوب بن داود في ذلك؟
يقول التاريخ : كان داود بن طهمان
وهو أبو يعقوب واخوته كتابا لنصر
بن سيار ، وقد كتب داود
قبله لبعض ولادة خراسان ،
فلما كانت أيام (يحيى بن زيد)
العلوي كان يدس اليه والى أصحابه
بما يسمع من نصر ويحذرهم ، فلما
خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن
زيد ويقتل قتلته والمعينين عليه من

اتيج له أن يكون مثقفا ثقافة واسعة
تؤهله لحمل أمانة العمل في الدولة
الناهضة ، وظهر رجل في عصره
شد الالتباه اليه ، كان بارعا
رائعا في كل أموره ، ذلك الرجل
هو (زيد بن علي زين العابدين)
حفيد الشهيد (الحسين بن علي)
رضى الله عنهما ، كان يحاور في كل
شيء ، ويجادل كل شخصية لها
مكائنها في المجتمع ، حاور الخليفة
هشام بن عبد الملك ورماه بالجور ،
ورماه هشام بخلوه من مؤهلات
الخلافة ، لأنه ابن أمة ، حاور والى
العراق ، وجادل بنى عمومته من أبناء
(الحسن بن علي) وجادل أخاه ،
لأنه عاب عليه مجالسة المعتزلة .

وأعجب من كل ما ذكرنا جداله
اتباعه وهو في حاجة اليهم ، فقد
أرادوه على التبرؤ من الشيخين
أبى بكر وعمر فأتى عليهما فرفضوه
واتجهوا الى ابن أخيه فسموا
«الرافضة» . وكان خروجه على هشام
ووالى العراق لدفع الظلم ورد الحق
الى أصحابه ثم استشهاده وصلبه

آماله ، وخاف المنصور على نفسه ، فلبجأ الى الفرار ولكن المنصور لم يتركه فقبض عليه ووضع في السجن مع من بقى من أبناء عبد الله العلوى ، واسحق بن الفضل الهاشمى فعاش في السجن في صحبة الحسن بن ابراهيم واسحق بن الفضل ، وانعقدت بينه وبين اسحق صداقة متينة ، وكانا يتحدثان في كل ما تزخر به الحياة من شئون الدين والدنيا ، وكان اسحق يرى أن الخلافة قد تجوز في صالحى بنى هاشم جميعا ، ومن كلامه أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلح الا في بنى هاشم ، وهى في هذا الزمن لا تصلح الا فيهم ، وكان يكثّر في قوله « للأكبر من بنى عبد المطلب » وكان يعقوب يجاربه في مسلكه ، واسحق هذا من ولد

(الحارث بن عبد المطلب) •

ومات المنصور ١٥٨ هـ وتولى المهدي بعده ، فرأى أن يطلق سراح المسجونين الا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، ومن كان معروفا بالسعى في

أصحاب نصر أتاه داود بن طهمان مطمئنا لموقفه منه ، فأمنه أبو مسلم ولم يعرض له في نفسه ، وأخذ أمواله التى استفادها من عمله مع نصر ، وترك منازل وضياعه التى كانت له ميراثا بمدينة (مرو) •

فمات داود حتى كان أبناؤه أهل علم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم ، ونظروا فاذا ليست لهم عند بنى العباس منزلة فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من العمل لنصر بن سيار ، فلما رأوا ذلك أظهروا « الزيدية » ودنوا من العلويين ، وطمعوا أن تكون لهم دولة فيعيشوا منها ، فكان يعقوب بن داود يجوب البلاد منفردا بنفسه حيناً ومع ابراهيم بن عبد الله أحياناً في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله •

فلما ظهر محمد و ابراهيم ابنا عبد الله وأعلنوا خلافة علوية كتب (على ابن داود) ل ابراهيم بن عبد الله والى البصرة ، وكان يعقوب يصحب ابراهيم في كل مكان يؤمه ، وكان معه حين قتل في المعركة ، تبخرت

المهدي يدعو للمشول بين يديه ،
فارتاع والتاع ، وود لو أن بينه
وبين الخليفة أمدا بعيدا ، فنهض
ولم يتكلم فكل كلمة محسوبة
عليه ، وكل حركة يؤاخذ عليها لقد
أفرج عنه ولما يسترح بعد . أو شاية
بلغت الخليفة ؟ ليكن ما يكون ،
ولم يدر في خلده ما جرى في مجلس
الخليفة ، ان الخليفة عناه أمر
الحسن فعرض على جلسائه ما
يشغله فقال : لو وجدت رجلا من
الزيدية له معرفة (بآل الحسن)
وعيسى بن زيد لكفاني المتاعب .
قال جلساؤه . يا أمير المؤمنين ،
لا يصلح لهذا الأمر الا يعقوب بن
داود فكان الأمر باحضاره .

دخل يعقوب بن داود وملبسه
يدل على تقشفه ، فكلمه وفتح
فوجده رجلا كاملا ، وصار من
حاشية الخليفة . خرج من المجلس
فعاوده الأمل وعاوده طموحه ، وذكر
فيما يريده المهدي منه . وما يريده
هو فأفتى لنفسه فتوى عمل على
تنفيذها ، كل ما يريده الخليفة
(الحسن بن ابراهيم) أو بمعنى

الأرض بالفساد ، أو من كان لأحد
قبله مظلمة أو حق فأطلقوا ، فكان
ممن أطلق يعقوب بن داود ، وبقي
الحسن بن ابراهيم العلوي في
السجن ، لأنه ابن الثائر ابراهيم
ابن عبد الله ، ولكن أتباعه من الشيعة
احتالوا له فحفروا سردابا نفذ الى
سجنه فهرب الحسن منه .

خرج يعقوب من السجن فوجد
دنيا غير الدنيا التي عهدا ، ليس
فيها مروان ولا بنو أمية ، وليس بها
الأمير ابراهيم ولا مجلسه العامر في
البصرة ، ولا المنصور فقد صار من
سكان القبور ، ولم ير أحدا من
أولى البصائر فقد تفرقوا أيدي سبا ،
ونظر حوله فلم يجد عملا ولا وظيفة
ولا قريبا ولا حيبا ، فأوى الى
المساجد يعمرها ، ولم تكن بغداد
عنده الا مسجدا ، والخليفة المهدي
مستطار الفؤاد ، مرتاع النفس لهرب
الحسن بن ابراهيم يجد في طلبه ،
ويث العيون في أثره فلا يبلغ مما
يغنى شيئا ، الخليفة المهدي في قلق
وأرق من خصمه ويعقوب في هم من
ماله . وكانت المفاجأة . وافاه رسول

الأكبر من بنى عبد المطلب ،
فلنرأب الصدع أولا ثم يجىء
الاتفاق ثانيا . هذا ما أفهمه من
موقفه ، فليس صحيحا أنه سعى
بالحسن حتى قبض عليه ليرتفع
شأنه عند المهدي ؛ لأن ما فعله حين
ولى الوزارة يناقض هذا تماما ،
فهو حين أراد أن يجمع الحسن
بالمهدي اشترط على المهدي أن
يعطيه أمانا ويصله ويحسن إليه »
وكان ذلك على رءوس الأشهاد .

ورأى يعقوب أن يفيد المهدي
بخبيرته واخلاصه فقال له ذات يوم:
يا أمير المؤمنين ، لقد بسطت عدلك
لرعيك ، وأنصفتهم وعممتهم بخيرك
وفضلك ، فعظم رجائهم فيك ،
وانفسحت آمالهم ، وقد بقيت أشياء
لو ذكرتها لك لم تدع النظر فيها
بمثل ما فعلت في غيرها ، وأشياء مع
ذلك خلف بابك يعمل بها لا تعلمها ،
فان جعلت لى السبيل الى الدخول
عليك وأذنت لى فى رفعها اليك فعلت .
فأعطاه المهدي ذلك ، وأمر خادما
المنصور الأسود (سليما) أن يكون
فى اذن يعقوب كلما أراد الدخول
عليه .

أوفق يريد الراحة من ثورات بنى
عمه ، وماذا عليه لو جمع بين
المتنازعين ، وأزال البغض من
النفوس ؟ ان الرعية كما عرفها تتوق
الى رتق الفتق بين بنى هاشم ، فلو
فعل هذا لأرضى الطرفين بل أَرْضَى
الناس جميعا . لقد كان دعاة بنى
العباس يدعون للرضامن آل محمد ،
وأبو مسلم الخراساني كان يقتل
قتلة يحيى بن زيد العلوى ،
وشاعرهم حرّض (عبد الله بن على)
على قتل وجوه بنى أمية بقوله
واذكروا مصرع الحسين وزيد
وقتيلا بجانب المهراس

فقد اثاره بذكر مصرع الحسين
بن على وابنه زيد ، وبحمزة بن
عبد المطلب شهيد أحد وهو ما يعنيه
الشاعر بالقتيل الذى قتل بجانب
المهراس ، فالزيدية كانت سمة
هاشم كلها ، علويها وعباسيها فلا
مانع من عودة المياه الى مجاريها
وتصبح الخلافة خلافة الهاشميين
جميعا ، وصديقه اسحق بن الفضل يرى
ذلك ، بل يرى أن تكون الخلافة فى

صار يعقوب يتردد على الخليفة ، رثت يعقوب بن دا
ولا ينكر ذلك الوزير (أبو عبيد الله ود حبال معاوية
معاوية بن يسار) من موالي وغدت على ابن علاثة اا
الأشعريين ولا القاضي (محمد بن قاضى بوائق عافيه^(١)
عبد الله بن علاثة الكلابي) وهما قل للوزير أبى عبيد الله
أقرب الناس الى قلب المهدي هل لك باقية ؟
وموضع نجواه ، فكان يعقوب يرفع يعقوب ينظر فى الأمور
النصائح فى الأمور الحسنة من أمر ر وأنت تنظر ناحية
الثغور ، وبناء الحصون ، وتقوية أد خلته فعلا عليك
الغزاة وتزويج العزاب ، وفكاك كذاك شؤم الناصية
الأسرى والمحبوسين ، والقضاء على ولم يطل أمر الوزير فى منصبه
الغارمين ، والصدقة على المتعفين ، ليتلقى الهجاء صريحا أو تعريضا
فحظى بذلك واتخذة أخا فى الله ، فقد صدر الأمر بتعيين يعقوب بن
وأخرج بذلك توقيعا ، وأثبت ذلك داود بن طهمان مولى بنى سليم
فى الديوان، ووصله بمائة ألف درهم، وزيروا • وصرح الخليفة عند تعيينه
فاتعشت حاله ، وارتاح باله ، « أن وصف لى يعقوب بن داود فى
واتسعت آماله ، وضعفت مكانة منامى فقيل لى اتخذه وزيرا » ولا
الوزير والقاضى فقال على بن خليل: حاجة بى الى النظر فى حلم المهدي
عجبا لتصريف الأمور فالرجل أعجب به و « فاتحه فوجده
ر مسرة وكراهية رجالا كاملا » فوجب الاتقاع به ،
والدهر يلعب بالرجا فبه هدأت ثائرة العلويين كما ظن ،
ل له دوائر جارية وفى يده (الحسن بن ابراهيم) وهنا

(١) القاضى عافية بن يزيد الأزدي •

مدح ابراهيم بقصيدة فضلها النقاد
على شعر الفرزدق وجريز ، وفيها
ذم المنصور وحين قتل ابراهيم غير
مطلعها وحذف ما يخص ابراهيم ،
ولا بأس من ايراد بعضها لتعلم مدى
حب بشار واعجابه بالأمر ابراهيم
والد الحسن غريم المهدي . قال :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
تجردت للاسلام تغفو سبيله
وتعري مطاه ليوث الضراغم
فمازلت حتى استتصر الدين أهله
عليك فعادوا بالسيوف الصوارم
فرم وزرا ينجيك يا بن سلامة (١)
فلست بناج من مضيم وضائم
لحا الله قوما رأسوك عليهم
وما زلت مرءوسا خيث المطاعم
أقول لبسام (٢) عليه جلالة
غدا أريحيا عاشقا للمكارم
من «الفاطميين» الدعاة الى الهدى
جهارا ، ومن يهديك مثل ابن فاطم؟
سرج لعين المستضى وتارة
يكون ظلما للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم

فوض اليه أمر الخلافة فصار الخليفة
يملك ولا يحكم كما نقول اليوم .
كان ذلك سنة ١٦١ هـ .

ومن أول يوم تقذ ما رسمه في
مخيلته فأرسل الى «الزيدية» فأتى
بهم من كل أوب وولاهم نفيس
الأعمال في الشرق ، والغرب ، وجعل
على المدن الكبرى من يثق به من
أولى البصائر كالكوكة والبصرة
ودمشق ومرو ، وكان في نيته أن
تكون مصر من نصيب زميله في
السجن اسحق بن الفضل الهاشمي
لكن تعيينه وزيرا أثار طوائف
وجماعات لها وزنها في الدولة ،
أثار بنى الحسن والعاوين عموما
وأغضب الوزير والقاضي ولهما أتباع
وأشباع ، وأغضب أبناء الدعوة من
الخراسانيين ، لأنه في نظرهم ابن
رجل خدم نصر بن سيار والى
الأمويين في خراسان ، وأغضب
خدم القصر لأنه غريب عنهم .

ويمثل ثورة بنى الحسن بشار
بن برد ، لأنه ويعقوب كانا في
صحبة ابراهيم بن عبد الله ، وبشار

(١) أم المنصور وهى أمة .

(٢) ابراهيم

يفضل ابليس على آدم ، فاذا ولي
الوزارة يعقوب للمهدي بعد القبض
على (الحسن بن ابراهيم) فتلك
الطامة الكبرى ، ولا تسكن ثأثرته
حتى يرى يعقوب طريدا من منصبه
أو قتيلا بيد من يخدمه .

وعلى رغم ثورة بشار وحسد
الحساد ونقمة الناقمين من أبناء
الدعوة العباسية وخدم القصر فقد
كان يعقوب رجل الساعة في مجتمعه
ضبط الأمور ضبط الحازم الخبير ،
وسهر حين نام غيره ، متنفذا أحوال
الامبراطورية ، له دين وعقل ، وعلم
وحلم ، ولقد استطاع التخلص من
بشار بقتله ولكنه عجز أن ينال منالا
من خدم المهدي وأبناء الدعوة من
خراسان لدالتهم على بنى العباس .

ومع أنه نفذ ما كان ينصح به
المهدي من بناء الجسور والقلاع ،
وتأمين السبل ، واشاعة الأمن في
ربوع الدولة وتقوية الغزاة ،
وارساء قواعد العدل وبسط
المساواة بين الناس الى كثير مما

بشار يرى المنصور مضيعا
للاسلام ويعرى ظهره لليوث
الضراغم ، ويرى ابراهيم هو الهادي
والسراج وعاشق المكارم ثم هومن
« الفاطميين » ولا أعرف أحدا سبق
بشارا الى هذه النسبة (فاطمي)
التي صارت فيما بعد علما على دولة
بأسرها . فبشار حزين وغاضب
وثائر على يعقوب لأنه تنكر
للمبادئ ، وخان العهد ، وعمل مع
قتلة ابراهيم ولو كان أحد يعفى من
لسان بشار لأعفى يعقوب لأنه من
الموالى وبشار شعوبى متعصب
للموالى ، ولكن يعقوب رضى أن
يكون وزيرا للعباسيين بعد صحبة
ابراهيم وهذا سر هجائه . قال :

بنى أمية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا
خليفة الله بين الدف والعود

ويخيل الى أن نكبة ابراهيم أذهلت
بشارا فجعلته يخرج عن طوره ،
فيعلن تورثه على المسلمين ويكفرهم
جميعا بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، بل يتمادى في الخبل

المهدى اسرافه ، فقال له : « ويلك لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين » •

وحكاية العلوى الذى أمر باعتقاله فى داره ثم هربه أو أراد أن يهربه فحيل بينه وبين ما يريد أقرب الى الشائعات منها الى الوقائع ، لأن هناك شائعة أخرى تصادم تلك الشائعة وهو سعيه ليكون الحسن بن ابراهيم العلوى فى قبضة المهدى والشائعتان تخدمان المهدى ، لأن الأولى تحمله على القضاء على يعقوب أو اقضائه من منصبه ، والأخيرة تجعل الزيدية والعلويين يناصبونه العداء ، والعلوى الذى زعمت الشائعة أنه هربه ثم يذكر الرواة اسمه ، ولو كان الأمر حقا لعينوه بالاسم واللقب •

والتهمة التى يستسيغها العقل ويأبأها الواقع هى تدبير يعقوب لقلب نظام الخلافة من أجل صداقته لاسحق بن الفضل الهاشمى • فقد قالوا انه كان يريد أن يعين يوما للانقلاب ، وجميع الولاة من صنعته • وفرق كبير بين أن يتحدث اثنان فى

يوجب تكريمه والثناء عليه الا أن أعداءه ومنافسيه جعلوا الحسن قبيحا ، والجد فى الأمور تقصيرا • كافت العناية تعمل عملها فى العامة والخاصة ترميه بالوصولية ولو على حساب الشرف والدين ، وتأمّر عليه من عرفوه قبل الوزارة ومن عرفوه وهو متقلدها ، وكان الوشاة ينتهزون فرصة غيابه عن الخليفة فيقولون ما يقولون ، وكانوا ينتظرون نكبته من حين الى حين • يقول بعض خدم القصر : كنا ننتظر نكبته صباحا فإذا دخل على الخليفة سرعان ما تشيع البهجة فى وجهه وينسى ما نواه ، فإذا أمره نافذ ، ومكاته فى ازدياده

والتهم التى وجهت اليه كثيرة كان يخرج منها بريئا تقيا ، اتهم باستغلال النفوذ ، وصل الى المهدى أنه بنى متنزها انفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين فوجه الخليفة اليه التهمة وآذاه بيده فنفاها وحلف قائلا والله ما سمعته أذنانى ، ولا كتبه الكرام الكاتبون ، ثم تبين أن بانى المتزّه أحد أمراء بيت الخلافة • وكيف يفعل ذلك وهو الذى عاب على

قد عرفنا اضطراب مصر ، وأمرتنى
أن ألتبس لها رجلا يجمع أمرها ، فلم
أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلا
يصلح لذلك • قال : ومن هو ؟ قال
ابن عمك اسحق بن الفضل • فرأى
يعقوب في وجهه التغير ، فنهض
وخرج ، واتبعه المهدي نظره ثم قال
قتلني الله ان لم أقتلك • ثم رفع
رأسه الى وقال : اكنتم علي ، ويلك ! •
قال الخادم : ولم يزل مواليه
يحرصون عليه ويوحشون منه حتى
عزم على ازالة النعمة عنه ، وقد كان •

قال النوفلي : أمر المهدي بعزل
أصحاب يعقوب من الولايات في
الشرق والغرب ، وأن يؤخذ أهل
بيته وأن يجسوا ، ففعل ذلك بهم •
هل كان يعقوب يرى مصيره من
ستررتيق ؟ انه كثيرا ما طلب من
المهدي اعفائه من العمل ، مدعيا أنه
ينفرع في نومه مخافة أن يقصر في
شأن المسلمين واعطاء الجند ، ويقول
له ، ليس دنياك عوضا عن آخرتي
فيقول المهدي : اللهم غفرا ، اللهم

السجن في شأن من الشئون وبين
تنفيذ تلك الأحلام ، فالأرض ثابتة
تحت أقدام العباسيين واذا كان
« النفس (١) الزكية » وهو المبايع من
السفاح والمنصور لم يستطع أن
يتغلب على المنصور فبعيد أن يبلغ
ذلك أي هاشمي آخر ، ومع بنى
العباس القواد والجنود والأموال ،
انما ما تحدث فيه يعقوب واسحق
ضرب من الأمانى في أن تكون الخلافة
شورى بين بنى عبد المطلب وفي
الأكبر منهم حتى لا يتولاها الصبية
الجهلاء بالوراثة وحتى لا يقعوا تحت
امرة الخدم والمتسلطين كما حدث
فيما بعد ، وقد وجد أعداء يعقوب
فرصتهم حين رأوا أن الولايات في يد
الزيدية أنصار الوزير ، وأن الدسائس
تنفع هنا • ويروى (على بن محمد
النوفلي) من ولد (الحارث بن
عبد المطلب) أن بعض خدام المهدي
ذكر له : أنه كان قائما على رأس
المهدي يوما يذب عنه اذ دخل يعقوب
فجثا بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) محمد بن عبد الله العلوي •

أصلح قلبه ، والماجنون حين يسمعون
يقولون :

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا
وأقبل على صهباء طيبة النشر

وقد أعفى قسرا وأدخل السجن
منكوبا سنة ١٦٧ هـ . ولم يكتف
المهدي بسجنه، فكان يعاوده بالعذاب
من حين الى حين .

ويبدو من منطق الحوادث أن
يعقوب بن داود كانت له منزلة في
المجتمع الاسلامي، وأن الخليفة كان
يخاف عليه أن يموت قتيلا ، وهذه
الحادثة التي نذكرها تدل على ذلك،
أمر الخليفة « على بن عيسى بن
ماهان » أن يضربه مائة سوط وحين
نفذ الأمر عيسى لم يضربه ضربا
مبرحا فلما خرج من عنده قال له
الخليفة : « ما صنعت بالرجل ؟ »
قال : « صنعت به ما أمرت » قال :
« فما حاله » ؟ قال : « مات »
ففرع الخليفة وقال : « ويلك
فضحتني والله عند الناس ، هذا
رجل صالح يقول الناس قتل يعقوب
بن داود ، فلما رأى جزعه قال :
« هو حي يا أمير المؤمنين لم يمت

ولكن الخليفة كانت الهواجس
تورقة من موقف يعقوب من اسحق
بن الفضل ففى ليلة أحضر الخليفة
اسحق بن الفضل ويعقوب من
السجن وواجه يعقوب بالتهمة وهى
العمل على نقل الخلافة الى اسحق
فقال يعقوب : « ما علمت بهذا
قط ؟ » وغضب الخليفة وقال له :
« أتكذبنى وترد على » وأمر
بضربه بالسياط ف ضرب اثنى عشر
سوطا ثم تبين أن الساعى الى هذا
غيره فاعتذر اليه ثم أخذ يستجوب
اسحق فنفى اسحق سعيه الى الخلافة
وطمعه فيها وقال له فيما قال : « ان
ذلك ليس من شأنى وكيف أقول هذا
يا أمير المؤمنين وقد مات جدى فى
الجاهلية (الحارث بن عبد المطلب) ،
وأبوك الباقي بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووارثه) يعنى
العباس بن عبد المطلب (» ومع أن
القضية واضحة وأن الرجلين بريئان
مما نسب اليهما فان الخليفة أصر على
أن يبقى يعقوب فى سجنه يقاسى
الظلام والأسقام حتى أتاه القرح على
يد الرشيد الذى كان يعجب به
ويميل اليه من صغره .

ولنترك يعقوب يحدثنا عن نهاية
 مجنه قال : « أمر المهدي بحبسي
 فحبست في « المطبق » واتخذ لي
 فيه بئر فدلّيت فيها ، فكنت كذلك
 أطول مدة لا أعرف عدد الأيام
 وأصبت يبصرى وطال شعري حتى
 استرسل كهيئة شعر البهائم فاني
 كذلك اذ دعى بي فمضى بي الى
 حيث لا أعلم أين هو ؟ فلم أعد أن
 قيل لي سلم على أمير المؤمنين
 فسلمت . فقال : « أي أمير المؤمنين
 أنا ؟ » قلت : « المهدي » قال :
 « رحم الله المهدي » قلت :
 « فالهادي » قال : « رحم الله
 الهادي » قلت : « فالرشيد » قال :
 « نعم » قلت : « ما أشك في وقوف
 أمير المؤمنين على خبري وعلتي وما
 تناهت اليه حالي » قال : « أجل كل
 ذلك عندي . فسل حاجتك » قلت :
 « المقام في مكة » قال : « تفعل ذلك
 فهل غير هذا ؟ » قلت : « ما بقي في
 مستمتع بشيء ولا بلاغ » قال :
 « راشدا » فخرجت وكان وجهي
 الى مكة » قال ابنه : « ولم يزل
 بمكة قلم تطل حياته بها حتى مات .
 كان ذلك سنة ١٧٠ هجرية وبذلك
 انتهت حياة رجل عظيم يعرف أمانة
 الحكم ويحملها بنزاهة وحزم
 أضاعته الدسائس والأحقاد ففقدت
 به الدولة الاسلامية وزيرا مصلحا
 يحسن رعاية ما قلده تمام الاحسان .
 السيد حسن قرون

باب الفتوى

اعداد وتقديم : الأستاذ/ عبد الحميد شاهين

(س) هل يمنع وجود اللزقة الأمريكاني على الجسد بمكان به ألم من رفع الجنابة اذا أراد الغسل منها ؟

(ج) مذهب الحنفية يوجب على الجنب غسل كل جزء من أجزاء البدن فان ضره الغسل بالماء مطلقا ولو ساخنا مسح الجزء الذى يضره الغسل ، فان ضره مسحه أيضا مسح على الجبيرة أو الخرقه ، ومثلها اللزقة ، فان ضره المسح على ذلك أيضا سقط عنه هذا الواجب ..

(ج) نفيد بأن مس الجن حاصل بنص القرآن الكريم : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » •

والعلاج منه بالرقيا والفوائد الروحانية لا مانع منه متى كان ذلك على يد رجل صالح موثق به •
مغرب بعيد عن الدجل والشعوذة ،
وجرى بأدعية مفهومة أو منقولة عن
يوثق به ••

(س) يتخرج بعض الناس من التبليغ ضد التجار الجشعين لبيعهم المواد بأسعار غالية تزيد على الأسعار

وبهذا يعلم حكم هذه الحادثة •
فانه ان ضره غسل موضع اللزقة أو ضره أيضا مسحه أو ضره حلها ،
ليغسل ما تحتها أو يمسحه ، مسح على اللزقة ، فان ضره المسح عليها لم يجب عليه شيء بالنسبة الى هذا الموضوع •
ويكفى في معرفة الضرر

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على تحريم الاحتكار وهو: احتباس الشيء انتظارا لغلائه فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: « لا يحكر الا خاطيء (الخاطيء المذنب العاصي) » وروى أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة — أى بمكان عظيم من النار ، وروى ابن ماجه عن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس » الى غير ذلك من الأحاديث .

والخلاصة أنه يجب على من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار مرتفعة عن الأسعار المقررة أو يختزن أقوات المسلمين وما يلزمهم في معاشهم فإذا كان واحدا وجب عليه وحده التبليغ فان لم يبلغ كان آثما ، وإذا كان من يعلم أكثر من واحد وجب على كل منهم أن يبلغ فإذا قام به

المقررة ، أو ضد من يختزنون أقوات الناس وما يلزمهم .. لاعتقادهم أن هذا التبليغ ليس واجبا عليهم شرعا .. فما رأى الدين الحنيف ؟

(ج) اذا قررت الحكومة أسعارا لما يحتاجه الناس في معيشتهم من طعام ولباس وغيرهما دفعا لظلم أصحابها ومنعا للضرر العام عن الناس وجب شرعا البيع بهذه الأسعار وكان البيع بأزيد منها ظلما محرما شرعا ..

وإذا نهت عن اختزان ما يحتاجه الناس كان الاختزان أيضا محرما شرعا ، ومنكرا يجب ازالته . ويجب على كل من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار زائدة عن الأسعار المقررة أو يختزن ما يحتاجه الناس أن يبلغ الحكومة لتعمل على ازالة هذا المنكر فانها لا تستطيع ازالته الا اذا علمت به ..

ووجب شرعا على من يعلم أن يبلغها ويعلمها بذلك ، وبذلك يسمى في ازالة الظلم ، وهو من أعظم وجوه البر وقد قال تعالى: « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

بعضهم لم يَأْتِ أحد منهم لحصول
المقصود بتبليغ بعضهم ، وإذا تركوا
التبليغ كلهم كانوا جميعاً آثمين كما
هو حكم الواجب الكفائي والله
أعلم .

يكون الدواء نجساً أو من مادة
ممنوع استعمالها شرعاً .

(س) هل يوجد في الشرع ما يحرم
عقد القران في شهر المحرم أم أن
ذلك عرف جرى عليه الناس ؟

(س) توصل الطب الى دواء حديث
يعطى للمرأة عند عملية الولادة
فيخفف عنها آلام الوضع ، فهل يمنع
الشرع استخدام هذا الدواء ؟

(ج) لا يوجد في الشرع ما يحرم
عقد القرآن في شهر المحرم . وما
تعرف عليه عند بعض الناس فعرف ،
فاسد لا أصل له .

(ج) اذا استطاع الطبيب تخفيف
آلام الولادة عن طريق دواء يحقق
ذلك ، فذلك مباح لأنه عمل انساني
وقد قال تعالى : « وما جعل عليكم
في الدين من حرج » وقال : « يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »
وقال صلى الله عليه وسلم « ان
الدين يسر » .

(س) في بعض الأحيان لا أجد ملبساً
طويلاً عند الصلاة ، مما يضطرني
الى لبس القصير ، وهو تحت الركبة
بكثير ، فهل تصح الصلاة في هذا
الثوب ؟

ان الصلاة في الثياب القصيرة
تحت الركبة للمرأة أو مع كشف
الرأس والذراعين صحيحة عند
المالكية غير أنها تكون مكروهة
اذا استطاعت ستر هذه الأطراف (١) .

فاذا استعملت المرأة هذا الدواء
لهذا الغرض فلا مانع منه اذ لم
يصحبه ما هو ممنوع شرعاً . كأن

(١) من سجلات لجنة الفتوى بالأزهر بتصرف .

الاختفان بالذكرى المئوية لمدار العلامة
الدكتور محمد إقبال

- محمد إقبال
أمير شعراء الإسلام
الدكتور عبد الورود سبلي
- إقبال في مصر
الدكتور محمد السعيد جمال الدين
- في ذكرى إقبال
الدكتور عبد الجليل سبلي
- إقبال
الدكتور مجي الخشاب
- محمد إقبال
كلمة سفير باكستان

محمد اقبال : أمير شعراء الإسلام

للمكتوب عبد الوارث شلبي
مدير ورئيس تحرير مجلة الأزهر

وفي مصر كان أول احتفال بهذه
المناسبة في جامعة الأزهر ..
ومن الأزهر الشريف جئت أحمل
قلبي الى شاعر الاسلام والمسلمين
الأكبر ..
لقد قالوا عنه : شاعر، وفيلسوف،
ومتصوف ..

ولكن .. من من الشعراء والفلاسفة
والمتصوفة كان مثل :
« اقبال » في شعره ، وفلسفته ،
وتصوفه ..

هوميروس .. أو .. داتني
جيتيه أم شكسبير ؟ طاغور أم شوقي
والمتنبى ؟

لقد كانوا شعراء حقا .. ولكن
الذي بقى من شعر هؤلاء لا يزيد
على مجموعة من الدواوين ؟ أو بعض
المسرحيات والقصص ، أو بعض
الاجاني والأناشيد تلقى في المناسبات

لا أنكر أنني أحبه ..
وقد بدأت معرفتي به حين كنت
طالبا صغيرا في الأزهر ..
وتوثقت معرفتي به حين قرأت
ما كتبه عنه علامة الهند أبو الحسن
الندوي ..

وتأكد حبى له وأنا أبكى في زيارة
ضريحه المسجى بالجلال والعظمة
بجوار بادشاهى مسجد فى لاهور ..

ان احتفالنا بالذكرى المئوية
لمولده اليوم .. يعنى الاحتفال
بمولد البعث للأمة الاسلامية ..

ويعنى الاحتفال بـ « الحق »
الذى استرده المسلمون في شبه القارة
الهندية الباكستانية ..

ويعنى الاحتفال بالقيم الانسانية
الرفيعة والمثل العليا ..

العابرة ، ثم ينتهى الانشاد والغناء
بستار كثيف على الشاعر والشعر،
ويتحول ما كتب أو قيل الى صدى
بعيد فى أذن التاريخ والدهر ..

وقد حاول « طه حسين » أن
يعقد مقارنة بين « اقبال »
وأبى العلاء كشاعرين تميزا فى
رأيه بلون من التفكير لا يتوفر عند
غيرهما من الشعراء والفلاسفة
والمتصوفة فقال :

شاعران يتقاربان كأشد ما يكون
التقارب ، ثم يتباعدان كأشد ما
التباعد : كلاهما شاعر أولا ،
وكلاهما فيلسوف ، أخضع
الفلسفة للشعر ، وأخضع الشعر
للفلسفة ، وكلاهما تصوف حتى بلغ
الغاية من التصوف ، وكلاهما بعد
ذلك خرج على التصوف التقليدى
المعروف واتخذ لنفسه سبيلا خاصا
فى التصوف لا يشاركه فيه أحد
ولكنهما بعد ذلك يختلفان
ويفترقان أشد ما يكون الافتراق ..

فأحدهما - وهو أبو العلاء
كان فى أيامه ينظر الى الهند ويطل
النظر إليها ، والأخذ عنها ، والتأثر

بها حتى التزم فى حياته حياة
المتنسين من البراهمة ..

والآخر - وهو اقبال - كان
ينظر الى العرب ويشيد بهم ويشنى
عليهم ، ويتخذهم المثل الأعلى
للانسانية الجديرة بالوجود والحياة
والبقاء ..

كلاهما آمن بشخصيته ، ودعا
الناس الى أن يؤمنوا بأنفسهم ولكن
أحدهما - وهو أبو العلاء - آمن
بشخصيته ايمانا انتهى به الى اليأس ،
وانتهى به الى اعتزال الناس ..
والآخر - وهو اقبال - آمن بنفسه ،
والتمس مثله عند العرب ولم يلتمسه
قريبا منه فى الهند ثم لم يعتزل ،
وانما كره العزلة ، ولم يلغ غرائزه -
كما فعل أبو العلاء - وانما دبر
وسيطر عليها وحكم عقله فيها ..

هذه المقارنة بين « اقبال »
وبين « أبى العلاء » - تظهر تفوق
(اقبال) فى شاعريته كشاعر ، وفى
ايمانه كمسلم ، وفى عبقريته كمفكر
وفى انسانيته كرائد من رواد
الاصلاح والتقدم ..

وقد قالوا عن « اقبال » انه أختها وبنت أراءها على انقراض من
فيلسوف .. سبقها ..

ولكن أية فلسفة هذه التي يريدون انتسابه اليها ؟

وماذا بقى من هذه الفلسفة التي جن المتفلسفون بأرائها وأقوالها ؟

خيالات وأوهام .. وشطحات عقول تسقط وتتهوى أمام أول تجربة لهذه الآراء والأقوال انها شئ أشبه بالسراب في صحارى المعرفة والعقل ، وستظل سرايا لانها لم تثبت أمام الواقع المتغير في كل عصر وأمام الصراع المتجدد في كل وقت .

ماذا بقى لـ (سقراط » وأفلاطون » « وأرسطو ») ؟ قديما ؟

وماذا تحقق لـ « نيتشه » « و » هيجل « وكانت » ؟ حديثا

لقد كان « سقراط » أبا الفلسفة كما قالوا : ولكن « افلاطون » هدم مذهبه وبنى مذهبه على انقاضه ، ثم جاء « أرسطو » وهدم مذهب « أفلاطون » وبنى مذهبه على انقراض مذهب استاذه .. وهكذا دواليك كلما جاءت أمه لعنت

وفي ذلك يقول اقبال :
ان الفلسفة التي لم تكتب بدم القلب فلسفة ميتة أو محتضرة .
وقد انتهت به دراسته للفلسفة الى القول بأنها « صدفه خالية من اللؤلؤ » وقد كتب بذلك - الى صديق له من « الهاشميين » أثرت فيه الفلسفة تأثيرا عميقا - يقول له :

أنا رجل - كما تعرف - انتهى فى أصلى الى « سومنات » وكان أبى من عباد « اللات ومنات وأن أسرته عريقة فى أبرهيمية . وأنت تجرى فى عروقك دماء الهاشميين ، وتنسب الى سيد الاولين والآخرين ، وقد امتزجت الفلسفة بلحمى ودمى ، وجرت منى مجرى الروح ، وأنا وأن كنت لا أحسن شيئا - فلا شك أنى نزلت فى أعماق هذه الفلسفة ، وتغلغلت فى أحشائها ، وبعد ذلك أقول :

ان الحكمة الفلسفية ليست الا حجابا للحقيقة، وأنها لا تزيد صاحبها

الا بعدا عن فهم الحياة ، وأن بحوثها
وتدقيقاتها تقضى على روح العمل .
لقد كان « اقبال » شاعرا ينظم
شعره من فيض الوحي . .

هذا « هيغل » الذى تبالغ فى
تقديره . . أن صدفته خاليه من
الؤلؤة . . وأن نظامه ليس الا وهما
من الأوهام . . لقد انطفأت شعلة

القلب فى حياتك أيها السيد ، وفقدت
شخصيتك . . ان البشرية تريد أن
تعلم كيف تتقن حياتها وكيف تخلد
شخصيتها ولكن الفلسفة لا تساعدهم
فى ذلك .

فهل كان « اقبال » متصوفا ؟؟
لقد تناول المرحوم « عباس
العقاد » هذا الجانب من حياة
« اقبال » فى سياق حديثه عن
العظمة ومقاييسها العادلة . .

ان الدين هو الذى ينظم الحياة
.. ولا يؤخذ ذلك الا من
« (ابراهيم) » و محمد عليهما
الصلاة والسلام . فالزم أيها السيد

تعاليم جدك « محمد » عليه الصلاة
والسلام . .
وهى عظمة ليست بالدينية
المادية . .
وليست بالأخروية المعرضة عن
هذه الدنيا . .

فاذا كان هذا هو رأى « اقبال »
فى الفلسفة فهل كان « اقبال » واحدا
من هؤلاء الفلاسفة ؟
ذلك : لأن العظمة الدينية
المادية - أغرقت الغرب فى الجحود
والقنوط ودفعته الى النزاع
والعدوان بين الأمم وبين الطوائف
وبين الطبقات والآحاد . .

واذا لم يكن « اقبال » شبيها
بهؤلاء فى المنهج والفكرة . .
فماذا يكون « هو » ان لم يكن
رأس الفلسفة والحكمة ؟

واذا تكشفت النفس الغريبة عن
شئء فانما تتكشف عن حيرة لا تفقه

معنى الحياة .. لأنها كما يقول دكتور « كاريل » في كتابه (الانسان ذلك المجهول) حضارة

انها عظمة صوفي يعمل ..

وعظمة عامل يتصوف ..

واذا وجب للعظماء حقهم في كل زمن ، اذا كان هذا الحق أوجب ما يكون على الشرق في هذا الزمن ، واذا نظرنا حولنا نبحت عن مثال لهذه العظمة وهذه الشخصية .. فذلك المثال هو « اقبال » وذكرى « اقبال » ..

ومن حق « اقبال » ان يذكره في مثل هذا اليوم كل مسلم ، بل كل مفكر في الوجود ، فلم يكن « اقبال » .. ابن الباكستان وحدها ، ولا شاعر الشرق وحده ، بل كان كما يقول الأديب المصري - أحمد حسن الزيات - بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه فصفت صفاء الفطرة ، وخلصت خلوص الحق وسطعت سطوع الهدى ..

تولدت من خلال الكشف العلمية، ومن خلال شهوات الناس .. تفعل هذا الشيوعية ، كما تفعل الرأسمالية .. ان هذه وتلك تعيشان على الشره والجشع وخداع الانسانية ..

فالشيوعية - تقضى على الدين .. والرأسمالية - تقضى على الروح ، وكلاهما موت للانسان الذى استخلفه الله على هذه الأرض ..

كذلك ، فان العظمة الأخروية التى تعرض عن الدنيا قد هبطت بالشرق الى الحضيض الأسفل ، وجرت عليه نكبات الاستعمار والاستغلال ..

ولقد كان « اقبال » مثالا للعظمة الجامعة بين الحسينيين .. صوفى على الطريقة الوسطى ..

أو زعيم من زعماء العمل بين العدوتين من الدنيا والآخرة ..

وحين انقسمت الصوفية قسمين كان « اقبال » الى جانب أفضل

فهم « اقبال » الاسلام على بامضى الاسلام الذى حرر الرؤوس
 حقيقته التى أنزلها الله وعلى طريقته وظهر النفوس وأصلح الأرض ،
 التى سنّها الرسول ، وعلى سياسته ويندب حاضر المسلمين الذى مزق
 التى نفذها الصحابة ، فهمه على أنه التراث المحمدي المهمل بين أقوام
 سعادة الحياتين بالايان الخالص ، سخرهم الشيطان لافساد الكون .
 وعمارة الدارين بالعمل الصالح ، فسخروا العلم لاستغلال الطبيعة ،
 وقوة المشرقين بالوحدة الشاملة ، وسخروا الطبيعة لاستغلال الناس ،
 فدعا فى « أسرار خودى » الى تقوية وهم الذين عناهم فى بعض شعره
 الذات فى الفرد بالحب والتقوى وفى حيث قال :

« صليل الجرس » الى يقظة الوعى (خلقت يارب من النار ابليس)
 بالثورة والجهاد ، وفى « رسالة واحد ، وخلقت من الطين ألف
 المشرق » الى توثيق الأخوة ابليس (...)
 الاسلامية فى المشرق بالوحدة

والتعاون، ثم كان هذا الرجل المختار فاذا كان « حسان » شاعر
 الذى نبت جسمه فى رياض الهند ، الرسول . فقد كان « اقبال » شاعر
 وانبثق روحه من ضياء مكة ، وتآلف الرسالة ..
 غناؤه من ألحان شيراز ..

واذا كان لـ « حسان » من نازعه كان لسانا لدين الله فى دنيا
 شرف الدفاع عن « محمد » فليس العجم ، يفسر القرآن بالحكمة ،
 لـ « اقبال » من نازعه شرف الدفاع ويصور الايمان بالشعر ، ويدعو
 عن (الرسول) ، واذا كان فى الى حضارة شرقية قوامها الله
 الشعراء الصوفيين من عطر مجالس والروح ، وينفر من حضارة غربية
 الذكر بفنائل الاسلام ، فليس فيهم عمادها الانسان والمادة ، ثم يشيد
 من بلغ مبلغ « اقبال » فى فقه

الشريعة وعلم الحقيقة ، والتأمل هو (أحمد شوقي) فقد كان أمير
 الفلسفى فى كتاب الله والنظر العلمى شعراء الاسلام فى عصرنا الحاضر -
 فى كلام الرسول ، والجمع بين قديم من غير منازع - هو العلامة
 الشرق وجديد الغرب ، فى قوة الدكتور (محمد اقبال) *
 تمييز ، وسلامة فهم ، وصحة حكم ..
 رحمه الله رحمة واسعة ..

وجزاه عن الاسلام والمسلمين فاذا كان للعرب فى عصرهم
 خير الجزاء .. الحاضر شاعر يلقب بأمير الشعراء
 د . عبد الودود شلبى

حين جمعت متاعى راحلا عن هذا العالم . قال الجميع .
 اننا نعرفه جيدا .

لكن احدا لم يعرف شيئا عن هذا المسافر من أين جاء ؟
 وماذا قال ؟ ومع من تكلم ؟

محمد اقبال

إقبال في مصر

للدكتور محمد السيد جمال الدين
الأستاذ المساعد للغة الفارسية وآدابها
بجامعة عين شمس

منذ أن زار إقبال مصر في طريقه إلى لندن سنة ١٩٣١ م وهويكاد يكون شخصية معروفة في الديار المصرية ، التي كانت قد تأججت فيها نيران الحركة الوطنية ، واستعرت فيها حركة البحث عن الذات ، وهي الحركة التي حاولت أن تجد لمصر - بمنأى عن الاستعمار - مقومات ذاتية تصلها بماضيها العريق وتجد فيها متنفسا لتلك الرغبة العارمة في الأخذ بأسباب الرقي ، وهي الرغبة التي تتملك وجدان هذا الشعب الأصيل .

في ذلك الوقت جاء إقبال إلى مصر ، ولم يكن معروفا إلا من

جانب بعض الدارسين المصريين في بلاد الغرب (١) ، وألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة . يقول واحد ممن حضروا هذه المحاضرة وهو الاستاذ / فتحى رضوان - الذى عمل فيما بعد وزيرا للثقافة في مصر ، وكان أحد الذين تأثروا بفكر إقبال وفلسفته - يصف فتحى رضوان مشاعره عند لقائه بإقبال قائلا : « كان إقبال في هذا اليوم صورة غامضة أخذت بمجامع فؤادى واستولت على لبي وقد سمعته في المساء في جمعية الشبان المسلمين يتحدث عن مجمل فلسفته ويتخذ من الاسراء وسورة الاسراء سبيلا إلى شرح هذه الفلسفة » (٢) . ولقد حضر

(١) أنظر عبد الوهاب عزام ، محمد إقبال ، حياته وشعره وفلسفته ، طبع مصر سنة ١٩٥٤ ، ص ٤

(٢) محمد إقبال طبع مصر ١٩٦٥ ، ص ٣١ - ٣٢

هذه المحاضرة أيضا المرحوم الأستاذ عبد الوهاب عزام ، الذى يعد صاحب الفضل الأول فى تعريف اقبال الى الناطقين بالعربية والذى أخذ على عاتقه منذ التقى باقبال فى جمعية الشبان المسلمين أن ينشر دعوته بين العرب ، ويترجم أشعاره الفارسية والأردية ، ويعرّف بفكره ويقدم له ، وبذل عزام منذ ذلك الوقت مجهودا سخيا فنشر أول الأمر عددا من المقالات عن فكر اقبال مشفوعة بترجمة منشورة لأشعاره فى مجلة « الرسالة » التى كانت تعد فى ذلك الوقت كبرى المجالات الأدبية والتى كانت توجه التيار الأدبى لا فى مصر وحدها ولكن فى العالم العربى كله ولقد تركت هذه المقالات لدى قرائها - ومن بينهم عدد ممن كتب بالعربية عن اقبال من المعاصرين له كفضيلة الامام الشيخ عبد الحليم محمود (١) - شيخ الازهر - تركت هذه المقالات انطباعات فورانية قدسية عن اقبال ،

وصادفت فى النفوس قبولاً واستجابة وحماسا شديدا لأفكاره ودعوته ، وواصل الاستاذ عزام - رحمه الله - جهوده التى لا تعرف الكلل لتعريف العرب باقبال فأخذ يلقي المحاضرات ، ويعقد الندوات للتعريف به وبشعره وفكره فى أرجاء القطر المصرى حتى انتقل اقبال الى جوار ربه فى أبريل سنة ١٩٣٨ ، فكان لعزام أيضا جهد وافر فى حفلات تأييد العلامة بعد وفاته ، وهى الحفلات التى أقيمت فيها الكلمات أيضا لشرح فلسفة اقبال وبيان أفكاره . والحق أن هذا المجهود الوافر الذى بذله أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام وهذه المقالات التى نشرها فى مجلتى الرسالة والثقافة وهذه المحاضرات التى ألقاها بالقاهرة والاسكندرية للتعريف بشاعرنا الكبير . كل ذلك كان أكثر تأثيرا وأشد فائدة فى التعريف باقبال من الدواوين التى نقلها بعد ذلك الى العربية وحرص

(١) راجع كلمته التى أقيمت فى احتفال جامعة الازهر بالذكرى المئوية

لمولد اقبال فى ١/١١/١٩٧٧ م .

اللفظ على عمق المعنى بحيث تغيب المعاني التي أرادها اقبال في غياهب الألفاظ المنمقة والمصاريح الشعرية المركزة . وشعر اقبال في الفارسية والأردية على السواء شعر يركز المعنى الواسع في عبارات موجزة هي أشبه بالكلمات القصار التي يسهل حفظها وتداولها على الألسن ، فاذا ما ترجمنا هذا الشعر الى شعر عربي ، والشعر العربي كما تعرفون - يفضل الايجاز على الاطناب والاسهاب ، فأنتنا نزيد من تركيز الشعر ، ونغلفه بشيء من الغموض ، يذهب بتأثير الشعر وروعه .

ونحن لا نريد بهذا أن نقص من شأن المترجم ، الذي عرف بعلو الهمة وجودة القريحة والاخلاص والمثابرة ، وانما نريد أن نقول أن ترجمات عزام الشعرية لم تفصح عما يكنه شعر اقبال من أسرار ولم تبين عن قيمته الحقيقية التي تتفق من الشهرة التي أتيحت لاقبال ، وهي الشهرة التي كان عزام نفسه هو

على أن يترجمها - بلغة الشعر - وفي رأينا أن أستاذنا الدكتور عزام قد قام بدورين في هذا الصدد ، دور الوسيط الأدبي الذي عرف أمته العربية باقبال ، وكان داعية له فيهم ، فكان عزام في ذلك اشبه ما يكون بالأديب الفرنسي الشهير فولتير عرف الفرنسيين بشكسبير (١) . . ولقد نجح عزام نجاحا بالغاً في القيام بهذا الدور ، أما الدور الثاني فقد كان دور المترجم ، وهو الدور الذي لم يصب فيه عزام نفس القدر من النجاح الذي أتيح له وهو يقوم بدور الوسيط . لقد حرص عزام وهو يترجم دواوين اقبال: ييام مشرق ضرب كليهم - أسرار خودي - رموز بن خودي ، حرص عزام على ترجمة الشعر بالشعر ، وهو امر نجح فيه من الناحية الفنية الى حد بعيد ، ولكن هذه الأشعار المترجمة تكاد لا تؤثر في نفس قارئها تأثير الشعر الرقيق ، ولا تعطى صورة واضحة لأفكار اقبال ورسائله ، ويغلب فيها روتق

(١) انظر : محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ط . مصر ١٩٦٢

الذي قام بالدور الرئيسي في تحقيقها • ولعل هذا هو مادفع الأديب العربي الكبير الأستاذ على الطنطاوي أن يوجه نداء الى العلامة الأستاذ أبي الحسن الندوي في مجلة « المسلمون » التي تصدر في دمشق ، قائلا له « •• هل لك أن تختار من شعر اقبال ما يجعلنا تذوق طعم أدبه ونلم بطريقته ، وتتجلى أسباب عظمته فان كل ما قرأنا من كلامه مترجما الى العربية لم يعرفنا به ، ولم يدلنا عليه •• فهل تضيف يا أخي با أبا الحسن الى ماثرك هذه المأثرة ، فتفتح للعرب كوة على هذه الروضة المحجة أو تحمل اليهم زهرات منه فتحسن بذلك الى العرب وباكستان والى الأدب والاسلام (١) •

وجاء أبو الحسن الندوي فنظر في دواوين اقبال وأشعاره التي ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام ونشر بدمشق كتاب « روائع اقبال سنة

١٩٦٠ » ولاحظ في مقدمة الكتاب أن حرص عزام على ترجمة شعر اقبال الى شعر عربي هو الذي أدى الى هذا الغموض الذي أحاط بفكار الشاعر بعد ترجمتها الى العربية شعرا (٢) والحقيقة أن كتاب « روائع اقبال » للأستاذ أبي الحسن الندوي - كان على ضالة حجمه - اضافة جديدة للمكتبة العربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، فقد استطاع كاتبه في براعة وبصيرة أن يختار من دواوين اقبال مقتطفات توضح طريقته وأفكاره الى حد كبير وأن يقدمها في ثمر سهل ميسور دل على تمكنه من اللغتين العربية والفارسية وامتلاكه لناصيتهما • غير أن هذا الكتاب رغم أهميته لم يكن متداولاً في مصر على نطاق واسع ، لأنه طبع في دمشق ، ولذلك حرم منه أغلب المثقفين المصريين ، وربما لم يسمع بعضهم بصدوره ، وظلت نسخه نادرة تتلقفها الأيدي •

(١) المسلمون العدد الثالث المجلد السادس

(٢) انظر أبو الحسن الندوي روائع اقبال طبع دمشق ١٩٦٠ ص ٩-١٠

ولقد جاء كتاب « روائع اقبال » تنويجا للجهود التي بذلها العلماء في شبه القارة الهندوباكستانية من أجل المساهمة في تعريف العرب باقبال ، وقد بدأت هذه الجهود عندما أحس هؤلاء العلماء بالغيب لأن طاغور أشهر في الأقطار العربية من اقبال .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى في مقدمته لكتاب « روائع اقبال » وكان يغيظنا أن طاغور أشهر في الأقطار العربية من اقبال ، واعجاب اخواننا العرب والأدباء في مصر وسورية لشعره أكثر ، وكنا نعد ذلك تقصيرا منا في تعريف شعر اقبال ، وكلما رأينا تنويها بشعر طاغور واطراء له في مجلة عربية - وما أكثر ما كنا نرى ذلك في المجلات العربية - قوى عزمنا على ترجمة شعر اقبال ، ورأيناه أمانة في أعناقنا « (١) . وقد أسفرت جهود هؤلاء العلماء في شبه القارة الهندوباكستانية عن صدور مقال للأستاذ مسعود الندوى بعد وفاة اقبال في سنة

ولئن كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام قد جانبه التوفيق - الى حد ما - في ترجمة الشعر بالشعر ، فقد استطاع فضيلة الشيخ الصاوى شعلان بما جباه الله من شاعرية متدفقة وروح اسلامية

تتضمن أشعاراً مترجمة بنفس الطريقة في مجلة « منبر الاسلام » وهي مجلة شهرية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .



في سنة ١٩٥٤ أصدر الدكتور عزام كتاباً بعنوان « محمد اقبال : حياته وفلسفته وشعره » ويشتمل الكتاب على ترجمة منشورة لأجزاء من منظومتي « أسرار خودي » و « رموز بسى خودي » وفي سنة ١٩٥٥ صدرت الترجمة العربية لكتاب اقبال « تجديد التفكير الديني في الاسلام » ونظر الأدباء والمثقفون في مصر الى هذين الكتابين نظرة اكبار واجلال ، وعدشوهما مجعما تجمعت فيه أفكار اقبال وفلسفته كلها ، فوضعوا الكتابين أمامهم ، واستندوا اليهما في اصدار احكامهم عن فكر اقبال وفلسفته ، وقنعوا بالرجوع اليهما باعتبارهما جامعين شاملين في هذا الصدد . وهذا يعد - في رأينا - خطأ كبيراً ، ومن هذا الباب جاءت

حقه ، أن يفصح عن المعاني التي أرادها اقبال كأنه ألهمها هو في شعر يهتز له الوجدان . ولعل أوضح مثل على ما أقول ترجمته لقصيدتي ، « شكوى » و « جواب شكوى » و « أنشودة المسلم » ، وترجمته لديوان « بس جه بايد كرد أى أقوام شرق » وهي الترجمة التي صدرت هذا العام (عام ١٩٧٧) بالقاهرة .

وللشيخ الصاوى شعلان طريقة خاصة في الترجمة يجمع فيها بين انحسينين ، بين الشعر والنثر ، فهو يترجم شعر اقبال نثراً أول الأمر ، ثم ينقله شعراً بعد ذلك ، فيكون امام القارئ ترجمتان احدهما نثرية والأخرى شعرية ، يقرأ القارئ الترجمة النثرية الواضحة أولاً فيتمثل المعاني التي أرادها اقبال بتمامها ، ثم يقرأ الترجمة الشعرية بعد ذلك فيرى هذه المعاني قد لبست ثوب الشعر الجميل . وهذه الطريقة من أفضل الطرق وأشدّها تأثيراً في نفس القارئ . وقد نشر الأستاذ الصاوى شعلان سيلاً متدفقاً من المقالات التي

أغلب الانتقادات التي وجهها العلماء
المصريون الى اقبال •
حرف ته دارى بانداز فرنك
ناله مستانة از تار جنك (١)

ذلك لأن نظرية الذاتية هي
الجانب الوحيد الذي عرضه عزام في
كتابه المذكور من فلسفة اقبال ،
فبدت هذه النظرية وكأنها كل ما
لاقبال من فلسفة ، في حين أن هذه
الفلسفة تنطوي على جوانب كثيرة
ومتعددة غير الذاتية ، وما نظرية
الذاتية الا أساس طوره تطويرا
شاملا بعد ذلك وأقام عليه نظاما
فلسفيا شامخا ، كذلك يبين اقبال
بنفسه أن ما عرضه من آراء وأفكار
في كتاب « تجديد الفكر الديني »
انما عرضه بأسلوب عقلي محض قد
لا يخلو من تعقيد ، فقال :

فلقد كان اقبال يتمتع بشجاعة
أدبية فادرة ، وكان لا يتحرج من
العدول عن فكره ، ولا يتردد في
حرف ييجاييج وحرف نيش دار
تاكنم عقل ودل ردان شكار
أثبتت خطاه • من ذلك مثلا أنه

(١) محمد اقبال : جاويد نامه ، لاهور ١٩٣٢ ، ص ٢٣٧
(٢) في تعليقاته على اجتهاد اقبال في تفسير بعض آيات القرآن الكريم
(٣) في كتابة الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي •
(٤) في كتابة الاسلام والعقل •

محمود^(١) ، قد وضحت أبعادها تماما في « جاويد نامه » من خلال عرض اقبال لتطور العقيدة الانسانية في فلك القمر ، ومن خلال فكرته الشاملة عن الحياة والموت والخلود التي عرضها على لسان السلطان الشهيد « تيبو » .

وهكذا نلاحظ أن الدراسات العربية لفكر اقبال كانت قد توقفت عند مرحلة مبكرة نسييا من مراحل تطور فلسفته وآرائه^(٢) ، ولم يجل هذا الغموض أو يعالج هذا القصور الا الدراسات الأكاديمية المتخصصة في الجامعات المصرية التي تمت بعد ذلك .

ولقد دأبت الهيئات الدينية والعلمية والثقافية في مصر على الاحتفال في كل عام بذكرى وفاة اقبال ، فالأزهر والجامعات المصرية والمحافل الدينية والثقافية والسفارة الباكستانية بالقاهرة لا يتركون هذه المناسبة تمر دون وقفة تأمل و إعجاب

أشاد بتركيا الحديثة ونهضتها في كتاب « تجديد التفكير الديني » ولكنه ما لبث بعد سنتين تقريبا أن عدل عن هذا الرأي بعد أن تكشفت له حقيقة الحركة الكمالية ونزوعها الى تقليد الغرب في نبذ الدين ، فشن عليها هجوما شديدا ونقدها نقدا لاذعا في « جاويد نامه » على لسان السياسي التركي الكبير « سعيد حليم باشا » ولكن الدكتور محمد البهي مدير جامعة الأزهر السابق أفاض - دون ان يقرأ « جاويد نامه » - في نقد اقبال على حسن ظنه بالحركة الكمالية^(٣) .

وفضلا عن أن فكر اقبال يتسم بالتطور والتجدد والمرونة ، فأن من سماته أيضا أنه يوضح نفسه بنفسه ، ففكرته الخاصة بتطور الأنسانية التي بدت غامضة في « تجديد التفكير الديني » والتي انتقدتها الدكتور عبد الحليم

(١) انظر محمد البهي : الفكر الاسلامي . . ص ٤٤٢ وما بعدها

(٢) في كتابة الاسلام والعقل ص ١٥٢ وما بعدها .

(٣) نشر اقبال « جاويد نامه » في سنة ١٩٣٢

بعد نشر ديواني الأسرار والرموز بنحو ١٥ عاما

هذا الشاعر الفيلسوف الذى الماجستير (Master of Arts) فى موضوع « أرمغان حجاز » لا ينضب معينه والذى لا يفتأ شعره يتفق كل حين عن كل جديد وعجيب .

ولقد كان اهتمام الجامعات المصرية بالاحتفال بذكرى اقبال (١) حافظا دفع بعض الدارسين على التخصص فى الدراسات الاقبالية . ولقد بدأت جامعة عين شمس بالقاهرة فى هذا المضمار عندما سجلت فيها فى سنة ١٩٦٧ رسالة للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب فى موضوع « جاويد نامه » دراسة تحليلية نقدية ، وكان صاحب هذه الرسالة هو هذا العبد الفقير الذى نشر كتابا عن نفس الموضوع فى سنة ١٩٧٤ . وفى جامعة القاهرة حصل زميلى وصديقى الدكتور سمير عبد الحميد على درجة

أخرى ، تنزع الى عقد المقارنة بين اقبال وغيره من المفكرين والشعراء الاسلاميين ، فقد منحت جامعة عين شمس سنة ١٩٧٦ درجة الماجستير فى موضوع « المعراج فى الآداب الاسلامية » وهى دراسة اتخذت من « جاويد نامه » لاقبال نموذجا للموضوع . كما سجلت أخيرا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة رسالة بقسم الدراسات الفلسفية بعنوان « محمد اقبال والفكر الاسلامى » .

وهكذا - أيها السادة - تستمر فى مصر الدراسات والأبحاث والترجمات لأفكار اقبال دون توقف ،

(١) ونخص بالذكر ذلك الاحتفال الكبير الذى أقامته جامعة القاهرة فى سنة ١٩٥٦ بذكرى وفاته ، وقدلقى صفوة من كبار الشخصيات المصرية كلمات عن اقبال منهم الدكتور طه حسين ، والاستاذ عباس العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والاستاذ احمد حسن الزيات وقد نشرت سفارة الباكستان بالقاهرة فى السنة نفسها كتابا تضمن كلماتهم فى هذا الاحتفال .

الذاتية المصرية في مجملها موصولة
 الأسباب بالاسلام لكنها كانت تنزع
 الى التجديد ، والى طرح الأفكار
 الجامدة ، والاندماج في حياة واقعية
 تمتد مثلها من الدين الحنيف ،
 ولذلك وجدت نظرية اقبال عن
 الذاتية وعن الرجل المؤمن « أو »
 « مرد مؤمن » ترحيبا واستجابة
 كبيرة في مصر ، واتخذت أبعادا
 ظهرت في الحركات الاصلاحية
 المصرية التي جعلت الدين أساسا
 لكل اصلاح وتطور ، كحركة
 الاخوان المسلمين ، فلقد تأثر الاخوان
 المسلمون - أفرادا وجماعة - بفكر
 اقبال عامة ، حدثني أحد الأصدقاء
 أن بعض الاخوان كانوا يسمون
 أبناءهم بمحمد اقبال ، تيمنا بهذا
 الاسم وتبركا باسم اقبال ، مع أن
 اطلاق اسم اقبال على الأولاد لم يكن
 شائعا في مصر . ولقد رأى الاخوان
 المسلمون في شعر اقبال نموذجا حيا
 للشعر الاسلامي الذي يعبر تعبيرا
 حقيقيا عن دأب المسلم الحق وعن
 انفعالاته وعن سره ونجواه ، ورأوا
 أن شعر اقبال - بصورته هذه -
 شعر لم يتيسر من قبل في الأدب

وتتصاعد درجة درجة في سبيل
 التوصل الى استيعاب أفكار اقبال
 وادراكها ، وأتم تعرفون أن مصر
 هي مركز الدائرة من الاشعاع
 الثقافي والحضاري في العالم العربي ،
 فمنها تتوالى التأثيرات وتنتقل الى
 مختلف أرجاء هذا العالم العربي ،
 ومن هنا كان حب العرب قاطبة
 لاقبال - كحب المصريين له سواء
 بسواء .



ولكن ، قد يحق لنا أن نسأل
 أنفسنا ، لماذا وجدت دعوة اقبال
 هذا الصدى الواسع في مصر ؟
 ولماذا لقيت كل هذه الاستجابة
 والحماس لدى المصريين ؟ . وقد
 نستطيع أن نجيب على هذا التساؤل
 بأن هناك أسبابا عديدة نذكر منها :

أولا : ان مصر وجدت في دعوة
 الذاتية (المعروفة لدى اقبال باسم
 « خودي ») طلبتها ورغبتها في
 تحقيق ذاتها ، كانت مصر عندما
 بدأت تتعرف على أفكار اقبال تجد
 في البحث عن مقومات ذاتية لنفسها .
 وكانت حركة البحث عن المقومات

العربي ذاته^(١) • ولم يقتصر تأثير نظرية الذاتية على مصر وحدها بل ربما امتد هذا التأثير الى المغرب العربي وكان فعالا في تكوين نظرية « الأصالة » التي بدت كدعوة سياسية في كل من تونس والجزائر والمغرب •

ثانيا : ان دعوة اقبال كانت دعوة فريدة من نوعها، مضادة لكل الأفكار البراقة التي كان الناس يتحمسون لها في مصر باسم التجديد والنهضة • فلقد تحمس المصريون تحمسا شديدا لفكرة الوطنية ، وأعجبوا في أول الأمر بالحركة الكمالية ، وظلوا ردحا من الزمن ينظرون الى كمال أتاتورك باعتباره بطلا اسلاميا ومحررا وطنيا وظلوا يعلقون صوره في منازلهم وينظرون اليه في اجلال واكبار (٢) •

كما أثرت نظرية الذاتية أيضا في تأسيس نظرية فلسفية جديدة في مصر هي نظرية « الجوانية » التي أعلنها الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة ، وهي نظرية تعد في مجملها امتدادا لنظرية الذاتية عند اقبال •

والشيء الذي جعل لفكرة الذاتية عند اقبال قيمة كبيرة في مصر هو انها لم تكن فكرة نظرية فحسب ، بل تمخضت عن واقع عملي رائع يتمثل في دولة باكستان الاسلامية ، التي لفتت أنظار المصريين وبهرتهم باعتبارها نموذجا قويا لدولة حديثة تقوم على أسس اسلامية • وبينت أن ما كان يزعم الزاعمون بأنه صعب

وربما لم تكن فكرة العلمانية في الحكم أو فصل الدين عن الدولة - وهي الفكرة التي طبقها كمال أتاتورك بعد أن استتب له الأمر في تركيا ، ربما لم تكن هذه الفكرة واردة في أذهان المصريين ، الذين لا يتصور معظمهم - حتى وقتنا هذا - أن تقوم دولة بغير دين ، وحيث يوجد الأزهر تلك القلعة المنيعه التي حافظت

(١) انظر محمد قطب منهج الفن الاسلامي ص ٧ - ١١ ، ص ٣٦٥

(٢) انظر حديث الرئيس محمد أنور السادات في التليفزيون بمناسبة

الاحتفال بثورة التصحيح جريدة الأهرام ١٦ مايو سنة ١٩٧٧

على الدين وعلى نفوذه لدى الحكام ولدى الشعب طوال ألف سنة ولذلك حظيت الحركة الوطنية في مصر بمساندة الأزهر ، ولم يكن شبح العلمانية يترأى أمام المصريين في حركتهم الوطنية ، لأن الحركة الوطنية كانت مرتبطة عندهم بالدين وبطرد المستعمرين الأجانب من البلاد ، ولم تكن هذه الحركة تنطوى عندهم على مفهوم الأثرة القومية أو مفهوم التعصب الممقوت . ولعل هذا هو السر في تمسك المصريين ردحا من الزمن باحترامهم لكمال أتاتورك . ولكن دعوة اقبال الى نبذ الوطنية الضيقة والى نبذ العلمانية ، وادائه للحركة الكمالية قد لفتت أنظار المصريين الى مضار الحماس الشديد للوطنية .

ولا نقول ان دعوة اقبال كانت ذات أثر مباشر في هذا الأمر وانما جاءت دعوة اقبال مساندة قوية للاتجاه الاسلامى ، فلقد ساهمت هذه الدعوة في تصحيح مسار الثقافة في مصر ، وبدأت دعوة اقبال في هذا المجال أشبه ما تكون بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده دعوة اصلاحية بالدرجة الأولى . يقول الأديب المصرى الكبير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات (١)

ثالثا : جاءت دعوة اقبال الى مصر لتساعد في وقف تيار الحركة الثقافية التى قالت بأن مصر تنتمى في ثقافتها وحضارتها الى الثقافة الاغريقية والى الحضارة اليونانية ، وانها أقرب الى

(١) محمد اقبال : لصفوة من كبار الكتاب ، مصر ١٩٥٦ ، ص ٦٥

« وما علمنا من آراء اقبال في الاسلام والمسلمين يحله محل الزعيم المصلح » ولقد تمكن الاتجاه الثقافي الاسلامي من أن يسترد مكانته من جديد ، ورجع بعض أقطاب الحركة اليونانية عن دعاواهم بل وأشادوا بفكر اقبال وأصالته الاسلامية ، وكان منهم المرحوم الدكتور طه حسين الذي اشترك بعد ذلك في سنة ١٩٥٦ في الاحتفال بذكرى اقبال وألقى كلمة قال فيها ان اقبالا « رفع مجد الآداب الاسلامية الى الذروة ، وفرض هذا المجد الأدبي الاسلامي على الزمان » (١) •

رابعا : كانت الأوساط الأدبية والفنية في مصر تفتقر الى نظرية قائمة بذاتها في النقد الأدبي والفني ، نظرية تستمد مثلها من الاسلام وتعاليمه ، ومن روح الشرق ، وجاءت أشعار اقبال وآراؤه لتسد هذه الثغرة ، ولتؤسس نظرية في الفن تربط الفن بالقوة كما يرتبط الجلال بالجمال ، كما يقول اقبال •

الشعر بين أمير الشعراء أحمد شوقي ومحمد اقبال ، ومن شأن هذه المقارنات أن تقيّد في استخلاص موازين جديدة للنقد الأدبي تخدم الاتجاه الذي دعا اليه اقبال وحث عليه • ولا شك أن أشعار اقبال وطريقته قد تركت آثارا ملموسة في عدد من الكتاب الذين يلتزمون الاتجاه الاسلامي في مصر • ونذكر هنا على سبيل المثال الصحفي

والأديب الكبير الأستاذ أحمد بهجت في سنة ١٩٧٥ بعد نشر الترجمة
الذي نشر طوال شهر رمضان العربية للمنظومة •

الماضي في جريدة « الأهرام » وبعد ، قد كانت هذه الأسباب
المصرية سلسلة أدبية عن رحلة تخيل وغيرها ، هي التي جعلت اقبالا
أنه قام فنها زيارة للجنة زيارة ودعوته يلقيان هذا الترحيب الواسع
للنثار ، وقد بدا بوضوح أن الأستاذ وهذه الاستجابة القوية في مصر ،
أحمد بهجت متأثر باقبال وبنظومته وبالتالي في العالم العربي بأسره ،
« جاويد نامه » ، وهي المنظومة رحم الله اقبالا وجزاه عن أمته
التي كان الأستاذ بهجت قد كتب الاسلامية خير الجزاء •

عنها مقالا مستفيضا في الأهرام أيضا محمد السعيد جمال الدين

« المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر ، أما
المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي
لا يرد » اذا احسن المؤمن تربية شخصيته وعرف
قيمة نفسه لم يقع في العالم الا ما يرضاه ويحبه .

محمد اقبال

في ذكرى إقبال

للدكتور عبد الجليل سليمي

كنت أقرأ هذا الشعر المترجم
فتهتز له نفسي ، وأشعر بما فيه من
عمق التفكير ورهافة الحس ،
وصدق العاطفة ، وكان الجانب
الروحي في هذا الشعر مما يثير في
نفوس قرائه جميعا شعورا بسمو
صاحبه النفسى ، وأدبه الانساني ،
وأشواقه الفياضة نحو واجب
الوجود سبحانه وتعالى .

وأود في هذه الكلمة الموجزة أن
أذكر طرفا من حياة اقبال وشيئا
عابرا عن شعره ، لأضع أمام الجيل
الجديد الذى لم يدرك عهد الرسالة
صورة - أى صورة - عن هذا
الشاعر الكبير .

أسرته :

ينحدر محمد اقبال من أسرة
برهمية كانت تقيم في كشمير . وقد
اعتنق أحد أجداده الإعلين الاسلام
في أواخر القرن السادس عشر

كلما ذكرت الشاعر الفيلسوف
محمد اقبال ذكرت الأستاذ الكبير
الدكتور عبد الوهاب عزام ، فهو
الذى أسدى الى العربية وقراءها
تلهم المنة الكبيرة بتعريفهم بهذا
الشاعر الاسلامى ، وبما له من
نزعات اسلامية أصيلة ، فقد كتب
الدكتور عزام عن اقبال عددا من
المقالات ، وترجم كثيرا من شعره
وشرح كثيرا من انطباعاته عنه .
وكانت هذه الأفكار تنشر في مجلة
الرسالة يوم أن كانت كبرى المجلات
الأدبية وأوسعها انتشارا ، وكانت
هى المجلة الوحيدة التى توجه التيار
الأدبى في الشرق الأوسط كله ،
وكانت تقرأ في كل مدرسة
وناد وبين كل جماعة أدبية ، فأتاح
الحديث عن اقبال فيها فرصة
التعريف به على أوسع نطاق .

تم عن اخلاص ومراقبة لله وخوف
من عقاب الآخرة ، وقد وصف اقبال
هذا الحادث في عبارات شعرية مؤثرة
جاء فيها •

سيقف هذا المسكين في المحشر
وبين الناس جميعا صارخا باكيا
سوف يحاسبني الله على هذه
الاساءة لأننى والدك المسئول عن
سلوكك وأخلاقك •

سيقول لى رب العالمين : انى
رزقك شابا صحيح البنية والعقل
ولكنك لم تؤدبه بأدب الاسلام ،
بل لم تجعله انسانا وقد خلقته أنا
انسانا •

تمثل يا بنى موقفى وذلتى وخجلتى
أمام الله تعالى وأمام النبى الكريم •
تفكر قليلا واذكر اننا معشر
المسلمين أمة هى خير أمة أخرجت
للناس •

انظر يا بنى شيبى وقلقى
واضطرابى •• لا تفضحنى أمام رب
العالمين •

انك واحد من الأكمام الكثيرة
التي تنتمى الى غصن المصطفى
الأمين •

الميلادى أو ربما أوائل القرن
السابع عشر ، كان اسلامه على شيخ
معروف بورعه وعلمه وكان يدعى
الشيخ شاه همدانى • وظل أولاده

بعد ذلك مسلمين لا بالوراثة فقط ،
بل أيضا عن طريق الدراسة والتفقه
فى الدين • وقد هاجر الى سيالكوت
من هذه الأسرة أربعة اخوة كان
أحدهم يسمى محمد رفيق هو جد
محمد اقبال المباشر، ونجد بين هؤلاء

الاخوة الأربعة رجلا يدعى الشيخ
محمد رمضان يمتاز بالعلم والصوفية
ويخرج باللغة الفارسية عديدا من
الكتب والمقالات • أما والد اقبال

فكان يسمى باسم محمد نور ،
ولم يكن على حظ وافر من الثقافة
ولكنه كان متصوفا ويجب قراءة
القرآن ، وكان يقول لابنه :
إذا قرأت القرآن فاقراءه كأنه أنزل
عليك ، وقد نشأ ابنه على الأدب
الاسلامى وحببه فى العبادة ، وحكى
اقبال أنه انتهر مرة سائلا وضربه ،
ورآه والده فاغتم وأخذ يكي
بدموع ثرة وبعد أن استرضى
المسكين أخذ يلقي على ابنه عظة
طويلة باللغة الروعة والتأثير وكلها

وكان يتحدث عن أجداده
البراهمة ، ويذكر من نعم الله عليه
أن هداه وهدى أسرته كلها للإسلام .
هاجر جد اقبال والذين معه من
اخوته الى سيالكوت ، وسيالكوت
كانت مركزا من مراكز الدراسة
الاسلامية واليه ينتمى الشيخ
عبد الحكيم السيالكوتي ، وفي هذه
المدينة ولد اقبال وتلقى تعليمه
الابتدائي والثانوي - ولم يكن بها
تعليم عال ، فانتقل الى لاهور ليدخل
احدى كلياتها .

كانت الأقدار تهىء لاقبال كل
شئ يوجهه الى الاسلام ويحببه فيه ،
كما كانت تهىء له أسباب التربية
السليمة والتعليم السليم والسلوك
القويم .

بدأ تعليمه في مكتب في سيالكوت ،
وكانت المكاتب تعلم القراءة والكتابة
وتحفظ القرآن الكريم ، وكان أبوه
يتعهده اذ ذاك ولا يدعه للمدرسة
وحدها ، ثم أدخل مدرسة انجليزية
كان بها عالم اسلامي مشهور يدعى
مير حسن ، كان الناس يتحدثون
عن ورعه وتقواه وسعة علمه

أحرص على أن تكون وردة من
نسيم ربيع .

خذ من ربيع النبي النضر المزهر
نصيبا ، واطفر من أخلاقه بكل
ما تستطيع .

وهذه العاطفة الفائضة الفاخرة
تصور منهج أييه ومدى اخلاصه لله
وللدين الذي ارتضاه .

ولم تكن أمه أقل من أييه ورعا ،
بل كانت أعرق عاطفة وأشد مراقبة
لله . كان والده يعمل في دائرة اشتهر
أن رئيسها يقبل الرشوة من الناس ،
ولكن راتب محمد رفيق - والد
اقبال - لم يكن من يد هذا الرئيس ،
فاقتضى ورع أمه وتنزهها الا تأكل
من راتب زوجها ، واعتبرته من
الشبهات التي تحتمل أن تكون
حلالا أو حراما .

اقبال اذن ينحدر من سلالات
كلها تتشبع بعواطف الدين سواء
قبل اسلامها أو بعده ، وأبواه
يمتازان بالعبادة والورع والتقوى ،
فلا عجب أن يكون اقبال ذا عاطفة
اسلامية ونزعة صوفية ورجل عبادة
وقرآن .

هذا العالم الانجليزي بدوره
أحب اقبالا وأحب ذكاءه وأدبه وقدر
شعره وخصه بكثير من العناية
وحسن التوجيه •

أحب اقبال هذين الأستاذين حبه
أهله وذويه، وظل وفيما لهما ما عاشا •

حصل من هذه الكلية على
شهادتها الجامعية الأولى في الآداب

B.A - ثم على درجة الماجستير
في الآداب أيضا M.A ثم عمل
مدرسا للفلسفة والتاريخ في الكلية
الشرقية في لاهور ، ثم انتقل الى
الكلية الحكومية التي كان يعمل بها
لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية،
وفي كلتا المدرستين نال اقبال اعجاب
تلاميذه كما نال اعجاب أساتذته من
قبل ، وفي هذه الفترة ظهرت آثاره
الأدبية في مجتمعه وفي الهند كلها ،
أكثر من قول الشعر الجيد ، ونشر
شعره في الصحف فلفت الناس اليه،
وكانت لاهور اذ ذاك تموج بتيارات
الفكر وتعبق بأريج الأدب وكافت
ذات محافل ومواقف خطابه وشعرية،
وكان اقبال صوت خطبائها
وتغريد شعرها ، وروح مجامعها •

كما يتحدثون عن ذكائه وأدبه وظرفه
وكان مير حسن شاب القلب والروح
والعمل ، على أنه كان قد اكتهل
وضعف جسمه ونحل ، وقد أعجب
بذكاء اقبال وأدبه ولما شب قليلا
كان يقول الشعر فأعجب أستاذه
أكثر ، ولكنه يستعمل اللغة البنجابية
فوجهه أستاذه مير الى أن يستعمل
اللغة الأوردية ، وكان مير من
الأشراف الذين ينتمون الى آل البيت،
وكان هذا الشعور مما نمت في نفسه
صفات النبيل وحب الأخلاق النبيلة
العليا ، وقد انعكس الكثير منها على
تلميذه اقبال •

وفي لاهور كان أستاذه المحب
اليه هو السير توماس آرنولد -
صاحب كتاب الدعوة الى الاسلام -
وآرنولد كان ممن يقدرون الاسلام
وينصفونه ، وفي كتابه الذي ذكرت
دفاع عن الاسلام ومعارضته للذين
يقولون انه انتشر بالقوة أو بحد
السيف ، وفي غير موضع من هذا
الكتاب شاد بسماحة الاسلام وحسن
معاملته للذميين •

ودفع به طموحه الى الاستزادة من العلم ، فسافر الى انجلترا ليكمل دراسته ، فبدأ مهموماً بالمعرفة لا يشبع ، ودوّبا على الدرس لا يمل ، حتى أعجب به الأوروبيون كما أعجب به المشرقيون من قبل .

نال اقبال من أوروبا علماً كثيراً ، ودرس فنونا من المعارف ، ورأى ما

في عواصم أوروبا من مظاهر الحضارة وألوان الحرية ورقى الحياة ولكنه لم يقف من هذا كله موقف المأخوذ المشدود ، ولم يجرفه هذا التيار العاتى العنيف لقد كان له من قوة الذكاء وقوة الأعصاب وقوة التفكير ما جعله يقف موقف الناقد لا موقف المقلد الساذج .

أعجبه العلم وراقه ، ولا ريب أنه رأى في كل من ألمانيا وانجلترا ما لم ير في بلاده ، من طرق البحث ، وضخامة المكاتب ووفرة المراجع ، وتهئية البيئة للدارسين ، ولكنه لم يعجبه ما لدى الأوروبيين من تبرج وانحلال ، فأنكر على الأوروبيين كل مظهر لا يقره الاسلام وعاب عليهم اتقيادهم للغريزة وامتهانهم للمرأة ، واستهانتهم بالأعراض .

قابل كثيرين من الأساتذة الكبار وناقشهم في مسائل كثيرة من الفلسفة

ودفع به طموحه الى الاستزادة من العلم ، فسافر الى انجلترا ليكمل دراسته ، فبدأ مهموماً بالمعرفة لا يشبع ، ودوّبا على الدرس لا يمل ، حتى أعجب به الأوروبيون كما أعجب به المشرقيون من قبل .

ذهب أولاً الى كمبردج فدرس الفلسفة وحصل من الكلية على درجة فيها ، لكنه سافر توطاً الى ألمانيا فتعلم اللغة الألمانية بسرعة ساعده عليها معرفته بالانجليزية ، ودخل جامعة ميونيخ ، وكتب رسالة فلسفية قدمها للجامعة وأهداها الى سير توماس آرنولد . كانت الرسالة عن التطور والنمو الميتافيزيقى في بلاد فارس ، وبهذه الرسالة عرف قدر اقبال العلمى ، وقدرته على كثرة القراءة وسعة الاطلاع . وكانت هذه الرسالة خليفة آن توجهه الى الانقطاع لدرس الفلسفة ، لكنه شاعر ، والشعراء كطيور الحدائق وفراشات الأزهار يحلو لهم التنقل من زهرة الى أخرى لذلك انتقل اقبال مرة ثانية الى انجلترا ، وفي هذه المرة ذهب الى جامعة لندن ليدرس القانون وعلوم

تذبح حضارتكم نفسها بخنجرها ،
كما تنقض غزلها البلهاء » •

وعاد اقبال بعد هذا الطواف الى
وطنه - لم تكن الفترة التي غابها
طويلة في قياس الزمن ، ولكنها
واسعة جدا في مقاييس الأفكار
والعلوم • كانت هذه الفترة ثلاثة
أعوام ، درس خلالها في ثلاث كليات
وظفر بشهادات وحاضر وكتب وألف
وذلك ما لا يعمله غيره في عدد من
السنين • ولهذا عاد مزودا بزيادة
للجامعات فيه فضل التوجيه وله هو
فضل التفكير والتحصيل والفلسفة
والابتكار •

ولم يعد الى ميالكوت ، وانما عاد
الى لاهور •

واشتغل بالمحاماة ثم بالتدريس ثم
بالمحاماة وخلال ذلك كله كن متجها الى
الشعر والسياسة والاصلاح ، ولم يكن
يعجبه أن يستكثر من القضايا ، ولكن
كان حسبه أن يجد ما يكفى نفقاته
ثم بتفرغ لرسائله الكبرى وهي
الاصلاح والدعوة الى الاسلام ، وكان
يدعى الى الكليات والمجتمعات

وغير الفلسفة من العلوم ، ولم
يتخرج أو يضعف بل جاهرهم
بالنقد المر الازدراء الصريح • ومع
كل ما عاب وأزرى لم يغضبوا منه
بل أحبوه وأجلوه •

تحدث كثيرا عن الاسلام - حاضر
عنه في الأندية ونشر عنه في الصحف
وناظر فيه الأساتذة والطلاب ، أما
حضارة الغرب فأنكر منها خلوها
من المعاني الانسانية ، انها تجارة
وتبادل منفعة ، ومثل هذه الأخلاق
ليست الا بهرجا زائفا ، وهي
كالشجرة التي لا جذور لها • ومن
شعره في هذا الموضوع :

« يا ساكنى بلاد الغرب
ما أتمم الا في ضلال

ليست أرض الله حانوتا لتبادل
المنافع وكسب الأموال •

ما تتوهمونه ذهابا خالصا انما هو
زيف لا قيمة له ولا بقاء •

كيف يستقر عش يبنى على غصن
دقيق ، انه لا يلبث أن تعصف به
الرياح وتذهب به الأنواء ، سوف

وقدره حاكم البنجاب الانجليزى
فدعاه الى قصر الحكومة ليخلع عليه
لقبا أو يمنحه وساما فأبى ، ولكن
بعض رفاقه ألحوا عليه ، وقد عرض
عليه الحاكم بعض ألقاب الشرف
دون لقب سير فرفض ، ثم قبل لقب
سير على شرط أن يمنح أستاذه مير
حسن لقب شمس العلماء ، ولم يكن
لمير من الأعمال ما يؤهله لهذا اللقب ،
ولا كان ذا شهرة فى العلوم ، ولكنه
أعطى هذا اللقب ارضاء لاقبال •

وشغلت اقبالا رسالته عن نفسه ،
فكما عزف عن المال عزف عن
الزواج فلم يتزوج الا فى سن متأخرة
فعندما مات عن نحو ست وستين
سنة ، كان ابنه دون الخامسة عشر
من عمره •

وقد أدركت اقبالا الأمراض ، وكان
يطب له طبيب مكفوف البصر وكاد
يعرف باسم الشاعر البصير ، ولكن
مرضا أصاب قلبه فلم يفلح الطب فى
علاجه ، فمات فى شهر أبريل سنة
١٩٣٨ م •

كلمة عن شعره :

أوجز ما يقال فى شعر اقبال أنه
صورة صادقة لحياته ووصف نابض

العلمية فى بلاد الهند المترامية فنجد
يوما فى مدارس وآخر فى عليكرة
وثالثا فى دلهى ، وقد جمعت محاضراته
فى كتب بعد ذلك ، ومنها فلسفة اقبال
التعليمية Iqbal's Educational
philosophy وإعادة الفكر الدينى
Reconstruction of الإسلام
"Religious In Islam"

ودعى الى المحاضرات فى جامعة
أفغانستان ، ومن هناك سافر الى
غزنه وزار قبر محمود الغزنوى ،
وزار بعض البلاد الأخرى ، وحينئذ
أصبح له اسمه وشهرته •

أما أعماله السياسية فكان لا بد أن
تكون •

كانت الهند تحت امرة الانجليز
وكان كل شخص يطالب بجلاتهم عن
بلادهم ، فليس بدعا أو عجيبا أن يكون
اقبال بين المنادين - وقد رأس مجامع
سياسية وسند حزب الرابطة الاسلامية
ودعا الى اصلاح التعليم فى بلاده ،
وكان عضوا فى الجمعية التشريعية ،
واشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة
فى لندن لاصلاح الدستور الهندى ،
وكان له من الأعضاء أثر واضح ،
وأجيب لبعض ما دعا اليه •

الشيء الخلق بالاهتمام هو الاسلام والعمل لاصلاح حال المسلمين •

وأنت اذا حلت هذه المشاعر وجدتها مزيجا من الاسلام والصوفية جميعا وهى أفكار فيلسوف درس الفلسفة نظريات ومارسها فكرا ، وقاس الحياة وشئون الناس على ما درسه وما فكر فيه فبدت الحياة أمامه صغيرة ، ولذلك لا يبكى عليها ، ورأى أن خير ما فيها هو العمل للأخرة ، وأن خير ما يهتدى به الانسان فى طريقه وما يعرف به الجيد من الردىء هو الاسلام ، وكان يذكر أصله البرهمى ويرى أن من نعم الله الكبرى عليه أن هداه للإسلام •

وقد ترك اقبال تسعة دواوين ينظمها جميعا سلك واحد هو تقدير الانسان وابرار أنه المخلوق الذى كرمه الله وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا وهذه النظرة هى التى جعلت اقبالا شاعرا عالميا وليس خاصا بباكستان ، لأن دفاعه عن بلاده وعن قومه يتسم دائما بهذا الشعور الانسانى •

جعل الله له لسان صدق فى الآخرين

لمشاعره، واذا كانت شخصية كل واحد منا تبنى وتتكون فى سنواته الباكورة الأولى ، فقد كانت شخصية اقبال مكونة من الورع ومراقبة الله تعالى، وكان شعره أينما قلبته يتسم بسمات اسلامية وروح صوفى • وأبرز ما فى هذا المنهج أنه لا يخاف الموت ولا يتزعزع للأحداث، ولا يكثر لذهاب الدنيا ولا يفرح لاقبالها كان يرى أن الأحداث طرق وسمات خطها القلم الحكيم ، وانها شيء لا بد واقع فلا يخفف الجزع من وقعها ولا تزيد مظاهر البهجة من قيمتها قليلا ولا كثيرا وكان يرى أنه من العبادة أن يعمل الشخص للآخرين • ولكنه يرى أن الناس كالأطفال يفرحون بمالا بقاء له ولا نفع فيه ، وكما يقدم الرجل لابنه دمية يلعب بها ثم يحطمها يرى أن عليه أن يقدم للناس ما يبهجهم ويسرهم ، وان كانت مسرة موقوتة وبهجة الى حين •

وبهذا الشعور كان اقبال يرى أنه يفهم من الحياة ما لا يفهم غيره ، ويدرك من أسرارها ما عميت عنه عيون الآخرين ، وكان يردد هذه المعانى فى كل موضوعات شعره ، ويرى أن

إقبال

للدكتور يحيى الخشاب

نشأ إقبال كسائر المسلمين المثقفين في الهند نشأة دينية • ففي المدارس الابتدائية ثم الثانوية تلقى من علوم الدين ما حبه في الاسلام وأهله • وعكف على دراسة الشريعة والتاريخ الاسلامي واقتنع تماما أن مسلمي الهند لا ينهضون ولا يرد اليهم اعتبارهم الا في ظل دولة اسلامية موحدة • دولة اسلامية قوية تستطيع أن تدافع عن المسلمين في كل مكان • ومسلمو الهند أشد ما يكونون حاجة الى هذه الحماية الاسلامية من الدولة الاسلامية لأنهم أقلية بالنسبة لغيرهم من أهل الهند •

وعاد إقبال الى وطنه • والهند بلد عظيم لقي فيه الاسلام مجالا ممهدا لينتشر وتعلو فيه كلمة الله ، ففيه قامت دولة المغول الاسلامية التي رفعت من شأن الحضارة الاسلامية مما تشهد به آثارها حتى اليوم •

ولكن بعض حكام المسلمين في الهند، وقلة من علمائها ، دأبوا منذ البداية على القول بتشجيع فكرة خاطئة هي امكان توحيد الأديان في دين واحد • وإقبال كهيلسوف وشاعر له سعة

وسافر إقبال الى أوروبا ، في مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري ، وعكف في إنجلترا وألمانيا على دراسة الفلسفة والتاريخ ، ويوم استطاع التفاهم مع فلاسفة الغرب ومفكره

الفكر ودقة الحس ، شعر بأن واجبه أن يبدد ما شاب الاسلام في الهند من أفكار دخيلة مفسدة منافية لأصوله هادمة لروحه • انه عرف أن القرامطة منذ البداية ، لجأوا الى الهند ، وعلم أن من البابية والبهائية من لجأوا اليها ، وأن أفكار « أكبر » ونظريته المضللة فيما أسماه « بالدين الالهى » لها أثر ، وإن المصلح الذى أقام الجامعة وتحدث عن التعليم وجمع من حوله المثقفين من المسلمين قد أخذ يدعو الى آراء ما جاء بها أحد من المسلمين من قبل ، ثم لمس بنفسه تشجيع الانجليز للقاديانى ومحاولة هذا لأن يستخدم الاسلام لخدمة الانجليز ، وعرف أن سداجة الهنود، مسلمين وغير مسلمين جعلت فكرة الدين مطية لكل طموح فى سلطان أو طالب لمنفعة • ومن هنا بدأ رسالته فى بث الوعى بين المسلمين •

حقيقته • وهو يرى ويسمع أن الانجليز وجدوا فى المسلمين أشجع الجند وأفدر المحاربين • وبدأ اقبال يتحدث عن شخصية المسلم • وأن هذا المسلم لو عنى بذاته يصل الى تحقيق ما تصبوا اليه نفسه وما ينبغى أن تكون عليه أمتة • وأخذ على عاتقه أن يفهم المسلمين فى الهند حقائق الاسلام • واتجه الى الذين استناموا بأن تبعوا المتصوفة المتشائمين الذين ساروا وراء « التصوف العجمى » الذى ينيم الأمة لأنه يقتل فى المسلم روح العمل • حارب فكرة الجبر ودعا المسلم الى أن من جد وجد •

بسلسلة القضاء ربطت رجلا
وفى سعة العوالم ضقت حالا
فقم ان كنت فى ريب وأقدم
تجد للرجل فى الدنيا مجالا

ويقول :

دع الشيطان لا تركز اليها
ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجا
حياة الخلد فى نصب تواتى

لم يدع اقبال أنه رئيس أو زعيم ولكنه يقرر أنه لم يكن « امعة » لأحد • انما هو رجل صحا ويريد أن يوقظ النائمين • هو مفكر وشاعر ومسلم يعرف الاسلام ويدرك

التفكك اذا ما اعترى الخلافة
الهوان • محمد عاكف ، شاعر
الاسلام وغيره من الكتاب الترك
والمسلمين يدعون الى الوحدة
الاسلامية ، حول الخليفة ،
ويجادلون عن العربية ، لغة القرآن،
ضد العالمية ، ويستمدون أدبهم من
العهد الاسلامى الأزهر ، عهد
الراشدين ضد التقليد الأعمى
للأدب الغربى ••• يرى اقبال كل
هذا فيدلى بدلوه فى هذه الدعوة
اللازمة ويتجه فى أشعاره الى
المسلمين • يريد أن يعود المسلمون
الى عهدهم الرشيد فيتخذوا مثلهم
العليا منه • من سيرة النبى صلى الله
عليه وسلم الذى هو المثل الأعلى
لل بشرية كلها • من سيرة أبى بكر
وعمر وعثمان وعلى الذين عملوا
للاسلام والمسلمين ولم يعملوا
لأنفسهم قط •

يريد أن يعود المسلمون الى
الشرية وأن يدعوا هذه القوانين
الوضعية التى استشرى الفساد
فى ظلها فلا أمن ولا أمانة ولا رضا
ولا قناعة • وقال ان المسلمين تبعوا
الغرب اتباعا عن غير تبصر لما فى

وفى شعر عذب له تحدث عن
حوار بين غزالين :

غزالا بث شكواه غزالا
فقال سأقصد البلد الحراما
أرى الصياد حولى كل حين
فلا أستطيع فى أرض مقاما
أبدل خيفة الصياد أمنا
وأنتى الغم عن قلبى المعنى

أجاب رفيقه أن يا خليلي
حياتك فابغ فى الخطر الجليل
ونفسك فاشحذن فى كل آن
وعش أمضى من السيف اليماني
ففى الأخطار اللهم اختبار
لأرواح وأجساد عيار

وكما ألمَّ اقبال بأحوال المسلمين
فى الهند ، أدرك ما يجرى فى العالم
الاسلامى خارجها • والخلافة التى
هى رمز للمسلمين وجامع لهم
تهددها الأخطار • وخليفة المسلمين
فى الآستانة تنوشه سهام من أهله ،
وفلاسفة المسلمين وشعراؤهم
يشفقون على الاسلام والمسلمين من

ديهم من القيم التي تنفعهم في دنياهم وفي آخرتهم ، وانهم لذلك أصبحوا نهبا لكل أفاق يرى أن

يتجه بهم يمنة حيناً ويسرة أحياناً . وذات الرجل في الاستمسك بدينه وقوة الأمة في العمل بمبادئ الدين . ويوم استمسكت أمة المسلمين بالشريعة بلغت الأوج ، ويوم أتاحت لأفكار الغرب أن تمخر فيها ضعفت وتحلت وصارت الى ما هي عليه اليوم من الهوان .

والوقف الثانية وقفه القدس ! مهبط الوحي ، ساحة الأمن والهدوء والرضا والتأمل . بلد المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وتذكر الاسراء والمعراج ، وتذكر موقف عمر - رضي الله عنه - ساعة الفتح .

وتمضى الأيام يا اقبال فاذا المسجد الأقصى ومكان الاسراء والمعراج وقبة الصخرة في حوزة اسرائيل . ولو عشت يا اقبال حتى ترى حال القدس اليوم لحملت مصباحك لترى من يعيشون في الظلام طريقهم الى النور ولقلت يا اقبال للمسلمين : هذا بلدكم وفيه مسجدكم . على الترك والايروانيين والمصريين والأفغان والعرب وسائر المسلمين أن يعيدوه الى حوزة الاسلام . انهم يتحدثون يا اقبال عن دول المواجهة ولا يتحدثون عن الدول الاسلامية وواجبها . لم يقرأوا التاريخ يا اقبال ولو قرأوه عرفوا

وقفتان تاريخيتان لاقبال في شعره : الأولى يوم وقف في القدس والثانية يوم زار مسجد قرطبة .

يوم زار مسجد قرطبة سرح به الخيال الى المسلمين الذين فتحوا الأندلس وأقاموا فيها دولة للإسلام ، وبنوا هذا المسجد الذي يعد آية في جمال الفن الاسلامي ، وتخيل المئذنة وليس لها مؤذن يدعو الناس للصلاة ، والمنبر وقد خلا من خطيبه ، والساحة وقد خلت من المصلين . وبكى اقبال وهو يحكى المجد الذي قضى ، وبكى وهو يصف

أن أرض القدس رويت بدماء أما بعد فان من يذكر اقبالا يذكر
المسلمين جميعا • تمنى الفيصل صنوه ومريده عزام • عزام الذى
العظيم أن يصلى فى المسجد الأقصى عرفنا باقبال والذى دعا دعوته يوم
قبل أن يموت وكانت أمنية ملك نادى « بالأخوة الاسلامية » •
مسلم يتمنى المسلمون أن تلقى يرحمهما الله ويلهم المسلمين أن
أمنيته أذنا صاغية وقلبا متفتحا من ينظروا فى أمر دينهم وأن يعيدوا
جميع ملوك المسلمين ورؤسائهم : للأمة الاسلامية وحدتها ومجدها •
انها أمنية للجهاد فهل لها اليوم من د • يحى الشباب
يعلمها يا اقبال ؟ •

« يا وارث التوحيد الاسلامى ، لقد فقدت الكلام الجذاب
الساحر ، والعمل المسخر القاهر ، لقد كنت يوما من الأيام
إذا نظرت الى أحد ارتعد فرقا منك وطار قلبه شعاعا ، وقد
أصبحت اليوم كسائر الناس لاتحمل روحا ولا تجذب نفوسا » .
« اقبال »

محمد إقبال

سعادة الدكتور سميع الله مجاهد
سفير باكستان في القاهرة

بدأت الاحتفالات التي أقيمت
بمصر بمناسبة الذكرى المئوية لمولد
شاعر باكستان وفيلسوفها محمد
اقبال باجتماع كبير عقد بقاعة
الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر .

وفيه ألقى السيد الدكتور سميع
الله مجاهد قریش سفير باكستان
بالقاهرة كلمة نشرها فيما يلي :

أيها السادة الأجلاء :

لا يسعني الا أن أزجي الشكر
للأساتذة الأجلاء الذين اشتركوا
معنا اليوم في هذا الحفل الذي أقيم
لتكريم وذكرى الفيلسوف الحكيم
العظيم وشاعر باكستان الوطني
محمد اقبال . كما أشكر أيضا
فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر
وأشكر مدير جامعة الأزهر ورجال

الجامعة جميعهم وذلك لسماحهم
باقامة هذا الحفل في هذه القاعة .

والواقع أن ليس هناك ما يضيف
على اقبال من تكريم أكثر من اقامة هذا
الحفل في رحاب الأزهر الذي يتطلع
اليه العالم بوصفه أقدم وأعرق معهد
للعلوم الاسلامية طوال عشرة قرون
والذي يأتي اليه المسلمون من بعيد
عابرين البحار والصحارى والسهول
والجبال لينهلوا من معينه العلوم
الاسلامية الحققة . واذا قدر لتعاليم
اقبال وفلسفته أن تتركز في مكان
واحد من أمكنة العلم فهذا المكان
هو الأزهر ، وذلك لأنه هنا بالأزهر
تختفي وتندمج كل اختلافات
الجنس واللون والاتناء الى
العشيرة أو القبيلة لتمجيد الاسلام
وهنا تستطيع الألوف المؤلفة من

العلماء والطلبة المسلمين أن يحققوا الكبرية • ولكنى سأقصر حديثي مبتغاهم ليس الآن فقط ولكن على مرّ السنين ، وكان روح اقبال قد وجدت راحتها في هذا الجو الرائع ، وقد ناشد اقبال الأمة « من شواطئ النيل الى جبال كشمير » بأن يققوا صفا واحدا وأن يتناسوا كل الفوارق • وقد حذر من « أن من سيقف وحيدا مزهوا بدمه ولونه فإنه يلقي الضياع » •

الكبرية • ولكنى سأقصر حديثي على كلمات بسيطة عن اقبال • وفلسفة اقبال لها جوانب عديدة وحياته ثرية تعكس شجاعته في اعلان الحق الأمر الذي يجعل من غير الانصاف أن يعالج الانسان حتى ناحية واحدة من نواحي فكره في جلسة واحدة •

ما هي العوامل التي خلقت عبقريته وصاغت أفكاره ؟ هذا سؤال هام نظرحه اذا أردنا دراسة شخصيته التي تركت بصماتها على التاريخ • وأود أن أذكر بإيجاز هذه العوامل •

وتتميز القاهرة بأن بها العديد من كبار المثقفين الذين يعرفون اقبال ، وقد كتبوا كثيرا من المؤلفات عن أعماله وترجموا شعره •

وفي هذا المكان الجليل وبين هذه الصفوة من العلماء أجد نفسي عاجزا عن التعبير عما يجول في نفسي كما أحب وأرضى • وكنت أود أن أعرض لأي جانب من جوانب اقبال وفي أي موضوع من الموضوعات الممتازة ولكنى آسف لأنني لا أستطيع أن أعرض ما يجول في نفسي باللغة العربية بما يتناسب وهذه المناسبة

ولد اقبال وتربى في وقت كان مسلمو شبه القارة يمرون فيه بمرحلة من اليأس والقنوط • ولد بسيالكوت وهي مدينة تشارف البنجاب وكشمير عام ١٨٧٧ • وقبل أن يولد اقبال بعشرين سنة كان المسلمون قد قاموا عام ١٨٥٧ بنضال عنيف ضد القوى البريطانية الزاحفة ولكنه لم يقدر له النجاح

وفشل المسلمون في محاولتهم طرد
البريطانيين وسقطوا فريسة لاضطهاد
وحشى على أيدي السادة المستعمرين .

وقد أمكن لهؤلاء انتزاع الحكم
الذى حكم به المسلمون شبه
القارة مدة ألف سنة الأمر الذى
تركهم عزلا ضعفاء . وقد عدهم
السادة المستعمرون منافسين لهم
عليهم أن يسحقوهم ، وهنا بدأت
عمليات منظمة لآبادتهم فى كل
المجالات ، لا من الناحية السياسية
وحسب بل حتى من الناحية

الاقتصادية أيضا . وبذلك أمكن
القضاء على المسلمين . وقد عادى
المسلمون البريطانيين وامتنعوا عن
التعاون معهم ، وقد كرهوا أيضا
فرض لغة أجنبية عليهم ونموا فى
صدورهم عداوة حتى لطريقة حياتهم
ولوسائل التعليم الغربية . وكان
المسلمون أول من ثار وناهض
القوى الاستعمارية بشبه القارة .
ومن هنا نبتت جذور العوامل التى
خلقت فى نفس اقبال شعوره ازاء
القيم الغربية . والواقع أنه مهما مر

الزمن فإن اقبال يبدو دائما معارضا
وناقدا للنظام الغربى .

وفى تلك الأيام كان من الطبيعى
أن يبدأ الطفل المسلم تعليمه فى
المساجد أو المدارس أو المكاتب التى
كان يشرف عليها رجال الدين .
وقد حصل اقبال على تعليمه فى
مراحله الأولى بهذا الأسلوب ،
وكان معلمه الأول مولانا مير حسن
الذى ترك أثره على فكر اقبال
طوال عمره .

وفى ١٨٩٥ انتقل اقبال للاهور
ليلتحق بجامعة ، وهناك تتلمذ على
معلم كبير آخر هو سير توماس
أرنولد . وفى حين أثر مير حسن
على اقبال من الناحية الاسلامية أعد
سير توماس أرنولد الشاب الى تقبل
آداب الغرب وأفكاره . ولما بلغ
اقبال الرابعة والعشرين من عمره
ذهب الى أوروبا لاكمال دراساته
وخلال السنوات الثلاث التى قضاه
هناك ، التى عاد بعدها الى بلاده
بدرجة الدكتوراه من جامعة ميونخ،

كان كثير التردد على مكتبات كمبردج ولندن وبرلين • وعين أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن لمدة ستة شهور • ولما عاد للاهور عرض عليه كرسى الفلسفة والأدب الانجليزي • ولكنه سرعان ما هجر حياة التدريس ليمارس المحاماة بعد أن حصل على درجة في القانون من لندن •

ومع أن اقبال قام بدراسة عميقة للأفكار والنظم الغربية الا أنه لم يبتعد عن ثقافته الأصلية بل انه راح يقدرها كل التقدير •

ولما عاد الى وطنه كان أكثر معارضة للغرب وخلال هذه الفترة اهتم اقبال بما يمكن أن يفعل للارتفاع بمستوى المسلمين • وكان الشاعر الاسلامي العظيم الطاف حسين حالي قد نظم (المسدسات الاسلامية) وفيها يرثي لحال المسلمين وحالة القنوط التي يعيشون فيها وتخلفهم وظروفهم السيئة • وكان حالي يناشدهم العمل لاعادة

بناء أنفسهم لاستعادة أمجادهم السالفة • وقد بدأ مستقبل المسلمين السياسي يومذاك قاتما للغاية ، الأمر الذي أثار في نفس اقبال الرغبة في التعبير عن الأحوال السياسية السائدة بالشعر ، وذلك لأنه كان شاعرا منذ مطلع حياته • وكأى شاعر آخر بدأ اقبال حياته الشعرية حسب التقاليد المرعية من قول الغزل والقصائد الصغيرة وما شابهها •

وقد عملت الأيام التي قضاها بأوربا على ايقاظ الملايين من بنى البشر من سباتهم • وقد تركزت أشعاره على مسائل ثلاث : لماذا يختلف المسلمون ولماذا يقعون فريسة لغيرهم ؟ كيف يتسنى لهم اعادة تكوين أنفسهم ولماذا يظل الشرق في هذه الحالة من السكون والجمود ؟ ولماذا قضى على شرف آسيا العريق ؟

ولا يسع المرء الا أن يجد في اقبال الاهتمام البالغ بحالة المسلمين والشرق أيضا • قلبه قلب مسلم وتوعيته توعية اسلامية ، وكان قلبه

وفي (جواب شكوى) يرد الله على الشاكي مذكرا اياه بتبديد المسلمين لقواهم ويقارن بينهم وبين أسلافهم • والواقع أنه لم يحدث أن اهتزت نفوس الملايين من المسلمين كما اهتزت بسبب هاتين القصيدتين • فقد انتشرت من بيت الى بيت وأيقظت المسلمين جميعهم من السبات الذي كانوا مستغرقين فيه •

وقد حلل اقبال أسباب جمود المسلمين وأهل الشرق • وانتقد الغرب بشدة واصفا نظامهم الاجتماعي بأنه نظام غير انساني ، يتحركون فيه كما تتحرك الآلة ، نظام قاس صلب خال من القيم الأخلاقية • وقد انتقد بشدة ماركس ووجه اليه هذا السؤال • « ماذا هناك في كتبك أنت يا فيلسوف الخبز • • هذه الكتب لا تتضمن الا رسوما هابطة ورسوما مستديرة » كان اقبال يقول للغرب ان أى نظام لا يقوم على المثل الانسانية نظام يدمر نفسه بنفسه ، وبذلك أبدى عدم انتمائه لا للنظام الرأسمالى ولا للنظام الماركسى ، ولكنه ركز

يخفق مع كل انسان مضطهد مظلوم مغلوب على أمره • ولذلك كان اقبال شاعر الاسلام وشاعر الشرق أيضا •

ولما عاد اقبال من أوروبا كتب قصيدتيه الرائعتين (شكوى) و (جواب شكوى) • وعلى الرغم من أن هاتين القصيدتين تعدان من روائع الشعر الأوردى اللتين أثارتا النفوس واحتلتا مكاتبيها الطيبة في مجال الشعر فانهما يعدان أيضا نقطة تحول في تطوير القومية الاسلامية • وهاتان القصيدتان كانتا ولا تزالان على لسان كل مسلم ، وكانتا قد ألهبتا وأيقظتا الوعي الاسلامى السياسى بشبه القارة •

وفي قصيدته (شكوى) يسأل أحد المسلمين الله عن سر محنته ويشكو اليه أنه برغم قيامه بنشر الرسالة هنا وهناك وبرغم أن ضحى بالكثير من أجل ذلك من قارة الى قارة ، فإن الشخص الذى لا يؤمن بهذه الرسالة هو الذى يحكم العالم ويسيطر عليه •

أفكاره وآراءه على النظام الأخلاقي بالله • وكان يقول انه اذا افتقدت
الذي يجب أن يكون • السياسة القيم الأخلاقية فانها تصبح
وكان مهتما أشد الاهتمام بمحنة طقسا من طقوس جنكيز خان • وكان
الفلاحين والعمال ويطالب بإيجاد هذا هو نفس ما تضمنه الفكر السياسي
نظام عادل منصف يقوم على المثل الاسلامي لأن السياسة والأخلاق
العليا الانسانية وليس على نظم كاتنا متلازمين ، وقد صدق هذا مع
لا تعترف بالله • ولم يكن اقبال ما قاله أحد الفلاسفة الأقدمين من
يؤمن بأي نظام سياسي لا يعترف أن الدولة والدين شقيقان توأمان •

ان أوروبا تحتضر • والروح تموت عطشا في سرابها الخادع.
فيها حضارة نعم ؟ ولكنها حضارة تحتضر وان لم تمت
حتف أقفها فلسوف تنتحر غدا وتذهب .

محمد اقبال

المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين

غرفة ذي القعدة ١٣٩٧ هـ حتى ٣٠ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ
١٤ منه أكتوبر ١٩٧٧ م حتى ١١ منه نوفمبر ١٩٧٧ م

١- كلمة الرئيس المؤسس محمد أفور السادة

رئيس جمهورية مصر العربية

في أعضاء وفود المؤتمر .

حفل افتتاح المؤتمر

١- كلمة نائب رئيس الجمهورية السيد محمد صني مبارك

٢- كلمة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر

٣- كلمة صاحب الفضيلة الدكتور عبد الجليل سليمي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

٤- كلمة صاحب السعادة السيد محمد عبد الرحمن بكر وزير العدل بدولة الإمارات العربية - نيابة عنه أعضاء المؤتمر

٥- وصف تفصيلي لوقائع المؤتمر، وقراراته وتوصياته بقلم وإعداد : زاهر عزب الزغبى

كلمة

الرئيس المؤسس

السيد محمد نور السلاوي

رئيس جمهورية مصر العربية

إلى أعضاء المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين

حيثما استقبلهم في استراحتهم بالقناطر الخيرية

ظهر الأربعاء ٦ منه ذى القعدة ١٣٩٧ هـ

٩ منه أكتوبر ١٩٧٧ م

ما أحراكم أن تجدوا الطريق الى
هذا .. واذا كان لى أن أضع أمامكم
بندا من بنود جدول الاعمال الذى
تأخذون أنفسكم به .. فأتى أجدنى
مطالباً من شعبنا ومن جمهور
المسلمين فى كل أنحاء الأرض ..
مطالباً بأن أضع أمامكم فى جدول
أعمالكم كلمة هى الايمان ..

شعارنا العلم والايمان

تعلمون أننى قبل أن تمر سنة من
ولايتى أعلنت شعار الدولة وهو
العلم والايمان .. العلم لاننا
لا نستطيع أن نتخلف عما يعيشه
عالم اليوم من علم والا كان ذلك
أيذانا بالقضاء علينا جميعا كما
قضى من قبل على أمم كالهنود
الحر .. فلا سبيل لنا أن نكص أبدا
أو نتأخر عن متابعة العلم فى أحدث
ما يصل اليه فى عالم اليوم .. لقد
كان هذا أيضا من أساليب الاستعمار
الخبثية أن تتخلف عن العلم وان
نظل شعوبا متخلفة لكى يفعل بنا
ما يشاء ..

ولكن وكما قلت لكم
وقد أصبحنا نملك أمورنا

بسم الله الرحمن الرحيم
أحمد الله أننا فلتقى اليوم
لنتحدث فى أمور عالمنا الاسلامى كله
مع هذه الصفوة الممتازة من علماء
المسلمين ، وما أجدركم أن تضعوا
فعلا الطريق الى الايمان ، فلعل
أخبت سلاح استخدمه الاستعمار
ضدنا فى الفترة الماضية كان هذا
السلاح هو ضرب الايمان .. حاولوا
أن يضربوا الايمان فى نفوسنا جميعا

ومن خلال ضرب الايمان
يستطيعون أن يتسللوا لكى يطبقوا
سياستهم المعروفة : فرق تسد ..

اليوم لا حجة لنا لقد تولينا جميعا
أمورنا بأنفسنا ، ولا بد لنا من أن
نخطط الطريق السليم لاعادة بناء
مجتمعاتنا ..

لا بد أنكم جميعا تعلمون ما ينتاب
الشباب المسلم فى عالم اليوم وما
يتقاذفه من تيارات خبيثة ليس لها
أى ركيزة ، وليس لها أى جذور
فى مجتمعاتنا .. يزينون الكلام على
أن قمة العلم وقمة المعرفة هى فى أن
يتنكر الانسان لايمانه ..

بأنفسنا فلا حجة لنا .. ويجب أن
تقضى على تلك الفجوة .. فجوة
تخلفنا عما يعيشه العصر اليوم من
علم وتكنولوجيا ولكن العلم وحده
أصم .. وسمعنا ونسمع عن تفجير
الذرة .. التفجير الهيدروجيني
وآلات الدمار .. كل هذا من ثمار
العلم .. واجبنا ألا نتخلف لانه كما
قلت ستلعنا أجيالنا المقبلة اذا تخلفنا
ولم نترك لهم زادا يعيشون به في
عالم اليوم يتميز بالعلم والذي يتطور
فيه العلم كل يوم تطورا كبيرا *

العلم وحده كما قلت خطر ومدمر
.. ولكن بالعلم والايمان يستقيم
الأمر، ويصبح العلم بدلا من أن يكون
أداة تدمير وخراب يكون أداة محبة
وبناء .. وأداة رخاء مشترك يعيشه
العالم كله .. اذا كان لى أن أضع
أمامكم فى جدول أعمالكم كما قلت
.. فانتى أريد أن أضع كلمة الايمان
فى هذا الشأن ..

دعاوى تزعم انها عقائد

أريدكم أن تستنبطوا كيف نربى
الطفل منذ طفولته الى شبابه الى
رجولته الى شيخوخته .. كيف

نربيه على الايمان .. قد يكون هذا
بالنسبة لى أمرا أساسيا يوصف أنتى
مستول فى هذا البلد الذى عرفتوه
وعرفتكم كفاح شعبه وعرفتكم
ايمان شعبه أنا مستول أن أوصل
الأمانة .. مستول أن أودى الرسالة
وما وجدت عدوا فى أداء هذه
الرسالة أو تسليم هذه الأمانة الى
الاجيال المقبلة .. لم أجد عدوا الا
فى تلك الدعاوى التى تتسرب اليوم
الى نفوس النشء .. الى نفوس
شعبنا عن طريق المذاهب الاجتماعية
التي وصل البعض بها الى أن يصفها
بأنها عقيدة .. ماذا كانت النتائج
لهذا الضياع الذى يعيشه طفلنا
وشبابنا المسلم .. كانت النتيجة
زيادة فى الحيرة .. زيادة فى التيه،
اختلاط كل الأمور بحيث أصبح كل
فتى وكل فتاة فى عالمنا الاسلامى
يتجاذبه أو تتجاذبها تلك التيارات
الجديدة، ولأنتا لم نضع المنهج المبسط
منذ الطفولة لهؤلاء سمعنا عن
الانحرافات وما قرأتموه مثلا عندنا
عما حدث أخيرا هنا ممن أسموا
أنفسهم بجماعة التكفير والهجرة *

انصاف المتعلمين

•• يعتمد أول ما يعتمد على قصص

له روعة وعذوبة مثل قصص القرآن
بل لم يعلمونا •• أو يضعوا امامنا
آيات بذاتها لكي نحفظها •• كما
يحدث اليوم •• وانما كان الحديث
حديثا من قصص القرآن وبعد أكثر
من خمسين سنة وأنا أتحدث اليكم
اليوم •• لا أزال اذكر يوم أن كان
يدرس لنا أستاذ الدين كيف أن
محمد صلى الله عليه وسلم •• وهو
يرعى جاءت الملائكة لتشق صدره
•• ولكي تنتزع منه الشيطان ••

يومها تعلمت

لا أزال أذكر هذا اليوم •• وهذه
الحقبة بالذات وأنا طفل صغير
•• ليس للمعجزة في ذاتها •• وقد
يتعرض لها البعض •• بانها غيبات
أو كما يقولون اليوم اولئك الذين
يتحذلقون •• ويدعون ان العلم
لا دخل للايمان فيه على الاطلاق ••
أبدا •• لقد أذكت هذه القصص في
نفس عوامل الخيال •• ومن يومها
تعلمت •• أن في داخل كل منا الى
الى جانب ما أراده الله سبحانه وتعالى
في خلقنا •• أن فينا شيئا من روح

يقولون أن اخطر الناس هم
أنصاف المتعلمين •• لا هو بالجاهل
ولا هو بالمتعلم الذي يلم بأطراف
كل ما يتحدث عنه أو يتعرض له ،
وانما هو نصف متعلم يأخذ آية
من القرآن ثم يفسرها كما يشاء
وكما يحلو له أو كما تسيطر عليه
نزواته سواء كانت نزوات فردية
أو نزوات انفعالية أو نزوات أساسها
التيه الذي يعيشه في هذا العالم •

في هذا الخضم الذي يحيط بنا
•• الذي أصبحت المادة تسيطر على
كل شيء فيه •• الايمان •• مطلوب
منا أن نبسط الايمان للطفل منذ
أن يولد في المنزل •• في المدرسة
•• في العمل في السلوك ••
في كل شيء •

لن أنسى أبدا •• انى حينما
بدأت أدرك أو حينما تفتحت
عيناي •• كنت في القرية •• وفي
القرية مدرستنا هي الكتاب وفي
الكتاب بدأت أحفظ القرآن •• ثم
ذهبت الى المدرسة •• مدرسة التعليم
العام •• وكان تدريس الدين في
ذلك الوقت •• كان هذافي العشرينات

الله .. الى جانب هذا يوجد ايضا
شيطان .

علينا أن نغلب روح الخير والحق
وروح الله على هذا الشيطان الذي
يكن في صلورنا . بهذه البساطة
تعلمت الايمان ..

من الطفولة الى الشيخوخة

كما قلت لكم .. بعد أن غادرت
الكتاب لم يحفظونا آيات فكررها
كالبيغاوات .. وانما تلقفونا بحديث
قصص القرآن ، فلمّا كبرت وقرأت
في مختلف الفروع قرأت حكمة
تقول ان الله سبحانه وتعالى خلق
الملائكة من عقل بلا شهوة وخلق
الشياطين من شهوة بلا عقل ..
وخلق ابن آدم من كليهما .. فمن
غلب عقله على نزواته وعلى شيطانه
وعلى شهوته كان أفضل من الملائكة
.. ومن غلب شهوته على عقله كان
أسوأ من الشياطين .

في مختلف مراحل حياتي كما
حكيت لكم .. وهذا ما أريد أن
تجدوا له سبيلا في عملكم اليوم ..
علنا أن نضع علامات متتالية منذ
الطفولة إلى الشيخوخة ..
ومطلوب منا أن نتعلم العلم من

المهد الى اللحد .. كيف نضع هذا
الأسلوب الذي يتدرج بطفل بأن
يذكر روح الخيال فيه .. وهو
يسمع لقصص القرآن وهو يسمع
عن الملائكة ، وهو يسمع عن
عن الشياطين وعن سلوكهم .. كيف
تتدرج بهذا الايمان .. ونغرسه في
النفوس منذ الطفولة الى الشيخوخة .

أعتقد أن هذا يساوي كثيرا ..
وأعتقد أنه شيء أساسي في هذا
العصر الذي نعيش فيه .. وكما
قلت لكم يتقاذف شبابنا فيه
تيارات ملحدة .. وتيارات مادية
وتيارات تبتعد به عن أصالة الايمان
... وجذور الايمان .

خطيب الجمعة

بعد ذلك لما قرأت القرآن وحفظته
.. أقرأ أن الله سبحانه وتعالى
يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم .
« واذا سألك عبادي عني فاني قريب
أجيب دعوة الداع اذا دعان » ..
لا حجاب بين الانسان وربه أبدا .
في القرية كنت أصلي الجمعة دائما
قبل أن آتي الى القاهرة وانضم الى
المدارس هنا .. وكان فقيها حين

يعتلى المنبر يحذر ويتوعد لأقل خطأ
 .. ولا أخفيكم اننى جئت الى
 القاهرة .. والى التعليم العام ..
 وأنا مشدود الأعصاب مما سمعته
 من خطيب خطبة الجمعة حينما
 يتحدث عن الآثام والذنوب .. ويحكى
 » فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
 فاسلكوه « .. وكأن الله سبحانه
 وتعالى ليس الامتقما جبارا لا يعرف
 الرحمة أو لا يعرف الشفقة .

حينما عشت فى السجن وبين
 الجدران الأربعة للزنازة .. لم يكن
 يؤنسنى أو لم يحل بينى وبين أن
 أنهار كاملا بعد أن كنت أعيش
 خارج السجن حياة كاملة وأنا أكافح
 من أجل وطنى ثم أجد نفسى فجأة
 بين جدران أربعة بلا شئ على
 الإطلاق .. كان الايمان .

فى الزنازة رقم ٤٥ فى طرة ميدان
 .. أو سجن مصر العمومى تعلمت
 شيئا من ذلك الافتتاح الذى تلقيته
 وأنا طفل .. وذلك فى الخيال الذى
 عشته بأن الله سبحانه وتعالى غفور

رحيم .. قادر على كل شئ يغفر
 الذنوب جميعا .. لا حائل بينى
 وبينه .. تعلمت ذلك .. تعلمت
 أن الانسان قد يصادف فى حياته
 ونحن فعلا نصادف فى حياتنا معارك

بعد قراءة القرآن يقول الله
 سبحانه وتعالى لأجل أن يصل
 لنا هذا الحديث .. « واذا
 سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب
 دعوة الداع اذا دعان » . يقول
 أيضا « ان الله لا يغفر أن يشرك به
 ويغفر ما دون ذلك » هذا هو
 التحريم القاطع : لا شرك بالله ..
 » قل يا عبادى الذين أسرفوا على
 أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله « .

القرآن وحياتى بالسجن

لأننى حفظت القرآن عرفت هذا
 .. ولكن كيف سيعرف شبابنا
 هذا الأمر .. ونحن نصور لهم أن
 أبسط خطيئة هى فى النار .. وأن

كثيرة من أجل الحياة ومن أجل اليه .. فاذا ما وصل اليه هانت
البقاء في هذا العالم المادى الذى أمامه كل الصعاب .. وارتفعت
نعيش فيه . نفسه الى أقصى الآفاق ..

يريد لنا الخير

ويحدث أن يخون الصديق .. الأخيرة في الزنزانة رقم ٥٤ ..
أو أن يتنكر حتى الابن .. ولكن في وكتبت عنها منذ أكثر من عشرين
الزنزانة رقم ٥٤ .. تعلمت أن هناك سنة اننى ما عشت ولن أعيش أحلى
صديقا لا يخون أبدا .. صديق من تلك الشهور الستة دعونا نعلم
قادر على كل شيء .. صديق اذا أبناءنا الايمان في كل مراحل حياتهم
أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .. لكى يعلموا أن الله سبحانه وتعالى
.. من قصص القرآن .. كان مع صديق .. أعظم صديق ..
موسى عندما خرج مع بنى اسرائيل يريد لنا الخير لا فاصل ولا حائل
من مصر هنا .. وكما تعلمون في بيننا وبينه .. اذا أراد شيئا فانما
القرآن .. لما خاف القوم .. يقول له كن فيكون ..

العلم وحدة .. مدمر

أردت أن أحكى لكم هذا .. قالوا انا لمدركون .. قال لهم موسى
كلا ان معى ربي سيهدين .. فانطلق له البحر حينما أوحى الله له أن
يضرب البحر بعصاه .. قادر على كل شيء .. وصديق لا يحسد ..
ذو قلب يجمع كل هذه الخليفة .. يريد لنا الحياة شريفة قوية ..
يريد لنا الخير .. يومها عرفت أن صداقة الله
سبحانه وتعالى هي أعظم كنز يستطيع انسان في هذه الحياة أن يصل
أردت أن أحكى لكم هذا .. ولعلنى حاولت أن أستعرض جزءا
من حياتى منذ أن بدأت في القرية الى أن انتهيت بها في الزنزانة في
سجن قرامدان .. وبعد ذلك وأنا مسؤل عن شعب مصر وكنت أزور
بريطانيا .. في العام قبل الماضى سألنى صحفى بريطانى .. ماذا تعنى
بكلمة .. أو بشعار العلم والايمان .. فحكيت له عما حكيت لكم من

اننا لن نستطيع أن نتخلف والا
لنعتنا أجيالنا المقبلة وخاصة اننا
الاطلاق .. عليه اسرائيل بدون جهد على

نملك أمرنا في يدنا .. لم يعد
هناك مستعمر .. ولم يعد هناك
حاكم يطوع أى شئ لنفسه أو
لذاته .. انما على كل حاكم أن
يستجيب لما يراه الشعب ولما
اصطلحت عليه أمته من عقيدة ..
ومن سلوك .. قلت له أن العلم
وحده مدمر ولكن بالعلم والايان
.. يكون العلم أداة الايمان ..
وأداة معرفة .. وأداة رشد ..
وضربت له مثلاً .. قلت له حينما
كنت بصدد اتخاذ قرار المعركة
.. كان الذى يقرأ صحف الأمة
العربية كلها خلال تلك الأيام
السوداء .. أيام النكسة .. يحس
بما كان يعانيه شعبنا العربى نتيجة
ما يكتبه أولئك الذين يحللون وأولئك
الذين يعتبرون أنفسهم من أصحاب
المعرفة والثقافة .. وهم كما قلت
لكم من أنصاف المثقفين .. وهم
أخطرنا .. تفشت دعاوى الهزيمة
والانهزامية الى أقصى الحدود -
ليس فى العالم فقط - بسبب
الاقتصار الخرافى الذى حصلت

ليس فقط فى العالم وقد كان
العالم يؤمن أن العرب جثة هامدة
لا حراك فيها لخمسین سنة مقبلة
بل أخطر شئ أن انتقلت هذه
الدعاوى الانهزامية الى داخل
الأمة العربية وبدأ كتابنا وأدعياء
الثقافة فيها يحللون ويكتبون عن
استحالة أى عمل ضد اسرائيل .

العلم وروح الايمان

قلت للصحفى الانجليزى ..
لعلى وقتها خلال عام ٧٣ لو اتى
لجأت الى العلم وحده وأقصى
ما توصل اليه العلم هو العقل
الالكترونى .. لعلى اذا لجأت اليه
ووضعت فيه كل العوامل والمسببات
والمعلومات وقوى الطرفين وما يدور
فى العالم ويدور داخل الأمة العربية
ثم طلبت من العقل الالكترونى كما
يحدث اليوم فى العالم كله .. هم
يضعون جميع مشاكلهم بياناتها فى
هذا العقل وينظرون منه الاجابة ..
قلت له لعلى اذا كنت قد جمعت

ولفتياتنا .. منذ الطفولة الى
 الشيخوخة .. نريد أن نضع لهم
 برامج وأساليب مما يأخذ به العصر
 اليوم .. لكي نعلمهم الايمان ولكي
 يزدهر خيال الطفل فيصل في يوم
 من الأيام الى أن يحس بالرباط
 القوى الذي يربطه بالخلق العليم
 .. وأن يصادقه .. وعندما يصادق
 الانسان الله سبحانه وتعالى ..
 فيصادق الناس .. وسيصادق
 الأشياء وسيحس أنه لم يخلق في هذه
 الدنيا عبثاً .. وانما هو جزء من
 خلق كامل .. أبدعه الخلاق العليم
 ووضع له من النواميس .. والقوانين
 بحيث من اتبعها فاز ونجا .. ومن
 خالفها .. خاب وانهزم .. ادعو
 الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم فيما
 أنتم بصدده .. وأن يوفقكم في أن
 تضعوا لنا أسلوباً يوفر علينا
 ما نعيشه من معاناة من أجل أجيالنا
 المقبلة .. ويزيح من طريقهم ذلك
 التيه .. الذي يعيشون فيه
 فتستقيم نفوسهم .. وتتوطد
 ضمائرهم .. ويتخذون الله سبحانه
 وتعالى الصديق الذي يريد لنا
 الحياة قوية شريفة .. وفقكم الله
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كل تلك المعلومات ووضعتها في
 العقل الالكتروني وانتظرت الاجابة
 .. وقلت له .. ماذا تظن أن الاجابة
 كانت ستكون .. قال .. بالتأكيد
 لا .. لا معركة .. هو صحفى
 انجليزى .. بالتأكيد الاجابة لامعركة
 لأننا نحن في العالم كله نؤمن بأن
 العرب جثة هامدة وأنه لا حراك
 فيهم ولن يكون لهم أى وزن لاسياسى
 ولا عسكرى للخمسين سنة المقبلة ..

قلت له لقد أجبت على سؤالك
 .. لم أضع حساباتى في العقل
 الالكتروني .. المادى البحت ..
 وانما هناك جانب لا يمكن للعقول
 الالكترونية مهما أبدعت .. ومهما
 كان اختراعها .. ومهما كانت
 دقتها .. هناك شيء لا يبين في هذا
 العقل .. الايمان .. روح الله
 الكامنة في كل منا .. وكيف أنه
 عندما يغلبها على روح الشر
 والشیطان يكون أفضل من
 الملائكة ..

من الطفولة الى الشيخوخة

أردت بهذا أن أتحدث اليكم عن
 أمر يزعجنى حقيقة وهو كيف
 نستطيع أن نعلم الايمان لشبابنا

كلمة

السيد / محمد بن عبد الله بن مبارك
نائب رئيس الجمهورية
في حفل افتتاح
المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين

أيها السادة العلماء :

ان مجمع البحوث الاسلامية -
بوصفه أعلى هيئة علمية بالأزهر -
يحمل واجبا كبيرا تجاه العالم
الاسلامى كله ، وتجاه المشكلات
التي تواجه المسلمين اليوم ، وهي
مشكلات تتجدد وتتلاحق ، تبعا
لظروف عصرنا ولأوضاع مجتمعاتنا .

ان من واجب هذا المجمع في
هيئته الدائمة ، وفي مؤتمراته
المتكررة ، أن يتابع الأحداث التي تهتم
المسلمين ، وأن يدرس المشكلات
التي تشغلهم ، وأن يقوم فيهم بالرأى
والفتوى ، والتذكير والدعوة ، ففي
كل يوم حلت جديد ، ولكل حدث
حكمته وواجباته .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على رسوله خاتم النبيين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أيها السادة العلماء أعضاء
المؤتمر : أحياكم وأرحب بكم ،
وأقل اليكم تحيات السيد الرئيس
محمد أنور السادات ، واعزازه
لمجمعكم الموقر ، ورجاءه لكم
بالتوفيق فيما اجتمعتم من أجله ،
وتحية من أبناء مصر الى الأمة
الاسلامية جميعا ممثلة فيكم ، تحية
أخاء وولاء .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض » .

لقد نصرنا الله في العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ « وما النصر الا من عند الله • ان الله عزيز حكيم » • هذا واجبنا جميعا لا يثنى منه أحد ، واتنا لا نمل أن نذكر المسلمين ونذكر العالم كل يوم بعدالة قضيتنا •

دخلنا هذه المعركة معتمدين عليه سبحانه - آمليين في نصره ، مستنيرين بهدى الاسلام وبنور القرآن • ووقف أبناؤنا في مواجهة أخبث عدو وفي موقف من أربب المواقف وأضرها ، فضحوا بأرواحهم ودمائهم مؤمنين بقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » • فأمدهم الله بعونه ، وأيدهم بنصره •

أيها الاخوة :

اننا نواجه اليوم تيارات فكرية وأخلاقية عنيفة مدمرة ، ونواجه مشكلات اقتصادية واجتماعية عديدة فنحن في حاجة الى جهود العلماء والباحثين ، والى رأى أولى الرأى والى علم أولى العلم والى عمل علمى مخلص نواجه به هذه المشكلات •

ان في مبادئ الاسلام علاجا لكل ما يعرض لنا فانه يدل الى الخير ، ويجمع على الرشد ، ويهدى الى الصراط المستقيم : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام

أيها الأخوة :

ان أجزاء من قلب العالم الاسلامى ما تزال مغتصبة ، تحتلها قوى الشر الصهيونية ، وان المسجد الأقصى الشريف ما يزال في أيدي أعدائنا ، وان اخواننا أبناء فلسطين لم يستردوا حقوقهم الشرعية بعد ، وهذا الموقف يحتم استمرار الجهاد حتى نستنقذ وطننا ومقدساتنا ، وحقوق اخوتنا •

ويخرجهم من الظلمات الى النور
بإذنه ويهديهم الى الصراط
المستقيم » •
ونفوس في نفوسهم كريم الأخلاق ،
وهذا أساس لبناء للأمم ، وقاعدتها
الأولى لكل عمل عظيم •

ان مبادئ الاسلام في الأخلاق
أوفى المبادئ وأكثرها تفصيلا
وتحديدا • فلنعالج بها ما قد يتسرب
الى مجتمعاتنا من فكر غريب
ونزعات منحرفة ، واننا لنجد في آية
واحدة من كتاب الله تعالى صلاحا
لما قد نشكو منه من أمرا ، يقول
الله تعالى :

أيها السادة أعضاء المؤتمر ••

لقد أصبحت مصالح العالم اليوم
متشابكة ، والعلاقات القائمة بين
أجزائه معقدة وحياة العوالم
الاسلامية ليست بمعزل عن تيار
الحياة العام • ولكن كتاب الله الذي
وسع كل شيء لن يضيق بحل هذه
المشكلات • وانه ينبغي أن تتبع
دائما قوله تعالى :

« فان تنازعتم في شيء فردوه الى
الله والرسول » وقوله سبحانه :
« ولو ردوه الى الرسول وأولى
الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون
منهم » •

« يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين » •

ولو أن كل مؤمن كان قواما
بالقسط ، ملتزما للحق ، شهيدا على
نفسه وأهله لله ، في كل ما يأتي وما
يذر ، لصلح شأن الجماعات ،
واستقرت به أمورها •

نحن اليوم في أشد الحاجة الى
أن تبنى نوازع الخير في أبنائنا ،

وأتم الذين تستبظون الأحكام « انا بالعلم والايمان يمكن أن
وتبينونها للناس • تتغلب على أقوى الصعوبات » •

هذا دوركم أيها العلماء تجاه ونحن والعالم الاسلامي كله في
عصرنا المتغير في شئون الاقتصاد انتظار ما يسفر عنه مؤتمرهم ،
والاجتماع •

وختاماً : أكرر لكم ترحيب الشعب
المصري والسيد الرئيس محمد أنور
السادات بكم - وأتمنى لكم اقامة
طيبة وتوفيقاً وسداداً ••
أيها السادة أعضاء المؤتمر :
نحن نعلم أهمية الرسالة التي
تعملونها ، ونشارككم شرف القيام
بها ، واسمحوا لي أن أقول لكم :
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الايمان . حياة . وقوة . وإي شعب ومجتمع يعيش بعيداً
عن الايمان يفقد امانه . وتتحول حياة الأفراد فيه الى نوع من
القرصنة والخداع والتوحش .

توماس ارنولد

كلمة

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر
ورئيس المؤتمر الثامن لعلما المسلمين في حفل افتتاحه

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين •

لقد استجبتم لدعوة الأزهر وحضرتم الى القاهرة من جميع أنحاء العالم لتؤكد معا وحدة الفكر الاسلامي ووقوف المسلمين في وحدة متماسكة ضد كل انحراف عن التوجيهات الربانية • والأزهر اليوم اذ يفتح ذراعيه مرحبا بكم في بيت الأسرة العريق فانما يؤكد بذلك حرصه على استمراره في أداء رسالته الخالصة لدين الله ، ويجدد العزم على مواصلة السير في طريقه التاريخي •

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين » •

السيد نائب رئيس الجمهورية

أيها الاخوة المؤمنون
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وأهلا بكم ومرحبا في رحاب الأزهر : معهدكم العتيق ، وبيتكم العريق •

لقد مكث الأزهر ألف عام — ولا يزال يقوم بنشر رسالة الاسلام ، ايمانا منه بأنها جوهر الوجود الاجتماعي للمسلمين ، والنبع المتجدد لراقيهم •

وسخف، فقد يوجد في القطر الواحد عدة لغات ولهجات عامية ، ثم انها ستقطعنا عن تراثنا الماضي والحاضر، وستقطعنا عن التفاهم مع بقية اخواننا العرب ، وما كانت العامية في يوم من الأيام لغة حضارة .

ووقف الأزهر في وجه الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية واني لأعلن هنا في غير لبس أو غموض أن كل دولة اسلامية اتخذت الحروف اللاتينية لكتابتها انما فعلت ما يغضب الله ورسوله، وما يميته الله ورسوله، والذين يبيءون باثم ذلك هم المنفذون والراضون بالتنفيذ .

ولقد وقف الأزهر في وجه تيارات الغزو الفكرى الآتى من الشرق أو من الغرب . وأعنف صور هذا الغزو اليوم تتمثل في المذهب الماركسى ، وبخاصة بعد أن أخذ أتباعه يروجون له في العالم الاسلامى تحت أثواب كاذبة خادعة .

لقد قال ماركس كلمته المشهورة الحاسمة في بيان موقف المذهب الماركسى من الدين : قال « ان الدين أفيون الشعوب » ولقد تلقف لينين هذه الكلمة لكارل ماركس ،

أيها الاخوة أعضاء المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية :

اننا نجتمع اليوم للبحث في موضوع « الاسلام وقضايا المعاصرة » وهذه القضايا المعاصرة مطروحة أمامكم اليوم في مجموعة من البحوث النفيسة تتمثل في ثلاث شعب :

الشعبة الاولى :

عن دور اللغة العربية في الحفاظ على الجو الاسلامى .

الشعبة الثانية :

تتمثل في ضرورة مواجهة الغزو الفكرى .

الشعبة الثالثة :

عن ضرورة الاعتصام بالاسلام .
شريعة وسلوكا .

أيها الاخوة المؤمنون :

لقد مكث الأزهر ألف عام - ولا يزال - يقوم على المحافظة على اللغة العربية ، ولقد وقف في وجه كل النزاعات التى أرادت بها شرا .

انه وقف في وجه الدعوة الى العامية ، والدعوة الى العامية ضعف

وفي البرنامج الذي وضع للمؤتمر الدولي الشيوعي السادس الذي عقد في عام ١٩٢٨ : (ان الحرب ضد الدين - وهو أفيون الشعوب - تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة) .

انه من الواضح وضوحا شديدا أن الشيوعية في العقيدة معارضة للاسلام وهى فى الأخلاق معارضة للاسلام . وهى فى الاقتصاد معارضة للاسلام . فهى اذن ملحدة ، لا يشك الشيوعيون فى ذلك ، ولا يشك فيه غيرهم .

وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه الشيوعية ، وهى لا تنال من الدين بأسلوب فيه هودة ورأفة ، وإنما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عنيف قاس . انها مجازر تقام ، ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتقنن فى التعذيب ، أما الخراب فانه ثمره كل ذلك .

وكارل ماركس يهودى .

أيها الاخوة المؤمنون : ان قراءة كتاب « بروتوكولات حكماء

وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين .

انه يقول حرفيا :

« قال ماركس : ان الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعها والكنائس وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لرد الفعل البرجوازي الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب لينين ما يلى نصا :

« الاتحاد جزئ طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ويقول « لونا شارسكى » الذى كان يوما ما وزيرا للتعليم فى حكومة الشيوعيين « نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعدده أشتر أعدائنا ، وهم يشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ... » .

صهيون « مفيد كل الافادة لمعرفة
المخطط الخبيث الذى يقوم بتنفيذه
اليهود :

انهم يروجون لكل فكرة
منحرفة ، ولكل رأى ضال ،
ويحاولون عن طريق الصحافة
والكتب والاذاعة الترويج لكل
منحل ، واذاعة كل فاسد . لقد
تعاهدوا فى موائيقهم على نشر آراء
طائفة معينة من الذين عقدوا العزم
على افساد العالم بأرائهم ، وكان
من هؤلاء ماركس .

أيها الاخوة المؤمنون :
وان الشيوعية لتلتقى مع
الاستعمار الغربى ومع الصهيونية
فى مقاومة اعتصام المسلمين
بالاسلام .

وهذه هى القضية الثالثة من
قضايا الاسلام المعاصرة التى تطرح
فى هذا المؤتمر .

ماذا حدث أيها السادة فى غيبة
التوجيه الاسلامى عن حياتنا
المعاصرة ؟

ويقول اليهود فى موائيقهم :
نحن الذين رتبنا نجاح كارل
ماركس .

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على
الناس النظام الطبيعى والربانى ، انه
يفسد عليهم نظامهم فى العقائد وفى
الأخلاق وفى الاقتصاد . ووقف
الأزهر فى وجه كل ذلك ، وقف كالطود
الراسخ يدافع عن الذاتية الاسلامية ،
ويحاول فى صمود لايلين أن ينفى
عن الذاتية الاسلامية الدخيل والغزو
الفكرى ، وما لانت قناته يوما ما .

١ - حدث هذا الرجس الذى
نراه فى الاستهتار بالقيم الدينية
استهتارا بلغ من شأنه أن أصبح
الاحاد فى دين الله من الأمور التى
تمر فلا تسترعى انتباها .

٢ - وفى غيبة التوجيه الاسلامى
كان هذا الطوفان من الاستهتار
بالقيم الأخلاقية الذى يسود فى كثير
من زوايا المجتمعات الاسلامية .

٣ - وفى غيبة التوجيه الاسلامى
كان هذا الفساد الذى يسود
المعاملات ، من الربا والرشوة ،

أيها الاخوة :

ان للأمة الاسلامية رسالة هي رسالة الله الى العالم ، وهي آخر الرسالات ، طابعها الرحمة لكل عوالم الله في الأرض وفي السماء ، ومنهجها الرقى بالمجتمع المنهج الذي أعلنه الله تعالى في كتابه العزيز .. المنهج الذي يجب علينا نشره بكل الوسائل وبشتى الطرق ، وأن نأخذ به في أقطارنا هو العلم ، وتزكية النفس .

« يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

والقرآن يشرح هذا المنهج في جملة وفي تفصيله ، انه يبحث في استفادة على العلم ، ويتحدث عن مكانة العلماء وعن مكانة العلم وعن ثمار العلم . ولن تنهض أمة بغير علم ، ويتحدث القرآن الكريم في استفادة عن تزكية النفس ، وعن كل ما يتصل بتزكية النفس وسائل وغايات وثمارا .. ولن تنهض أمة بغير تزكية النفس .

ولن تنهض أمتنا الاسلامية الا اذا التزمت المنهج القرآنى مطبقة له

والاختلاسات ، وغير ذلك من المفاسد التي انتشرت شرقا وغربا .

أيها الاخوة المؤمنون :

ان هناك تحالفا صهيونيا استعماريا شيوعيا ضد الاسلام . وآثاره كما هي واضحة في مقاومة التشريع الاسلامى : فاننا نجدها في كل مكان يئن فيه شعب مسلم جريح .

نجدها في القدس ، وفي فلسطين ، وفي الأرض العربية المحتلة . نجدها في الشعب المسلم الجريح في الفلبين . نجدها في الشعب المسلم الجريح في أريتريا .

نجدها في التآمر الخفى لتدمير المجتمعات الاسلامية في أنحاء مختلفة من العالم . وان علينا أن نواجه ذلك كله . علينا أن نواجه الاعتداء على الأرض المقدسة ونعلن صيحتنا المدوية من أجل استنقاذ المسجد الأقصى من اسار العدوان الصهيونى .

كما أن علينا أن نواجه الاعتداء على العقائد ، ونستخلص ضمائر المسلمين من برائن الغزو الفكرى .

النهضة الاسلامية في صورة صحيحة لانها الصورة التي رسمها كتاب الله وطبقها رسوله صلى الله عليه وسلم .
 ان علينا أن نبدأ كما بدأ أسلافنا،
 والله في عون المجاهدين .
 « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين » .

أيها الاخوة المؤمنون :

في ختام هذه الكلمة نجب أن نقول : ان الأزهر للعالم الاسلامي كله لا يختص به قطر دون قطر وقد وجد - بحق - في مصر خير موئل، وفي رئيسها المؤمن محمد أنور السادات خير نصير .

انه يقول عن الأزهر : « لولا الأزهر ما انتشر الاسلام شرقا وغربا » ولقد كان الرئيس المؤمن في كل ظروفه وأوقاته خير نصير للأزهر من أجل أن يؤدي رسالته كاملة غير منقوصه .

وفي رحاب الأزهر العريق نقول لعلماء المسلمين من جميع أنحاء العالم « اهلا بكم ومرحبا » .

في جانبه العلمي : فنشرت العلم في عموم وشمول ، وأخذت بتزكية النفس في قوة متبعة مبادئ الاسلام في ذلك . وهذا المنهج هو الذي اتبعه أسلافنا فكانوا سادة وكانوا أعزة بالله تعالى .

أيها الاخوة العلماء :

أن واجبا مقدسا في العصر الحديث يتنادينا لنحيي من جديد مسيرة سلفنا الصالح وذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحراسة تراث الاسلام وتعاليمه من كل خطر يهدد الأمة الاسلامية في الفكر والعادات والنظم والسلوك . وان أخص مهمة نقوم بها اليوم في دفع عجلة التقدم الاسلامي أن نسعى - بالتكاتف والمؤازرة والتعاون - للعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية من أجل سعادة الانسان في حياته الدنيا ، والآخرة . فاذا ما طبقت الشريعة الاسلامية انتفت الشيوعية وآمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . واذا أخذنا بالمنهج الاسلامي (يعلمهم ويزكيهم) العلم وتزكية النفس فانتا نكون قد ضمنا

كلمة

صاحب الفضيلة الدكتور عبد الجليل ثلبي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
في حفل افتتاح المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا أن هدانا •
الارتواء من روحانية الاسلام،
ويتطلع عقله الى التغذى من ثقافته
الواسعة وفكره العميق •

والصلاة والسلام على أكرم خلق
الله وخاتم رسله سيدنا محمد النبي
الأمي الذي أرسله الله شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا •
لقد كانت مصر أول بلد في هذه
القارة الأفريقية يُبنى فيه مسجد
وتقوم مدرسة اسلامية ، ومنذ أنشأ
عمرو بن العاص مسجده كان منارة
تبعث بأضواء الثقافة الاسلامية الى

كل ماوراءها من الأقطار •• وطوال
ثلاثة قرون كان وحده منهل الظامئين
لمختلف الثقافات دينية وغير دينية ، ثم
آل تراثه الى الجامع الأزهر فحمل
لواء الحركة الثقافية الواسعة منذ
أكثر من ألف عام ، ويكفيه - الى
جانب ما له من جلال الغرض
وقداسة الرسالة - أنه ظل طوال
هذه الأحقاب يتضوع بنور الاسلام
وتتجاوب بين جدرانه أصداء الدرس
والعبادة جميعا •

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من
المهتدين بهديه ، والمستنيرين بسنته،
والعاملين على نشر دعوته ، وأن
يهبنا التوفيق فيما ندعو اليه من
الخير والفلاح •
اخوتنا الأعزة :
مرحبا بكم في بلدكم وبين
اخوتكم المسلمين في هذا القطر
العريق ، ومرحبا بكم في رحاب
الأزهر جامعكم وجامعتكم ،
مدرسة كل مسلم يهفو قلبه الى

وقد خصص المجمع لجنة خاصة
لمتابعة المشكلات الفقهية ، وهي
تحاول حل هذه المشكلات في كثير
من المرونة ورحابة الأفق ، ولكنها
دائما في اطار الشريعة الاسلامية
وتعاليم السنة والقرآن .

وازاء ما اتجهت اليه الدول
الاسلامية بأن تجعل قوانينها كلها
مشتقة من الشريعة الاسلامية ،
وأن تتخذها المصدر الأساسى فى كل
تشريعاتها ، لجأ العديد من هذه
الدول الى مجمعا هذا ليصوغ
ابواب الفقه الاسلامى فى مواد
قانونية .

وقد خصص المجمع لجانا لهذا
التقنين على المذاهب الأربعة
المشهورة كل مذهب على حدة ،
وبدأت بالأبواب ذات الأهمية ،
ولكنها ستأتى على سائر ابواب الفقه
ان شاء الله ، وقد طبعت كميات
هائلة من هذا التقنين ولكن الطلبات
المتلاحقة من هيئات القانون المختلفة
فى مصر وخارج مصر أستنفدت كل
هذه الكميات ونحن مضطرون الى
اعادة طبعها مرارا .. وتدل هذه
الطلبات المتزايدة أنها ذات أهمية

ومجمع البحوث الاسلامية يضطلع
بجانب من جوانب النشاط العلمى
فى هذا المعهد العتيد .

والمؤتمرات الاسلامية التى يعقدها
المجمع ويعتبرها جزءا من رسالته ،
انما هى مرآة تنعكس عليها مظاهر
نشاطه ، وقراراتها وتوصياتها تنتقل
مع مندوبيها ومع مبعوثى الأزهر
العديدين ، وتنال تقدير المسلمين
واهتمامهم فى كل مكان تنتقل اليه ،
وهى فى مصر موضع عناية كبيرة من
الهيئات العلمية ودوائر البحث
الفقهى ، وقد نُفِّذَ منها ما سمحت
به الظروف المحيطة بنا وبالعالم
الاسلامى كله ، وسائرهما بسبيل
التنفيذ ان شاء الله تعالى .

ومما يكسب قرارات مؤتمراتنا
وتوصياتها أهميتها أنها لم تصدر
الا بعد تمحيص ودقة ، وشهودها
من ذوى رأى الاسلامى من
مختلف الأقطار قد يجعل لها صفة
الاجماع الشرعى ، وآراء المجمع
التي يصدرها فى غير المؤتمرات لها
أيضا هذه الصفة لأن أعضاء المجمع
هم الصفوة البارزة من علماء
الأقطار الاسلامية .

كبيرة ، وأن العالم الاسلامى كان متعطشا الى هذا التقنين ، والشرعية الاسلامية بحمد الله ذات شمول وسعة ، وموادها تفى بمطالب الحياة المتطورة ، وليس العمل بها متوقفا على هذا التقنين ، ولكنه عمل توضيحي يقصد منه تسهيل الرجوع الى هذه الأحكام •

وفى سبيل نشر الدعوة والثقافة الاسلامية يضطلع المجمع بأعباء وأعمال كثيرة متنوعة •

فلنا الآن مبعوثون فى أنحاء العالم كله ، يقومون بالأمانة والارشاد والتدريس • وبعض المعاهد العليا والجامعات فى البلاد العربية تعتمد على أبناء الأزهر وحدهم • وفى كثير من الأقطار يتحمل المجمع نفقات مبعوثيه ، ولا يكلف البلاد التى يعملون بها شيئا ، وهذا يحمله أعباء مادية كبيرة ، ولكنها تهون فى سبيل نشر الاسلام واللغة العربية ، وفى سبيل تأكيد الأخوة والتعاون مع هذه الأقطار •

وفى السنوات الأخيرة فتحت مساجد ومركزا سلامية جديدة فى

والى جانب هذا النشاط الفقهي وسنادا له وايضا تيسيرا لاشاعة الثقافة الاسلامية أخرج المجمع تفسيرا للقرآن الكريم فى لغة مبسطة ، وبعيدا عن الخلافات المذهبية ، ودل الاقبال الشديد على هذا التفسير أنه سد فراغا كبيرا فى حياة الناس ، وقد أخرجت اللجنة الموكول اليها هذا العمل اربعة عشر جزءا منه ، والله وحده يتولى جزاءها على ماتعاني من جهد مضمّن فى تمحيص الاراء واختيار الأنسب والأسهل من المذاهب والعبارات •

وقد اختار المجمع منذ بضع سنوات كتاب الجامع الكبير للامام السيوطى ليعثه فى ثوب عصرى جديد ، يصحح ألفاظه ويخرج

جانب الاعداد العلمي والثقافي ،
فهذه المراكز والمساجد لا تطلب أئمة
فقط ، بل تطلب الكتب والمراجع
العربية حيث لا وجود للغة العربية
في هذه البلاد .

واننا نأمل من وجود مبعوثينا
في هذه البلاد وشرحهم حقائق
الاسلام بالكلام والكتابة أن
ينجحوا في وضع صورة حقيقية
للالسلام يبرز سماحته وعدله ومابه
من جوانب انسانية لا توجد في غيره
من الأديان ، وقد يزيل توضيح
هذه الحقائق ما بين الاسلام
والأوروبيين ومن جفوة منشؤها
الجهل بحقائق الاسلام ، كما أننا
نأمل أن يقوم المبعوثون الوافدون
على الأزهر ليتعلموا فيه بمثل هذه
الرسالة حين ينقلبون الى بلادهم
مزودين بثقافة الاسلام وأخلاق
الاسلام .

ومع امتداد الاسلام وظهور
لمعات منه في هذه البلاد النائية
تقوم ضده تيارات الحادية عنيفة ،
وأخرى صهيونية خبيثة مأكرة ،

البلاد الأوروبية وفي أمريكا وشرق
آسيا وجنوبها ، وفي استراليا، وكان
ذلك نتيجة لتقارب أطراف العالم
ونزوح أقليات من المسلمين الى هذه
البلاد ، فنشأت جاليات اسلامية بين
قوم لم يكونوا يعرفون عن الاسلام
الا اسمه ، أو ماقرأوا عنه مما كتبه
أعداؤه المستشرقون .

وقد اتجهت هذه المراكز الى
مجمع البحوث تطلب أئمة ومعلمين ،
ولا بد أن يكون هؤلاء ملمين بلغات
البلاد التي يذهبون اليها ، والمجمع
الآن بصدد ارسال بعثة قوامها مائة
على الاقل من خريجي كليات الأزهر
لدرس اللغات الأوروبية الشائعة
حتى يمكن أن يقوموا بما تتطلبه
هذه المراكز الجديدة . ففى ألمانيا
الغربية وبلجيكا وهولانده وفرنسا
وانجلترا وبعض دول البلقان
واليونان وإيطاليا وأسبانيا . وغيرها
بنيت مساجد جديدة . وفتحت
مساجد كانت مغلقة أو اتخذت متاحف
أثرية . وعبء ذلك كله ملقى على
عاتق مجمع البحوث ، وكل ذلك
يتطلب جهودا مادية كبيرة الى

وحدهم وانما هي قضية الاسلام
والمسلمين ، فكل منا يحمل ازاءها
مسئوليته ، ونحن لا نياس من روح
الله ، ولكننا نستدعى نصره بنصرنا
دينه « ولينصرن الله من ينصره ان
الله لقوى عزيز) » •

ومصر والحمد لله تعيش في عهد
ايمان وعلم يقودها رئيس سلم
يتخذ من القرآن حجة ومن الله هاديا
ونصيرا •• وما نعلمه فيه من حب
الاسلام ورغبته في العمل على نشره
هو ما شجعنا على طلب المزيد من
مبعوثي الأزهر ، فعملهم ليس
الا نوعا من الجهاد الفكري ،
واستعدادا لنشر الاسلام ، وأن الله
تعالى قد منح هذا الرئيس المؤمن
نصره بسبب ايمانه العميق به وحسن
اعتماده عليه ، وقد اتسمت معركة
العبور بسمت اسلامية أعادت الى
ذاكرتنا معارك الاسلام الأولى •

ونسأل الله له المزيد من التوفيق
وتوالى النصر حتى يحقق فيه آمال
العرب والمسلمين •

تهدف الى تشويه سمعة الاسلام
ووقف تياره ، وقد انضم هذا
النشاط الحديث الى ما كان يكتبه
المستشرقون من قبل • ولم يقف
مجمع البحوث موقفا سلبيا ازاء
هذا الهجوم ، بل نشط لمقاومته
وتفنيد مفترياته ، فأصدر النشرات
والكتب والرسائل للرد على
الشيوعيين وتصحيح أقوال
المستشرقين وكبح الأقلام المسمومة
عن الاسترسال في مفترياتها •

ولعل هذا الجانب الذى أوضحته
من نشاط مجتمعنا يبين تلقائيا أن
المجمع والأزهر كله ليس جامعة
مصرية وحسب ، وانما هو هيئة
اسلامية عامة ، لكل دولة اسلامية
وجماعة وفرد منه نصيب •

ونحن في بهجة هذا اللقاء
وسرورنا برؤية اخوتنا في الدين
وشركائنا في الجهاد نذكر بالأسى
المريو والحزن البالغ ما يدبر للمسجد
الأقصى من كيد ، وما يراد به من
سوء ، وقضية فلسطين لا تخص
الفلسطينيين ولا تخص العرب

كلمة

الشيخ محمد عبد الرحمن بكر

وزير العدل بنبوة الامارات العربية في حفل افتتاح المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره وسار على سنته الى يوم الدين .

أيها الاخوة : انه لشرف عظيم أن أقف بين أيديكم هذا الموقف ... ولو ترك الخيار لي ، لتتجيت سعيدا عن مكافئ هذا ، للأساتذة والسيوخ والعلماء ، الذين أدين لهم بالفضل ، ويعترف الجميع لهم بالمكانة ورفعة

القدر .

ولكن الأيثار هنا ، ليس معناه التفضيل .. انه نوع من الأمانة ، التي ينوء بحملها الكثيرون ، وأظن أنهم توسموا في الشباب شيئا من القوة ، ولكن القوة الحقيقية هنا ، وفي هذا المؤتمر ، هي أولا وأخيرا قوة الايمان ، وقوة العلم ، وقوة الفكر وقوة الحكمة، غير أنى أتجاوز في كلمتى هذه تلك الاعتبارات الى معنى الطاعة والوفاء للآباء والأساتذة فانزل على رأيهم واختيارهم .

السيد نائب رئيس الجمهورية .. فضيلة الامام الأكبر .. أصحاب السماحة والفضيلة .. أيها الاخوة: ان خير ما أحبيكم به تحية الاسلام فتحية الاسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .. بالنيابة عن أعضاء الوفود وبالأصالة عن نفسى يطيب لى أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامثنان لفخامة الرئيس محمد أنور السادات ولصاحب الفضيلة الامام الأكبر على اقاحتهم لنا فرصة هذا اللقاء الأخوى الكريم .

ونحن هنا في مصر .. عندما
 نجتمع في مثل هذا المؤتمر انما
 نجتمع أولا في رحاب البلد الذي
 ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم،
 أنه كنانة الله .. وان أجناده هم خير
 أجناد الأرض ، وأن مصر وشعبها
 في رباط الى يوم القيامة ، دفاعا عن
 الاسلام ... رسالة الله الأخيرة
 الى البشر .

والأزهر اذن .. هو قلعة الاسلام
 الحصينة ، والمصنع الضخم للرجال،
 وأعداء الاسلام يدركون هذه الحقيقة
 ويعملون دائما على طمسها وهدمها،
 ولن ننسى ما قاله أحد المستعمرين
 العتاة ، حيث قال : لن يهزم المسلمون
 ما بقى فيهم ثلاثة أشياء ، الكعبة
 والمصحف .. والأزهر .

وهذا الاجتماع انما هو صورة
 لهذه الحقيقة الاسلامية الخالدة ..،
 التوحيد الذي هو جوهر الاسلام ..
 وحقيقة الوحدة التي هي شعار
 الاسلام .. وحقيقة التعاون على
 التقوى والبر ، الذي هو دعوة
 الاسلام .

اننى اذ أتكلم باسم الوفود المدعوة
 الى هذا المؤتمر ، فانما أعبر في
 الحقيقة عما يأتي :

أولا : عن معنى هذا اللقاء الذي
 يصدر أساسا عن حقيقة الايمان
 الذي بدونه تصبح حياة المسلمين
 ضياعا وعبثا .

ثانيا : أن أذكر وأذكر أن هذا
 الأزهر بالنسبة للشعوب الاسلامية

وحين نذكر مصر ..يجيء الأزهر
 الشريف ويقف شامخا .. ومشعا ..
 ومشرقا في أعين المسلمين في كل شعب
 وفوق كل أرض .. انه المعهد الذي
 يحمل رسالة الاسلام ، وقد حملها
 زهاء عشرة قرون .. تعرض خلالها
 لمحن وأهوال .. ولكنه خرج منها
 ظافرا منتصرا .. لأنه رمز الاسلام،
 وقلعة القرآن الذي تعهد الله بحفظه
 الى نهاية الحياة .. انا نحن نزلنا
 الذكر وانا له لحافظون .

فما بقى القرآن سيقى الأزهر ..
 وسيخرج من كل محنة ظافرا ،
 ما حفظ كلمة الله ، وأدى رسالته
 كما ينبغي أن تكون .

بمشابة القلب الذى اذا صلح صلح الجسد كله واذا اعتراه وهن أو ضعف، انسحب أثر ذلك على الحياة كلها..
لذلك فان من واجبنا المقدس ، أن نذود عن هذا الأزهر بكل ما نملك وبكل ما نستطيع ، لأن الأزهر هو الروح الجامعة لشتات المسلمين ...
الأزهر جامعة .. والأزهر ثقافة .. والأزهر فكرا .

ولا تستقيم حياة بدون روح أو فكر أو ثقافة .

ثالثا : أننا نذكر لمصر حكومة وشعبا دورها الأصيل لحماية الاسلام، وفى الحفاظ عليه ، وفى الدعوة اليه فقد كان ذلك قدرها كما كان ذلك قدرها منذ مئات السنين ، ومنذ أشرقت فوق ربوعها شمس الاسلام ودين الله الى الناس كافة .

وقد كان هذا دور مصر بالأمس، وهو دورها اليوم ، وستظل باذن

الله قائمة بهذه الرسالة وهذا الدور الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
يا أصحاب السماحة والفضيلة : ان أربعة عشر قرنا من تاريخ الاسلام، تهتف بنا فى رحاب هذا المؤتمر ، وان عشرة قرون من تاريخ الأزهر تحضر هذا اللقاء الذى هو لقاء الأمل لشعوب الاسلام فى كل أرض، ولقاء العمل للهاتفين للدعوة الى الإصلاح والحق ، ولقاء المحبة للبشرية التى فشلت كل أنظمتها وشرائعها فى تحقيق المحبة والأمن ، ولقاء الجهاد فى البلد الذى يحمل لواء الجهاد فى هذا العصر ، ولقاء الشكر والامتنان لمصر والأزهر ولكل عالم وانسان فى الأزهر ومصر .

وفى الختام لا يسعنى الا أن أكرر الشكر ، وأتمنى لهذا المؤتمر كل توفيق ونجاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين وصف تفصيلي

بقلم وإعداد: زاهر الزغبى

منذ عشرة قرون ونيف ، كان
الأزهر - ولما يزل - منارة تشع
على العالم الاسلامى كله نور الله
فيضىء الفكر بوميض العلم ، ويشرح
الصدور بروحانية الايمان •

وبهذا ضاع المسلمون ودالت
دولتهم •• ولكن الاسلام ظل في
الأزهر محفوظا بعناية الله •• لا
جمرة رمضاء ران عليها رماد الهوان
والضياع ، بل شعلة ملتهبة وقودها
عناد الايمان ، ولهيبها العزم المصمم
على رفع راية الاسلام أو الاستشهاد
دونه •

وخرجت من رحاب الأزهر - من
قاهرة المعز لدين الله •• عاصمة مصر -
جحافل المؤمنين تصد الغزاة فتقهروهم
وتسقط دولة الكفر ، وتعود أمة
المسلمين من جديد قوية •• عزيزة
بعض المسلمين وبتأييد من الله •

وهكذا كانت ارادة الله بأن
يحفظ الاسلام بالأزهر ، والأزهر
ومصر وحدة واحدة وكل لا يتجزأ ••

وعلى مر السنين صار الأزهر
للالسلام حصنا منيعا لا يقهر ، وقلعة
قوية لا تقتحم •• حتى في الأزمنة
السوداء •• حيث تراخى المسلمون
في اعتصامهم بجبل الله ، وتهاونوا
في التمسك بشريعته ، واستكانوا
لمغريات الشهوة والأنانية ، واستناموا
لدعاية الشعوية والانعزالية ،
فتحللت امبراطوريتهم الى شظايا
ودويلات ، وهان أمرهم على
الظامعين فيهم •• فأتى اليهم غزاة من
برابرة الشرق - المغول الذين خربوا
الديار ، وحرقوا الزروع ، ونهبوا
الثمار وقتلوا الرجال والنساء

ومن ثم كان الأزهر - وان شئت قلت كانت مصر - كعبة القصاد من شتى أنحاء العالم الاسلامى ، ليتشققوا بالعالم ، ويتفقهوا فى الدين ، ويتحدثوا بلغة الوحى ، أو يلجأوا طلبا للسلامة والحماية والأمن اذا حاقت بهم فى بلادهم أخطار تهددهم ، أو هوان يلحق بهم ..

وبل هي دائمة الصلاحية لكل مكان وكل آن .

ولما تراكمت تحديات العصر وتفاقت مشكلاته ، وتعمقت معاملاته ، وتباينت وتضادت فيه النظم السياسية والاجتماعية لدول العالم .. وراجت فيه مذاهب وعقائد كفرية والحادية وانهالية ..

وأجبالنا المعاصرة تشهد كيف ناضل الأزهر حتى نالت مصر استقلالها ، وكيف ناضلت مصر حتى استعادت لبقية الدول الاسلامية - بل وغير الاسلامية - استقلالها وعزتها .. فمصر والأزهر للإسلام حتما .. ولكن خيرهما مع ذلك يعم الانسانية برمتها .

وخلال هذا العمر الطويل .. استطاع الأزهر أن يساير موكب الزمن ، ويواكب ركب التاريخ ، ويتلاءم ويتكيف مع مقتضيات كل عصر ، ويتطور مع كل تطور .. لأنه كان على الدوام الوعاء الحافظ لشريعة الله وشريعة الله لا تتعطل فاعليتها فى أى زمان أو مكان ..

ولما تراكمت تحديات العصر وتفاقت مشكلاته ، وتعمقت معاملاته ، وتباينت وتضادت فيه النظم السياسية والاجتماعية لدول العالم .. وراجت فيه مذاهب وعقائد كفرية والحادية وانهالية .. تتوالى ضارية موجة تتبعها أخرى ، واستشرى الفساد أو كاد ، وضاعت القيم أو اضمحلت ، واهتز الايمان ، ووهن فى قلوب الكثير من البشر ، كان على الأزهر أن يقف فى مواجهة كل هذا وينازله .. حتى تزول كلمة الكفر وتسود كلمة الايمان ، وأن يعرض على مقاييس الشريعة

وضوابطها كل مستحدث من النظم ، أخرى - تأسست على غرارهِ وكل جديد في التعامل .. فان وافقها فهو حق مجاز ، وان ضاها فهو باطل مردود ، وان لم يكن على نهجها تماما عدله حتى يطابق .. فيكون مقبولا من الله والناس .

خطه العمل فيما بينه وكل منها ..

ثم كان المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين حيث رتب له مجمع البحوث الاسلامية ، ودعا اليه نخبة العلماء والمصلحين والأئمة والمهتمين بقضايا الفكر من شتى أرجاء العالم الاسلامي ليتدارسوا مع الأركان من أعضائه الدائمين قضايا الساعة التي تهم المسلمين كافة ، ليقوموا بحصاد المؤتمرات السابقة من توصيات وقرارات .. فيتعرفوا على ما تم تحقيقه منها .. وما ظل معطلا ينظرون في سبل تذليل العقبات دون انجازه ..

وقد كان انعقاد المؤتمر على مرحلتين : الأولى وتشمل الأعضاء الدائمين لمجمع البحوث الاسلامية

والأزهر في هذا يقف الآن وسط المعركة جهادا في سبيل الله .. ومجمع البحوث الاسلامية - وهو أحد مؤسسات الأزهر ، وأعضاؤه يكونون نخبة العلماء وخلاصة الفقهاء وأئمة العربية في مصر والعالم الاسلامي - قد بدأ هذه المعركة منذ انشائه في العقد الماضي .. حيث ألف اللجان ، وقدم البحوث ، وقنن للشرية ، ودعا لسبعة مؤتمرات عالمية حضرها العديد من علماء العالم الاسلامي للتداول والتشاور فيما يهم المسلمين من قضايا العصر ، فأنجزوا الكثير من الأحكام الباتة في الكثير من القضايا المتداولة .

وكان أن نشطت - تبعا لذلك - منظمات اسلامية في دول اسلامية

وأعضاء الوفود المدعوة، وقد بدأت بحفل الافتتاح يوم السبت ٢ من ذى القعدة ١٣٩٧ الموافق ١٥ من أكتوبر ١٩٧٧ وانتهت يوم الخميس ٧ من ذى القعدة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٠ من أكتوبر ١٩٧٧ م حيث اصدر المؤتمر التوصيات والقرارات التى أقرها فى جلسات ومناقشات هذه الفترة • ثم استمر الأعضاء الدائمون فى

المجمع فى تقديم بحوثهم ومناقشتها حتى نهاية ذى القعدة عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١١ من نوفمبر ١٩٧٧ م

وفيما يلى بيان بأسماء أصحاب الفضيلة والسماحة الأعضاء الدائمين بمجمع البحوث الاسلامية والعلماء الذين وجهت اليهم الدعوة للاشتراك فى هذا المؤتمر •

بيان

باسماء السادة الأعضاء الدائمين بمجمع البحوث الاسلامية

- | | |
|--|---|
| ١ - فضيلة الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
جمهورية مصر العربية • | ٥ - فضيلة الأستاذ الدكتور
بدوى عبد اللطيف - جمهورية مصر
العربية • |
| ٢ - السيد الأستاذ الدكتور
ابراهيم اللبان - جمهورية مصر
العربية • | ٦ - فضيلة الأستاذ الشيخ
حسنين مخلوف - جمهورية مصر
العربية • |
| ٣ - فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد
حسن الباقورى - جمهورية مصر
العربية • | ٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور
سليمان حزين - جمهورية مصر
العربية • |
| ٤ - فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد
عبد العال هريدى - جمهورية مصر
العربية • | ٨ - فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى - جمهورية مصر
العربية • |

- ٩ - فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرحمن بيسار -
عبد الجليل عيسى - جمهورية مصر العربية •
- ١٨ - فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى - جمهورية مصر العربية •
- ١٠ - السيد الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى - جمهورية مصر العربية •
- ١٩ - فضيلة الأستاذ الدكتور محمد حسن فايد - جمهورية مصر العربية •
- ١١ - فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى - جمهورية مصر العربية •
- ٢٠ - فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام - جمهورية مصر العربية •
- ١٢ - فضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف - جمهورية مصر العربية •
- ٢١ - السيد الأستاذ الدكتور محمد مهدي غلام - جمهورية مصر العربية •
- ١٣ - فضيلة الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر - جمهورية مصر العربية •
- ٢٢ - سماحة السيد الأستاذ على عبد الرحمن الأمين - السودان •
- ١٤ - فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى - جمهورية مصر العربية •
- ٢٣ - السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب - العراق •
- ١٥ - فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ جمهورية مصر العربية •
- ٢٤ - السيد الأستاذ الدكتور اسحق موسى الحسينى - فلسطين •
- ١٦ - السيد الأستاذ محمد خلف الله أحمد - جمهورية مصر العربية •
- ٢٥ - السيد الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن محمد - ماليزيا •
- ١٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور

بيان

بأسماء اصحاب السماحة المدعوين من غير الاعضاء
الدائمين بمجمع البحوث الاسلامية

سماحة السيد/محمد عبد الرحمن البكر - دولة الامارات العربية • - سوريا	سماحة السيد/خير الدين السيد
سماحة السيد/عبد الله المحمودي دولة الامارات العربية •	سماحة السيد/عبد الحميد السايج - الأردن •
سماحة السيد/سعيد عبد الله حارب - دولة الامارات العربية •	سماحة السيد/راشد راجح الشريف - السعودية •
سماحة السيد/صقر عبد الله المدى - دولة الامارات العربية •	سماحة السيد/عبد الله بن حسن ابن قاعود - السعودية •
سماحة السيد/محمد سيف النصر - دولة الامارات العربية •	سماحة السيد/محمد المنتصر الكتاني - السعودية •
سماحة السيد يوسف الحجى - الكويت •	سماحة السيد/كاكا عمر - الهند
سماحة السيد فيصل مسعود - الكويت •	سماحة السيد/أسعد مدنى - الهند •
سماحة السيد/أحمد بسيونى - الكويت •	سماحة السيد/القاضى بشير أحمد - الهند •
سماحة السيد/عبد الستار السيد سوريا • -	سماحة السيد/فيض الرحمن بشير - الهند •
سماحة السيد/محمد ضرار الأصبهى - سوريا •	سماحة السيد/ادريس قدرى - توجو •

- سماحة السيد/آدم عبد الله - نيجيريا •
سماحة السيد/اسماعيل بلتش - النمسا •
- سماحة السيد/الامام موسى الصدر - لبنان •
سماحة السيد /أبو بكر سراج الدين - انجلترا •
- سماحة السيد/حسين الموسوى - لبنان •
سماحة السيد/ضياء الدين بابا خانوف - روسيا •
- سماحة السيد/أحمد اسماعيل - لبنان •
سماحة السيد/الله باروف عزام روسيا •
- سماحة السيد/عباس بدر الدين - لبنان •
سماحة السيد/أحمد حماد الله مالى •
- سماحة السيد/زهير عسيان - لبنان •
سماحة السيد/عمر عبد الله - جزر القمر •
- سماحة السيد/عثمان عبد القادر صافى - لبنان •
سماحة السيد/محمد على - تنزانيا •
- سماحة السيد/حسن القوتلى - لبنان •
سماحة السيد/جيب عبد الرحمن شاذلى - بنجلاديش •
- سماحة السيد/عمر تدمرى - لبنان •
سماحة السيد/محمد عويس أحمد - سيرالانكا •
- سماحة السيد/رشدى ايتام - اليونان •
سماحة السيد/حسن عبد الله فارح - الصومال •
- سماحة السيد/رفعت مصطفى - قبرص •
سماحة السيد/أحمد حمامى - الجزائر •

- سماحة السيد/ كامل السيد محمد
الباهر - السودان •
- سماحة السيد/ الحاج جبريل
سيبي - سيراليون •
- سماحة الشيخ محمد جازولي -
السودان •
- سماحة السيد/ عبد الكريم سيتو
اليابان •
- سماحة السيد/ دكتور سيد مهدي
خراساني - ايران •
- مولانا مغني محمود - باكستان
دكتور همكا - اندونيسيا •
- سماحة السيد/ رشدي همكا -
اندونيسيا •
- سماحة السيد/ حسن بصرى -
اندونيسيا •
- سماحة السيد/ أحمد زاهر بشير
اندونيسيا •
- سماحة السيد/ محمد علي هردن
ماليزيا •
- سماحة السيد/ هاشم صادق
المجددي - أفغانستان •
- سماحة السيد/ محمود محمد
صبحي - ليبيا •
- سماحة السيد/ علي مفتاح
أبو قرين - ليبيا •
- سماحة السيد/ يوسف القرضاوي
قطر •
- وقد شهد غرة ذي القعدة
١٣٩٧ هـ الموافق ١٤ من أكتوبر
١٩٧٧ م اكتمال وصول أعضاء
الوفود المدعوة .. وقد بدأت على
الفور في هذا اليوم مراسم العمل
بالتجمع لصلاة الجمعة في
الجامع الأزهر ، حيث خطب للجمعة
وأم صلاتها فضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبي الأمين العام لمجمع
البحوث الاسلامية ، وقد أدى
الصلاة كل أعضاء المجمع وعلى
رأسهم صاحب الفضيلة الامام
الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجمع ،
وجميع أعضاء الوفود المدعوة ،
وعدد كبير من أصحاب الفضيلة
علماء الأزهر ، وأساتذة وعمداء
الكليات بجامعته ، وجمع من كبار
رجال الدولة •

القادمون من كل القارات : أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا *

وفي تمام الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم بدأ حفل الافتتاح حيث حضره السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ممثلاً للرئيس المؤمن محمد أنور السادات كما حضر هذا الحفل السيد / ممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء وعدد من نوابه الوزراء وكبار رجال الدولة *

توسط السيد حسنى مبارك - نائب رئيس الجمهورية - المنصة الرئيسية ، وعن يمينه جلس صاحب الفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ثم سماحة السيد / محمد عبد الرحمن بكر وزير العدل بدولة الامارات العربية ممثلاً لأعضاء المؤتمر *

وعن يسار السيد نائب رئيس الجمهورية جلس صاحب الفضيلة الشيخ محمد المتولى شعراوى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ثم صاحب الفضيلة الدكتور عبد الجليل

وفي خطبة الجمعة هذه ذكر فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأزهر بما هو أهل له ، وذكر بأن المسجد الأقصى ، وهو أول قبلة - صلى تجاهها الرسول الأمين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومنتهى اسرائه ، وفيه صلى أما جميع الأنبياء والمرسلين ، ومنه عرج الى الملكوت الأعلى وشاهد نور رب العالمين .. هذا المسجد يعانى الآن الهوان من شرذمة الصهاينة المارقين، وطالب العالم الاسلامى - ممثلاً فى صفوفه علمائه - أن يهبوا لاقتاده وتحريره من قبضة هؤلاء الأشرار الآسفين *

وفي صباح السبت التالى رفرفت أعلام الدول الاسلامية الممثلة فى المؤتمر على ضفاف النيل الكريم الخير .. حيث قاعة اللجنة المركزية التى شهدت جلسات المؤتمر ، وجرت فيها كل مناقشات الفترة الأولى التى حضرها الضيوف

شلبى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية الذى بدأ حفل الافتتاح بكلمته ثم تبعه صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر ثم سماحة السيد / محمد عبد الرحمن بكر وزير العدل بدولة الامارات العربية فألقى كلمة أعضاء الوفود .. وجميع هذه الكلمات قد نشرت بنصها فى صدر هذا السياق .

وقد ارتأوا أن الجهاد واجب على كل مسلم لتحرير الوطن السليب : فلسطين ، واقفاذ المسجد الأقصى والشعب العربى المسلم فى تلك الأراضى المقدسة من ربة الاستعمار الصهيونى الفاشم .

ثم كان ختام الفترة الأولى فى يوم الخميس السابع من ذى القعدة ١٣٩٧ هـ الموافق للعشرين من اكتوبر ١٩٧٧ م حيث لبي الأعضاء دعوة الرئيس محمد أنور السادات فاستقبلهم ، ورحب بهم باستراحة القناطر الخيرية ، وألقى فيهم كلمته المنشورة فى صدر هذا السياق .

وفى الجلسة المسائية لهذا اليوم أعلن المؤتمر توصياته وقراراته ونصها كما يلى :

ثم سارت أعمال المؤتمر بعد ذلك على الخط المقرر لها .. احدى عشرة جلسة فى ستة أيام من العمل المكثف الجاد استغرقت خمساً وثلاثين ساعة .. ناقش المؤتمر خلالها سبعة وعشرين بحثاً .. كما خصصت ثلاث جلسات للمناقشة الحرة فى غير الأبحاث المدرجة فى جدول الأعمال ..

وفى هذه الجلسات الحرة أجمع الأعضاء على أن الوحدة الإسلامية - على أى صورة ممكنة - لا بد وأن تتحقق بين الدول والشعوب

قرارات وتوصيات

الفترة الأولى للمؤتمر الثامن للعلماء

لمقدسات الاسلام ، وعمل على درء الأذى عن أتباعه، وكشف للمخططات التى تستهدف تضليل المسلمين عن حقائق دينهم ..

وأنة فى ختام الفترة الأولى لهذا المؤتمر الذى تم فيه التلاقى بين علماء المسلمين متواصين بالحق ، داعين الى الوحدة ، متعاونين على البر والتقوى ..

يسجل المؤتمر عظيم شكره وتقديره للسيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية لرعايته للمؤتمر فى جميع مراحل : تفكيراً فى الدعوة اليه ، وتحقيقاً لاجتماعه ، وحدباً على نجاحه ، وتفضلاً بانتداب السيد محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ليفتح المؤتمر باسمه ، ثم تفضله باستقبال اعضاء المؤتمر واحتفائه بهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم
فى رحاب الأزهر الشريف ، وعلى أرض القاهرة العريقة ، اجتمع المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية ، بعون الله وتوفيقه مستجيباً لدعوة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود ، شيخ الأزهر ، ورئيس المؤتمر ، ووفد اليه علماء المسلمين من أربع وخمسين دولة من جميع أنحاء العالم ، ليسهموا فى عرض مشكلات العالم الاسلامى ، ولتندارسوا حلها ، على ضوء ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى مدى الأيام الستة لفترة المؤتمر الأولى ، التى بدأت فى صباح يوم السبت ، الثانى من ذى القعدة عام ١٣٩٧ هـ الموافق الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٧٧ ، أكد المؤتمر عزمه الراسخ على تقوية وعى المسلمين بما يجب عليهم من صيانة

« فلسطين » والاحتلال الاسرائيلى :

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه من توصيات وقرارات فى دوراته السابقة بخصوص تحرير الأرض العربية التى اغتصبتها اسرائيل فى فلسطين ، وسوريا ، والأردن ، ولبنان، ومصر، ويؤكد دعوته للجهاد من أجل تحريرها ، ويقرر ضرورة عودة الفلسطينيين الى ديارهم واقامة دولتهم بارادتهم الحرة المستقلة •

ويعلن المؤتمر أن لأهل فلسطين الذين أخرجوا منها الحق كل الحق فى أن يعودوا اليها ، وأن يقيموا مع سائر الفلسطينيين دولتهم المستقلة التى يريدونها ، على أرض وطنهم فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التى تعبر عن ارادتهم الحرة •

كما يعلن المؤتمر أن اعادة القدس الى السيادة العربية للاسلامية كما كانت قبل العدوان شرط أساسى فى أى بحث يتناول هذه القضية •

لبنان :

يعلن المؤتمر عميق حزنه وأسفه للأحداث المؤلمة التى نزلت بلبنان ، ويدعو جميع المعنيين الى العمل على

ويعلن المؤتمر ابتهاجه بان يواكب انعقاده احتفالات مصر والأمة العربية بعيد النصر لحرب العاشر من رمضان ، واقتحام الجيش المصرى الباسل حصن الصهيونية الذى كان رمز الاعتداء ، ويرى فى هذا النصر انجازا مباركا فى سبيل نشر السلام القائم على الحق والعدل ، يستحق أن تقدم من أجله التهئة للسيد الرئيس محمد أنور السادات ، وللذين عاونوه وآزره وللأمة المصرية ، والعربية ، والاسلامية •

كما يقدر المؤتمر للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر جهوده الموقفة فى نجاح هذا المؤتمر ، واضطلاعه بحمل رسالة الأزهر ، فى خدمة الاسلام والمسلمين ، واعلاء كلمة الدين فى نشر العدل ، والخير ، والرحمة والتسامح ، والعلم والايمان ، فى كل قطر وكل بيئة •

وقد أسفرت الدراسات والبحوث التى قام بها المؤتمر فى فترته الأولى عن التوجهات الآتية :

انتشاله من محنته واحترام وحدته ،
والالتزام بما يبقى عليه سيادته ،
وكرامته •

المسلمون في انحاء العالم :

ويؤكد المؤتمر أن التغاضى عن
تنفيذ الشريعة الاسلامية هو السبب
الأساسى فيما تفشى بين الناس من
فساد فى العقيدة ، والأخلاق ،
والمعاملات ، ويعلم انه لا سبيل
الى انقاذ المجتمعات الاسلامية من
هذه المفاسد الا بالاعتصام بالشريعة
الاسلامية ، ووضعها موضع التنفيذ،
بكل أجزائها •

ويوصى المؤتمر أن يؤلف المجمع
لجنة دائمة تعنى بشئون المسلمين
الذين يعانون صعوبات تجاه دينهم
فى دولهم ، وأن يمنح هذه اللجنة
الامكانيات التى تيسر عملها ، وتحقق
أهدافها ، ويعلم المؤتمر اهتمامه
بأحوال المسلمين وسلامهم فى كل من
قبرص وأريتريا والفلبين وتايلاند
والصومال وغيرها من البلاد التى
يعانى فيها المسلمون اضطهادا ، كما
يوصى بمساندتهم ويمد يد المساعدة
لهم •

الشريعة الاسلامية :

ويرشد المؤتمر الى أن الشريعة
الاسلامية تتصف بالسعة والشمول،
وتقوم على احتواء كل ما يجد من
مشكلات فى حياة الناس ، وتضع
لها أوفق الحلول ، بما يناسب طبيعة
البشر ، وأهدافهم فى حياتهم الدنيا،
والأخرى ، ولهذا يطلب المؤتمر أن
يراعى المسئولون عن وضع القوانين
أن تكون مبنية على أسس الشريعة
الاسلامية ، وأن يراجعوا قوانينهم
القائمة حاليا لتحقيق هذه الغاية •

يقرر المؤتمر وجوب العمل الجاد
من أجل تطبيق أحكام الشريعة
الاسلامية ، فى جميع البلاد الاسلامية
فى المعاملات ، والعقوبات ، وفى جميع
فروع هذه الشريعة •

ويؤكد المؤتمر انحراف كل دعوة
الى اغفال النصوص الشرعية الواردة
فى الكتاب والسنة ، أو تفسيرها وفقا

ان المؤتمر يرى أنه قد حان الوقت
الذى ينبغى أن يتحرر فيه المسلمون

للأهواء الشخصية أو الجماعية ، ويرى في ذلك نزعة معادية للإسلام .
ويوصى بنشر المؤلفات المبسطة التي تشيع مفاهيم الشريعة على أوسع نطاق ، والتعريف بمزاياها .

بنفسه ، برىء من النزعات الدخيلة الوافدة من الغرب أو من الشرق .
ويؤيد المؤتمر الجهود التي تكشف عن التناقض الاسلامي القائم بين الاسلام والماركسية ويرى أنها من أخطر المذاهب المعادية للدين ، ويقرر المؤتمر استحالة التوفيق بين الاسلام باعتباره وحيا من الله سبحانه وتعالى ، وبين الماركسية ، بما تقوم عليه من انكار لوجود الله ، ولسائر الغيبيات، وبما تركز عليه من تفسير مادي لأصل الكون ، ولحركة التاريخ .

ويحث الفقهاء على مصاولة أعداء الشريعة في الداخل والخارج والرد على تخرصاتهم وعدم السكوت على كل ما يمس الشريعة الغراء من قريب أو بعيد .

الغزو الفكرى :

يدعو المؤتمر كل ذى شأن فى سياسة الأمة الاسلامية أن يعمل على وقاية الأمة الاسلامية من الغزو الفكرى الذى يستهدف تقويض عقائد المسلمين ودفعهم الى دائرة الالحاد ، واضطراب القيم، وانحراف السلوك .

ويؤكد المؤتمر أن الماركسية تنتهى فى التطبيق الى تحطيم الفرد والمجتمع عقيدة وأخلاقا ويهيب المؤتمر بكل مسلم ، وكل جماعة أو حكومة تدين بالاسلام أن تعمل على وقاية أبنائها من أخطار هذا المذهب ، وأن تعمل على سد الطرق والمنافذ التى يسلكها ، ما ظهر منها وما استقر، وأن تعمل على استبعادهم، ومحاربة أفكارهم ، فى أجهزة الاعلام والتربية فى المدارس والمعاهد والجامعات .

ويؤكد المؤتمر أن مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى أن تتآزر جميع الأجهزة المختصة فى المجتمعات الاسلامية لتوضيح أن الاسلام نظام متكامل للحياة ، غنى

ويدعو المؤتمر الى أن يكون عرض المذاهب المادية فى الدراسات المتخصصة مصحوبا ببيان وجهة النظر الاسلامية التى توضح ثغرات هذه المذاهب وترد عليها •

كما يطالب المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بالعمل على وقف نشاط المبشرين حماية للمسلمين من الزيغ والضلال •

اللغة العربية :

أولا - يطلب المؤتمر : أن تعمل كل دولة اسلامية غير عربية على ادخال اللغة العربية فى مناهج تعليمها ، و ابراز أهميتها فى ميدان الثقافة العامة ، والثقافة الاسلامية خاصة ، وعلى انشاء كلية فى احدى جامعاتها للتخصص فى فرع الثقافة الاسلامية العربية ، وعلى تخصيص أقسام لهذه الدراسات فى بعض جامعاتها وعلى تقرير منح وجوائز لمن يحفظون القرآن كله أو بعضه ، ولن يتفوقون فى اللغة العربية ، قراءة وكتابة ، وحديثا ، ولن يؤلفون بالعربية من أبناء هذه البلاد فى فروع الدراسات الاسلامية ، بمختلف أنواعها •

ثانيا : يقرر المؤتمر : وجوب الوقوف فى وجه اللغة العامية والدعوة الى استعمالها ، فهى لاتصلح أن تكون رابطة بين أبناء الشعوب العربية ، وهى ليست ذات ثقافة أو فكر يدرس ، واستعمالها امتهان للغة العربية ، وقضاء عليها ، وبذا يتعسر على النشء فهم لغة القرآن ، والتراث الاسلامى •

ثالثا : يقرر المؤتمر : الوقوف بكل وسيلة فى وجه الذين يدعون الأمة الاسلامية الى استعمال الحروف اللاتينية ، فان كل دولة اسلامية تتخذ الحروف اللاتينية تباعد بين المسلمين ولغة دينهم ، وتضعف صلتهم بكتاب الله ، المنزل بلسان عربى مبين ، وتقطع صلتهم بالتراث الاسلامى •

الدعوة والدعاة :

يوصى المؤتمر بتنسيق نشاط الدعوة بين البلاد الاسلامية والتعاون فيما بينها على توضيح مفاهيم الاسلام خالية من الزيغ والتحريف ، منعا للأفكار الدخيلة ، والمذاهب الالحادية •

الاعلام :

« محمد رسول الله » بهذا الاسم
أو باسم « الرسالة » أو أى فيلم آخر
يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة
أو أحد أصحابه الكرام .

ولا يجوز السماح بعرضه صيانة
شخصية الرسول الكريم وأصحابه
الأجلاء من التعرض لما لا يليق
بمنزلتهم المصونة .

ويطالب المؤتمر بمراقبة الأفلام
السينمائية والتمثيلات قبل عرضها ،
ومنع ما يتعارض فيها مع تعاليم
الدين الحنيف ، ويطلب باختيار
رؤساء تحرير الصحف والمجلات على
مستوى المسؤولية ، وأن تمنع
المجلات والكتب المستهتره بالقيم
الدينية والخلقية .

الأخلاق والتربية :

ان المؤتمر يدعو الحكومات
والهيئات الى الالتزام بالأخلاق
الاسلامية ومقاومة التبرج، والخروج
على تقاليد الاسلام ، وتحريم جميع
أنواع المسكرات ، ويرى أنه من
العار على أى دولة اسلامية أن تبيع
أى شئ من هذه المشروبات في
حفلاتها .

يطالب المؤتمر الحكومات الاسلامية
والعربية بدعوة الاعلام - من صحافة
واذاعة صوتية ، ومرئية ، وكتب ،
ونشرات - الى التزام القيم الاسلامية
والأخلاقية رعاية لتربية الناشئة ،
وحفاظا على المثل والأخلاق التى
تقوم عليها المجتمعات ، وصيانة
للروابط الأسرية التى تتأثر بكل
ما تنشره وتعرضه أجهزة الاعلام
وهى تلاحق الفرد والمجتمع فى كل
مكان .

ان المؤتمر يهيب بأولى الأمر الى
أن التجارة الرابحة للأمم انما هى فى
صيانة الأعراض والأخلاق وحماية
الآداب العامة .

ويطالب المؤتمر أجهزة الاعلام
فى البلاد العربية بالعناية باللغة العربية
الفصحى وتجنب استعمال اللغة
العامية حفاظا على لغتنا وتراثنا
الاسلامى .

ويؤيد المؤتمر الامام الأكبر شيخ
الأزهر ورئيس مجمع البحوث
الاسلامية فى بيانه المؤسس على قرار
المجمع بأنه لا يقر انتاج فيلم

التعليم الدينى :

المؤتمر أن الشباب هو عدة الأمة وسلاحها فى السلم والحرب، وأن بناء الأمة انما يقوم على بناء الشباب على أسس صحيحة ، روحيا ، وماديا ، وأن المنهج الاسلامى يقدم أفضل السبل والوسائل لتحقيق هذه الغاية .

يوصى المؤتمر بتعميم التعليم الدينى وتعميق التربية الاسلامية بالمدارس فى البلاد التى لم تدخله فى مناهجها ، وأن تكون مناهجه ميسرة واضحة لعقول الناشئة ، ليكون هديا لهم فى سلوكهم ومعاملاتهم .

القرآن الكريم :

يوصى المؤتمر بتشكيل لجنة من أعضاء المجمع ، يمثلون البلاد الاسلامية لمتابعة ترجمة معانى القرآن الكريم التى تصدر باللغات الأجنبية والاوروية والشرقية وتقديم تقرير عنها للمجمع ، لبيان اتجاهاتها لكى يوضح للمسلمين مالا يعتمد عليه منها وما هو أقرب منها الى معانى القرآن .

ويجيب المؤتمر الكليات والمعاهد والمدارس التى خصصت أماكن لاقامة الصلاة ، ويدعو سائر دور العلم لاتباع هذا السبيل .

الطفولة :

يوصى المؤتمر أن يدرك الآباء والامهات وجميع القائمين على تربية الناشئة الاسلامية . ان من أهم رسالاتهم فى الحياة أن ينشئوا الجيل الصاعد على أسس الايمان بالله ، والثقة فى حكمته ، وحكمه ، ليكون ذلك الايمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته ، منذ طفولته حتى شيخوخته .

الشباب :

كما يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بشأن تقوية اذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية حتى ينتشر ارسالها فى كل المناطق الاسلامية ، ويؤيد فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى جهوده من أجل دعم هذه الاذاعة حتى تتمكن من خدمة الدعوة الاسلامية على الوجه الأمثل .

ويوصى المؤتمر بتوجيه عناية أكبر بالشباب . من أجل تنشئتهم وجدانيا وعقليا على العلم والايمان . ويرى

القرن الهجرى :

المرتبطة بها وبخاصة فى الأماكن المقدسة •

يوصى المؤتمر الجماعات الاسلامية،

العناية بتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر :

حكومات وهيئات بالتخطيط من الآن لاستقبال القرن الخامس عشر

يطلب المؤتمر من السلطات والهيئات الاسلامية العمل على تنفيذ توصياته وقراراته التى صدرت فى مؤتمراته جميعا تحقيقا لأمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •

الهجرى، بإقامة مؤتمرات واجتماعات عامة تعرض فيها تعاليم الاسلام فى بيئتها المحلية وفى غيرها ، كما تخصص بدء ذلك القرن الجديد بموسم للعناية بحفظ القرآن الكريم وفهمه على مستوى الأمة الاسلامية •

البيئة :

كما يطلب من المجمع أن يعمل على متابعة توصيات هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة عن طريق لجنة خاصة تشكل لهذا الغرض •

نظرا للتغيرات المتلاحقة السريعة التى تمر بالعالم الاسلامى ، والتى تؤدى الى تغيرات كثيرة فى بيئاتنا •

ويطلب المؤتمر من المجمع أن يضع النظام الكفيل بالاستعانة بأعضاء المؤتمر من خارج جمهورية مصر العربية فى تنفيذ مقرراته ومتابعتها •

فان المؤتمر يحث أولى الأمر فى العالم الاسلامى على التروى فى كل ما يؤدى الى تغيير البيئة ، ومراعاة المحافظة على القيم الاسلامية الأصيلة

قرارات وتوصيات

المؤتمر الثامن - للفترة الثانية

بحمد الله وتوفيقه أتم المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية الفترة الثانية من انعقاده ، والتي بدأت من يوم ١٣ من ذى القعدة و انتهت يوم ٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٩٧هـ الموافق ١١/٨/١٩٧٧م وبعد دراسة الموضوعات التي عرضت عليه انتهى الى اصدار القرارات والتوصيات التالية :

٢ - ويعلن المؤتمر أن الحكم بالشرعية الإسلامية يضمن لغير المسلمين حقوقهم الانسانية ، ويكفل لأهل الأديان الكتابية حرية العقيدة والعبادة .

٣ - يقرر المؤتمر أن منهج المسلم في الحياة هو منهج الاتباع للكتاب والسنة ، وهذا المنهج يكفل للمسلمين أفرادا وجماعات مقاومة الغزو الفكرى في العقائد والأخلاق والتشريع .

يوصى المؤتمر بأن تعمم التربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم

١ - يوصى المؤتمر أن يقوم الأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية بصفة خاصة بوضع دستور اسلامى ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ بالشرعية الإسلامية منهاجا لحياتها ، ويرى أن يؤخذ في الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادئ المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية ، كلما أمكن ذلك .

وأن يدعو المجمع لاجتماع طارىء للمؤتمر لدراسة ما يكون المجمع قد أعده لمشروع هذا الدستور .

٤ - كما يوصى المؤتمر بإنشاء جهاز من المتخصصين لمتابعة أهم ما كتبه المستشرقون عن الاسلام هذه المراحل •

ويوصى المؤتمر ألا يقتصر في التربية الاسلامية على الدراسات النظرية وأنه ينبغي أن يعنى بالجانب العملى منها •

ويوصى أن يهتم المربون بما يمس واقع الحياة العملية فيما يقدمونه للطلاب من دراسات دينية ، وأن يتعدوا عن الخلافات المذهبية واللفظية •

ويوصى بأن تقوم المناهج التربوية على مواجهة مشكلات البيئة المعاصرة لكل مجتمع ، ويطلب المؤتمر الى الأزهر أن يتوسع فى انشاء المعاهد الأزهرية بمراحلها المختلفة ، تيسيرا للتربية الاسلامية لكل راغب بالقرية أو المدينة ، وتلبية لاحتياجات العالم الاسلامى المتزايدة الى العلماء والدعاة •

ويوصى الدول الاسلامية بعقد الاتفاقات والمعاهدات الثقافية بينها على وجه يدعم التربية الاسلامية •

ويوصى بأن تكون هذه الدراسات موضع عناية فى الجامعات ، وموضوعات للبحث فى الدراسات العليا (الماجستير - الدكتوراه) •

كما يرى المؤتمر أن يكون الرد على دعاوى المستشرقين موضوعيا دون أن يتجه الى منهج الدفاع أو الهجوم •

٥ - ويدعو المؤتمر الى سد النقص فى مجال التأليف فى الدراسات الاجتماعية والنفسية وأن تبنى هذه الدراسات على أسس اسلامية •

ويرى المؤتمر انه فى مجال الاستشهاد بالقرآن الكريم لبعض الآراء العلمية الحديثة ينبغي أن يكون ذلك فى صورة موضوعية بريئة من التعسف فى تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأن يتجه التأليف فى هذه الموضوعات

الى شبابنا في الجامعات بصفة خاصة، وأن يكون بعض هذه المؤلفات بلغات أجنبية يفهمها المسلمون وغير المسلمين ممن لا يعرفون اللغة العربية .

ويقدم المؤتمر بنداء الى الدول الاسلامية أن تمد يد العون للمجتمعات الاسلامية في كفاحها ضد الشيوعية والتبشير .

ويطلب الى المجمع أن يقوم بالدعوة لانشاء صندوق للدعوة الاسلامية تشارك فيه الدول الاسلامية كل بما تستطيع لنشر الاسلام وتقويته في المجتمعات الاسلامية المهددة بالغزو الشيوعي والتبشيري .

ويهدف الشق الثاني الى : حياة الاسلام من أعدائه في البلاد المهددة بخطر الغزو الفكري أو المادى .

ويوصى المؤتمر بدعم المؤسسات الدولية الاسلامية التي ترعى مصالح المسلمين في البلاد المختلفة ويدعو الأزهر الى أن يكون له تمثيل في هذه المؤسسات .

٦ - يرى المؤتمر انه في مجال الدعوة الاسلامية ينبغي المبادرة الى وضع خطة أساسية محكمة ذات شقين :

الشق الأول منها : يهدف الى بناء الاسلام في نفوس أبنائه عن طريق التربية والتعليم والاعلام بأسلوب مناسب لظروف العصر الحاضر .

ويهدف الشق الثاني الى : حياة الاسلام من أعدائه في البلاد المهددة بخطر الغزو الفكري أو المادى .

ويعلن المؤتمر عن شعوره بالخطر الذى يهدد المجتمعات الاسلامية - نتيجة للنشاط التبشيري والشيوعي الخطير المجاور لهذه البلاد .

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٤	لغتنا العربية ماذا يراد بها؟ ...	١	موقف الاسلام من الفلسفة
	لفضيلة الدكتور		لفضيلة الامام الأكبر
	على العماری		الدكتور عبد الحليم محمود
			شیخ الأزعر
	التطور والتقدم العلمی		الحكمة في تعدد الزوجات
٧٥	من أسباب القوة ...	١٢	والطلاق في الاسلام ...
	للواء محمد جمال الدين		لفضيلة الأستاذ الشيخ
	محفوظ		مصطفى محمد الحیددی
			الطیر
	الشيخ أمير خسرو		في ذكری احراق المسجد
	الدهلوی وشعره		الأقصى ٢٢
٨٢	العربی		للعلامة ابو الأعلى
	للدكتور ظهور أحمد		المودودی
	أظهر		حرب فلسطين في الحديث
			الشريف ٣٢
٨٩	المرأة في الاسلام		لفضيلة الأستاذ عبد الله
	لفضيلة الدكتور رءوف		كنون
	شلبی		الفننة نائمة » لولا الاسلام
	عظمة الرسول كما يراها		لما بقى دين سماوی ... ٤٣
	الكاتب الأمريكي		للاستاذ احمد حسين
١٠٢	وشنجنطون ارفنج ...		الدفاع عن الفصحی ... ٤٩
	التحرير		للواء الركن محمود شیت
			خطاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٦	باب الفتوى	من الدراسات المقارنة في	
	اعداد وتقديم الأستاذ	الاديان « فكرة الألوهية	
	عبد الحميد شاهين	والنبوة ما بين أهل الكتاب	
	الاحتفال بالذكرى المئوية	والاسلام «	١٠٦
١٩٩	ميلاد اقبال	للمستشار محمد عزت	
	(١) محمد اقبال أمير	الطهطاوى	
٢٠٠	شعراء الاسلام	في مواجهة الالحاد المعاصر	
	للدكتور عبد الودود شلبى	« نقد نظرية التطور	
٢٠٧	(ب) اقبال في مصر	الحيوى عند داروين	
	للدكتور محمد السعيد	وأتباعه «	١١٧
	جمال الدين	للدكتور يحيى هاشم	
٢٢١	(ج) في ذكرى اقبال	الخوانك والتكايا والرباطات	
	لفضيلة الدكتور عبد الجليل	في القاهرة الاسلامية	١٣١
	شلبى	للاستاذ محمد كمال	
		السيد	
٢٢٩	(د) اقبال	اخطاء شائعة وتصويبها	١٥٣
	للدكتور يحيى الخشاب	للاستاذ عباس	
٢٣٤	(هـ) محمد اقبال	أبو السعود	
	كلمة السيد / سميع الله	رسالة الأدب الصوفى	١٧٤
	مجاهد سفير باكستان	للاستاذ عبد الحفيظ	
	بالقاهرة	فرغلى	
٢٤٠	المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين	يعقوب بن داود وزير	
	(١) كلمة الرئيس المؤمن	المهدى	١٨٤
	السيد/محمد أنور	للاستاذ السيد حسن	
٢٤٢	السادات	قرون	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٨	المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين وصف تفصيلي	٢٥٠	(ب) كلمة نائب الرئيس السيد/محمد حسنى مبارك
٢٧١	بقلم الأستاذ زاهر عزب الزغبى بيان بأسماء السادة الاعضاء الدائمين بمجمع البحوث الاسلامية	٢٥٤	(ج) كلمة صاحب الفضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر
٢٧٣	بيان بأسماء أصحاب السماحة المدعويين من غير الاعضاء الدائمين	٢٦٠	(د) كلمة صاحب الفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية
٢٧٨	قرارات وتوصيات الفترة الأولى للمؤتمر	٢٦٥	(هـ) كلمة سماحة الشيخ محمد عبد الرحمن بكر وزير العدل بدولة الامارات العربية نيابة عن الاعضاء
٢٨٦	قرارات وتوصيات الفترة الثانية للمؤتمر		

طبع بالمهينة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة

محمد حمدي السعيد

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

المهينة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠٢-١٩٧٧س١٢٨٦٣

عدد ٢٢٦

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ } ت
٩٠٥٩١٤ }
٩٠٥٥٠٦ }

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شريفة جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عزى

مدير التحرير
والإدارة
الركن
عبد الوود عيسى

الجزء الثاني - السنة الخمسون - ربيع الآخر ١٣٩٨ هـ / أبريل ١٩٧٨ م



موقف الإسلام من الفلسفة

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر

- ٢ -

والآن نتساءل : ما هي السمات العامة للفلسفة ؟

- وأنه لا يتأتى أن نحدد في صورة مقنعة موقف الإسلام من الفلسفة قبل تحديد سماتها

العامة ، فما هي هذه السمات ؟

* وأول سمة من هذه السمات - وهي أهمها ، وتعتبر كالمنبع الذي عنه تفيض السمات الأخرى - هي أن الفلسفة لا مقياس لها للتفرقة بين الحق والضلال ، بين الصواب والخطأ . فإذا اختلف فيلسوفان في أمر من أمور الفلسفة فإنهما لا يجدان مقياساً يرجعان إليه للحسم بينهما في موضوع الخلاف .

- * أما في العلم فإن المقياس هو « التجربة » . . فإذا اختلف عالمان في أمر كوني رجعا إلى التجربة ، وهي تعلن في صراحة مشاهدة خطأ هذا وصواب ذاك .
- * ما هو - في عالم الفلسفة - الذي يجري مجرى التجربة في مجال العلم ؟
- * لا شيء . .
- * ما الذي يحسم الخلاف في عالم الفلسفة ؟
- * لا شيء . . .

* * *

ما هو المرجع من أجل الاتفاق في عالم الفلسفة ؟
لا مرجع .

ولقد شعر الفلاسفة بذلك : فقام اثنان من كبار عباقرة الفلسفة بمحاولة لإيجاد هذا المقياس ، وهما أرسطو في الماضي وديكارت في العصور الحديثة .
ولقد أحقق كل منهما إخفاقاً تاماً كاملاً .
ونبدأ الحديث عن أرسطو - ولا ننسى أننا في عالم الإلهيات :

مجال الفلسفة الرئيسي :

لقد فكر أرسطو وقدر ، ثم فكَّرَ وَقَدَّرَ ، وخرج على العالم بما يسمى « المنطق الأرسطي » أو « المنطق الصوري » ، وأخذ هذا المنطق في عالم الفكر الفلسفي مجالاً من الشهرة والعناية لا حدَّ له . وأخذ في الجو الإسلامي شهرة ذائعة الصيت .

وتبناه جميع فلاسفة الإسلام ابتداء من الكندي في المشرق إلى ابن رشد في المغرب . ولكن كثيراً من المسلمين ذوى الأصالة في الفكر الإسلامي أبانوا في وضوح أن المنطق الأرسطي منهار ، وأنه متهافت ، وأن الخلل في جوهره وأركانه . وأنه خلل لا يصلح . وكان من هؤلاء ابن تيمية الذي كتب كثيراً في نقد المنطق ونقضه . لقد كتب في ذلك كتاباً ، وكتب في ذلك فقرات مثورة هنا وهناك في خلال كتبه الكثيرة وفتاواه المستفيضة .
ومن كتب في نقد المنطق ونقضه : ابن حزم

واخذثون جميعاً لا يجد المنطق عندهم ترحاباً ولا قبولاً .
وقد كتبنا نحن ننبه على أن المنطق لا يحسم خلافاً ولا يفصل حقاً عن باطل ، ومما كتبناه في المنهج الحديث والمنهج الأرسطي ما يلي :

إن المقاييس هي :

(أ) الاستقراء .

(ب) القياس .

أما الاستقراء - وهو أساس المفاهيم العامة والقضايا الكلية - فإنه :

١- مبنى كله على الحس : إنه استقراء محسّات ، إنه تتبع جزئيات لا تخرج عن نطاق الواقع ، أما المساتير فهو برىء منها كل البراءة ، لأنها لا تدخل في دائرة اختصاصه : فهو عاجز عن أن يخترق الحجب ليصل إلى ما وراء الطبيعة .

٢- ثم إن الاستقراء : تام ، وناقص . والتام - كما يعترف المنطقة - لا غناء فيه ولا فائدة .

أما الناقص - وهو المهم في نظرهم فإنه - في رأيهم أيضاً - ظني ، وهو - لذلك - عرضة للتغيير في كل آونة .

« كل معدن يتمدد بالحرارة » تلك قضية من قضايا الاستقراء : إنها قضية عامة شاملة ولكن المعادن لم تتكشف - بعد - بأكملها ،

ومن الجائز أن يكتشف في الغد معدن لا يتمدد بالحرارة ، إنها إذن قضية مؤقتة ظنية تنبرأ من اليقين الفلسفي .

« وللعلم كما يقول أحد المفكرين - لا يعرف الكلمة الأخيرة في مسألة من مسائله - وإنما حقائقه كلها إضافية موقوتة لها قيمتها ، حتى يتكشف البحث عما يزيل هذه القيمة أو يغيرها »

وهكذا قضايا الاستقراء . . . إنها :

١- خاصة بالطبيعة ، ولا شأن لها بما وراءها .

٢- ظنية لا تعرف اليقين .

أما القياس :

١- فإنه مبنى على الاستقراء ، إذ هو منظور دائماً على كلية ، كلية استقرائية ، ومادامت

قضايا الاستقراء ظنية - كما رأينا - وميدانها المحسّات ، فتتأجج القياس ظنية كذلك ، وميدانها المحسّات .

٢- إن المنطقة لا يشترطون في مقدمات القياس ، أن تكون مسلمة صادقة في نفسها ، وإنما يشترطون أن يسلم بها المتجادلون فحسب ، وقد تكون - كما يقول صاحب

البصائر النصيرية : منكرة كاذبة في نفسها ، وفي هذه الحالة يكون القياس صحيحاً ونتيجته باطلة . وإذا كان الأمر كذلك فما فائدة القياس ؟ ما قيمته إذا كان لا يُعَوَّل فيه إلا على أن تكون المقدمات مستوفية لشروط الإنتاج بحيث تستلزم النتيجة وإن لم تطابق النتيجة الواقع ؟ ما قيمته إذا كان يحفل بصدق النتيجة أو كذبها ؟

إنك إذا قلت : الكثير من العلم يؤدي إلى الاستقلال الفردي ، وكل ما يؤدي إلى الاستقلال الفردي مضر بالمجتمع ، فالكثير من العلم مضر بالمجتمع ، كان هذا قياساً صحيحاً في نظر المناطقة .

وإذا قلت : الكثير من العلم ، يؤدي إلى التماسك الاجتماعي ، وكل ما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي مفيد للمجتمع ، فالكثير من العلم مفيد للمجتمع كان هذا أيضاً قياساً صحيحاً عند المناطقة ، ومع ذلك فالتبنيان متعارضتان .

٣- ومع كل هذا فالقياس استدلال دوري فاسد ، ذلك أن العلم بالنتيجة في نحو قولنا :

« محمد إنسان ، وكل إنسان ناطق ، فمحمد ناطق ، متوقف على العلم بالكبرى ، والعلم بالكبرى متوقف على العلم بالنتيجة ، لأنك لا تستطيع أن تحكم بالناطقية على جميع أفراد النوع الإنساني إلا إذا تأكدت من ثبوت الناطقية لمحمد ، ولو كنت في شك من ذلك لما أستطعت تعميم الحكم على جميع أفراد الإنسان ، وإذن تكون الكبرى متوقفة على الكبرى ، وعلى ذلك يكون القياس : استدلالاً دورياً فاسداً ، فلا يعول عليه .

٤- وأخيراً ، المفروض . أن نتيجة القياس : جديدة كل الجدة ، إنها استنتاج مجهول هو النتيجة من معلوم ، هو المقدمات .

ولكن النتيجة متضمنة في المقدمات . إنها ليست مجهولة ، والقياس إذن لا يؤدي إلى معرفة جديدة ، أو إلى استنتاج مجهول من معلوم ، إنه - إذا أردت الدقة - استنتاج معلوم من معلوم ! !

تلك هي موازين العقل ، وهي موازين لا غناء فيها ولا جدوى منها فيما يتعلق بالإلهيات . فالعقل إذن قاصر فيما يتعلق بالأخلاق ، وهو قاصر على الخصوص فيما يتعلق بالإلهيات .

ومن هنا كانت الحكمة في نزول الأديان .

ومن هنا كان السبب في اقتصارها على الأخلاق والإلهيات .
 وإذا كانت قد تحدثت في التشريع ، فإنَّ التشريع داخل في نطاق الأخلاق .
 أخفق إذن منطق أرسطو ، واستمر الاختلاف بين الفلاسفة كما كان من قبل ، واستمر
 الخلاف حتى بين المناطقة الأرسطيين : الكبار منهم والمغمورون ، بل حدث الاختلاف بين
 تلاميذ أرسطو نفسه ، وهم أتباع مدرسة واحدة هي المدرسة الأرسطية .
 ومرت العصور ، وتوالت القرون ، وجاء ديكرت ، وبدأ ديكرت يتفلسف على
 استحياء وعلى حذر بالغ ، فما كان جُوزعماء المسيحية في الغرب إذ ذاك يوحى بالاطمئنان .
 أو السكينة ، لقد كان جواً رهيباً يأخذ على الظنة وينكل على الشبهة ، لا يتحرى عدالة
 ولا يستشعر رحمة .

وأخذ ديكرت يتحسس طريقه في حيلة بالغة : مُدَارِيّاً ، مجاملاً ، مادحاً ،
 متواضعاً . . وذات يوم أعلن أنه عثر على المنهج المعصوم .
 وأنه على أساس من هذا المنهج ستعود الإنسانية إلى الحق . .
 ورأى أن هذا المنهج صالح للكشف عن الحق في الكون وفي ما وراء الكون ، في الطبيعة
 وفي ما وراء الطبيعة .

وكان من سخرية القدر أن التجربة أظهرت خطأه في أثناء حياته .
 وأن الخلاف استمر حول آرائه في الإلهيات ، وآراء معاصريه ، وآراء من قبله ، كما كان
 الأمر من قبل أن يولد منهجه ، وأخفق منهج ديكرت كما أخفق من قبل منهج أرسطو . .
 وبقيت الحقيقة التي لاشك فيها ، وهي أن الفلسفة لا مقياس لها .
 هذه هي السمة الأولى . .

السمة الثانية :

مادامت الفلسفة لا مقياس لها فهي إذن ظنية ، إنها ظنية وإن عجت بمنطق أرسطو
 الذي أخفق . . وهي ظنية وإن خبزت بمنهج ديكرت الذي لم ينفع في قليل ولا في كثير ، إنها
 ظنية لأنه لا يتأتى أن تفرق فيها - ولا مقياس - بين الحق والضلال ، وتستمر هكذا إلى
 الأبد .

السمة الثالثة :

مادام لا سبيل إلى اليقين في موضوعات الفلسفة فإن من البدهي أن « اختلاف الآراء فيها دائم » .

وهذا هو الواقع حينما يتصفح الإنسان الفكر الفلسفي عبر القرون . .
إن الاختلاف والجدل دائم مستمر منذ أن نشأ الفكر الفلسفي . . إنهم يختلفون حتى في المدرسة الواحدة .

وانظر مثلاً إلى مدرسة سقراط فستجد تلاميذه يقرّون بأستاذيته في إحترام بالغ ، وفي تبجيل يشبه التقديس ، فإذا جئت إلى آرائهم في الإلهيات ، أو في الأخلاق ، فستجد الاختلاف والإفتراق . .

الاختلاف والإفتراق بينهم وبين أستاذهم ، والاختلاف والإفتراق بين بعضهم وبعض . .

بل إن الأمر يصل بالشخص الواحد إلى أن يختلف مع نفسه ، بحسب تطور حياته أو اختلاف بيئته أو اختلاف ما يقرأ من مصادر ثقافته .
وكل هذا واضح عبر العصور .

ومن غرائب الأمور أن الفلاسفة يعلمون ذلك علماً يقينياً ، ويعلمون أن كل فيلسوف أتى من قبلهم هدم آراء سابقيه جميعاً : إنه لم يعترف بوصول أحدهم للحق ، إنه يخطئهم جميعاً ولو لم يكن الأمر كذلك لأخذ بآرائهم ، وأكتفى بما حبروه ، أو بما أنشأه أحدهم من قبل .

ولكنه مع علمه بأن الفلسفة دائماً إلى نقد ونقض فإنه لا يأبه بهذه المعرفة ويقيم مذهبه على أنقاض مذاهب سابقيه ، فيأتي من بعده ويهدمه ويقيم مذهباً مآله السقوط . . وهكذا دواليك .

السمة الرابعة :

ومادام الاختلاف مستمراً فإن المسائل التي هي موضوع الفلسفة تستمر هي هي . .
« إن مسائل الفلسفة لم تتغير على مر الدهور » .
ما هي مسائل الفلسفة ؟ . .

إنها :

الله سبحانه وصفاته ، وصلته بالعالم خلقاً وتصريفاً ، وصلته بالإنسان قرباً وتوجيهاً . .
والبعث وكيفيته .

والخلق الكريم الذى يمثل الفضيلة والكمال . .

والخلق السيئ الذى يمثل الشر والفساد . .

والنبوة والصلة بالله عن طريق الوحي : إثباتاً وإنكاراً . .

ثم : هل المعرفة ممكنة ؟ وفى كل هذه الموضوعات الكبرى وغيرها مما يتصل بها : يختلف الفلاسفة ومازالوا . . واستمرت هذه المسائل على مدى سبعة وعشرين قرناً تقريباً مثار بحث وجدل إلى الآن . . . لم يصل الفلاسفة فى واحدة منها إلى اليقين ، ولم توضع واحدة منها موضع الاتفاق .

السمة الخامسة :

إن الاختلاف فى مسائل الفلسفة ليس اختلافاً فى الإيجاب فحسب . . وذلك أنه قد يجوز أن يكون لمسألة ما عدة حلول كلها إيجابية .

وليس اختلافاً فى السلب فحسب ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون لمسألة واحدة عدة حلول كلها سلبية . .

كلا ، إن الخلاف عام فى الإيجاب وفى السلب ، وإنه ليصل إلى الإنكار المطلق وإلى الإثبات المطلق فى كل مسألة ، وإنه ليصل بك أحياناً إلى طرق مسدودة ،
أتحب أن تعرف شيئاً من ذلك ؟

إن الأستاذ « البرريفو » يقول فى كتابه : الفلسفة اليونانية :

« أما عن العقل فإن سلسلة الآراء الرواقية المتتالية نفسها أثبتت بسهولة أنه ليس له قدرة مطلقة جازمة .

١- فهل فى إمكاننا أن نعرف عن حبات من القمح متى تكف عن تكوين التوأم ؟

٢- وإلى أى حد نثق فى اعتراف الكذاب الذى يعترف بأنه كذاب ؟

٣- وعندما نقرر أن دليلاً منطقياً هو من الصحة إلى الحد المقنع . . ألا يتعين علينا أن نقيم دليلاً آخر على صحة حكمنا بأنه صحيح ، ثم على الحكم الأخير ، وهكذا إلى مالا نهاية ؟

- ٤- وكيف يمكن التمييز بين الفكرة الجلية الواضحة وسواها ؟
- ٥- على أن الصور التي نراها في الأحلام تفرض علينا بنفس القوة المقنعة التي لصور اليقظة . فالوحش الذي يطاردنا في الأحلام ليس أقل ترويعاً لنا من وحوش الغابة ؟
- ٦- ثم ، إذا نظرنا إلى الخجائن . . ألا نجد لديهم أيضاً إدراكاً واعياً جلياً ؟
- ٧- وعندما نجد أنفسنا ، بالصدفة ، أمام شيئين متشابهين تماماً كورقتي شجرة ، أو بيضتين ، أو توأمين ، فأى وسيلة مصطنعة تمكننا من تمييز أحدهما عن الآخر ؟ . .
- ٨- وحتى في العلوم الرياضية هل يمكن أن نجد بين قضايها ما هو جلي بحيث يضطر الشعور إلى التسليم بصحته » « ١ هـ »

ومع ذلك فإنه إذا كان ذلك يحتمل في الحياة العقلية البحتة ، فإنه لا يحتمل في الحياة التي تتصل بالسلوك العملي . . السلوك الملح الذي تحتاج الحياة العملية إلى الفصل فيه سريعاً ، فما موقفنا من هذا النوع وما موقف الفلسفة منه ؟ . .

إنها تكتفي في الحياة العملية بالترجيح ، يقول كاريناد :-

« ومع ذلك فلا بد لكي نحيا حياة عملية ، من وجود معادل يساوى ما هو قاطع وجازم » ، ثم يقول « كاريناد » : « إننا نستطيع أن نجد ذلك المعادل في « الرجحانية » ، إن ادراكنا على وجه الترجيح يمكن أن يسمح لنا بالحكم على الأشياء في الأمور العملية ، بطريقة وضعية » ، وتصل بك الفلسفة أحياناً إلى معقولات يكذبها الواقع ، أو إلى واقع يكذبه المنطق العقلي مع أنه واقع مشاهد . .

أتحب أن تتسلى بشيء من ذلك ؟

إن الأستاذ « البرريفو » يقول :

« إن التغير يحدث في المكان أو في الزمان . . وإذا تصورنا المكان قابلاً للتجزئة إلى مالا نهاية فإن المتحرك لن يبلغ أبداً غاية سيره مادام يلزمه ، للوصول إليها ، أن يقطع أولاً نصف المسافة ، ثم نصف النصف ، وهكذا دواليك إلى مالا نهاية .

ولن يبلغ أبداً « آشيل » ذو القدمين السريعتين السلحفاة إذا كانت تسبقه ولو بمسافة ضئيلة ، ذلك إنه بينما يجتاز نصف هذه المسافة ، تسبقه هي أيضاً بمسافة يجب عليه بدوره أن يقطع نصفها ، بينما تتقدم هي من جديد » .

وهناك حجة أخرى تنكر إمكان تكوين الكل من أجزاء ، فإن كومة من القمح تحدث عندما ترش على الأرض صوتاً يسمع على بعد ، ومع ذلك فنحن لا نسمع الصوت الذي

تحدثه حبة قمح واحدة وهي تسقط » « ١ هـ »

وإذا كان الأستاذ « البريريفو » موجزاً مركزاً لا يذكر المسائل في سهولة ويسر فإن صاحب قصة الفلسفة بسطها في شيء من الوضوح فيقول متحدثاً عن زينون بما يلي :

الدليل على بطلان الكثرة : -

إن كانت الكثرة حقيقة واقعة - ونعني بالكثرة أن الكون ليس شيئاً واحداً بل وحدات كثيرة متراكمة - كان الكون لا متناهياً في الكبر ، ولا متناهياً في الصغر . . لأنه مؤلف من وحدات كما فرضت أولاً ، ولا بد أن تبلغ تلك الوحدات من الصغر حداً للانهاية بحيث لا يكون لها حجم ، لأنه إن كان للوحدة حجم سقطت عنها صفة الوحدة واصبحت قابلة للانقسام إلى وحدات أصغر منها ، فإذا سلمنا بأن كل وحدة على انفراد لا حجم لها لزم أن يكون الكون الذي يتكون منها لا حجم له كذلك ، لأنه حاصل جمعها .

وكذلك يكون الكون لا متناهياً في الكبر ، لأن له جرمًا لا شك فيه وكل جرم قابل للانقسام إلى جزئيات لا نهاية لعددها ، ومهما بلغت تلك الجزئيات من الصغر ، فهي إذا ضربت في عدد لا نهائي كان الناتج عظيمًا يمتد إلى مالا نهاية .

وإذن ففرض الكثرة يؤدي إلى نتيجتين متناقضتين لا يسلم بهما معاً منطلق سليم ، فلم يعد أمامك من سبيل إلا أن تنكر إنكاراً باتاً الكثرة ، وأن تسلم بأن الكون كله شيء واحد لا يقبل التجزئة وأن هذه الأجزاء التي تراها متفرقة : باطلة ليس لها وجود .

الدليل على بطلان الحركة :

(أ) إذا أردت أن تقطع مسافة ما ، فستقطع نصفها الأول ويبقى أمامك نصفها الثاني ، ثم ستقطع نصف هذا النصف ويبقى نصفه الآخر ، وهكذا ستظل تقطع نصفاً ويبقى نصف إلى مالا نهاية . . وإذن فلن تصل إلى غايتك المقصودة إلى الأبد .

(ب) تسابق رجل وسلحفاة ، فهب أن السلحفاة تقدمت عشرة أمتار قبل أن يبدأ الرجل ، نظراً لبطء سيرها وكانت سرعة الرجل عشرة أمثال سرعة السلحفاة ، فلما بدأ الرجل وقطع عشرة الأمتار التي تفصله عن السلحفاة ، وجد أنها قد تقدمت متراً (أى عشر المسافة التي قطعها هو) ، فلما قطع هذا المتر كانت السلحفاة تقدمت عشر المتر ، فإذا قطع هذا العشر ، تكون قد تقدمت جزءاً من مائة جزء من المتر ، وهكذا يظلال إلى مالا نهاية ، فلو ظل المتسابقان إلى آخر الدهر فلن يلحق الرجل السلحفاة .

(جـ) إذا انطلق سهم في الهواء ، فلا بد أن يكون في أية لحظة زمنية ثابتاً في مكان

معين ، لأنه لا يجوز أن يكون في اللحظة الواحدة في مكانين مختلفين ، ولكن إذا كان السهم في كل جزء زمني ساكناً في مكان بعينه ، لزم أن يكون في مجموع الفترة الزمنية ساكناً كذلك ، لأن استمرار السكون ينتج سكوناً ولا يولد حركة .

من هذه الأمثلة الثلاث يتضح أن الحركة مستحيلة الحدوث وإن خيل لنا أنها حقيقة واقعة ، لأنك - كما ترى - إن فرضت حدوث الحركة تورطت في سلسلة من المتناقضات لا تستقيم مع العقل والمنطق .

وإن الفكر الفلسفي ليصل بك أحياناً إلى إنكار السماء والأرض ، وما بين السماء والأرض ، ويقول لك ليس في الوجود - يقيناً - غيرك أنت وحدك .

وإن السمة الأخيرة فهي سمة تؤدي إليها - لا مناص - السمات السابقة . وإذا كانت السمات السابقة يسلم كل منها إلى الآخر ، فإنها جميعاً تتكاتف لتؤدي إلى هذه السمة الأخيرة .

هذه السمة الأخيرة هي أن :

« الفلسفة لا رأى لها » .

وقد تكون هذه السمة مفاجأة لبعض الناس . . كيف يتأتى أن تكون هذه الفلسفة التي ملأت الدنيا صياحاً ، منذ أن نشأت ، ولم تكف - منذ أن نشأت للآن - عن الصياح لا رأى لها ؟ .

والأمر أيسر من أن يحتاج إلى استفاضة :

أما أولاً فلأن : « الفلسفة لا رأى لها » نتيجة واضحة لكل ما قدمنا .

وأما ثانياً : فخذ أى مسألة من مسائل الفلسفة فستجد فيها الآراء التي تنكر ، والآراء التي تثبت . . إنك ترى الرفض والقبول في كل أمر .

والرفض فلسفة ، والقبول فلسفة ،

وقد يكون الرأي توقفاً عن الرفض والقبول وهو فلسفة ، وقد يكون شكاً في الرفض ، وشكاً في القبول في آن واحد ، وهو أيضاً فلسفة .

والشك إما أن يكون شكاً في قيمة الآراء التي تعرض : نفيّاً أو إثباتاً .

وإما أن يكون شكاً في قيمة وسيلة المعرفة نفسها ، وهي الحواس والعقل . وكل ذلك فلسفة في كل مسألة .

وإذا تساءلت - وأنبت على علم بالجو الفلسفي : جو المناهات والوهم - ما الرأى الفلسفي في هذه المسألة أو تلك فستجد كل ما قدمناه ماثلاً أمامك يثبت لك بما لا مرية فيه أنه : « لا رأى للفلسفة » .

وقبل أن نخلص إلى الخاتمة نذكر أمراً في منهج الفكر الفلسفي فيه عظة وفيه عبرة : إن محاور «فيدون» لأفلاطون لها أهميتها لأكثر من وجه . . منها أنها :
١- محاورَة يدور البحث فيها حول خلود النفس .

٢- وهي محاورَة لا تتعارض فيها أهداف المناقشين ، وإنما تتحد وتتفق . . ويجب المناقشون أن يصلو فيها إلى نتيجة محبة إلى نفوسهم وهي أن : « النفس خالدة » .
٣- إن الذين يدور بينهم الحوار فلاسفة من الذين لهم وزنهم واعتبارهم ، وأحدهم يسمونه «أبا الفلسفة» ويسمونه «أبا الفلاسفة» .

٤- المتحاورون ليسوا من مدرسة واحدة وإنما هم من مدرستين مختلفتين : هما مدرسة سقراط ، ومدرسة فيثاغورس ، وهما وإن كانتا متقاربتين فإنه ما من شك في أن جو سقراط العقلي يختلف عن جو فيثاغورس الروحي .
ولهذا الاختلاف فإن اتفاقهما على غاية واحدة : «إثبات خلود الروح» ومحاولتهما الاستدلال عليها له أهميته الخاصة .

٥- بيد أن الأمر الأساسى المهم الذى من أجله نتحدث في هذا الموضوع هو اتفاق المدرستين على أن «الوحى» فيما يتعلق بما بعد الطبيعة هو السفينة الآمنة الآمنة المتينة ، وأن العقل في مجال الإلهيات ، إن هو إلا عبارة عن لوح من الخشب إذا قابلته أو إذا وازنته بالوحى : إن الوحى سفينة والعقل لوح من خشب .
لقد كان الحوار يدور بين سقراط واثنين من الفيثاغوريين هما : «سياس» و«قابس» وهما من كبار فلاسفة المدرسة الفيثاغورية .

وأخذ الجميع يجهدون ذهנם في البرهنة على خلود النفس ، ويقيمون أدلة . . وتنقسم بعض أدلتهم إلى فروع ثم :

«ويسكت سقراط ، ويسكت الجميع ، وبعد هنيئة يقول سياس :
إن العلم بحقيقة مثل هذه الأمور ممتنع أو عسير جداً في هذه الحياة ، ولكن من الجبن اليأس من البحث قبل الوصول إلى آخر مدى العقل ، فيجب :
إمّا الاستيثاق من الحق .

وإمّا - إن امتنع ذلك - استكشاف الدليل الأقوى والتذرع به في اجتياز الحياة .
كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح خشب ، مادام لا مَسِيل لنا إلى مركب آمن
وآمن .. أعنى إلى وحي إلهي^(١) .

وبعد ذلك يعودون إلى البحث من جديد حتى :
يقنع قابس ، ويعلن سياس أنه مقتنع أيضاً ، إلا أن شعوره المزدوج بعظم المسألة
وبالضعف البشرى يضطره إلى بعض التحفظ بإزاء هذه الأدلة على وجاهتها .
فيسلم له سقراط بحقه في هذا التحفظ ، ويزيد قائلاً :

بل إن المقدمات أنفسها مفتقرة إلى بحث أوكد .
إن هناك بحر الإلهيات ، وهناك البحر المادى .
وكما أن للبحر المادى آلة عبور هي السفينة ، فإن لبحر الإلهيات آلة عبور هي « الوحي » .
فاذا استعمل الإنسان العقل في عبور بحر الإلهيات ، فإنه يكون كإنسان يستعمل لوحاً
من خشب في عبور البحر المادى .

ولكن المضطر - حيث لا وحي - يستمسك بلوح الخشب - كما يقول سياس -
« مادام لا سبيل إلى مركب آمن وآمن ، أعنى إلى وحي إلهي » .
إن هذه الخاتمة تجربة شخصية .

ولعل القارئ الكريم يسمح بأن أتحدث عن الجو الذى عشته في بواكير حياتي الفلسفية .
لقد كان ذلك لأول عهدى بجامعة باريس حينما ذهبت إلى فرنسا للدراسة : أحب أن
أصف الجو الذى عشته ، وكيف تصرفت - بتوفيق الله - أثناءه .

ودخلت الجامعة ، وبدأت الدراسة في علم الاجتماع وعلم النفس ، ومادة الأخلاق ،
وتاريخ الأديان .

وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على
الأساتذة اليهود .

وكانت هذه المواد كلها تسير في تيار محدّد .. هو : أنها « علوم مجتمع » أى أنها لا تنقيد
بوحى السماء ، ولا تنقيد بالدين على أنه وضع إلهي ، فهي تدرس موضوعاتها على أنها ظواهر
اجتماعية ، وظواهر إنسانية .

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية .

وبدأنا في الدراسة نسمع مختلف الآراء في نشأة الدين ومختلف الآراء في تفسير النبوة ، وينتهى الأمر برأى الأستاذ في الموضوع .

وليس في هذه الآراء - على اختلافها وتعددتها - ما يتجه إلى أن الدين وحى من السماء ، أو أن النبي موصول الأسباب بالسماء ، وإذا انتظرنا من الأستاذ أن يصحح الوضع ، فيدلى في النهاية برأيه مثبتاً الألوهية والنبوة هادماً للآراء الأخرى واصفاً لها : بأنها ضلال :

إذا انتظرنا ذلك منه فإننا نكون واهمين ، فإنه واحد من هؤلاء العشرات من الأساتذة في هذه المواد وما شابهها المنغمسين في تيار المادية . . لقد فسرت الجامعات الأوربية العلم على أنه القواعد التي تقوم على التخيل والملاحظة ، والتزمت أن تفسر وأن تشرح علم الاجتماع وعلم النفس وجميع الظواهر في الآفاق ، وفي الأنفس ، على هذا الأساس ، والتزمت ذلك أيضاً في تاريخ الأديان .

هذه العلوم بالذات وفروعها تتكاثف لتقود الإنسان متعاونة متساندة إلى الإلحاد . إن للدين - فيما يزعمون - نشأة إنسانية اجتماعية ، وإن للخلق - فيما يرون - نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه : « فضيلة » وعلى سلوك آخر سموه « رذيلة » فدراسة الدين والأخلاق إذن تتجه إلى النشأة والمظاهر وعوامل التطور وظواهر التطور . . وليس للسماء في الدراسة من نصيب ، اللهم إلا الوصف لظاهرة نشأت في المجتمع !

وكل الظواهر والمظاهر في هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وضع ، لأنها في كل يوم تبدل حالاً بحال . . . وهذه الأفكار تتكرر في هذه المواد : تسممها في علم الاجتماع ، وتسممها في علم النفس ، وتسممها في دراسة مادة الأخلاق ، وتسممها في دراسة تاريخ الأديان ، وتسممها في دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك .

والشباب الذي انتقل من الأقسام الثانوية إلى الجامعة يتأثر بأستاذه ، فإذا كان الأساتذة متكاتفين على هدم القيم الثابتة ، والمثل العليا التي يقررها الدين ، وتقررهما الأخلاق ، إذا كان الأمر كذلك فإن الطالب الذي يعيش في أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهي به الأمر في الأغلب الأعم من الحالات - بأن تنهار هذه القيم في شعوره . ومن هنا كانت الظاهرة التي نجدها في طلبة الجامعات في أوروبا من الاستخفاف بكثير

من العقائد ، وبكثير من القيم وينتهى الطالب بالإلحاد ، أو على أقل تقدير بالإيمان الكامن الذى لا فاعلية له ، ولا تأثير فى سلوك الإنسان .

وكنْتُ - من غير ما شك - أَصِيقُ بكل ما يجرى فى هذه الدراسات ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمنى التفكير فى قيمة وآراء الأساتذة أنفسهم فى هذه المواد .

وبدأت أفصل بين عالمين من المعرفة : عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء ، وهى أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، ولا اختلاف فيها وعالم التفكير المنجرد فى الدين والأخلاق والمجتمع .

وأخذت أدرس فى أناة هذا الجانب الأخير من الزاوية التاريخية ، فوجدت أنه منذ أن بدأ التفكير ، بدأ فى اللحظة الأولى الاختلاف فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الآخرين فى عصره ، وكل مفكرى عصرٍ ينتقدون المفكرين فى العصر السابق عليه . . وهكذا الأمر .

وما من شك فى أن هؤلاء الأساتذة الذين يدرسون لنا ينتقد بعضهم بعضاً فى آرائهم ، ويخطئ بعضهم بعضاً ، كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم ، وسيصنع من بعدهم صنعهم فيوجهون إليهم النقد ويخطئونهم . . وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لقد أخذ «دوركايم» اليهودى يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، وأخذ تلميذه الأكبر اليهودى «ليني بروهل» ينهج منهجه ويسير على طريقه فى علم الاجتماع وفى علم الأخلاق . . وكتاب «ليني بروهل» : «الأخلاق وعلم العادات» - مثل واضح لهذا النوع من هدم القيم ، ومحاولة التناول على كل المثل .

فكرت إذن فى إختلاف الآراء ، أو فى هدم بعضها البعض فى مواجهة كل ما يقوله الأساتذة ، وكنْتُ أقول فى نفسى - فى مواجهة كل أستاذ - سيهدمك المعاصرون لك ، وسيهدمك الذين يأتون من بعدك .

ولكنى فى مواجهة كل هذه الآراء الإلحادية - كنت أتثبت بيقين لا شك فيه . كنت أقول فى نفسى : إذا كانت الأخلاق نسبية ، فهل سيأتى الزمن الذى نعتقد فيه : أن الصدق رذيلة أو أن الشهامة شر ، أو أن الشجاعة سوء ، أو أن العفة جريمة . . . أو أن كذا ، أو كذا . . . ثم أعود إلى نفسى فأقول : كلا . . .

وأتساءل من جديد فى مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بوحداية الله ؟ أو لا نقول فيه بإرادته وعلمه ؟

وأعود إلى نفسي وأقول : كلاً...

كنت أحاول دائماً أن أردّد أن هؤلاء القوم يسرون في طرق لا تنتهى إلى غاية... ما هدفهم من ذلك ؟

وما كنت أجد الإجابة عن هذا السؤال آنئذٍ ، لكنى عرفت فيما بعد أن هذا هو المنهج اليهودى الذى رسموه بعد تفكير طويل ، والتزموا القيام به بكل الوسائل ، أو بكل الطرق ، وهو منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والأخلاق .

يستخدمون هذا المنهج فى المجالات المختلفة لإفساد المجتمعات وتحللها أخلاقياً ودينياً ، ويضيفون إليه العمل على إثارة العمال على أصحاب رؤس الأموال ، وعلى إيجاد الضغائن والفتنة بين مختلف فئات الشعوب ، واثرة التى يعملون دائمين على الوصول إليها : أن يكون المجتمع شاكاً مليئاً بالفتن ، وذلك سيبلهم إلى السيطرة .

إن اليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم ، إنهم يحطمون القيم والمثل حتى لا يكون فى المجتمعات قوة من عقائد أو قوة من خلق ، ومن أجل ذلك تكاتفوا على أن تكون لهم الكلمة الأولى فى الجامعات فى علم الاجتماع وفى علم النفس ، وفى مادة الأخلاق ، وفى تاريخ الأديان ، ولم يكن من السهل على أثناء هذه الدراسة الاستمسك بالواقع بالقيم والمثل التى نشأت عليها ، لولا عون من الله سبحانه ، وتوفيق منه ، ولولا لطف الله لصرت كواحد من هؤلاء الألوف الذين يدرسون فى الجامعات الأوروبية ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت فى نفوسهم المثل الدينية الكريمة .

وانتهت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التالية هى مرحلة «الدكتوراه» . وبعد تجارب هنا وهناك فى مجالات مختلفة من الموضوعات ، وبعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك - هداى الله ، وله الحمد والمنة - إلى موضوع التصوف الإسلامى ، ولم يكن ذلك مصادفة ، وإنما هى هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، وهى عناية أعجز عن شكر الله سبحانه وتعالى عليها ، وانغمست فى العنصر الأساسى فى موضوع الرسالة ، وهو دراسة الحارث بن أسد المحاسبى .

انغمست فى جو مجموعة من المخطوطات لهذا العالم الكبير ، والصوفى المستنير ، ورأيت أنه قد مرت به - هو الآخر - صروف من الضيق لاختلاف الآراء وتفرقها ، وللحيرة فى أيها الأحق وأيها الأصوب ؟ . ثم هداه الله سبحانه إلى الطريق الأقوم .

ووجدت فى جو الحارث بن أسد المحاسبى الهدوء النفسى ، أو الطمأنينة الروحية ،

ولكنه هدوء اليقين ، وطمأنينة الثقة بما يعلم .

فقد ألقى بنفسه في معترك المشاكل التي يثيرها المبتدعون ، والمنحرفون ، وأخذ يصارع مناقشاً ومجادلاً ، وهادياً ، ومرشداً ، متخذاً الأساس الأصيل ، والمصدر الأول : القرآن والسنة ، متخذاً ذلك مقياساً وحاكماً متحكماً في كل ما يقال أو يفعل .

وانتهت من دراسة « الدكتوراه » وأنا أشعر شعوراً واضحاً بمنهج المسلم في الحياة ، وهو منهج : « الاتباع » .

إن ابن مسعود رضى الله عنه يقول كلمة موجزة عن هذا المنهج هي إعجاز من الإعجاز ، إنه يقول :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وهي كلمة حق وصدق ثرية بالمعاني الطويلة العريضة يبرهن آخرها على أولها ، والنهي في وسطها يبرهن عليه أيضاً آخرها : أى اتبعوا فقد كفيتم ، والكافي هو الله سبحانه وتعالى الذى أوحى المبادئ والأصول والقواعد ، وطبق رسول الله ﷺ كل ذلك وبينه ، فكان تطبيقه مقياساً وبياناً ومرجعاً يرجع إليه المختلفون .

« ولا تبتدعوا فقد كفيتم » : إن الذى يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين ، وأتم النعمة ، فليس هناك من مجال ، ولا من حاجة إلى الابتداع .

لقد كفانا الله ورسوله ﷺ كل ما أهمنا من أمر الدين .

وبعد أن قرأ هذا المنهج في شعورى واستيقنته نفسى أخذت أدعوه إليه : كاتباً ومحاضراً ومدرساً ، ثم أخرجت فيه كتاباً خاصاً هو كتاب : « التوحيد الخالص ، أو الإسلام والعقل » .

وما فرحت بظهور كتاب من كتبي مثل فرحى يوم ظهر هذا الكتاب ، لأنه هو خلاصة تجربتي في حياتي الفكرية .

وكل ما كتبته عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية ، فإنما يسير في فلك هذا المنهج ، منهج الاتباع ،

وهذا المنهج يفترض :

١ - مقاومة الغزو الفكرى :

والغزو الفكرى له مجالات مختلفة : هناك الغزو الفكرى في العقائد يتمثل في كل هذا

التراث الضخم الذى نقل إلى اللغة العربية فيما يتعلق بما وراء الطبيعة ، وهو تراث مختلف متعارض ، بل ومتناقض ، وهو نتاج بشرى بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال .

٢- والغزو الفكرى فى نظام المجتمع : الذى حاول أن يفرض علينا نظام المجتمعات الأوروبية ،

وإذا نحن سرنا فى تباره ، فإننا نصبح ولاشخصية لنا ولا ذاتية ، ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا بتليغها للناس ونشرها وهى رسالة الإسلام التى من أجلها كانت الأمة الإسلامية ، وبدونها تصبح الأمة الإسلامية ولا مبرر لها .

٣- والغزو الفكرى فى مجال التشريع :

وهذا الغزو الفكرى فى مجال التشريع توجد أسسه وأصوله بصورة مشروعة فى مختلف الأقطار العربية ممثلة فى كليات الحقوق التى تنفق عليها الدولة وتعتمد شهاداتها .

وكليات الحقوق هذه دراستها غزو فكرى ، واستعمار فكرى ودراستها : أثر من آثار الاستعمار التى لم تزل بعد أن زال الاستعمار .

وإذا كانت الأمم الواعية تحاول جاهدة أن تتخلص من وصمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام ، فإن الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصمة الاستعمار الصارخة الواضحة الممثلة فى هذه الكليات .

إن هذه الكليات تخصص عشرين ساعة فى الأسبوع للقوانين الأوروبية أى للفكر الأوربى فى التشريع ، وتفرض على الطالب أن يذاكره ويستوعبه ويحفظه ، ويتمثله ، وينجح فيه فى الامتحان .

أى أنها تفرض على الطالب أن يستعمر فكره الأوربى فى مجال التشريع ، وأن يلغى ذاتيته الإسلامية فى هذا المجال ، وأن يكون تابعاً للأوربيين فى هذا المجال ، مقلداً لهم تجره عجلتهم ، مستسلماً لغزوهم ، وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة أسبوعياً للفكر الأوربى فى التشريع ، إذا بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الإسلامى .

ولو أن هذه الكليات فى فرنسا أو فى إنجلترا لما فعلت أكثر من ذلك . . . ومنهج الاتباع : إذن يقتضينا أن ننظر فى جد فى أمر هذه الكليات من أجل أن تمثل الوطنية والإسلامية والعروبة .

وبعد : فإن منهج الاتباع هو الخلاصة الجوهرية لتجارى الخاصة بالطريق الذى ينبغى

أن يسلكه المسلم في حياته وإذا سار فيه المسلم فرداً ، أو سار فيه المجتمع مجتمعاً ، فإن الله - سبحانه وتعالى - يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة ، لأنه يكون في جورباني مليء برعاية الله سبحانه وتعالى وعنايته .

«ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» . . .

مناجاة

رَبِّ قَابِلِنِي بِنُورِ اسْمِكَ . . مُقَابَلَةً تَمْلَأُ وُجُودِي ظَاهِراً وَبَاطِناً ،
حَتَّى تَمْحُو مِنِّي خُطُوطَ الْأَشْكَالِ كُلِّهَا . . فَيَبْدُو لِي فِي وُجُودِي وَمِنْ
وُجُودِي سِرِّ مَا كَتَبَهُ قَلَمُ تَقْدِيرِكَ مِنْ كُلِّ مُسْتَوْدَعٍ فِي مُسْتَقَرٍّ ، وَمُسْتَقَرٍّ فِي
مُسْتَوْدَعٍ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ مَا غَابَ عَنِّي ، فَأَنْظُرُنِي بِكَ ، وَأَنْظُرَ مَنْ
سِوَايَ بِنُورِ اسْمِكَ ، فَأَرَى الْكَمَالَ الْمُطْلَقَ فِي الْمَلِكِ الْمُطْلَقِ ،
يَا مُودِعَ الْأَنْوَارِ قُلُوبَ عِبَادِهِ الْأَبْرَارِ . . يَا سَرِيعُ يَا قَرِيبُ . . .

نظرة مؤمن واع إلى المدينيات المعاصرة الزائفة

للمعاصرة : أبى الحسن الندوى

قصة يرويها المؤرخون العرب ، نمر بها مرأً سريعاً عابراً ، تستحق منا لفظة كريمة عميقة ، وبها أفتح حديثي هذا ، ولها اتصال وثيق بالموضوع ، وهي تدل على موضوعية نظرة المؤمن الواعي إلى المدينيات المعاصرة الزائفة ، لعلكم أيضاً مروركم بهذه القصة فيما قرأتم من كتب تاريخ الفتوح الإسلامية ، في العصر الأول ، ولست أدري هل استوقفتم هذه القصة كما استوقفني ، وهل استلهمتم منها تلك المعاني الواسعة العميقة والنتائج الكبيرة الخطيرة التي استلهمتها ، وقد تلفت قصة أو حديث قارئاً من عامة القراء ولا يلفت ذلك الحديث قراء آخرين ، وإن كانوا يفوقون القارئ الأول في كثير من الفضائل العلمية والنبوغ وبعد النظر والعمق .

قصة رواها المؤرخون العرب ، على عادتهم في بساطة واختصار ، ومن غير تعليق واستنتاج ، يقولون : إن «رستم» ^(١) - قائد قواد الفرس - طلب من سيدنا سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين في فارس أن يرسل إليه رجلاً يستوضحه عن أغراض هذا الغزو الذي لم يكن للفرس به عهد ، ولم يكن للعرب به شأن ، إنما عرف العرب بالانطواء على نفوسهم في باديتهم قروناً طويلة ، فكانت هذه مفاجأة لم يكن الفرس يتوقعونها . والعرب قد عرفوا بالقناعة والتقشف في الحياة ، والانعزال عن العالم الخارجي في عامة الأحوال ، وعدم الطموح إلى فتح إمبراطوريات جاورتهم ، فلما خرج العرب لأول مرة في التاريخ الطويل يغزون فارس والروم ، استلقت ذلك نظر المتأملين ، ونظر الذين واجهوا هذا الغزو وجهاً لوجه ، فأرسل سعد ربيعي بن عامر ^(٢) ، وكان «رستم» قد بالغ في التزين ، بل

(١) كان قائد الجيوش في إيران ووزير الحربية فيها وكان من أبطال الفرس المعدودين الذين يضرب بهم المثل في الشجاعة والشدة ، وهو الذي سعى في تنصيب الملك يزديجرد الثالث سنة ٦٣٢ م وقاد مهمة دفع العرب المسلمين حين قدومهم لفتح فارس وقتل سنة ٦٣٥ م (الحرم ١٤ هـ) في يوم القادسية ، وكان من البيوتات السبعة التي تم شرفها ، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف وهي علامة من ميم شرفه في ذلك العهد (ملخصاً من كتب التاريخ) .

(٢) كان من الصحابة كما صرح به الحافظ ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة وكان من أشرف العرب ، ولآه الأحنف على «طخارستان» راجع «الإصابة في تمييز الصحابة» ج ١ ، ص ٥٠٣ .

التحويل ، قد زين مجلسه بالنهارق المذهبة والزراى الحريية ، وأظهر البواقيت والآلى المينة والزينة العظيمة وعليه تاج وغير ذلك من الأمتعة المينة ، وقد جلس على سرير من ذهب^(١) .

جاء ريعى بن عامر لا يكثرث بشيء ، ولا يحتفل بهذه الزينة العظيمة ، التى لم يعهدا ، فجلس بجانب «رستم» كأنه جالس بجوار رجل من زملائه . فقال «رستم» ما جاء بكم ؟

فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنندعوهم إليه^(٢) .

أيها الإخوة : إننى لا أريد أن أتناول هذه الأجزاء الثلاثة التى جاءت فى هذه الكلمة البسيطة البليغة كلها شرحاً وإيضاحاً ، ولكننى أتناول شيئاً واحداً ، وهو قول ذلك المؤمن الواعى مخاطب «رستم» وهو فى غاية أبهته ، وفى زهوه ، وعلى فة مجده ، يقول له : «من ضيق الدنيا إلى سعتها» إننى لا أستغرب قوله : «لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله» ولا من قوله : «من جور الأديان إلى عدل الإسلام» فقد كان كل ذلك حقيقة بديهية للمسلمين الذين غرس رسول الله ﷺ عقيدة التوحيد فى نفوسهم ، وحَبَّ الله إليهم الإيمان وزَيَّنَه فى قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، ينظرون إلى جميع أنواع الشرك والوثنية وعبادة الإنسان للإنسان بعين الازدراء والاحتقار ، وكانوا يعافونها ، وكانت أذواقهم تمجها وتأبأها ، وكان ريعى بن عامر يعرف أن ملوك فارس وأمراءها قد استعبدوا الناس ، وكانوا يعاملونهم معاملة الآلهة للعباد ، لا معاملة السادة للعبيد ، وكان الناس يكفرون^(٣) لهم ويسجدون ، ويرون أنهم فوق البشر ، يجرى فى عروقهم دم إلهى مقدس^(٤) وكانوا يؤمنون بأن الإسلام هو الشريعة العادلة ، وأن غيره من الأديان قد أصبحت جائرة تستعبد الإنسان للإنسان وتسخره للأحبار والرهبان ، وتقيد به أغلال وقيد وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان ، وقد قرأوا قوله تعالى : «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى

(١) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير ج ٧ ص ٣٩ ، طبع بيروت ١٩٦٦ م .

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ج ٧ ، ص ٣٩ طبع بيروت ١٩٦٦ م .

(٣) كفر الرجل للرجل : خضع بأن يضع يده على صدره ، ويطأطئ رأسه ، ويتطامن تعظيماً له .

(٤) راجع للتفصيل كتاب «إيران فى عهد الساسانيين» لأرتھر كرسون سين .

الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» ^(١) وقرأوا قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله» ^(٢). وقد آمنوا بذلك وشاهدوا آثارها في الأمم والديانات التي عرفوها ، كنصارى الروم ، ومجوس فارس ، ويهود المدينة .

ولو قال ربى بن عامر «لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة» لم أستغرب ذلك ، لأنه آمن بالآخرة التي لا آخر لها ، وبالجنة التي لا حد لها ولا نهاية . وقد قرأ في الكتاب الذى قرأه وآمن به وعاش فيه «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» ^(٣)

ويقول رسول الله ﷺ في غزوة بدر : «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» ^(٤) وقال : «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» ^(٥) .

ولكننى أستغرب قوله : «من ضيق الدنيا إلى سعتها» هنا أتساءل : ما هو الضيق الذى كان فيه الفرس ، وما هى السعة التى كان فيها العرب ؟ حتى ساغ لربى بن عامر رضى الله عنه ، أن يقول : إنا معشر العرب المسلمين نريد أن نخرجكم أيها الفرس الأشقياء المنكوبون . من ضيق الدنيا إلى سعتها . هل كان ما كان فيه العرب يستحق أن يسمى السعة ؟ وهل كان ما كان فيه الفرس يستحق أن يسمى الضيق ؟ ونسأل التاريخ عن ذلك ، وهو شاهد عدل ، وتاريخ العرب وتاريخ الروم والفرس مسجل مدون ، لا يتطرق إليه الشك ، قد جاء برواية الرواة العادلين الموثوق بهم ، وتضافرت الروايات والشهادات على ذلك ، فإذا كان العرب يعيشون في مجبوحة من العيش ، لم يكن ذلك مجهولاً أغفله التاريخ ، وإذا كان الفرس يعيشون في ضيق لم يكن ذلك خافياً .

وقد قرر التاريخ وأجمع المؤرخون على أن الفرس والروم كانوا يعيشون في رغد من العيش ، ويتقلبون في أعطاف النعم ، قد اتسعت لهم الدنيا ، ولانت لهم الحياة ، أما العرب فبالعكس كانوا يعيشون - حتى بعد الإسلام - في شظف ، وكان العهد عهد خلافة

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤ .

(٣) آل عمران الآية ١٣٣ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

عمر ، وكان الناس على الفطرة - العربية الإسلامية - وكانت المدنية لم تتعقد ولم تتوسع بعد ، وكان عمر - وهو خليفة المسلمين - يعيش حياة متقشفة زاهدة ، يأخذ الناس بالتقشف والتخشن في الحياة ، وكانت هذه الحياة التي يحياها العرب في الجزيرة حياة بداءة وتخلف في نظر الفرس والروم ، وكانوا يأسفون على حالهم ، ويرون أنهم في جهد من العيش وضيق من الدنيا .

فهل نتساءل : ما هو الضيق الذي كان فيه الفرس ، حتى رثى له ذلك المسلم العربي ؟ وما كانت السعة التي فيها العرب ، حتى افتخر بها ذلك الصحابي ؟ هل هو ضرب من ضروب المبالغات الشعرية ؟ إن العرب لم يتعودوا ذلك ، إن الإسلام لم يبح لأى واحد من أفراد الأمة المسلمة أن يتبجح ^(١) ، ويبالغ هذه المبالغة الشعرية إنهم كانوا يعيدون كل البعد عن المبالغات والتول الجزاف ، كانوا أصحاب جد وصدق ، أصحاب صراحة وشجاعة ، فما هو الضيق ؟ إنه كان إذا دخل هذا المجلس بل إذا دخل في حدود المملكة الفارسية العظيمة ، كان جديراً كل الجدارة بأن يسيل لعابه ، ويتحلب فيه على هذه الزخارف التي كان يتمتع بها الفرس ، وعلى هذه الأنواع من الأطعمة والأشربة ، إنه لابد قد شاهد الكثير من نفائس الأشياء وغوالى الطُرف ، ومظاهر الحضارة والأناقة والترف ، إنه واجه هذه المدنية الزاهية الزاهرة ، التي بلغت قمتها ومجدها ، فقد وسعها الفرس بذكائهم واختراعهم وبتجارهم الطويلة الأمد ، وبمغانهم الكثيرة وفتوحهم الواسعة ، وكانت فيها مدن بقصورها الفاخرة ، ومبانيها العظيمة ، وحدائقها الغناء ، ومتنزهاتها الساحرة ، وأسواقها الزاخرة ، وطرقها ووارداتها العظيمة ، فمن أى نوع كان هؤلاء العرب الذين تمردوا وقسوا على هذه المظاهر الفتانة ، المظاهر التي يحزن بها الإنسان جنوناً ! ؟

إنه لا ينقض عجبى من قوله : « إن الله ابتعنا - أيها الفرس - لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها » لماذا ؟ لأنه كان ينظر إلى هؤلاء الملوك والأمراء ، كما ينظر العاقل إلى دُمى قد كسيت ملابس فاخرة جميلة ، إلى تماثيل قد أُحكمت صناعتها ، وتأنق صانعوها في تصوير قسماها ، وملامحها ولكنها على كل حال تماثيل من حجر أو جبس ، لا حياة فيها ولا حراك بها ، كان ربعي بن عامر - وهو أحد أفراد الجيش الإسلامي - ينظر إلى « رستم » كطائر مدلل في قفص من ذهب ، وكان كسرى يزددجرد - الذي لم يره بعد كذلك كعدليب وكطاووس ، أو كائى أجمل طائر ، لكنه على كل حال ، طائر محبوس ، هذا

(١) يتبجح : يفتخر ويتعظم ويتباهى .

الطائر يوضع في قفص ، والقفص من ذهب ، أسلاكه كلها من ذهب ، والإبناء الذى يأكل ويشرب فيه الطائر ، من ذهب كذلك ، ولكن هل يحسد هذا الطائر أى إنسان عرف قيمة الحياة ، وعرف قيمة الحرية والشعور ، وعرف قيمة العقل وعرف قيمة العلم ؟ هل يحسد هذا الإنسان الذى أكرمه الله بالإنسانية ، يحسد هذا الطائر المدلل لأنه فى قفص من ذهب ، وهو فى بيت من مدر أو وبر ، بل نخطو خطوة أخرى هل نحسد كلباً مدلاً كلباً يربيه صاحبه الأورنى ، ويغذيه بأطيب الطعام ولذيذ الفاكهة ويسقيه اللبن ، ويقلده قلادة ذهبية ، وينيمه على فراش وثير ناعم ؟

إن نظرة رعى بن عامر لم تكن تختلف عن نظرنا إلى طائر مدلل فى قفص ذهبى أو إلى كلب مدلل عند سيد أورنى ، وذلك كله لأنه كان كبير الاعتزاز بالعقيدة التى آمن بها ، وبال دعوة التى حملها ، وبالشخصية التى ملكها ، وبالرسالة التى اضطلع بها ، وبالقرآن الذى درسه وشغف به وأحبه ، إنه كان معتزاً بالمعاني وبالقيم وبالحقائق التى هى أسمى من تلك الزخارف والمظاهر ، فلم تبهزه هذه المدنية ، ولم تسحره مفاتها إنه كان يعرف أن «رستم» ولو كان قائد قواد الفرس ، يعبد النار .

ثم إنه يعبد نفسه كما أنه يعبد سيده ، ويعبد عاداته .

ولست القضية قضية «رستم» أو قضية قائد من القواد ، أو أمير من أمراء الفرس ، بل هذا هو الشأن مع سيدهم جميعاً ، مع الإمبراطور يزدجرد ، إنه كان - يعرف أنه عبد لعاداته ، أو عبد لعبيده ، لا يستطيع أن يتحرك إلا بهم ، ولا يستطيع أن يصول ويجول إلا على أكتافهم : إنه ليس إنساناً حراً ، بأى معنى من معانى الكلمة ، بل هو إنسان استعبدته الشهوات ، واستعبدته العادات ، واستعبدته الأعراف ، واستعبدته المظاهر ، واستعبدته النفس الأمارة بالسوء ، واستعبدته اللذات الجسدية الخسيسة - والمطالب الحيوانية الحقيرة . أنتم تعرفون أن الإمبراطور يزدجرد « هو ثا فى الامبراطورين العظميين اللذين توزعا العالم المتمدن المعمور : كسرى الفرس ، وقيصر الروم ، وقد انتهت بى دراسى الحديثة للتاريخ المعاصر للفتح الإسلامى ، إلى أن إمبراطورية الفرس كانت تفوق الإمبراطورية البازنطينية كانت أوسع منها ، وكانت ولايات من الهند تحت حكم الفرس ، منها ولايات موغلة فى الهند ، ولكن هذا الإمبراطور العظيم ، قد روى عنه التاريخ أنه لما هرب من عاصمته «المدائن» ناجياً بنفسه ، وكان فى حالة اللجوء والفرار ، حمل معه ألف طاه (طباخ) هل تصدقون : ألف طباخ وألف مغن ، وألف قيم للصقور والنمور ، ثم كان يقول : يا ويل

نفسى إننى لم آخذ معى إلا هذا العدد القليل من الأعوان ومن الخدم والحشم ، وكان يقول : أنا أستحق الرحمة والرفاء !! فهل يعد هذا الرجل رجلاً حراً سعيداً ، صاحب شخصية ، وصاحب إرادة ؟ ثم إنه لما لجأ إلى عجوز فقيرة وقدمت له الطعام وهى ترى له ، وقد توسمت فيه الملك والشرف ، قال : لا أستطيع أن أستسغ هذا الطعام حتى يُغنى لى (١) .

إلى هذه النقطة وصلت عبوديتهم ، ووصل رقبهم ، ووصل خضوعهم للعادات القاهرة ، إنه لم يكن يستطيع أن يتناول طعاماً وهو فى حاجة إلى الطعام : حتى يغنى له المغنون ، أما من غير أغنية ، فهو غير قادر على أن يتناول الطعام !!
ونذكر أن «المهرمان» - ملك الأهواز . وأحد كبار أمراء الفرس - لما أسر وجاء إلى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المدينة ، كان - رضى الله عنه - نائماً فى المسجد متوسداً برنسه ، فاستيقظ بالجلبة ، ودار الحوار بينه وبين عمر - رضى الله عنه - وشعر «المهرمان» بالعطش فطلب الماء ، فأتى به فى قدح غليظ ، فقال : لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا ، فأتى به فى إناء يرضاه ، فشرب (٢)

ونبه أمير المؤمنين أصحابه على ذلك ، وحثهم على الحمد لله تبارك وتعالى والشكر على نعمة الإسلام ، الإسلام الذى حررهم من هذه العبوديات ، ومن هذه الأصنام التى يَنْحُتُهَا الإنسان بنفسه ، ثم يفرضها على نفسه ، ويقول إبراهيم عليه السلام : «أتعبدون ما تنحتون» وهذه عادات وأعراف إنما نضعها نحن وننفق عليها ، إنه لا يعتبر الإنسان شريفاً إلا إذا سكن فى كذا من البيوت ، وليس كذا من اللباس ، وظهر فى المظهر الفلانى ، وكان له من الأثاث والرياش كذا وكذا ، وإن الفرس فى العصر الذى نتحدث عنه ، كانوا يعبرون الرجل الكبير الذى لا تبلغ قيمة قلنسوته مائة ألف ، ومن بلغ نصف الشرف ، كانت قيمة قلنسوته خمسين ألفاً . . وكانت مِنطقة كبرائهم تُقَوَّمُ بخمسين ألفاً (٣)

وهذه الأعراف والمثل كلها من مخترعات الناس التى «ما أنزل الله بها من سلطان» أليست هذه المدنية الأوروبية مجموعة من الأعراف المصطنعة ، والقيود المزورة ، والمصطلحات الموضوعية ، والالتزامات التى التزمها الأوروبيون ومن قلدتهم .. ماهو

(١) راجع للتفاصيل «إيران فى عهد الساسانيين» لارتھر كرسن سين ، وكتاب المؤلف «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» الفصل الثانى من الباب الأول .

(٢) تاريخ الطبرى ٢١٧/٤ ، وفتح البلدان / ٣٧٤ .

(٣) راجع تاريخ الطبرى ٦/٤ - ١١ - ١٣٤ .

مصدرها ؟ ومن أين جاءت هذه الالتزامات التي التزمناها ؟ وقد خضعنا لتأثير هذه الحضارة وابتعدنا عن الطبيعة والتقشف الذي عُرف به العرب ، وحث عليه المربون للأمة الإسلامية ، كعمر بن الخطاب رضى الله عنه ^(١)

وكان ربيع بن عامر بنظرة البعيد ، وبإيمانه القوى وعلمه العميق ، وإن كان قصير النظر في عين كثير من الذين يدعون العلم والمدينة ، ينظر الى هذه الالتزامات التي التزمها الفرس كقبود وأغلال ، وأطواق وأصفاد ، وهو لا يعرف منها الا قليلا ولكن الذي عرفه كان كثيرا ، وكان كافيا للشهادة ، وبذلك استطاع أن يقول : « الله ابتعثنا لنخرجكم من ضيق الدنيا الى سعتها » أيها الفرس لا تفرنكم انفسكم ، ولا تخدعنكم هذه البهجة ، لا تخدعنكم هذه المظاهر الجوفاء ، انتم تعيشون في قفص ، والقفص قفص وإن كان من ذهب ، والقفص قفص ، وإن كان من زجاج ، القفص قفص وإن كان واسعا سعة المدينة ولكنه قفص .. ما هو السجن ؟ لماذا يسمى سجننا ؟ ألا يكون واسعا ، ألا تكون فيه الغرف ، الغرف التي قد لا يوجد مثلها في بيوت كثير من أوساط الناس ، لكنه سجن على كل حال ، وليس منا من يريد أن يعيش في السجن ، مهما توفرت فيه أسباب الراحة والرفاهية ، ومهما اتسع وانفسح ، وكانت فيه حداثق وبرك ، ومتاحف ومتنزهات ! ! إن هذا العرنى المسلم الواعى الذى كان بعيدا عن كل ظل من ظلال ما نسميه اليوم : (مركب النقص) ومن كل شبح من أشباح الانهزامية وفقدان الثقة ، لو عاش الى هذا العصر .. لنظر الى المدينة الغربية ، والمدينة الباذخة التي يعيشها العرب ، والمسلمون في كثير من بلادهم ، لنظر إليها بنفس النظرة التي نظر بها الى المدينة الإيرانية ، والمدينة الرومانية ، ولرئى لأهلها كما رئى للفرس والروم ، وتمنى أن يخرجهم من ضيق الدنيا الى سعتها ، كما تمنى ذلك للفرس والروم .

كان هذا العرنى يتنعم بالحرية التي عرّفه بها الإسلام ، فنقله من ديا ضيقة محدودة خانقة - ديا المعدة والمادة ، ودنيا الشهوات والأغراض ، ودنيا العبودية والاستعباد ، ديا الحياة الفانية الزائلة المكدرة بالهموم والأمراض ، والأحزان والآلام ، الى ديا واسعة غير محدودة ، الى ديا اليقين والإيمان ، الى ديا القلب والروح ، والإيثار والمواساة ، والعدل

(١) فقد كتب إلى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم : « إياكم والتنعيم وزى العجم وعليكم بالشمس ، فإنها حارم العرب ، وتمعدوا (يعنى تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكان ذا غلظ وتقشف) واخشوشنوا (أى تخشعوا في المطعم والملبس) ... إلخ ، رواه البغوى عن عثمان النهدى .

والمساواة ، والعطف والرحمة ، والطيب والصفاء ، والخلود والبقاء . . دنيا لا كدر فيها ولا فساد ، ولا خوف فيها ولا حزن ، إنه كان يتمتع بهذا النعيم الذى حُرِّمه الفرس والرومان فى وقت واحد ، فكان ينظر الى مدينة الفرس والروم وحياتهم كقفص ضيق يختنق فيه الإنسان الحر الكريم ، المؤمن الواعى ، كما تختنق السمكة اذا أخرجت من الماء ووضعت على فراش وثير ناعم أو فى علبه ذهبية مزخرفة .

هذه نظرة أعرابى مسلم ، فكيف نظرنا نحن أيها الأخوان المثقفون ، أيها المعلمون الكبار ، يا أساتذة الجامعات ، يا موجهى التربية والتعليم ، يا حملة الأقلام ، يا سائحين فى أوروبا ، كيف نظرنا الى المدنية المعاصرة الرافضة ، هل هناك نسبة بين نظرة ذلك الأعرابى الذى لا ثقافة له ، والذى لم يعرف العالم مثلاً عرفنا ، ولم يدرس التاريخ مثلاً درسنا ، ولم يعرف تجارب الأمم مثلاً عرفنا ، ولم يقرأ الفلسفات ولم يتعمق فيها كما تعمقنا ؟؟ هذه نظرة رجل من العرب ملأه رسول الله ﷺ ، وملأه ثقة واعتزاز ، وإيمان وشجاعة ، واحتقارا للعالمية ومعرفة للحقيقة ، كان يستطيع أن يقول لأكبر قائد فى العالم المعاصر « رستم » الذى كان اسمه يخلع القلوب ، وكان بعد كسرى ، وفوق كل قائد وأمير فى فارس ، كان يستطيع أن يقول له وبصوت ملؤه التحكم والتهكم : أنا أرى لك يا رستم ، أنت فى الشقاء ، أنت فى ضيق من الدنيا ، ونحن العرب المسلمون الذين أبدانهم نصف عارية ، والذين أجفان سيوفهم بالية وثيابهم مرقعة ، ونعالمهم مخصوفة . . نحن نعيش فى الجنة وأنت تعيش فى جهنم !!

مالذى حملة على هذا القول ، القول الجريئ القوي ، الكلمة المدوية المجلجلة ؟ إنما هو إيمانه وثقته بشخصيته ، وبفضل رسالته والتعاليم التى أكرمه الله بها . . فكم منا أيها الأخوان . قولوا لي بصراحة : كم منا فى جامعاتنا ، وفى مكاتبنا وفى مكباتنا ، وكم منا فى أدبنا ، وفى شعرنا ، وصحافتنا ، من يستطيع أن يخاطب أوربياً أو أمريكياً ، يعيش على فئات مائدتنا : نحن الذين يغذونهم . . فلولا هذا النفط الذى يفيض من جزيرتكم ، لما كان لأمريكا ، ولما كان لأوربا هذه الصولة . . الأوربى الذى أفلس فى إيمانه ، وفى خلقه ، وفى شخصيته ، وهو الآن مصاب بالجذام الخلقى ، وبذلك دخلت حضارته فى دور التفسخ والتعفن ، وهو لا يعرف لها علاجاً ، ولا يملك لها زماماً . . تاجر مرتزق مستأثر مستغل ، تنكر للمسيحية قبل مدة طويلة ، فانقطع آخر خيط كان يربطه بالسما والنبوات والأخلاق ، بل بالعكس نظر اليه نظرة تمجيد وإجلال ، نظرة تقديس وتأييد ، ونحتقر

نفوسنا وحضارتنا ومثلنا وديننا ، أمام حضارته ومثله ، ونذوب أمامه كما يذوب الندى أمام الشمس ، والشمع أمام وهج النار ، ذاك العرني المسلم الذي عرف قيمته وقيمة رسالته ، يقول لرسم « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من ضيق الدنيا الى سعتها » والله : إن هذه الكلمة لو وضعت على الجبال لزال ، ولو وضعت على البحر لتبخر . فكيف بالقلوب ، كيف بالنفوس ، كيف بالضمائر؟ هذه النظرة التي كان ينظر بها المؤمن الواعي في عصر الدعوة الإسلامية الأول ، الى المدينيات المعاصرة الزائفة ، وهذه النظرة التي يجب أن ينظر بها المؤمن الواعي اليوم الى المدينة المعاصرة الزائفة . هذا الذي أريد أن أقوله اليوم وأتركه أمانة لكم في هذه المدينة الجميلة الزاهية ، العاصمة التي قفزت من الصحراء كزهرة جميلة ، فوصلت الى هذه القمة من المدينة ، أريد أن أقوله هنا ، وأرسله الى أقصى ما أستطيع أن أرسله اليه .

يجب أن ينظر العرب ، يجب أن ينظر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، بهذه النظرة الواعية ، بهذه النظرة المؤمنة المملوءة بالاعتزاز ، الى المدينة الزائفة المعاصرة التي تحيط بنا ، لسنا متطفلين ، لسنا أدعياء^(١) لسنا من الذين لفظتهم الأرض ، ما لنا نسب ، مالنا أصالة ، مالنا تراث ، مالنا حضارة ، مالنا تاريخ ، مالنا أجداد ، ولا أجداد ؛ لا ، لا . أيها السادة ، إننا أغنياء ، إننا معلمون للعالم ، إننا موجهون للأمم . لكن ما هو الواقع المرير الأليم ؟ الواقع أننا مسيروا لا مخيروا ، أننا موجهون - بفتح الجيم - لا موجهون - بكسر الجيم - أننا تلاميذ لا أساتذة ، أننا متطفلون ، لسنا أصحاب موائد وأصحاب كرم ، لسنا أصحاب شخصية !؟

وجزى الله المؤرخين العرب المسلمين الذين حفظوا هذه الكلمة الخالدة التي تلقى الأضواء على شخصية العرب الأولين الذين أكرمهم الله تعالى بالرسالة الخالدة ، والتي كانوا معترين بها كل الاعتزاز ، مكتفين بها كل الاكتفاء ، وكانوا يعتبرونها أفضل من كل شيء ، وكانوا يرون أن الشيء الذي لا ينبع من هذا المصدر ، ولا يرجع الى هذا الأصل أنه شيء ، لا قرار له ، وأنه شيء لا قيمة له ؟!

هكذا يجب أن يكون موقفنا إزاء المدينيات ، إزاء التحديات الجديدة التي تتحدانا بها هذه المدينة ، وهذه الفلسفات المعاصرة ، ليكن موقفنا موقف عملاق معتد بكرامته معتز بشخصيته ورسالته ، مستخدم لعقله ومواهبه ، حرّ في رفضه وقبوله ، مقتبس منها ما ينفعه

(١) أدعياء : جمع دعى وهو المتهم في نسبه ، والذي يدعى غير أبيه أو غير قومه .

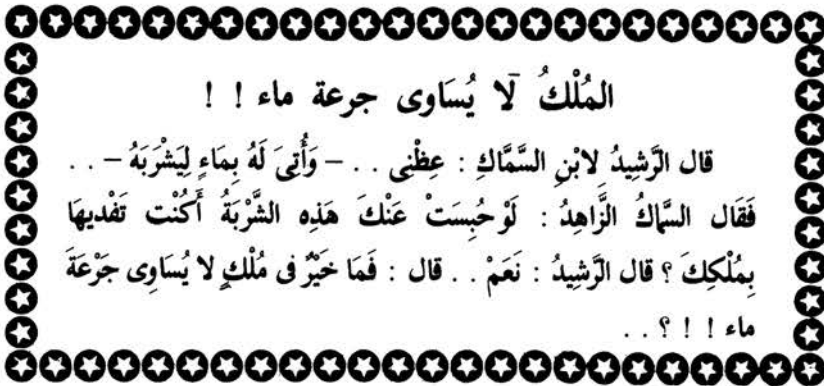
ولا يضره ، ويطابق أهدافه ومثله ولا ينافيها ، ويضفي عليه قوة جديدة ، ولا يوهن هيكله وينخره ، لا موقف قزم فقد الثقة وخسر الإيمان ، وتضاءل وانضوى أمام كل شبح من أشباح القوة والسلطان ، وأحب الحياة وأشفق من الموت ، وبعد عن ميدان المغامرة والطموح والأصالة والابتكار ، والامامة والقيادة ، فهو ينظر الى المدنية المعاصرة الزائفة كما ينظر طفل صغير واقف في سفح جبل الى قلته ، يتمنى لو ارتقى إليها ؟!

* * *

واختم حديثي هذا بمقطوعة شعرية لشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال ، خاطب فيها الشباب المسلم المثقف ، الذي سحرته المدنية الغربية ، فجهل شخصيته ، وجهل أبعادها وأعماقها ، ومضمراتها ومكنوناتها ، فعشق المادة ، وعاش في خوف من الموت .. يقول : « عجا لك أيها المسلم . تجلت لك الآفاق ، وغابت عنك نفسك ، الى متى تظل غافلا جاهلا ، وتجلس ضائعا عاطلا ، إنك نور قديم ، فأثر به الليل البهيم ، في كحك اليد البيضاء ، فاعمل بها عمل الكلم^(١) .

تخط حدود الآفاق الضيقة ، فأنت السابق لها والفائق عليها ، فقد كنت ولم تكن ، وستكون ولا تكون .

هل تخاف الموت أيها الإنسان الحى الخالد ؟ لقد كان جديرا بالموت أن يخافك ، فأنت تكمن له وترصد به ، اعلم يقينا أن الكريم إذا وهب شيئا لا يسلبه ولا يسترده .. وليس حتف ابن آدم في فراق الروح ، إنما حتفه في ضعف الإيمان والحرمان من اليقين^(٢) .



(١) يعنى بها موسى الكلم .

(٢) «روائع إقبال» ص ٩٨ بتعديل يسير .

الإسلام والمدنيّة الحديثة

العلماء أمم الأعلى المودورى

إن المدينة الحديثة التى يقوم فى ظلها نظام الحياة الحالى بمختلف فروعه العقائدية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية تتركز على دعائم ثلاث ، هى المبادئ الرئيسية الآتية :

العلمانية أو اللادينية

القومية

الديمقراطية

ولنبحث كل واحد منها على حدة ، ولنبدأ بأولها :

العلمانية :

يمكن إيجاز معنى العلمانية فى عبارة واحدة هى : عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وهذا يعنى أن العلمانية ترى أن العقيدة الدينية والهدى السماوى وما يتبع ذلك من اتباع الدين وطاعة الله ، والوقوف عند حدود شرعه لا يجب الالتزام بها إلا فى حياة الأفراد الشخصية ، أما ما عدا ذلك من شئون العالم فى حياة الناس فإنه يجب أن يعالج على أساس المادية البحتة ، وفق رغبات البشر ووجهات نظرهم وميولهم دون مراعاة الحياة وقد نشأت العلمانية نتيجة لرد الفعل الذى أصيب به الغربيون كراهية للآهوت ^(١) «Devenity» الذى افتعله الكهنة فى الديانة المسيحية ، حيث وقف هؤلاء حجر عثرة أمام الفكر الواعى الذى يهيم بحثاً وراء الحقيقة ، وحاربوا كل عقل متحرر مستنير ، فصنعوا لأنفسهم

(١) الآهوت : تعبير اصطلاحى فى الفلسفة المسيحية عند القائلين بالاتحاد وعلى رأسهم النسطورية . ويراد به الجزء الإلهى الذى حل فى المسيح الإنسان الذى يعبر عنه الناسوت فيقولون : أنه الآهوت حل فى الناسوت ، والأستاذ يريد بالآهوت هنا فكرة السلطة الإلهية التى ادعاها رجال الكنيسة لأنفسهم ، بسطاً لنفوذهم - وتحققاً لمطامعهم وأهوائهم - بمحاربة كل فكر متحرر ، واتهامه بالزندقة والإلحاد .

بهذا الموقف أغلال مهانتهم . ولم يلبث الأمر طويلا حتى تحول العداء لفكرة اللاهوت الى نظرية مستقلة وأصبحت هذه النظرية حجر الأساس في قاعدة المدنية الغربية .

قد نسمع كثيرا من يقول : الدين صلة بين العبد وربّه . وهذه الجملة القصيرة هي العقيدة التي تدين بها المدنية الحديثة ، وهي تعنى أنه إذا كان الإنسان يؤمن بوجود إله يستحق العبادة وحده دون سواه . فله أن يعتقد ذلك على أن تكون عبادته في نطاق حياته الفردية . وليس لهذا الإله ولأديانه السامية سلطة على شئون العالم تتحكم في مقدراته . وعلى هذه العقيدة أُرست المدنية الحديثة قواعدها ، وأقامت أنظمتها بحياة بكافة العلاقات الإنسانية في صلة الإنسان بأخيه ، متحررة من السلطة الإلهية والتشريعية في ميادين الحياة كلها : الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والقانونية ، والسياسية ، وشئون الحكم والإدارة والعلاقات الدولية ، فكل شأن من شئون الحياة البشرية التي لا حصر لها إنما يعتمد على معارف الإنسانية المكتسبة ، ويكون وفق رغباته الخاصة ، ولا ينبغي السؤال بعد ذلك عما إذا كان الله قد شرع للإنسانية في هذا السبيل شيئا من المبادئ ، والأسس أم لا ؟ بل أصبح مثل هذا السؤال رجعية وتخلفا .

وليت الأمر اقتصر على التحرر من سلطة الله والدين في الحياة الاجتماعية لتسلم الحياة الفردية التعبدية ، فإن فكرة التحرر من شريعة الله في الشؤون الاجتماعية قد حولت حياة المجتمع ولا تزال تحولها الى حياة علمانية محضة . لأن هذه الثمرة التي يجنيها المجتمع العلماني من التعليم اللاديني ، فمن الضروري في مثل هذا المجتمع أن يصبح الأفراد الذين يؤمنون بوجود إله يستحق العبادة : قلة نادرة . لاسيما الذين يتولون قيادة المدنية الحديثة ، بل ان هؤلاء - بصفة خاصة - قد استهانوا بالدين في حياتهم الشخصية وتمزقت صلتهم الفردية بالله إرباً إرباً ، وانفصموا من عُراها انفصاما كاملا .

القومية :

كان لتعسف البابوات والقيصرة في أوروبا فعل سيئ نشأت عنه القومية ، حيث هب رجال الإقطاع من أمراء وملوك للخلاص من تحكم الكنيسة وقيصرة الامبراطورية الجرمانية المقدسة ، أي السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، فإن هاتين السلطتين قد فرضتا الحكم التعسفي لأمد طويل ، وتلاعبتا بمقدرات البلاد حتى تدهورت وأصبحت في حالة يرثى لها ، ووضع لا تحسد عليه .

ولذا كان هدف الحركة القومية في منشئها أن تعطى للقوميات المختلفة حرية ممارسة حق سيادتها في أرضها بكافة الحقوق السياسية والتجارية والاقتصادية وغيرها ، حتى تكون أداة في أيدي السلطات الروحية والزمنية الموجودة في العالم .

ومن هذه البداية السهلة البريئة في ظاهرها تطورت فكرة القومية من رحلة الى أخرى الى أن صارت في موضع القداسة ، وخرجت عن أن تكون وسيلة للتخلص من تحكم الكنيسة وقيصرية الامبراطورية ، وأصبحت هدفا وغاية ، بل غدت معبودة من دون الله الذي استبعدته العلمانية الغربية من قبل عن شؤون الحياة^(١) .

وابتدعت القومية مناهج وقيا جديدة ، وجعلت مقياسها الوحيد الذي تزن به الأمور هو مصلحة الأمة ورغباتها . فأصبحت الفضيلة في نظر المناهج القومية وأعرافها هي ما يحقق مصالح الأمة ويسائر رغباتها ولو كانت لحمتها الكذب والتزوير والخيانة ، وسدأها الظلم والعدوان أو أى جريمة أخرى مما يعد في الدين والأخلاق ذنبا لا يغتفر . وعلى النقيض من ذلك أصبح الشر هو ما يمس مصالح الأمة ويُسيئ إليها ولو كان في حقيقته من أسس واجبات الحق والعدل والصدق وسائر ما يعتبر لدى الدين والإنسانية فضائل خلقية . كما أصبحت بطولة الأفراد تقاس بما يقدمه أحدهم من تضحية لمصالح الأمة أيا كان نوع هذه التضحية ، بالنفس أو المال أو الوقت ، بل وبالفضائل الخلقية والمعايير الإنسانية والكرامة الشخصية كذلك . إذ أنه على هؤلاء الأفراد أن يكرسوا جهودهم متساندين في سبيل تحقيق آمال الأمة وأمانها لأن غايتهم الجماعية القصوى تنحصر في جمع أكبر عدد ممكن من الأفراد الذين يلتقون في صف واحد مُنسَقٍ ، وتتضافر جهودهم لرفع راية أمتهم خفاقة مستعيلة على رايات الأمم الأخرى .

وصار من المصطلحات المألوفة في قاموس القومية :

الويل للمغلوب ، والغاية تبرر الوسيلة ، ولا مكان للضعيف تحت الشمس ، وقَتْلُ شعب آمن قضية فيها نظر ، واكذب حتى يصدق الناس . والاستعمار والوصاية والحماية والانتداب ، بل أصبحت هذه المصطلحات مبادئ سامية في نظر القومية ، تتردد على الألسنة من حين لآخر طالما كانت في خدمة المآرب القومية وتأمين رغباتها ومطالبها .

(١) وبهذا تتضح الصلة بين العلمانية والقومية فكلاهما قرين للآخر في عوامل نشأته .

الديمقراطية . . أو الشعب مصدر السلطات :

نشأت فكرة الديمقراطية أول الأمر في عهد الإقطاع بأوروبا في محاولة للتمرد على تسلط الإقطاعيين لإنقاذ جماهير الشعوب من محالهم . وإذا كانت الديمقراطية تعنى أنه ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أى حق فى فرض إرادتها على الملايين من الناس واستخدامهم لإشباع المطامع الخاصة والأنانية الشخصية ، فلا شك أنها بهذا المعنى كانت صحيحة لا تعارض الحق غير أن الديمقراطية بجانب هذه الصورة السلبية تتضمن صورة إيجابية أخرى ، وهى : إشعار كل شعب فى كل بلد بأنه سيد نفسه وحاكمها .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لظلت الديمقراطية فى غاية من الصحة كذلك . ولكنها انحرفت وتحولت فيما بعد عن مفهومها الصحيح ، وأصبحت تعنى إطلاق العنان لتصرفات كل أمة لتحقيق رغباتها كيف تشاء ؟ هذه الرغبات التى تمثل فى الواقع رأى الأكثرية ، لا رأى أفراد الأمة جميعاً^(١) وليس هناك من ضابط يضبط هذه الرغبات^(٢)

فقوانين البلاد ومبادئها وانظمتها فى الاخلاق أو المدنية أو الاجتماع أو السياسة اخذت صفة الحق وتصير صحيحة مادامت تؤيد رغبات أكثرية الأمة ، وتأخذ صفة الباطل وتصير خطأ مادامت تجافى هذه الرغبات التى تتبع أهواء النفوس وتميل معها . ولهذا الأكثرية أن تسن من القوانين ما تشاء وتلغى ما تشاء ، وعلى الحكومة التى تمثلها ان تركز جميع امكانياتها لتحقيق الامانى القومية .

وخلاصة القول : فكل ما سائر أهواء الأكثرية ومالأها ، كان خيراً وحقاً وعدلاً ولو كان فى الواقع شراً وباطلاً وظلماً ، وكل ما جانب تلك الأهواء وجافاها كان محض شر ولو كان فيه الخير العميم .

ومن الطبيعى أنه فى ظل هذه الديمقراطية تتلاعب الأكثرية بالقوانين والأنظمة فتغير فيها وتبدل وفق الرغبات والأهواء لا وفق قواعد الحق الثابتة التى لا تخضع لتبديل أو تغيير المبادئ الثلاثة فى الميزان .

تلك المبادئ الثلاثة التى ذكرناها آنفاً ، والتى تركز عليها دعائم الدولة القومية

(١) لأن الحكم يكون للأكثرية ، وتعتبر القرارات فى المجالس النيابية قانونية إذا أقرها أكثر الأعضاء ، ولا يشترط أن يكون القرار إجماعياً .

(٢) لأنه لا مقياس لها فى الخير والشر سوى رغبات الناس أنفسهم .

الديمقراطية العلمانية .

هى روح الحياة المعاصرة التى يعتبرونها أرقى صورة وأمثل طريقة لأى نظام حضارى ، أو تنظيم اجتماعى .

ونحن نرى أن المبادئ الثلاثة خاطئة فاسدة . بل نعتقد من قرارة أنفسنا عن بصيرة وهدى واقتناع ، أنها منبع الشرور والمصائب والمآسى التى تعانى الإنسانية من جرّائها اليوم ما تعانى ، وقد أخذنا على عاتقنا أن نحاربها ونحطمها ، حتى نجتثها من جذورها بكل ما لدينا من إمكانيات ووسائل .

أما كيف ننتقد هذه المبادئ ؟ وما منهجنا فى نقدنا ؟ فهذا يحتاج إلى بحث مستفيض ، ومناقشة مسهبة ، لا يتسع المقام للخوض فيها ، الا أننى سأحاول فى كلمات موجزة أن أفهمكم ذلك ، لتكونوا على بصيرة من أهمية معركتنا . تمكّنكم من تقدير مدى خطورتها وضرورة القيام بها للوقوف فى وجه تيار هذه المبادئ .

نقد العلمانية :

أما العلمانية - وهى حجر الأساس لنظام الحياة العصرية - فإن فكرتها التى تقصر العلاقة بين الإله والإنسان على حياة الفرد الخاصة وتستبعد هذه العلاقة من الحياة الاجتماعية فكرة فارغة غير ذات موضوع حتى تكون مجالا للتعقل والتفكير ، إذ أنه من الواضح بمكان أن العلاقة بين الإنسان والإله لا تتعدى أحد أمرين بحال من الأحوال : أحدهما : أن يكون الله هو خالق الإنسان وخالق الكون الذى يعيش فيه . وموجدتهما وسيدهما ، وحاكهما .

وثانيهما : أن لا يكون الله كذلك :

فإذا فرضنا التقدير الثانى ولم يكن الله هو الخالق السيد الحاكم فلا داعى على هذا التقدير أن تقوم أى علاقة خاصة معه ، لأنه من الخطأ والحمق أن نعبد كائناتنا ليست له بنا علاقة ، ولا يستطيع أن يفعل لأجلنا شيئا .

أما إذا كان الله هو الخالق السيد الحاكم للإنسان وللكون الذى يعيش فيه ، فليس من المعقول أن تقتصر أحكامه وتشريعاته على حياة الفرد الخاصة وتنتهى سلطته عندما تبدأ علاقة الفرد مع غيره فى الحياة الاجتماعية .

ولو ادَّعى إنسان أن الله هو الذى قصر سلطته وعلاقته بخلقته على حياة الفرد الخاصة فهذا الادعاء لا دليل عليه ، أما إذا كان الإنسان نفسه هو الذى ابتكر هذا الاستقلال فى حياته الخاصة وفرضه ، وأبعد السلطة الإلهية عن حياته الاجتماعية فى الشؤون كلها ، فإنه بذلك يكون قد أعلن عصيانه وتمرده على خالقه وسيده وحاكمه .

وليس هناك أسخف لدى العقول من أن يدعى كل إنسان بمفرده أنه عبد الله وخادم له ومتبع لدينه ، حتى إذا ما اجتمع مع غيره من الأفراد وكُونُوا مجتمعاً وشكلوا دولة ، تنكروا لعبوديتهم لله واستبعدوا دينه من حياتهم ، إذ ليس من المعقول أن يدعى كل جزء من أجزاء المجموع على حدة ، العبودية لله ، فإذا تكونت من الأجزاء كلها وحدة مجتمعة أصبحت خارجة عن هذه العبودية ، ولا يقول بهذا إلا من أصيب بالجنون .

وإذا لم تكن هناك حاجة إلى الله وهدية فى حياتنا العائلية ، ولا فى شؤون بلدتنا ولا فى حقل المدرسة والكلية ، ولا فى السوق والمتجر ، ولا فى البرلمان (مجلس الشورى) ومقر الحكم ، ولا فى المحكمة ، ولا فى الإدارة الحكومية ، ولا فى المعسكر الحرنى ، ولا فى مراكز الشرطة ، ولا فى ميدان القتال ، ولا فى مؤتمر الصلح - إذاً لم يكن هناك حاجة إلى الله وهدية فى هذا كله وفى نظائره من شؤون الحياة فأى معنى من معانى العبودية يبقى للإله المعبود ؟ وأى عقل يستسيغ آداء طقوس تعبدية للإله بعد سلطانه عن الحياة كلها بتلك الصورة فلا يأخذ بيدنا فى أى ناحية من النواحي . وقد غُطِلَ عن خصائص ألوهيته ؟ هذا من الناحية العقلية ، أما من الناحية العملية فإن هذه الفكرة تجر الإنسان إلى عواقب وخيمة ، ونتائج رهيبة ، لأن واقع الحياة يشهد بأنه لا تكاد علاقة الإنسان بالله تنقطع فى ناحية من نواحي الحياة حتى تتوثق علاقة الشيطان معه فى هذه الناحية .

ثم إن ما يدعونه من الحياة الفردية الخاصة ليس إلا مجرد وهم ، فالإنسان كائن اجتماعى ، وحياته فى كافة مراحلها حياة اجتماعية ، إنه يظهر إلى الوجود نتيجة لعلاقة اجتماعية بين الأبوين ، ويفتح عينيه فيجد نفسه بين أفراد أسرته ، وحين يشب ويتربع بمجتمعه ، تتوثق علاقته بأبناء بلده ومواطنيه وأمنه ، وتتوثق بما يسود هذه الأمة من نظام ثقافى واجتماعى واقتصادى وسياسى وهذه العلاقات المتعددة المتشعبة التى تربطه بالآخرين وتربط الآخرين به لا تحقق رفاهة الفرد ومجتمعه ، ولا تحقق للبشرية كلها نجاحها وتقدمها وازدهارها ، إلا إذا كانت على أسس صحيحة صالحة ، والله وحده هو الذى يعطى الإنسان أسساً عادلة نزيهة ثابتة توثق هذه العلاقات وتؤكد لها وثبت دعائمها ، وماذا

يبقى للإنسان من تعاليم اذا حرم نفسه من مصادر الهداية الثابتة ، والتوجيه السديد الخالد ، والعدالة السماوية ؟ سوى الهوى والشهوة والعلم الناقص والخبرة القاصرة ؟ ومادام الانسان بطبيعة خلقته لم يكن - ولن يكون - كائناتاً كاملاً فإن أحكامه وتشريعاته لن تكون أبداً كاملة لا يعثرها النقص .

لهذا فإن المجتمع الإلحادي اللاديني الذى يحتل فيه الإنسان مركز المشرع الموجه ، نرى مبادئه توضع لتلغى من حين لآخر وفق رغبات الشعب المتغيرة ، وأهوائه الجامحة . وفى استطاعتنا - من هذه الثغرة الكبيرة - أن نرى كيف تسربت مظالم الاستبداد ، وآثام الإلحاد ، وفقدان اليقين والثقة ، الى كل ناحية من نواحي العلائق الإنسانية ؟ . وكيف صبغت أنانية الفرد والطبقة والجنس كل أعمال البشر وظللها بظلمها القائم الرهيب .

ولو أننا تتبعنا العلاقات القائمة بين شخصين ، أو جماعتين ، أو شعبيين ، فإننا لن نجد صورة من صورها قد خلت من شرور الأنانية وأضرارها ، إذ أن كل شخص ، أو طبقة أو جماعة ، أو شعب أو دولة - كلٌّ فى نطاق تصرفاته ومدى سلطته - وضع مبادئ بأثرة بالغة تلائم رغباته ، وتبارك أهواءه ، دون أن يبالي بما عسى أن يكون لها من الآثار فى غيره من الأشخاص ، أو الطبقات ، أو الجماعات ، أو الشعوب ، أو الدول ، والشئ الوحيد الذى يلغون له بالاً عندما يتخذون لأنفسهم ما يتخذون من قرارات هو (العصا) رمز القوة والعنف - وحيث وجدت (العصا) تهز رأسها فى يد شخص أو طبقة أو شعب أو دولة يبدأ الآخرون يتقلص ظلهم ، وتراجع أيديهم وأرجلهم عن المكان الذى امتدت إليه ظلماً وزوراً إلى المكان الذى ينبغى أن تكون فيه وتقتصر عليه ، ومن الواضح أن (العصا) لن يكون لها شئ من الرشد أو الشعور بالعدل والإنصاف ، وانما هى قوة عمياء ، وهكذا فإن التوازن لا يقوم فى الدنيا أبداً على أساسها ، والذى تكون (عصاه) أكثر متانة وقوة من (عصا) غيره ، هو الذى يحتل مكانة الآخرين ، ويذهب بسلطانهم ، ويفرض سيطرته عليهم ، وهلم جراً .

هذا ، لأن الذى يتبنى العلمانية ويتخذها نظام حياته ينحدر بنفسه الى الهاوية ويصير عبداً لرغباته وأهوائه ، متحرراً من كل قيد ، سواء كان فرداً ، أو جماعة ، أو أمة أو مجموعة أُمم^(١) .

(١) العلمانية فى ظاهرها مصدر صناعى من العلم ، وربما تبادر الى الذهن أن المقصود بها قيام الدولة على أسس =

= علمية ، إلا أن مفهومها الحقيقي هو ما ذكره الأستاذ المدودي ، وكان من شعارها إقصاء الدين عن شؤون الحياة الاجتماعية : دع ما لله ، وما لقيصر لقيصر - والدين لله والوطن للجميع ، والمستغربون في ديار الإسلام ينحون هذا المنحى - والحق الذى لا مرأى فيه .

(أ) أن الإسلام لا يعرف الكهنوت ، ولا يقف حجر عثرة في وجه العقل البشرى المستنير، وإنما ينميه ويوجهه ويرفع مكانته ، وقد لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى الكون وما فيه ، وحث على تدبره والإفادة منه ، وجعل ذلك سبيل الاستدلال الفطرى على توحيد الله تعالى .
(ب) وأن الإيمان بالله يقتضى تحكيم شريعته في الحياة كلها ، لا في حياة الإنسان الخاصة وحدها ، وإلا كان كفرًا صريحًا .

(ج) وأنه ليس هناك شئ لله وآخر للناس ولو كانوا قياصرة ، لأن الكون كله لله والإسلام يجعل الحياة كلها متجهة نحو خالقها في اتباع هديه وابتغاء مرضاته أى أن الحياة الاجتماعية كالحياة الفردية تقوم على الهدى الإلهى في كافة أنظمتها لتسير على النهج الأقوم متجهة نحو الحياة الأفضل ، وهذا هو ما نعينه عندما نقول : الإسلام دين ودولة ، فتنى يعى الناس الحق ، وينيبون إلى الله بالإذعان لشريعته ؟ !

الكتب

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِغٍ^(١)

وَحَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

«المتنبى»

(١) السوابح : الخيل لسبحها بيديها في سيرها .

من ضيق الوطنية المحلية إلى سعة الإسلام العالمية

الأستاذ أحمد حسين

حب الوطن غريزة كامنة في النفس ، والبعض يتصور أن هذا الحب من قبيل الشعر أو التمسك بالشعارات ، حيث إن هذه المحبة هي جزء من كيان الإنسان ، إنها شيء جِبَلِي فطري ، وكما يتكون الإنسان ماديا في طفولته من أمه التي تغذيه من ذات نفسها ، فإن الإنسان يتكون بعد ذلك من البيئة المباشرة المحيطة به ابتداء من هوائها ومائها ، حتى كافة أنواع الأغذية والملبوسات ، التي تهيئها البيئة ، فصلة الإنسان بمسقط رأسه هي من قبيل صلة النبات بترته .

فحب الوطن أحد مكونات أى إنسان ، ومن يخلو قلبه من هذا الحب والإعزاز فهو إنسان شاذ لا يؤمن جانبه ، ومن هنا قيل : « إن حب الوطن من الإيمان . . »
ومما يروى عن سيدنا رسول الله ﷺ ، أنه وجه الحديث عند هجرته مخاطبا مكة قائلا « اللهم إنك تعلم أن مكة هي أحب بقاع الأرض إليّ ، وإلا أن قومك أخرجوني لما خرجت » ثم دعا الله قائلا : « اللهم حب إلينا يثرب كحبنا لمكة »^(١).

وروى ان المهاجرين ، مرض أكثرهم بحمى المدينة أول وصولهم إليها .
والخلاصة ان حب الوطن ليس من قبيل الشعر أو المناذاة بالشعارات ، وإنما هو كما قدمنا بعض مكونات الإنسان .

وبقى بعد ذلك أن هذا الوطن يكبر ويتسع وينمو بنمو الإنسان ، فوطن الإنسان الأول وهو في أول مراحل الطفولة ، هو أمه ، فهو يقضى فترة من حياته داخل رحمها الذى يشبه أن يكون جنة بالنسبة له ، ويكى الطفل ويصرخ ويتألم وهو يغادر هذا الوطن الخدود إلى ما هو أكثر رحابة ، وينمو الطفل وتنمو دنياه ، أو بالأحرى وطنه معه - ويصبح البيت ثم الحارة ومدرسة القرية فالقرية بأكملها وطن الصبي ، وهكذا يكبر وطن الإنسان .

(١) أو كما قال ، فقد جئنا بالمعنى .

وينمو بقدر نمو الإنسان وحظه من العلم والمعرفة وطول العمر ، ومدى ارتباطه ببعض البقاع والأمكنة .

حبي لمصر :

سُقت هذه المقدمة بين يدي ما سوف أقوله من تعلقى اليوم بالعالم الإسلامى شرقه وغربه ، واعترازى ، بل وفرحى بكل بادرة خير أسمع عنها لأى مسلم فى أى ركن من أركان العالم الإسلامى ، بعد أن أصبح هذا العالم الكبير هو وطنى بكل ما تحمله كلمة الوطن من معنى بالنسبة للمواطن .

ولقد كان حبي لمصر مضرب المثل ، والتندر فى بعض الأحيان كأن يقال « مجنون مصر » فقد كانت صيحاتى « امجد لمصر ، مصر فوق الجميع » .

واليوم أصبح كل فكرى وخواطرى مع الإسلام والعالم الإسلامى ، تاركا لغيرى وخاصة من الشباب أن يحبوا مصر ويتدلّوها فى حبها ما شاءوا ، حيث أصبح ما أحبه فى مصر هو بمقدار ما وعى شعبها الإسلام ، وما عمله الأزهر فى المحافظة على علوم الإسلام ، وما فعلته جيوش مصر من إنقاذ للعالم الإسلامى من الصليبيين والتتار ، وما فعلته وسوف تفعله عن قريب فى دفع غارة الصهيونية والماركسية على الإسلام .

أى إن حبي لمصر أصبح مرتبطا بدورها فى الإسلام .

نمو طبيعى :

وقد يرى البعض فى ذلك بعض التحول والتغير ، ولكنه فى الحقيقة لا يعدو أن يكون تطورا طبيعيا تفسره المقدمة التى سقتها ، فحيث ذوى جسدى ، ولم أعد سوى فكر فقد أصبحت أتعلق بالفكر . . . ولما كان فكر مصر إسلاميا ، فلم أعد أنجأب إلا مع الإسلام ، ولم تعد اهتماماتى بالشئون المحلية الضيقة ، فهذه أصبحت لها رجالها وشبابها يعالجون قضاياها ومشاكلها ، وليس بقدرتى ، أن أعالج أو أسهم فى علاج العالم الإسلامى عن غير طريق الفكر أبسطه على صفحات ، مجلة الأزهر ، ليصل الى أرجاء العالم الإسلامى . .

حتمية الاسلام بالنسبة للعالم :

ولقد سمعنا فيما سمعنا عن حتمية « الحل الاشتراكى » وهو قول سرعان ما كشفت الأيام

عن زيفه . لا أقول في بلادنا ، فهي بلاد إسلامية والحمد لله ، ولكن زيف هذا القول ثبت في بلاد يترعماها أحد زعماء الماركسيين ، وأعنى به المارشال «تيتو» في يوجوسلافيا ، فقد حدثني الثقة الأمين ، وكان قد زار ولاية البوسنة والمهرسك لحضور الاحتفال بافتتاح أول كلية إسلامية في أوروبا كلها ، حدثني عن شباب المسلمين في يوجوسلافيا وكيف يشغلون حماسه ، ويتأججون بنور الإسلام ، ويرون في كليتهم ، الفصل الأول في كتاب جامعة يوجوسلافيا الإسلامية ، أى بعد نصف قرن من انتصار الماركسية بنحو ضوؤها في أحد معاقليها ويزدهر الإسلام لا الماركسية ، ولست أريد أن أسهب طويلا في سرد البيانات والأمثلة التي أجهزت على حكاية حتمية الحل الاشتراكي ، وحسبى أن أذكر أن الاتحاد السوفيتي نفسه راعه تناقص الانتاج باستمرار ولم يجزؤ بطبيعة الحال أن ينادى بالعودة إلى النظام الرأسمالي ، فاكفى بأن فتح بابه لرؤوس الأموال الأجنبية ، وبدأ هو في اتباع أساليب الانتاج الرأسمالي من حيث إطلاق الخوافر وغريزة التملك ، وهكذا انتهت خرافة الماركسية بعد ثلثي قرن من التطبيق .

الإسلام في مواجهة الإلحاد :

وفي إيماني أن موجة الإلحاد لن تزول من الكون ، فقد كانت على مر التاريخ وستبقى وقد حدثنا القرآن الكريم عن الدهريين ، «وما يهلكنا إلا الدهر» ولكن الشيء المحقق أن هذه الموجة من الإلحاد والإيمان بالمادة في طريقها إلى الانحسار ، بعد أن بلغت ذروتها ، ولم تلق الإنسانية منها سوى التعاسة ومزيد من التعاسة ، وليس سوى الإسلام من يعيد البشري إلى التوازن بين الروح والمادة ، وهذا التوازن هو إكسير الحياة ، وهو الحل الطبيعي لمواجهة مشاكلها ومصاعبها ، فقد نعمت أوروبا وأمريكا بالحياة والتقدم والحضارة ، عندما اعتنقت تعاليم الإسلام (من حيث لا تدري) ونحن نشهد اليوم بدء انحسار ذلك كله عنها ، بعد أن بعدت عن تعاليم الإسلام التي تقوم على الجانبين الروحي والمادى معا ، وأوغلوا في المادية والإلحاد .

ولماذا الإسلام :

وقد يبدو كلامي غريبا بعض الشيء ، وأنا أتحدث عن أوروبا وأمريكا ونجاحها بعد أن اعتنقا تعاليم الإسلام ، حيث المشهور والمعلوم والمتفق عليه : أن أوروبا وأمريكا تدينان

بالمسيحية ، والحقيقة انها يدعيان ذلك بنجود المكابرة والكبرياء في مواجهة العالم الإسلامي ، والحقيقة التي لا مراء فيها أنه ليس لكل من يدعى المسيحية اليوم سوى الاسم ، أما السلوك والتعامل والأخلاق والتشريع والنظم (واعني الخير والحسن من كل ذلك) فهو في حقيقته من صميم التعاليم الإسلامية - وإن ادعى القوم خلاف ذلك - ويكفي أن تعلم أن المسيحية براء من كل ما تراه ، وماكان من حضارة وتقدم ، وقبل أن أزيدك شرحاً فأريد أن أسرع لأجعلك تظمن : أنني لا ألقى الكلام على عواهنه ، ولست أسرف في إصدار أحكامي ، فضلاً عن أن أتكلم بغير علم .

عصور الظلام :

فالأوروبيون يطلقون على العصر الذي سادت فيه المسيحية أوروبا ، وبلغ سلطان الكنيسة الى ذروته ، وكان كل إنسان ابتداء من الراعي حتى الامبراطور محكوماً بالمسيحية ، هذا هو الوقت الذي يسميه « الأوروبيون المسيحيون » - وليس نحن - بـ « عصور الظلام » وقد تنصور أن التعبير بـ « العصور المظلمة » هو مجرد كلمة بيانية لا تعني شيئاً ، كلا يا صديقي ، لقد كانت ظلاماً بمعنى أنها كانت عصور جهالة وقذارة وعفن ، ولن أسهب في ذلك ، والآطال بنا المدى^(١) . وحسبي أن أذكر واقعة واحدة ترمز لذلك كله ، فقد أرسل هارون الرشيد ، لشارلمان سيد أوروبا كلها ، ساعة تعمل بقوة الماء ، وذلك على سبيل الهدية ، فاعتبر كل من يحيط بشارلمان هذه « الساعة » شيئاً من صنع الجن والعفاريت ، ولكي تكمل القصة فقد بقي أن تعرف أن شارلمان هذا لم يكن يعرف أن يكتب اسمه ، فكان يوقع مراسيمه وأوامره وخطاباته بأن يرسم علامة الصليب ، ولا عجب في ذلك فقد كان هذا شأن الرقي المسيحي ، لأن الديانة المسيحية كما سوف أحدثك عنها في مقال قادم ، لا يمكن أن تنتج إلا هذا ، وحسبك أن تعلم أن شعار الكنيسة في ذلك الوقت كان هو « اطفئ سراج عقلك واعتقد » واطفاً المسيحيون سراج عقولهم ، فأغلقت المدارس وتوقف التعليم وساد الظلام .

وجاء الاسلام :

يُعلَى من شأن العقل ، ويدعو إلى العلم والفكر ويطهر العقيدة ، عقيدة التوحيد ، بما يجعلها قوة محركة تدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والتعمير ، وكل مظاهر الرقي والتحضّر

(١) إقرأ للمؤلف كتاب « تاريخ الإنسانية » أوكتاب « الأمة الإنسانية »

الإنسانى وسرى ذلك كله إلى أوروبا ، فقد كان المسلمون هم الذين سحقوا قوة الفرس والروم فى سنوات معدودات فأثبتوا بذلك أنهم الناس ، وإن دينهم هو الحق ، ولولم يعترف الإسلام بالمسيحية لزال كمال ديانة فارس الوثنية ، ولكن القرآن أقر المسيحية واليهودية وأن جوهرهما هو جوهر الإسلام ، ولكن الكهنة (أى الكنيسة) هى التى شوهت جوهر الدينين ، وحرفت كتبهما ، بل جاءت بكتب غير الكتب ، وبعد أن اطمأن المسيحيون واليهود إلى أن القرآن يعترف بهم ، أسرعوا يصلحون من أحوالهم ، ويظهروا معتقداتهم ، فإذا كان الإسلام ينادى بوحداية الله المطلقة فليكن هذا قول المسيحيين ، وليؤولوا حديثهم عن الآلهة الثلاثة ، أنها صفات وأسماء لله ، ولكن الأساس هو « وحداية الله » فعندما نسمع أى مسيحى يقول لك بالفم المليان « الله الواحد » فاعلم أن ذلك هو أثر الإسلام . وإذا كان الإسلام يحارب الأصنام والتماثيل والنُصُب ، فليفعل المسيحيون ذلك ، فكانت حركة « اللاأيقونات » فى بيزنطية وهى تحطيم التماثيل فى الكنائس ، وكان الإصلاح الدينى فى أوروبا ، على دعامين من دعائم الإسلام ، وهما : لا وساطة بين العبد والرب ، ولا أصنام فى الكنيسة .

مبادئ السلوك والنجاح فى الحياة :

واقبس المسيحيون كل تعاليم الإسلام فى السلوك ومقومات النجاح فى معركة الحياة ، فالقوم الذين يقدسون القذارة ، نقلوا من المسلمين النظافة ، والقوم الذين أطفأوا سراج عقولهم ليكونوا مسيحيين طيين أناروا هذه العقول ، والقوم الذين كفوا عن كل عمل فى انتظار « يوم الدينونة » الذى أنبأهم « بولس أبو المسيحية الأوروبية » أنه على الأبواب ، رموا بهذا القول وراء ظهورهم وراحوا يعملون كما يعمل المسلمون . والقوم الذين لخصوا كل عقيدتهم فى الإيمان بأن المسيح قد خلصهم وفداهم بنفسه ، فلا عليهم من فعل أى شئ .. طرح المسيحيون هذا المعتقد وتحلوا بأخلاق القرآن من استقامة وفضيلة وأمانة .

وعلى هذه الأسس التى هى دعوة الإسلام ، وليست هى دعوة اليهودية والنصرانية اللتين كانتا قد انتبيا إلى أن يكونا دينين وثنيين ، مائة فى المائة نهضت أوروبا وكان منها هذا الذى كان باعتراف التعاليم والمبادئ الإسلامية .

الزواج طمأنينة ومودة ورحمة

فضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالى :

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون»

سورة الروم ٣٠ الآية ٢١ .

البيان

يمضي الرجل يومه جاهداً من أجل طعامه وطعام ذويه وخدمة مجتمعه ، ثم يعود إلى منزله كليلاً مُرهقاً محطّماً الأعصاب وقد ولى النهار أوكاد .
ثما لم يجد في بيته من أسباب الراحة ما يسترد به أنفاسه الحرة ، ويعيد إليه نشاطه الطليق ، فإنه يرجع إلى عمله في اليوم التالي وهو يشعر بثقل الحياة على كتفيه ، ويحسّ بالمتاعب في أعماقه ، ويجد نفسه غير منبئة إلى الجد ، ورجليه لا تطاوعانه في مسيره ، ويديه لا تعملان في استجابة ونشاط .

ومن آيات الله الدالة على باهر قدرته وحكمته ، وعظيم فضله ورحمته ، أن خلق لنا من أنفسنا زوجات لتطمئن إليهنّ النفوس ، وتستريح إلى مودتهنّ القلوب ، وليكنّ منابع الرحمة للأزواج المكدودين ، فيبدّلهم من تعبهم راحة ، ومن كسلهم نشاطاً ، فيخرجون إلى أعمالهم والابتسامة تملو شفاههم ، والرغبة في الجد والعمل تملأ صدورهم ، وتفيض على تفكيرهم وأعضائهم حركة ونشاطاً .

فعلى كل زوجة أن تدرك أن بديع السموات والأرض خلقها لتحقيق هذه الأغراض الشريفة ، فتعمل على أن تكون هي الواحة الخضراء التي يتقيأ زوجها ظلها إذا عاد من عمله يتصب عرقاً ، وأن تكون النسيم العليل الذي يمر به برفق فينعش فؤاده ، فإن راحة

زوجها راحة لها ، وهناءً هناؤها ، فإن كانت على عكس ذلك حطمت وحطمت نفسها وأولادها .

ولكى تكون الحياة الزوجية وافية بما خلقت لأجله ، رتب الشريعة الإسلامية لكل من الزوجين حقوقاً على الآخر ، فإن أداها على وجهها المشروع أعطت ثمرتها من الهناء والسعادة ما يديم الابتسامة على الثغور ، والغبطة فى القلوب ، وإن قصر فيها انعكست الآثار على قدر ما حدث من التقصير ، وفيما يلي حقوق كلا الزوجين على الآخر :

حقوق الزوج على زوجته

من حق الزوج على زوجته أن تكون حفيظة على ماله - إن كان لديها منه شيء - فلا تنفق منه شيئاً ولا تعطيه لأحد إلا بأذنه ولو كان على وجه الصدقة ، ما لم يكن طعاماً رطباً يخشى فسادَه إن بقي ، فلها أن لا تنتظر إذنه فيه ، فإن الأزواج عادة لا يمانعون فى التصديق بمثله ، كما أنه لا فائدة فى إبقائه حتى يحضر الزوج فتستأذنه ، لأنه عرضة للفساد ولها أن تصدق ببعض ماله إن علمت يقيناً أنه يرضى بما فعلت ، وإن لم يأذن فيه بعينه ، وعليها أن تبلغه بما تصدقت به ، فربما بدا له أن يرشدها إلى أمر لم تنبه له ، أو أن يضع لها خطة جديدة تتفق مع ما طرأ على موارده المالية من نقص .

ومن حقه عليها أن تحفظ سره فلا تبديه لقريب أو بعيد ، وأن تحفظ عرضه فى نفسها وفى بناته وأخواته ، فلا تخونه فى شيء من ذلك ، وأن تبتعد عمّا من شأنه أن يؤدى إلى الخيانة أو يثير الشبهات ، فلا تأذن لصديقة أو لأمى رجل بدخول داره فى غيبته ، فإن ذلك مصدر شركير ، وعليها أن لا تجالس الرجال الأجانب وحدها أو مع زوجها ، ففى ذلك إزالة لحاجز الحياء الذى يمنع المرأة عما لا يليق ، وكثيراً ما يكون ذلك وسيلة لمودة غير مشروعة ، ومجلبة لخراب البيوت ، وعليها أن لا تخرج من البيت بغير إذنه ، فإن أذن لها فخرجت فى غير زينة ، وفى ثياب محتشمة ، والأفضل أن يكون خروجها بصحبة زوجها ، فإن ذلك يدعو إلى الطمأنينة بين الزوجين ، ويبعد أصحاب الفضول ، وتعلم الزوجة أن بقاءها بمنزلها يرضى ربها ، بل صلاتها فيه خير من صلاتها فى المسجد ، قال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى عُقر بيتها - أى وسطه - وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد » إلى آخر الحديث ، ومن حقه عليها أن لا تختلط بجاراتها - وبخاصة فى هذا الزمان الذى فسدت فيه المعايير الخلقية - وعليها أن

لا تتصل بهن إلا في حدود الضرورة أو ما يشبهها ، ولتخذر من إخبارهن بأسرار زوجها ، حتى لا تستخدم تلك الأسرار في الإضرار بها أو بزوجها ، فإن كيد النساء عظيم ، فلتفوت على أصحاب الغرض أطعمهم لتعيش مع زوجها في سلام .

وعليها أن تبعد عن كل من ينفرها من عشرته ، ولا تسمح لنفسها بالاستماع إلى من ينتقص خلقه أو ماله أو شهادته أو وظيفته أو حسبه أو نسبه أو جاله ، ولترض بما قسم الله لها في شأن زوجها ، ولتعلم أن أهم ما يطلب في الزوج عفة اليد واللسان ، والاستقامة على منهج الحق ، والحب لزوجته والقيام بشئون بيته على قدر استطاعته ، فإذا توفر فيه ذلك ، فقد توفرت لها أسباب السعادة والهناء ، وما سوى ذلك فسراب خادع ، وظل زائل .

العسر الطارئ ليس بعيب

الحياة لا تمضي على نسق واحد ، فقد يطرأ على الزوج عسر بعد يسر ، فلا يدفعها هذا إلى كراهة زوجها وتحويل حياته إلى جحيم ، وينبغي أن تساعدته في محنته بالصبر وبعث الأمل في نفسه ، وإرشاده إلى ما قد يكون خفي عليه من أبواب الاسترزاق ، ومساعدته في محنته إن كانت تقدر عليها ، بشرط أن تكون المساعدة من منبع شريف ، فإذا تحقق ذلك أمكن أن يتحول عسر الزوج إلى يسر ، قال تعالى «فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» .

وبالجملة : فالحب والرضا بين الزوجين هما صمام الأمان ، والعاصم من ريب الزمان ، والفقير لا يعيب الرجال ، فكم يبدل الله من حال إلى حال ، روى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت : تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه وناضحه^(١) فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لِنَاضِحِهِ^(٢) وأعلفه ، وأستقي الماء ، وَأَخْرَزُ غَرَبَهُ^(٣) وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ ، حتى أرسل لي أبو بكر جارية ، فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني .
فها هي ذى أسماء ذات النطاقين ، زَوْجُهَا والدها أبو بكر الصديق للزبير بن العوام ، في حين أن أبا بكر كان خير الرجال حسباً ونسباً وسابقة في الإسلام ومن أعظمهم مالاً ،

(١) الناضح الحمل أو الناقة .

(٢) أى تدق النوى لِنَاضِحِهِ .

(٣) أى أخيط دلوه الكبيرة التي يسقى بها النخل .

وأن الزبير كان وقت تزوجه بها فقيراً ، فاحتملت فقره وساعدته في شئونه ، وصبرت حتى جاء اليسر بعد العسر .

وقد كان للزبير بعد ذلك شأن عظيم في الفتوحات الإسلامية ، وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من أولاده من أسماء : عبد الله بن الزبير الذي بوع خليفة على المسلمين بالمدينة ، وقاتله جيش يزيد بن معاوية ، وقتل شهيداً - رحمه الله - ولا يعيب الزوج أنه غير جميل ، فالجمال الحقيقي هو جمال الخلق ورقة الشمائل وسعة الأفق ، والبشرُ وطلاقة الوجه ونقاء القلب ، فلا ينبغي أن تفخر عليه الزوجة بجمالها أوتزديه لدامة خلقتها ، قال الأصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة من أحسن الناس وجهاً ، متزوجة رجلاً من أقبحهم وجهاً ، فقالت لها : أترضين أن تكوني زوجة مثله ، فقلت : يا هذا لقد أسأت في قولك . لعله أحسنَ فيما بينه وبين الله فجَعَلَنِي ثوابه ، أو لعل أسأتُ فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي ، أفلا أرضى بما رضى الله لي ؟ قال الأصمعي : فأسكتني المرأة .

ولا ينبغي أن تفخر عليه بحسبها أو مالها أو شهادتها أو وظيفتها ، أو أن تعيره بفقر أسرته ، فمثل ذلك يوغر الصدر ، ويقضى على الألفة ، ويفتح أبواب الشقاق ، ويعرض الأسرة لهزات شديدة ، ويفسد أخلاق الأولاد ، ولا يستتبع أية فائدة ، ولا تفلح امرأة تتبع هذا النمط في عشتها الزوجية ، فإن كانت تريد بذلك أن يطلقها زوجها لتزوج سواه ، فهل ضمنت السعادة عند سواه حتى تهدم بيتها بيدها ، وهل فكرت في أولادها إن هي تركت أباهم إلى غيره ، وهل أمنت عقاب الله في الدنيا بالحرمان من السعادة الزوجية عند غيره ، وفي الآخرة بعذاب النار ، جزاء هذا البطر الأعمى .

ألا رحم الله امرأة راضية قانعة ، وأورثها السعادة في الدنيا والآخرة :

زينة المرأة لزوجها

من آداب الزوجة أن تظهر لزوجها في زينة وبهجة وانشراح ، حتى يشعر باهتمامها به ، وانعطافها نحوه ، فلا تنصرف لنفسه عنها .

ولا يمنعها دينها وصلاحتها عن التزين لزوجها ، قال تعالى « ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن » وقال الأصمعي : رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي محتضبة ، ويدها مِسْبَحَةٌ ، فقلت ما أبعد هذا من ذاك ، فقالت :

ولله منى جانب لا أضيعه وللهو منى والبطالة جانب
قال الأصمعي : فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تزين له فعلی الزوجة أن يكون همها
إصلاح شأنها ، وتنظيف نفسها وبيتها وأولادها ، لتدخل السرور على زوجها ، ولتحذر من
أن تكون زينتها للشارع وأعين الفضوليين من السابلة ، في حين أنها تهمل أمر نفسها أمام
زوجها في بيتها ، فإنها بذلك تنسب في لعن الملائكة لها ، وعودتها إلى منزلها بآثام لا تعلم
قدرها ، ومن يدري لعلها بما تفعله من التزين للغرباء تكون سبباً في ترويضها من رفعة الشرف
إلى ضعة الانحراف ، ومن عمار البيت إلى خرابه ، « وما ربك بظلام للعبيد » .

من آدابها

ينبغي للزوجة أن تقدم حق زوجها على حق أقاربها ، وأن يعف لسانها عن سب
أولادها وغيرهم ، وأن لا تراجع زوجها فيما لا يضرها السكوت عليه ، ما لم تكن المراجعة
لصالح الزوج والأولاد والأسرة ، فلها أن تراجع بأدب وحكمة وإقناع ومن آدابها أن تلازم
الصالح والانقباض إذا غاب زوجها ، فإذا عاد رجع إليها انبساطها ومرحها .
وينبغي أن لا تطالبه بأكثر من حاجتها ، ومن حق الله عليها في شأنه أن تنبهه إلى
الامتناع عن الكسب الحرام ، وتخوفه من عاقبته ، كما كان يفعل نساء السلف الصالح
وبنائهم ، ويحرم عليها أن تنكر إحسانه وتنكر لمعرفه وتتجنى على حقوقه ، قال ﷺ
« أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء : يَكْفُرْنَ : قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير
ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت
منك خيراً قط » .

وصية امرأة عظيمة لابنتها

لما تزوج الحارث بن عمر ملك كندة ، ابنة عوف بن محم الشيباني ، أوصتها أمها عند
فراقها لبيت أبيها إلى بيت زوجها ، وصية نافعة لكل فتاة ما استطاعت أن تعمل بما يناسبها
منها وفيما يلي نصها - قالت الأم لابنتها :

عليك بالصُّحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينيه ،
والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح ،
والكحل أحسن الكحل ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء

عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتنغيص النوم مَبْغَضَةٌ ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال جميل التدبير ، ولا تفشى له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفسيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أُوغرت صدره ، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكْتِتابَ إن كان فَرَحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفى أشد ما تكونين له إعظماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يُخَيِّرُكَ . . . اهـ .

وقد عملت ابنتها بوصيتها ، فعمرت وأنجبت منه الملوك السبعة الذين حكموا اليمن بعده .

حقوق الزوجة على زوجها

كما ذكرنا حقوق الزوج على زوجته ، نذكر فيما يلي حقوق الزوجة على زوجها ، حتى لا يظن الأزواج أن كل الحقوق لهم ، وليس عليهم لزوجاتهم مثلها ، وقد قرر الإسلام ذلك ، قال الله تعالى «ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة» وكيف لا يكون الأمر كذلك وكلا الزوجين شريك الآخر فى مزرعة الحياة ، فعلى كل من الشريكين مثل ماله نحو الشريك الآخر .

وأول حقوق الزوجة على زوجها أن يتزوجها بصدّاق عاجل أو آجل ، أو بعضه عاجل والآخر آجل ، قال تعالى «وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة» فإذا زُفّت إليه عاشرها بالمعروف ، لأن الزواج شرع ليدوم ، ولا يدوم إلا مع العشرة الهنيئة ، وبما أن الزوجة تركت أسرتها التى هى جزء منها ، وانتقلت إليه وهو منها غريب ، فالواجب يقتضيه أن يُسَلِّبها عن هذه الفارقة بعشرة هنيئة لينة ، حتى تزول الوحشة بينه وبينها وتستبدل بها ألفة ، وقد أوصى الله بحسن عشرين بقوله «وعاشروهنّ بالمعروف» ولا ينبغى أن يديم مؤاخذتها على الهفوات ، فمن من الناس لا يخطئ ؟ ولا بأس أن يعظها بالمعروف من غير تأنيب ولا تعنيف ، ويجعل ذلك الوعظ فى أسلوب الإرشاد إلى الخير ، والرغبة فى الوصول دائماً إلى درجة أحسن ، فإن الكمال الإنسانى لا يتناهى ، وقد أوصى النبي ﷺ بهن فقال «استوصوا بالنساء خيراً» فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه ، فإن ذهب تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً» .

ومن حسن العشرة مداعبة الزوجة والمزاح معها ، ففي ذلك تطيب لقلبها ، وقد كان النبي ﷺ يمزح مع نساؤه ويعاملهن كزوج ، وينزل تكمراً لمستوى عقولهن ، روى أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو ، فسبقته يوماً ، ثم سبقها وقال لها : هذه بتلك ، وفي الخبر أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نساؤه ، أقول : وكان ذلك منه ﷺ مراعاة لبشريتهن ، والجانب البشري منه ﷺ ، فالنبوة لا تتعارض مع حقوق البشرية .

وكان عمر مع خشونته يقول : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجدر جلاً ، أى فإذا طلبوا ما عنده وقت الجد كان رجلاً كاملاً الرجولة .

لا تبالغ في الدعابة والمزاح

ينبغي أن لا يبالغ الزوج في الدعابة ولين الخلق مع الزوجة ، حتى لا تسقط هيئته ، فتجترئ عليه وتفسد أخلاقها ، فالاعتدال في ذلك هو اللائق بأخلاق الزوج المؤمن ، فإذا رأى ما يخالف الشرع أو الأدب ، أظهر الجِدَّ وامتنع حتى تثوب إلى رشدها ، ولا تندفع في سوء الأدب ومخالفة الشرع ، قال ﷺ « تَعَسَّ عبد الزوجة » وهو الذى تسيره زوجته على هواها ، فلا يليق أن يمكِّن رجل لزوجته من نفسه ، فيعكس الوضع الذى شرعه الله « الرجال قوامون على النساء » .

قال الحسن : ما أصبح رجل يطيع أمراًته فيما تهوى إلا كَبَّه الله في النار ، ومع أن عمر رضى الله عنه كان يرى التبسط مع المرأة ، كما تقدم ، لكنه كان يقول : شاوِروا النساء وخالفوهن - وذلك إذا كانت مخالفة أنفع من الموافقة ، أو كانت مساوية لها في الفائدة ، ولكنها لإثبات استقلاله وعدم تبعيته للمرأة دائماً ، فرة يوافق وأخرى يخالف - إن اقتضى الأمر ذلك - فادرس طباع زوجتك وعاملها بما يصلحها وفق حالها ، وكن في ذلك مثل الطبيب ، يعطى الدواء وفق الداء ، فاستعمل اللين والسياسة ، ثم الخشونة في علاج شر المرأة ، فإن بدا منها الهدوء والدعة والمسالمة ، فعدَّ إلى اللين والرحمة ، ولا تعكس فتكون كالذى يَضَعُ السيف في موضع الندى ، أو الندى في موضع السيف .

الاعتدال في الغيرة

عليك أيها الزوج بالاعتدال في الغيرة على زوجتك ، فلا تستعملها في غير موضعها ، قال ﷺ « إن من الغيرة غيرةً يبغضها الله عز وجل ، وهى غيرة الرجل على أهله من غير

رية» لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه ، قال تعالى «إن بعض الظن إثم» وقال ﷺ «لا تكثر الغيرة على أهلِكَ فترمى بالسوء من أجلِكَ» .

وأما الغيرة فى موضعها فمحمودة ، فى الحديث الشريف «إن من الغيرة ما يحبه الله ، ومنها ما يبغضه الله» ثم قال : «فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة» . . . إلخ ، وقال ﷺ «إن الله يغار والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي الرجل ما حرم عليه» أقول وفى حكمة أن تأتى المرأة ما حرم عليها .

فإذا رأيت من زوجتك ما يخشى شره فنبهها إليه وامنعها من الاسترسال فيه ، فالوقاية تمنع من الداء ، ولا تبالغ فى إساءة الظن بها وتتبع عوراتها حتى لا تفسدها ، وأحسن علاج لمنع الغيرة أن لا تكثر من نزولها إلى الأسواق ، قال الحسن : أَدْعُونَ نساءكم يراحمن العلوج - أى الرجال - فى الأسواق ؟ قَبِّحَ الله من لا يغار .

فإن خرجت فبإذنه ، والأفضل أن يكون زوجها معها كما تقدم ، وأن تكون فى ثياب تم عن الاحتشام ، وكما أن الزوج مكلف بأن لا يغار على زوجته إلا فى مواطن الغيرة حتى لا يفسدها ، فكَذلك الزوجة مأمورة أن لا تغار عليه إلا فى مثل ذلك حتى لا تفسده .

عودة إلى حقوق الزوجة

ومن حقوق الزوجة على الزوج أن ينفق عليها باعتماد ، بحيث لا يكون فيها تقصير ولا إسراف قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» وقد حَصَّ النبى ﷺ على نفقة الأهل فقال «خيركم خيركم خيركم لأهله» وقال فى حديث عَدَدَ فيه النفقات التى يثاب عليها «أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلِكَ» وكان الإمام على رضى الله عنه متزوجاً أربع نساء بعد فاطمة رضى الله عنها ، فكان يشتري لكل واحدة منهن فى كل أربعة أيام بدرهم لَحْماً - مع أنه كان من أهل النقشف والزهد - وكان الدرهم فى حينه يشتري به لحم كثير .

وكان ابن سيرين يستحب أن يعمل الرجل لأهله كل جمعة (فالودجا) وهو طعام يتخذ من الدقيق والماء والعسل والسمن ، وقد اقتبس فى عصرنا اسم (البالوطة) من (الفالودج) لطعام يشبهه ، ويصنع من النشا والسكر والسمن والماء وأحياناً يستغنى عن السمن والماء باللبن ، وما كان يطلق عليه الفالودج فيما مضى ، يسمى اليوم عَصِيدَةً ، فهى طعام يتخذ

من الدقيق والعسل أو السكر والسمن والماء . ولا يليق بالزوج أن يستأثر بمأكل طيب عن أهله ، سواء اكان ذلك في البيت أم خارجه .

وينبغي أن لا يصف لأهله طعاماً ممتازاً رآه أو أكله ولا يريد إطعامهم منه ، وعليه أن يشرك معه في تناول الطعام وزوجه وأولاده ولا ينفرد عنهم ، فإن الانفرد عنهم خلُقٌ مُستَهْجَنٌ في الإسلام .

وعلى الزوج أن يعرف زوجته من الأحكام الشرعية ما تجهله ، إن كان على بيته منه ، فإن تشكك في معلوماته فليسأل العالم ويبلغها بعد علمه ، وعليها أن تعمل بما يبلغها من الأحكام لترضى ربها وزوجها ، وتكون من أصحاب المنازل الرفيعة في الجنة .

وعلى الزوج أن يستعمل السياسة الشرعية عند نشوز الزوجة وعدم طاعتها له ، بأن يعظها ويحذرهما من عقاب الله ، فإن لم يفلح ذلك في ردها إلى الجادة ، هجرها في المضجع إلى ثلاث ليال ، وله أن يهجرها في أمر الدين إلى شهر - كما فعل رسول الله ﷺ مع زوجته لتأديبين ، ثم عاد إليهن بعد أن رجعن عما اقتضى غَضَبُهُ عليهن فإن لم يفلح الهجر أصلح بينهما حَكَمٌ أو اثنتان يمثل كل واحد منهما طرفاً ، وقد بعث عمر رضى الله عنه حَكَمًا ليصلح بين زوجين ، فعاد يقول : لم أستطع ، فضربه عمر بِدِرَّتِهِ وقال : إن الله تعالى يقول - أى عن الحكمين - « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » فعاد الرجل وتلطَّفَ بهما وأحسن النية فأصلح بينهما .

وإذا كان النشوز من أحدهما أو كليهما فليجتهد كل منهما في حل الخلاف وإعادة الوفاق بينها رعاية لكيان الأسرة ، وحماية للأولاد من آثار الانفصال بين الزوجين ، وهى في عصرنا هذا مُدمِّرةٌ وعنيفة ، فهى دائرة بين التشرذم وضياح المستقبل وفساد الأخلاق ، ومن لا يعيش لأولاده فالموت خير له من الحياة .

وليجتهد كلا الزوجين أثناء الخلاف في منع لسانه عن الآخر وكثرة اللفظ في شأن الشقاق حتى لا تتسع الشقة بينهما .

وبعد فإن الزواج قصد به الشارع الحكيم أن تسود المودة والطمأنينة والرحمة بين الزوجين كما قال سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فليحرص كلا الزوجين على تحقيق أهداف الشريعة الغراء من الزواج ليعيش المجتمع الإسلامى مثاليًا بينَ العالمين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

في مواجهة الإلحاد المعاصر

نقد نظرية التطور الحيوى عند داروين وأتباعه - بقية

الدكتور يحيى هاشم

أولاً : انتهينا في المقال السابق من بيان نقد النظرية في الأوساط العلمية التجريبية .
ثانياً : ونبدأ في هذا المقال بتوضيح أن النظرية إنما تقوم على افتراضات غير ملزمة .
يقول الاستاذ عباس العقاد :

إذا رجعنا إلى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علماً قاطعاً من أصوله وفروعه .

وأكبر أنصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح في بعض ملاحظاته ومقارناته .
وبحوز بعد ذلك أن يكون التطور قد حصل في جهات عديدة لا في جهة واحدة وأن
لا يكون ملازماً للارتقاء ، وإن كانت شواهد الارتقاء أكثر من ظواهر النكسات .
ويقول الاستاذ وحيد خان :

أن محامى نظرية الارتقاء لم يتمكنوا حتى الآن من تمكيننا من مشاهدة أو تجربة أى
أساس تقوم عليه مزاعمهم .

فعلى سبيل المثال : ليس بوسعهم أن يثبتوا لك بالرؤية المباشرة في معمل ما كيف توجد
الحياة من مادة لا حياة فيها . .

وهكذا لم يخضع أى تغيير من نوع إلى آخر لتجربة أو مشاهدة من أى إنسان . فلم
يحدث أن أجريت تجارب في إحدى حدائق الحيوانات فخرجت الزراف من بطون الشياه .
ولقد عبر السيد أرثر كيث عن رأيه في نظرية الارتقاء بأنها « العقيدة الأساسية في المذهب
العلمي » . ولم يقل بأنها حقيقة علمية ، وكذلك عرفت موسوعة علمية نظرية الارتقاء « بأنها
نظرية قائمة على تفسير بدون براهين . . »

أما أوبارين فقد قامت نظريته على افتراض ظهور « الحياة » لجرد تطور التجمعات
البروتينية إلى البروتوبلازم .

والتدليل على صحة هذا الفرض - على أساس المنهج العلمي - يكون بتحقيقه علميا .
فهل فعل أوبارين ذلك ؟

لقد بدأ أوبارين واثقا من إجراء هذه التجارب العملية ، في أهم نقاط هذه النظرية الخاص بظهور الحياة ، فهو يقول في ختام كتابه الذى بسط فيه نظريته « إن النجاح الذى حققته علوم الجيولوجيا السوفيتية حديثاً تؤيد «الوعد» بأن مسألة خلق كائنات حية بسيطة بطرق صناعية ليس ممكناً فحسب بل سيُحقق عمّا قريب . . » .
ولكنه تراجع عن ذلك :

يقول في بداية بحثه الذى ألقاه في المؤتمر الدولى للبحار في نيويورك في عام ١٩٥٩ :
(إن جميع المحاولات التى أجريت لتوليد الحياة من المواد غير العضوية سواء تحت ظروف طبيعية أو في المعمل قد باءت بالفشل .)

ثم يبدو يائسا معتذرا عن فشله فيقول أيضا في نفس العام : « إن الظروف الطبيعية والكيميائية التى سادت على الأرض في معمل الطبيعة العظيم - قبل ظهور الحياة - والتى تمت فيها التفاعلات المعقدة التى أدت إلى ظهور تلك الحياة تختلف تماما عن الظروف السائدة الآن . ومن ثم فمن غير المحتمل - ان لم يكن من المستحيل - ان تتم نفس هذه العمليات في المعمل ، وان تمت فإلى حد معين فقط . »

ويقول كونانت عن النظريات التى تبحث في أصل الحياة « إن الباحث في هذا الأمر لن يجد إلا آراء . . . لا يمكن - الا بشئ من الكرم - أن نسميها فروضا مثمرة نافعة . . »
ويقول « إن الآراء التى تخرج تحاول تفسير أصل الحياة كثيرة كل عشرة منها بقرش وأنا لا أستطيع أن أسميها بأكثر من خواطر . . »

ويقول « أنه فيما يختص بمسائل مثل أصل الجرانيت والبتروك والحياة فسوف ننظر إلى ما كنا نقوله فيها في عام ١٩٥٠ عند حلول عام ٢٠٠٠ ونعجب من أنفسنا كيف قلناه وكيف أسغناه »^(١)

ويقول الأستاذ إسماعيل مظهر وهو بصدد نقد نظرية التولد الذاتى :
إن أنصار التولد الذاتى لا يزالون في حيرة من القول به . . . فانهم لم يثبتوه بتجربة ، بل يفرضونه فرضا ، ولم يقيموا عليه دليلا علميا ثابتا وفي معتقدى أن التولد الذاتى إن صح وقوعه بالتجربة لأوقع الماديين في إشكال آخر أنكى من القول بالخلق الأول . لأنهم حتى مع

ذلك لا يستطيعون أن يعرفوا سر الحياة وتولدها» .

وينقل عن العلامة الفردوسيل وولاس قوله في عام ١٩٢٣ (أن نواة الخلية الحية ليست شيئاً كياويا عويص التركيب وفي الإمكان إعادة تركيبها ثانياً إذا حلت . ولكنها حينئذ لا تكون نواة حية . انهم - أى الماديون - يتجاهلون ذلك كله . يتجاهلون القوة المدبرة الخفية التى تستطيع الخلية الحية بفضل تأثيرها الدور فى سلسلة من التحولات يستحيل إيضاحها بأية طريقة كياوية أو ميكانيكية » ^(١)

وما يقوله الأستاذ إسماعيل مظهر عن نظرية التولد الذاتى للحياة ينطبق تمام الانطباق على نظرية النشوء الذاتى للأنواع أو نظرية النشوء والارتقاء عند داروين .

واذن فكما يقول الأستاذ وحيد خان : « أنه اذا كان لأصحاب نظرية التطور أن يعتمدوها بالرغم من هذه الفرضيات التى لم تخضع للبحث التجريبى بناء على أخذهم بمبدأ أن العلم لا ينحصر فى الوقائع التى يمكننا تجربتها مباشرة ، وانما يعتبر أن أية قرينة منطقية تستند إلى تجارب ومشاهدات غير مباشرة يمكنها أيضا أن تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التى نتمكن من مشاهدتها مباشرة ، وعلى هذا الأساس لا غير تم اعتراف العلم بالالكترتون على أنه حقيقة علمية بالرغم من أنه لا يخضع للملاحظة ، نظرا لتناهى وجوده فى الصغر بحيث لا يمكن لمنظار ما مشاهدته ولا يمكن لميزان ما وزنه ، كما تم اعترافه بظواهر مماثلة أخرى على أنها حقائق علمية . . .

اذا كان الأمر كذلك فإن الحقائق الدينية يمكن أن تدخل فى ساحة العلم على نفس هذا المنوال .

يقول البروفسير ماندير فى شرحه لأسباب قبول نظرية الارتقاء :

أولا : هذه النظرية توافق جميع الحقائق المعلومة .

ثانيا : فى هذه النظرية تفسير لكثير من الوقائع التى لا يمكن فهمها الا عن طريقها .

ثالثا : لم تظهر بعد نظرية تناسب وتوافق الحقائق بهذه الدقة . . .

ويعلق الأستاذ وحيد خان على ذلك فيقول : (فإذا كانت هذه الأدلة كافية لجعل نظرية الارتقاء حقيقة مقبولة فى ضوء مقاييس الاستدلال العلمية فإن هذه الأدلة نفسها موجودة كذلك فى جانب الدين بصورة أشد وأكمل . وفى هذه الحالة يعجز العقل الحديث

(١) ملقى السبيل ص ٥٧ : ٥٨ .

عن تبرير رفضه للدين - باعتبار أنه غير قابل ولو لجرد البحث العلمى . . مع تكافؤ الأدلة بين نظرية الارتقاء والدين كليهما .)

ثالثا: من ناحية الصدفة :

فى المنهج العلمى يفترض العالم مبدأ الحتمية ، ويستبعد المصادفة والاتفاق ، لأنه ينظر إلى الظواهر على أنها ضرورية وليست ممكنة ، والا فقد العلم شرعيته أصلا .

ومع ذلك فقد تورطت مذاهب التطور فى الصدفة لتنسج بها نظريتها فى أهم محاورها : أولا : فى الحركة الأولى التى حدثت للمادة فى حالتها الأولية الراكدة .

ثانيا : فى ظهور الحياة فى البروتوبلازم .

ثالثا : فى ظهور الإنسان بتكوينه المشتمل على العقل وعلى الجهاز البدنى شديد التعقيد .

يقول الدكتور يوسف عز الدين عيسى :

لا يمكن أن نتصور بأى حال من الأحوال أن جهازا دقيقا معقدا أشد التعقيد متناسقا

كالمخ قد تكوّن من تلقاء نفسه نتيجة للصدفة العمياء . .

ولو نظرنا إلى طرق التنفس مثلا فى الحيوانات المختلفة على اختلاف درجاتها ابتداء من الأميبا - ذلك الحيوان البسيط المكون من خلية واحدة - إلى أن نصل إلى الإنسان أرقى الحيوانات لوجدنا أن عمليات التنفس هذه تتم بطرق وأجهزة مختلفة ولكنها جميعا تنتهى إلى نفس النتيجة وهى أكسدة المواد الغذائية وانطلاق الطاقة التى يستخدمها الحيوان فى أوجه نشاطه المختلفة .

وعندما نقول إن الطيور لكى يخف وزنها كونت فى عظامها أكياسا هوائية فهذا قول يدعو إلى الضحك . إذ أن الطائر ليست لديه القدرة على تغيير تركيبه ولا يمكن أن يقوم بأحداث هذا التغيير الواعى سوى القدرة الإلهية . .)

وهذا فى حد ذاته كاف لكى يجعل من مذهب التطور الذى قدمه داروين وأتباعه وأوبارين وأتباعه - وابتعدوا به عن افتراض وجود قوة مدبرة عليا - مذهباً « اعتقاديا » لا أساس له من العلم الصحيح .

رابعا : قاعدة التشابه والترتيب :

إن أدلة التطور الحيوى المستمدة كلها من علم التشريح المقارن ، وعلم الأجنة وعلم

التقسيم وعلم الحفريات ، ترجع كلها إلى قاعدتين : التشابه ، والترتيب ، وهما لا يؤيدان بالضرورة إلى الاعتراف بوجود علاقة ذاتية بين الأطوار ، بل على العكس من ذلك يؤيدان موقف الدين في تفسيره لكل منها بوجود إرادة إلهية عليا .

ومن العجيب أن يسوق الأستاذ إسماعيل مظهر اعتراضه على القائلين بالخلق المستقل على النحو التالي :

ماذا يقول مؤيدو هذا القول في تشابه الأنواع الحية وتقارب صورها من صور الحفريات التي يعثر عليها في ذات البقعة التي تقطنها ؟
وليظهر زعماء الخلق المستقل السبب في مشابهة الأنواع الحية في استراليا للأنواع المنقرضة . . . (١)

بالله ، لقد أدهش السيد في اعتراضه وأعجز !!
ويكفي في الرد عليه في هذا ما يقوله الدكتور يوسف عز الدين عيسى :
(ان تشابه الحيوانات في الإطار الأساسي لتكوينها يدل على وجود أسلوب واحد للخلق يبدعه خالق واحد .

فحين القطة مثلا لا تختلف في تكوينها عن عين البقرة أو الأرنب أو الإنسان وكذلك الجهاز الهضمي والعصبى والغدد الصماء وغيرها من الأعضاء في شتى أنواع الحيوان تدل على وجود أسلوب واحد للخلق . تماما كما يقرأ الإنسان بعض صفحات من كتاب أحد مشاهير الكتاب فيستدل عليه من أسلوبه .

وفي قاعدة الترتيب :

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر : (إن تدرج وجود الحيوانات والنباتات التي نعثر على بقاياها مستحجرة في باطن الأرض ليدل واضح الدلالة على أنها لم تخلق طفرة خلال عصر محدود من العصور ، وإنما نشأت متسلسلة بعضها من بعض متعاقبة في الوجود الزماني) (ملق السبيل ص ٢١٦)

ونحن نقول بأن غاية ما تدل عليه هذه الحفريات « أن الأنواع نشأت متعاقبة في الوجود الزماني » أمّا أنها نشأت « بعضها من بعض » وهذا هو جوهر مذهب النشوء والارتقاء فليس في هذه الحفريات ما يدل عليه .

(١) ملق السبيل ص ٢٦١ .

وان الأمر هنا أشبه بمن يقول إن الترتب الزماني المتدرج الدقيق في اللقطات الفوتوغرافية التي تسجل قصة سيمائية «مثلا» يدل على أنها «نشأت متسلسلة بعضها من بعض» في حين أنه من الظاهر أن ذلك ليس دالاً على شيء أكثر من التعاقب الزماني

يقول الاستاذ وحيد خان : (إن نظرية الارتقاء لا تثبت شيئاً أكثر من أن الأنواع المختلفة لم توجد في وقت واحد ، بل وجدت أنواع مختلفة في مراحل مختلفة وأن هناك ترتيباً زمنياً في الأنواع الحية ، أى أن الأنواع البسيطة للحياة وجدت قبل الأنواع الحية المعقدة . والأمر الذي لا يزال غير ثابت بكل قطعية هو : هل الأنواع الحية المعقدة هي حقيقةً صور راقية للأنواع البسيطة التي وجدت في الزمن السحيق ثم تطورت تلقائياً إلى صورها الحالية نتيجة للعمل المادى الطويل أم أنها ليست كذلك ؟

إن المشاهدة تؤكد الجزء الأول .

أما الجزء الثانى من نظرية الارتقاء فلا يزال افتراضاً محضاً اختلقه العلماء الذين آمنوا بتلك النظرية ، وهذا الجزء الافتراضى من نظرية الارتقاء لا يمكن مشاهدته تحت أى ظرف من الظروف ، كما أنه غير قابل للخضوع للتجارب بأى شكل من الأشكال ، هذا بينما يتوقف جواز الاستدلال بنظرية الارتقاء على ثبوت هذا الجزء الثانى منها فقط .

خامساً : (١) إنه مع التسليم بصحة الافتراضات التي تقوم عليها نظرية التطور من حيث وجود تشابه وترتيب بين الأنواع فإن ذلك لا يقتضى الغاء الإرادة الالهية .

إن الذين ينكرون الخالق بناء على نظرية التطور يتصورون أن الخالق ليس في إمكانه أن يوجد مخلوقاته بترتيب ونظام يُنفَّذ في زمن طويل .

وهذا التصور خاطيء سواء ثبتت نظرية التطور أو لم تثبت .

إنه مع التسليم الجدلى بأن نظرية التطور تقوم على قوانين حتمية فإن ذلك لا يلغى «الإرادة الالهية» إلا عند أولئك الذين يتصورون الألوهية تصوراً بشرياً .

وعلى سبيل المثال هؤلاء نقرأ النص التالى^(١) :

من بين مجموعة النقوش الكاتدرائية التي تعبر عن كثير من حقائق اللاهوت في العصور الوسطى نقش يمتاز عن مذهب لاهوتى في أصل الكون ظل موضع الاحترام والإجلال أزماناً طويلاً . .

(١) أنظر «بين الدين والعلم» لأندرو ديكسون وايت ، ترجمة إسماعيل مظهر طبعة ١٩٢٩ ص ١٧١ .

الواحد القهار في صورة بشرية جالس بوداعة ولين يصنع الشمس والقمر والنجوم ويعلقها في القبة الصلبة التي تحمل من فوقها السموات العلا ، وتظلل الأرض السفلى . أما علام التفكير الظاهرة في تقطب جبينه فتم على أنه أجهد نفسه إمعانا في التدبر والاستبصار ، كما يدل انتفاخ عضلات ذراعيه على أنه قد اضطر إلى أن يكد وينصب . ومن الطبيعي أن يكون المثالون والمصورون خلال القرون الوسطى وفي بدء العصور الحديثة قد عمدوا إلى تمثيله على مقتضى ما تصوره كُتّاب ذلك العصر اذ كانوا يقولون بأنه استراح في اليوم السابع) ومن هذا حق للعلماء التجريبيين في أوروبا أن يقعوا في وهم التناقض بين النظام وبين الألوهية . .

ومنشأ ذلك أن صورة الألوهية عندهم مستمدة من الأساطير الإغريقية . أو من إله أرسطو ، أو من الأديان الشرقية القديمة .

وهي كلها لا تعطى تصورا يوفق بين الألوهية والنظام أو بين الألوهية والقانون . . أما تصور الألوهية في الإسلام فهو لا يتعارض مع تصور القانون والنظام .

بل إن الإسلام هو الذى يضع ضمان الاستمرار للقانون الطبيعي ، وذلك في قوله تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » الا أن هذا الاستمرار مستمد من الإرادة الالهية ومتوقف عليها : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٨٢ سورة يس)

فهنا يبدو الانسجام واضحا بين إرادة الله واطراد القانون ، ويظل هناك موضع للخوارق التي يظهرها الله بين الحين والآخر ، تذكيرا للإنسان بمصدر الوجود ومصدر القوانين وهو الله سبحانه وتعالى . .

ان النزعة الاحادية في نظرية التطور إذ تنكر على الدين قوله بوجود إله عالم مدبر للكون ، منظم له ، معتن به . . . تقول أيضا بالتطور المنتظم المتقدم نحو غاية عليا ، وتسند هذا التطور إلى المادة التي بدأت وجودها وهي في أحط صورة من صور الوجود التي يمكن للعقل أن يتصورها .

ولا شك أن هذا تناقض صارخ . .

إنه من المؤكد أن فكرة التطور التقدمي التي يتبناها العلم الحديث (والاحاد الحديث) لا تستقيم إلا إذا أخذنا بفكرة وجود إله عالم مدبر للكون .

يقول الأستاذ يوسف كرم « وقد نسلم بالتطور ، ثم نرانا مضطرين إلى الإقرار بوجود للمادة ، موجّه لها ، لقصور المادة عن تنظيم نفسها . »

إن فكرة التطور التقدمي - بعد تهذيبها وتجريدها من التناقض الذي يوقعها فيه الإلحاد - تضيف إلى رصيد الإيمان بالله ، ولا تأخذ منه ، وذلك حيث ترسم للمادة طريقاً منظماً صاعداً من الأدنى إلى الأعلى ، تستهدف فيه الوصول إلى الغاية ، فمن ثم تستلزم وجود المدبر المنظم ، وهو أمر لا يكون للمادة التي يقول بها الملحدون ، وإنما يكون لذات الله .

إن هذه النظرية تفرض أولاً : التقدم . والتقدم لابد أن يكون له غاية مرسومه والنظرية لا تقدم هذه الغاية ، والدين هو الذي يقدمها .

ومن ناحية أخرى فإن التقدم الذي تفترضه هذه النظرية يعنى النقص في المتقدم والناقص محتاج إلى غيره في تقدمه ، والدين هو الذي يقدم لنا الله الغنى الذي يتجه إليه كل محتاج

يقول الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين عيسى :

(إن الخطأ الرئيسى الذى وقع فيه جميع هؤلاء العلماء هو أنهم تجاهلوا وجود خالق مبدع جبار هو الذى خلق هذا الكون وأبدعه . فقد تكون الحيوانات أُنحدرت من حيوانات سبقتها وتطورت وارتقت ، ولكن ما هى القوة التى تقف وراء ذلك كله وتحركه فى دقة مذهلة وقدرة جبارة نحو هدف معين فيه ارتقاء وكمال ؟

أنه بلا شك خالق هذا الكون الذى تعجز عقولنا عن إدراك مبلغ قدرته وعظمته مهما تخيلناها

فتطور الكائنات لا يفسر بمثل هذه الافتراضات وهذه التكهّنات ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون صدقاً عشواء تتخبط فى الظلام .

ولقد اقترب العلماء الآن كثيراً من التسليم بوجود خالق للكون سواء شعروا بذلك أو لم يشعروا .

. . . فالقول الذى يصبر عليه جراهام كانون ^(١) ، بأن فى كل كائن حى قوة تدفعه للسير والتطور نحو هدف معين يعنى بلا جدال وجود قوة إلهية وراء هذه العملية . . .

وإذا كانت فكرة التطور التقدمي تنافض عندما يغتصبها الملحدون الماديون فينكرون بها وجود الله ، فإنها تنهافت وتلاشى عندما يقفون بها من ناحية المبدأ عند طور ظهور الإنسان ، ومن ناحية النهاية ، عند انزلاقه إلى العدم ، بعد هذه الحياة الدنيا وبيان ذلك :

(١) أحد العلماء المحدثين الذين لهم بحوث متخصصة فى نظرية التطور .

أن التطورية التقدمية الحقيقية تقتضى نظرة دائمة الانفتاح إلى المستقبل ، وكلما كانت هذه النظرة أكثر امتداداً وشمولاً ونمواً ، كانت أحق بوصف التقدمية .
ومن هنا يمكننا أن نقول أن (دين الإسلام) هو المجال الذى تستقيم فيه هذه النظرة ولا تناقض ولا تنهافت . وأنه أحق بوصف التقدمية من غيره ، لأنه يجتاز بنظرته إلى المستقبل حاجز الحياة الدنيا ، ويجعل حياة الإنسان ممتدة إلى مستقبل بعيد (فى الآخرة) يحصل فيه على الخلود والكمال بشروط ممارستها فى حياته الدنيا ، تجعل هذه الحياة بدورها أقرب إلى الكمال . . .

فدعوى التقدمية ، ألصق بالدين ، وأجدر به وأشد تنكراً للإلحاد فى أى مظهر من مظاهره ، وهى عند الملحدین تناقض مع فرضية مسبقة ، تدعى زوراً وبهتاناً وبغير سند من العلم أو العقل - أن المادة هى الأصل .

يقول الأستاذ وحيد خان : (لا يزال الإنسان منذ آلاف السنين يؤمن بأن خالقه وخالق الشجر هو القادر المطلق ، مع أنه ظل طوال هذه القرون الطويلة يشاهد الطفل يصبح رجلاً كاملاً بعد أربعين سنة من ولادته ، والشجر العملاق يكتمل عوده بعد قرن أو نصف قرن من الزمان ولكن هذه المشاهد لم تزلزل من إيمان الإنسان بأن الله هو القادر المطلق ، فعقله لم يوجب أبداً - أن كون الله «الخالق القادر المطلق» يستلزم ظهور الإنسان والشجر فى أشكالها الكاملة مرة واحدة .

وهكذا فإن كشف المستقبل حتى لو أثبتت أن مظاهر الحياة إنما ظهرت إلى الوجود نتيجة لخضوعها لعمل تطورى طويل الأمد فإن ذلك الإثبات - الذى لم يتوافر حتى الآن - لن يبطل قضية الدين ، ولن يستلزم إعادة النظر فيها ، ذلك لأن هذا الإثبات المفترض إنما يتعلق بأسلوب الله فى الخلق ، ولا يفسر لنا ماهية الخالق) لقد جاء فى الموسوعة الكاثوليكية فى مادة الخلق أن حقائق العلم وحقائق الوحي فى هذا الموضوع لا تناقضان . .

وقال اللاهوتيون أصحاب كتاب العلم وما فوق الطبيعة : بأن العلل الثانوية التى تبدو فى أعماق الطبيعة لا تبطل العلة الأولى التى تنهى إليها جميع العلل وتقف عندها جميع المقاصد والغايات .^(١)

ويقول الأستاذ يوسف كرم : «وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلى اعتبار الإنسان نوعاً قائماً بذاته بسبب ما يختص به من علم وفن وصناعة وخلق ودين ، وهى مظاهر للعقل

(١) أنظر عقائد المفكرين فى القرن العشرين للأستاذ عباس العقاد ص ٥٨ .

لا نظير لها ولا أصل في سائر الحيوان . . . » .

(٢) وما دام أن هذه النظرية كما بينا لا تلغى بالضرورة الإرادة الإلهية فإنه ينبغي أن يبقى فيها مكان خاص لنظرية الخلق الخاص - بالنسبة لبعض الأنواع على الأقل - إذا وردت بذلك الأخبار الصحيحة .

ولا شك أن الأخبار الصحيحة قد جاء بها القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق آدم عليه السلام ، وما ورد في القرآن الكريم بهذا الخصوص لا يترك احتمالاً لإدخال آدم عليه السلام في السلسلة التي نسجتها افتراضات نظرية التطور .
وذلك للأسباب الآتية : -

أولاً : إن ما ذكره القرآن الكريم عن ملابس خلق آدم يحتم القول بظهوره مستقلاً وليس على مراحل من التدرج غير الملحوظ في مدارج الأنواع المختلفة .

وهذا ما يقتضيه دعوة الله تعالى ملائكته للسجود لآدم إثر خلقه إياه يقول تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة أئني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين . . . » (٢٨ - ٣١ سورة الحجر)

والنصوص القرآنية الواردة في نفس هذا المعنى كثيرة أنظر الآيات ١١ ، ٣٤ من سورة البقرة .

والآيات ٦٠ وما بعدها من سورة الأسراء ، والآيات ٤٩ وما بعدها من سورة الكهف والآيات ١١٥ من سورة طه على سبيل المثال .

ثانياً : إن ما ذكره القرآن عن آدم يقتضى ظهوره وهو في أعلى مراحل النضج البشري لا كونه في أدنى هذه المراحل كما تقضى بذلك نظرية التطور ، وذلك ما يدل عليه قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون .

وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . . . » (٣٠ - ٣٣ سورة البقرة) .

ثالثاً : إن ما ذكره القرآن عن خلق آدم يقتضى ظهوره لا على نحو يتفق مع السنن

العادية - كما تقضى بذلك نظرية التطور إن صحت - وإنما على نحو خارق لهذه السنن وهذا ما يدل عليه قوله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . . . » . (٥٩ - ٦٠ سورة آل عمران) .

وبما أن سيدنا عيسى عليه السلام قد خلق من غير أب بطريقة خارقة للعادة ، وأن الآية تقرر أن خلق آدم مثله ، فإن النتيجة الحتمية لذلك أن خلق آدم تم بطريقة خارقة للسنن العادية .

والله الموفق للصواب .

د . يحيى هاشم

وَحْدَانِيَّةُ الْخَالِقِ

مِمَّا رَوَى عَنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَنَّهُ رَأَى جَدَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي

مَنَامِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

كُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ فَهُوَ هَالِكٌ وَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ :

الإسلام في التجربة التاريخية

الأستاذ زاهر عزب الزغبى

أربعة عشر قرناً ونيف من التاريخ الحافل المليء عمر التجربة الإسلامية عبر الزمن ، وليس ثمة أحد يستطيع أن ينكر أن التعاليم الإسلامية قد نجحت وحدها في تأسيس مجتمع إسلامي بحت ، وأنها استطاعت أن تكتل العناصر الإنسانية المتنافرة المتمردة في صحراء العرب . . تلك العناصر التي لم تتفق في وقت ما من تاريخها الطويل على رأى أو مجتمع على عقيدة ، ولكن الإسلام نجح في أن يكون منها مجتمعا متماسكاً تربطه أواصر الإخاء والمساواة التي لا يشوبها تفاضل من جاه أو جنس أو ثروة .

وقبيل وفاة النبي محمد (ﷺ) كان الإسلام قد تكامل كدين ، وبدا بوضوح أن هذا الدين ليس مجرد عقيدة لا تضم سوى طقوس تعبدية وإنما يشتمل أيضا على أسس قوية ونهج عملي لقيام مجتمع واضح المعالم : له سماته الخاصة ونظم حكمه الخاصة وقوانينه الخاصة . .

وبقيادة تستلهم الحكمة والقوة من وحى الله ، وبإيمان هادٍ موجه استطاع هذا المجتمع الوليد في أوائل عمر تجربته أن يوسع مداه فيقفز بسهولة ويسر على حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية ويضم حوض الأردن . . وفي نفس الوقت ينتزع من إمبراطورية فارس كل بلاد ما بين النهرين . . ثم لم تمض عشر سنوات بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) حتى كانت كل منطقة الهلال الخصيب وآسيا الصغرى والأراضي المصرية تابعة لأمير المؤمنين . . وقامت في كل أرجاء هذه المنطقة المساجد ، وترنمت في أجوائها حناجر المؤذنين بـ « الله أكبر . . الله أكبر . »

ولم يكن هذا النجاح الباهر الا مقدمة لما هو أعظم ولما هو أروع . . ففي أقل من نصف قرن كانت كلمة الله وراية الإسلام قد ارتفعتا عاليتين على منائر المساجد في شمال أفريقيا حتى مراکش على ساحل الأطلسي . . ثم تعبران البحر الأبيض المتوسط الى أسبانيا وسهول فرنسا . . أما في آسيا فتوسع المنطقة الإسلامية شمالا حتى تهدد أسوار القسطنطينية ، وشرقا

يتوغل المسلمون حتى مشارف الصين ، وجنوبا يتجاوزون حوض الأندوس الى الولايات الجنوبية في شبه القارة الهندية . .

وقد برهن هذا النجاح الذى حققه الإسلام - فى سعته وسرعة انتشاره - على أصالة هذا الدين كما عزز الثقة فيه . .

ولكن الذى كان أكثر دلالة على نجاح الإسلام وقوته أنه قد قابل مدنيّات العالم الخارجى بمبادئه الفكرية فانتزع الإعجاب والاحترام ، وبمبادئه الدينية ونظمه الاجتماعية فانتهز بلا مقاومة على المسيحية فى الدولة الرومانية ، وعلى الزرادشتية فى فارس ، كما تغلب بسهولة على الهندوكية وفلسفتها فى البلاد الهندية ، وعلى البوذية أيضا فى كل موطنها . . أما اليهودية فإنها كانت آنذاك قد انسحبت من ميدان التنافس الفكرى إلى دائرة ضيقة داخل إطار من التعصب القومى الإسرائيلى ممثلا بأفراد أو جماعات صغيرة متناثرة هنا وهناك فى أماكن متفرقة على سطح الكرة الأرضية . .

ولما كانت الدعوة إلى الإسلام تقوم أساسا على مبدأ « لا إكراه فى الدين » فإنه من التعسف أن ينسب انتشار الإسلام إلى عامل ما غير ذى صلة بعامل الإقناع . . وصحة القضية وصلاحيّة القواعد التنظيمية فى الإسلام قد سهلا إلى حد كبير مهمة المجاهدين المسلمين . . وكان التطبيق العملى للقواعد والقوانين والمبادئ الإسلامية على سكان المناطق المفتوحة يُشكّل العامل الأهم فى إحراز انتصارات تالية . . فالرعايا الذين كانوا يرزحون تحت أثقال من جبروت رجال الكهنوت والنبلاء قد أقامهم المسلمون من أوزار الرومان الإقطاعيين . . وحينئذ تحقق لهم - فى ظل الإسلام - الأمن المطلق والكرامة الحقّة والحرية المضمونة ، وكذلك كان الحال مع الفرس وغيرهم من البشر فى كافة الأصقاع التى وصل إليها الإسلام . . وهذا التطبيق الصحيح للقواعد الإسلامية كان خير داعية للإسلام . . فقد استروح فيه الناس إرادة الله فى صون الإنسانية والحفاظ على كرامتها فسارعوا إلى اعتناقه أفواجا . .

والإسلام ليس فقط كغيره مما سبقه من أديان ، بل هو دين أعمق وأوسع وأشمل . . نعم . . لقد سبق أن أطلع الله الإنسان مرارا على كنه رسالته . . ولكن الإنسانية فى كل مرة لم تكن قد نضجت إلى المستوى الذى يؤهلها لأن تفهم رسالة الله بتمامها . . وكان الله - وهو الحكيم الرؤوف الخبير بعباده - يقدّر لكل شىء قدره ، فيكشف للإنسان عن قدر من نوره لا تعشى منه عيناه ، ولكنه قدر ينير له الطريق إلى الأمام ، ويزيد من قدرته على تفهّم كمّ

أكبر من الحقيقة فيما بعد . .

أما في هذه المرة فكانت الإنسانية قد بلغت الرشد . . واستعد ابن آدم أن يتقبل رسالة الله بحذافيرها ، فجاءته كاملة ونهائية . . وتضمن الإسلام كلمة الله تامة وشاملة ، وكشف الخالق عن وجوده السرمدي وعظمته غير المحدودة . . فعرّفه الإنسان - ولأول مرة - معرفة حقّة على نحو لا يخطئ بعد ذلك أبداً . . وبحيث لا يعود إلى تصوّره على ما يتنافى مع كماله المطلق . . كلاً ، ولن يسمح الله للإنسان بعد ذلك أن يعبدّه لأنه كما يتصوره اليهود إلّه قاس فظ وجبار غضوب . . صوت عذاب وليس نداء رحمة . . أو كما يتصوره النصارى أبا لنبيهم عجز عن حماية ابنه وعن تدبير وسيلة لرفعة إليه سوى أن يسلمه إلى شرذمة من اليهود المشاغين فيقتلوه ويصلبوه . . ثم بعد ذلك - كما يزعمون - يضم هذا الابن إليه في عرشه صنوا له أو عدلا وضربا . .

ولأول مرة أيضاً أعطى الله للإنسان صورة كاملة ونهائية عن الكيفية المثلى التي ينبغي أن يكون عليها سلوكه في الأرض . . فجاءت رسالة الله في الإسلام تامة وشاملة : فهي من ناحية مفتوحة على عظمة الله التي لا تحد ، وهي من ناحية أخرى مرتبطة باحتياجات وضرورات الإنسانية المتشعبة . .

ولهذا كان الإسلام ديناً متميزاً عما عداه . . ديناً لا يمكن تحديده وإن كان من الممكن أن يرسم بخصائصه ومميزاته . .

وإذا قلنا إن أبسط تعريف للإسلام أنه مجموع ما جاء في وحى الله إلى رسوله محمد ﷺ فإنه من الخطأ بل من الخطر أن نعتبر بعضاً من هذا المجموع أو نحاول أن نجزئه ، فالإيمان والعمل في الإسلام وجهان لقطعة واحدة من العملة . . والثواب والعقاب في الآخرة لا يستغنى عنهما الإسلام بما شرعه من حدود وعقوبات دنيوية ، كما أن الأخلاق ليست فضلة بعد الشريعة . .

إذن فالإسلام في حقيقته ليس إلا إيماناً خاصاً حياً متجدداً مع كل صباح ، بل مع كل هنة من لحظات الزمن في قلب كل فرد مسلم . .
ومن المسلم به أن الإسلام : إنما هو دين الله لم يبدأ ببعثة محمد ، وإنما مع بدء الخليقة على الأقل . .

والله عندما خلق العالم أمر بأن تجري قوى الطبيعة حسب نظام ارتآه . . والطبيعة مجبرة على طاعة أحكام الله وسنته الخالدة . . وهي من خلال انصياعها لأحكام الله تقوم في

الوقت نفسه بإيضاح الصورة الممتازة التي أرادها الله لمسيرتها ، كما تكشف عن وجوده وقدرته وسلطانه على ملكوته ، وكذلك عن جلاله وعظمته . .

وقد جعل الله للإنسان كذلك نظاما مثاليا يجب عليه أن يسلك وفقه . . فالله من عليائه قد بين للناس الكيفية التي يجب عليهم أن يتصرفوا طبقا لها جماعات وفردى . . ولكن الانسان هنا يختلف عن بقية المخلوقات بأنه خلق واعيا وحرا . . فهو وحده الذى أُعطيَ حق اختيار الفعل أو الإقلاع عنه ، سواء (كان ذلك مجرد كسب - كما قال أهل السنة - أم أداء حقيقيا للفعل كما يقول المعتزلة . . وكانت هذه الحرية مسئولية خطيرة وهامة . . ومن الأصح أن نقول بأن الانسان وحده هو الذى اضطلع بها ، لأنه وحده الذى هو أهل لها : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان . . » (سورة الأحزاب : ٧٢)

وعلى هذا فالإنسان لا يستطيع أن يجنب مجتمعه الفوضى والاضلال إلا إذا عاش حياته مستقيما وفق شريعة الله . . ولكن أيضا له الحرية فى اختيار النهج الأعوج وتدمير النظام الاجتماعى كله . .

وهذا الإنسان كان - ولما يزل ، وسيظل إلى الأبد - ذروة الخليقة وخليفة الله . . ومنذ بدء خليقته بين الله له القانون الخلقى ووضح له كيف يعيش ويتصرف . . فلقد كان آدم نفسه نبيا علمه الله ما يجب أن يفعل . . ولكن التاريخ قد سجل على الإنسان إخفاقه فى السير على هذا النهج . . كما أن أبناء آدم سرعان ما أهملوا الرسالة أو نسوها أو أضاعوها أو زيفوها . . وكثيرا ما جاءت فترات كان فيها الإنسان يتخبط فى الظلام لا يعرف ما هو الأصوب . . حينئذ تحلُّ عليه رحمة الله فينزِّل عليه الرسالة مرة ثانية . . وهكذا يكون رسول جديد يكشف للإنسانية عن ماهية المطالب والحقائق الخالدة . . ولكن القصة البشرية تعيد نفسها . . فمرة أخرى يهمل الإنسان الوحي أو ينساه أو يشوِّهه . . ثم يكون رسول آخر . . وهكذا دواليك . . وكثير ما هم هؤلاء الرسل . . غير أن الشئ الجوهرى هو أن مضمون الرسالة - رغم تعدد الرسل - كان دائما ينبع من معين واحد وعلى أسس واحدة . .

لقد كانت دعوة ابراهيم هى التبشير بوجود الله ووحدانيته وسلطانه . . ومن ذلك الحين لم تنطفئ جذوة التوحيد التى دعا إليها . . أما الوثنية فقد ازدهرت ابراهيم وكذلك يزدريها على الأقل قسم من البشر . .

أما فيما يتعلق بموسى فإن أتباعه قد آمنوا برسالته ولكنهم مع ذلك لم يخلصوا كل الإخلاص في تقبلهم لها . . فإنهم حين وضعوها موضع العمل سمحوا - أو تسببوا - بافساد النسخ التي كانت تحفظ نص الرسالة المكتوب . . فأصبحت توراتهم غير صحيحة . . أضف الى ذلك أنهم ارتكبوا خطأ كبيراً إذ أخذوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار وضنوا بكلمة الله ، بدلا من أن يفتنوا الى أن الله الذى سوى الخليفة وبرأ الكون إنما هو رب الجنس البشرى كله .

وشاء الله أن يصلح هذا الخطأ الشنيع ، فبعث فى الوقت المناسب رسولا آخر هو المسيح . . « ولجملة أسباب أدرك أتباعه الطبيعة العالمية للدين ، ولكنهم ما لبثوا أن أخذوا يؤلّهونه وينسبون اليه وإلى أمه تهما رهيبة . . وهؤلاء الأتباع الذين ينسبون أنفسهم إلى المسيح قد ركزوا اهتمامهم عليه إهمالا منهم جريئا لله الذى خطوا بذلك من سموه ومن علاه . . كما أنهم من ناحية أخرى قد أحاطوا أنفسهم بالاحترام الشخصى ، ولكنهم أهملوا النظام الخلقى الكامل ، وسمحوا للعدالة الاجتماعية أن تتزلزل تارकिन إدارة هذه الأمور الدينية لقوى علمانية ليس للمقاييس الأبدية سلطان عليها ، وهكذا فقد تركوا التاريخ يسير على هواه ، دون أن يدركوا أن الله لا يقبل أن تنتهك عدالته . .

وهكذا أخفق الإنسان مرة أخرى وأظهر ضلاله وتخبُّطه فى رفضه المتواصل وفى تشويهه للحقيقة القوية والرشاد الأسى الذى واصل الله تقديمه له .

وهكذا يتراءى تاريخ البشرية الى هذه النقطة . . « قصة غير مشجعة » . . ولكن ثمة تقدم دون ريب ، فبعد سلسلة الإهمالات لأوامر الله جاء دور إدراك عظمة الله بالمبدأ . وهنا يتساءل المرء : ترى هل سيعجز الناس أبدا عن استيعاب الرسالة الخالدة ؟ . . وهل سيعجزون عن العمل بها جدياً . . وعن العيش كما أمر الله أن يعيشوا فى اتحاد خالد مع عدالة الله نفسه . . ذلك الاتحاد الذى لم تكن عملية الخلق الا مقدمة له . . والذى سيبقى حتى بعد أن يقضى أمر هذا العالم الفانى ؟ . . وهل سينجح الناس فى تحويل التاريخ الى سجل خال من مرارة الفشل وتكرار الإخفاق . . إلى سجل ملئ بالرشاد المقدس ؟ ؟ . وفى وسط من ضباب الشك تتجلى رحمة الله عظيمة ، فيبادر سبحانه الى إنقاذ الموقف بإشارة من عنده ويمنح هديه السماوى للإنسان .

لقد أنزل رسالة متضمنة حقيقته وعدالته . . واختار رسولا هو خير من يؤدى هذه الرسالة ويفسرها . . يشرح حقيقة ذات الله ويبين تفاصيل الحكمة فى عدالته . . ويعيش

حياته وفق هذه الرسالة بإحكام مستقيم . . ويسير خلفه طائفة يتحمسون للمحافظة على الرسالة بصدق ، ويحملونها منتصرة قاهرة الى أطراف الأرض ، ويعملون بكل ما تضمنته من أحكام عملية . .

وفي هذه المرة توضع الضمانات حتى لا يكون هناك تشويه أو إهمال . فالرسول في هذه المرة يتشدد في تمييز الوحي الإلهي الخالص ويضمنه كتابا فريدا هو القرآن . . حيث تتلأأ الرسالة بتمامها في لغة من الوضوح الصافي والجمال الرائع الأخاذ .

انها لآخر دعوة حاسمة . . ومن ثم فأتباع هذا الرسول يحافظون على تلك الأمانة محافظة الإنسان على كيانه نفسه ، لأنهم قد لمسوا في آيات هذا القرآن عيوب التجربة الدينية التي خاضها قبلهم أقوام البشر الذين أضاعوا هداية الله بإهمالهم في صيانة وحيه . . فهم بالتالي لا يتهاونون في حراستها من أن تضيع حيث أودعوها قلوبهم ، ولم يتهاونوا قط في مراجعة أنفسهم حياتها ، تماما كما يفعل رب المال الحريص في مراجعة رصيده . . لأن هذا الرصيد هو قوام حياته كلها . . ولم يكن الوحي هذه المرة مجرد نص جامد للحقيقة السامية ، وإنما تضمن شيئا منها عظيما بناءً . . هو الحقيقة مضافا اليها نتيجتها . . وتطبق هذه الحقيقة قد أوجد مجتمعا متطورا . مجتمعا تمسك جيدا بالوصايا التي أوحيت اليه ، وكرس نفسه لأن يعيش بموجب هذه الوصايا . . وبذلك أخذ على عاتقه أن يعيد بناء الحياة البشرية على الأرض . . وهذا المجتمع ليس بالمقصود على نفسه . . إنه على العكس من ذلك يرحب بالخلق كلهم ترحيبا حارا . . بل أنه يلح في دعوة الغير للاشتراك فيه ، وأبواب الانضمام اليه للمساهمة في هذا العمل الأجل الأسمى مفتوحة على مصراعها . . وهو مجتمع ليس بالمغامر لأنه يسير بتأييد إلهي . وقد وعد الله جازما بأنه سوف يكون مع هذا المجتمع لإرشاده وتأييده . . هذا بالإضافة إلى أن الشرائع التي سلمت اليه والتي سيسير وفقها إنما هي شرائع سماوية خالدة صحيحة مناسبة ، فاذا ما عمل بها فإنه يكون قد عاش حياته منتظما مع كيان العالم .

وبهذه الطريقة جاء الإسلام الذي صمم بنجاح بناء شامخا لمجتمع يسير وفق مرسوم الله . . والخطوط الأولى في تصميم هذا البناء توضح حقيقة الإله ذاته . . وهذه الحقيقة الإلهية تغلغل في كل جزء من أجزاء البناء وتتضح في كل لبنة بل في كل ذرة فيه ، لأن هذا المجتمع في الحقيقة ليس الا جزءا ضئيلا من كون هائل أوجده وخلق هذا الإله . ومن ثم كان مجرد التوصل الى معرفة هذا الإله وصدق رسالته مفتاحا يدخل به الإنسان الى

رحاب هذا المجتمع . . وكان أيضا مجرد الإقرار دليلا كافيا على نجاح الإنسان في التوصل إلى هذه المعرفة ، وهذه السهولة في الانتهاء إلى هذا المجتمع واكتساب عضويته ليست إلا مثالا لكل وجه من وجوه طبيعة هذا الدين . . هذه الطبيعة ذات النهج التطبيقي العملي . . ومن شأن كل نهج عملي أن يراعى فيه تفاوت القدرة في كل عنصر من عناصر المساهمة فيه . وأى مجهود - مهما كان ضئيلا - يبذل شركة في العملية التطبيقية يعتبر مساهمة فعلية . . ومن أجل هذا كانت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله بمثابة بطاقة صحيحة تجعل من حاملها مسلما وعضوا لا يفضلته عضو آخر في المجتمع الإسلامي بأسره . . لأن الإسلام - كمجتمع - قد روعى فيه أساسا أن يتسع للعنصر الإنساني كله . . يتسع للعالم أجمع . ولسنا الآن بصدد الإطناب في تعداد مزايا هذا الدين وإيضاح ما فيه من كمال يجد فيه المرء كفاية تشبع العقل والوجدان من حيث هو عقيدة ، وتحقق له الصلاح في أمور الحياة من حيث هو عدالة وتشريع . . كما أننا لسنا الآن بحاجة إلى التعريف بالقمة التي ارتقى إليها الإسلام في عقيدته بالصورة التي شرح بها ذات الإله ، ولا بالطريق المثلّي التي طبق بها عدالة الله ، ولكن يكفي هنا أن نعيد الإشارة إلى الفترة الزمنية التي عاشها الإسلام في تاريخ الإنسان . . أربعة عشر قرنا من الزمان كانت فيها التعاليم الإسلامية هي الدافع الأقوى في (ديناميكية) التطور الحضاري الإنساني مادامت هذه التعاليم محل اعتبار من الإنسان . . كما ظلت العقيدة الإسلامية من حيث التعريف بذات الله وصفات العظمة والجلال والكمال فيه تريح روح الإنسان وتملأ شعوره بالإيمان الواثق المطمئن .

وإذا كان الإنسان قد ظل طوال تاريخه في هذا الوجود قلقا شقيا يبحث عن راحة الضمير في الإيمان ، وعن أمان النفس في العدل والحرية ، فإن الإسلام قد أتاح للإنسان حلاً لمشاكله . . وأتاح له على نطاق واسع كل ما كان ينشده ويبحث عنه . . أعطاه ثلاثة أمور جوهرية : أولها تفسير روحي لحقيقة العالم ، وثانيها تحرير روحي لذات الفرد ، وثالثها نظام من المبادئ العالمية توجه تطور المجتمع الإنساني على صعيد روحي ومادى معا . وإذا كان الإسلام قد تكامل في حياة النبي كدين يشتمل على عنصرين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر : حقيقة إلهية وعدالة إلهية . . فإن المجتمع الإسلامي الأول الذي قام على أساس هذا الدين لم يكن أبدا في حاجة إلى شيء آخر خارجي عنه لكي ييسط سلطانه بقوة الدين وحدها على معظم الرقعة المأهولة من العالم في أقل من نصف قرن من الزمان . . وتبدو هذه الحقيقة الرائعة دليلا قويا على أن الإسلام قد حقق حاجة الإنسانية . وأعطاها

الجواب المقنع للتساؤل المحير الخالد الذى ظل على الدوام يقلقها ويشقىها . . إذا أخذنا فى اعتبارنا أن الاسلام عندما زحف من بيئته الأولى - شبه الجزيرة العربية - وتوسع كطوفان جارف الى العالم الخارجى لم يكن هذا الاكتساح المذهل فى أرض خلاء . . وإنما كان فى منطقة شاسعة احتلتها ورسّخت أقدامها فيها من قبله ديانات وفلسفات ومدنيات وحضارات لها قيمتها ولها قوتها . . ولكنها لم تستطع أن تصمد أمامه وإلى الأبد . . فحضارة فارس وفلسفة الأغريق ومدنية الرومان والمسيحية واليهودية قد ولّت كلها أمامه وانهمزت . . ولم يحصل لأى منها بعد ذلك خلال ثلاثة عشر قرنا ونيف أن استطاعت أى منها أن تسترد موقعا قد كسبه الاسلام من قبل . .

وإذا كانت المسيحية قد عادت بسبب أحد الأخطاء التاريخية إلى أسبانيا فليس فى ذلك ما ينقص مجمل الحقيقة ، فإن المسلمين فى أسبانيا قد هجروا المنطقة أمام غزو الأفرنج ، والذى لم يستطع منهم الهرب قتل ولم يرتدّ عن دينه ، وشبهه بذلك تماما قيام إسرائيل فى الرقعة المغتصبة من الأرض المقدسة. إذ ليس معنى هذا أن اليهودية قد عادت فى آخر الزمان واستردت من الإسلام موقعا ، بل إن الذى تمكن منه البغى اليهودى قد قتل ، ومن فر بحياته ودينه بقى على الحدود شريدا لاجئا . وإذا كانت هناك أقلية ضئيلة لم يسهفها الحظ بالقتل أو الفرار فإنها بقيت تحت النير اليهودى أسيرة مستذلة . . ولكن المسلم منهم سيظل متمسكا بدينه قويا بصبره حتى تلحقه عناية الله بالتحرير أو بالموت . .

أما نجاح الاسلام فقد كان شاملا ومثيرا معا . فالفتح الإسلامى لم يكن يعنى بامتلاك الأرض . . وإنما كان يهيمه أن يكتسب الإنسان . وحتى فى هذا لم يكن يريده مرغما أو رقيقا مهذّدا ، وإنما كان يريده عقلا مقتنعا ونفسا مؤمنة . وكان المسلمون الفاتحون يقولون أهل البلاد المفتوحة على ذمتهم وفى دينهم ، ولا يمنعون أحدا منهم من آداء شعائره دينه الذى كان عليه قبل الفتح . . بل يضمنون له الحرية الكاملة فى العقيدة والعبادة ، ولا يتعرضون لكنيسة أو بيعة .

لقد ظلت دائما عملية التبشير بالدين الإسلامى والدعوة له منذ بدأها النبي ﷺ تسير تحت شعار « لا إكراه فى الدين قد تين الرشد من الغي » . . وتحت هذا الشعار أيضا اكتسب الاسلام فى فتوحاته الأرض والإنسان معا ، وسارت موجه الاكتساح الإسلامية بشكل متناسق . . تزيد من مساحة الأرض تحت السيادة الإسلامية ، وفى نفس الوقت وبنفس النسبة تزيد من عدد أعضاء المجتمع الإسلامى وتكسب للإسلام أنصارا جددا .

وفي كل ذلك لم يكن هذا النجاح قومياً ولا عنصرياً وإنما كان نجاح الإسلام الخلاق المسئول . . فهؤلاء الذين فتحوا القدس والشام ووادي النيل وشمال أفريقيا وأسبانيا من ناحية ، وأرض الرافدين وأواسط آسيا وشطرا من الهند من ناحية أخرى لم يبرهنوا على أنهم محاربون شجعان أكفاء بقدر ما برهنوا على أنهم مؤمنون مخلصون لدين أصيل بناء . . وبفضل هذا الدين أوجدوا للعالم حضارة جديدة وأسسوا مجتمعا جديدا قام على أساس من دين قويم جعل الحياة كلاً تتألف منه تلك الحضارة . . واجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية لم يبنيا على الجهود العربية وحدها - وربما كان ايمجهود العربى فى عملية البناء هذه ضئيلا لا يذكر - وإنما أسهمت فيها بالقسط الأوفر عناصر هلمنية وعناصر من ثقافات الشرق الأدنى القديم السامية وأخرى من ايران الساسانية وأخرى من الهند ، وكذلك أسهمت فيه عناصر من مصر وبدو الصحراء الكبرى والبربر والأندلس . . وقد صُهر كل ذلك فى بوتقة واحدة وخرج سبيكة إسلامية جديدة متميزة عن أصولها القديمة تميزاً كلياً ، وكان الإسلام هو الوقود الذى أتم هذه العملية كما كان الضمان الوحيد لصيانة هذا الشئ الجديد المدهش والمحافظة عليه . . كما أعطى الشكل الإسلامى لكل ناحية من نواحي الحياة مهما كان الشئ الذى تنطوى عليه . وقد كان هذا الطابع الإسلامى هو الذى أعطى المجتمع الجديد صلابته وحيويته . . ويقول ولفريد كانتويل سميث (Wilfred Cantwell Smith)

فى الفصل الأول من كتابه « الإسلام فى التاريخ الحديث »

(Islam In Modern History)

« إن مركز هذه القوة الموحدة لم يكن الا الدستور الدينى الذى نظم ضمن تياره القوى المحكم كل شئ من شعائر الصلاة الى حقوق الملكية ، وأن ذلك الدستور قد منح التماسك والقوة للمجتمع الإسلامى وزوده أيضا بديناميكية التطور وقوة الاستمرار . . والآن وإذا كنت قد آثرت فى البداية الاكتفاء بوقائع التاريخ لأثبت أن الإسلام قد حقق ضرورته ، فإن التجربة الإسلامية قد برهنت على أن هذا الدين لم يلب الحاجة البشرية فحسب بل أنه فتح أمام الإنسان أيضا الآفاق التى لا حدود لها . . ورسم له الطريق واضحاً لكى يستغل كل ما وهبه له الله من عقل وحواس وإمكانيات فى اقتحام هذه الآفاق . . والقرآن كثيراً ما يحث المسلمين لأن ينتفعوا بما أنعم الله به عليهم . . وأباح لهم الطيبات ، وأمرهم بالسعى وعدم القعود ، ورسم خطط هذا السعى . . حركة دائمة الى الأمام . . تجدد نحو الرقى . . وتقدم فى تيار التطور . . فلا وقوف ولا انتكاس . . وهذا

المسلك السليم الذى وُضِّحَ القرآنُ لم يكن يعتبر أنَّ بذل الجهود فى سبيل التبشير بالدعوة الإسلامية ، واكتساب الأعضاء الجدد للمجتمع الإسلامى جهاد فى سبيل الله فحسب . . بل إنه ضاعف لذلك الثواب . . فالدين الإسلامى دين البشرية جمعاء ومجتمعه أتاح الانتهاء إليه لكل إنسان . . ودعوته عملية ديناميكية دائمة الحركة ، من طبيعتها ألا تتوقف فى أية ناحية ، بل تسير فى كل اتجاه حتى تغطى سطح الكرة الأرضية بمجتمع إسلامى بحت . . وهذه الغاية ليست بالبعيدة أو عسيرة التحقيق ، لو أن كل فرد أو جماعة من المسلمين تشبَّعوا بالمبادئ الإسلامية ، وعملوا بمقتضى تعاليم هذا الدين وبذلوا الجهود الكافية للدعوة له . . واستعدوا لهذه الدعوة ووفروا لنجاحها الإمكانيات . . وهكذا كان شأن المسلمين الأول . . ولهذا انتشر الدين . . وبفضل هذه الجهود الأولى ارتفع المد الإسلامى وطفح الى الغاية التى كانت أقصى ما تستطيع أن تصل إليها تلك الدفعة الأولى . . وما أبعداها من غاية وأوسع به من مدى ! ! . . والنظرة المتفحصة تدرك ولا شك أن تلك الدفعة التوسعية فى تاريخ الإسلام لم تتعد مدة خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة الثانى ، أما عهد أبى بكر الصديق الخليفة الأول فلم تكن سوى فترة استكمال المهمة النبى عليه الصلاة والسلام : إرساء لقواعد الدين وتثبيتها فى نفوس الأتباع الأول . . وتربيتهم على هذه القواعد الروحية الجديدة ، وجمع شملهم حولها ليكون منهم - وهم العناصر الانفرادية المتنافرة - مجتمع إسلامى صغير واضح المعالم فى نظمه وصور تكوينه . . بحيث يكون هذا المجتمع الصغير نواة صالحة لمجتمع إسلامى أكبر وأوسع وأشمل .

وقد أبدى كثير من المؤرخين دهشتهم من أن سعة الأقطار التى بسط الإسلام عليها سيادته كانت أعظم وأكبر من القوة التى جندت للفتوح الإسلامية ولا تتناسب مع الأمد القصير الذى تم فيه النصر . . وقد حقَّ هؤلاء المؤرخين أن يدهشوا ، فقد نظروا إلى المجاهدين المسلمين كجنود ، وكقوة حربية ، وفاتهم أن هؤلاء المجاهدين كانوا دعاة يدعون لدين الله ، ويسبرون على هدى من الله ، ويعملون وفق تعاليمه ويلتزمون مبادئه ويطبقونها . . وبذلك لم تكن القوة الحربية تمثل فى حقيقة الأمر إلا قدرا غير كبير من العوامل التى أسهمت فى نشر هذا الدين ووسعت أطرافه ، وكان أقوى هذه العوامل وأشدها تأثيرا وحسبا هو الدين نفسه : فقد لَبى حاجة الإنسان الروحية والمادية ، ووازن بين نفسه وحسه ، ولاءم بين شخصه ومجتمعه ، وضمن له الأمن والكرامة ، والعدالة . . فلا فرق بين إنسان وإنسان ، ولا فضل لفرد على فرد وبقدر محافظة الإنسان على دينه وجهوده فى السعى فى أمور

دنياه تكون قيمته ومنزلته أمام الله والناس .

ومن أجل ما في هذا الدين القويم من قوة فقد تمكن من أن لا يهدى فقط سكان المناطق المفتوحة بل إنه تمكن أيضا من أن يهدى الغزاة . . ففي غضون خمسين عاما من بدء اجتياح المغول للرقعة الإسلامية وتدميرهم لكل تراث إسلامي تحول هؤلاء الغزاة من برابرة كفرة إلى مسلمين موحدين ، فتحصّروا واضطلعوا هم أنفسهم بدور البطل في القضية الإسلامية . . وكذلك بفضل ما لهذا الدين من قوة فإن هؤلاء الغزاة الكفرة قد تعهدوا - بعد أن هذبهم الاسلام - بعقيدة وقوة وألمعية أن يعملوا على تجديد حيوية هذا الدين الذي سبق لهم أن أسقطوه ، وأن يدفعوه ثانية الى الأمام .

والآن فلنتختم هذا العرض التاريخي الموجز الذي من خلاله أوضحنا كيف أن الإسلام وقد جاء لضرورة عالمية ملحة قد حقق هذه الضرورة . . فقد تكفل بهداية الانسانية جمعاء ، وأرضى ضمير الإنسان وروحه ، ولبى مطلبه في العقيدة والإيمان ، ورسم الطريق لبناء مجتمع عالمي يقوم على أسس من العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية ، وعالج ما كانت قد تردت فيه الإنسانية قبله من أخطاء ، وقضى على ما كان يخالطها من شرور . . وليس من المهم الآن أن نوضح بالأدلة لم كان الإسلام كذلك ، أما الآن فيكفي أن أوضحنا نجاح الإسلام في مهمته عبر تجارب التاريخ . وقد رأينا كيف تغلبت العقيدة الإسلامية ، وكيف أن التعاليم والمبادئ الإسلامية مكنت المسلمين الأوائل - لأول مرة وبلا سابق تجربة - من أن ينجحوا في تحمل عبء الحكم ومسئولياته ، كما أنهم نجحوا في تحمل ما هو أكثر من ذلك الا وهو عبء الخلق الحضارى في أوسع معنى ، ورأينا أيضا كيف اضطلعوا بهذه المسؤولية في تفوق وامتياز . . وهذا يجعلنا نحن مسلمى العصر الحاضر نتطلع الى المستقبل بثقة واطمئنان . . فنحن على الأقل أكبر من أسلافنا قوة وأكثر عددا ، فإذا استكملنا ما تفوقوا علينا به وهو الاستمسك بالدين ، أمكننا أن نستأنف دورهم في قيادة العالم وهدايته وتخليصه مما يبرز فيه الآن من شرور أخطاء الإنسان ومطامعه .

لقد رأينا أن الله علّم البشر كيف يعيشون ، ورأينا أن الذين قبلوا تعاليم الله وراحوا يعيشون بموجبها تنعموا ببركات الله وهؤلاء يجب علينا أن نرسم خطاهم وأن نواصل العمل في توضيح كلمة الله التي نطق بها من خلال الاسلام . . تلك الكلمة التي تمسك بها أسلافنا فربحوا . . والنجاح الباهر الذي أصابه مسعاهم برهن على صحة القضية كلها . لقد أكد التاريخ صحة الإيمان .

زاهر عزب الزغبى

التكنولوجيا وسيلة إلى الإيمان

الكتور حسن محمد الشرفاوى

ان النجاح الحقيقى للانسان فى هذه الحياة لا يمكن فى حقيقة الأمر فى الحصول على أكبر لذة أو منفعة أو مصلحة ذاتية^(١) ، ونجنب أكبر ألم ممكن كما يتوهم كثير من المفلسين والمتبطلين وأنصاف المتعلمين .

إن هذا التصور القاصر للغاية من الحياة ، يجعل الإنسان فى كهولة مظلمة ، مريضاً فى صراعات قاتلة ، خائفاً من كل شيء ، شاكاً فى كل شيء ، الأمر الذى ينتهى إلى فقدان اللذة المزعومة ، والمنفعة المطلوبة ، وبذلك لا يحقق ما استهدفه من لذات ، ويرجع بخفى حنين ليحيا حياة اليأس والضياع والقنوط .

لقد قامت فلسفات عديدة ومازالت تقوم إلى الآن فى الشرق الغرب مذاهب ونظريات توظف رأسها فى الدفاع عن النزعات الالحادية والنعرات اللاأخلاقية بغرض الزج بالناس فى شرك المادية الظالمة وعبادة التماثيل الحسية الجامدة والسجود لتكنولوجيا باعتبارها المعبود الأوحده . .

ويندفع المستجيبون لهذه المزاعم إلى طريق مسدود بعد تخديرهم بأفيونها الفتاك واستحوادهم بأساليبها العارية وإثارتهم بنعرات الجنس الخمومة وإقامة قصور لهم من الوهم على أكوام الرمال . .

ويتجه إنسان هذا العصر الخمور حتى الثمالة إلى حتفه الأبدى دون أن يدري ، وإذا ماأفاق برهة من سكره ، ووعى ماحوله ، سارعت الدعايات الكاذبة ووسائل الإعلام المغرضة فأطبقت كسكين الجزار على رقبتة لمنعته من التعبير عن رأيه حتى يسلم لها القيادة فى أمره مكرها لا بطلا . .

أن كثيرا من تلك الفلسفات المعاصرة تقتل فى النفس الأمن والأمل وتذهب بالانسان إلى صحراء الضياع ليتناسى الهدف من خلقه ، ويتغافل عن خالقه ، ويترك هناك وحيدا فى

(١) لمزيد من الاطلاع فى هذا الموضوع يرجع إلى المذاهب التجريبية والعلمية والنفعية .

أرض قفراء ، لازرع فيها ولاماء ، لبحث عن الكنز المفقود ، والحقيقة الكبرى التى ليس لها وجود .

ويمضى إنسان هذا القرن المسكين وقد أدمى شوك الصحراء القاحلة قدميه ، وملكه الجوع والعطش واعصره الألم ، وفاض به الحنين ، ولامعين له ولارفيق فى هذه الرحلة القاسية فى عالم الدنيا الزائلة . .

لقد ظلم إنسان هذا القرن عندما فرض عليه أن يمسك بدمية يتلهى بها ، لا تأكل ولا تشرب ولا تنضر ولا تنفع أسموها « التكنولوجيا » فصارت بعد أن سحب عقله ، وفقد السبيل إلى ربه محسوبة الوحيدة وأمله الباقي ، وأغنيته المفضلة ، وإذا بالناس يجدون لذاتهم فى التضاحك والسخرية والاستهزاء بعضهم البعض ، وكأننا نعيش فى سيرك كبير لا يعرف من منا الذى يضحك من الآخر . .

لقد تحول الإنسان فى عصرنا هذا إلى قزم صغير وتابع حقير فى لعبة التكنولوجيا الحديثة ، فهى أبدا تبهره بجملها ، وتثيره بفتنتها وتكشف له عن ساقها ، فيذوب فى سلطانها ويتوقع فى فلکها ، ورغم أنه الذى استجلبها فهى التى تسيّره ، وهو الذى صنعها ويصنعها بيده إلا أنها هى التى تقهره فيسجد لها عابدا ، يدفعها أمامه كأنها قبلته ويجرى خلفها كالطفل الساذج الذى لا حول له ولا قوة إلا العبث واللعب واللهو ويظن أنه يحسن بذلك صنعا . .

ومازلنا إلى اليوم نهم الجاهلين الأولين الذين عبدوا العجل والتماثيل بأنهم كانوا قوم بداءة وتحلف ، وما أدركنا إلى الآن أننا نتكص مثلهم إلى هذه الردة ، ونغضى القهقري فى جاهلية القرن العشرين ، ولكن بأسلوب جديد . .

إننا الآن وقد فتنا بالحديث والمستحدث ، والجديد والمستجد ، نعبد طاغوت الهوى ، ونسجد لآلهة الشهوات ، ونركع مستعبدين لمثيرات الجنس ليحرك فينا غريزة الحيوان ويلهبنا بأسواط القلق ، والخوف والعذاب ، ونحن نحسب أن ذلك كله جنة الله فى أرضه وهى النار التى أعدت للكافرين . .

لقد ضاع كل شئ مع عبادة التكنولوجيا الحديثة فلا محبة ولا وئام ، ولا طاعة ولا إخلاص ، فالقوى يأكل الضعيف ، والكبير يسحل الصغير ، والكل لهُف يتصارعون على أطباق الطعام الذى لا يسمن ولا يشفى من جوع . .

إننا ننسى أنها الدنيا ، تلك الرحلة القصيرة التى ماتلث أن تنتهى وننسى أوتناسى أننا

سنلقى بعدها فى ساحات الموت ، وفى سراديب النسيان ، يغطينا الطين والحجارة وهناك حيث تنخر الديدان أجسادنا ، ويتسرب السوس إلى عظامنا ثم تتحلل أجسادنا ولا يبقى شيء سوى رحمة الله وفضل الله .

ماذا تستطيع التكنولوجيا أن تفعل فى رحلة الموت ، تلك الدمية المسحورة ، أتبعث ذلك الجسد المتحلل فى الأرض الميتة حيا من جديد ؟ . . أتساعد صديقها الذى أفنى حياته فى حبها ؟ . . أنخلصه من هذه الهوة السحيقة التى تردى فيها ، أم تبحث عن صيد جديد ؟ . .

لقد أخلص إنسان القرن العشرين فى عبادة الآلة الجامدة الصماء ولم يؤمن بالآله الواحد . . وأطاع شيطانه فهوى على أم رأسه ذليلاً متحسراً ، بعد أن فجع فيما ظن أنهم الأولياء والشفعاء ، وتقاذفته ريح عاتية ففقد كل شيء وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً . . ربما يعلم بالأكذوبة التى يعايشها ، ولكن بعد فوات الأوان بعد أن يتردى فى الخسران والضياح ، وبعد أن يتأكد له أنه أمضى حياته لعباً وعبثاً ، ولم يتبع الحق الواجب الاتباع . .

ألا يجدر أن يتعظ الظالمون فلا يتورطوا فيما وقع فيه السابقون ، إذ أن لحظة الموت آتية لا ريب فيها ، وكلنا ذائق من كأسه ، فلماذا العناد ، ويوم الميعاد قريب ولماذا التغافل ولن يوقف قضاء الله علم ولا أسباب ولا ظواهر ؟ . .

ألا يجدر بنا أن نعقل الحقيقة الكبرى ، وأن نعرف أن الموت ليس ظناً ولا وهماً وإنما هو عين اليقين ، وأنا مهما تهربنا منه فهو آت لا ريب فيه . .

لماذا التسابق إذن من أجل شهوات فانية ، ولذات ضائعة ، وأمانى غرورية ؟ . . لماذا لا يكون تسابقنا من أجل مغفرة من الله ، وجهادنا فى سبيله من أجل أن نحظى ببعض من فيض رحمته ؟ . .

لماذا لا يكون تنافسنا لننال فضل نعمته ، وسعينا من أجل تحقيق أمره وشريعته ؟ أيها الغافلون فى بحر الظلمات . . إن ساعة الموت لاتعادلها الدنيا وما فيها من زخارف ومتاع ربانى ، إنها تأتى بلامقدمات ولا ترتيبات ، إنها أمر قاطع يقينى ، فلماذا لانعد له العدة ليفتح الله لنا أبواب منته ويغمرنا بوافر عطاياه ويكون الرسول ﷺ شفيعاً لنا من العذاب المقيم . .

لقد طال العهد بالجاهلين ففسقوا من أمر ربهم ، وحسبوا أن الدنيا قد دانت لهم ، وأنهم بغرورهم قادرون عليها ، وأنهم يحسنون بذلك صنعا ، ولا يدرون أنها القاضية وحقت

كلمة ربك عدلا وصدقا ، وأنهم ملاقونه عن قريب حيث لا ينفك الإنسان مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . .

لن ينفعهم ما استحدثوه من آلات ، وما استجلبوه من أدوات ، وما أقاموه من عمارات وبنيات ، وما صنعوه من عقول الكترونية جامدة وماركبوه من سفن الفضاء السابحة ، لن ينفعهم كل ذلك ماداموا في شططهم يعمهون ، وفي غيهم يكابرون ، وفي ظلمهم يفاخرون ، وفي طلبهم اللذات والشهوات لا يشبعون .

إن التقدم العلمى ، والرق الحضرى ، واستكشاف غامض الطبيعة التى خلقها الله ، كان يجب أن يزيد المؤمن إيمانا ، إذ هى وسائل تين للعالم فى وضوح حجج الله الدامغة وحكمته تعالى البالغة ، فكل ما يتوصل اليه العلماء من أسرار خفية هى شهادة لله أنه خلق فأبدع ، وأنه أمر فعديل ، وأنه حكم فأوفى ، وأنه قدر فهدى . .

إن على العلماء أن يراجعوا أنفسهم ويشكروا الله على ما هداهم إليه وأن ينسبوا ما يتوصلوا إليه من علم إلى فاطر السموات والأرض وما بينهما العليم الخبير ، الخالق على الحقيقة فلا يغتروا بعقولهم ولا يكابروا فيما يسره الله لهم من الأدوات والقدرة على الملاحظة والتجريب . إذا أراد انسان القرن العشرين أن يهتدى إلى العلم الحق ، وينعم بالأمن والسكينة فليتوجه بكلية فى تواضع بلابية ولا تشكك إلى فاطر السموات والأرض وما بينهما ، ليأخذ بيده فى الحلقة الدامسة ، وأن يقيم وجهه للدين القيم الذى شرعه الله للناس جميعا ، وجعله فطرته التى فطروا عليها ، عند ذلك سيعلم الصادقون أن طريق الله هو الأسلم والأغنى والأخلد ، وأن زخارف الدنيا دمي لا تشفى ولا تغنى من جوع . . وأن الإيمان بيت الله الأقيم الذى إذا دخله الإنسان كان آمنا فلا خوف ولا يأس ولا قنوط . .

وهو بذلك يكون قد حقق الرسالة التى من أجلها أوجده الله على الأرض ، وفى يوم اللقاء العظيم يعرف يقينا أن لا ظل إلا ظله . .

فليكن الإنسان ما يكون ، مهندسا أو مفكرا أو فنانا أو ماشاء الله أن يكون ، ولكن يجب أن يكون قلبه متوجها دوما إلى وجه الله الكريم حتى يمكن أن يحظى بالسعادة الكبرى واللذة التى تبقى ولا تفتنى ويتحقق له ما وعده الله من جنات ونعيم . .

دكتور حسن محمد الشرقاوى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مبادئ في القيادة من هدى النبي

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

القيادة ضرورة اجتماعية :

يقرر الرسول ﷺ أن القيادة ضرورة لصالح الجماعة ، فمع وجود عدد من الأفراد في عمل مشترك تنشأ الحاجة إلى من ينظم العلاقات فيما بينهم ويوجه طاقاتهم نحو تحقيق الهدف المرجو من ذلك العمل ، وذلك هو دور القائد . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » وفي هذا توجيه إلى ضرورة وجود قائد للجماعة حتى ولو كانت صغيرة جداً .

الطاعة حق للقائد على مؤوسيه :

وترتيباً على أن صالح الجماعة يقتضى وجود قائد لها ، فإنه لا بد أن يطيع أفرادها أوامر قائدهم ، فذلك لصالح الجماعة أيضاً . . ولقد كرم الإسلام القائد خير تكريم ووضع له في أسمى منزلة وجعل حقه في الطاعة ثابتاً مقررأ في أكثر من آية في القرآن الكريم :

- « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .
- « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .
- « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .
- « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .
- « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » .
- ويقول النبي ﷺ في حق القائد في الطاعة :
- « إسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشي » .
- « إنما الطاعة في المعروف » .
- « لا طاعة لخلق في معصية الخالق » .

- « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني » .

الكفاءة والحب أهم معايير الاختيار :

قال عليه الصلاة والسلام : « أيُّما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس ، علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين ، وأيُّما رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون ، لم تجز صلاته أذنيه » (لم تجز أى لم تتعد) .

يضم هذا الحديث الشريف الشرطين الرئيسيين للقائد وهما الكفاءة والحب :

- الكفاءة ، في القسم الأول من الحديث وهي أساس التفضيل عند الاختيار إلى درجة أن الانحراف عنها يعد غشا لله وللرسول ولجماعة المسلمين .

- الحب ، في القسم الثاني من الحديث حيث تبلغ أهميته كشرط في اختيار القائد إلى حد سقوط الصلاة عن الإمام الذي يكرهه الناس . كذلك قال عليه الصلاة والسلام : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم (أى تدعون لهم ويدعون لكم) . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » .

الرجل المناسب في المكان المناسب :

يقول عليه الصلاة والسلام : « كلٌّ ميسر لما خلق له » .
ويقول أيضاً : « إني لأؤمِّر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه ، لأنه أيقظ عينا وأبصر بالحرب » .

وينطوى هذا المبدأ الذي يقرره الرسول على المعاني التالية : -

- ضرورة المواءمة بين قدرات الفرد واستعداداته ، وبين متطلبات العمل الذي سوف يسند إليه ، فإن قيام الفرد بالعمل الذي تناسبه استعداداته وقدراته ، يمكن من استغلال طاقاته أفضل استغلال مما يرفع من مستوى الأداء ومن مستوى الكفاية في تحقيق الأهداف والنتائج المرجوة .

- ضمان « الصحة النفسية » للفرد الذي يوضع في المكان المناسب لقدراته ، لأن التوافق بين الفرد والعمل ، يوفر للفرد المناخ والفرصة لتحقيق ذاته في ميدان العمل ، ولتكيّفه وتوافقه مع البيئة التي تحيط به ، ولسلوكة بالطريقة التي تتفق مع فكرته عن نفسه ،

وشعوره بالسعادة والرضا عن نفسه وعن عمله وعن الآخرين . وكلها أمور ينادى بها علماء النفس والصحة النفسية ويعدونها من أهم أسباب النجاح في إنجاز الأعمال .

صور من هدى الرسول :

● ولقد طبق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وكان حريصاً عليه ، فسجل عصر النبوة قدرته الفائقة ، وخبرته الواسعة ، وبصيرته النافذة في معرفة النفوس والأخلاق والمواهب والقدرات ، ومعرفة ما يلائمها من المهام والأعمال وكذلك معرفة الوقت المناسب .

وقد عبّر الأستاذ العقاد عن عبقرية النبي في هذا المجال فقال^(١) :

فمن علامات العظمة التي تحيي موات الأمم أن تختص بقدرتين لا تعهدان في غيرها ، أولاهما أن تتبع كوامن الحياة ودوافع العمل في الأمة بأسرها وفي رجالها الصالحين لخدمتها ، والأخرى أن تنفذ ببصيرتها إلى أعماق النفوس فتعرف بالبديهة الصائبة والوحي الصادق فيم تكون عظمة العظيم ، ولأى المواقف يصلح ، وبأى الأعمال يضطلع ، ومتى يحين أوان ندبته (أى دعوته للعمل) ومتى ينبغي التريث (الانتظار والتمهل) في أمره إلى حين . .

وقال عن اختيار أبي بكر للخلافة : إن محمداً عليه السلام قد عرف من هم رجاله وما هو الموقف الذي هم مقبلون عليه بعد وفاته ، فعرف الموضع الذي يضع فيه كلا منهم ، والعمل الذي يتولاه خير ولاية في ذلك الموضع . فلقد كان عليه السلام يعرف في أبي بكر الرفق والدعة واللين ، ويعرف في عمر الشدة والقوة والصرامة ، فاختر أبو بكر للخلافة بعده ، كان وضعاً له في المكان الذي يناسبه ، لأن الإسلام كان في حاجة إلى الرفق والدعة والتآلف من أبي بكر ، كما كان في حاجة إلى الشدة والصرامة والقوة من عمر ، وقد ضمن النبي كل ذلك باستخلاف أبي بكر ، لأن شدة عمر ستكون مع أبي بكر معبأة حاضرة إذا احتاج إليها .

● وعن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ (أى توليني عملاً عاماً) قال فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذ بحققها ، وأدى الذي عليه فيها .

● وفي مجال الحرب كان عليه السلام يعرف كيف يختار القائد المناسب لما يحتاج إليه الموقف الحرجي ، فقد بعث عمرو بن العاص على سرية فيها أبو بكر وعمر ، فلما وصلوا إلى مكان الحرب نهاهم أن يوقدوا ناراً ، فغضب عمر فنهاه أبو بكر وأفهمه أن الرسول لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه ، واقتنع بوجهة نظره . . وفي غزوة أحد أمسك الرسول بسيف وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال يريدون أخذ السيف ، لكن الرسول أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فأعطاه له . ولقد أثبتت حوادث المعركة حسن اختيار الرسول القائد لأبي دجانة ، فقد سأل رسول الله قائلاً : وما حقه يا رسول الله ؟ ، قال الرسول : أن تضرب به العدو حتى ينحني . ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالاً شديداً ، فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعمل يدل على الشجاعة والفدائية ، إذ حنى ظهره على الرسول وجعل من ظهره ترساً تحميه وكان النبل يقع فيه .

التجرد من الهوى عند الاختيار :

● عن يزيد بن سفيان قال : قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام : يا يزيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمر المسلمين شيئاً ، فأمرهم أحداً محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم » (صرفاً ولا عدلاً : أى لا يقبل الله منه فرضاً ولا نفلاً) .

● ومن أروع صور التجرد عن الهوى وعدم المحاباة حرص النبي ﷺ أن يواجه آل بيته قبل غيرهم مكاره الحرب ، وأن يقاسموا المسلمين في شدائدنا ومصاعبنا ، وبخاصة حين نادى المشركون : يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا ، فقال الرسول : « يا بني هاشم قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » فقام حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف .

● كذلك عين الرسول الكريم ﷺ بلالاً رضى الله عنه والياً على المدينة ، وفيها من فيها من الأنصار والمهاجرين ، وولّى أسامة بن زيد - وهو أحد الموالى - قيادة جيش كان فيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة ، وبعث عبادة بن الصامت سفيراً للمسلمين إلى المقوقس ، وكان عبادة أسود اللون حتى طلب المقوقس إبعاده عنه ، إلا أن أعضاء وفد المسلمين قالوا له : إننا لا نستطيع ذلك لأنه رئيسنا وأفضلنا عقلاً ، وأسدنا رأياً ! !

● وهكذا يقرر الرسول ﷺ أن الاختيار أمانة ، والأمانة عصب الأمة في جميع شئونها ، فالله تعالى يأمرنا فيقول : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وأمانة الاختيار تعني استقامة الضمير ونقاء النفس وشجاعة الرأي وخلوص القلب من الحين والرياء والنفاق على أساس من العلم والمعرفة ، وتعني تنزه الإنسان عن اختيار غير الأكفاء لمنفعة أو هوى . يقول الله تعالى :
- « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

- « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرى ، وبعهد الله أوفوا » .
وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : « أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرأا » .
● ثم إن شأن الذي لا يختار بأمانة ، ويهدف المصلحة العامة ، وشأن من يستشار ولا يقول رأيه بصدق وإخلاص واختار من لا يصلح ، شأن من يشهد شهادة الزور ، والشهادة الكاذبة من مظالم اللسان التي يضيع بها الحق ، وتختفي معالم العدل ، والله تعالى يحذر من قول الزور ويقرنه بعبادة الأوثان فيقول : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

ويقول النبي ﷺ :

« من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل ، فلبتوا مقعده من النار » .
● وشأن من يتجنب إبداء الرأي في اختيار الأصلاح ، شأن من يكتم الشهادة ، والله تعالى يحذر من كتمان الشهادة فيقول : « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » .

من صفات الحاكم

لَا يُقَوْمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفَ الْعُقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغُرَّةِ ، لَا يَطْلُعُ مِنْهُ
النَّاسُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَحْتَقُّ فِي الْحَقِّ عَلَى جَرَّةٍ ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَأَيْمٍ . . .

عمر بن الخطاب

وقفه على مشهد !

الاستاذ السيد حسن قرون

لا أدعى أنى لا أعرفه ، ولا تربطنى به صلة ، أولاً يمت إلى بسب ، فأنا أعرفه حق المعرفة ، وكثيراً ما تراءى لى فى البقظة أو المنام ، وإنى لأذكره فى كل مقام ذكر فيه الشهداء ، أو الذين قتلوا دون ذنب جنوه ، وحين أتلو من القرآن قصة ابنى آدم تطل على صورته ، ويحضرنى مصرعه حتى كأنه مات بالأمس أو صرع اليوم ، ورأيتنى بقصد أو دون قصد أتتبع ما كتب عنه قديماً أو حديثاً ، وما كتب عنه لا يشبع دارساً أو مؤرخاً أو قاصاً ، ولكن الذين تعرضوا لتاريخنا الإسلامى يذكرونه كأنه علامة على الخطأ ، أو إشارة إلى الخطر ، أو دعوة إلى النظر والاعتبار ، إلى أن جاء العصر الحديث فقرأت للدكتور طه حسين أسطراً عنه فى كتابه «مرآة الإسلام» ، فدفعنى شعورى دفعاً إلى أن أكتب عنه علّ الكتابة تخفف ما أشعر به نحوه من إشفاق ورثاء وبكاء ، أو تعينى على التهور من شناعة مصرعه ، أو التأسى بما أنى به الزمان بعده من مصارع قوم نُحِبُّهم ونجلهم ونرجو لهم المغفرة والرضوان ، وإن كنت فى شك مما أقول فاقراً معى تلك السطور التى سطرها محمد بن سعد فى طبقاته عنه : « قالوا : وأفرج الناس يوم الجمل عن ثلاثة عشر ألف قتيل ، فسار على من ليلته فى القتلى معه النيران ثم بمحمد بن طلحة بن عبيد الله قتيلاً ، فرد رأسه إلى الحسن بن على ، فقال : يا حسن ، السجّاد ورب الكعبة قتيل كما ترى . ثم قال : أبوه صرعه هذا الصرع ، ولولا أبوه وبرّه به ما خرج ذلك المخرج لورعه وفضله . فقال الحسن : ما كان أغناك عن هذا ! فقال على : يالى ولك يا حسن ، وقد كان قال له قبل ذلك : يا حسن ، ودّ أبوك أنه قد كان مات قبل هذا بعشرين سنة » .

هذا الحوار القصير بين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وابنه الحسن يكشف لنا عن جلل المصيبة فى السجّاد (محمد بن طلحة) وشدة وقعها على النفوس ؛ لأنه رجل زاهد فى الرئاسة والمال ، حبّ إليه المسجد من صغره ، فنشأ نشأة دينية قويمة ، ثم تعرّض لأمر ما كان له أن يتعرض له لولا الحوادث العنيفة التى أخرجته من حياته بين القبر والمنبر من

مسجد رسول الله ﷺ إلى ميدان القتال بأرباض البصرة سنة ست وثلاثين من الهجرة . كان أبوه (طلحة بن عبيد الله) من بني تيم أسرة أبي بكر الصديق ، من العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض كما أخبرنا عمر بن الخطاب في آخر عهده بالدنيا ، وكان طلحة من أثرياء الصحابة إن لم يكن أكثرهم مالاً ، ولكن محمداً ابنه عاف المال والجاه والرفاهية منذ عقل ، فشب على التقوى ، والعزوف عن زخارف الدنيا ، وتقشف وتبتل ، فكان المسجد دنياه وعزه وراحته ونعيمه ، ولا عجب في ذلك فقد نشأ في بيت أبوين مهاجرين أبليا في الإسلام والدفاع عنه بلاء حسناً ، فأبوه لا ينكر أحد بذله في غزوة أحد ، حتى قال الرسول الكريم عنه «أوجب طلحة» ، وأمه (حمنة بنت جحش) أخت زينب زوج رسول الله ، كانت تحت (مصعب بن عمير) رضى الله عنه فلما استشهد في «أُحُد» تطلع إليها طلحة لمزنتها الدينية وقرباتها من رسول الله فهي ابنة عمته (أميمة بنت عبد المطلب) فتزوجها ، ثم ولدت له محمداً هذا فخرجت به إلى رسول الله . فقالت له : سَمِّه يارسول الله ، فقال : اسمه محمد وكنيته أبو سليمان ، فكان من أبناء الصحابة الذين شرفوا بروية رسول الله لهم حين مولدهم مثل الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، فتفتحت عيونهم على دنيا جديدة تشرق بآيات الله وستة رسوله ، وجهاد المؤمنين في نشر الرسالة ، وبشائر النصر التي تجيء إلى المدينة من حين إلى حين فتملؤها بهجة وعزة وإيماناً . وكما استمع محمد من أبيه وأمه عن حياة الرسول وجهاده في سبيل الله ، وموقفها من الدعوة الإسلامية ، فكان ما يسمعه يزيد إيماناً وإقبالاً على حفظ القرآن الكريم وتلاوته ، والتأمل في معانيه ، والامتثال لأوامره ونواهيهِ ، فيزداد عشقاً للمسجد والتهجد وإطالة السجود حتى دعى بالسجادة ، وهو لقب غلب عليه وعرف به ، وقد أراد عمر بن الخطاب تغيير كل من كان اسمه محمداً ؛ لأنه نظر^(١) إلى ابن أخيه وكان اسمه محمداً ، ورجل يقول له فعل الله بك وفعل وجعل يسبه ، فقال عمر عند ذلك : يا بن زيد ، ادن مني ، ألا أرى محمداً يُسبُّ بك ؟ والله لا تدعى محمداً مادمت حيا . فسماه عبد الرحمن ، ثم أرسل إلى بني طلحة وهم يومئذ سبعة أكبرهم محمد ، فأراد أن يغير اسمه . فقال محمد بن طلحة : يا أمير المؤمنين ، أنشدك الله فوالله إن من سماني محمداً لمحمد فقال عمر : قوموا فلا سبيل إلى من سماه محمد ﷺ .

ومن تمام القول أن طلحة كان يسمى أبناءه بأسماء الأنبياء حتى قال الزبير العوام ، إن

(١) الطبقات = ترجمة محمد بن طلحة .

طلحة يسمى أبناءه بأسماء الأنبياء ولا نبى بعد محمد ، أما أنا فأسمى أبنائي بأسماء الشهداء
لعلهم ينالون الشهادة . ولما توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش أمر عمر محمد بن طلحة
أن ينزل في قبر خالته فأدى ما أمر به .

وعاش السجّاد - لسجوده وإخلاصه لعبادته - مرغوباً فيه محبوباً ، ومنظوراً إليه
مقدوراً من كل الناس حتى وقعت الفتنة وقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فرأى أباه
متجهاً شطراً مكة ، فتبعه ، وهناك وجد أناساً كثيرين يتحدثون عن قتلة عثمان ، وإذا به
يجد نفسه مع الجموع الثائرة السائرة نحو البصرة مع أم المؤمنين السيدة عائشة وأبيه طلحة
والزبير ومروان بن الحكم ، وفي البصرة كانت المفاجأة هو في جيش أم المؤمنين ، وجيش
يعاديا هو جيش أمير المؤمنين ، وتتفاقم الأمور بين عينيهِ حتى في أداء الصلاة فحين
حضرت الصلاة اندفع طلحة والزبير كل منهما يريد أن يؤم المسلمين حتى كادت الصلاة
تفوت ؛ ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة ، ومحمد بن طلحة صلاة ،
فذهب ابن الزبير يتقدم فأخّره محمد بن طلحة وذهب محمد ليتقدم فأخّره عبد الله بن
الزبير ، فاقترعا فقرعه محمد بن طلحة فصلى بالناس فقراً : « سأل سائل بعذاب واقع » .
ثم تراءى الجمعان ، واقتتل الجيشان ، فلما تغلب جيش علي ، وعقر الجمل ، وقتل كل
من أخذ بخطامه تقدم محمد بن طلحة فأخذ بخطام الجمل وعائشة عليه فقال لها : ما ترين
يا أمّه ؟ قالت : أرى أن تكون خير بنى آدم - تعني أنه يكف عن القتال - فلم يزل كافاً ،
فأقبل عليه فارس ، فحمل عليه بالرمح . فقال له محمد : « أذكرك حم » فلم ينفعه
التذكير ، بل طعنه بالرمح فقتله وأنشد ،

وأشعث قواماً بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
فتكت له بالرمح جيب قبضه فخر صريعاً لليدين وللهم
يذكرني (حاميم) والرمح شارع فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابِعاً عليّاً ، ومن لا يتبع الحق يندم
فالفارس القاتل مسلم يقتل مسلماً أشعث قواماً بآيات ربه ، لا يؤذى أحداً ، ولا يضر
كيداً لأحد ، قد كف عن القتال ، واعتصم بالأخوة الإسلامية ، فذكره بالقرآن وبسوره ،
ولكن ذلك الفارس الذي ضرى بالدماء ، وصار وحشاً ضارياً همه في القتل ، لا تعطفه
أخوة ولا صلوات روحية ؛ ولو ذكره بحاميم ،
ولم كل ذلك ؟ لأن السجّاد ليس تابِعاً لعلي ، ألا يتخذ الحوار بالرأى سبيلاً إلى تفهّم

مقصده ، والتعرف على رأيه ؟ إنه يمسك بخطام جمل عليه أم المؤمنين ، وكان ينبغي أن يتذكر أنه يقاتل رجلاً لا يقاتل ، ويخاصم مسلماً غير محاصم ، ويقينى أن تلك الآيات تشف عن ندم صاحبها وإن بدا في صورة المباهى المفتخر ، أو الذى أدى عملاً يشكر عليه . ثم صار السجاد محاصماً له عند خالق السموات والأرض ، والجنة والنار ، وبيده الملك وهو على كل شىء قدير ، وسيكون له سلطان على قاتله ، وله الحجة البالغة عند التقاضى . وقد وقفت طويلاً عند قوله « يذكرنى حاميم » ولم اختار محمد حاميم دون سور القرآن ؟ ونظرت في كل سورة بدأت بكلمة (حم) لعلى أهتدى إلى السر في اختياره ، والقرآن الكريم في كل سورة يدعو إلى العظة والعبرة والقدوة الحسنة ، ثم تين لى أن (الحواميم) فيها كثير من الآيات التى تشير إلى المؤمنين وتوادهم وتراحمهم والنعيم المقيم الذى ينتظرهم . ففي سورة (غافر) تهديد فرعون بقتل موسى ومعاذ موسى بربه ، ثم موقف المؤمن . قال تعالى : « وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رضى الله »

وفي سورة (فصلت) يقول تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

وفي سورة (الشورى) : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » وفي سورة (الزخرف) : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » .

وفي سورة (الدخان) : « إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين » وفي سورة (الجاثية) : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المين » وفي سورة (الأحقاف) : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها

جزاء بما كانوا يعملون» ، فهل أراد (السجاد) بقوله لمقاتله أوقاته «أذكرك حم» كل هذه الآيات أو أراد سورة بعينها ؟ أرجح أنه قصد إليها جميعها ، فحم اسم يطلق على كل السور التي نجمعها هذا الجمع (حواميم) لأن فيها عطف المؤمن على المؤمنين ، وحديث الاستقامة والشورى والنعم الذي يكمل بجلوسهم على الأرائك متقابلين جزاء بما كانوا يعملون . ولكن القلوب القاسية لا تلين ، والغاشية حين ترين على النفوس تحجب العقول عن الطريق المستقيم ، ويكفي لبيان جسامته المراءى أن الحسن يقول لأبيه . ومن أبوه ؟ إنه على بن أبي طالب : ما كان أغناك عن هذا ! ويقول الأب الكريم : يا حسن ود أبوك أنه قد كان مات قبل هذا بعشرين سنة . رحم الله محمد ابن طلحة فقد قتل وهو كاف عن القتال وسنه في الثلاثين أو تزيد قليلاً .

السيد حسن قرون

إذا غابت الحكمة والتعقل . . ساد الجهل واستشرت الفتنة

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَأَسْرَاةٍ (١) لَهُمْ
وَلَا سَرَاةٍ إِذَا جَهَّاهُمْ سَادُوا
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فِالْأَشْرَارِ تَنَقَّادُ
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ النَّاسِ أَمْرُهُمْ
نَمَّا - عَلَى ذَاكَ - أَمْرُ الْقَوْمِ ، وَازْدَادُوا
الْأَفْوَةَ الْأَوْدَى

(١) سرأة كل شيء أغلاه .

إختلاف الرأى بين المشطط والاعتدال

دكتور محمد رجب البيومى

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

تتقدم الإنسانية فى مدارج الرقى بتقدم العصور ، حيث كنا نرى فى تاريخ النقاش العلمى من ضروب التهجم والافتيات ، ووسائل القدح والتنقص ، ما ينفر منه أكثر المتجادلين اليوم فى حلبات النقاش ، إذ أن الإنصاف خلق حميد يجب أن يحرص عليه ذو العلم ممن يتصدرون للمقارنات النظرية ، كما أن محاولة التنقص والازدراء لمن يذهبون مذهباً مخالفاً لا تدل على سعة الأفق ، وامتداد المحيط ، بل تضائل كثيراً من مكانة ذويها ، وإن كانوا أهل صواب فيما يقررون ، لأن الصواب لا يكتمل على وجهه الصحيح دون رعاية للأدب فى الحديث .

وقد مضى وقت كان التعصب الفقهى فيه على أشده ، بحيث لا يطبق نفر من المتشددین أن يسلموا بوجهة نظرة سديدة فى مذهب مخالف ، ولم يكن الخطب فى ذلك عاما شاملاً بل كان يخص جماعة متشددة ، ضاقت بسعة الصدر وتحجرت فى زواياها الضيقة ، على حين وجدت شخصيات مستنيرة ، ناقشت الرأى باعتدال واعترفت بالصواب لمن أتى به دون نظر إلى اتجاهه المذهبى ، وهذا هو المظنون فى قوم يحملون راية العلم ويدعون إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتي هى أحسن ، وسنضرب المثل لكلا الفريقين ، ليرى القارئ الكريم كيف يحتفظ التاريخ بالكلمة الأخيرة ، فيقولها خالصة صادقة لترجح بالمعتدل وتشيل بالمتسرع العجول .

كان الإمام الشافعى رحمه الله حجة فى علم العربية كما هو حجة فى التشريع ، وقد رحل إلى البادية فشافه الأعراب ، وجمع اللغة ، وروى أشعار الهذليين حتى رويت عنه ، وعزيت إليه ، وكان الأسلوب الفقهى فى كتابى الأم والرسالة روعة عاقلة رصينة ، وأقول ذلك لأن بيانه الفقهى ذو تركيز دقيق ، يعجب عشاق المعانى المحدثّة ، والأدلة السافرة والإمام شاعر أديب وكان فى قدرته أن يستفيض فى تأليفه الفقهى بما يمتع الوجدان ، ولكنه

علم أن لغة القانون غير لغة الأدب ، وأن النبوغ في التأليف التشريعى يعتمد على المركز ، والحنة المحددة ، فجاء أسلوبه ذاروعة حاقلة رصينة ، إذ هي روعة عقل ، وليست روعة وجدان ، وطبيعى أن يجعل آيات القرآن حجته الأولى ، وأن يشرح ما يستشهد به من تلك الآيات ، وقد وُجد من ناقشه في بعض ما اتجه إليه جانحاً إلى غير وجهته ، وذلك طبيعى غير مستغرب ، ولكن المستغرب حقاً أن يوجد من كبار العلماء من يحاول أن يترك القول إلى القائل ، وإذا جاز أن نرى ذلك لدى الأغرار من الناشئة فكيف نراه لدى أئمة أعلام ، وهم بلا شك يعرفون موهبة الإمام الفقهية ! وقد آن أن نستشهد بالمثل .

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا) .

وقد ذهب غير الشافعى إلى أن معنى (ألا تعولوا) هو (ألا تجوروا) من قولهم عال الميزان عولا إذا مال ، وعال القاضى في حكمه إذا جار ، وقد روى أن أعرابياً حكم عليه قاض بما لا يحب ، فصاح في وجهه : أتعمل على ! أى أتجور على كأنه يستنكر حكمه ، ويرميه بالجور .

أما الشافعى فقد ذهب إلى أن معنى ألا تعولوا هو أى لا يكثر عيالكم لأن الزوجة الواحدة لا يكثر أولادها كثرة من يتزوج بثنائية وثالثة ورابعة !

ولكل فقيه أن يأخذ بما يترجح لديه من التفسير ، فليس لأحد أن يلتزم بتفسير الشافعى إذا رجح لديه سواه ، ولكن الذى ليس له أن يتناول على شخصه بما يجب أن يحتز عنه . ومن تناولوا على الشافعى أبو بكر بن العرى ، والشريف الرضى ، وممن وافقوه من غير رجال مذهبه الزمخشري الحنفى ، والقرطبى المالكى ، وسنشير إلى نبذ من أقوالهم جميعاً ، ليرى الدارس كيف يضائل التهجم من شخص صاحبه ، وكيف يرتفع الإنصاف بذويه إلى أفق نبيل .

١ - أما أبو بكر العرى فقد قال في تفسيره « بيان أحكام القرآن » المسألة العاشرة قوله تعالى (ذلك أدنى ألا تعولوا) اختلف الناس على ثلاثة أقوال في تأويله ، الأول ، ألا يكثر عيالكم ، قاله الشافعى ، الثانى ، ألا تضلوا ، قاله مجاهد ، والثالث ، ألا تميلوا ، قاله ابن عباس والناس .

ثم قال ابن العرى : أعجب أصحاب الشافعى بكلامه هذا ، قالوا : هو حجة لمزلته

في اللغة، وشهرته في العربية، والاعتراف له بالفصاحة.. حتى لقد قال الجويني هو أفصح من نطق بالضاد مع غوضه على المعاني ومعرفته بالأصول، واعتقدوا أن معنى الآية (فانكحوا واحدة إن خفتم أن تكثروا عيالكم)

وتابع يقول: (وكل ما قيل عن الشافعي أو وصف به فهو كله جزء من مالك، ونُجبة من بحره، ومالك أوعى سمعاً وأفصح لساناً، وأبرع بياناً، وأبدع وصفاً، ويدل على ذلك مقابلة قول بقول، في كل مسألة وفصل).

ثم قال (والفعل - عال، في كثرة العيال - رباعي لا مدخل له في الآية، فقد ذهبت الفصاحة، ولم تنفع الضاد، المنطوق بها على الاختصاص).

هذا ما قاله ابن العري، وقد تعرض إلى الموازنة بين إمامين عظيمين ليرفع أحدهما، ويخفض الآخر، وما كان له أن يتجه إلى ذلك لما منها إلا له مقامه المعلوم، وقد اعترف مالك بذكاء الشافعي حين قرأ عليه الموطأ، كما قال الشافعي (إذا ذكر العلماء فمالك النجم) لما دخول ابن العري بين التلميذ وأستاذه وقد أعجب مالك بتلميذه وتباً له الإمامة، وحسب من حسناته، حتى إذا بلغ مرتبته دافع عن كثير من أحكامه، وإذا ذهبت الفصاحة من مثل الشافعي أفبقى لابن العري؟!

٢ - على أن أبا بكر لم يستقص ما قال اللغويون في معنى كلمة (عال) وكان عليه كمفسر يتعرض لتخطئة الأئمة الكبار أن يحرص على هذا الاستقصاء ليقف على أرض صلبة لا تهزها الزعازع، وقد جاء من بعده الفقيه المالكي (القرطبي) ليقوم بهذا الاستقصاء في تفسيره الشهير، فيظهر تعجل ابن العري فيما أسرع به من تخطئة الشافعي.

قال القرطبي (وقد قال الشافعي (ألا تعولوا) ألا تكثروا عيالكم، قال النعلي، وما قال هذا أحد غيره، وإنما يقال (أعال يُعيل) إذا كثر عياله).

يريد أنه من الفعل الرباعي لا الثلاثي، وزعم ابن العري أنه على سبعة معان لا ثامن لها، يقال: عال بمعنى مال، وزاد، وجار، وافترق وأثقل وقام بمؤونة العيال، وغلب، وأعال الرجل كثر عياله أما عال كثر عياله فلا يصح.

ورد القرطبي على ذلك فقال: أما قول النعلي [عن الشافعي] ما قاله غيره، فقد أسنده الدارقطني إلى زيد بن أسلم، وهو أيضاً قول جابر بن زيد، فهذان إمامان من علماء المسلمين وأئمتهم قد سبقا الشافعي إليه.

وأما ما ذكره ابن العري من الحصر وعدم الصحة فلا يصح، فهناك عال الأمر: اشتد

وتفاهم ، حكاه الجوهري وقال الهروي في غريبه « وقال أبو بكر [يريد ابن دريد] يقال عال الرجل في الأرض يعبل فيها إذا ضرب فيها ، وقال الأحمر : يقال عالني الشيء يعبلني إذا أعجز .

وأما عال بمعنى كثر عياله فقد ذكره الكسائي وأبو عمرو الدودي وابن الأعرابي . . . ومعنى ذلك أن لكلمة عال معاني أخرى فوق ما حدده ابن العربي ، وأن من هذه المعاني ما قاله الشافعي وقد حكاه زيد بن أسلم وجابر بن زيد والكسائي وأبو عمرو وابن الأعرابي !

وهذا التصحيح من القرطبي يدل على إنصاف وأدب : أما الإنصاف فقد اتجه به إلى الشافعي ، وأما الأدب فقد التزم به مع ابن العربي إذ اكتفى بتصويب خطئه دون جموح ، وهذا ديدن الأصلاء من الباحثين .

٣ - فإذا تركنا ابن العربي إلى الشريف الرضي في كتابه (التأويل في متشابه التنزيل) فإننا نجد أنه يترك للسانه المجال ليتسع في انتقاص الشافعي ، وقد تجرأ فقال عن الإمام رضى الله عنه (وكفى بأقواله بعداً عن علم اللغة وغربة عن وطن العربية) وهي حملة خاطئة مخطئة ، لأن الشريف الرضي إذا كان يفخر بعربيته لأنه هاشمي ، فالشافعي أعرق منه في الهاشمية . فهو من بني المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فكيف يكون بعيداً عن وطن العربية ؟ ! ! ثم إن الشريف من رجال القرن الرابع الهجري ، والشافعي من رجال القرن الثاني فأيهما أقرب إلى التماس الفصحى من أعراب البادية قبل أن تختلط الألسنة ؟ ! ! وإذا كان المؤرخون قد سجلوا للشافعي إمامه بلغة الأعراب وانتجاعه إياهم حتى روى الأصمعي وأمثاله عنه ، فهل قرأ الشريف من علم اللغة إلا ما حصله الشافعي مشافهة ، ويسره لحاضر لم يبدُ لتقييد العلم ؟ ! ! وإذا خالفه في معنى (ذلك أدنى ألا تعولوا) وفرضنا - من باب التسليم الجدلي فقط - صحة ما ذهب إليه الشريف ، أفيكون تفسيره للآية على غير مايرام كافياً لبسط القلم بعبارات تؤذى الناقد ولا تصيب المنقود .

٤ - لقد كان الإمام الزمخشري أهدى بصيرة ، وأقوم سبيلاً من الشريف وأمثاله حين قال في تفسير الآية الكريمة (ذلك أدنى ألا تعولوا) من قولهم عال الميزان عولاً إذا مال ، وعال الحاكم في حكمه إذا جار ، والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله ، أنه فسر ألا تعولوا أى لا يكثر عيالكم ، وكلام مثله من أعلام العلم ، وأئمة الشرع ، ورعوس المجتهدين ، تحقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وألا يُظنَّ به تحريف تُعيلوا إلى تعولوا . وكفى بكتابنا

المرجم بـ (شافى العى من كلام الشافعى) كافياً بأنه كان أعلى كعباً ، وأطول باعاً فى كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب ، فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريق الكنايات ، وقرأ طاووس : ألا تُعيلوا ، من أعال الرجل إذا كثر عياله ، (وهذه القراءة تعضد قول الشافعى) .

أرأيت إلى أدب الزمخشري وإنصافه ، لقد بدأ بذكر المعنى الذى يرتضيه ، ثم ثنى بما ذكره الشافعى منوهاً بمكانته ومستبعداً أكبر الاستبعاد أن يخطئ مثله الفرق بين الفعل الرباعى والفعل الثلاثى ، وملتمساً له التأييد فى قراءة قرأ بها طاووس ! أليس هذا سبيل المنصفين الأتبات ! والزمخشري حنفى المذهب ، ولكن العلم رحم موصولة بين العلماء ! إنَّما دفع إلى التهجم المذهبي لدى السابقين هو ما اشتهر من المناظرات الفقهية العلنية فى الأماكن العامة بعد انتشار المدارس النظامية فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، فقد كان لكل مذهب رأسه الكبير الذى يؤلف فى فقهه ، ويدرس لتلاميذه ، ويقوم بالمناظرة عند الاختلاف ، وفى معمعان الجدل العلنى يتولّد التعصب وينتقل إلى الكتب ، وكان على الغلاة من المناظرين أن يعرفوا أنهم طلاب حق وأنهم ورثة السابقين من أمثال مالك والشافعى وأبى حنيفة وابن حنبل رضى الله عنهم ، فقد كانوا جميعاً يختلفون مع نظرائهم فى الفتوى دون لجاج ، وقد حفظ لنا التاريخ مناظرة فقهية هامة بين الليث بن سعد ، ومالك بن أنس دارت على بعض المسائل ذات الاختلاف ، وقد أوضح كل من المناظرين رأيه فى حيدة وإخلاص ، ولئن جاز الشغب العلمى - على أنه لا يجوز - فى قضايا الفلسفة وما يمت إليها من فروع فلن يجوز فى علوم دينية ترجع أصولها إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله الكريم ، وإجماع الصفوة من المجتهدين .

ولابد أن يحدث الاختلاف بين العلماء فى تطبيق القواعد . وفهم النصوص ، حتى ليفقى الفقيه بالحلّ فى مسألة ما ، ويفقى زميله بالحرمة فيها ، وعلى العلماء أن يتداولوا الأدلة المتعارضة فى هدوء عاقل ، وأن يتعدوا بمواطن الخلاف عن صحافة العامة ، إذ ليس كلّ قارئ بقادر على أن يتتبع وجهات النظر ، ولكنه ينظر فيجد اختلافاً يتركه فى مكان الحيرة والقلق ، وها نحن اليوم نرى لغطاً متعارضاً حول مسائل التأمين والاستثمار ، ونرى الصحافة تفسح مجال النشر لكل كاتب فتتعدّد الآراء عن خطأ لا صواب ، ولبعض الأدعياء غرور يظنون به أنهم على شيء ، ومتى نشرت لهم الصحف غير المتخصصة رأياً مبتسراً ظنوا أن النشر دليل الصحة ، وتابعوا الفتوى دون أصالة ، وللفتوى الصحيحة رجالها المتخصصون

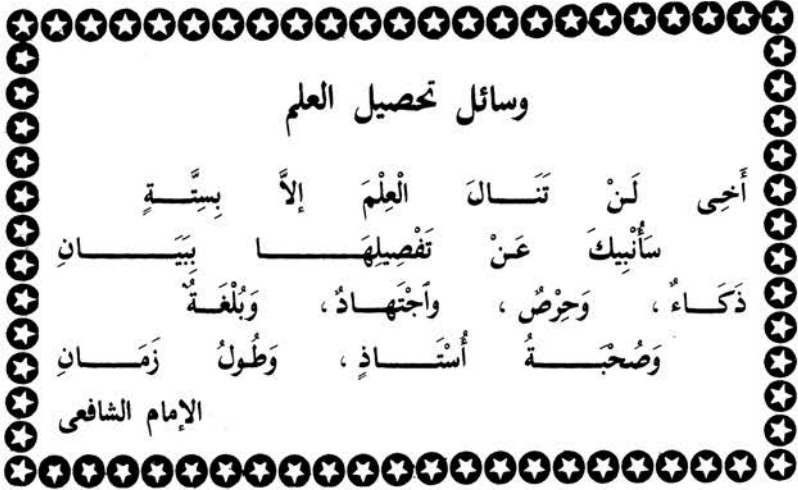
فى مجمع البحوث ، وفى لجنة الفتوى وفى كليات الشريعة ، وفى دار الإفتاء . فى الله كيف لا نأتى الشئ من بابه فنُصيخ إلى كلّ داع دون اعتبار .

وإذا كان اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية ، فكيف يجرؤ بعض خطباء المنابر على الصراخ المزعج ، والعداء الأهوج ، إذا قرأ حكماً لا يرتضيه ، فيدفع بالعامّة إلى بلبّة لا يطبقونها ، ولماذا لا يكتب إلى ذوى الاختصاص أو يرسل إلى الجريدة التى نشرت الرأى مخالفاً فى أدب وموضوعية ، وسيتكلم المتخصصون لا محالة ، فتتجلى الرغبة عن الصريح ، ويذهب الزبد جفاء ، ويبقى فى الأرض ما ينفع الناس .

هذا بعض ما نرجوه فى هذا المجال ، وليس بالعسير بعد على من يستمعون القول فيتبعون

أحسنه ،

د . محمد رجب البيومى



قضايا لغوية

نظرات حول الترادف اللغوي

دكتور توفيق محمد صالحين

« اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها ، وأى خطر يهددها هو خطر يتهدد شخصية الأمة في وجودها واستمرارها ، وفي توجيه اختياراتها ومسارها في شتى المجالات الحياتية .

ومن ثم فلا بد من دراسات عميقة وجادة في حياة اللغة وكيونتها ، والدفاع عنها ، لحياة الذات الفكرية للشعوب ، وانطلاقاً من هذا الجانب ، لأن اللغة موجهة فكر ، وأداة حضارة ، وصناعة بلاغ .

« ولهذا فاللغة ، هدف للاستعمار الثقافي ، وأساسه الغزو اللغوي ، وينفذ من مسارب منها :

(أ) إهمال الأبناء للغتهم : لجهلهم ، أولأنهم تربوا في حجر المستعمر فكانوا في عونه ، وهم نوابه وأدواته ، حين يغيب شخصه ، وبخاصة بعد أن يتصدروا التوجيه في بلادهم ، بعد نيلهم درجاته العلمية بتوجيه معين يريده ، فيحطوا من شأن لغتهم ، ويقللوا من قيمتها ويوهنوا من عراها فتتقضى واحدة بعد الأخرى ، حتى تتلاشى أو تكاد .

(ب) وبالسعى الدائب والدفع القوى من الغاصب ، لنشر لغته ، والتمكين لها وغرسها وتشبيتها وتعهدتها .

(ج) أولأن اللغة لا تحمل في طياتها وكوامنها عوامل الفخ والحركة ، والنزوع نحو الحياة والبقاء العزيز .

وحمى الله العربية من (ج) ولكن اعترأها ما ذكر في (أ ، ب) وتحيفتها لذلك الختوف والنوب السود ، رداً من الزمن . . ولولا كفالة من القادر بحفظ كتابه العزيز ولغته ، ولولا يقظة الأزهر من قديم لكان الحال والمآل غير الحال والمآل للغة العربية حين غفا أهلها زمناً . .

- وحين جاء القرآن الكريم بلسان عربى ميين . . خلدت العربية وتحدّت فغلبت في كل ألوان الصراعات التى شنت عليها ، لأنها تحمل في طياتها عوامل نصرها ، وأسباب قوتها ونموها .

يقول «رينان» في كتابه : (تاريخ اللغات السامية) : -

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حل سر انتشاره : . . (اللغة العربية) : فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذى بدء . ثم ظهرت فجأة لغة كاملة سلسلة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حد ، ليست لها طفولة ولا شيخوخة . . ظهرت لأول أمرها مستحكمة . . . » بل كادت أن تصبح لغة دولية ، كما ذكر العلامة ، محمد كرد على ، في كتابه : (الإسلام والحضارة العربية) . وسحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً تناول النابغين من أهلها وأبناء جلدتها الأصلاء .

ورحم الله شاعر النيل حيث يقول : -

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق آيات مخترعات
* وقضايانا اللغوية - في العربية - مازال الغموض يكتنف الكثير منها ، والصعوبات التى تواجه الباحث لاتزال بعض منافذها منغلقة ، وعسيرة المعالجة والكشف . . وذلك يدعو الحائق والحاقد والجاهل والمتحامل إلى تجسيم الشائعات ورمى لغتنا بما هى منه براء ، تنفيساً عن حق قاتل ، وحقد كامن ، وجهل متبع ، وتحامل معيب .
وحتى نسدى جميلاً للغتنا - وهى صاحبة الجميل - التى هى جوهر أصالتنا . . وحتى لا يفقد شبابنا الطامح إيمانه بلغته . . لا بد أن تهفوا الهمم إلى أبحاث عميقة للعناية بها ، وشموع تنير وإضافات جليلة بناءة ، يتضح بها وجه الحق ، وتتكشف الطريق ، ويرد الكيد ، ويظهر الجمال والجلال والكمال .

* * *

وقد اضطربت آراء علمائنا اللغويين قديماً وحديثاً في شأن قضية « الترادف اللغوى » ، أو المشترك المعنوى في العربية ، واتسع مسار الخلاف بينهم بين مثبت وناق ومتردد . ولذا بات حسم الخلاف واجباً في قضية طال أمدّها ، صيانة للغة ، ورأفة بأجيال حاضرة وآتية .

* فإذا كان « الترادف » من عوامل نمو العربية وحركيتها . . فبأى قياس نفحصه ؟ وما

موقف علم اللغة الحديث منه :

أيبارك « اختصاصية » الكلمة ، أم يقرها « اشتراكيتها » فى معنى بعينه مع تعدد اللفظ ؟ وهل يستطيع المحافظة على جوهر اللغة وسمة البلاغة ؟ والمحافظة على التوازن بين جسد اللغة الممثل فى « لفظها » وبين (روحها) الممثل فى معناها ؟ وهل الترادف خاص بلغتنا ؟ أم هو قدر مشترك بين لغات عديدة ؟

أسئلة كثيرة ، وخواطر شتى ، تدور بالأذهان ، وتلوح فى أفق الباحث تتحدى وتستحث ، وتتطلب إجابات شافية ، وحذا لو كانت وافية . .

* * *

ونحب أن نذكر بادئ ذى بدء :

أن العرب تتصرف فى لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من عربى إلا وهوى حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التى يرجع إليها أصل الوضع . فهى مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى كل واحد منهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد فى نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، فلا جرم أن تختلف الألفاظ الموضوعية لها بحسب ذلك . كما أن الكلمة الواحدة فى لغتنا تعطى من المعانى والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، لأن كثرة الاستعمالات لابد أن تخلق كلمات جديدة تلبى بها مطالب الحياة والأحياء .

وإن علماء اللغة « لم يدونوا منها إلا كفاية الحاجة القليلة ، أو المتناظرين . . أما تدوينها على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية فى اللغة ، فلم يتنبه له أحد إلا القليل النادر . والسبب أن تدوينها كان لخدمة القرآن والسنة ولغتهما قرشية حضرية مهذبة ، وذلك يقلل الاختلاف ، لأن الحضرية ثابتة فكأنها فى حكم المروية »^(١)

ومن ثم فقد أصبحنا بحاجة ملحّة إلى معجم لغوى تاريخى ، على نحو مانادى به الأستاذ يحيى حق ، من أننا « فى أشد الحاجة إلى المعجم اللغوى التاريخى حتى يتبع منشأ الكلمة وتطورها واستعمالاتها المجازية على مر العصور ، ويساعدنا - اليوم - على استحداث المجازات الجديدة ، داخل نطاق اللغة الصحيحة »^(٢) . ولأنه لإثبات أن فى لغتنا ترادفاً ، فلا بد من استقراء تاريخ اللغة^(٣) وبذا يسهل حل مشكل الترادف ، ويبين وجه الحق فيه .

* * *

و« الترادف » : هو توالى الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ، باعتبار واحد ،

كالإنسان والبشر^(٤).

أو الألفاظ التي اختلفت صيغها وتواردت على معنى واحد ، كالقمح والبر والحنطة ، وفي والباء^(٥).

ويراه الجرجاني بمعنى «التقابل في كل الخصائص»^(٦) والتوحيدى يشير «بالنظائر» إلى المترادفات .

ويعد المبرد من كلام العرب : «... اختلاف اللفظين والمعنى واحد» مثل : ظننت وحسبت ، وذراع وساعد . وأنف ومرسن^(٧)

ويقول الإمام الشافعى : «وتسمى - العرب - الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمى بالاسم الواحد المعانى الكثيرة» وإن ذلك من سنن العرب .^(٨)

وعد بعض المتأخرين أسماء الله تعالى من أقسام الترادف وسماه «المتكافئة» وكذا أسماء النبى ﷺ .

ويقول الشيخ عز الدين : إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن منع نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهي تشبه المترادفة فى الذات ، والمتباينة فى الصفات .^(٩)

فالترادف دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد ، كالأبر ، والقمح ، والحنطة . فالبر يستعمله أهل العراق ، وعند أهل مصر يطلقون عليه القمح ، وعند أهل مكة : الحنطة .

* * *

وشرط علماء اللغة فى الترادف : أن يكون من لغة واحدة ، لا لغات متعددة ، كما قرر الأصفهانى^(١٠) ، وإن يتفق اللفظان تماماً فى المعنى على الأقل فى ذهن الكثرة ، مع اتحاد العصر^(١١) .

فلا ترادف بين الشيء وصفته ، ولا بين الحقيقة والجاز ، ولا بين الألفاظ المتباينة بالتفاضل أو التواصل ، كالسواد والبياض ، والسيف والصارم^(١٢) ولا بين الحد والمحدود ، لأن الأول يفيد الفصل ، والثانى يفيد الماهية إجمالاً . ولا بين الحد والرسم ؟ لدلالة الأول على الذاتيات والثانى على العرضيات .

يقول د . أنيس : إذا دلت نصوص اللغة على أن تلك الفروق طفيفة لا يصح أن تعد من المترادفات ، لأن شرط الترادف الحقيقى : هو الإتحاد التام فى المعنى^(١٣) كما شرط غيره من

المحدثين ضرورة الاتحاد في البيئة اللغوية ، والانتساب للهجات بينها ترابط قوى - ومع الاتحاد في العصر^(١٤) ولكننا نشير هنا سؤالاً :

إن اللفظ كثيراً ما يستعمل في غير ما وضع له ، لحال شبيهة بحال وضعه ومعناه ، وقد لا يلمح بسهولة أصل اللفظ المنقول فيما نقل إليه لكثرة استعماله فيه ، وقد ينسى الوضع الأصلي ، حتى اختلف فيه العلماء حينئذ : هل هو وضع ثان ؟ أم هو باق على إعجاز ؟ ولذا أثر عن بعضهم : « النقل في اللغة كالنسخ في الشريعة » .

أفلا يجدر بعلماء اللغة قديماً وحديثاً - والحالة هذه - أن يخففوا من صرامة الشروط ، وتراكم وتصلب التحيزات والقيود ؟؟

لن نتناسى الفروق ، ولن نهمل الوضع ، ولكن لا نبالغ في القيود ، وفيها مغمز ، ومنها مخرج .

* * *

وقد يؤنس المقام أن نعرض نماذج للترادف وللنموذج وزنه في الاستشهاد والدليل . مع ملاحظة أن « الأقدمين عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة . وحسنأ فعلوا ، للحركة الدائبة والهجرة الدائمة ، والاجتماعات المتكررة » .^(١٥)

وحين نشط علماء اللغة لجمعها خوف الضياع والاختلاط ، وفدت أم الهيثم إلى العراق - وكانت أعرابية فصيحة ، تؤخذ عنها اللغة - فالتفتوا حولها ، وسألها أبو عبيدة ليؤنسها : مم كانت علتك ؟ فقالت : كنت وحمى للدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت ججبة من صفيف هلمه : فاعترتني زلخة . فقيل لها : يا أم الهيثم ، أى شئ تقولين ؟ فقالت : أول للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم إلا العري الفصيح . فاستفهم حتى اللغويون عن ألفاظها الغريبة عن أذهانهم . ومعنى . وحمى : متوحمة . والدكة : الدسم . والججبة أو الجبجبة : المصران . والهلعة : العنز^(١٦) .

والمستعرض للقرآن الكريم ، والأدب الجاهلى - يجد المترادف مبنوئاً فيهما بكثرة ، يقول تعالى :

« تالله لقد آثر الله علينا » ، « وأنى فضلتكم على العلمين » « وأقسموا بالله » ، « يحلفون بالله » ، « أشكو بئى وحزنى إلى الله » .

ومسائل ابن الأزرقي ، وإجابات ابن العباس عليها مشهورة ، ذكرها ابن الأنباري في كتابه : « المواقف » ، والطبراني في « معجمه الكبير » ، وفيها تفسير هذه المواد : الوسيلة ،

والشرعة ، والمنهج ، ويباس ، والفوم ، ومراعماً . على الترتيب : الحاجة ، والدين ، والطريقة ، ويعلم (في لغة بني مالك) ، والحنطة ، ومنفسحاً (بلغة هذيل) . واستشهد على أن الحوب هو الإثم في لغة الحبشة ، بقول الشاعر :

فأني وما كلفتموني من امركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا
- ويروى المطرز الزاهد ، عن ثعلب عن ابن الأعرابي ؛ أنه سأل أعرابياً فصيحاً -
ما رأى أفصح منه منذ ثلاثين سنة - عن « الخجال » بمعنى « السم » فقال : القشب ،
قلت : فما القشب ؟ قال : الزعاف . قلت : وما الزعاف ؟ قال : الزئفان . قلت : فما
الزئفان ؟ قال : الزيفان . قلت : فما الزيفان ؟ قال : الديفان . قلت : فما الديفان ؟
قال : الأرون . قلت : فما الأرون ؟ قال : الجوزل . قلت : فما الجوزل ؟ قال : الحرسم .
قلت : فما الحرسم ؟ قال : السم . قلت : فما السم ؟ قال : السم ^(١٧)

وقد كان ابن الأعرابي مهذباً ، وصبوراً . وليس كأعرابي أبي زيد ، والذي حدث
عنه ابن دريد في « الجمهرة » أن أبا زيد ، قال : قلت لأعرابي : ما المحنطى ؟ قال
المتكأكى : قلت : فما المتكأكى ؟ قال : المتآزف . قلت : فما المتآزف ؟ قال : أنت
أحمق ^(١٨) .

ويقول النبي - ﷺ - لأبي هريرة : ناولني السكين ، حين وقعت منه ، فتلفت
أبو هريرة يمينه ويسرة ، وقال : ألمدية تريد يا رسول الله ؟ أو تسمى سكيناً عندكم ؟
وإن كان بعضهم يرد القصة ، لأن أبا هريرة لم يسلم إلا في السنة الثامنة الهجرية ^(١٩) .
وقال ابن جنى بالسند : إن ابن الأعرابي أنشد للمرقش الأكبر :

وموضع زبن لا أريد مبيته . .

فقال له شيخ من أصحابه : أنشدتنا ، وموضع ضيق : فقال : سبحان الله :
تصبحنا منذ كذا وكذا ، ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد . وقد قال الله تعالى : « قل :
ادعو الله أو ادعو الرحمن ، أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى » .

... ويقول ابن جنى : « إذا جاز أن يكون في أصول هذه اللغة المقررة على
اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، كان جميع ما نحن فيه جائزاً سائغاً ، ومأنوساً به
متقبلاً » ^(٢٠)

كما ذكر ابن جنى - أيضاً - : إن من الحرفين ما يستعمل أحدهما مكان الآخر ،

كقوله تعالى : « الرث إلى نسائكم » ، بمعنى بنسائكم ، أو مع . لكن الرث هنا بمعنى الإفضاء فصح استعمال إلى . . . ويعلق بقوله : (وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد ، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس ، وبين ذراع وساعد) . . . فابن جني يؤكد وجود المترادف ما وجد سبيلاً إلى ذلك .

ويؤكد أيضاً بقول رؤية بن العجاج : (بال بأسماء البلى) . . . فجعل للبلى - وهو معنى واحد - أسماء (٢١) والعرب تكرر إذا اختلف اللفظان كنأى وبعد ، وأقوى وأقفر (٢٢) .

وقال الضبي : الحمد : الأصل . وقال يعقوب : اختد ، واخفد ، والنحت ، والإرث . . . كل ذلك بمعنى الأصل » (٢٣) .

وذكر قرطب أن « الجونة » من أسماء الشمس ، واستشهد بقول الخطيم الضبائي ، كما قال ابن بري - أوقول الأجلخ بن قاسط الضبائي ، كما في الصغاني - يصف حماراً وحشياً :

يبادر الآثار أن تؤوبا وحاجب الجونة أن تغيبا
قال : ومن أسماء (الشمس) : ذكاء ، واستشهد بقول ثعلبة بن صعيبر المازني يصف
ظليماً ونعاماً :

فتذاكرا ثقلاً وثيداً بعدما ألفت ذكاء يمينها في كافراً (٢٤)
وقال عدى بن زيد :

وقددت الأديم لراهشيه وألني قولها كذباً وميناً (٢٥)
وقال الحطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد
والكذب هو المين ، والنأى هو البعد ، فقد نسقه عليه لما خالف لفظه » (٢٦)
وقد ولع المتأخرون بالمترادف ، كما شغل المتقدمين ، فجاء في تذكرة الحفاظ :
(كالجنس) والجمال قل : نضارة وسامة وضأة ونضره
صباحة ملاحه رشاقة ورونق وزهرة وزينه
(كالأصل) والعنصر قل جرثومة والنحر والضئضى والأرومة
ومحتد ونبعة ومنبت عرق نجاً مغرس أبوه (٢٧)

هذا غيض من فيض ، لأمثلة حفلت بها أمهات الكتب الأدبية واللغوية ، من الترادف اللغوي . ولاشك في أن المتأمل لها يأنس بوجوده في لغتنا العربية ، وهي ليست في ذلك بدعاً بين اللغات التي تحوى ترادفات ، على نحو ما ذكر الواعون من الدارسين . . والحديث موصول .

د. توفيق شاهين

المراجع

- ١ - تاريخ آداب العرب للرافعي ١٢٤/١ .
- ٢ - مجلة المجلة ع ١٣٨ مايو سنة ١٩٦٣ م .
- ٣ - مجلة (الفكر) التونسية ع ٤ س ٢١ يناير ١٩٧٦ م .
- ٤ - المزهر للسيوطي ٤٠٢/١ .
- ٥ - علم أصول الفقه للمرحوم الشيخ محمد عبد الله أبو النجا ٣٢ .
- ٦ - الأسرار للجرجاني ص ١٥ .
- ٧ - كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٢ .
- ٨ - الرسالة للإمام الشافعي ٣٢ .
- ٩ - المزهر للسيوطي ٤٠٥/١ .
- ١٠ - الخصائص لابن جني ٢٦٢/١ ، والمزهر ٤٠٥/١ .
- ١١ - اللهجات العربية د. إبراهيم نجا ٩٨ . وفي اللهجات د. أنيس ١٦٦ .
- ١٢ - المزهر ٣٦٨/١ .
- ١٣ - المصدر السابق ٤٠٢/١ .
- ١٤ - دلالة الألفاظ د. أنيس ٢١٣ . واللهجات العربية د. نجا ص ١١٦ .
- ١٥ - اللهجات العربية د. إبراهيم نجا ٩٨ .
- ١٦ - الإتقان للسيوطي ١٢٠/١ .
- ١٧ - المدخل في اللغة للزاهد ٧٣ .
- ١٨ - المزهر ٤٠٢/١ .
- ١٩ - اللهجات د. أنيس ١٦٤ .
- ٢٠ - الخصائص ٤٦٧/٢ - ٤٦٨ .
- ٢١ - المصدر السابق ٣١٠/٢ .
- ٢٢ - شرح المعلقات للتبريزي ٣٢١ .
- ٢٣ - المفضليات للضي ، بشرح ابن الأنباري ٥٩٥ .
- ٢٤ - الأزمنة لقطرب (مجلة المجمع العلمي بدمشق ٣٧/١ للسنة الثانية) .
- ٢٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٤٣ ، وذيل ديوان عدى بن زيد ١٨٣ .
- ٢٦ - شرح الجاهليات لابن الأنباري ٢٩٨ .
- ٢٧ - تذكرة الحفاظ في بعض المترادف من الألفاظ للحضرمي ٣ .

المشاغبون على السنة دعاة باطل لا دُعاة حق ومن شذَّ شذَّ في النار

بقلم فضيلة الأستاذ : محمد نجيب الطيبي

كتب كاتبان كأنهما من شدة التحامهما والتصاقهما وتناسق نغمهما ، وانتظام إيقاعهما وتوافقهما المتوافق على صفحات جريدة واحدة في يد مدرب صناع قد استطاع أن يوردهما من الشرب (بكسر) الشين) مورداً واحداً ، وقد تكدر هذا الشرب بمعاين البطلان وثوران القاع من ضالة المورد وكدورته ، فلما استعملا هذا الكدر مداداً كتباً به ما كتبنا جاء نثر الرائحة ، تفوح رائحة الكريهة في معاطس المؤمنين الأحرار فيرتابون ، وحق لهم أن يرتابوا ، فمن كتب هذه المقالات إما عالم فيكون سيء النية سقيم الطوية صاحب هوى وبدعة مضلة ، وإما جاهل جرىء يقتحم قدس رحاب السنة بغير احتباس أو مبالاة ، ونعوذ به تبارك وتعالى من كآبة المنظر وسوء المنقلب .

كتب أحدهما يرد على فيقول : إنه يجوز لكل مسلم أن يردَّ الحديث الصحيح كما فعلت عائشة وعمر رضي الله عنهما إذ رد كل منهما حديثاً بلغه من ثقات ، ويدفع بذلك قولى بأن كل من يكذب حديثاً صحيحاً يسلك في عقد الكذابين . وأقول أن من يكذب حديثاً صحيحاً تلقته الأمة بالقبول كابراً عن كابر بحفظها وعلمائها وفقهائها وقضائها وأئمتها تجرد الوهم أو المكابرة فإننا نسلكه في عقد الكذابين ولاكرامة له ، والخبر الذى رواه ذلك الكاتب عن عائشة رواه مبتسراً ومحرفاً ، إذ لو صدق في الإلمام بنصه الكامل لامتنع عن الاحتجاج به لأنه سينقلب عليه ، وسيكون برهاناً يصفع صفحته التى كتبها بقلمه .

قصة عائشة التى يزعمون فيها أنها ردت

الحديث الصحيح تأولاً

زعموا أن عائشة رضي الله عنها بلغها أن عمر وابنه يحدثان عن النبي ﷺ « أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقالت لابن عمر : نولك ما توليت وحسبك القرآن فإنه يقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

والصحيح الذى أخرجه أصحاب السنن وبعض ذلك فى الصحيحين فكان أصل الرواية فى الكتب الستة عن ابن أبي مليكة قال : « لما هلكت أم أبان حضرت مع أناس فجلست بين عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس فبكين النساء فقال ابن عمر : ألا تنهى هؤلاء عن البكاء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه ، فقال ابن عباس : قد كان ابن عمر يقول بعض ذلك . خرجت مع عمر حتى إذا كنا بالبيداء رأى ركباً تحت ظل شجرة فقال : أنظر من الركب ؟ فذهبت فإذا صهيب وأهله ، فرجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين هذا صهيب وأهله ؟ فقال : على بصهيب ، فلما دخلنا المدينة أصيب عمر فجلس صهيب يبكي عنده يقول : وا أخياه ، فقال عمر : يا صهيب لا تبك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه . قال : فذكرت ذلك لعائشة فقالت : أما والله ما تحدثون هذا الحديث عن كاذبين مكذبين ولكن السمع يخطئ وإن لكم فى القرآن لما يشفيكم (ولا تزروا زرة وزر أخرى ٣٥ : ١٨) ولكن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه) .

وفى البخارى ومسلم وموطأ مالك والترمذى والنسائى عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : سمعت عائشة رضى الله عنها وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول (إن الميت ليعذب ببكاء الحمى عليه) تقول « يغفر الله لابی عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكن نسى أو أخطأ ، إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يُبكي عليها فقال : إنه ليبكي عليها وإنها لتعذب فى قبرها » وقد انعقد الإجماع لأحاديث أخرى أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه إذ البكاء من سنته وذلك ما ورد من قوله تعالى وليس من قول عائشة ولم يرد ذلك عنها (نوله ما تولى) ومن ثم نعلم أن عائشة كانت تصحح واقعة سماعها لحديث رسول الله ﷺ للأدلة الآتية :

- (١) أنها ذكرت الصيغة النبوية واللفظ الشريف .
- (٢) أنها ذكرت المناسبة التى حدث فيها النبى ﷺ بهذا الحديث .
- (٣) أنها لم تكذب الراوين الجليلين ولم تنف صدق تحديثها عن النبى ﷺ .
- (٤) عزت اختلاف روايتها عن روايتها إلى عدم عصمة السمع من الخطأ .
- (٥) لم يكن استدلالها بالآية رفضاً للحديث وإثارةً للآية لرد الحديث وإنما كان ذكرها للآية لتطابق روايتها مع منطوق الآية ، وإنما كان هذا النهج للجمع بين الحديث

والآية وهي قاعدة عند المحدثين أن القرآن إذا تعارض ظاهره مع رواية صحيحة وأمكن الجمع بينهما فإنه لا يصار إلى رد الخبر الصحيح بحال وجاء من مزاعم هؤلاء الداعين إلى توهين السنة والغض منها : وإعلان راية القرآن ، وكفى أن السنة لا تعدو أن تكون تطبيقاً عملياً للقرآن . ولا أدري من أين أتوا بهذا التعريف الذي لا يوافقة منهج علمي - لأن هؤلاء الأبناء يلوكون كثيراً هذه النغمة التي يلجأ إليها (الْعَبِيُّ فِي تَهْتِهْتِه) كما يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده (١) فهم يزعمون دائماً عن أى حق لا يوافق هواهم مهما قامت عليه البراهين أنه لا يوافق منهجهم العلمي ويثرون كثيراً بهذا الشعار ليزحزحوا حزب الله المعتصمين بجبل السنة المطهرة ، وينهبوهم (٢) عن الحق الذي هم عليه . ولنتناقش هذا التعريف العلمي العلماني :

إن معنى أن تكون السنة مجرد تطبيق عملي للقرآن أن يرد في القرآن النص على مواقيت الصلاة تفصيلاً وعدد الركعات تحديداً ، وأروش الجنايات ومقادير الديات وأحكام الشركات والبيعات وعقود القرض والقراض ، ثم يأتي النبي ﷺ فيطبق ما في القرآن لأنه كما جاء (تفصيلاً لكل شيء) فيرى أن المغرب ثلاث ركعات فيمثل النبي ﷺ ويصلي كذلك ، ويأتي الصبح في القرآن ركعتين فيصليها النبي ﷺ تطبيقاً عملياً لما هو مفصل ومبين في القرآن ! ! وهذا الكلام لم يقله واحد من أمة محمد ﷺ على الإطلاق ابتداء من أهل السنة إلى العترة إلى الخوارج إلى غيرهم من كل مذهب معتبراً وغير معتبر ، والصواب أن يقال أن السنة تفصيل لما هو مجمل وتفسير لما هو مبهم ، وإنشاء أحكام وأصول ليست مذكورة في القرآن ولكن القرآن تضمن الأمر بهذا على طريق التبعية والضمن حين أمر باتباع النبي ﷺ وحين أمر النبي ﷺ أن يبين للناس ما نزل إليهم ، وبين الله تعالى في الكتاب أنه جل شأنه أوحى إلى نبيه الكتاب والحكمة ، وأنه يعلم أمة الكتاب والحكمة والله يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ويمكنني بعد ذلك أن أقول وأنا مطمئن : أني صليت المغرب ثلاث ركعات لأن ذلك في القرآن إذ أمرني الله أن أتبع النبي ﷺ وهو قد فعل ذلك وثبت ذلك في سنته ، ويمكن أن أقول : أن علم الكيمياء والطبيعات وصناعة الصواريخ في القرآن ، لأن الله تبارك وتعالى قال (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ، فإذا سئلت : كيف أصنع الصواريخ

(١) رسالة التعصب من مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها هو وجمال الدين الأفغاني في باريس .

(٢) تَهْنَهُ عَنْ الشَّيْءِ : أى زجره لِيَكْفَ عنه - المحرر .

وكيف أعلم دقائق الطبيعيات والكيمياء أذكر قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وبهذا يكون القرآن قد اشتمل على كل شيء ، ثم أن القرآن وجهنا إلى الأخذ بالسنة من حيث كونها أحد الوحيين مكمل للقرآن ، ولا يتوهم أن بالقرآن نقصاً إلا إذا لم يكن فيه النص على المتبع الذي تستقي منه هذه الأحكام ، أما وقد ذلك على الوسيلة ، وأرشدك إلى الطريق فلم يغادر بذلك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وقد أستشهد أحد هؤلاء الأبناء بكلام علامة الشام القاسمي في تفسيره ليسوغ لنفسه حرم السنة ورفضها بتمحل المعاذير والتأويلات المنتحلة إذ يقول القاسمي : (إن منكر الحديث الصحيح الآحاد متأولاً لمعارضته للقرآن لا يكفر ولا يفسق) نقول : نعم لا يكفر ولا يفسق ولكن نخطئه لأن الحديث الصحيح يجب العمل به فإذا عارض القرآن فعندنا طرق (أحدهما) الجمع بينها بقدر الإمكان وبذل الوسع في الجمع خير من بذله في التماس أدلة الشغب على الحديث لرده ورفضه والإطاحة به (ثانيهما) ألا يكونا على اختلاف قولين وإنما يكونان على اختلاف حالين فيكون لكل نص حال نزل الحكم للعمل به فيها ، فما جاء به الوحي قرأنا له حال ينهض حكماً فيها ، وما جاء به الوحي سنة له حال كذلك ، وهذه قاعدة معروفة عند من تدرس بالاجتهاد والاستنباط أوتبع أعمال المجتهدين .

فالاستشهاد بعدم تكفير الراد للآحاد أو تفسيقه لتسوية الرد ورفع الرأس بذلك وجمع الناس لذلك ودعوتهم له لا يعدو أن يكون كاستشهاد من يقول : أن من ينصب الفاعل ومن يرفع المفعول ومن يجزم الجور لا يكون كافراً ولا فاسقاً . فهل معنى هذا أنه لا يكون محطناً ولا يكون كما قلنا في هذا المقال كاذباً في إخلاله بالقاعدة .

قال الإمام العلامة ابن حزم الظاهري في الجزء الأول من كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » بتحقيق المرحوم أحمد شاكر : الباب الحادي عشر (قال علي : لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي بوحى) فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله على قسمين : (أحدهما) وهو متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن (والثاني) وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وهو المين عن الله عز وجل مراده منا ، قال تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم) ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو

القرآن ، ولا فرق . فقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فكانت الأخبار التي ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التي ألزمت طاعتها في الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها وهو قوله تعالى (أطيعوا الله) فهذا أصل وهو القرآن ثم قال تعالى (وأطيعوا الرسول) فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله ﷺ ، ثم قال تعالى (وأولى الأمر منكم) فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله ﷺ حكمه وصح لنا بنص القرآن أن الأخبار هي أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع ثم قال بعد كلام طويل جيد :

وقال (إنما أنذركم بالوحي) فأخبر تعالى كما قدمنا أن كلام نبيه كله وحي والوحي بلا خلاف ذكر والذكر محفوظ بنص القرآن أهـ .

وللإمام ابن حزم وجميع أئمة المسلمين ما عدا بعض أصحاب الرأي - وليسوا جميعاً - القول بأن السنة تخصص من القرآن عامه ، وتقيد مطلقه ولو كان الخبر آحاداً ولو كان غريباً ^(١) صحيح الأسناد .

أما الابن الآخر فيقال أنه طيب وكان آخر العظام التي قذف بها في وجوه المسلمين كلمة جريئة ينكر فيها حديثاً يقر بصحته - وهنا ممكن الفجور الفكري - ويصر على رده بدعوى أنه مدسوس من الإسرائيليات وكأن إسرائيل لمّا يكفها أنها كانت تدعى طول الذراع للنيل من أعماقنا أرضاً حتى جاء من يبشر بطول هذه الذراع بطريقة ملتوية حتى وصلت إلى أصح كتاب تحت أديم السماء بعد القرآن ذلك هو صحيح البخاري ، وأظن أننا قد بترنا بقوة الله وعونه في العاشر من رمضان هذه الذراع ، ولكنها بقيت عند بعض أصحاب الأقلام التي انسلخت من الركائز الصحيحة للمنهج العلمي في شرائع الله ، فتمثلت في عقولهم شبحاً عابثاً بكل شيء ، وقد بنى دعواه على :

أولاً : لأنه من قول صحابي (لاطلع ولا نزل) .

ثانياً : أنه يخالف - أعني الحديث - مقاله وما ساقه من مقدمات ليصل بها في تعسف ظاهر وإقحام لا مسوغ له إلا أن هذا الحديث يخالف منطق حضرة النطاسي .

ثالثاً : أنه يساعده على نشوء الجماعات السرية التي تقاوم الكفر البواح والباطل الصراخ (هكذا يريد الكاتب) ولنذكر الحديث كما ورد في الصحاح والسنن والمسانيد وتلقته الأمة بالقبول إلى يوم الدين : (عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وعلى أثرة علينا وألا ننازع الأمر

(١) وللغربة مفهوم عند أصحاب هذا الشأن من المحدثين سنوضحه إن شاء الله في بحثونا .

أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) .
ونريد أن نقول : أن البيعة من الصحابة للنبي ﷺ ثابتة بنص القرآن في غير موضع لا ينكرها مسلم فتح كتاب الله تعالى . فمن أنكر البيعة فهو زنديق ينكر ما نزل به الكتاب العزيز صريحاً لا شبهة فيه وإن كان الاعتراض على عدم السمع والطاعة في الكفر البواح الذي قام عليه برهان لا يختلف فيه اثنان وهو واضح وضوح الشمس كالأمر بترك الصلاة أو الأمر بارتكاب الزنا أو الأمر بعبادة غير الله ، هل يترك الرسول ﷺ الأمة حائرة دون أن يوضح لها ما ينبغي عمله عندما تتاح هذه الفتنة العمياء لا قدر الله ، أليس في القرآن ما يدل على هذا المعنى حتى بالنسبة لأقرب الأقربين كالأبوين مثلاً (وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى) فلتحذف هذه الآية أيضاً من الكتاب خوفاً من أن تستغل على منطق النطاسي فتشجع على تكوين الجماعات السرية ، ولقد كان في رده للحديث كالدب الذي أراد أن يحل (الذباب عن وجه صاحبه فانقض عليه ، وهو برده للحديث كأنما يصرح بالمفهوم والمنطوق أن النظام ينطبق عليه ما في الحديث وكذب ، فإن الحاكم لا يشك في إسلامه أحد والنظام أساسه إسلامي لأنه يقوم على قاعدة عريضة من الشعب المؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، مجتمع فيه الأزهر لا يمكن أن يكون فيه كفر بواح .

بقي قول النطاسي أن الحديث قول صحابي . نعم هو خبر يخبر به الصحابي عن أمر فعله رسول الله ﷺ فهو حديث مرفوع وفيه حديث قولي وهو قوله ﷺ (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) ولعل الشبهة جاءت النطاسي من عدم إمامه بأفاق اللغة العربية ومناهج التعبير فيها فقول عبادة (وعلى أثره علينا . إلا أن تروا الحديث) يسمى عند علماء اللغة (التفاتاً) وهو في القرآن منه في مواضع كثيرة ، ويسمى أيضاً خطاب التكوين قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً) فالقائلون : ربنا أبصرنا هم المجرمون المعبر عنهم بضمير الغائب ثم عبر بلسانهم بلغة الالتفات وهو الصرف والتحدث بضمير الغائب إلى التحدث بضمير المتكلم . وانظر إلى قوله تعالى (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) وهذا من الخطاب لشخص ثم العدول إلى غيره ، فإن الله تبارك وتعالى يقول (فإن لم يستجيبوا لكم ثم يوجه الخطاب إلى الكفار فيقول :

فاعلموا أنما أنزل بعلم الله - إلخ ، وكقوله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً لتؤمنوا بالله .) ونقول لهؤلاء مرة أخرى تعلموا لغة القرآن لتفهموا الإسلام والله
الهادى إلى سواء السبيل .

محمد نجيب المطيعي

صاحب تكملة المجموع شرح المذهب للشيرازي

الْعِلْمُ

الْعِلْمُ شَيْءٌ بَعِيدُ الْمَرَامِ ، لَا يُصَادُ بِالسَّهَامِ ، وَلَا يُقَسَّمُ بِالْأَزْلَامِ ، وَلَا
يُكْتَبُ لِلثَّامِ ، وَلَا يُرَى فِي الْمَنَامِ ، وَلَا يُضْبَطُ بِاللَّجَامِ ، وَلَا يُورَثُ عَنْ
الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ .

وَزَرْعُ لَا يَرْكُو إِلَّا مَتَى صَادَفَ مِنَ الْحَزَمِ ثَرَى طَيِّباً ، وَمِنَ التَّوْفِيقِ
مَطَرًا صَيِّبًا ، وَمِنَ الطَّبْعِ جَوْا صَافِيًا ، وَمِنَ الْجُهْدِ رُوحًا دَائِمًا ، وَمِنَ
الصَّبْرِ سَقِيًّا نَافِعًا .

وَعَرَضُ لَا يُصَابُ إِلَّا بِإِفْتِرَاشِ الْمَدَرِ ، وَإِسْتِنَادِ الْحَجَرِ ، وَرَدُّ
الصَّخْرِ ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ ، وَإِدْمَانِ السَّهْرِ ، وَإِصْطِحَابِ السَّفَرِ ، وَكَثْرَةِ
النَّظَرِ ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ .

بديع الزمان الهمداني

الخلق الجنسى فى الإسلام

مختصر محاضرة ألقاها الدكتور خليل سمعان فى اجتماع الندوة العربية (فى جامعة ولاية نيويورك فى نغمطن)

« لا خلُق فى الإسلام Il n'y a pas de morale en Islâm. » هذا ما يدّعيه
المستشرق الفرنسى بوسكه G.-H. Bousquet فى كتاب له نشره فى عام ١٩٦٦ فى
دار G.-P. Maisonneuve et Larose فى باريس : -

وبوسكه هذا ، فى كتابه المذكور أعلاه ، يصرح ، بدون حجل ، أنه فى قوله
بانعدام وجود خلق فى الإسلام ، إنما يقلد سابقه ، الهولندى سنوك هرخرونيه
والدانمركى تور أندريا ، الأول فى قوله بأن الدين الإسلامى خلُق مما يسمى فى الغرب
بالقانون ، والثانى فى تصريحه بأن الدين الحنيف خلُق من النظام الدينى للعبادة بالمعنى
اللاهوتى الغربى .

والمطلع ، المتحرر من العنصرية ، والموضوعى ، ليس بحاجة لمن يمحس مناقشاً
أقوال السادة هؤلاء . إن آراء كهذه لا يمكن أن يكون الدافع لها حب الاطلاع ، أو أن
تكون نتيجة بحث موضوعى رزين . فالواقع أن الإسلام تعرض ويتعرض لتهجمات ترميتة
وعنصرية كثيرة ، هدفها تشويه صورة الدين الحنيف ، وإظهاره بمظهر الدين البدائى
الذى يتجاوب وحاجات شعب بدائى لا قدرة له على التفكير الفلسفى الدينى العميق . ولكم
تمنيت لو كان باستطاعتى القول بأن عملية تشويه سمعة الإسلام هى عملية فاشلة ، يقوم بها
أشخاص صغار العقول متزمتون ، لا أثر لعملهم العنصرى هذا فى مجتمعهم المثقف . فالواقع
أن هذا العمل العنصرى أضّر ويضر بسمعة الإسلام والمسلمين ، وأساء ويسىء فهم تعاليم
الدين الحنيف ، وزاد ويزيد تجريحاً فى سمعة الإسلام شعباً ودولاً ودبلوماسية .

وليس هدفنا اليوم تمحيص جميع أقوال السيد بوسكه فى الخلق الإسلامى ، وفى موقف
الشريعة الإسلامية من العلاقات الزوجية وسواها فى أحكام النكاح . وجُل ما يسمح لنا

وقت هذه الكلمة هو دحض رأى هذا الرجل ، بمجرد الإشارة إلى تعاليم الإسلام الرئيسية ، محتواه في سجل هذا الدين السماوى ودستوره « القرآن الكريم » وتعلمون بأن هنالك مراجع أخرى لمن يرغب في التوسع وزيادة الاطلاع ، هي في أصول الفقه حديثاً وقياساً وإجماعاً وما دونه السلف من فتاوى في هذا الموضوع الكثير التعقيد .

والمدعش حقاً أن يقوم بعملية التشويه هذه أشخاص مثقفون ، درسوا ويدرسون حضارة العرب والإسلام ، يكتبون وينشرون المقالات والأبحاث عن تاريخ وآداب العرب والمسلمين ، ويدرسون في معاهد الغرب لغات العرب والأمم المسلمة . . . هذه الحقيقة ترغمننا على القول أن عملاً كهذا لا يمكن أن يمت للعلم بصلة ولا يجوز أن يُسمح لقائله بتدريس تاريخ العرب والمسلمين في معاهد وجامعات ، شرقية كانت أم غربية . إن أعمال التشويه هذه يجب أن يشار إليها باسمها الحقيقي : الدعاية العنصرية .

ولنعد إلى موضوعنا الرئيسى : لا وجود لكلمة « جنس » بمعنى Sex في القرآن وكتب اللغة القديمة . فالكلمة تعنى « النوع » وهى قريبة في معناها من الكلمة الأغريقية Genus المستعملة في جميع اللغات الهندوأوروبية . واسم « الجنس » في كتب اللغة لا يدل في شيء على العمل الجنسى (أو التناسلى أو عمل الحب أو الجماع أو الباه ، إلخ) وما نجد في القرآن معبراً عنه بكلمة « النكاح » هو اتحاد الرجل والمرأة جسدياً في أحوال معينة أهمها وأكرمها عند الله الزواج . والقرآن الكريم يذكر أحوال علاقات الرجل بالمرأة مفصلاً وبدون غموض البتة . ففي النساء عامة ، هنالك الآيات ٢ (٢٢٨ و ٢٨٢) و ٣ (١٩٥) و ٤ (١ - ٣٥ ، ١٢٤) و ١٣ (٢٣) و ٣٠ (٢١) و ٣٦ (٥٥ ، ٥٦) و ٤٠ (٤٠) و ٤٢ (١١) و ٤٣ (١٨١ ، ٧٠) و ٤٦ (١٥) و ٤٨ (٦) و ٤٩ (١١) و ٥٧ (١٨) وفي المؤمنات الآيات ٩ (٧١ ، ٧٢) و ١٦ (٩٧) و ٢٤ (٣١) و ٢٣ (٣٥ ، ٥٨ ، ٧٣) و ٤٧ (١٩) و ٤٨ (٥) و ٥٧ (١٢) و ٦٠ (١٠ و ١٢) و ٧١ (٢٨) و ٨٥ (١٠) . وفي أسيرات الحروب والإماء الآيات ٢ (٢٢١) و ٤ (٣) ، و ٢٤ (٢٥) و ٢٣ (٦) و ٢٤ (٣٣) و ٣٣ (٥٠ ، ٥٥) و ٧٠ (٣٠) . وفي الزواج والطلاق والزنى ، الآيات ٢ (١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٢١ - ٢٤١) و ٣ (١٤) و ٤ (١ - ١) و ٣٥ (٤٣ ، ١٢٧ - ١٣٠) و ٥ (٥) و ١٦ (٧٢) و ٢٣ (٥ - ٧) و ٢٤ (٢ - ٩) ، و ٢٣ (٢٦ ، ٣١ - ٣٣ ، ٦٠) و ٣٣ (٦٢٤ ، ٢٨ - ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٩ - ٥٣ ، ٥٩)

و ٥٨ (١-٤) و ٦٠ (١٠-١٢) و ٦٤ (١٤) و ٦٥ (١-٧) و ٦٦ (١-٥) ،
١٠ (١٢) و ٧٠ (٣٠-٣١) .

وهاكم ما انتقيناها من نصوص صريحة تفى بحاجتنا وتوصل إلى الهدف الذى صرحنا به فى مطلع هذه الكلمة ألا وهو دحض القول بأن الإسلام خلئ من الخلق : السورة رقم ٢ البقرة .

الآية ٢٢١ - ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . . . ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا . . . فاعتزلوا النساء فى الحيض . . .

الآية ٢٣٢ - فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن (بعد طلاقهن منكم) .
السورة ٤ النساء .

الآية ٣ - فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة .

الآية ٢٢ - ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء .

٢٣ - حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاقى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاقى فى حجوركم من نسائكم اللاقى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين .
الآية ٢٥ - ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن .

الآية ١٢٧ - (يفتيكم الله فى) يتامى النساء اللاقى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن (عليكم القيام بالقسط) .

السورة ٢٤ .

الآية ٣ - الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك .

الآية ٤ - الذين يرمون المحصنات ولم يأتوا بأربعة شهداء - ٨٠ جلدة .

الآية ٣٢ - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم .

الآية ٣٣ - وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله .

الآية ٦٠ - والقواعد من النساء الذين لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة .

السورة ٢٨ القصص .

الآية ٢٧ - قال أنى أريد أن أنكحك أحدى ابنتي هاتين (الموسى) .

السورة ٣٣ الأحزاب .

الآية ٤٩ - إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً .

السورة ٦٠ الممتحنة .

الآية ١٠ - ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن .

سيداقى وسادق :

أكتفى بهذا القدر من التعاليم الخلقية التى يحتوى عليها القرآن الكريم ، منبع الخلق الإسلامى ، فتدركون ما فى كلام المستشرق بوسكه وأمثاله من الظلم والحيث ، وبهذا أكون قد دقت بدحض تصريحه الخاطيء القائل بأن الإسلام خلى من التعاليم الخلقية فى كل ما يتعلق بالعلاقات الجنسية ، حلالها وحرامها . وأمل أن أكون قد وفقت إلى إظهار نبل تعاليم الكتاب ووصاياها فى موضوع كلمتنا هذه المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة وبمعاملته إياها ، وما على الإثنين من واجبات ومألفات من حقوق ، وذلك على ضوء تعاليم الإسلام الخلقية . فما ذكرناه مما فى الكتاب من تعاليم ووصايا تثبت بأن الإسلام .

١ - يُحِلُّ العلاقات الجنسية ويحدد من حقوقها وواجباتها فى حالات الزواج وسواها .

٢ - يوصى بعدم اعتبار الوضع العائلى الاجتماعى أو المالى كدافع للزواج أو عدمه .

٣ - يمنع زواج مسلم من مشركة ومشرک من مسلمة ، وبديهي ما فى هذا المنع من حكمة وتخلق .

٤ - يوصى بعدم التعرض للمتزوجين فى حريتهم الجنسية .

٥ - يوصى المسلم الذى لا قدرة له على الزواج من مؤمنة بنكاح من يملكه من الإماء .

٦ - وأنه واجب على المسلم الذى لن يعدل فى زواجه من أكثر من واحدة بالاكْتِفَاء بذلك .

- ٧ - بأن للوالد الحق فى العمل على تزويج ابنته من رجل عاقل صالح .
 ٨ - أن على المرأة التى لا قدرة لها على الزواج أن لا تتبرج ولا تتزين لذلك .
 ٩ - أن الزانى لا يعاقر سوى الزانية والعكس بالعكس .
 ١٠ - أن للمسلم الزواج من مشركة أسلمت وللمسلمة الزواج من مشرك أسلم .
 أو يمكن بعد هذا أن يقال بأن الإسلام خلى من الخلق ؟
 شكراً .

الحقد والحسد

أَلَا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِدًا
 أَتَدْرِى عَلَى مَنْ أَسَاتِ الْأَدَبُ ؟
 أَسَاتِ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ
 إِذْ أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ

شاعر عربى

لِلَّهِ دُرُّ الْحَسَدِ وَمَا أَعْدَلَهُ ، يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ الْمَحْسُودَ . .

على بن أبى طالب

من تراثنا الحديث

متى نكون أمة صالحة

للمعلم المرموم
محب الدين الخطيب

نكون أمة صالحة يوم نلتفت ذات اليمين فنرى لبلادنا جحافل من الحيوش المنظمة مجهزة بأحدث الأسلحة وأسرعها ، مصنوعة بأيدينا وفي مصانعنا وحت سماواتنا .
ونلتفت إلى سواحلنا فنرى لنا في مياهها أساطيل حربية وبجارية مملأ قلوب الأمم إيماناً بصلاحنا ، واستسلاماً لهيبتنا .

ونلتفت إلى جاركنا فنراها منهكة بالتصدير ، لا بالاستيراد .
ونلتفت إلى جامعاتنا فنراها تعمل على تكوين علماء عاملين في جميع ضروب المعرفة :
من تحقيق لتاريخنا ، تتجلى لنا به نفوس السلف كما هي طاهرة نقية ، عاملة ناصبة ، دائبة على الخير ، مقيمة للحق ، ناهضة بالمثل العليا . مكونة للإنسانية الحيرة المتواضعة المتعاونة ، وتتجلى لنا به عوامل الشر التي طرأت على ذلك الماضي الطيب فعبثت بسننه الفطرية ، واكتفت من حقائقها بقشورها وألفاظها : وحولتها عن اتجاهاتها إلى غير ما كانت ترمى إليه .

ومن تنظيم وتنقيح لمبادئنا التشريعية ، وأحكامنا القضائية والفقهية ، يتبين منه للناس أن أمة الأرض مجتمعة من بدء الخلق إلى أن تقوم الساعة ، لم تتوخ في أحكامها ما توخاه الإسلام وشريعته وفقهاؤه من تحرى الحق والعدل والخير ، غير متأثرين بأهواء أحد من الناس .

ومن استنباط واستخراج لأسرار الله في الكون ، وقوى الخليفة الكامنة في عناصرها ، - ونحويلها إلى خير الإنسانية وسعادة الخلائق .

ونلتفت إلى ما أنعم الله به علينا من تربة وأنهار ونباتات ومناجم ونقود ومتاع فنشكره عليها بحسن استعمالها واستغلالها واستنتاجها حتى لا ندع قطرة من ماء ولا شبراً من أرض ولا ذاقمة من ركاز أو معدن ، إلا حولناه - بالتدريج ، وبلا فتور - إلى قوة نافعة للناس مؤيدة للخير ، ذابة عن الحق .

نفعل ذلك كله بأخلاق فاضلة ، ونفوس عفيفة ، وجهود دائبة نشيطة ، وقلوب وعقول متجهة إلى الله متوخية مرضاته ، عاملة لطاعته .
يومئذ نكون أمة صالحة ، ويومئذ نكافأ من الله على هذا الصلاح بأن يؤهلنا لتكون خلفاء على الأرض .

ولكن متى يكون هذا ، ومن ذا الذى يفعله ، وكيف يفعله ؟ ! ! . .
اليابانيون - قبل غلظتهم الأخيرة - حاولوا بعضه في ستين أو سبعين سنة ، وكان العامل في وجوده روح عامة سرت فيهم ، وإرادة ملأت نفوسهم ، واندفاع فردى وجماعى إلى العلم والعمل اتسموا فيه طرقهما ، يختار كل واحد ما ترتاح إليه نفسه ، ويوافق مشربه وما تطيقه مواهبه ، ويلتزم مع ظروفه . وكان الواحد منهم إذا ارتاحت نفسه إلى باب من أبواب العلم ، أو ضرب من ضروب العمل ، ورآه فوق طاقته وأوسع من نطاق ظروفه ، بحث له عن أعوان من أشباهه ونظرائه فتعاونوا مجتمعين ، على ما ينوءون به منفردين . فكان تعاونهم عليه بإخلاص وإنصاف وصدق في السر والعلانية . ومن هنا نشأت المصانع الضخمة ، والشركات البحرية التى ملأت آفاق المحيط سفيناً ، وبهذا وجدت صحفهم اليومية الكبرى التى تدار بالآلات من صناعة بلادهم أقاموا لها أضخم المباني . وببركة هذا التعاون وجدت شركات النشر التى أخرجت للناس دوائر المعارف المتقنة ، والمعاجم الكبرى ، وسلاسل المصنفات العجيبة فى شتى العلوم وصنوف المعرفة .

ومما زادهم توفيقاً ونجاحاً فى هذه النهضة الجدية إخلاص العمال والعاملات وقناعتها ، فبينما كانت أوروبا وأمريكا تتخبطان فى أنانيات أصحاب الأعمال والعمال وتناحرهما ، كانت اليابان فى راحة من هذا الفساد بإقبال العمال على أعمالهم مخلصين للمصنع كأنهم أصحابه ، بل أكثر مما يفعل أصحابه لو كانت أيديهم فى مكان أيدي العمال ، فاستعت بذلك الصناعات ولم تبق تحت سماء اليابان يد واحدة بلا عمل من نساء أو رجال ، فهى بلاد لم تعرف التسول ولم تعرف التعطل ، وكانت أوروبا وأمريكا تحسدانها على هذا التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال ، وعلى قلة تكاليف الصناعات ، حتى أغرقت اليابان الدنيا كلها بصناعاتها ؟

وغزت بها بلاد أوروبا وأمريكا بالرغم من الحواجز الجمركية القاسية الجائرة التى أقيمت فى وجهها ، بل كانت اليابان تعتمد إلى صميم ما انفردت به أمة من أمم أوروبا ، فتقلده ، وتصنعه بربع تكاليفه وتبيعه فى البلاد التى كانت تصنعه . فكانت هذه المباراة الصناعية

حرباً قبل الحرب وقتلاً بلا سلاح . وكاد اليابانيون أن يُدخلوا إلى مصر وغيرها قبل الحرب الأخيرة سيارة صغيرة بمقعدين أو ثلاثة يستطيع المرء منا أن يشترها بعشرين أو ثلاثين جنياً فيستغنى بها صغار الموظفين بل العمال عن ركوب الترام ، لولا أن اليد الاستعمارية حملت الجمارك على صد هذه الحملة الاقتصادية بأسلحة تشريعية حالت بين مصنع السيارات الياباني ومستهلكي مصنوعاته في الخارج .

ولو أن اليابانيين اقتبسوا من الإسلام طريقته الحكيمة في الاتصال بالأمم كما اقتبسوا من أوروبا وأمريكا طريقتيها القويمة في الصناعات وعلومها ، وبنوا على ذلك تعاونهم مع الصين وأندونيسيا وبورما والفلبين وسائر المشرق ، لانتفوا بذلك الكارثة التي وقعوا بها أخيراً فأرجعهم إلى الوراء ستين أو سبعين سنة . ولكنهم - برحمة من الله للأمم المشرق - تعلقوا بمبادئ الاستعمار الأوربي ، فاصطدموا به الصدمة التي أتاحت لأندونيسيا هذه النهضة المباركة التي ستؤتي أكلها بعون الله طيباً نافعاً بعد خمسين أو ستين سنة بما لا يكاد قارئ هذه السطور أن يصدق له لو أردت أن أصف ما أرجو وقوعه .

أيها العرب ، أيها المسلمون ، إن الأمم لن تعيش بعد اليوم إلا مرتفعة الرأس بالسيادة أو منكسة الرأس بالعبودية .

وللسيادة أخلاق لا بد من حملها . .

وللسيادة طرق لا بد من سلوكها . .

وللسيادة مبادئ لا بد من التخلق بها . .

وللسيادة علوم لا بد من الحصول عليها . .

وللسيادة عمل دائر دائب مستمر يتحطم الكسالى والمهملون تحت عجلاته وين دواليه .

أول عناصر السيادة للعرب والمسلم أن يعرف حقيقة العروبة وسجاياها التي أهلنها لحمل رسالة الإسلام الأولى على خير الوجوه وأنجحها ، وأن يعرف رسالة الإسلام ومهمته في الأرض كما كان يفهمها أهله الأولون .

إن سجايا العروبة أخلاق هذبها الإسلام وقام على أركانها فكانت له السيادة ، وكانت للإنسانية به المثل العليا مشاهدة في تصرفات أهله ومعاملاتهم ، بعد أن كانت خيالاً وهمياً وأمثلاً ميثوساً من تحقيقه . أما رسالة الإسلام ومهمته فهي تكوين الأمة (الصالحة) ، وتعميم صلاحها في الأمم ، حتى يعم الإنسانية كلها .

أصاب سلفنا الأول مراد الإسلام من (الصلاح) و (الفقه) فاتصفوا بها مدة الخلفاء

الراشدين ، وفي زمن التابعين لهم بإحسان ، وكانوا بذلك خلفاء الله على الأرض . على معظم الأرض التي كانت معروفة يومئذ ، في آسيا ، وأفريقية ، وأوروبا ثم أخطأ الذين بعدهم فهم (الصالح) و(الفقه) بمعناهما الإسلامى ، فحصرهما في أشياء ، وأبعدوهما عن أشياء فانقطعت السلسلة ، وانفرد العقد ، وخرجوا عن طريقة الإسلام في تكوين (الأمة الصالحة) .

الأمة الصالحة هي التي تتكون من أفراد صالحين . وصالح الأفراد يشمل أمور الدنيا وأمور الآخرة ، لأن الإسلام جاء للسعادتين فيها معاً . والدنيا في الإسلام مزرعة الآخرة ، والأمة التي نهمل إصلاح دنياها توشك أن تكون أكثر إهمالاً لما يصلح آخرها .

و (الفقه) أحكام إسلامية استنبطناها من الهداية الحمديدية بصريح النص أو بالقياس عليه أو بالإجماع على أنه يوافقه أو أنه غير معارض له ، وأعجب ما أعجب له أن يتقيد المسلم بالحكم الشرعى المستنبط من النص فيما يتعلق بالحيز والنفس ونواقض الوضوء ، ولا يبالى بالنص الحمديدى الصريح فيما يتعلق بالأخلاق الفردية والبيتية ، والتوجيهات الاجتماعية ، والأمور التي تتصل بكيان الأمة والدولة . وأعجب من ذلك كله أن نعت بالصالح الرجل الذى يتقيد بأحكام الشريعة في الوضوء والتميم ومناسك الحج ، ويخالف أكثر سنن الإسلام وهدايته فيما يتعلق بالأخلاق الاجتماعية وروابط الأمة واتجاهات الدولة ، فإذا فرط في هذه الأمور الأخرى ، وداجى ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، وكنم ما أخذ الله على العلماء أن يجهروا به ، كان ذلك في نظرهم هيئاً ، وهو عند الله عظيم .

إن الأمة الإسلامية الصالحة هي التي يتعاون جميع أفرادها - كل واحد من الجانب الذى هو فيه - على استكمال جميع أسباب القوة والسعادة والخير باتخاذ أسبابه ، والوقوف على دخائل العلوم المؤدية إليه ، والعمل لتحقيقه بأمانة وإخلاص وقناعة وإتقان ، وأن يوفق كل فرد في الأمة بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة التي تتمثل بها قوة الأمة وكرامتها وسيادتها .

أنا من خمسين سنة إلى الآن أتبع نصوص الإسلام ، وأطيل النظر في عقائده ، وقواعده وسننه ، وفي فهم الصحابة والتابعين لها ، ثم في الألاعيب التي اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها عن أهدافها .

وقد تكون في قلبى اليقين بأنه ليس في عقائد الإسلام عقيدة ، ولا في عباداته عبادة ولا في مبادئه وسننه مبدأ أو سنة ، ولا في نصوصه وتوجيهاته نص أو توجيه ، إلا وله أثر عملي

في تكوين (الفرد الصالح) و(البيت الصالح) و(الأمة الصالحة) وما أخر الإسلام المسلمين ، ولكن المسلمين عطلوا دينهم وشوهوا جلاله ، فلم يسيئوا إليه لأن الله تولى حفظه لمن يريد أن ينتفع به ، وإنما أساءوا إلى أنفسهم ، وإلى جماعاتهم وأوطانهم ، وإلى ذراريتهم (والجزء من جنس العمل) .

الإيمان الإسلامي يتعلق بما هو حق من أمر الغيب كما يتناول ما هو خير من حياة الشهود ، ولذلك تشعب إيماننا إلى بضع وسبعين شعبة : منها الحياء ، ومنها السعى الحلال والكسح المنتج ، ومنها الصدق ، ومنها التعاون على الخير ، ومنها الاعتدال ومنها مقاومة البغى ، ومنها الأمانة ، ومنها العزة بالحق ، ومنها التواضع فيما لا ينافي الكرامة ، ومنها النصح للجميع ، ومنها الاقتصاد في كل ما لا تمس إليه الحاجة الضرورية - حتى الماء الذي يتوضأ به المتعبد وهو على التليل يجب عليه أن لا يسرف فيه ، خوفاً على النفس الإسلامية أن تتعود السرف والتبذير - كل ذلك وما أشبهه (مما تكون به الأمة الصالحة) معدود في الإسلام من شعب الإيمان به ، بل إن أدنى ما في الإيمان الإسلامي وأقل ما نحصىه من مزاياه ، أن المؤمن ينبغي له أن يميّط الأذى عن طريق الناس وإنما النفس الإسلامية بأدب الإحسان في كل شيء ، عملاً بقول رسول الله ﷺ في حديث شداد بن أوس « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » ثم ضرب ﷺ المثل للإحسان حتى عند قتل من وجب قتله ، وعند ذبح الحيوان الذي استباحته الإنسانية ذبحه فقال « فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . رواه الإمام أحمد بسند صحيح . وهكذا المعاني التي أشرت آنفاً إلى أنها من شعب الإيمان الإسلامي قد ورد في كل منها النص ودل عليه الهدى وأصبح ذلك كله من مدلول الإيمان عند المسلمين . فالأمة الإسلامية التي تتأدب بهذا الأدب ، وتلتزم علم أسرار الكون ومكنونات الخليقة لتعمل بهما وتعتمد عليهما في تكوين قوتها وتوسيع صناعاتها ، لا تحتاج لأكثر من خمسين سنة حتى تكون (أمة صالحة) ، ويومئذ يستخلفها الله على الأرض كما استخلف سلفها الأول عندما سار في نفس الطريق . أما إذا عاندت هذا التوجيه الإسلامي - ولو بالمكر والرياء - وأرادت حبس الإسلام في الجامع ، ولم تأذن له بدخول القلب ، والعقل ، والمنزل والمتجر ، والمصنع ، والمحكمة ، وديوان الحكم ، ونظام الدولة ، فإنها لا تسمى بذلك إلى الإسلام ، وإنما تسمى إلى نفسها .

ولعلك تسألني : ومن الذي يفعل ذلك ، ومن هو المسئول عنه ؟ ولعلك تسألك هذا

تريد أن ترمى الخشبة عن كتفك قائلاً : إنها من واجب ولاية أمر المسلمين .
 وأنا أجيبك على سؤالك بأن المسئول عن تحقيق هذه الأمنية كل من آمن بها من الأفراد
 والجماعات ، ولو لم يكن في المسلمين غيري وغيرك لوجب علينا أن نبدأ به من أنفسنا ،
 وندعو إليه كل من يصغى إلى دعوتنا ، وأن نختال على أهل القابلية من الأصفياء الأذكياء
 من أبنائنا وبناتنا ، فنبت هذا الإيمان الإسلامى فى قلوبهم . ومتى كثر هؤلاء وصاروا شيئاً
 يذكر ، اكرمهم الله حينئذ بالولاية الصالحين (وكما تكونوا بولى عليكم) . أما أن تكون أنت
 راعياً غير صالح على نفسك ، وعلى نقودك ، وعلى العمل الذى تعيش منه ، وعلى
 زوجك ، وأولادك الذين فى أمانتك ، وعلى ما علمك الله من فقه وحكمة ومعرفة ، وعلى
 ما هداك إليه على لسان أكمل رسله من فضائل وحقائق وتوجيهات ، ثم تريد أن تكون
 أمتك صالحة وأنت غير صالح ، فهذا مخالف لسنن الله فى خلقه . ولعلك إذا وليت كرسى
 الحكم تكون شراً من الذى تشكوه . فلنكن أنا وأنت صالحين بالمعنى الإسلامى للصالح .
 ولنتعاون على تعميم هذا المعنى والدعوة إليه إلى أن تكون الأمة كلها من أهله ، فيكافئنا الله
 بالدولة الصالحة ، ويجعلنا خلفاءه على الأرض . .

أَدَبُ الْحِكْمَةِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : فَازَ قَوْمٌ أَدَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمَتْهُمْ التَّجَارِبُ ،
 وَلَمْ تُغَرِّزْهُمْ السَّلَامَةُ الْمُنْطَوِيَّةُ عَلَى الْهَلَكَةِ ، وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّسْوِيفُ الَّذِي
 قَطَعَ بِهِ النَّاسُ آجَالَهُمْ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ ، تَرَكُوا
 النَّعِيمَ لِيَنْعَمُوا ، لَهُمْ عِبْرَاتٌ مُتَدَايِعَةٌ ، لَا تَرَاهُمْ إِلَّا فِي وَجْهِ عِنْدَ اللَّهِ
 وَجِيهاً . .

من قضاة الإسلام

كعب بن سور الأزدي

دكتور فؤاد عبد المنعم

تطلب الخليفة العادل الحازم : عمر بن الخطاب فيمن يقيم أمر الله بالفصل بين الناس ثلاث خصال : لا يصانع ، ولا يضارع (أى يشبه فعله الرياء) ، ولا يتبع المطامع . وقد أستبان بالتجربة لعمر رضى الله عنه توافر هذه المواصفات فى كعب فولاه قضاء البصرة ، وكانت أحكام كعب من دليل صحتها لا يختلف فيها أو عليها . فكانت الشهادة التقديرية من عمر لكعب قوله : « نعم القاضى أنت » .

معالم حياته :

* كعب بن سور بن بكر بن الأزدي ، من قبيلة من أهل اليمن ، لم تشر المصادر والمراجع التى بين أيدينا إلى تاريخ ولادته وإن أجمعت أن وفاته كانت فى موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .

* كان كعب مسيحياً فى الجاهلية ، واعتنق الإسلام عن وعى وإدراك - واقتناع ، فكان من القلة الخيرة المؤمنة من أهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : « ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين » آل عمران : الآيات (١١٣-١١٥) فقد آمن كعب إيماناً صادقاً عميقاً ، وكاملاً وشاملاً وانضم إلى الصف المسلم وقام بحراسة دين الإسلام .

* لم تثبت رؤيته للرسول ﷺ ، ولم يرو عنه أى حديث ، وإن عاصر كبار الصحابة ، وفقه آيات الأحكام والحديث . ويعد كعب من كبار التابعين .

* مكث فى القضاء اثني عشر عاماً فقد استقضاه عمر قاضياً على البصرة فى سنة ١٨ هـ ، ولم يزل كعب قاضياً لعمر حتى استشهد عمر رضى الله عنه فى عام ٢٣ هـ ، وفى

عام ٢٩ هـ ولَّى عثمان بن عفان عبد الله بن عامر على البصرة ، فأعاد ابن عامر كعباً على القضاء فلم يزل حتى استشهد .

كيف ولي عمر كعباً لقضاء البصرة ؟

يحدثنا الشعبي : أن كعب بن سور كان جالساً فجاءت امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين : ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي إنه ليبيت ليله قائماً ، ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفطر ، فاستغفر لها وأثنى عليها . وقال : مثلك أثنى الخير . . . وقال : واستحيت المرأة فقامت راجعة . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، هلاً أُعنتَ المرأة على زوجها أن جاءتك تستعديك ؟ قال : أو ذاك أرادت ؟ قال : نعم . . . فردت ، فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه ، إن هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك ، أنه يحتجب فراشك . قالت : أجل إني امرأة شابة ، وإني أتبع ما يتبع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاءه . فقال لكعب : أقض بينهما ، فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه . فقال كعب : أمير المؤمنين أحق أن يقضى بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما قال : فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن فأقضى له بثلاثة أيام وليالين ، يتعبد فيهن ، ولها يوم وليلة (ليس له فيها إلا أداء الفريضة) فقال عمر : والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر ، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة .

وفي رواية أخرى طريقة عن المدائني تتفق معها في المعنى وتنفرد بأنها تصور حجج الخصوم وأدلتهم بصياغة شعرية . . فالمرأة التي أتت عمر بن الخطاب تثنى على زوجها فقال له كعب بن سور : إنها تشكوه . فقال عمر : اقض بينهما . فتكلمت المرأة فقالت :
يا أيها القاضي الحكيم رشده ألهي خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده فأقض القضاء يا كعب لا تردده
فقال الزوج :

إني امرأة أذهلني ما قد نزل في سورة النور وفي السبع الطول
زهدي في فرشها ما في الحجل وفي كتاب الله تخويف جلل
فحشها في ذا على حسن البعل

فقال كعب :

إن أحق القاضين من عقل ثم قضى بالحق جهداً وفصل
إن لها حقاً عليك يا بعل نصيبها من أربع لمن عدل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

كعب يراجع عمر في قضائه في عين ماء :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن صاحب عين أتى عمر ، وعنده كعب ابن سور ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لي عيناً فاجعل لي خراج ما تسقى . فقال : هو لك . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ليس ذاك له . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا يفيض ماؤه عن أرضه فيسقى أرض الناس ، ولو حبس ماءه في أرضه لغرقت ، فلم ينتفع بمائه ، ولا بأرضه ، ثمرة فليحبس ماءه عن أرض الناس إن كان صادقاً . فقال له عمر : أتستطيع أن تحبس ماءك ؟ قال : لا . قال عمر هذه لكعب مع الأولى . ذلك لأن موقف كعب تطبيقاً لقاعدة إسلامية كلية « الخراج بالضمان » ، ومعنى الخراج ما يخرج من الغلة والناتج والمنفعة ومعنى الضمان ما يصرف من النفقات أو يتحمل من الأضرار .

تَقِيًّا كعب الهدية لأنها سُحِتْ ورشوة :

حدث المدائني قال : قالت بنت كعب بن سور : أَلَطَفْنَا بعض الحى بُلُطَف (الهدية) فدخل أبى فرآه فأدنيه إليه ، فأكل ثم قال : من أين هذا لكم ؟ قلنا له : أهداه ، لنا فلان فتقيأه . لأن الهدية إذا دخلت بيت القاضى دفعت إلى الطمع منه والشبهة فيه ، فقد كانت تعاليم عمر بن الخطاب إلى عماله - من جراء تجربته - أن الهدايا هي الرشا . فقد روى لنا الشعبى أن رجلاً كان يهدى إلى عمر بن الخطاب كل عام رجل جزور (صغير الناقة) خاصم إليه يوماً ، فقال : يا أمير المؤمنين : أقض بيننا قضاء فصلاً كما يفصل الرجل عن سائر الجزور ، فشعر عمر بنقل هذا القول وأثره على نفس القاضى الذى قد يحيد به عن وجه الحق في الدعوى ، وقد قضى على الرجل لأن الحق لم يكن معه ، وكتب إلى عماله : ألا إن الهدايا هي الرشا فلا تقبلن من أحد هدية ، إنه تطبيق حى من كعب لتعاليم ولى الأمر العام .

من قضاياه واجتهاده :

● اختصم إلى كعب رجلان ، باع أحدهما صاحبه ورقاً على أن يقطع برضاه ، فجعل يأتيه بالأديم (آلة القطع) فيقول له : اقطع لى من وسطه ورقة ودع باقيه ، فقال كعب : إما أن تقطعه كله أولاً تفسده عليه ، وإلا فخذ دراهمك . وذلك من كعب تطبيقاً للمبدأ « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » ، ولا يزال هذا أساس نظرية التعسف فى استعمال الحق فى الفقه الإسلامى .

● اشترى رجل من رجل أرضاً ، فوجدها صخرة ، فأختصم إلى كعب بن سور فقال كعب : أرأيت لو وجدتها ذهباً . أكنت تردها ؟ قال : لا . قال فهى لك . لقد أستند كعب بن سور إلى معيار الشخص العادى فى تقدير العيب المألوف ، وطبق قاعدة : « الغرم بالغرم » ، يعنى أن من ينال نفع شىء يتحمل ضرره .

● حدث الرواة : أن امرأتين رقدتا ، ومع كل واحدة ولدها ، فانقلبت إحداهما على أحد الصبيين فقتلته ، وأصبحتا وكل واحدة منهما تدعى الباقي ، فاختلفا إلى كعب بن سور فبعث إلى القافة فأرطوا (القافة : من يقتنى الأثر ، أو طوا : اتفقوا) فألحق الشبه بإحدى المرأتين ، فقال كعب : إني لست بسليمان بن داود ، ولم أجد شيئاً أفضل من أربعة من المسلمين شهوداً . إن اجتهد كعب فى المسألة المعروضة عليه . وكل من طرفها مدع ومدعى عليه فى آن واحد ، والتجاءه إلى خبرة رجال الأثر والإلصاق بالشبه مقرونة بتعدددهم وعدالتهم هودليل ظنى مفضى فى الغالب إلى اليقين ، وما التحليل الدموى للطفل والمنسوب اليها فى العصر الحديث من الوقوف على الفضائل الدموية إلا إلحاقاً للشبه وبناء على الظن القريب من اليقين أيضاً .

موقف كعب بن سور من الخارجين على الخليفتين عثمان وعلى :

بعث الخليفة عثمان بن عفان إلى كعب بن سور وذوى الشوكة والولاة فى الأمصار أن ينصروه ويحثوا الرعية على طاعته ، بعد ظهور الفتنة والتفاف أهل الشعب بداره مطالبينه بأن يخلع نفسه من الخلافة بمقولة أن عماله من أقاربه دون الكفاءة والأمانة المسندة إليهم ويستبدون بالأمر من دونه . وإن كان الواقع أن وراء هذه القوى أيد خفية معادية للإسلام دخلته بقصد الإفساد والقضاء على دولته ورجاله ، وكانت تبث سمومها ورسائلها المزورة إلى

الأمصار على لسان كبار الصحابة تدعوهم فيها إلى الخروج على عثمان ، وفي مقدمة هؤلاء اليهودى عبد الله بن سبأ ، وكان الغرض أن يتكاثر الخارجون على عثمان وتزداد المطالبة بخلعهم .

وقد قام كعب بحق ولى الأمر وحث أهل البصرة على نصرة الخليفة عثمان وطاعته . . ومضى كعب إلى عثمان بناء على طلب الأخير وأكد له أن البصرة عامة والأزد خاصة في طاعته ونصرته وذلك في سنة ٣٥ هـ ، ولكن الأحداث تصاعدت بعد ذلك وتمكن بعض رجال الشعب من اقتحام دار عثمان وقتله والمصحف في يده . وأصبحت البلاد وقد استشهد رئيسها والثوار وأهل الشغب كادوا أن يملكوا الزمام في حاجة إلى الإمام الذى يدرك أن - الحكم مسئولية وتضحية ، وقد اتفق الجميع في الظاهر بما فيهم الثوار على بيعه على بن أبى طالب وإن كان طلحة والزبير قد بايعاه كارهين لأنها طلبا منه أن يُنصبا في ولايات معينة ، وأن يبدأ بالقصاص من قتلة عثمان ، ولم تكن الظروف تسمح بذلك . لذلك فقد مضى طلحة والزبير إلى أم المؤمنين عائشة التى كان لها موقفاً خاصاً من ولاية الإمام على بن أبى طالب ، ومضوا جميعاً إلى البصرة مطالبين بئار عثمان أو خلع الإمام على ، وقد بعث طلحة والزبير إلى كعب بن سور برسالة بقصد استقطابه نصها : « أما بعد ، فإنك قاضى عمر بن الخطاب ، وشيخ أهل البصرة ، وسيد أهل اليمن ، وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى فاغضب له من القتل والسلام « فأجابها » : أما بعد فإننا غضبنا لعثمان بالأيدى والغير باللسان ، فجاء أمر الغير فيه بالسيف ، فإن يكن عثمان قتل ظالماً فما لكما وله ، وإن يكن قتل مظلوماً فغيركما أولى به ، وإن كان أمره أشكل على من شاهده فهو على من غاب عنه أشكل » .

وقد كان موقف كعب في البداية الاعتزال عن الحرب ويحث الناس على ذلك في المساجد ويقول : ويلكم أطيعوني ، اقطعوا هذه النطفة (الماء القليل) وكونوا من ورائها ، وخلوا بين الغاوين ، فوالله لا يظهر طائفة منهم إلا احتاجوا إليكم ، فتصدى له صبرة بن شيان سيد الأزد وقال له : اسكت إنما أنت نصرانى صاحب ناقوس وصليب وعصا . . فرجع كعب إلى منزله في دار عمرو ابن عوف فأمر بزاده ليخرج من البصرة ، فبلغ عائشة الخبر وقيل لها إن اتبعك كعب بن سور خرجت الأزد كلها معك ، فجاءت إليه على بعيرها ولم تزل تقنعه بأن غايتها الإصلاح دون قتال حتى خرج معها وراية الأزد معه ، ولما نشب القتال بين فريقها وفريق على كان كعب ممسكاً بزمام جملها « عسكر » فكلفته عائشة بقولها :

خل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه ودفعت إليه مصحفاً ،
ففضى يحث القوم على العمل بكتاب الله بيد أن سهماً غرب فأصابه فكان أول مقتول بين
يدى عائشة وأهل الكوفة . .

وقيل أنه أصيب مع كعب ثلاثة أخوة أو أربعة ، فجاءت أمهم ، فوجدتهم في القتلى
فقالت :

أيا عين جودى بدمع سرب على فتية من خيار العرب
فما ضرهم غير جبن النفوس أى أميرى قريش غلب
ونختم مقاتلنا بكلمة للأمام على بن أبى طالب وقد مر على أثر المعركة في القتلى فوجد
كعباً بن سور وهو قتيلى ، فقام عليه (صلى عليه) وقال : والله ما علمت أن كنت إلا صلباً
في الحق ، قاضياً بالعدل . . وأثنى عليه على ما ذكره بن وكيع في أخبار القضاة . .

فضل العلم

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ
وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

شاعر عرني

نبي الإسلام كما يراه الجنرال ر. ف بودي

عُرِفَ محمد بالأمانة والجد ، لما تخطى الخامسة والعشرين حتى كان من أكبر تجار القوافل وأنشطهم في غرب بلاد العرب ، فعهد اليه كثيرون غير عمه بأمر تجارتهم . وقد اختلف محمد عن زملائه من التجار ، فبعد انقضاء يومه يقضى وقته في السوق ، أو في دار صديق ، حيث يجتمع رجال الفنون ورواة القصص والشعراء . ولطالما أنصت هناك الى الفلاسفة ورجال الاديان يتحدثون في أمور دينهم وعقائدهم . وتعاقت رحلاته فألم خلالها بتاريخ تلك البقاع من آسيا وتقاليدها ، وتهاى له ما تهاى لأمثاله ممن يقضون أعمارهم في الرحلات من الحكمة الدنيوية . وإن الدارس لقصة محمد لتبهه حكمته الساطعة ، وليرى محمدا شيئا مميذا لا يمت لعصره بسبب ، وانه ليعجب احيانا من اعتدال أحكامه التي تعالج الامور العامة ، كانت أفكاره سابقة لأفكار معاصريه .

لقد كان محمد ﷺ على نقیض من سبقه من الأنبياء ، فإنه لم يكتف بالمسائل الإلهية ، بل تكشفت له الدنيا ومشاكلها ، فلم يغفل الناحية العلمية الدنيوية في دينه ، فوفق بين دنيا الناس ودينهم ، وبذلك تفادى أخطاء من سبقوه من المصلحين الذين حاولوا خلاص الناس عن طريق غير عملي . لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله ، وأن الجنة نهاية المطاف .

وظلت اخلاقه ثابتة لا تتبدل ، أيا كان العمل الذى يعمله ، سواء أكان يرعى غنمه في سكون البادية ، أو يبيع عطوره أو أنماطه في دمشق ، ولم تتبدل أمانته ، ولم يتغير صدقه ، بل بقيت فضائله ثابتة على الأيام ، حتى لقب « بالأمين » ، ولم تفتنه النساء قط ، ولم تفتنه الشهوات أيضا ، وبقيت غرائزه الجنسية مهذبة ، وكان حاضر البديهة ، عذب الحديث ، ميالا الى معاشره الناس ، معتنيا دائما بملايسه وهندامه ، فكان يلبس للخيام لبسا وللطريق لبسا ، ويعتنى بلباسه غاية العناية اذا ما كان في الدار ، وكان يهتم بعمامته ، وكانت ملايسه نظيفة أبدا ، وكان يفضل البياض وإن كان قد لبس الألوان الزاهية في أيامه الأخيرة . .

وما كان محمد ثثارا ، وان كان صادق الترحاب بمن يقبل عليه . وكان على سليقته - العربية لا يتكلم إلا إذا كان هناك ما يصلح للحديث ، وقد أعلن أن من الإيمان الإعراض عن اللغو .

وكان متوسط الحال ، وقد قال بعضهم فيه يوما : « انه أخفر من عذراء في خدرها » ، . ولم يثبت في تاريخه حتى اليوم أنه أتى أمرا خارقا ، وأن الحادث التالى الذى يذكر على سبيل التدليل على فطنته ، ليبرهن على أنه كان يتفوق على أقرانه برجاحة عقله ، فقد أثرت الأمطار فى الكعبة فتصدعت جدرانها ، وأصبح شد بنيناها أمرا ضروريا ، وأقبلت قريش على هذا العمل بعد إحجام .

ولما آن وضع الحجر المقدس فى مكانه زاد الخصام ، واشتد الامر ، واستفحل الخطب ، وكادت تندلع نار الحرب ، قال احدهم : اجعلوا الحكم فيما بينكم أول من يدخل باب الصفا . فلما رأوا محمدا أول من دخل هللا غبطة ووضعوا الأمر بين يديه . ففكر قليلا ثم خلع عباءته ونشرها ، وأخذ الحجر الأسود ووضعها فيها ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب . فحملوه جميعا الى ما يحاذى موضع الحجر من البناء ، ثم تناوله ووضعوه فى موضعه قبل أن ينشب خلاف آخر .

أما زهد النبي وأتباعه فقد صوره المؤلف بفقرته التالية :

(ولقد أوضح محمد منذ اللحظة الاولى أن الاسلام يقوم على البساطة ، ولقد اعتنق أصحابه تلك المبادئ حتى بعد موته . فما يروى أن خالدا قائد جيوش المسلمين فى الشام أيام خلافة عمر اجتمع بقائد الجيش الرومانى تحت خيمة كبيرة ، وكان الرومان يرتدون الكسى المزخرفة البراقة ، ويحملون سيوفا مرصعة بالجواهر المتألثة . أما خالد وأصحابه فكانوا يرتدون رداء الأعراب المقاتلين ، دروعا بسيطة ، وسيوفهم إلى جانبهم لا بريق فيها ولا زخرف . وألقى المسلمون التحية لدى دخولهم وجلسوا أرضا . فسأهم القائد الرومانى : لم لا يجلسون على المقاعد . فأمعن خالد فيه النظر ثم قال :

« لقد خلقت من الارض ، منها نبتت واليا نعود ، الله خالق الارض ، وما يخلقه الله آمن من طنافسكم الحرية » . .

وفى اليوم التالى هزم خالد وبدوه الزهاد جيش الرومان هزيمة لم يعرف لها مثل من قبل ، واستولوا على القدس .

حتى النبى عندما حقق انتصاره الاكبر ، ودخل مكة وحطم أصنام الكعبة ، وأتم فيها

أهم جزء من رسالته بتطهير بيت الله من الأوثان ، نام على قطعة من الحصى ، كما كان ينام وهو أجبر يقود القوافل للقرشين ولخديجة بنت خويلد .

فله درهم . . أولئك الزهاد . . الذين لم يقيسوا الدنيا بما فيها من غرور . . وإنما عالجوها المعالجة التي تؤدي الى الخير ، والذين ساووا أنفسهم بأصغر صغير من أتباعهم ، لم تخدعهم المناصب ، ولم تغرهم أبهة السلطان ، وفي المدينة وضعت صيغة الأذان لدعوة الناس إلى الصلاة ، وكانت فكرة موفقة صائبة ، وإن صوت المؤذن لينبث كل يوم خمس مرات مناديا « الله أكبر . . الله أكبر . . أشهد ان لا إله إلا الله . . وأشهد أن محمدا رسول الله . . فاذا بالزينة الحلوة ينساب من فوق مآذن المساجد في أنحاء العالم ، وإنه لرئيس يهز قلوب الناس ومشاعرهم أيًا كانت عقيدتهم » .

الرسول كسياسي ودبلوماسي

ومن الحوادث التي تناوها هذا المؤلف بالبحث والتحليل صلح الحديبية عام ٦٢٨ الذي وصفه بأنه نصر سياسي دبلوماسي لنبي الاسلام جدير بالاعجاب والتسجيل . . وفي هذا الصدد كتب بودلى يقول :

(وجد النبي بعد خروجه من مكة أن الأمل في الاتفاق مع القرشين ضعيف ، وأضعف منه أنه يأخذ مكة بقوة السلاح . لهذا سعى لتوطيد سلم بين مكة ومحمد بطريقة لا تخرج المسلمين .

وقد واتت محمدا فكرة بديعة هي أن يأخذ رجاله غير مسلحين ، ويشارك في الحج السنوي الى الكعبة وسيأمنون الغدر بهم لانهم سيكونون في الأشهر الحرم .

وفي فبراير سنة ٦٣٨ اجتمع خارج المدينة ألف وخمسمائة من حجاج المسلمين في ثياب الإحرام البيض ، وتحركوا الى مكة حتى بلغوا مشارفها وضربوا خيامهم ، وتربص محمد ليرى كيف يتصرف القرشيون .

ولم يكن هؤلاء ينوون الإذعان بسهولة لهذه الجرأة فبعثوا إلى النبي يفوضونه في أن يرجع هذا العام ويعود في العام التالي فيحج الى الكعبة ، وانتهت المفاوضات بين الطرفين بعقد هذه المعاهدة في مارس سنة ٦٢٨ .

وبمقتضى هذه المعاهدة بين محمد بن عبد الله وسهيل بن عمر ، يتفق الطرفان على أن

يعود محمد ورجاله فوراً الى المدينة ، ويؤذن لهم بالرجوع فى العام التالى للحج ، وستخصص لهم ثلاثة أيام يؤدون فيها فرائضهم حول الكعبة وفى هذه الفترة يخلى القرشيون مكة ، ويعسكرون خارج أسوارها ، وسيكون على الحجاج من أتباع محمد أن يكونوا غير مسلحين إلا بالسيف المغمدة التى يؤذن للراجلين بحملها للدفاع عن النفس . وتدوم هذه المعاهدة عشرة أعوام . تجرى فيها قوافل الطرفين فى أرض مكة والمدينة بسلام . ويعاد الى مكة كل المكين الذين يلجأون الى المدينة بقصد الاسلام دون موافقة عائلاتهم على ذلك . ولا شك أن هذه المعاهدة كانت أعظم نصر دبلوماسى حققه محمد ، ففيها اعتراف به كزعيم لجماعة كبيرة من العرب يحسب لها حساب . ولها قوة وحقوق . وإمضاء معاهدة معه بهذا الوصف . بعد طول الطراد والتزال نصر مؤزر . . . وأى نصر ! ! . . .

وكان محمد يتطلع الى أبعد من ذلك ، كان يرى أن المعاهدة مقدمة لها ما بعدها . فإن مجرد استطاعته وضع قدمه فى مكة ، كفى بأن يبقيه فيها أبد الأبد . . .

الحج عام ٦٢٩ م

فى العام التالى قصد النبى على رأس الحجاج إلى مكة . فلما أصبحوا على مرمى النظر خرج المكين من منازلهم ، وتركوا المدينة وعسكروا خارجها ، ودخلها المسلمون . فلما نحا الكعبة ، انبعثت من حناجرهم التكبيرات ، « لبيك اللهم لبيك »

وبعد أن أدوا مناسك الحج ، باتوا ليلتهم حول الكعبة ، فلما أصبحوا أمر النبى بلالا أن يؤذن . فأذن قائلاً « الله أكبر . . . الله أكبر » . . .

لقد كان لهذا الأذان وقع لا يبارى . . . لقد سمعه أهل مكة جلياً . ورأوا آهتهم جامدة كالصخر ، لم تثر ولم تغضب لانتهاك حرمتها ، ولم ترسل الصواعق مدراراً على رؤوس أولئك الكفرة ، ولم تفجر ينابيع الارض ، أو تشقق جوفها تحت اقدامهم .

رأى القرشيون ذلك وتأثروا به ، فكان أن قصد خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة إلى النبى بعد ثلاثة أشهر فى المدينة وأعلنوا اليه إسلامهم .

ولم يقتصر الأمر على أهل مكة ، بل لقد قصدته القبائل من كل أنحاء الجزيرة تعلن اسلامها ، فلما انتهى عام ٦٢٩ حتى رأى محمد أن الوقت قد حان لتصفية الموقف مع أبى سفيان .

وعندما اعتدت قبيلة من حلفاء قريش على أخرى من حلفاء محمد كان ذلك حجة قوية لهذا النبي ، للرد على نقض المعاهدة ، ودخول مكة بقوة حراب المسلمين . أحاط النبي وقواده أمر الحملة بالكتمان التام ، فأغلقت كل الطرق الموصلة الى مكة ، ومنعت قبائل البدو من التحرك في الصحراء ، وبذلك لم يعلم العدو شيئاً عنها حتى أصبحت على أبواب مكة ،

تحرك الجيش في أول يناير سنة ٦٣٠ وبلغ عشرة آلاف مقاتل كاملي العدة والسلاح ، وولى الزبير قيادة المقدمة ، يعاونه مائتان من الخيالة ، والرسول على رأس قلب الجيش ، وتولى عمر تنسيق تقدم هذا الجيش الجرار ، فقاده ، خلال مسالك غير مطروقة ، ولم يأذن بدق الطبول أو التكبير .

والتقى الجيش في الطريق بالعباس عم النبي وهو في طريقه الى المدينة ليعلن إسلامه ، وبذا كان آخر المهاجرين .

وأخيراً حط الجيش رحاله إلى جوار مكة ، وأذن عمر باشعال النيران فاشتعلت منها ألوف ، ورآها أهل مكة فتولاهم الذعر والفرع ، وأوفدوا أبا سفيان لتقص حقيقة الامر ، فالتقى به العباس الى جوار معسكر الجيش فنصحه بالمبادرة الى التسليم ، قبل أن يدمر محمد مكة .

وفي الصباح أعلن أبو سفيان بين يدي النبي إسلامه وأنه سيسلم مكة ففرح النبي . . . ها هي مكة تُسلم اليه دون أن تراق الدماء ودون أن يقتل الأخوة وأبناء « العمومة » . وطلب محمد من أبي سفيان أن يأمر الناس بالبقاء في منازلهم ، فمن فعل فهو آمن . . . وعاد أبو سفيان فأعلن ذلك للناس فدخلوا دورهم ولزموها . واستعرض محمد جيشه ، وسلم يبرق المسلمين لعل . واحتاط من أى خيانة بأن طوق المدينة أولاً ، ثم دخلها من جهاتها الأربع في وقت واحد فدخلها خالد على رأس الخيالة من الجنوب ، وقاد الزبير جماعات البدو على جماهم من الشمال ، ومن الغرب تقدم أهل المدينة بقيادة سعد بن عباد . أما من الناحية الشرقية فتركت للمحاربين القداماء برياسة أبي عبيدة ، ثم دخل النبي وقواده تحيط به فرقة رماة الرماح المدرعين ، بقيادة أسد الصحراء العربية على بن أبي طالب . . . وتم كل ذلك بنظام بديع . . . دون أى مقاومة ، فيما خلا حادثة واحدة . وقعت بين طاوور خالد وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل . وانتهت في دقائق بقمع التمرد . .

وبدل محمد ثيابه الحربية . وطَوف بالكعبة . ثم دعا أعوانه الذين صحبوه من البداية فأخذوا فى تحطيم أصنام الكعبة . وهم يرددون (جاء الحق وزهق الباطل . . ان الباطل كان زهوقا) . .

الحرب

قال ﷺ :

« لا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَانْجِبُوا ، وَاضْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . . » .

مقترحات لإذاعة القرآن الكريم

دكتور عبد الودود سليمى

هذا التخط الذى يعيش فيه الشباب ، والفراغ الدينى الذى يسيطر عليه ، وهذه البلبلة الشائعة فى اسلوب التفكير ، واسلوب العمل ، واسلوب الدعوة الى الله ، والحفاظ على قيمنا الرفيعة ومثلنا العليا

هذه الامور وغيرها مما تحفل به الساحة الاسلامية ويتردد صداها فى ارجاء علمنا الاسلامى والعربى . وينعكس «سلبا وإيجابا» على الواقع الملى بالتناقضات الصارخة ، والسلبيات الشائعة . فما علاج ذلك كله ؟ وما الحل الامثل لتلافى هذه العيوب ، والوقاية من هذه الامراض ، وارشاد الشباب وغيره من طوائف الامة الى سبيل الحق والرشاد ؟ ان تقصيرنا فى هذا المجال واضح ، ودورنا فى هذا الميدان لايزال محدودا ، وهمتنا فى مواجهة هذه الظواهر لا تزال واهنة ، وتصورنا للعلاج لا يتجاوز وظيفة «دعى الطب» فى القرى النائية .

* * *

منذ قرابة عشرين عاما وقع خلاف بين القيادة السياسية فى «مصر» والقيادة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، على امواج الاثير ، وفى صفحات الجرائد ، وعلى السنة الساسة ورجال الفكر ، وخرجت المظاهرات فى هذا الوقت تهتف بسقوط الشيوعية ولعنة الاتحاد السوفيتى عدو الاسلام والعروبة .

وقد اتصل وزير الاعلام فى هذا الوقت «الدكتور عبد القادر حاتم» بوزير الأوقاف «السيد/أحمد عبد الله طعيمة» للاتفاق على اختيار بعض العلماء لإلقاء أحاديث عن مفاصد الشيوعية ، وخطرها على الدين والعروبة ، واتصل وزير الاوقاف بمدير المساجد فى هذه الفترة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي ، وكان من نتيجة هذه الاتصالات تشكيل لجنة للاضطلاع بهذه المهمة ، واقتراح ما تراه وافيا لتحقيق هذه الغاية . ثم تطورت الامور بعد ذلك الى تقديم اقتراح بانشاء اذاعة خاصة تسمى اذاعة «صوت الاسلام» ووقع الاختيار

على فضيلة الشيخ محمد الغزالي لوضع البرامج المفصلة لهذه الاذاعة . وبخاصة بعد الحصول على وثيقة صادرة عن مجلس الكنائس لانشاء محطة تبشيرية لمنطقة الشرق الادنى والمنطقة العربية ، واشتركت مع فضيلة الشيخ الغزالي في التخطيط لهذه البرامج التي تم اعدادها في يوم وليلة .

وقد كتب فضيلة الشيخ الغزالي الى الدكتور حاتم يشرح فكرة هذه الاذاعة ، والاسباب الداعية الى انشائها بسرعة :

إن ما لمست في قلبكم من ايمان كريم ، وما عرفته امتنا العربية عنكم من نشاط مثمر وجهد دائب يجعلني اتقدم لكم بهذه المعلومات والمقترحات آملاً أن تلقى منكم ما تستحقه من عناية وهي تتصل بالوقوف امام دسائس الاستعمار وكشف الازياء التي أخذت تظهر فيها محاولة النيل من العرب ورسالتهم في هذه الأيام .

سيدى : يقوم اتحاد الكنائس للشرق الادنى في الوقت الحاضر ببناء اذاعة في الحبشة تحت اسم اذاعة صوت الانجيل لتقوم ببث البرامج الدينية والاستعمارية باللغة العربية واللغات الافريقية .

وهذه الاذاعة قصة تبدأ عندما وعد كميل شمعون الاتحاد الكنائسى بالسماح له باقامة هذه الاذاعة في لبنان . ولكن احداث عام ١٩٥٨ في لبنان قضت على المشروع ، وبالتالي استدعت اعادة النظر في الموضوع وبناء عليه عدل المشروع الى الشكل التالى :

١ - إقامة محطة في أديس أبابا قوتها ١٥٠ كيلوات موجهة الى الشرق الاوسط وافريقيا وهذه المحطة ستكون جاهزة في نهاية عام ١٩٦٢ ، وستكلف أربعة ملايين ^(١) دولار .

٢ - اقامة استديوهات لتسجيل البرامج العربية في كل من : بيروت ، القاهرة ، عمان ، والكويت لتغذية الاذاعة وقد بدأ فعلا اعداد وتحضير هذه الاستديوهات .

وقد عقد الاتحاد الكنائسى للشرق الادنى اجتماعا استمر من ٢٦ فبراير لغاية ٢ مارس في القاهرة بحث خلاله الترتيبات اللازمة لنجاح المشروع ، وقد قرر في اجتماعه المذكور التستر بالمؤسسات الثقافية والدينية لتأمين البرامج اللازمة للمحطة .

وقد ظهر أثر هذا العمل باتخاذ استديو كلية بيروت الامريكية للبنات مركزا لتحضير

(١) لقد قامت عدة إذاعات تبشيرية في العالم العربى وفى أفريقيا منها إذاعة في لبنان ، وأخرى في «أديس أبابا» وثالثة في مزوفيا . ورابعة في مونت كارلو .

هذه البرامج . وخطر هذه الاذاعة جسيم لأن الاتحاد الكنائسي للشرق الادنى مرتبط ارتباطا وثيقا باليهودية العالمية والصهيونية ، وهو الذى يجمع فى كنائسه فى امريكا المبالغ الطائلة سنويا تبرعا لاسرائيل .

وعليه يجب أن تقاوم هذه الاذاعة التى تمثل تكتلا تبشريا استعماريا صهيونيا بطريقتين :

١ - اقفال الاستديوهات التى ستقام فى البلاد العربية مع شن حملة دعاية ضد الفنانين والمذيعين الذين قد يتعاونون مع هذه الاذاعة .

٢ - ادخال تعديلات على برامج الاذاعة العربية وخصوصا اذاعة صوت العرب حتى تستطيع ان تواجه بطريقة لبقة هذا التعصب الدينى الأعمى .

هذا ويسرنى ان اضع بين ايديكم صورة من برنامج «اذاعة صوت الاسلام» الذى سبق ان اقترحنا مواده على السيد الاستاذ احمد طعيمة وزير الاوقاف السابق فرما أمكن الانتفاع به فى هذا المجال ، ولعل اذاعة صوت العرب يمكنها ان تتوسع فى دائرة الثقافة الدينية على ضوء ما جاء به .

ذلك وآمل ان تتقبلوا تحياتى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

مدير المساجد

اذاعة صوت الاسلام

غايته :

١ - ربط المسلمين بدينهم ومثله العليا ، وتزويدهم بأغذية روحية وثقافية تجعل حياتهم العملية مطابقة لمبادئ الاسلام .

٢ - عرض الاسلام على الامم كافة عرضا يتسم بالشرح والاعتدال على ذكر الحقائق المعروفة من الكتاب والسنة .

٣ - توكيد رغبة الاسلام فى مسالمة اتباع الاديان الأخرى ، وكفالة حق الحياة وحرية العقل والضمير لساائر الأمم والاجناس .

وسائلها :

- ١ - القرآن الكريم . تلاوته . تفسيره . مقاصده . اغراضه . علومه . صلته بالكتب السابقة وانواع هدايته .
- ٢ - السنة النبوية . وما فيها من فضائل أحكام ومقارنتها باهداف القرآن وواقع الحياة .
- ٣ - شرح العقائد الاسلامية شرحا مبسطا يقترن بآثارها في حياة الرسول وصحابه وبيان أصول الوحدة الدينية التي تجمع بين الانبياء في صعيد واحد . وهي الوحدة التي يعتمد عليها الاسلام في تفسيره لعناصر الايمان .
- ٤ - التنبيه الدائم لاهداف الاسلام الانسانية في المجتمع والنفس . ودعم كل هدف بالنصوص التي تقررها من الكتاب والسنة .
- ٥ - شرح العبادات العملية من صلوات وزكوات شرحا يستهدف التقريب بين المذاهب الفقهية الاسلامية الشائعة . ويعين على جعل هذه العبادات رياضية نفسية عميقة الأثر .
- ٦ - الاهتمام بالجانب الروحي ، واحياء التراث الخلقى العالى الذى تركه أئمة التصوف ، مع شرح الاساليب الرقيقة التي تتصل بعواطف الحب الالهى وذلك باستعراض التراث الصوفى بعد تقويته من الدخيل والشوائب .
- ٧ - التذكير بأجماد المسلمين المدنية والثقافية والعسكرية . ونشر تراجم جليلة للقادة والأئمة والساسة والدعاة . واعطاء الأولوية في ذلك للسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء .
- ٨ - تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية . وكيف استقبلت تلك الشعوب الاسلام ومن بينهم أشهر الدعاة الى هذا الدين كل في وطنه .
- ٩ - لفت انظار المسلمين الى البدع التي اقتصرت بالاسلام ولم تكن قبل ذلك شيئا لا في اصوله ولا في فروعها .
- ١٠ - التعريف ببلاد العالم الإسلامى تعريفاً مقتبساً من واقع جماعته وأوطانه المتفرقة في أنحاء العالم .
- ١١ - الكشف عن مآسى الاستعمار في العالم الاسلامى . وبيان الأسباب التي أدت الى سقوط كثير منها في برائته . والدعوة الى استخلاص ما بقى منها تحت قبضته ونفوذه .

- ١٢ - فضح المطامع الصهيونية . وكشف القناع عن أغراضها التوسعية . وبيان ما فى (تلمودها) من العودة الى القتل والهمجية .
- ١٣ - الاهتمام بتعليم اللغة العربية وتخصيص بعض البرامج لتعليمها لأبناء الدول الاسلامية والانتفاع بذلك بطريق راديو (لندن) وصوت أمريكا فى تعليم اللغة الانجليزية .

التفصيل العملى للبرامج

- ١ - لماذا نحن مسلمون ؟
- برنامج تعرض فيه مبادئ الاسلام عرضا مبسطا . . مع ملاحظة هذين الاعتبارين الهامين .
- الأول : ايقاظ مشاعر الايمان فى قلب المسلم حتى يرسخ ايمانه .
- الثانى : بيان ما فى الاسلام من فضائل يتميز بها على غيره من الاديان والعقائد .
- ٢ - حقائق وأباطيل :
- رد على خصوم الاسلام من المبشرين والمستشرقين والمستعمرين . ويكون ذلك بما يأتى :
- أولا : فضح أساليبهم .
- ثانيا : بيان ما يريدون بأكاذيبهم .
- ثالثا : رأى الاسلام فى أباطيلهم .
- ٣ - الأمة الواحدة :
- يتولى هذا البرنامج توضيق شقة الخلاف وتقريب وجهات النظر بين الطوائف والجماعات الاسلامية ويتحقق ذلك بما يأتى :
- (ا) الاعتماد على الكتاب والسنة فيما يتصل بالتشريع والفقه بين أهل السنة .
- (ب) التقريب بين الشيعة وأهل السنة .
- ٤ - بطولات اسلامية :
- برنامج قصصى أوغثنيلى يعرض لاحدى الشخصيات الاسلامية التى قامت بعمل عظيم فى تاريخ الاسلام مع ابراز ما فى هذه الشخصية من خصائص الفدائية والبطولة .

- ٥ - ليس من الاسلام :
برنامج يدعو إلى التصدى لكل فكر خارج على جوهر الاسلام ويحارب البدع والخرافات الشائعة في أرجاء العالم الاسلامى .
- ٦ - ظلام من الغرب :
دعوة الى نبذ التقاليد الضارة والعادات السيئة الدخيلة على المجتمع الاسلامى فى التشريع والاخلاق والعادات والتقاليد .
- ٧ - الفتاوى .
برنامج يرد على أسئلة المستمعين فى أنحاء العالم الإسلامى .
- ٨ - البرنامج الدينى لإذاعة القاهرة .
القرآن الكريم . الأحاديث الدينية . الأذان . صلاة الجمعة والأعياد .
- ٩ - مبادئ . . . ورجال .
يتناول هذا البرنامج حياة رجل من زعماء الإصلاح الإسلامى .
أولاً : عرض تاريخه .
ثانياً : بيان أفكاره ، ومناهجه .
- ١٠ - الوطن الإسلامى .
تعريف ببلاد الإسلام من الناحية :
الجغرافية ، السياسية ، الاقتصادية ، الاستراتيجية .
- ١١ - رسائل من العالم الإسلامى .
يتولى هذا البرنامج الرد على اسئلة المستمعين التى يثيرونها حول قضايا العالم الإسلامى ومشكلاته .
- ١٢ - قضايا العالم الإسلامى .
فلسطين ، كشمير ، الأقليات الإسلامية التى تعانى من الضغط والاضطهاد . . كل هذه قضايا لا بد من اهتمام المسلمين بها ، وتعريفهم بأسبابها ثم تعاونهم بعد ذلك على حلها كل فى وطنه حسب إمكانياته وظروف بلاده .
- ١٣ - الأنباء .
نشرة إخبارية خاصة بأخبار العالم الإسلامى .
وتحور هذه النشرة من إحصائين يدركون ما فى العالم الإسلامى من جبهات مختلفة وآراء

سياسية متعارضة .

١٤ - حى على الفلاح :

برنامج حضارى اصلاحى يقوم على ما يأتى :

١ - عرض ما فى الاسلام من رقى وطهارة .

٢ - اقتباس النافع من أساليب الغرب فى المدنية والحضارة

١٥ - لا سادة ولا عبيد :

برنامج يدعو الى محاربة العنصرية والتفرقة بين سكان العالم .

لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وطاعة الله .

١٦ - محربون لا بناءون !

برنامج يعرض للمذاهب الهدامة المنتشرة فى عالمنا المعاصر . (الشيوعية - الماسونية -

البهائية القاديانية . الخ .

١٧ - حقيقة الصهيونية :

مطامعها . جرائمها . اسرارها . اسفارها وتلمودها .

لماذا نحاربها ونقاومها . . . ؟

١٨ - برنامج موسيقى غنائى يقدم اشهر الاغاني والالحان الدينية والوطنية والعاطفية

المهذبة من جميع اقطار العالم الاسلامى .

هذه هى الملامح العامة للبرامج المقترحة لهذه الاذاعة ، وهى - كما نرى - جديرة

بالاهتمام والدراسة ، وفى اذاعة « القرآن الكريم » بصفة خاصة . .

وفى رأينا - لكى تأخذ هذه البرامج طريقها الى التطبيق العملى فى هذه الاذاعة - ان

تدعم اذاعة « القرآن الكريم » بالخبرات الاذاعية الناجحة ، وبالأجهزة الفنية القوية ، وان

يتدخل « الفن الاذاعى » فى اخراج برامجها بطريقة تجذب إليها المستمعين من كل

طائفة . . .

لقد زوحت اذاعة « القرآن الكريم » باذاعة تبشيرية لصيقة وهى إذاعةُ إرسالها من

« مونت كارلو » امارة الفجور والقمار العالمية ، وقد تعمدت هذه الاذاعة ان تبث ارسالها

بجوار - اذاعتنا القرآنية - لتصيد المستمعين الذين يبحثون عن اذاعة القرآن الكريم فى كل

أمسية . .

لقد سبقت البرامج الموجهة (الى غرب افريقيا) كل اذاعاتنا فى هذه الناحية .

فالتخطيط في هذه الاذاعة يسير وفقا لخطة موضوعية ، ويتناول قضايا الفكر والعقيدة بلغة مبسطة ، وقد قدمت هذه البرامج الكثير في هذا الميدان منذ سنوات طويلة ، واستكثبت لهذه الغاية خبرة المفكرين في مصر الخالدة . . .

اننى اقدم هذه المقترحات ايمانا بدور الاعلام في شرح قضايانا العقيدية والحضارية وحبا لاذاعة « القرآن الكريم » التى نأمل ان تكون خير اذاعة ، وان يصل صوتها المقدس الى آذان المسلمين وغير المسلمين في انحاء الدنيا .

د / عبد الودود شلبي

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين^(١)

تأليف العلامة : أبي الحسن الندوي

عرض وتأخير : الأستاذ : عبد الحفيظ فرغلي بقرني

في أعقاب مؤتمر علماء المسلمين الثامن الذي نظمته مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة . أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب الكريم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » الذي أعتقد أنه لم تغب فصوله وماخط فيها من سطور ذهبية عن أعين هؤلاء العلماء الأجلاء ، الذين جمعهم من أقطار العالم الإسلامي الغيرة على دينهم والرغبة في الحفاظ عليه واستعادة تاريخه المشرق وتعاليمه السمحة المباركة ، وقد ظهر ذلك واضحا فيما أصدره المؤتمر في جلسته الختامية من قرارات وتوصيات ، نضرع إلى الله أن تتحول إلى تطبيق عملي ومنهج واقعي في حياة المسلمين وقادتهم .

وهذا الكتاب الذي أشرف بتقديمه نفذت طبعته العاشرة باللغة العربية بعد أيام قلائل من صدورها هذا العام ، كما نفذت طبعته الثالثة باللغة الإنجليزية ، وطبعته الثانية باللغة الفارسية ، وطبعته السادسة باللغة الأوردية وقد تحاطفت نشره دور النشر المختلفة التي لم يستأذن بعضها مؤلفه في ذلك ، وتناولته بعضها بالتحريف والتغيير والتقديم والتأخير ، وليس لذلك تعليل سوى أهمية هذا الكتاب الذي جاء - كما يقول مؤلفه في مقدمة طبعته الرابعة - في أوانه ، وصادف رغبة غامضة واتجاها مبهما في النفوس ، وبأنه يتجاوب مع شعور كثير من المفكرين والمثقفين في العالم العربي ، ويلتقي مع أفكارهم ودراساتهم . ومؤلف هذا الكتاب القيم غنى عن التعريف فهو من أكبر المفكرين الإسلاميين ، ومن أقدر أساتذة الجيل العصري الذين يعتز بهم الإسلام ويفخر بانتسابهم إليه ، وله مؤلفاته العديدة ومقالاته الواسعة التي يعرض فيها قضايا الإسلام ويناقش مشكلات المسلمين في دقة باللغة وموضوعية نادرة وتحليل بارع وفكر سديد وحرص كريم على أن يتبوأ المسلمون مكانتهم اللائقة بهم ، ويعودوا إلى سابق مجدهم الذي يستحقونه بجدهم وحرصهم على تنفيذ تعاليم دينهم .

والكتاب الذى ين أيدنا صورة صادقة لفكر هذا العلامة الإسلامى العظيم ، الغيور على دينه المتفهم له المتعمق فيه وفى غيره من وجوه الثقافات الأخرى على اختلاف منابعها واتجاهاتها . مما جعله أقدر على المقارنة والاستقصاء والعرض والاستخلاص والتمثيل والاستشهاد ، يعينه على ذلك عقيدة صافية وفكر مرتب وقلم مطوع وأسلوب سهل ممتنع . وقد قدم له أساتذة أجلاء ، لا ينبغي لهذا القلم الذى فى يدي أن يرتفع إلى مستواهم ، فإن كتب شيئا فهو جهد متواضع - وليس إضافة جديدة - فى التنويه بهذا الكتاب العظيم ، الذى جعل الدكتور محمد يوسف موسى قراءته فرضا على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام . والذى وصفه الأستاذ العظيم المرحوم سيد قطب بأنه من خير ماقرأ فى هذا الاتجاه فى القديم والحديث ، سواء لما يبعثه فى نفس قارئه من أحاسيس العزة من غير كبر وروح الثقة فى غير اغترار وشعور الأطمئنان فى غير تواكل ، وبما يلقيه على كاهل المسلمين من تبعة إنسانية ، هى تبعة الوصاية على هذه البشرية فى مشارق الأرض ومغاربها وتبعة القيادة فى هذه الأرض للقطعان الضالة وهدايتها إلى الدين القيم والطريق السوى .

ماذا خسر العالم باخطا المسلمين ؟

يقدم الكتاب نفسه بهذا السؤال . ملقيا الضوء على سر هذا التساؤل وسبب هذه الخسارة التى حاقت بالعالم بتأخر الإسلام ، ويصف ذلك بأنه مأساة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس ولا أعم منها ، فلو عرف العالم حقيقة هذه الكارثة وانكشف عنه غطاء العصبية لاتخذ هذا اليوم النحس الذى وقعت فيه يوم رثاء ، ولتبادلت شعوبه التعازى ، وإنما هذا الحادث وقع تدريجيا دون أن يحسب العالم له الحساب الصحيح ؛ وذلك أن المسلمين فى دولتهم لم يكونوا كغيرهم من الأمم التى تحطمت بعد أن بغت وظلمت فاستحقت من الله ذلك ، ولكن المسلمين كانوا عافية الجسم الإنسانى ، هم حملة رسالة الأنبياء ، وهم روح المجتمع البشرى فكان انهيارهم انهيار دعامة قام عليها نظام الدين والدنيا معا . .

وبهذه المقدمة يرسم الكتاب خطوات بحثه ، ثم يمضى ليصف لنا كيف أنقذ الإسلام الإنسانية من الاحتضار :

العصر الجاهلى : جاء الإسلام فى ظروف اقتضت مجيئه ، فقد نسي الإنسان خالقه فنى نفسه ومصيره ، وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر ، لقد انسحب رجال الدين من الحياة ، ولادوا بالأديرة والخلوات فرارا من الفتن ، أو رغبة فى الهدوء أو فرارا من

تكاليف الحياة أوارخافا في كفاح الدين والسياسة . . لقد أصبحت الديانات فرصة للعابثين حتى فقدت روحها وشكلها . .

لقد جاء للمسيحية في القرن السادس الميلادى من طمس معالمها بَطْمَها بخرافات الوثنية ، وقضى على البقية الباقية منها « قسطنطين » فأصبحت مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومانية والأفلاطونية المصرية والرهبانية ، وتلاشت في جانب ذلك تعاليم المسيح البسيطة كما تلاشى القطرة في اليم ، وحيل في ظل المسيحية الجديدة بين العقل والعلم وثارت محاولات شغلت فكر الأمة وانتهت إلى حروب واغتيالات وانتهاج وتعذيب . . واشتد هذا الصراع بين نصارى الشام والدولة الرومانية وهؤلاء يطلق عليهم « الملكانيين » وبين نصارى مصر الذين يطلق عليه « المنوفيين » حتى صار الصراع كأنه حرب عوان بين دينين مختلفين ، ولم يتمكن هرقل المنتصر على الفرس توحيد هذه الدول المتصارعة . . وتحولت رسالته الى اضطهاد تقشعر منه الجلود . فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون إغراقا ، وتوقد المشاعل وتسلط على الأشقياء حتى يسيل الدهن منهم . . وهذا الإرهاب الفكرى الفظيع يظاهرة انحلال اجتماعى وقلق اقتصادى أدى إلى أن ذابت الفضيلة وأنهارت الأخلاق وبيع العدل وراجت الرشوة والخيانة .

ومصر بلد النيل السعيد أصبحت أشقى بلاد الله بالنصرانية وبالدولة الرومية لما كان يدور فيها من مناظرات عقيمة في طبيعة المسيح وفلسفة ماوراء الطبيعة . ولما كانت تلقاه من اضطهاد الروم واستبدادهم حتى قال الدكتور غوستاف في ذلك : « لقد أكرهت مصر على أنتحال النصرانية ولكنها هبطت بذلك الى حضيض الانحطاط الذى لم ينتشلها منه سوى الفتح العربى » . . لقد أخذها الروم شاة حلوبا ، ولم تكن الحبشة خيرا من مصر ، كان التوحيد فيها ضربا راقيا من الوثنية خلعت عليها لباسا من علم ومصطلحات نصرانية . وكانت الأمم الأوروبية المتوغلة في الشمال والغرب تسكع في ظلام الجهل المطبق والأمية والحروب . ولم تظهر بعد على مسرحها الأندلس العربية لتؤدى رسالتها المشرقة في العلم والمدنية . . هذا بالنسبة للمسيحية ، فإذا بالنسبة لليهودية ؟

لم يكن اليهود عاملا من عوامل الحضارة ، فقد قضى عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم ، وقد أورتهم عقدة الاضطهاد والجشع وشهوة المال والربا نفسية غريبة تفردوا بها بين الأمم وتوارثوها عبر العصور ، وانطبعوا بطابع خلقى خاص ، فهم يخشعون عند الضعف ويبطشون ويسئون السيرة عند الغلبة ، وهم ختالون منافقون في عامة الأحوال كما

أنهم يتسمون بالقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل والصدّة عن سبيل الله ، كما وصفهم القرآن الكريم . . .

وقد اشتدت العداوة بينهم وبين المسيحية لسوء سيرتهم ، وسامهم المسيحيون الخسف والهوان في عهد الامبراطور «فوكاس» فانتقموا منهم بأن ساعدوا كسرى ضد نصارى الشام ومصر حتى حرب الكنائس وقتل وسبى عدداً لا يحصى ، حتى جاء هرقل فهزم الفرس فخفض له اليهود وخدعوه فأمنهم ، ولكن أhabار المسيحيين زينوا له البطش بهم فأبادهم . . هذا ماكان عليه أمر اليهود والنصارى في العصر الذى صحب ظهور الاسلام . فاذا كان من شأن الأمم الأخرى ؟

أما إيران : فقد اضطربت أحوالها الإجتماعية وأنتشر الفساد وساء نظام الأسرة فيها حتى تزوج «يزدجرد» ابنته ثم قتلها وتزوج «بهرام» أخته ، وكان الفارسيون يعتبرون هذا الزواج تقرباً إلى الله ، ثم ظهر «مانى» كرد فعل عنيف للنزعة الشهوية السائدة فدعا إلى تحريم الزواج تعجيلاً ببناء العالم الفاسد فقتله بهرام ، ولكن دعوته لم تنقطع بموته وعاشت فترة حتى قهرتها قوى الطبيعة التى ظهرت في دعوة «مزوك» الإباحية التى قضت على مابقى من كرامة الأسرة الفارسية ، والتى جعلت المال والمرأة نهبا موزعا يشترك فيه الناس جميعا ، ونتج عن ذلك أن الرجل لايعرف ابنه ولا الابن أباه ، وزاد على ذلك تقديسهم الملوك وتألّيههم ، وقد ترتب على ذلك تفاوت خطير في الطبقات لاحظه المغيرة بن شعبة واعتبره نذيرا بضياغ ملك الأكاسرة وكان رده على رسم حين استكثر أصحابه أن يجلس بجواره على السرير ردا مضحا ، فقد قال لرسم : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولاأرى قوما أسفه منكم . إنا معشر العرب سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما تتواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم - وكانوا قد أنزلوه من فوق السرير - أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلانصنع ، ولم آتكم ولكنكم دعوتمنى ، اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون وأن مُلكا لايقوم على هذه السيرة ولاعلى هذه العقول . على أن الذى زاد الأمر سوءا عبادة الفرس النار ، وقد وضع أساس هذه البدعة «زرادشت» الذى قال لهم : إن نور الله يَسْطَعُ في كل مايشرق ويلتهب في الكون ، فجاء من بعده فعالى في تقديس النار حتى اتخذوها إلها يعبد .

والصين : لم تكن خيرا من الفرس فقد تقسمتها أديان ثلاثة أهمها البوذية التى كانت في أول أمرها بسيطة ثم جرفتها البرهمية في تيارها وحولتها إلى وثنية تحمل معها الأصنام أينما

سارت وتسرب إلى مناهج العبادة فيها السحر والأوهام وأصبح الإله والإيمان به موضع خلاف وشك . .

وكذلك كان الحال في أمم آسيا الوسطى ، فقد كانت ديانتهم بين بوذية فاسدة ووثنية همجية لاتملك ثروة علمية ولانظاما سياسيا راقيا .

أما الهند فقد كان أحط تاريخ لها . هو في هذه الفترة التي بدأت بمستهل القرن السادس الميلادى حيث فاقت جيرانها في التدهور الخلقى والاجتماعى ، بل امتازت عنها في ظواهر ثلاث : كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة حتى أصبح عدد الآلهة يقدر بـ ٣٣٠ مليوناً ، وكثرة الشهوات الجنسية الجائحة إلى درجة أن آله التناسل أصبحت أحد الآلهة التي تعبد وأن دور العبادة تحولت إلى مواخير للدعارة ، والتفاوت الطبقي المصحف إلى درجة أن إحدى طبقات المجتمع أصبحت بنحسة منبوذة ، وأن المرأة وصلت الى حد من المهانة لايمكن تصوره .

والعرب وإن كانوا قد امتازوا بين الأمم والشعوب بأخلاق ومواهب فقد ابتلوا في العصر الأخير بالخطا ط ديني شديد ووثنية سخيقة وأدواء خلقية واجتماعية جعلت منهم أمة منحطة الأخلاق وتعددت آفهم التي كانوا يعبدونها إلى جانب الآلهة التي كانوا ينحتونها بأيديهم فبعضهم يعبد الجن وبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم يعبد النجوم وبعضهم يعبد الأشجار ، وهكذا ولم يفد انتشار النصرانية واليهودية العرب شيئاً ، فقد كان اليهود والنصارى بما انحدروا إليه في دينهم صورة سيئة من الفساد والانحلال .

ولم يتصور العرب كيف يمكن للرسول أن يكون بشرا وكيف يمكن للميت أن يعود إلى الحياة مرة أخرى يوم البعث والنشور . كانت الخمر سائغة فأفسدت عقولهم ، وكانت الربا تجارة رابحة والميسر أمراً يثير الفخر ، والنكاح متعدد الصور ومن صور الزنا ، وكانت البنت تواد ، والعصية القبلية والدموية شديدة جامحة ، والحرب تشتعل لأسباب .

وخلاصة القول أنه لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على العدل والرحمة ، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء .

كانت هناك ومضات ولكنها خافتة واهنة ظهرت في صورة أفراد قلائل يتعطشون الى المعرفة ويتوقون الى الهداية ويتكبدون في طريق ذلك ضروبا من المشقة والعذاب والخطا ط . ومن أمثال هؤلاء سلمان الفارسي الذي تحكى قصته المكافحة المنتصرة كتب السيرة المختلفة .

تلك صورة لأحوال الدنيا الدينية والاجتماعية عرضها المؤلف في الفصل الأول من الباب الأول من الكتاب . فإذا كانت عليه نُظُمُها السياسية والاجتماعية ؟
لقد فصل ذلك في الفصل الثاني تفصيلا وافيا ، وأوضح أن الحكم كان ملكيا مطلقا جائرا مستبدا . يقوم على تقديس البيوتات الخاصة في فارس ، وكان الصينيون يسمون ملكهم الامبراطور أى ابن السماء ، وقد يقوم على تقديس الشعوب والأوطان كما كان ذلك في المملكة الرومية التي تقدس نفسها وشعبها ، وربما كان ذلك سببا في انقراضها وفنائها ، فالغرور يقتل صاحبه أو يعجل بنهايته على الأقل ، وقد ظهر فساد الحكم الرومانى في مصر والشام واضحا حيث استغل هاتين الدولتين استغلالا سيئا .

كما كانت السياسة المالية حائرة غير مستقرة نابعة من أخلاق الجباة العاملين وأهوائهم لا يترحزون من الخيانة والاعتصاب وظلم الناس ، ومايجب من المال لا ينفق منه على الدولة إلا القليل والكثير يذهب الى خزائن الملوك ، كان الغنى لأفراد معدودين والفقير لمعظم الأهلين . وكذلك كان الأمر بالنسبة للمناصب فأصبح المجتمع يرزح تحت نظام طبقى جائر .
لقد أستحوذ الترف على بعض الناس وغرقوا فيه إلى أذقانهم ، فكان ملوك فارس والروم وأمراء الدولتين سادرين في غفلتهم لاهم لهم إلا اللذة ، كان لكسرى اثنا عشر ألف امرأة وخمسون ألف جواد وشيء لا يحصى من أدوات الترف والقصور ، وكذلك كان الشأن في بلاط الروم . ولاشك أن ذلك كان على حساب الشعب المقهور . ولقد شقى الجمهور كثيرا بعد أن أصبح أهل البلاد في الدولتين طبقتين متميزتين إحداهما طبقة الملوك ومن يتصل بهم أو يعمل لهم ، وطبقة الفلاحين وأصحاب المهن وهؤلاء يرزحون تحت أثقال الحياة والضرائب والإتاوات حتى هجر الفلاحون أرضهم وترك الجنود معسكراتهم هربا من سوء المعاملة وقسوة الحياة « لقد ضاعت رسالة الأنبياء والأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية في العالم المتمدن بين غنى مطع وفقير منس ، فالغنى في شغل عن الدين بنعيمه وترفه والفلاح أو العامل مشغول بهومومه واحزانه ، وهكذا كانت رعى الحياة تدور حول الناس في قوة لا يرمقون فيها إلى الدين والآخرة رأسا ، ولا يتفرغون لما يتصل بالروح والقلب والمعاني السامية ساعة » .

الخلاص : وكان الخلاص من هذا الشقاء الشامل لأنحاء الأرض بالإسلام وبنبيه الكريم محمد ﷺ . . نظر النبي إلى هذا العالم الذى وصفه الكاتب بعين الأنبياء ، رأى الأمم قطعانا ليس لها راع والمواهب البشرية ضائعة أوزائفة ، ورأى أفراد البشر كخامات لم تحظ

بصانع حاذق . . رأى كل ناحية في هذه الحياة الفاسدة تسترعى اهتمام المصلح . لقد نشأ في مجتمع هو الصورة المصغرة للعالم ، كل شيء فيه في غير محله ، أصبح الذئب راعيا والجائر قاضيا . .

لو كان مصلحا عاديا : ولو كان النبي ﷺ رجلا من عامة المصلحين لتوقَّر على إصلاح ناحية من نواحيها وظل طول عمره يعالج عيبا من عيوب المجتمع ، ذلك أن نفسية الإنسان معقدة التركيب رقيقة النسيج وإن زاغت لا يؤثر فيها إصلاح ، وكل داء من أدواء المجتمع يتطلب إصلاحه حياة كاملة ويستغرق عمر إنسان بطوله ، وقد يستغرق أعمار طائفة من المصلحين ولا يزول . .

نظر النبي ﷺ إلى المجتمع بنظرة الأنبياء لعرف داءه ووضع له دواءه ونجح . ومن أمثلة نجاحه :

علاج الخمر : فإذا ذهب أحد بطارد الخمر في بلاد نشأت على حياة الترف واللذة أعيامها أمرها وذهبت جهوده عبثا ، لأن شرب الخمر ليس إلا نتيجة نفسية تعشق اللذة حتى في السم ، فلانهجره بمجرد الدعاية والنشر والخطب وسن القوانين ، إنها لانهجره بالإبتغى نفسى عميق . وهذا هو منهج الأنبياء . لقد نجح النبي بمفرده فيما لم تنجح فيه أمريكا بقوتها وغناها ومقدرتها . .

ماذا حدث في أمريكا بالنسبة للخمر ؟ لقد حاولت منع الخمر وطاردتها في بلادها بجميع الوسائل حتى قدس ما أنفقته في ذلك ما يزيد على ستين مليون دولار ، وما كتبه ونشرته يشتمل على عشرة ملايين صفحة ، وما تحمّلته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربع عشرة سنة لا يقل عن خمسين ومائتى مليون جنيه ، وقد أعدم ثلثمائة نفس ، وسجن عدد يقرب من نصف مليون شخص ، وبلغت الغرامات ستة عشر مليون جنيه ، وصودر من الأملاك ما تزيد قيمته على أربعمائة مليون جنيه . ولكن ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر واغراقا فيها حتى اضطرت الحكومة في سنة ١٩٣٣ م إلى سحب القانون الخاص بتحريم الخمر والعودة إلى إباحتها :

عالمية الرسالة : لماذا كانت الجزيرة العربية مركزا لهذه الرسالة ؟

كان مجال العمل في بلاد العرب فسيحا لو أن الرسول ﷺ رجل إقليمى ، ولو أنه سار سيرة القادة السياسيين والزعماء الوطنيين ، وكان يمكنه أن يجعل من الأمة العربية لواء تنضم

اليه قريش والقبائل العربية ، ولكنه لم يبعث ليكون ملكا أوزعيا إقليميا أو وطنيا ولم يرسله الله لينسخ باطلا بباطل أوليخرج الناس من سلطان فارس والروم إلى سلطان عدنان وقحطان .

لقد أرسله الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

كان خطابه للنفس البشرية أيّا كان موقعها ، وكانت أمته العربية لانحطاطها وبؤسها أحق أن يبدأ به مهمته الإصلاحية وجهاده العظيم ، وكانت أم القرى والجزيرة العربية لموقعها الجغرافي واستقلالها السياسي خير مركز لرسالته ، وكانت الأمة العربية بخصائصها النفسية ومزاياها الأدبية خير محل لدعوته وخير داعية لرسالته .

وقد أتى النبي ﷺ الإصلاح من بابه ، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه ، ذلك المفتاح هو الإيمان ، ولذلك نجحت دعوته ، وكل من جاء للإصلاح من غير هذا الطريق فشلت دعوته . والمثل في ذلك واضح في فشل دعوة « غاندي » التي كانت تحفل بكثير من المبادئ والمثل ، ولكنها أغفلت هذا المفتاح السحري العجيب . مفتاح الإيمان . ويجب الأستاذ الكبير في الفصل الثاني من الباب الثاني الذي يدور حول رحلة المسلم من الجاهلية إلى الإسلام عن هذا السؤال :

لماذا اعترض الجاهليون على دعوة الإصلاح ؟

لقد فهموا أن هذه الدعوة سهم مسدد إلى كبد الجاهلية فقامت قيامتها لتدافع عن تراثها الدفاع الأخير ، وأنطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على أهلكم إن هذا لشيء يراد . . لقد أصبح كل ركن من أركان الجاهلية مهددا فهب ثائرا على هذا الرجل ومن آمن معه ، ووقعت حوادث الاضطهاد والعنف . . ولكن النبي ﷺ وفق في دعوته وثبت عليها ولم يلبس أمام جبروت الطغاة ، وصابر معه المسلمون الذين آمنوا به عن عقيدة لا يسحقهم طيش الشباب ولا يستويهم مطعم من مطامع الدنيا ، إنما همهم الآخرة وبغيتهم الجنة ، سمعوا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ، ولم يزد هم العذاب في ذلك إلا إيمانا . .

هذه هي التربية الدينية :

لقد غذى الرسول ﷺ أرواحهم بالقرآن وروى نفوسهم بالإيمان فكانوا يزدادون كل يوم

سموروح ونقاء قلب ولطافة خلق ، لقد استطاع أن يقهر طبيعتهم الحربية ويكبح حميتهم العربية ويقول لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ، فينقادون لأمره ويكفون أيديهم ، وتحملوا في مكة الأذى دون أن يرفع أحد منهم سيفاً مع كثرة الدواعي إلى ذلك وقوتها ، حتى إذا بلغ السيل الزبى أذن الله لرسوله ولأصحابه بالهجرة ، وأذن لهم حينذاك بالدفاع عن أنفسهم ، وتشهد المدينة أروع لقاء بين الأخوة المسلمين المهاجرين والأنصار ، وتتوحد صفوف الأنصار وقد كانت بالأمس سيوفهم تقطر دماً من حروب الأوس والخزرج ، وتم الأخوة بينهم وبين المهاجرين ، فكانت أخوة تترى بأخوة الأشقاء ، وتبذل كل ما روى التاريخ من خلة الأخلاء .

وهذه الجماعة الإسلامية هي التي وقت العالم ، وهي التي حفظته من الانحلال الذي كان يهدده ، وعصمت الإنسانية من الفتن والأخطار التي أحذقت بها ، لذلك قال الله تعالى لما حض على الأخوة والألفة « لا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير » .

لقد انحلت العقدة الكبرى وهي الشرك والكفر فانحلت العقد كلها ، جاهدهم الرسول جهاده الأول فلم يحتاج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهى ، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة . . لقد دخل هؤلاء المسلمون في السلم كافة ، وأصبحوا لا يجحدون حرجاً فيما قضى عليهم الرسول ، ولم يكن لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى . . خرج منهم حظ الشيطان وحظ النفس ، وأنصفوا من أنفسهم ، فأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم وخير داعية إلى دين الله . .

لقد كان هذا أعرب انقلاب في تاريخ العالم ، كان غريباً في كل شيء ، في سرعته وفي عمقه وفي سعته وفي شموله وفي وضوحه وفي قربيه وبعده . ذلك لأنه اعتمد على الإيمان ، والإيمان الصحيح له تأثير قوى في الأخلاق والميول .

وكيف ذلك ؟ كانت الديانة قبل ذلك سطحية تافهة ، يسجد فيها الإنسان لما خُلق له ، ويؤمن بإلهه على أنه إله أُم صنعه وانزوى وتنازل عن مملكته لأناس خلع عليهم صفة الربوبية فأخذوا بأيديهم أزمة الأمر ، وخلا إيمانهم من الخشوع والحب .

وبنت فلسفة اليونان إيمانها بالله على أسس من السلب لا الإثبات ، أثبتت للإله الخلق الأول فقط ونفت عنه الاختيار والعلم والإرادة ، وبذلك حرمت القلب من حب هذا الخالق والخضوع لسيطرته وقدرته . .

لقد انتقل العرب الذين أسلموا من هذه المعرفة العليقة الغامضة الى المعرفة القوية الواضحة ، وعرفوا صفات الخالق القوي الرازق الباعث الخبي المميت . .
وعلمهم هذا الإيمان وخز الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها ، فكانوا يعترفون بذنوبهم ويتطهرون منها ، وبهذا أصبح الإيمان حارساً لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته ، وهو الذى أقام أعناقهم فلم يخضعوها لغير الله ، وجعلهم يستبينون بزخرف الحياة ومظاهرها الجوفاء ، وملأ قلوبهم شجاعة واستهانة بالحياة . .
لقد نقلهم الإيمان من الأنانية إلى العبودية ، كما كان الصحابة موفقين سعداء حين عولوا في معرفتهم بالله على رسول الله ، ولم يكونوا كسابقهم الذين ضيعوا ما أتاهم من رسلهم ، ولذلك سعد هؤلاء الصحابة بالثروة ووفروا ذكاءهم وقوتهم وأوقاتهم فصرفوها فيما يغنيهم من الدين والدنيا ، وتمسكوا بالعروة الوثقى وأخذوا في الدين- بلب الباب .

حب رسول الله ﷺ :

لقد رسم هذا الحب صورة المجتمع الإسلامى ، حين انقاد المسلمون لرسولهم وأحبوه من أعماقهم فنفذوا توجيهاته ومبادئه ، وصاروا أعواناً على الحق أمرهم شورى بينهم ، لاطاعة مخلوق في معصية الخالق ولو كان أميراً . . واقتلعوا جذور الجاهلية وحسموا مادتها وتحمل كل إنسان مسئوليته بثقة وأمانة ومقدرة . . لا عجب فقد عمر الحب قلوبهم وحرس الإيمان خطواتهم في طريقهم إلى الله . .

لقد حول الرسول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية ، هذا ما عرضه الفصل الرابع من الباب الثانى ، لقد انطبق عليهم قول الله « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ » ومن عجائب الإنسانية : عمر بن الخطاب الذى كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب فإذا به يفاجئ العالم بعبقريته وعصاميته ، وابن الوليد الذى يصبح سيفاً من سيوف الله لا يقوم له شئ من أمر الجاهلية إلا حصده ، وأبو عبيدة الذى يتولى قيادة المسلمين العظمى ويطرد هرقل من ربوع الشام ، وعمر بن العاص فاتح مصر ، وسعد بن أبى وقاص الذى تقلد مفاتيح المدائن وفتح العراق وإيران . . . وغيرهم كثير . .

لقد صنع النبى ﷺ من هؤلاء كتلة لم يشاهد التاريخ البشرى أحسن منها اترانا كأنها حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها ، هم كالمطر لا يعرف أوله خير أم آخره .

« لقد وضع محمد ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية ، فانفتح على مافيا من كنوز وعجائب وقوى ومواهب ، وأصاب الجاهلية في مقتلها وصميمها وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينحون نحواً جديداً ويفتح عهداً سعيداً . ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جين التاريخ » .

ولابد للكاتب أن يخصص باباً لهذا العصر الإسلامي ، يتحدث فيه عن عهد القيادة الإسلامية وخصائص هؤلاء القواد . ويوضح فيه أن الأمة الإسلامية تميز أفرادها بخصائص كفلت لهم النجاح في مهمتهم والتفوق في رسالتهم ومكنت لهم في نفوس الناس أجمعين . من ذلك : أنهم أصحاب كتاب منزل وشرعية إلهية لم تعرض للتغيير والتبديل .

٢ - لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتركيبية للنفس .

٣ - لم يكونوا خدمة جنس ورسل شعب أو وطن يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ولكنهم قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله وحده .

٤ - أنهم نظروا إلى تربية القوى الإنسانية جميعاً ، فالإنسان جسم وروح وقلب وعقل وعواطف وجوارح لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى حتى تنمو هذه القوى كلها نمواً مناسباً لائقاً بها . لقد عرفوا الإجابة على هذا السؤال الذي حير الأمم : كيف توجد المدنية الصالحة ؟ عرفوا أنها توجد إذا ساد وسط ديني خلقى عقلى جسدى يمكن للإنسان فيه بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني .

كما عرفوا الوسيلة إلى إيجادها ، إنها توجد إذا كانت قيادة الحياة وإدارة دفة المدنية بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة معا ويكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية والخلقية وأصحاب عقول سليمة راجحة وعلوم صحيحة نافعة . فإذا فقدت ذلك فقد تدهر المدنية في المادة ولكنها تجذب في الروح وقد يكون العكس ولذلك لابد من التوازن في القيادة .

يمتاز أصحاب النبي ﷺ بأنهم جمعوا بين الديانة والأخلاق والقوة والسياسة ، كانت تتمثل فيهم الإنسانية ، بجميع نواحيها وشعبها ومحاسنها المتفرقة في قادة العالم حتى خلقوا المدنية الفاضلة . .

إن هذا الرعيل من أتباع محمد ﷺ ، كان خليقاً بأن يسعد النوع الإنساني في ظله ، وكان ظهور المدنية الإسلامية بروحها ومظاهرها وقيام الدولة الإسلامية بشكلها ونظامها في القرن الأول للهجرة فصلاً جديداً في تاريخ الأديان والأخلاق ، وظاهرة جديدة في عالم السياسة والاجتماع انقلب به تيار المدنية واتجهت به الدنيا اتجاهها جديداً .

ماذا ظنت الجاهلية بالإسلام؟

عهدنا به دعوة دينية روحية فإذا به نجاة وسعادة وروح ومادة وحياة وقوة ومدنية فاضلة قوية البنيان محكمة الأساس تعمل للدنيا والآخرة معا ، فأصبح الناس لا يجدون عائقا عن الإسلام ولا يواجهون صعوبة وعنتا في قبوله ، ويدخل فيه الرجل فلا يخسر شيئا ولكنه يجد برد اليقين وعزة الإيمان .

وكان تأثير هذا الانقلاب عظيما ، فقد كان الطريق إلى الله شاقا عسيرا محفوفًا بالخطا ، فأصبح في ظل الإسلام سهلا ميسورا ، بل حدث انقلاب في طبائع الناس ومعتقداتهم ، فقد أصبحوا يتأثرون بالإسلام من حيث يشعرون ولا يشعرون ، وأصبحت مبادئه تنسرب إلى أعماق نفوسهم ، فهم يخجلون من الشرك والمعصية بعد أن كانوا يباهون بها ، وسرى ذلك إلى غير العرب كما يقول الأستاذ أحمد أمين « ظهرت بين النصارى حركة تدعو إلى عدم الاعتراف أمام القسس تأثرا بالإسلام . . كما ظهرت حركة تدعو إلى عدم تعظيم التماثيل ورفض تقديس الصور »

وهذا يدل على تأثير الإسلام في الأديان الأخرى : كما ظهر تأثير الإسلام في النصرانية أيضا في رفض بعض النصارى عقيدة التثليث وشرحها بما يقرب من الوجدانية . وحتى تأثر « لوتر » في حركته الإصلاحية بالإسلام ، كما تأثرت الأديان الأخرى به في الاتجاه إلى التوحيد ونزعات الاحترام للمرأة والدعوة إلى المساواة . وظهر الاتجاه إلى عبادة الله عند الهناك حتى قال من قال من أهل الهند : إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور ، ولا يستطيع دين من الأديان ومدنية من المدنيات تعيش في العالم المتمدن المعمور تدعى أنها لم تتأثر بالإسلام والمسلمين في قليل أو كثير . .

لقد فعل الإسلام الكثير حتى في عهود تأخره مازال فيه مشعل النور . . ولكن متى بدأ الخطا في الحياة الإسلامية ؟ قال أحد الأدباء « شيان لا يحدد لها وقت بدقة : النوم في حياة الفرد ، والخطا في حياة الأمة ، فلا يشعر بها إلا إذا غلبا واستوليا » ولكن التبدل في حياة الأمة الإسلامية أوضح من غيره ، فقد ظهر بالخط الفاصل بين الخلافة الراشدة والملوكية العربية أو ملوكية المسلمين .

ذلك لأن زمام القيادة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة كان بين رجال كل منهم يعتبر

معجزة جليلة للنبي ﷺ ، والزعامة في الإسلام لها مقدمات تجمعها كلمتان هما : الجهاد والاجتهاد . أما الجهاد فهو بذل الوسع لنيل أكبر مطلوب ، وأكبر مطلوب للمسلم هو طاعة الله ورضوانه والخضوع لحكمه ، ومن مقتضيات هذا الجهاد الذي يجب أن يكون ماضيا إلى يوم القيامة ، أن يكون الإنسان عارفا بالإسلام الذي يجاهد لأجله ، وبالكفر الذي يجاهده ، والاجتهاد يقضى بأن يكون الذي يرأس المسلمين قادراً على القضاء الصحيح في النوازل والحوادث التي تعرض للمسلمين ، وأن تكون عنده معرفة كاملة لروح الإسلام وفهم أسرار الشريعة ولديه من الذكاء والنشاط ما يمكنه من حل المشاكل وما يستخدم به الكون المسخر له . .

ولذلك كان من المؤسف أن يتولى منصب قيادة المسلمين رجال لم يعدوا له عُدَّة ولم يأخذوا له أهبة . فظهر بذلك ثلمات في الإسلام لم تردم حتى الآن . ووقع الفصل بين الدين والسياسة عمليا . وأصبح كثير من الحكام بحكم منصبهم قدوة للناس وهم غير أهل للقدوة فساء تمثيلهم للإسلام « وبدأ الإسلام بالانحطاط لأن البشرية بدأت تشك في صدق القائمين بتمثيل الديانة الجديدة » هذا بالإضافة إلى قلة الاحتفال بالعلوم العملية المفيدة من جانب العلماء . بل اهتموا بعلوم ما وراء الطبيعة والفلسفة الإلهية التي أغناهم عنها دينهم . وما وصلوا إليه من علوم تجريبية لا يتناسب مع فتوحاتهم العظيمة ، وما خلفوه من تراث في ذلك استفادت به أوروبا ، يتضاءل أمام المكتبة الأوربية التي أنتجتها في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وزاد الأمر سوءا ما اخترعته الأوهام من خرافات وأساطير، الإسلام منها براء . إشراقات مضيئة في الظلام ، وقد ظهر حسن بلاء العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري حين ظهر قادة وقفوا في وجه الصليبيين الذين كانوا أكبر خطر على الإسلام بعد الردة . من أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، وقد أثبت هؤلاء أن الإسلام لم ينته دوره ولم يفقد الحيوية والإنتاج ، وإن كان الإسلام قد افتقد أمثال هؤلاء القواد في المحنة التي أصابته على يد الصليبيين الجدد في القرن التاسع عشر . ولكن على الرغم من الانحطاط الذي بدأ يصيب العالم الإسلامي إلا أن خيلته ما زالت تعمل ، فيظهر أفراد من الملوك والقائمين يتمثلون الصحابة والسلف الصالح ، والمسلمون على الرغم من انحرافهم عن سيرتهم الأولى هم أقرب إلى طريق الأنبياء من الأمم الجاهلية المعاصرة لهم . . ولم تتجاسر عليهم الدول حتى مزق التتار حكومة خوارزم شاه .

فدور القيادة العثمانية :

لقد تجدد رجاء الإسلام بظهور العثمانيين على مسرح الأحداث وفتحهم القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المنيعه في منتصف القرن التاسع الهجرى بقيادة محمد الثانى ابن مراد وهو ابن أربع وعشرين سنة . . وتفرد الشعب التركى المسلم تحت حكم العثمانيين بمزايا متعددة منها الحماس والطموح ، وتحليه بروح الجهاد ، والسلامة من الأدواء الاجتماعيه والحلقية ، ومنها القوة الحربية واستيلاؤهم على أحسن مركز للقيادة العالميه ، حتى قال نابليون : لو كانت الدنيا دولة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها . فلو وفق الله هؤلاء لأن يتقدموا فى ميدان العلم ليسبقوا الأمم النصرانية لقادوا العالم إلى الحق واهدى قبل أن تملك أوروبا زمام العالم لتقوده الى النار والدمار . ولكن شاء الحظ العاثر أن تتدلى تركيا إلى أسفل ويصيبها داء الأمم العقيم . .

يقظة أوروبا : شهد القرنان السادس عشر والسابع عشر الميلاديان نهضة اوروبية شاملة ، فقد استيقظت أوروبا من سباتها وأخذت تعدو إلى غايتها لم تضع ساعة من نهار أوليل فى الوقت الذى ضيع المسلمون أحقابا وأجيالا . وبذلك سبق الأوروبيون وتأخر المسلمون الذين كانت تترعهم تركيا فى ذلك الوقت ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الدولة العثمانية - تسجيلا للواقع - حصنا منيعا للإسلام ، فقد أخفقت كل محاولات المسيحية واليهودية فى العبث بالمقدسات الإسلامية ولم تنجح هذه المحاولات إلا بعد أن نجح هؤلاء الأعداء فى إثارة الفرقة بين العرب والأتراك ، وفى فصل الأقطار العربية عن الامبراطورية العثمانية ، عند ذلك قامت اسرائيل التى استشرت واستأسدت وكانت نهاية الامبراطورية العثمانية أكبر انتصار للصليبية الأوربية واليهودية العالمية .

ين حضارة الاسلام والحضارة الغربية الحديثة :

والخسارة التى حاقت بالعالم من انزواء حضارة الاسلام يحدثنها الكاتب فى الفصل الأول من الباب الرابع الذى جعل عنوانه « العصر الأوربى » عن طبيعة الحضارة الغربية وتاريخها ، ويوضح أن للحضارة الغربية جذورا من حضارة الإغريق والرومانين ، وتحمل الحضارة اليونانية شعار المادية ، التى ورثتها الرومانية وخلطتها بديانها النصرانية التى اعتنقتها ، وزادت على ذلك فابتدعت الرهبانية التى تحولت إلى شر على الإنسانية والمدنية ، وتبع ذلك

جناية رجال الدين على الكتب الدينية واضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء حتى أحرقت العالم الطبيعي ، « بروتون » لأنه قال بتعدد العوالم ، والعالم « غليليو » لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس . . . وانتهى الأمر بثورة المتنورين على رجال الكنيسة ، وتحول العلم تحولاً مادياً صرفاً وقطع كل علاقة له بالدين . . . وهكذا أصبحت ديانة أوروبا المادية لا النصرانية ، وفي ذلك دليل واضح على حضارة الإسلام العظيمة التي تحترم العلم والعلماء .

حتى إن كان هناك اتجاه روحي في الغرب فإنما مرده إلى المادة أيضاً ، فالتضحية للسمعة والرياء وحسن الأحدوثة لالوجه الله وتركية النفس كما هو الأمر في الإسلام .

لقد بلغ النظر المادى في أوروبا إلى درجة الاستغراق فيه كما هو ظاهر في بدعة الشيوعية التي ابتدعها كارل ماركس ، وتغلغل هذا الفكر المادى بنظرية دارون إلى عتمة الاعتقاد بأن هذا الكون سائر بغير عناية إلهية وأنه لاعلة فيه سوى السنن الطبيعية ، ولا يخفى ما في الاتجاه المادى من فساد للعالم وخراب للأمم وضياح للمبادئ والأخلاق ، يرتكب الساسة عمداً ما يرتكبون من آثام متصوريين في وهم أن ذلك فيه مصلحة لبلادهم . .

لقد لعبت الأهواء بالأُمم الأوروبية ، وانكسرت الكنيسة اللاتينية ولم تزد ثورة لوثر الإصلاحية في الكنيسة إلا إثارة روح القومية والوطنية فحسب ، حتى قال أحد المعلمين الألمان : لأى شئ يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية ؟ ولماذا يقصص على أولادنا قصص إبراهيم واسحاق ؟ ينبغي أن يكون إلهنا أيضاً ألمانياً . بل لقد نشأت في ألمانيا طائفة تتبرأ من سيدنا المسيح عليه السلام لأنه من بنى إسرائيل والذين لا يزالون يدينون له بالحب والتعظيم يحتدون أن يشبوا أنه كان من سلالة آرية . لقد ظهرت موجة عنيفة من التعصب للأوطان . وشملت كافة الأقطار .

وبكل أسف سرت هذه العدوى إلى الأقطار الإسلامية . عدوى التعصب للوطن أو القومية متجاهلة روح الدعوة الإسلامية التي آخت بين المسلمين . وساعد على انتشارها أعداء الدين الإسلامى الذين يهيمهم تفرق أبناء الإسلام .

ماذا كان من نتائج انحلال النظام الدينى وانتعاش النعرة القومية في أوروبا ؟ لقد أصبحت أوروبا كلها معسكراً واحداً ضد الشرق كله ، ثم أصبحت الشعوب والدول عوالم مستقلة . كل دولة منها تجعل من نفسها إلهاً تدين له . وهذا الدين الجديد يشتمل على شيئين أحدهما إيجابى وهو الاعتقاد بأن الأمة فوق كل شئ ، وأن الله - إذا كانت هذه الأمة تعترف به - لم يخلق أفضل منها ولا أنجب منها ، والثانى سلبى يتمثل في بث الكراهية والخوف

في نفوس الشعب. الكراهية لأي شيء والخوف من أي شيء من عدو حتى ولو كان من اختراع السياسيين ، وهكذا يلعب الوهم بأقدار الشعوب ، التي تندفع بأوهامها الى حروب غاشمة ظالمة . لقد وجه الإسلام أبناءه إلى العدو الحقيقي الذي يجب أن يحاربه الناس : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وبذلك كانت الحروب الإسلامية ميمونة مباركة . ولا يوجد حرب أقل إراقة للدماء منها ولا أعود منها على الإنسانية بالخير !

إحصائية منصفة : والدليل على ذلك أن عدد المقتولين من الفريقين في جميع الغزوات والسرائي والمناوشات التي ابتدأت من السنة الثانية للهجرة ودامت الى السنة التاسعة لا يزيد على ١٠١٨ نفسا منهم ٢٥٩ مُسَلِّماً و٧٥٩ كافرا أما المصابون في حرب ١٩١٤ فيبلغ عددهم ٢١ مليون نسمة . القتلى منهم ٧ مليون والجرحى ٢١ مليون والمصابون في حرب ١٩٣٩ يبلغ عددهم ٥٠ مليونا وقد كلف قتل رجل واحد في الحرب الأولى عشرة آلاف جنيه ، أما مجموع نفقاتها فيبلغ سبعة وثلاثين ألف مليون جنيه ، وتبلغ تكاليف حرب الساعة الواحدة في الحرب العالمية الثانية مليونا من الجنيهات .

لما أبعد الفرق بين روح الإسلام السمع وهذه الوحشية المضارية ، أجل ، ما أبعد الفرق بين حكم الهداية وحكم الجباية ، قامت حكومة الإسلام على منهج النبوة لتصلح أخلاق المحكومين ، أما الحكومات غير الإسلامية فلا شأن لها بالأخلاق بل هدفها جباية الأموال واستغلال الشعوب ، وربما شجعت على الانحلال والفجور .

أوروبا إلى الانتحار : مافى ذلك شك على الرغم مما وصلت اليه من اكتشاف واختراع لأنها لم تحقق الغاية المثل من ذلك ، فالغاية من الاختراع هو التغلب على متاعب الحياة والانتفاع بقوى الطبيعة المودعة في هذا الكون ، واستخدامها لمقاصد صحيحة من غير علو في الأرض ولا فساد . وكان موقف الإسلام من ذلك واضحا حيث دعا إلى العلم للانتفاع والهداية وشكر الله واعلاء حكمته . ولكن الإنسان باختياره يحول المصنوعات الى خير أو شر . . . وقد حول الأوروبيون مصنوعاتهم الى الشر ، بل كثيرا ما حولوا الأشياء الخيرة في نفسها الى شر . وما ذلك الا بحسب السريرة وسوء النية . لقد فقد الأوروبيون الدين ففقدوا المعاصم ، لقد فقدوا التعادل بين القوة والأخلاق والتوازن بين العلم والدين فلم تول القوة والعلم في ارتفاع والدين والأخلاق في انحطاط . . وهذا هو الذي أدى إلى أن تسير أوروبا في طريق الانتحار ، والحاصل أن البذرة الخبيثة التي ألقيت في تربة أوروبا في نهضتنا الثانية لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة ، ثمارها حلوة ولكنها سامة ، أزهارها جميلة

ولكنها شائكة ، فروعها مخضرة ولكنها تنفث غازا ساما لا يرى ولكنه يسمم البشر .
ولاصلاح لأوروبا الإلجابتثا هذه الشجرة من أصلها .

ما الرزايا الإنسانية والمعنوية التى أصابت العالم فى عهد الاستعمار الأوربى ؟

يجب المؤلف على هذا السؤال فى الفصل الرابع من الباب الرابع بمايأتى : رُزئتُ
الإنسانية بعودة النظام الجاهلى الذى قوضه الإسلام بدعوته ، وكان رزء المسلمين مضاعفا
ظهر فى مظاهر متعددة : منها بطلان الحاسة الدينية التى ترتب عليها جحد الغيب والمكابرة
فيما هو وراء الطبيعة ، والمعاندة فى المعانى الدينية التى ترقق القلوب وتهز النفوس ، ومنها زوال
العاطفة الدينية التى ترتب عليها خمود جذوة الدين فى القلوب وانصراف الرغبات عن الدين
والروحانية الى المعاش والمادة . . وسريان الشك وسوء الظن وضعف الثقة بالله وتفشى
العقوق وأصبحت الدنيا سوقا ليس فيه إلا البيع والشراء . ومنها طغيان المادية والمعدة ، فقد
تضخمت معدة الحرس فى الانسان حتى أصبحت لا يشبعها شيء وتولد فى الناس غليل
لا يشقى ونهم يلتهم الحلال والحرام ، بعد أن اعتقد الناس أنه ليس الا الحياة الدنيا ، وراج
لذلك الأدب العصرى الذى لا يتحدث إلا عن المادة وأصحابها . ومنها تدهور الأخلاق
والمجتمع إلى درجة أصبحت فيها النِّفعية مقياسا لكل شيء ، وتغيرت الذمم حتى بيعت أقلام
المسلمين لغير المسلمين . وأصبح بعض الماجورين يدعون للعدو ويتحمسون فى الدفاع على
موجات الأثير وفى صفحات الصحف والمجلات . .

لقد أصبح - نتيجة لذلك - الذهن الغربى والمنطق العصرى عاجزين عن الاهتمام الى
منفعة غير محسوسة لا تجلب لذة واغترابا ، فأصبح العقل الأوربى مدافعا عن المادية لا يحكم
على الأخلاق إلا بمقدار جلبها للمنافع - فأين مثالبات الشرق وإشراقات الدين ودعوة
الإسلام الى التعاون فى الخير والتعاقد فى المعروف والدعوة الى البر ؟

وَمضى الكاتب فى بيان العلل التى أصابت البشرية فى الصميم حتى يصل الى ضرورة
الحل الإسلامى والعلاج احمدى القرآنى : إنه لاعلاج لهذه الجاهلية الجديدة التى شملت
العالم والتى حملت لواءها أوروبا التى طوحت وراءها ظهريا كل تعاليم المسيح عليه السلام ،
والتي أصبحت لا تؤمن إلا باللذة . والنفعية ، ولاتدين إلا بالوطنية المعتدية والقومية الغاشمة
وشغلت بالآلات واستهانت بالغايات ونسيت مقاصد الحياة ، وداست فى طريقها كل القيم

والمثل وأهلك الحوث والنسل ، وبانسحاب المسلمين من ميدان الحياة أخذت أوروبا بناصية الأمم فقادت إلى الهاوية ، بل أصبح المسلمون لا يملكون من أمرهم شيئا وكلما تقدمت أوروبا في القوة والسرعة ازداد الأمر سوءا حيث النار والدمار والانتحار .

وسأبقى اليوم على الشعوب والدول الآسيوية والشرقية لتسير إلى هذه الغاية نفسها مادامت لا تنكر على الأوربيين مسلكتهم ولا تنقم عليهم أخلاقهم وسيرتهم . وقد بدأ هذا الرباء يظهر فعلا بين الدول التي أستقلت حديثا عن سيطرة المستعمر .

لا بد إذن أن تتحول القيادة من اليد الآتمة الخرقاء التي أساءت الاستعمال إلى اليد البرينة الحاذقة . من الدول المادية إلى العالم الإسلامي الذي يقوده سيدنا محمد ﷺ برسالته الخالدة ودينه الحكيم .

إن حقا على العالم الإسلامي أن يمتنى نفسه بهذه المهمة الجليلة التي نيطت به ، فمن الغرب الواقع أن يرضى المسلمون بالتبعية ، وأن يكونوا ساقية عسكر الجاهلية بدلا من أن يكونوا قادة الجيش الإسلامي ، من المؤلم أن تسرى فيهم الأخلاق الجاهلية ومبادئ الفلسفة المادية ، كأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا يوقنون بالبعث والحساب والجزاء .

والمسلمون الآن على علائهم موئل الإنسانية وأمة المستقبل لأنهم الأمة الوحيدة التي تعد خصم الأمم الغربية ، ومنافستها في قيادة الأمم ، وقد صور الشاعر الإسلامي محمد إقبال خطر هذه الأمة على الغرب في « برلمان ابليس » .

العالم الآن في حاجة إلى رسالة الإسلام لتنقذه من الظلمات إلى النور وتأخذ بيده إلى طريق السلام والأمان .

وكيف يؤدي المسلمون هذه الرسالة : يؤدونها بالاستعداد الروحي والقوة المعنوية وبالإيمان القوى وبالشوق إلى الله . لا بد من إشعال العاطفة الدينية في النفوس بمختلف الوسائل التقليدية والحديثة ، والقرآن الكريم وسيرة الرسول العظيم قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة الدينية والإيمان .

لقد فرط المسلمون في حقوقهم وأسلموا الزمام حتى في تخصصاتهم إلى غيرهم - في اللغة العربية وآدابها وعلوم الدين والتفسير والحديث والفقه - من المستشرقين الذين أصبحوا مرشدين وموجهين في البحث والتحقيق وعدد كبير منهم متعصبون ضد الإسلام ويجب ألا ينسى المسلمون أن هؤلاء هم أصحاب الدعوة إلى فصل الدين عن السياسة ، وأن الدين قضية شخصية لا شأن له بالاجتماع والدعوة إلى تغيير مفهوم الدين وأحكام الشريعة الإسلامية

على أساس الحضارة الغربية .

لقد عجز كتاب الشرق ومفكره عن مواجهة الحضارة الغربية وجها لوجه ، ونقد أسسها وقيمها نقدا حرا جريئا مبتكرا مستقلا ، وبكل أسف بلغ الحد أن بعضهم رأى أن الحضارة الغربية هي آخر ما وصل إليه العقل البشرى ولا بد من مجاراتها واتخاذها أساسا للشرق - فلا بد من قيام عالقة ينتقدون الحضارة الغربية ، ولا بد من تنظيم العلم الجديد في العالم الإسلامى بما يوافق روح الدين ورسالته ولغته ، ولا بد من الاستقلال فى التعليم عن الغرب ، ولا بد إلى جانب ذلك من أن تكون الزعامة العلمية للعالم الإسلامى ، ولا بد من الاستعداد الروحى والصناعى والحرفى حتى يتقدم الشرق من جديد .

زعامة العالم العربى :

يعقد الكاتب الكبير فى نهاية كتابه القيم أملا كبيرا على العالم العربى فى زعامته للمسلمين واضطلاعه برسالة الاصلاح والخلاص ، فالعالم العربى له أهميته الكبرى فى خريطة العالم السياسية ، فهو إلى جانب ثروته ومناخه وخصوبته وعرويته ومقدساته ينظر إليه المسلم نظره غير التى ينظرها غير المسلم ، فالمسلم ينظر إليه على أنه مهد الإسلام ومشرق نوره ومبعث نبيه ﷺ الذى هو روح العالم الإسلامى كله ومنقذه ومخلصه من شقائه وحيرته وضلاله ، فإن هذا التاريخ المجيد وهذه الحضارة الزاهية وهذا الأدب الزاخر وهذه الدول العربية ليست إلا حسنة من حسنات محمد ﷺ .

فعلى العالم العربى تبعات يتحملها بالإيمان الذى ينبغى أن يكون قوته ، وهو سلاحه اليوم كما كان سلاحه بالأمس ، إنه لا يستطيع ان يحارب عدوه الغنى القوى بقلب يجب الحياة ويكره الموت ، ويحسم يميل الى الدعة والراحة وب عقل يخامر الشك ، بل يحارب باليقين والعقيدة والثقة والإيمان القوى الذى لا يترزعزع .

وبالتضحية فانها القنطرة الى سعادة البشرية ، وقد ضحى المسلمون قديما فاسعدوا العالم برسالة الإسلام ، وعلى المسلمين الآن أن يقوموا بهذا الدور الخطير فيضحوا . إن العالم لا يصل الى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم ، إن الأرض فى حاجة إلى سهاد وسهادها التضحية بالمطامع والشهوات .

وبالفروسية التى يجب أن تعود إلى الشباب الذى يجب أن يترى على البساطة والخشونة وتحمل المشاق والصبر على المكاره ونكران الذات .

يجب على الحكومات الإسلامية أن تضرب على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع والمليح وعلى أولياء أمور المسلمين أن يحاربوا التبذير والترف وحياة اللذة . وعلى العالم الإسلامي أن يتخلص من الأثرة فإنه لا محل في الإسلام للأثرة ، وأنه لا مستقبل في العالم إلا للإسلام وإن طال أجل الأثرات .

ولابد من إيجاد الوعي في الأمة الإسلامية حتى تعرف صديقها من عدوها ، كما لابد لها من الاستقلال في كل شيء في تفكيرها وتجارها ومالياتها وصناعاتها وسلاحها .
إن العالم الإسلامي له رجاء في العالم العربي أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ويزاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل لذلك . .

لقد أوضح الكاتب المنهج الذي يستعيد المسلمون به مكانتهم في الأمم ، ويؤدون رسالتهم التي وضعها على عواتقهم دينهم الكريم السمع الذي اختاره الله علاجاً للبشرية من أدوائها في مشارق الأرض ومغاربها . .

لقد حدث تطور عظيم برسالة محمد ﷺ أشارت إليه سورة الإسراء بإعلان النبي ﷺ نبياً للقبليتين واماماً للمشرقين والمغربين ووارثاً للأنبياء قبله واماماً للأجيال بعده .
لقد أكرم الله العرب قديماً بقيادة العالم حين أخلصوا للدعوة الإسلامية فأحبهم الناس في العالم وقلدوهم في كل شيء . .

وبقيت هذه القيادة مدة طويلة لا يفكر أحد في الثورة عليها ، لأن صلتهم بها صلة المتدين بالدين ، صلة المؤمن بالمؤمن .

والطريق الآن إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب ، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول ، هي « طريق الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها ، وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة »
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل . .

عبد الحفيظ فرغلي القرني

مسئولية القادة

فضيلة الشيخ
أبو الوفاء المراكشي

حدثنا محمد بن عبد الملك عن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانه . حدثنا عبد الملك بن عمير عن المنذر بن جريز عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً ، أخرجه ابن ماجه .

كثر خلاف علماء الحديث وشراحه في معنى هذا الحديث واتسع مجال الجدل بينهم فيه وهو من جوامع كلمه ﷺ ، وفيه من العمومات ما يبرر هذا الاختلاف ، فالعمومات هي الألفاظ الصالحة لأرادة معان كثيرة والذي يعين المراد منها بعينه هي القرائن والسياقات الكلامية المحيطة بها . والسنة الواردة في الحديث في قوله : من سن سنة حسنة فله أجرها ليس مراداً بها معناها اللغوي - وهو المنهج والطريقة مذمومة كانت أم محمودة ، وإنما المراد بها المعنى الشرعي حيث جاءت في السياق الديني الشرعي ، فقد جاءت على لسان الشارع الذي أرسل لهداية الناس بالشرع ، وليس من مهمته بيان اللغة واستعمالات الألفاظ وحول هذا المعنى الشرعي كان اختلاف العلماء ، هل المراد بالسنة الطريقة في الدين والعبادة ، أو المراد الطريقة في العبادة وفي غيرها ، أعنى الطريقة في الدين والدنيا وفي أسلوب الحياة والمعاش وغير ذلك ، وإذا كان المراد بالسنة الطريق في العبادة ، فهل هي الطريق المقطوعة الصلة بأصول الدين وقواعده أو هي الطريق المتصلة بها . ولا شك بين العلماء في اشتراط كونها مرتبطة بقواعد الدين وأصوله لتكون حسنة ، وحينئذ قد يطلق عليها بعض الناس اسم البدعة الحسنة باعتبار ان هذه الطريقة ابتدعت ولم تكن على صورتها هذه في عهد رسول الله ، وكثير من العلماء يرفض اعتبار أى طريقة في العبادة لم تكن على عهد رسول الله مهما كان حُسْنُها ، ويرى أنَّ تلك الطريقة زيادة في الدين تنافي قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم .

ويتشابه الكلام بين العلماء في السنة الحسنة والسنة السيئة الواردتين في الحديث ، وبين البدعة ، وهل هناك فرق بينها أو يجتمعان أحيانا ويفترقان أحيانا والكلام في ذلك مبسوط في مواضعه من كتب الحديث وكتب الأصول .

وإذ قد عرفنا ان فريقا من العلماء يرفض تفسير السنة الواردة في الحديث والتي يؤجر من استنها عليها ويؤجر مثل أجور من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئا لمنافاتها ظاهر الآية كما ذكرنا ، وعرفنا أيضا أن رسول الله ﷺ بعث هاديا ومرشدا للناس في أمور دينهم ودنياهم بالتعاليم التي جاء بها والتي تحقق لهم السعادة في عاجلهم وآجلهم أمكننا أن نرجح أن المراد بالسنة في الحديث ؛ الطريقة والمنهج في حياتهم الدنيوية التي تجلب لهم الخير وتدفع عنهم الأذى والضرر مما لم تكن في حياة الرسول ، وطرق الخير ومناهجه التي لم تكن في عهد الرسول لا حصر لها ، فالجمعيات الخيرية التي تؤدي للناس مختلف الخدمات ، وصناديق الإقراض الشرعي ، والجمعيات التعاونية ، وجمعيات الإسعاف ، وجمعيات تأهيل المعوقين ، ومنح الجوائز العلمية والتشجيعية ، فهذه مناهج في الخير يستحق منشؤها والمفكرون فيها أن يكافئهم الله ويؤجرهم عليها ويكافئ من يفكر في أمثالها ويعمل على منوالها . والمناهج التي سنها العلماء واكتشفوها لا حصر لها في جميع الميادين ، فقد سنوا واكتشفوا في ميدان الطب من العلل والأمراض . والعلاجات ووسائل الوقاية والتشخيص والتحليل وكشفوا أسرار النفس ووظائف الأعضاء ما يهر ويذهل ، واكتشفوا في ميدان الزراعة من وسائل الاستكثار وطرق مكافحة الآفات وتهجين النباتات وغير ذلك مما يلم به أهل الفن ما يثير الدهش والاعجاب وأغرب ما سنه العلماء واكتشفوه ما وقع في المجال الحرى ، وحسبنا في ذلك أن نذكر القنابل النووية والصواريخ والرادارات الاستكشافية والطائرات التي تسبق الصوت مدى وسرعة .

إن حضارتنا الراهنة مزيج من السفن والطرق والاكتشافات ، وفي أكثرها الخير والسعادة للناس ، فهل هناك مانع أن تكون من السنن الحسنة التي وعد الله عليها بأجرها ومثل أجر من عمل بها ، ويكون ذلك الأجر حافزا وتشجيعا عليها ، واغراء للناس ان يجدوا لبيحتوا ويستكشفوا من الطرق ما ينهض بالبشر وما يحقق لهم السعادة والرفاهية .

سيقول قائلون : وكيف يثاب من سن الطرق والمناهج الجديدة في الحياة بما ذكر في الحديث ، وأكثرهم ليس لهم إيمان صحيح ومنهم من لا يبالي بالحساب ، ولا يعترف بفكرة الثواب والعقاب .

وهؤلاء نقول : ان الله يرزق هؤلاء ويمدهم بالصحة ويمنحهم الأذهان الصافية والأفكار النافذة ، فلا مانع ان يثيبهم بما يشاء وكيف يشاء ، وقد أشار العلماء عند الكلام على الأرزاق إلى حل هذا الإشكال .

وفي مقابلة ما ذكر الحديث من الجزاء على من سن سنة حسنة ذكر الجزاء لمن سن سنة سيئة وإن عليه وزرها أى جزاء ذنبها وذنب من عمل بها وهذه مقابلة طبيعية فللمحسن جزاء إحسانه بقدر ما قدم من الخير للناس وافاده ، وللمسيء جزاء إساءته بقدر ما أساء إلى الناس وأزعجهم ونقص عليهم حياتهم ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

إن الحديث قاعدة دينية واجتماعية من القواعد التى يعتر بها الدين الإسلامى والفكر الإسلامى حيث لا تتدافع فى صدقها العقول فى جميع العصور والأحوال ، ألا وأنا سنجد فى بعض القارئى ممن يفكرون بالتفكير المادى ويتكلمون بالمنطق المادى ويحبون العاجلة من ينفض رأسه ويهز كتفه لهذا التفسير إذ جعلنا الأجر والثواب على ما يسن من السنن الحسنة والمناهج الجديدة فى الحياة خوفاً وتشجيعات آلهية ويرى ان الخوافز والتشجيعات هى النقود والمكافآت العاجلة التى تعقب الأعمال وتكون ثمرات سريعة لها ، وأما الخوافز الآلهية التى تذكرونها ، فأمردها بعيد ونحن فى حاجة إلى الإسعاف السريع ويذكرون من الأمثال ما لاينا سب قدسية الأديان ، وهؤلاء مرضى جديرون بالثناء لأنهم فقراء فى أيمانهم وفى عقولهم محتاجون إلى مكافحة المادية وتهذيبها فى نفوسهم ليفيقوا من غفلاتهم ويعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وكما يحبون أن يدخروا لمستقبلهم الدنيوى فيجب أن يدخروا لمستقبلهم الأخرى ، وما أقرب اليوم الذى يقف فيه المرء مهما كان مقامه على عتبة الآخرة ويتفقد ما تزود به فلا يجد شيئاً ، وعلى الرغم منى أن أقف فى كلمتى هذه واعظا هؤلاء فقد كثر الوعظ وكثر الترهيب ولكن قلّت الاستجابة واستعصى الانقياد .

إن هذه الجوائز الآلهية التى وعد الله بها فى الحديث هى الجوائز التى تليق بذى الجلال الجواد الواسع الغنى ، فكم هم الذين يعملون بالسنن الحسنة ؟ وكم ثوابهم الذى يستحق مثله من سن هم تلك السنن ؟ وأين الجوائز البشرية المحدودة المقدار من الجوائز الآلهية التى لا تحد ولا تعد ، وشتان بين واهب لا تنفذ خزائنه وواهب ليس فى خزائنه إلا ما يمنحه سيده ومولاه ، فلنربط دنيانا بآخرتنا ولنعيش فى الدنيا للآخرة ولنجتهد فى سن ما ينفعنا وينفع الناس لنفوز بما وعد الله المحسنين العاملين .

كن من خير الفريقين :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت الآخرة هم ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا هم جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم تأت من الدنيا إلا ما قدر له .

وزاد في رواية فلا يمسى إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا وما أقبل عبد إلى الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع . أخرجه الترمذى .

ليعلم الناس : جميعا المسلمون وغير المسلمين أن الرسالة الإسلامية أو الدين الإسلامى لم يتضمن لا تصرّحا ولا إشارة أو دعوة إلى التكاسل والقعود عن العمل وانتظار الرزق من السماء ، فالسواء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولو تضمن ذلك لكان مناقضا للفطرة ، ولم تأت الاديان لتناقض الفطر ، وإنما جاءت لترشدها وتوجهها وجهة الخير وتكفها إن جمحت أو اشتطت ، وفطرة الإنسان وطبيعته محرك قوى دافع إلى العمل فالإنسان خلق ليأكل ويشرب ويسكن ويكتسب ويتعلم وكل ذلك في حاجة إلى وسائل من العمل والمال والجد ليتحقق ويتوفر ، وإنى لأعجب لإلحاح الكتاب والوعاظ في الدعوة إلى العمل ، كما أعجب لاتهم بعض الحمقى للإسلام بأنه دين التواكل والكسل ، إن هؤلاء الملحج في الدعوة إلى العمل يغفلون عن أن العمل يكاد يكون جزءا من فطرة الإنسان تركبه الضرورة ويضعفه الاستغناء ، وما جاء في الإسلام من الدعوة إلى العمل إنما جاء لتنبه الفطرة حتى لا يجبو أوارها ، وأكثر ما جاء في الإسلام للحث على العمل إنما جاء في الحث على العمل للآخرة مثل قوله تعالى : « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » . وقوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » . وما جاء فيه مما يختص بالعمل للدنيا فإنما جاء لطلب الاقتصاد منه والترقى في طلبه وعدم الانسياق مع الفطرة في التهلك عليه والاستغراق فيه استغراقا يلهيه عن واجباته نحوربه ونحو الناس : يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها في الدنيا .

إن الدعوة إلى العمل للدنيا دعوة تكاد تكون لا محل لها لأنه من طبيعة الإنسان وكيف يطلب إليه أن يعمل ما تقتضى طبيعته أن يعمل وهل يطلب منه أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يتنفس ؟ كل إنسان عامل بطبيعته لدنياه فإن وجد في القديم أو الحديث من أثر الزهد وارتضى العزلة وانصرف عن العمل فذلك اجتهاد منه وفلسفة خاصة به ولتركه وما رآه وله

أو عليه ما انتواه ، وإن هؤلاء لقللة لا تنتقض بهن سنن الفطرة ولا تختل بهم موازين الوجود ولا يعادل بهم الانبياء والصديقون ومصلحو الأمم الذين أفنوا أعمارهم في العمل لرسالاتهم وغاياتهم .

لقد قلنا : لم يلح الإسلام على العمل للدنيا لأن إلحاح الفطرة أقوى وأبلغ من إلحاح الدين وإنما ألح الإسلام في الدعوة إلى العمل للآخرة وحذر أشد التحذير أن يستغرق عمل الدنيا وقت الإنسان وجهده فينسى عمل الآخرة وله في ذلك الأساليب التي تلبس الحديد وتذيب الجلاميد ترغيباً وتخويفاً من مثل قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

ولعل من أقوى النصوص الإسلامية في هذا المقام ماورد في حديثنا الذي صدرنا به كلمتنا هذه ، والفكرة العامة في هذا الحديث دعوة المسلمين إلى العمل للدنيا في تلطف وترو ، دون إغراق وإرهاق حتى لا يؤدي الانهالك البالغ إلى التفريط في الواجبات الدينية والعمل للآخرة وتلك الفكرة تلتقي أو تتطابق مع قوله تعالى : « وابتنع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

فالعامل للآخرة ينبغي أن يكون المقصود الأول للمسلم حتى فيما يزاول من عمل الدنيا وأن يكون العمل لمتاع الدنيا هو المقصود الثاني ، وما أخرج العالم اليوم إلى الاسترشاد بهذه ، الفكرة وجعلها ميزاناً في سلوكه ، فقد نهلك الناس على العمل تهاكاً أعمى أبصارهم وبصائرهم عن كل القيم الروحية ، فهم يعملون ويعملون ويكسبون ويكسبون لا عن ضرورة وحاجة وأتما يدخرون ويجمعون خوف الفقر ، كأنهم يضمنون بما يجمعون مستقبلهم ومستقبل ابنائهم وأحفادهم ويغفلون عما تحبسه الغيوب والأقدار ، ولا يبالون فيما يكسبون بدين أو خلق أو عرف صالح أو تقليد محمود ، وقبل أن نحاول تفصيل فكرة الحديث ينبغي أن نشير إلى ما جاء فيه من صور بيانية رائعة ، فقد يعين ذلك على بيان بعمق ما قصده الرسول من توجيهات في هذا الصدد ، فمن ذلك قوله « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له » ، قال الإمام الرضى في كتابه المجازات النبوية : من كانت نيته الآخرة جعل الله سبحانه غناه في قلبه وأتته الدنيا

وهي راغمة . هذه استعارة والمراد أتنه الدنيا من حيث لا يطلبها ودرت عليه منافعها من حيث لا يحتسب ، وقال : « من كانت الدنيا همه جعل الله فقرا بين عينيه » ، وهذا الكلام مجاز ، والمراد به أن من جعل الدنيا همه وفرَّ عليها باله وأعرض عن الآخرة بوجهه ، وأقبل على تجميع الأموال عاقبه الله على ذلك بأن يزيده فقر نفس فلا تسد مفاقره كثرة ما جمع وعظيم ما أثل وثمر ، فكأنه يرى الفقر بين عينيه فهو أبدا خائف من الوقوع فيه ، فلا يزال آكلا لا يشبع ، فعه حرص الفقراء وله مال الأغنياء ، وقوله عليه السلام « جعل فقرا بين عينيه » مبالغة في وصفه بتصور الفقر فكأنه قريب منه وغير غائب عنه ، ولم يشر الرضى إلى ما في قوله ﷺ جمع الله شمله وفي قوله فرق أمره من تعبير كنائى بلاغى ، فجمع الشمل كناية عن استجماع باله وانتظام حاله وتصريف شئونه فى اتزان وروية ، وتفريق الأمور والشمل ضد ذلك .

وإذا ساغ لنا أن نضيف إلى بيان الرضى للعناصر الهامة للحديث شيئا ، فإننا نقول : إن الحديث لم يرد بما ذكر الإخبار عن طائفتين من الناس بأن إحداهما كانت نيتها فيما تعمله الآخرة فجمع الله شملها والثانية كانت نيتها الدنيا ففرق الله شملها ، وإنما أراد الحديث الترغيب فى سلوك الطائفة الأولى والزجر والتخويف من سلوك الطائفة الأخرى ، فهو خير فى معنى الإرشاد والنهى كالأسلوب المتبع فى أكثر أحاديث الوعظ والتذكير ، فالقصد بالحديث تنبيه المسلم إلى الاقتصاد فى العمل للدنيا فلا يرخى زمام نفسه فتغرق فى العدو فى هذا السبيل ، فانه من فعل ذلك انطلقت به إلى غير حد ، ويعينه على ذلك أن يستدكر الآخرة فيما يتنوى أن يعمل به معنى أن يذكر أن عمل الدنيا هو وسيلة وعون على العمل للآخرة ، فياكل ويشرب ويلبس ويسكن بمقدار ما يحفظ جسمه وعقله وذهنه ليستطيع القيام بعمل الآخرة ، فإنه إن نوى ذلك وعزم عليه اطمأنت نفسه وشعر بالغنى فى قلبه وانتظم حاله وفرَّ باله وعاش راضيا سعيدا لا يأسى على فائت لأنه يعلم أن ما قدر له فسوف يأتيه والقانع الراضى يرى القليل من فضل الله كثيرا فيقبل عليه فى كل حال بالشكر والحمد ، أما من جعل الدنيا همه فلا يفكر إلا فيها ولا يعمل إلا لها ويتمثل له الفقر فى كل لحظة فهو بائس مشتت الفكر والخطر فى الاحتياط من الفقر يعمل ولا يفتر ويجمع ولا يشبع وقد وعد الله من يذكره فى عمله ويراقبه فى تصرفه أن يجزيه بأمور ، وعده أن يجعل غناه فى قلبه فيعيش قانعا راضيا بما قدر له . فلا يأسف على ما فاته ، ووعد أنه يجمع شمله . أى يجمع خاطره وفكره فلا يتشوش ولا يضطرب فى تصرفه يعدو هنا وهناك حرصا

على تحقيق ما يطمع فيه . ووعدته أن يكون معه في سعيه بالتوفيق والعون والتسديد ويحقق رجاءه بأسرع مما يتوقع ووعدته ان يرضى عنه المؤمنين فيألفوه ويتوددوا إليه وينقادوا له فيما يحبه ويحبه الله وتلك نعمة لا يقدرها إلا من حرم منها . ووعد العاملين للدنيا والمشتغلين بها عن الله بفقر النفس وتفريق الشمل وبغض الناس وذلك هو الشقاء المقيم .
 غنى النفس ما عمرت غنى وفقر النفس ما عمرت شقاء
 وبعد فاني استعيز بما استعاذ به سيدنا رسول الله فأقول : ألهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

مساجد الله - لله

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : ان رسول الله ﷺ . نهى عن الشراء والبيع في المساجد . وان ينشد فيه ضالة . وان ينشد فيه شعرا وهى عن الخلق قبل الصلاة يوم الجمعة . اخرج به الرمذى والنسائى وعن بريدة رضى الله عنه : ان رجلا نشد فى المسجد فقال . من دعا الى الجمل الاحمر فقال رسول الله ﷺ : لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له . اخرج به مسلم .

قال عز من قائل : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » . وقال سبحانه : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » . وقال جل ثناؤه : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوما تنقلب فيه القلوب والابصار » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها . ومن وعدهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، - رجل تعلق قلبه بالمساجد .

إن المساجد بقاع مباركة اختارها الله وشرفها بالإضافة إليه وجعلها رحابا لمناجاته وتسبيحه وذكره ومقامات لسؤاله والتضرع إليه والأنس في الخلوة به ، فيها تطمئن القلوب وتنشرح الصدور . وتنفرج الهموم ، وتزول الكروب ، هى بيوت الله والمعتمدين بها والمتحجى إليها طامع في كرمه ، وهيبات أن يخيب له رجاء ويحرم من عطاء فهو واسع الكرم جزيل العطاء ، واذا كان للبيوت حرمان وكرامات يجب أن تصان وتحترم ، فبيوت الله أحق

البيوت بالصون والاحترام والإجلال ، فالله أغير من كل غير ، ولنزلة المساجد عند الله ولجلال رسالتها حرص الاسلام على تقديسها وتوفير المهابة لها حتى يحس القاصد إليها أنه قاصد بقعة مباركة من بقاع الأرض ذات جو روحي خاص تتخلل فيه النفس عن هموم الدنيا وشواغل الحياة للتفرغ لما قصدت إليه من العبادة والمناجاة .

ولقد حرص الإسلام بوصاياه وتعاليمه أن يوفر للمسجد جوه الديني الخالص ليجتمع للمصل باله وخاطره وسمعه وبصره ، فيقيم صلاته كاملة الأركان مستوفية ما ينبغي لها من خشوع واطمئنان ، والأحاديث في ذلك كثيرة تضمنت الأوامر بما ينبغي لها من الاحترام والنواهي عما يحس منها جانب الرعاية والتقدير ، وفي هذا الحديث جملة من النواهي في هذا الشأن وأول تلك النواهي ، النهي عن البيع والشراء والحديث فيها في المساجد ، لأن المساجد ليست أسواقا للبيع وليست مجالا للحديث فيه ، والبيع والشراء والحديث فيها يشوش على المصلين وربما يلفت أذهانهم إلى التفكير في أشياء لم تكن لهم على بال فينال من الاطمئنان في صلاتهم كما أن في البيع والشراء تضيقا على المصلين وتقديرا للمساجد بنفايات السلع وبقاياها ، ولا يليق ذلك ببيوت الناس فضلا عن بيوت الله ، ومن الأمور التي نهى عنها النبي ﷺ أن ينشد الإنسان ضالة فيها - والضالة هي الأشياء التي فقدتها صاحبها لنسيان أوزحام سواء كانت عينا أم نقدا أو طيرا أو بهيمة « أو نحو ذلك مما يمتلك وله قيمة ويتأثر صاحبه بفقدته ، ونشدها طلبا في مظان وجودها ، ونشدها في المسجد شغل له بما لا ينبغي أن يشغل به ، وقد غضب النبي غضبا شديدا حين سمع بعض الناس ينشد ضالته في المسجد . قال داعيا عليه : لا وجدتها انكارا عليه وزجرا له ولغيره . وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا : لا ردها الله عليك ، ومما جاء النهي عنه في الحديث ؛ إنشاد الشعر في المسجد وقد رأى بعض العلماء انشاد الشعر في المسجد ايا كان موضوعه وغرضه عملا بعموم النهي في الحديث ورأى آخرون : أن النهي في الحديث خاص بالنهي عن الشعر الذي يعالج الموضوعات التي تنافي المروءة ولا تليق بأماكن العبادة كالهجاء والغزل المكشوف الفاحش ونحو ذلك من الأغراض ، أما الأشعار التي تعالج الموضوعات الجلادة التي تحض على مكارم الأخلاق وتدعو إلى الجهاد والدفاع عن الأوطان فلا بأس بانشادها فيه كما كان يفعل الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه في دفاعه عن المسلمين بشعره لأول العهد الاسلامي ، فقد كان ينشد ورسول الله يشجعه

ويقول : اهجهم - يعنى المشركين - وروح القدس معك .
 وفى الحديث : النهى عن التجمع والجلوس حلقات يوم الجمعة حتى لا يضيّقوا على المصلين لأن المسلمين يحرصون على شهود الجمعة فرجا تزدحم بهم المساجد ، ولا يخلو التجمع عادة من الانزلاق بالحديث فيما لا يعنى ولا يفيد ، والإسلام يحرص فى هذه المناسبات أن يكون المناخ فيها نقيا من الانحرافات لتكون لحظاتها خالصة لله مما لا يرضاه .
 هذا ما ورد فى الحديث من الأمور التى يجب أن تصان منها المساجد ، ورد فى أحاديث أخرى النهى عن أمور غير هذه لمثل هذا الغرض فقد جاء فى بعض الأحاديث النهى عن ادخال الصبيان الصغار فى المساجد احتياطا من الأقدار التى لا يترززون عنها فقد جاء فى حديث : جنبوا مساجدكم صبيانكم ، وما كرهه العلماء السؤال والاستجداء فى المساجد كما كرهوا أن تقام فيها الحدود والتعازير خشية تلويثها بالأقذار والدماء التى يحتمل وقوعها فى هذه المناسبات وللعلماء مؤلفات خاصة فى أحكام المساجد تدور كلها حول تهيئتها لأداء رسالتها الدينية وتوفير ما يجب لها من الوقار والصيانة والنظافة حتى تمتلئ قلوب روادها بالمهابة وتستجمع نفوسهم لمناجاة من يريدون مناجاته .

وفى ضوء ما ذكرنا من الأحاديث وأقوال العلماء يمكن تقييم الدعوة إلى تطوير رسالة المساجد وتوسيعها بتلك الدعوة التى لا شك فى حسن نوايا القائمين بها والداعين إليها ، فما يدعون إليه - وقد تحقق بعضه مع الأسف - أن تلحق بها المستوصفات ولساحات الرياضة والمكتبات وبعض المدارس ، بل تطرف بعضهم فدعا إلى أن تكون أماكن للقضاء والحكم والفصل فى الخصومات ، ولا شك أن هذه دعوة جافاها الصواب . وغفل القائمون بها عن رسالة المسجد ، ولو تحقق ما يدعون إليه انقلبت المساجد بما يلحق بها أسواقا تتخطف الأبواق والأجراس وأصوات الجاهير المتجمعة حولها أذهان المصلين وقلوبهم وتفسد عليهم مناجاتهم وصلواتهم ، ولعلنا نعانى بعض ذلك الآن فى المساجد التى أخذت بهذا التطور ، إنا اذ ندعو بما دعا إليه النبي ﷺ - وهو أن تكون المساجد لما بنيت له يعنى خالصة للعبادة مجردة من كل ما ينال من هيبتها . لا تغفل عما ورد فى الآثار من أن الرسول قد حكم فيها وكان يعلم منها الصحابة وأنه كان يدعو فيها إلى الجهاد ونحو ذلك . ولكننا نقول إن ذلك كان ضرورة مؤقتة لعدم توافر الأمكنة لهذه الشئون فى أول العهد الإسلامى بدليل أن المساجد بعد ذلك لم تكن مقار دائمة لهذه الشئون ، وإلحاق المدارس ببعض المساجد بمصر كان ابتداء مملوكيا لم يتحر القائمون به آراء من سلف من العلماء .

إن الحديث في هذا الموضوع مجال لاختلاف وجهات النظر ، وكل ما أرجوه أن يعاد النظر في فكرة تطوير المساجد وتوسيع وظائفها وتقدير ما يترتب على ذلك مما لا يناسب جلال المساجد وسمو رسالتها وتجعلها كما قال رسول الله : « إنما المساجد لما بنيت له » والله الهادي إلى سواء السبيل .

أبو الوفا المراغي

رَوَى عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ . . »
وَيَقُولُ أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ : « سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ إِيَّانَا ، كَمَا جَعَلَ الْإِقْرَارَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ شُكْرِهِ شُكْرًا . . »

مدخل إلى الشخصية الإسلامية

لدكتور ساذ طه محمد كسبه

« الشخصية » . . وماذا تعنى ؟

اختلف الكتاب والفلاسفة فى تعريف الشخصية ، مثلما اختلفوا فى كثير من الأمور والقضايا ، ومن ثم فإننا فى بحثنا لم نعثر على تعريف واحد جامع لهذه الكلمة ، بل إننا لم نجد دراسة وافية شاملة حول الشخصية ، تحدد ماهيتها وأبعادها ومكوناتها وأنماطها ، وغير ذلك من جوانب الشخصية العديدة ، ولذا فإننا - نلمح مع ذلك - تعدد هذه التعريفات ، وتنوع الأفكار والآراء التى تناولتها .

فهناك من التعريفات التى تركز اهتمامها على السلوك الخارجى للإنسان وبما يقوم به فى إطاره الخارجى الواضح للعيان ، وبما يحدثه من تأثير فى الآخرين ممن يحيطون به ، كما أن هناك من التعريفات التى تولى اهتماما كبيرا بالتكوين الداخلى والظواهر الداخلية للشخصية والتى تتمثل فى مدركات الفرد واتجاهاته وقيمه ودوافعه وغير ذلك من السمات الداخلية التى قد لا تظهر فى سلوك مباشر ظاهر للفرد أمام العيان .

وعليه فإن الشخصية قد تعنى مجموعة الصفات والمزايا الذاتية والصفات العقلية والخلقية والجسدية والإرادية التى يتوج بها الإنسان نفسه وتميزه عن غيره من بنى الإنسان وهى فى - مجملها - تشير دائما إلى نشاط الإنسان كله أو إلى وجهات من التكامل ، تميز الفرد عن قرينه ، كما أنها قد تعنى التنظيم الفريد للأفكار والمعتقدات والاتجاهات والقيم والعادات التى نظمها الفرد فى شكل أدوار ومراكز يستغلها فى تفاعله مع الغير ومع نفسه .

وبما أن مجال بحثنا هنا فى شخصية المجتمع ، فإننا نقول إن هذه التعريفات تنطبق على أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية ، فشخصية أى مجتمع إنما هى مجموع الصفات العقلية والخلقية والإرادية والجسمية ، أى أنها مجموع الصفات والمميزات الذاتية التى يتوج بها المجتمع نفسه ، وتميزه عن غيره من المجتمعات البشرية الأخرى .

والشخصية كما نرى ، لها أصل اجتماعي وعمق تاريخي وبعد زمني ، والشخصية لها ارتباط بمكان ، كما أن فيها يكن معنى الحياة وقيمة الإنسان والمجتمع ، والشخصية بعد هذا كله إنما هي ثمرة الحضارة تتمثل فيها شخصية المجموع وشخصية الفرد ، ومن هنا كانت أزمة الشخصية اليوم - أى شخصية - هي أزمة الحضارة العصرية التي يريد أن يقيمها إنسان القرن العشرين وأن يحيها .

كما وأن الشخصية في النهاية ، معيار الحرية للفرد ومعيار الكرامة للمجموع ، وبغير هذه الشخصية فلا كرامة لمجموع ولا حرية لفرد في أى مجتمع ، على أن شخصية أى فرد وشخصية أى مجتمع ليست صفة جامدة إلا في الجسم الميت أما في الجسم الحي أو الجسم القابل للحياة فهي صفة متحركة متطورة تبعاً لما تلقاه من غذاء ومن تأثير الأحداث والتجارب والخبرة والمعارف وغير ذلك ، فالشخصية متجددة طالما هي متحركة ونشطة وهذا بالضبط بعض ما كانت تنسم به الشخصية الإسلامية إلى عهد قريب .

« الشخصية الإسلامية » . . وكيف تكون ؟

لقد « عالج الإسلام أعمال الإنسان الصادرة عن حاجاته العضوية وغرائزه بالأحكام الشرعية المنبثقة عن هذه العقيدة نفسها معالجة صادقة تنظم الغرائز ولا تكبتها ، وتنسقها ولا تطلقها ، وعلى هذا نجد أن الإسلام يكون الشخصية الإسلامية بالعقيدة الإسلامية ، فيها تكون عقليته وبها نفسها تكون نفسيته ، إن جعل الإسلام مقياساً لجميع الأفكار عملياً وواقعياً يجعل عند الإنسان عقلية إسلامية ونفسية إسلامية ، وهما اللتان تجعلان ميولها كلها على أساس الإسلام فيكون الإنسان حينئذ بهذه العقلية وهذه النفسية شخصية إسلامية بغض النظر عن كونه عالماً أو جاهلاً ، لأن كل من يفكر على أساس الإسلام ويجعل هواه تبعاً للإسلام يكون شخصية إسلامية .

« والإسلام جاء ليطبق عملياً وهو واقعي أى يعالج واقعا لا يصعب تطبيقه ، وفي متناول كل إنسان مهما بلغ تفكيره من الضعف ومهما بلغت غرائزه وحاجاته العضوية من القوة ، فإنه يمكن له أن يطبق الإسلام على نفسه بسهولة ويسر ، المسلم عندما يطبق الإسلام على نفسه يصبح شخصية إسلامية ، ويصبح مؤهلاً للجنسية والقيادة في آن واحد ، جامعا بين الرحمة والشدّة ، والزهد والنعم ، يفهم الحياة فهما صحيحا فيستولى على الحياة الدنيا بحققها ، وينال الآخرة بالسعى لها ، ولذا لا تغلب عليه صفة من صفات عباد

الدنيا ولا يأخذه الهوس الديني ولا التقشف الهندي ، وفي الوقت الذي يكون سرّياً يكون متواضعاً ويجمع بين الامارة والفقه ، وبين التجارة والسياسة ، وأسمى صفة من صفاته « انه عبد الله تعالى خالقه وبارئه »^(١).

هكذا هي الشخصية الإسلامية ، لا تعدو أن تكون إلا عبداً من عباد الله تأتمر بأمره ، وتنتهى عما يهينى عنه ، وهى لذلك فى حاجة دائماً الى التربية وإلى التنمية ، وعليه فإننا نجد أن الشخصية الإسلامية - الحقيقية - شخصية قوية ، وهذه الشخصية بالذات كانت دائماً محور رسالة الإسلام «وبالنسبة للإسلام بالذات الذى يهمننا معرفة موقفه من تربية وتنمية الشخصية القوية ، فإننا لا نعتقد أن هناك أى دين آخر أو فلسفة أو نزعة من النزعات الدينية والتربوية والسياسية التى سادت العالم قديماً أو تسوده فى الوقت الحاضر قد اهتمت بتنمية الشخصية الإنسانية نمواً شاملاً متكاملًا ، وهيات لهذا النمو كافة الظروف والعوامل المساعدة عليه ، وأزالت من طريقه كل الحواجز والعقبات مثل ما اهتم وفعل الإسلام الذى جاء يربى الإنسان ويهديه إلى التّقى هى أقوم ، ويرفع من شأن كرامته وعقله وحرته وحقه فى العدل والمساواة والأمن والأطمئنان ، ويجعل صلاح الفرد شرطاً وخطوة نحو صلاح المجتمع وصلاح الباطن شرطاً لصلاح الظاهر ، والإيمان شرطاً لصلاح العمل والعمل الصالح شرطاً لتسامح الإيمان ويوفق بين مطالب المادة ومطالب الروح ويستجيب للحاجات الإنسانية الضرورية ، ويدعو إلى الإيمان بالله والثقة به والأمل فيه والتوكل عليه والرضا بقضائه وقدره وإلى الصبر والحلم والشجاعة والقوة وقوة العزيمة وضبط النفس وكنم الغيظ والهدوء والرزانة والمرونة والشفقة والرحمة والمروءة والشهامة وعلو الهمة والقناعة والبشاشة والحشمة والوقار ، وينفر من الكفر والنفاق والوهن واليأس والتواكل والتكلف وخشونة الطبع والتكبر والتجبر والغرور والضعف والاستهتار والاستسلام للأهواء والتنطع والجمود والأنانية والطمع ، ذلك أن الدين الإسلامى بتأكيده ودعوته إلى هذه المبادئ والفضائل وتنفيره من أضدادها قد يسر السبيل أمام بناء شخصية قوية ناجحة « وبناء مجتمع قوى ناجح »^(٢).

وهكذا هو المجتمع - الذى يعيننا فى هذا المقام بالدرجة الأولى - يصبح مجتمعاً إسلامياً ، أو تصبح له شخصية إسلامية بقدر ما يطبق الإسلام على نفسه ، ويتمشى مع

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية ص ١٤ الأستاذ/سميح عاطف الزين

(٢) من بحث للدكتور عمر التومى الشيبانى بمجلة الثقافة العربية عدد يناير ٧٧ ص ٥٨ .

طبيعته ، فحين يصبح أبناء هذا المجتمع عباداً لله فهم مسلمون وشخصيتهم إسلامية العقيدة والسلوك وبقدر ما يصبح هذا المجتمع إسلامياً ذو شخصية إسلامية بقدر ما يعمل بشريعة الله ويتعالى دينه الخفيف .

مكونات هذه الشخصية :

ونحن إذا ما تفرسنا في ملامح هذه الشخصية ، وإذا ما واصلنا البحث في مكوناتها ومقومات تركيبها نجد أنها تتميز بالعديد من الخصائص التي تميزها عن غيرها من التراكيب العقائدية والسلوكية والاجتماعية ، بمعنى أنها تنفرد بخصائص معينة قد لا تتوافر - بعضها - لغيرها من الشخصيات ، وعليه فيمكن القول بأن الشخصية الإسلامية تتميز بأنها :

إسلامية الإيمان :

أى أنها تؤمن إيماناً كاملاً بمكونات العقيدة في الإسلام لا تحيد عنه ولا تنحرف ، لا تشط ولا تفرط ، فهي ملتزمة التزاماً كاملاً بأشراط هذا الإيمان الذى نص عليه القرآن الكريم وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولقد جاء في الأثر الكريم حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما رواه مسلم من حديث جبريل أن رسول الله ﷺ لما سئل عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » .

وكلمة الإيمان يفهم منها معنى الأمن ، وهو شعور قلبى بالطمأنينة والثقة والسكينة وارتياح بأن ما يعتقده حق وصدق ، « والإيمان بالله من هذا القبيل إذ هو التصديق بوجوده الذى لم يسبق بعدم ولا ينتهى بعدم ، وبكل ما يليق به من صفات الكمال والجمال والجلال وبكل ما أنزله من كتب ومن أرسله من رسل ، عن دليل قوى يطمئن إليه القلب والعقل ويرتاح له الشعور والضمير وينعقد عليه العزم والتفكير ، ومن ثم نرى إن مجرد التصديق بالعقل لا يكفي في تحقيق معنى الإيمان وإنما يتحقق معنى الإيمان حين تحتل العقيدة مكانها من قرارة النفس والضمير ويصبحها الاطمئنان إليها والحرص عليها والعمل بمقتضاها والسير على هداها » (١) .

والإيمان الذى نعنيه ليس قولاً ولا شهادة ينطق بها اللسان وحده ، ولا آيات من . .

(١) الدين عند الله ص ٧٤ الأستاذ/عبد الرحيم فودة

القرآن الكريم تكفى في مقام الاستشهاد بالارتباط بالإسلام كما أنه ليس نصائح بوردها الناصح لغيره من الناس ، ولا معرفة بالدين تلقن لمن لا يعرفها ، ولا وظيفة خاصة يتعيش منها محترف ، ولكنه إيمان سلوك وتصرف ، كما أنه إيمان عقيدة وعبادة وتصوف . وعليه فإن مكونات العقيدة هذه والذي يشتمل عليها الإيمان في الإسلام تتكون من ستة عناصر هي :

- الإيمان بالله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) .
- وملائكته (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من العالمين) .
- وكتبه (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنو بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) .
- ورسله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .
- واليوم الآخر (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) .
- والقدر خيره وشره (يا غلام : إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف)^(١) .

- إسلامية السلوك : (العبادات) :

وفي هذا تلتزم الشخصية الإسلامية ببيان هذا السلوك الذى حدده القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بحيث يصبح هذا البيان دستور حياة يلتزم به التزاما يتمشى مع واقع الحياة

(١) رواه الترمذى عن أبى عباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

الإسلامية المنشودة وفلسفتها وغايتها ومنهجها القويم . ولكي « تظل النفس البشرية على المستوى المرضى من الاتزان والاعتدال مع ذاتها ومع غيرها فرض الإسلام الوانا من العبادات (السلوك الاسلامي) بها تبقى العقيدة حية ويبقى الاتزان النفسى متجددا في كيان الإنسان فلا تلتوى السبل ولا تتوزع نفسه على مختلف المسالك بل ينبعث سلوكه في شتى جوانب التعامل وفق المنهج المرضى الذى شرعه الله في كتابه وسنة نبيه ، فالعبادات للمسلم مذكّر ومنبّه ، تظهر في أعماقه الاحساس إذا غفا ، وتنبه منه الشعور إذا فتر ، وتتمى في الوجدان تطلعه إلى الخير والمزيد منه وتتسامى به وتحرره من عبودية الشهوات والأهواء » (١).

- فالصلاة : اتصال دائم بالله يعصم المسلم من التردى في مهاوى الفحشاء ويمنعه من استجلاب سخطه تعالى باقتزاف المنكر (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

- والزكاة : ليست مجرد حل من الحلول التى فرضها الاسلام لمشكلة الفقر والتخفيف من داء الشح ومرض الأثرة وعبادة المال (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

- والصوم : تربية للإرادة على المقاومة والصمود وأرهاف للحس والمشاعر ، وفيه تدريب على ضبط النفس ، كما أنها تدفع النفس في مغالبة الشهوة والانتصار عليها (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

- وحج البيت : حيث يتم ذلك اللقاء الدورى الجامع بين الحجاج القادمين من مشارق الارض ومغاربها على النقاء والطهر والأخوة المبرأة ، ففيها اجتماع وتعارف كما أن الحج فريضة تلتقى فيها الدنيا بالآخرة للعبرة والعظة (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهن من بهمة الأنعام) .

- إسلامية الثقافة :

هذه الثقافة التى نعى بها مجموعة القيم والتقاليد الاجتماعية التى يتلقاها الفرد منذ مولده إلى حين وفاته ، كما أنها المحيط الذى يعكس حضارة إسلامية تضم ثمرات الفكر من علم وفن وقانون وأخلاق ، هذه الثقافة التى هى في مفهومها السليم شئ يتجاوز المهارة والبراعة

(١) الإسلام وبناء المجتمع الفاضل ص ٨٩ الأستاذ الدكتور/يوسف عبد الهادى الشال .

فى أى منحى من مناحى العلوم النظرية أو العلمية ، هذه الثقافة التى يمكن التعبير عنها بأنها تلك الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية والدراسة المستمرة لأفكار الآخرين ومشاعرهم ونظرياتهم وتجاربهم ، أى أنها أعمق من مجرد التعليم والتلقين .

هذه الثقافة وهذا العلم الذى كان الكلمة الأولى التى نزلت من القرآن الكريم حين صدع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لأمر ربه (اقرأ) تلك الكلمة التى منحت له عليه الصلاة والسلام مقاليد كل الأمور والتى كانت بداية وحى استمر ثلاثة وعشرين عاما متصلة ، والتى كانت البداية الحقيقية للثقافة الإسلامية التى تستمد أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من فعل أو قول وتقرير ، وأمر أو نهى وتوجيه أو إرشاد ، ومن التراث الإسلامى الذى خلفه المسلمون حتى الآن .

تلك الثقافة الإسلامية القرآنية المصدر ، السنية التوجيه ، التاريخية النسب ، الإسلامية الملامح والقسيمات ، هذه الثقافة الإسلامية التى تتميز بأنها ثقافة إنسانية عالمية تنظر إلى الناس بمقياس واحد ، كما أنها ثقافة متدينة يمثل الدين قوامها وأساسها بالإضافة إلى أنها ثقافة إيجابية بناءة تدفع المرء والمجتمع إلى الأمام وإلى إحراز التقدم والرقى فى شتى مناحى الحياة^(١).

— إسلامية الخلق :

ذلك أن أول شئ يلاحظه الباحث فى الإسلام من تناسق وتكامل وشمول هو أن الإسلام عقيدة قبل أن يكون نظاما ، وأنه أخلاق قبل أن يكون تشريعا وقانونا ، ولقد ألزم الإسلام أفراد مجتمعه أن يكونوا على مستوى من حسن التعامل يكفل للعلاقات إيجابية الحياة ، « وميزة الإسلام فى هذا أنه لا يجعل من الفضائل والآداب سلعا فى سوق التجارة تعرض على مقياس الربح والخسارة ، وعليه فإن الإسلام حين يأمر بالصدق مع الناس يأمر به خلقا واجب الالتزام أولا وبالذات يعبر عن إيمان المؤمن » . والإسلام فى كل هذا يجعل نصب عينيه بناء شخصية إسلامية قوية راسخة ، ذلك أن المجتمع لا يقدر النبوغ الذهنى إلا مقترنا بالأخلاق ، ولا يعترف لصاحب هذا النبوغ بقوة الشخصية إلا متى اكتمل فيه سلطان الأخلاق ، لا بد لكل منها من خاصة ممتازة أو ملكة نادرة أو موهوبة بارزة يجب أن نستوثق منها ونحللها ونلاحظها ونلاحظ اغراضها ، علينا أن نبرزها ونصقلها ونهى لها

(١) رأينا تلخيص فكرة مقالنا السابق المنشور بالمجلة فى عدد ربيع أول توضيحاً للفكرة ومنعاً للتكرار .

الظروف الصالحة لنموها^(١).

ولعل من نافلة القول أن الإسلام قد جاء ليكمل الرسالة الخلقية للأديان السابقة عليه ، وذلك بمتابعة وتقوية القيم الخلقية واستكمالها بدقائق السلوك الحسن والذوق العام ، فبعد أن جاءت المسيحية وتابعت وصايا موسى العشر خطأ الإسلام خطوات أبعد في توكيدها ، وبإضافة كثير من التفاصيل والتشريعات ، فحين حرم الإسلام قتل الإنسان لآخيه الإنسان دعم ذلك بقواعد أكثر إنسانية ونبلا حين قال (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا^(٢)) ، كما أكد الإسلام تحريم الزنى والسرقة والربا وشهادة الزور ، وأضاف إلى قائمة التحريم بعض الآثام الأخرى مثل الخمر والميسر ، كما استنكر الفتنة استنكارا قويا^(٣) وحرم الإسلام الرشوة والفساد^(٤) وكما حرم الفضول والريبة والتشهير والغيبة والنميمة^(٥) ونهى عن التجسس^(٦) ودعا إلى التحقق والتثبت مما يقال^(٧) وأوجب على المسلمين الإعراض عن اللغو وفضول الهذر^(٨) ونهاهم عن الخيلاء والزهو^(٩) ونهاهم كذلك عن التفاخر والتزام الأدب في مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام^(١٠) كما نهى عن قهر اليتيم ونهر السائل أيّا كانا^(١١) كما دعى المسلمين إلى أن يلتزموا الصدق والحق^(١٢) وأن يردوا الأمانات إلى أصحابها^(١٣) كما أمرهم بالعدل^(١٤) ومحبتهم على الحياء والتواضع^(١٥) ودعاهم إلى الطهر والعفة^(١٦) وإلى احترام الوالدين وطاعتهم^(١٧) وإلى الإحسان من بذل للخيرات وإعطاء للصدقات^(١٨).

(١) المثل الأعلى للشباب المسلم ص ١٠٢ الأستاذ/أنور الجندى .

(٢) سورة المائدة آية ٣٢ .

• نظراً لكثرة الآيات التي استشهدنا بها ولضيق المساحة فضلت أن أشير إليها مستأنفاً القارئ في أن يرجع إليها في المصحف أنى شاء .

(١٣) النساء آية ٥٨ .

(١٤) النساء آية ١٣٥ .

(١٥) المؤمنون آية ١ - ٣ .

(١٦) النور آية ٣١ - ٣٣ .

(١٧) الأحقاف آية ١٥ .

(١٨) التوبة آية ٦٠ .

(٣) البقرة آية ١٩٣ .

(٤) البقرة آية ١٨٨ .

(٥) الإسراء آية ٣٦ .

(٦) الحجرات آية ١٢ .

(٧) الحجرات آية ٦ .

(٨) المؤمنون آية ٣ .

(٩) النساء آية ٣٦ .

(١٠) الحجرات آية ٢ - ٥ .

(١١) الضحى آية ٩ .

(١٢) البقرة آية ٤٠ .

ومن الجدير بالقول أن من مكونات الشخصية الإسلامية ، بالإضافة الى ما سبق تلك المعاني والقيم والأفكار التي يمكن أن يعطيها المفهوم الاسلامي للاقتصاد والحكم والاجتماع والتشريع ، بمعنى ان الاقتصاد الاسلامي الذي يقوم على ان المال مال الله وان الناس مستخلفون فيه شرط ان يتداولوه فيما بينهم دون كنز او اخفاء ، وتكون الشورى اساس للحكم حيث تكون السيادة للشرع والسلطة للأمة ، وان يعمل الحاكم بكتاب الله متبنيا الاحكام الشرعية التي نص عليها دستور الاسلام الخالد ، كما ان من مكونات الشخصية الاسلامية ان تعمل بالنظام الاجتماعي الذي ارساه الاسلام ذلك النظام الذي يبحث في علاقة المرأة بالرجل ، وما ينشأ بينهما من صلات وعلاقات وكذا في مجال التشريع حين يكون تقنين الشريعة الاسلامية امرا حتميا حتى يعيش المجتمع الاسلامي في امن وسلام ، ورخاء ورفاهية .

وعليه فانا نستطيع القول بان الشخصية الاسلامية هي تلك الشخصية التي تحددت ملامحها وسماتها باتباع ما جاء بالقرآن الكريم به من تعاليم وارشادات وتوجيهات بحيث اذا تميزت هذه الشخصية باسلامية الايمان والسلوك والثقافة والخلق ، وباسلامية النظرة والتصرف - الاقتصادية والاجتماعية وباسلامية الحكم والتشريع ، فيلزم ان ننسبها الى الاسلام .

على ان اهم معالم هذه الشخصية الاسلامية وبرزها تتركز في النقاط التالية :

١ - الطموح : بمعنى ان الشخصية الإسلامية سواء أكانت فردا ام مجتمعا - شخصية حركية تسعى الى التقدم والرفق رغم أنف دعاة الأفكار الغربية ، ذلك أن الاسلام يقف ضد اعداء الله والانسان ، ومن هنا فان هذه الشخصية مادامت متمسكة بكتاب الله وسنة نبيه ، ساعية الى تملك أسباب القوة والنجاح ، آخذة بأسباب العلم والثقافة والفكر التي أوضحتها القرآن ، فهي شخصية طموحة تسعى الى أن تحيا في رخاء مادي ومعنوي ، جسدي وروحي على التوازي .

٢ - التكامل : بمعنى ان هذه الشخصية الاسلامية - الفرد والمجتمع - تحيا حياة متكاملة بحيث تتجاوز فيها الروح والمادة ، العقل والقلب والارادة ، والوجدان ، والفكر والعاطفة ، فطالما ان الاسلام هو جماع هذا كله ، فان الشخصية الاسلامية المؤمنة به تكون كذلك بحيث لا يطفى جانب على جانب .

٣ - الاخاء : فالمسلمون إخوة متحابون ، يعيشون في مجتمع يحض على التعاون وعلى

الحبة بحيث يكون المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، وبحيث يكون من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ، وحيث يصبح المسلمون المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

٤- فعل الخيرات : وهذا العلم تؤكدته تلك الآية الكريمة التي أبرزت سمات هذا . المجتمع القرآني العظيم حيث أشارت الى أن العرب والأسلام والمنتسبين اليها هم خير أمة أخرجت للناس ، وذلك لكونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولأنهم فوق ذلك مؤمنون بالله ، فдستور هذه الشخصية الإسلامية - الفرد والمجتمع - هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يكفل فعل الخيرات النابع من الايمان القوى بالله وبما يعنيه هذا الايمان^(١) .

وأخيرا لا أملك إلا أن أدعو كل المخلصين لدينهم ووطنهم أن يحافظوا على هذه الشخصية الإسلامية ، وأن يعملوا على أن تظل هذه الشخصية مقوماتها ، وأن يوفرها لها أسباب القوة والمنعة ، حتى تكون الشخصية الإسلامية حية متجددة ، وأن تتمكن من مواجهة كل التحديات التي يصنعها أعداء الاسلام والمسلمين ، داعيا الله العلي القدير ان يوفقنا جميعا الى ما فيه خير ديننا وأمتنا . آمين .

طه محمد كسبه



(١) إشارة إلى الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

مع العارفين

ميمون ابن أبي شهاب

قال ميمون : أردت الجمعة زمن الحجاج ، فتيأت للذهاب ، ثم قلت : أذهب وأصلى خلف هذا (الحجاج) ؟ فقلت مرة أذهب ، وقلت مرة لا أذهب ، فأجمعت رأيي على الذهاب فناداني مناد من جانب البيت : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » . . فذهبت . وجلست مرة أكتب كتابا ، فعرض لى شئ إن انا كتبتة فى كتابى زين كتابى وكنت قد كذبت ، وإن انا تركته كان فى كتابى بعض القبح وكنت قد صدقت ، فقلت مرة أكتبه ، وقلت مرة لا أكتبه ، فأجمعت رأيي على تركه ، فناداني مناد فى جانب البيت : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . . فتركته .

هذا كل ما ذكره الأصمباني من كلام أبى نصر ميمون بن أبى شهاب ، الفقيه المحدث الشهيد وفيه يتكشف جانب من نفسه الطيبة ، هو الجانب المبارك الذى يتميز به السالكون لهذا الطريق المشرق الى الله ، فهم دائما حتى فى دقائق اعمالهم ، يسرون بهذا الشعاع الهادى من قلوبهم الحية العامرة ، ويستوحون المنطقة القدسية الرائقة فى نفوسهم الكبيرة : إنهم ينشدون السكينة والرضا فى كل عمل ، وفى كل حركة ، ويتقدم هذا (النشدان) فى حياتهم الروحية حتى يكون الرائد الذى يسبق حدود الفقه ويطعمها بطابعه ، وليس معنى ذلك أن يهمل أحدهم هذه الحدود أو أن يستغنى عن عملها وعن الرجوع اليها ، لا ، فأبو نصر مثلا فقيه محدث ، ولكن معنى ذلك أن فقه الفقيه منهم لم يكن حملا لا ثقلا من العلم يجعلها فى رأسه مبنية مفصلة ثم يمد يده فى كل مسألة ليجتهد عن حكمها . . بل كان أمرا أكبر من ذلك ، كان فقها عن الله . . يلتقى فيه الحلال المشروع بالشعور برضاء الله ، والحرام المنوع بالشعور بغضب الله ، والمشتبه بينها بالورع الصادق الذى نصح به رسول الله ، وحين يكون الفقه هكذا فقها عن الله : يصبح مركزه الاصيل فى قلب الفقيه الحى وفى مشاعره الأمانة المرفهة ، وتصبح (اشارة المرور) لسالك هذا الدرب المضى هى

الإشارة التي قررها لسان النبوة (استفت قلبك وإن افتاك الناس وافتوك) . .
أنه مقام جليل يستوى لأصحابه بقدر استواء نفوسهم ورسوخ ما بينهم وبين الله . .
ونجهد أنفسنا لبلوغه على قدر ما نطبق ، معتمدين في كل مراحل طريقنا إليه على شريعة الله
الواضحة في السراجين الخالدين : كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وإذا استبان ذلك وأنست النفس إليه ، فلا بأس أن يكون مراد أبي نصر من قوله :
(فناداني مناد من جانب البيت) أنه تلقى الهاتف من نفسه المؤمنة الموصولة ببيت الله
الحرام . . أليس هذا البيت هو المركز الذي اختاره الله من كل جوانب الأرض ليتجه إليه
العابدون ركعاً سجداً ؟ أوليس عنده يطوف الطائفون ولا يحل لهم طواف عند سواه ؟ أو
ليس هو البيت الذي خصه الله - في القرآن بالنسبة إليه :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم
واسماعيل أن طهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود » ؟ أو من عجب إذاً أن ينسب
أبو نصر هاتف إيمانه بالله إلى جهة البيت الحرام الذي يتجه إليه ويتمثله كلما وجهه الله وقال :
« الله أكبر » .

* * *

وقد أسند ميمون عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ، والمقداد .
وابن ذر ، وابن عباس ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة ، وسمرة بن جندب ، وعائشة ، رضى الله
عنهم أجمعين ، وما رواه عن معاذ : (بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فلم يزل يوصيني حتى
آخر ما أوصاني قال : عليك بحسن الخلق فإن أحسن الناس خلقاً أحسنهم ديناً) . .

* * *

وما رواه كذلك عن معاذ : (خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت منه
خلوة فاغتنمتها ، فأوضعت بعيري نحوه حتى سارته فقلت يا رسول الله علمني عملاً يدخلني
الجنة . قال : (قد سألت عظيماً وإنه ليسيرٌ على من يسره الله تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ،
وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان) ثم سار وسرت ، فقال :
(وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل في
جوف الليل) ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم سار وسرت ، ثم قال : (ألا
أنبئك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه : الجهاد في سبيل الله) ثم سار وسرت فقال :
(إن شئت أنبأتك بما هو أملك على الناس من ذلك كله) فكانت منه سكتة ، وكانت مني

التفاته ، فرأيت راكبا يوضع نحوه ، فخشيت أن يأتيه فيشغله عنى ، فأومأ الى لسانه وفيه ، قلت : يا رسول الله : وإنا لنؤاخذ بما نتكلم ؟ قال : (ثكلتك امك يا ابن جبل . . ما تقول الا لك أو عليك . . وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم الا حصائد السنتهم ؟ . .) وما رواه عن المقداد ، قال : (جاء رجل يثنى على عامل لعنان عند المقداد ، فحنا المقداد فى وجهه التراب وقال : (ان رسول الله ﷺ قال : (إذا رأيتم المداحين فاحثو فى وجوههم التراب) . وما رواه عن عمار بن ياسر قال : (قال رسول الله ﷺ من ضرب مملوكه ظلما أقيد منه يوم القيامة) .

وما رواه عن عائشة : (انها كانت فى سفر ، فأمرت لناس من قريش بغداء فمر رجل غنى ذو هيئة فقالت : ادعوه فنزل فأكل ومضى . . وجاء سائل فأمرت له بكسرة ؟ فقالوا لها أمرتينا أن ندعو هذا الغنى وأمرت لهذا السائل بكسرة ؟ فقالت : إن هذا الغنى لم يحمل بنا الا ما صنعنا به ، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما أرضاه وإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم) .

رضى الله عن أبى نصر وأرضاه

المصيبة هينه

قالوا : « كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ، إِلَّا الْمَصِيبَةُ ، فَإِنَّهَا تَبْدُو عَظِيمَةً ثُمَّ تَصْغُرُ » .

أخطاء شائعة

الأستاذ عباس أبو السعود

٢٧٥ - ويعتقدون خطأ أن الدابة خاصة بالموثق غير العاقل ، وأنه لا يجوز أن تطلق على المذكور ولا على العاقل .

والحق أنها اسم لما دب على الأرض من الحيوان عاقلا كان أو غير عاقل ، ومذكرا كان أو مؤنثا ، قال تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشی على بطنه ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع » ولما كان ذلك لمن يعقل ولما لا يعقل « قيل فمنهم » ، ولو كان لما لا يعقل فقط لقليل فمنها أو فمنهم .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قوله سبحانه « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » أى من الإنس والجن ، وقوله « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . فذكر كلمة الناس والفعل كسبوا متصلا بواو الجماعة فى الآية الأولى ، وذكر الذين وواو الجماعة فى الآية الثانية كل أولئك يشير إلى أن الدابة يجوز إطلاقها على المذكور العاقل ، ولما قال الخوارج لقطرى : أخرج إلينا يا دابة فأمرهم بالاستغفار ، تلوا هذه الآيات حجة عليه ، ونظير ذلك من المحمول على المعنى قولهم للخروف هذا شاة ، قال الخليل ومثله قول الله جل شأنه : هذا رحمة من ربي .

٢٧٦ - ويقولون : لهذا الرجل شنب طويل ، يعنون الشعر الذى يسيل على فمه ، وهذا خطأ لأن للشنب معنى لا صلة له بمعناهم هذا ، فهو ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان تقول : ثغر أشنب وفيه شنب أى رقة وصفاء وبرد ، وكذلك هو وحدة الأنياب تراها كالمنشار . ويقال : شنب يومنا من باب فرح إذا برّد فهو شانب وشنّب ، والشانب هى الأفواه الطيبة .

والفصيح أن يقال : لهذا الرجل شارب طويل ، جمعه شوارب ، والشوارب أيضا عروق فى الحلقوم ، ولذا يقال لمنكر الصوت : صخب الشوارب تشبيها له بالحمار - قال أبو ذؤيب .

صَحِبَ الشَّوَارِبَ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لِّآلِ أَبِي رِيْعَةَ مُسَبِّحٌ^(١)
 ٢٧٧ - وينكرون أن يقال . فاطمة أدت الامتحان وكانت من الفائزين ، ويصرون
 على أنه ينبغي أن يقال : وكانت من الفائزات .
 وها هم أولاء قد نسوا أن التذكير هنا للتغليب ، وللإشعار بأن مهارة هذه الفتاة لم تكن
 أقل من مهارة الفتيان الكاملين .

ويؤيد صحة ما رأينا قوله جل شأنه في محكم كتابه «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَانَتْ
 مِنَ الْقَانِتِينَ» وقوله « يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » .
 ٢٧٨ - ويقولون : حضر الفضلاء ، وهذا خطأ لأن كلمة فضيل لم ترد في العربية حتى
 تجمع على فضلاء ، والصواب أن يقال : حضر الأفاضل جمع أفضل ، كما يجمع أقرب
 على أقارب ، وأمثل على أمائل ، وأمثلُ القوم أدناهم إلى الخير ، وفي التنزيل «إِذْ يَقُولُ
 بِأَمْثَلِهِمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا» وأماثل القوم خيارهم وكما يجمع أرذل على أراذل ،
 والأراذل الأخساء ، قال تعالى « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا » ، وكما جمع أكبر
 على أكابر في قوله تعالى « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين » .

ولك أن تجمع الأفضل جمع مذكر سالما فتقول حضر الفضلون ، كما جمع أقرب هذا
 الجمع في قوله تعالى « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » ، وكما جمع الأرذل في
 قوله « قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون » وكما جمع الأخسر في قوله سبحانه « لا جرم أنهم
 في الآخرة هم الأخسرون » وقوله « وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين » .

٢٧٩ - ويقولون : كان غداؤنا اليوم عددا من الكوارع ، وهذا فاسد ، والصواب أن
 يقال : . كان غداؤنا اليوم عددا من الأكرع أو من الأكارع ، الواحد كُراع وزان غراب ،
 يذكر ويؤنث ، وهي ما دون الكعب من الدواب ، وما دون الركبة من الأناسي ، قال :
 يَا نَفْسُ لَنْ تُرَاعِيَ إِذَا قَطَعْتَ كُرَاعِي إِنْ مَعِيَ ذِرَاعِي .
 وقال آخر :

فَظَلْتُ تَكُوسُ^(٢) عَلَى أَكْرَعٍ ثَلَاثٍ وَكَانَ لَهَا رَابِعٌ
 وفي المثل « أُعْطِيَ - العبد كراعا فطلب ذراعا » لأن الذراع في اليد وهو أفضل من
 الكراع في الرجل ، ولذا يقال للسفلة من الناس أكارع تشبيها بأكارع الدواب لأنها أسافل .

(١) المُسَبِّح : من في العبودية إلى سبعة آباء .

(٢) تكوس : تمشى على ثلاث قوائم .

وللكراع فوق ذلك معنيان : أحدهما طرف الشيء ، تقول : امش في كراع الطريق أى في طرفه ومن ذلك قولك : تكرر فلان إذا توجهاً للصلاة لأنه أمر الماء على أكارعه أى أطرافه ، وعن النخعي قوله : كانوا يكرهون الطلب في أكارع الأرض أى في أطرافها ، ومن ذلك أيضاً قولهم : نزا الجندب بكراعيه أى وثب برجليه قال :

ونفى الجندب الحصى بكراع به وأوفى عوده الحرياء
والآخر : أنه اسم خاص بالخیل ، تقول : احبس الكراع في سبيل الله أى الخيل ، أما الكوارع فكلمة عربية سليمة بيد أن لها معنى لا صلة له بالأكارع ، هو أنه جمع كارعة وهي النخلة التي تشرب بعروقها تقول : نخل كوارع وكارعات إذا شربت بعروقها لقربها من الماء ، قال النابغة :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرّد^(١) بصهباء^(٢) في حافاتها المسك كارع
٢٨٠ - وينكرون أن تجمع كلمة الخضراء بمعنى الخضر على خضراوات جمع مؤنث سالماً ، ويصرون على أنها لا تجمع إلا جمع تكسير على خضر مستأنسين بقوله تعالى « ويلبسون ثياباً خضراً » والحق أنها لا تجمع إلا على خضراوات .
وبيان ذلك أن ما يجمع على فعل لابد أن يكون صفة على أفعال ومؤنثة فعلاء . وخضراء هنا ليست مؤنثة أفعال في الصفات ، وإنما هي اسم للخضر والبقول ، وفي الحديث « تجنبوا من خضرائكم ذوات الريح » يعنى الثوم والبصل والكراث ونحوها ومتى فقدت الوصفية تعينت الأسمية بالغلبة ، ولهذا قال النبي ﷺ « ليس في الخضراوات صدقة » يعنى الفاكهة الرطبة والبقول .

وإنما يجمع هذا الجمع ما كان اسماً لا صفة ، والعرب سمت هذه البقول بالخضراء ولا تريد لونها ، قال ابن سيده : جمعت الخضراء جمع الاسماء كورقاء وورقاوات ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الخضراء قد تكون اسماً أن العرب سمت السماء بالخضراء وفي الحديث « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء » أصدق لهجة من أبى ذر « وأن العرب قالت : ما تحت الخضراء أصدق حديثاً من محمد ﷺ ، وما تحت الخضراء أكرم من حاتم طي .
٢٨١ - وهم يخطئون حين يقولون : طهونا اليوم لحما ثم نضجه بعد غلوة واحدة ، لأن

(١) غير مصرّد : أى لم يكن السقي قليلاً .

(٢) الصهباء : الخمر .

(٣) الغبراء : الأرض .

الغلو اسم مرة من فعل واوى بابه عدا ، تقول : غلا يغلو غلوا بدليل جمعها على غلوات كشهوة وشهوات ومعناها رمية سهم أبعد ما يقدر عليه الرامي ، ويقال : هى ثلثائة ذراع إلى أربعائة ، تقول غلا الصياد بسهمه إذا رمى به أقصى الغاية .
ولتأدية المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : ثم نضجه بعد غلّة واحدة اسم مرة من فعل يالى بابه رمى .

يقال : غلت القدر تغلى غلّيا وغلّيانا ، قال الفراء : إذا كان الفعل فى معنى الذهاب واجئ مضطربا فلا تهاين فى مصدره الفعلان ، كما فى قولك : خفق القلب خفقانا ، وفاض الماء فيضانا ، وجال السائح جولانا وفى لغة : غليت القدر تغلّى من باب تعب ، وهذا ضعيف ، قال :

ولا أقول : لقدّر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق
ومجئها من باب رمى هى اللغة الفصحى ، وبها جاء الكتاب الحكيم فى قوله « كالمهل »^(١)
يغلى فى البطون كغلى الحميم^(٢) .

٢٨٢ - وقد فشا على السنتهم قولهم : فلان متبجح ، وفيه بجاحة ، يعنون أنه سئى الأدب قليل الحياء ، بعيد من كرم الخلق ، وهذا التعبير فاسد ، لأن التبجح بالتحريك معناه الفرح والتعظيم ، تقول : يبح فلان يبيح من باب طرب إذا فرح فهو يبح كطرب ، وبأجح ، وبجح للمبالغة ، قال الجوهري : يبح بالشئ وتبيح به إذا فرح به فهو متبيح ، وأبيح الأمر فرحه ، وفى حديث أم زرع « ويبحنى فبيحت أى فرحنى ففرحت » وقيل إن المعنى عظمتى فعظمت نفسى عندى ويقال : فلان باجح من قوم بجح أى هو عظيم من قوم عظماء ، قال رؤبة :

عليك سبب الخلفاء البجح

أى عطاء الخلفاء العظماء ، وتقول : تبجح فلان بعلمه أو بماله إذا فخر به فهو متبيح والنساء يتباحن فيما بينهن إذا تباهن وفخرن ، وعدت كل منهن مقارحها وحظوتها قال اللحياني : يقال : فلان يتبجح ويتمجح أى يباهى ويفخر بشئ ما ، قال الراعى :
وما الفقر فى أرض العشيرة ساقنا إليك ولكننا بقرباك نبجح

أى لم يسقنا إليك إلا رغبتنا الملحة فى السرور بالقرب منك والمباهاة بجليل فضلك

(١) المثل : القبح وصديد البيت .

(٢) الحميم : الماء الحار .

وعظيم خلالك ، وتقول : يجحت الشئ أجححه إذا عظمته .

٢٨٣ - ويقولون : كتبنا هذه القصيدة في لوحة ، وأثبتنا أسماء الفائزين في لوحات ، والفصيح أن يقال : في لوح كما في قوله تعالى « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » واللوح كل صحيفة عريضة خشباً كانت أو عظماً ، جمعه ألواح كقوله سبحانه « وحملناه على ذات ألواح » .
واللوح لا يؤنث بالهاء لأنه اسم ذات ، وأسماء الذوات لا تدخلها الهاء إلا ما شذ منها ، كسُج وسبعة ، وأسد وأسدة ، ورجل ورجلة ، وذئب وذئبة فلا يقال في حصان حصانة ، ولا في بعير بعيرة ، ولا في جمل جملة ،

٢٨٤ - ويقولون : شاركه تجارته ، وشاركه عمله ، وهذا خطأ صُراح لأنهم جعلوا الفعل متعدياً إلى مفعولين ، وهو لا يتعدى بنفسه إلا إلى مفعول به واحد ، أما الثاني فلا يتعدى إليه إلا بـي ، سواء أكان ثلاثياً أم مزيداً .

تقول : شركه في الميراث من باب علم ، وله فيه شرك وشركة ، وشاركه في التجارة ، واشتركا فيها ، وأشركه معه في التجارة ، فكان عليهم أن يقولوا شاركه في تجارته ، ومما يؤيد هذا الرأي قوله تعالى « وشاركهم في الأموال والأولاد » وقوله « وأشركه في أمرى »

٢٨٥ - وهم يزعمون أن كلمة مصران مفردة كعنوان ، وهذا زعم باطل ، والحق أنها جمع مصير كـرغيف ورغفان ، وكثيب وكثبان ، والمصير وزان أمير هو المعى ، ويجمع على مُصران ، ثم يجمع المصران على مصارين جمعا للجمع .

٢٨٦ - ويقولون : صنع فلان غزومة قيمة دعانا إليها بالأمس ، وهذا خطأ لأن كلمة غزومة عامية ، والفصيح أن يقال : صنع مأدبة بضم الدال وفتحها ، وهى طعام يصنع لدعوة ، تقول : أدبه يأدبه إذا دعاه إلى طعامه كآدبه إيدابا ، وأدب يأدب أدبا محركة إذا عمل مأدبة فهو آدب ، أو يقال : أولم وثمة ، جمعها ولائم ، ولها أنواع عدة

١ - فهى العرس بالضم إذا كانت ولمة الإماء والزواج ، تقول : أعرس فلان بأهله إذا بنى عليها ، وكذا إذا غشها ، وجمع العرس أعراس .

٢ - وهى الخرس بالضم إذا صنعها الرجل عندما يولد له ، والخرسة طعام النفساء والخرس وزان صبور البكر فى أول حملها ، وهى التى تعمل لها الخرسة ، تقول خرّس الرجل على امرأته تخريسا إذا أطمع فى ولادتها ، وتخّرست هى إذا اتخذته لنفسها ، ومنه المثل « تخرسى يا نفس لا محرس لك » قالت امرأة ولدت ولم يكن لها من يُعنى بها ، ويضرب فى اعتناء الإنسان بنفسه .

٣ - وهى الإعذار والعذيرة إذا صنعها الرجل عند ختان أحد أبنائه ، تقول : كنا فى إعذار فلان وفى عذيرته ، وهو طعام الختان ، وأعذر الرجل للقوم أى عمل لهم هذا الطعام .

٤ - وهى الوكير والوكيرة إذا صنعها الرجل عند الفراغ من وكره أى بناء بيته أو شرائه قال :

كل الطعام تشهى عميرة الخُرس والإعذار والوكيرة

٥ - وهى النقيعة وزان سفينة إذا صنعت للقادم من سفره ، وقولهم الناس نقيعة الموت مأخوذ من النقيعة التى هى ذبيحة العائد من السفر ، وفى المثل « إنه لشَرابٌ بأنقع » يضرب فى المجرب ، شبهه بالطائر الذى يرد مناقع الفلوات ، ولا يرد المياه المعروفة خيفة القنّاص .

٦ - وهى الهضيمة إذا صنعها الرجل عند موت أحد أقاربه ، جمعها هضائم والدعوة العامة تسمى الجفلى ، والخاصة تسمى النقرى كلتاها بفتحيتين ، قال طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدابَ فينا ينتقر

أى لا ترى الداعى منا يدعو بعضاً دون بعض ، بل يعمم بدعوته فى زمان القلة وذلك غاية فى الكرم .

٢٨٧ - وينكرون كلمة العياط بمعنى الصُراخ ويصرون على أنها عامية ، والصواب أنها عربية سليمة تقول : عِطَ الولد تعييطاً إذا مد صوته بالصريخ ، والإسم العياط بكسر العين وللعياط معنى آخر ، تقول عاطت المرأة تعوط عياطاً كصامت تصوم صياماً إذا لم تحمل عدة سنين من غير عُقر فهى عاط ، والجمع عُوط وزان سود ، وعِيطَ وزان ميل وعِيطَ وزان ركع أما العِيطَ بالتحريك فهو طول العنق ، فالذكر أعيط ، والأنثى عِطاء .

ومن المجاز قولك : عز أعيط أى عال رفيع ، وقصر أعبط أى مُنيف ، قال أمية :

نحن ثقيف عزنا منبعُ أعيطُ صعبُ المرتقى رفيعُ

٢٨٨ - ويقولون : نشعت الأرض ، ونشعت القرية ، ونشع السقف ، يعنون أن الماء أنبعث من هذه الأشياء قليلاً قليلاً وكل هذه التعبيرات مشوبة بالخطأ ، لأن النشع لا صلة له بالماء وإنما له معان عدة منها .

١ - انتزاع الشئ فى عنف ، تقول : نشع الولد الكتاب من يد أخته إذا انتزعه من يدها فى شدة وعنف .

٢ - التلقين : تقول : نشع الأستاذ تلميذه الكلام المفيد إذا لقّنه إياه .

٣ - الولوع بالشئ والشغف به ، نقول : نُشِع فلان بأكل اللحم بالبناء للمجهول فهو منشوع ، أى محب له مقبل عليه .

ومن المجاز قولك : نَشَعَ فلان كذا ، ونَشَعَ بكذا بتعدية الفعل إلى المفعول الثانى بنفسه ، أو بالباء ، فمن الأول قول مُرَّانِ بن مُنْقَد :

إلِكم يالئام الناس إني نُشِعت العز في أنفى نشوعاً
ومن الثانى قول عُبْدَةَ بن الطيب :
لا تأمنوا قوماً يشب صبيهم بين القوابل بالعداوة يُنشع
وقول مُغَلِّس الربعى :

خليلى إن أصدعتم أو مررتم على أهل جَفَناء الغضا فاذكرانيا
وقولا أثبى يا علىّ متيماً أخوا الموت منشوعاً بذكرارك عانياً
والصواب أن يؤدى المعنى الذى يريدونه بأن يقال : رشحت الأرض ، ورشحت القرية بالماء ، ورشح السقف بالماء ، وكل إناء يرشح بما فيه .

ومن المجاز قولك : أصابنى فلان بنعمة من عطائه ، ورشحة من سمائه أو يقال : نَزَتْ الأرض نَزاً بالفتح ، ونُزُوزاً بالضم ، أى تحلب منها النَزْ ، وهو ما يتحلب من الأرض من الماء .

٢٨٩ - وينكرون استعمال كلمة فَنان للشخص المولع بالفن ، والمشغوف بأن يأتى فيه بالعجائب ، وله فيه أفانين ، معتمدين على أن معاجم اللغة لم تعرضها بهذا المعنى ، وإنما ذكرت له كلمة مِفَنَ وزان مِسَنَ ومجن فقالت رجل مفن ، وأمرأة مفتنة ، كما أوردت أن الفنان هو الحمار الوحشى له فنون من العدو .

والحق أن كلمة فَنان تؤدى المعنى الذى تؤديه كلمة مفن ، لأن الفنان له أساليب كثيرة فى فنه ، كالحمار الوحشى له طرق فى جريه ، كما أن لفظ فنان أسهل نطقاً وأكثر شيوعاً . وقد أقر مجمع اللغة العربية أن يصاغ فعَّال للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشئ ، وفنان محترف للفن وملازم له .

٢٩٠ - ويقولون : اجتمع الجند فى منطقة القتال ، وأقيم فلان مديراً للمنطقة التعليمية فيخطئون فى كلمة منطقة خطأين : أحدهما أنهم يفتحون ميمها ، والصواب أن تكون مكسورة . والآخر أنها لا تؤدى المعنى الذى يريدونه فى هذين التعبيرين ، وذلك لأن المنطقة بكسر الميم لم تضعها العرب إلا لتدل على ما يُنطق به ، تقول : انتطق الولد

بِالْمِنْطَقَةِ إِذَا شَدَّ وَسَطَهُ بِمِنْطَقَةٍ ، وَنَطَقَهُ أَبُوهُ تَنْطِيقًا إِذَا أَلْبَسَهُ الْمِنْطَقَةَ .
 فِي الْقَامُوسِ : الْمِنْطَقَةُ كَمَا كُنْصَا مَا يَنْتَظِقُ بِهِ ، وَالْمِنْطَقُ كَمَنْبَرٍ ، وَالنَّطَاقُ كَكِتَابٍ
 شُقَّةٌ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ وَتَشَدُّ بِهَا وَسَطُهَا ، وَانْتَظِقَ الرَّجُلُ شَدَّ وَسَطَهُ بِمِنْطَقَةٍ كَتَنْطَقُ .
 وَفِي اللِّسَانِ : وَالْمِنْطَقُ ، وَالْمِنْطَقَةُ ، وَالنَّطَاقُ بِكَسْرِهِنَّ كُلُّ مَا شَدَّ الْإِنْسَانُ بِهِ وَسَطَهُ
 وَقِيلَ : وَالْمِنْطَقَةُ مَعْرُوفَةٌ اسْمٌ لَهَا خَاصَّةٌ ، تَقُولُ مِنْهُ . نَطَقْتُ الرَّجُلَ تَنْطِيقًا فَتَنْطَقُ أَيْ شَدَّهَا
 فِي وَسَطِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : جَبَلَ أَشْمُ مُنْطَقٌ ، لِأَنَّ السَّحَابَ لَا يَبْلُغُ أَعْلَاهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ
 كَالنَّطَاقِ لَهُ .

تَقُولُ : انْتَظِقَ فَلَانٌ بِالنَّطَاقِ وَالْمِنْطَقَةِ ، وَتَنْطَقُ وَتَمْنَطُقُ ، الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِ وَالنَّطَاقِ
 وَالْمِنْطَقِ بِالْكَسْرِ فَهِيَ شَبْهٌ إِزَارٍ فِيهِ تَكَّةٌ تَنْتَظِقُ بِهِ الْمَرْأَةُ ، وَهِيَ أَنْ تَلْبَسَ ثَوْبَهَا ثُمَّ تَشَدَّ وَسَطُهَا
 بِشَيْءٍ وَتَرْفَعُ وَسَطَ ثَوْبِهَا وَتُرْسِلُهُ إِلَى الْأَسْفَلِ عِنْدَ مَعَانَاةِ الْأَشْغَالِ لَثَلَا تَعْتَرِ فِي ذَيْلِهَا .
 وَفِي الْمَحْكَمِ : النَّطَاقُ شُقَّةٌ أَوْ ثَوْبٌ تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ تَشَدُّ وَسَطُهَا بِجَبَلٍ ثُمَّ تُرْسِلُ الْأَعْلَى
 عَلَى الْأَسْفَلِ إِلَى الرُّكْبَةِ ، جَمْعُهُ نَطَقٌ بِضَمِّتَيْنِ كَكَتَبَ ، وَجَمْعُ الْمَنْطَقِ مَنَاطِقُ وَالْمَنْطَقُ
 وَالنَّطَاقُ وَاحِدٌ ، كَمَا تَقُولُ : مِثْرَرٌ وَإِزَارٌ ، وَمَلْحَفٌ وَلِحَافٌ .

تَقُولُ : انْتَظِقَتِ الْمَرْأَةُ وَتَنْطَقَتْ إِذَا شَدَّتْ نَطَاقَهَا عَلَى وَسَطِهَا ، وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :
 تَفْتَالُ فِي عُرْصِ النَّقْبَةِ ^(١) الْمُدَالَّةُ ^(٢) وَلَمْ تَنْطَقْهَا غِلَالَةً ^(٣)
 وَذَاتِ النَّطَاقِينَ أَسَاءَ بَنَتْ أَيْ بِكَرَرَضَى اللَّهِ عَنْهَا ، وَسَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا شَقَتْ نَطَاقَهَا
 لَيْلَةَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُوهُا إِلَى الْغَارِ ، وَقِيلَ : كَانَ لَهَا نَطَاقَانِ تَلْبَسُ أَحَدَهُمَا وَتَحْمِلُ
 فِي الْآخَرِ الزَّادَ لِلرَّسُولِ وَأَيُّهَا حِينَ كَانَا فِي الْغَارِ مِمَّا عَرَضْنَا مِنْ أَقْوَالِ رِجَالِ الْغَلَاةِ اسْتَبَانَ أَنَّ
 كَلِمَةَ الْمِنْطَقَةِ لَا تَسْتَعْمَلُ إِلَّا مَكْسُورَةَ الْمِيمِ ، وَفِيَا ذِكْرُنَا ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ : اجْتَمَعَ
 الْجُنْدُ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ ، وَأَقِيمَ فَلَانٌ مَدِيرًا لِلتَّعْلِيمِ .

٢٩١ - وَهَمْ يَخْطُئُونَ حِينَ يَقُولُونَ لِلْعَنْبِ الصَّغَارِ الَّذِي لَا عَجْمَ ^(٤) لَهُ (عَنْبٌ بَنَاتِي) .
 وَالْفَصِيحُ أَنْ يُقَالَ لَهُ كِشْمِشٌ بِالْكَسْرِ وَزَانٌ مِشْمِشٌ ، وَهُوَ نَوْعٌ أَلَيْنُ مِنَ الْعَنْبِ الْمَعْرُوفِ
 وَأَقْلَ قَبْضًا وَأَسْهَلُ خُرُوجًا .

(١) النَّقْبَةُ بِالضَّمِّ : ثَوْبٌ كَالْإِزَارِ يُجْعَلُ لَهُ حِجْرَةٌ مُصَيِّغَةٌ .

(٢) الْمُدَالَّةُ : الْأَمَةُ لِأَنَّهَا تَهَانُ وَهِيَ تَتَبَخَّرُ .

(٣) الْغِلَالَةُ بِالْكَسْرِ : شَعَارٌ يَلْبَسُ تَحْتَ الثَّوْبِ .

(٤) الْعَجْمُ بِفَتْحَتَيْنِ : النَّوَى مِنَ الْغَرِّ وَالْعَنْبِ وَالنَّبَقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَاحِدَتُهُ بَهَاءٌ .

٢٩٢ - ويقولون : تعهد فلان إلى أخيه بتقديم العون ، وهذا خطأ لأن الباء لا تستعمل مع هذا الفعل ، والصواب أن يؤدى المعنى الذى يريدونه بالفعل الثلاثى فيقال : عهد إليه بكذا يعهد عهداً من باب فهم إذا قدمه إليه ، ومن هذا قوله عز شأنه « ألم أعهد إليكم يا بنى آدام ألا تعبدوا الشيطان » أى بالألا تعبدوه ، وقوله « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين » أى بأن طهرا .

وعهد إليه عهداً إذا أوصاه ، ومنه العهد الذى يكتب للولاة ، والعهد الأمان والوصية تقول . بين فلان وصديقه عهد أى موثق ، وفى التتريل « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » والعهد أيضاً المعرفة والعلم تقول لحدثك : الأمر كما عهدت أى كما عرفت ، وفلان قريب العهد بكذا أى قريب العلم به ، وكذلك هو اللقاء تقول : عهدته بمكان كذا إذا لقيته فيه ، وعهدى به قريب أى لقاى به قريب .

أما التعهد فهو التردد إلى الشئ وتفقدته ، وفعله مُتعد إلى المفعول به دائماً ، تقول تعهدت أمور أبى وأملاكه وتعهدت اليتامى ، إذا ترددت إلى كل ذلك وأصلحته . والمعاهدة المحالفة التى يجب الوفاء بها ، ومنها قوله تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » . وقوله « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » .

والعهد هو المعاهد ، تقول : هذا عهيدك أى معاهدك ، قال نصر بن سيار : وللترك أوفى من نزار بعهدها فلا يأمن الغدر يوماً عهدها والعُهد بالضم التبعية ، تقول : عهدة هذا العمل على فلان أى ما وقع من تبعة فإصلاحه عليه ، وعليك فى هذا عهدة لا يُتفصى منها أى تبعة .

٢٩٣ - ويقولون : تضامن الشركاء تضامناً ، وبين الدول العربية الآن تضامن طيب عجيب ، وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال : تعاون الشركاء كما فى قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » أويقال : تناصروا وبينهم نصرة بالضم وهى حسن المعونة ، أو تآخروا وبينهم مؤاخاة وإخاء وشد الله بينهم أواخى الإخاء ، أويقال : بينهم مساعدة ومؤازرة وتضافر ومظاهرة ومن هذا قوله جل شأنه « وظاهروا على إخراجكم » وقوله « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب » .

أما التضامن فلم يرد عن العرب وإنما قالت : ضَمِنَ فلان الشئ وبه ضماناً وضماً بفتحها فهو ضامن وضمين إذا كفله ، وضمنته الشئ تضميناً فتضمنه عنى أى غرمته فالتزمه ومن انحاز قولك : ضمن الوعاء الشئ وتضمنه إذا اشتمل عليه وكان فى ضمنه ، وضُمن

كتاب أخى إلى أخباراً سارة ، وُضْمِنَ شعر شوقى معانى رائعة تأخذ بمجامع القلوب .
ولك أن تقول : لقد تحقق الآن بين العرب أوين فلان وفلان ضمانة بالفتح أى حب
وارتباط .

٢٩٤ - ويقولون : نحن لا نكذب قط ، ولا نقول قط إلا حقاً ، وهذا فاسد ، لأن
قط بضم الطاء مشددة ظرف مختص بالزمن الماضى ، تقول : ما رأيته قط أى فيما مضى من
الزمن أو فيما انقطع من عمرى ، ولا يجوز دخوله على المستقبل ، فلا يقال : ما أفارقه قط .
وقط مخفف الطاء لغة فيه مع فتح القاف وضمها ، هذا إذا كانت بمعنى الدهر ، وأما
إذا كانت بمعنى حسب وهو الاكتفاء فهي مفتوحة ساكنة الطاء ، تقول رأيته مرة واحدة
فقط وتكون اسم فعل بمعنى يكفى ، فتزاد عليها نون الوقاية ويقال : قطنى كذا فإن قللت
بقط فاجزئها ، وقل : ما عندك إلا هذا قط .

وتختص بالنفى ماضياً ، وفي مواضع من البخارى جاءت بعد الميثب منها فى الكسوف قال
أطول صلاة صليتها قط ، وفى سنن أبى داود ، تَوْضُأً ثَلَاثًا قط وأثبت ابن مالك فى الشواهد
لغة ، قال : وهى مما خفى على كثير من النحاة ومن «معانى» القط القطع ، والقصير الجعد
من الشعر ، تقول : رجل قط الشعر وقَطَطَه^(١) محركة ، جمعه قَطُون ، وقَطَطُون ،
وأقاط ، وقِطاط بالكسر .

والمِقطَة كَمِذْبَة عَظِيم يَقُطُّ الكاتب عليه أقلامه .
ومن معانيه أيضاً الغلاء وارتفاع السعر ، تقول : قَطَّ السعر يقط ، وقُط بالبناء
للمجهول قَطًا وقطوطاً بالضم فهو قاط ، وقُطَّ ومقطوط إذا غلا ، والقاطط السعر الغالى .
قال أبو وجزة :

أشكو إلى الله العزيز الجبار ثم إليك بُعد المُستأز
وحاجة الحى وقطَّ الأسعاز

أما القِط بالكسر فله معنيان أحدهما السِنور الذكر ، جمعه قِطاط ، وقِططة بكسرهما
والآخر النصيب ، جمعه قُطوط ، تقول : لى قِط من ذلك أى نصيب ، وأخذ فلان قِطه
من أحرز قِسطه ، ومن هذا قوله تعالى « وقالوا ربنا عجل لنا قِطنا قبل يوم الحساب » ولتأدية
المعنى الذى يتغونه ينبغى أن يقال : نحن لا نكذب أبداً ، أو أبداً الدهر ، أو أبداً الأبدية ،

(١) ومن المعانى المجازية للقطط المحرك شدة البخل ، تقول : فلان جعد قَطَط أى بالغ الشح قال :
سمح اليدين بما فى رحل صاحبه جعد اليدين بما فى رحلة قَطَط

أوأبد الأبد بالتحريك ، أوأبد الأبيد ، أوأبد الآبدن أوأبد الآباد أويقال : نحن لا نكذب عوض مثلثة الضاد ، وهي ظرف مبنى لاستغراق المستقبل فقط ويعرب إذا أضيف كما في قولك : لا أخون أحداً عَوْضَ العائضين ، أى دهرَ الداهرين وسمى بذلك لأنه كلما مضى منه جزء عوضه جزء آخر .

٢٩٥ - ويقولون لقدر خاص من الأرض معروف : فَدَانْ بتشديد الدال وزان حَمَام ، وهذا خطأ محض لأن الفدان له معنيان لا صلة لكل منهما بما يبتغون : فهو آلة الحرث ، وكذلك هو الثوران يُحرث عليهما في قران ، جمعه فدادين ، ومثله تماماً فيما ذكرنا من المعاني الفَدَانْ بتخفيف الدال وزان سحاب ، جمعه أفدنة ، وفُدُنْ بضمّتين .
والفَدَادُونْ بتشديد الدال أصحاب الإبل الكثيرة ، وهم مع ذلك جُفَاءُ أهلُ كبر وخِيَلَاءُ ، وفي الحديث « إن الجفاء والقسوة في الفَدَادِينِ » قال أبو عمرو : الفدادين مخففة واحدها فَدَانْ بالتشديد وهي البقر التي يحرق عليها .

ويطلق على أصحاب الفدادين الفَدَادُونْ كما يطلق على أصحاب الجمال الجمالون .
وأصحاب الحمير الحمَارُونْ ، وقد قالوا : من صحب الفدادين والفَدَادِينْ فلا دنيا له ولادين ، وذلك لصباحهم في حروثهم ومواشيهم ، وفي الحديث « هلك الفَدَادُونْ إلا من أعطى في نجدها ورسلسها » يريد إلا من أخرج زكاتها في شدتها ورخائها .
والفَدَنْ محرّكة القصر المشيّد ، جمعه أفدان ، وقد قالوا : لولا الفَدَانْ لم تُبْنِ الأُفْدَانْ ، وجاءوا بجمال كأنها أفدان أى قصور ، والتَفْدِينْ تسمينُ الإبل وتطويل البناء ، تقول . جَمَلُ مفْدَنْ إذا فدنه الراعى تفدينا أى سَمَنَهُ وصَيَّرَهُ كالفَدَنْ ، قال القُطَامِي
فلما أن جرى سِمْنُ عليها كما طينت بالْفَدَنِ السَّيَاعَا
وهذا من باب القلب ، أى كما طينت بالسَّيَاعِ الفَدَنُ ، والسَّيَاعِ بالفتح الطين بالتبني يطين به .

٢٩٦ - ويقولون : الصوم محتم علينا بتشديد التاء ، يعنون أنه يجب عليهم أدائه ، وهذا خطأ لأن الفعل الرباعي لم يرد عن العرب ، والفصيح أن يؤدى المعنى المبتغى .
١ - إما باسم مفعول من الثلاثي فيقال : الصوم محتم من قولهم حَتَمَ الله الصوم يحتمه من باب ضرب حتماً ، أى أوجبه .

٢ - وإما بمطاوع الثلاثي فيقال : انختم الصوم وتحتم أى وجب وجوباً لا يمكن إسقاطه .

وللتحتم عدة معان : فهو الغنى كما فى قولك : تحتمت لأخى بالخير إذا تمنيت له ، وهو التصير كما فى قولك : تحتم فلان الشئ إذا صيره وجعله حتما ، وهو أكل الحُتامة بضم الحاء وهى ما يبقى على المائدة من الطعام .

٣ - وإما بمصدر الثلاثى فيقال : الصوم حتم مقضى وحكم مرضى ، ومن هذا قوله تعالى « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » .
والحتم الخالص اللاصق كما فى قولك : فلان أخ حتم أى لاصق النسب ، وأنت لى بمنزلة الولد الحتم وهو ولد الصلب ، قال الهذلى .

فوالله لا أنساك ما عشت ليلة صفى من الإخوان والولد الحتم
أى الولد الحق الذى لا يشك فى صحة نسبه ، وفى المثل « رب أخ لك لم تلده أمك »
٢٩٧ - ويقولون : شرابٌ مثلج ، ومياهٌ مثلجة بتشديد اللام فيها ، وهذا خطأ لأن المضعف من تلج لم يرد فى اللغة ، والصواب أن يؤدى المعنى المراد إما باسم مفعول من الثلاثى فيقال : شرابٌ مثلوج ومياهٌ مثلوجه من قولهم ثلجتنا السماء ثلجنا من باب نصر إذا ألقت عليهم الثلج ومنه يقال : ثلجت الأرض بالبناء للمجهول إذ أصابها الثلج فهى مثلوجه .

وأما باسم مفعول من المزيد بالهمز فيقال : شرابٌ مثلج ومياهٌ مثلجة بضم الميم وفتح اللام خفيفة فيها . ومن الثلاثى يقال للبلبد : مثلوج الفؤاد ، لأن الذكى إنما يوصف بالتوقد والاشتعال ، قال كعب بن لؤى .

لئن كنت مثلوج الفؤاد لقد بدا لجمع لؤى منك ذلة ذى غمض
ويقال : ثلجت نفس فلان بالنجاح ثلج ثلوجا من باب دخل ؛ وثلج ثلجا من باب تعب إذا اطمأنت وسرت وبردت .

ويقال من الرباعى المهموز : أثلج يومنا إذا اشتدت برودته ، وأثلج ماء البئر إذا انقطع وأثلجت صدرى بجبرك إذا فرحت وانشرح صدرى قال :

فقرت بهم عيني وأفانيت جمعهم وأثلجت لما أن قتلهم صدرى
ومن الثلاثى والمزيد بالهمز يقال : أثلجت عن المريض الحمى وثلجت إذا أفلت وتركته .

٢٩٨ - ويقولون : لهذا الرئيس سلطة عظيمة على مرءوسيه ، يعنون قدرته وقهره وشدته

يأمرهم فيأتمرون ، وينهاهم فينتهون ، وهذا التعبير يشوبه الخطأ ، لأن كلمة السلطة عامية لم يعرفها العرب .

والفصيح أن يقال : له عليهم سُلطة بالفتح أو سُلوة بالضم ، أو يقال له عليهم سلطان أى تسلط ، كما في قوله تعالى « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لولِيِّه سلطانا » أى تسلطا بالمؤاخذه والقصاص ، ومن معانى السلطان الحجة والبرهان ، ومن هذا قوله سبحانه « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبین » أى وحجة بالغة الوضوح والسلطان بهذا المعنى لا يجمع ، لأن مجراه مجرى المصدر .

أما السلطان بمعنى الوالى فجعله سلاطين كبرهان وبراهين ، وقد يطلق السلاطين على الجمع كما في قول الشاعر .

عرفت والعقل من العرفان أن الغنى قد سُد بالحيطان
إن لم يغتنى سيد السلطان

أى سيد السلاطين وهو الخليفة ، والسلطان بمعنى الوالى يذكر ويؤنث ، والتذكير عند الخذاق أغلب ويؤنث فيقال : قضت به السلطان أى السلطانة قال ابن الأنبارى ، وقال أبو زيد سمعت من أثق بفصاحته يقول : أتتنا سلطان جائرة .

والسليط هو الزيت ، وكذلك هو الرجل الفصيح حديد اللسان ، أما السليطة فهي المرأة الصخابة طويلة اللسان ، والسليطة بكسر السين هى السهم الدقيق الطويل ، جمعه سِلَط ، وسِلَاط بكسرهما .

٢٩٩ - ويطلقون على بعض أبنائهم اسم عبد الحيد ، وهذا خطأ ، لأن كلمة جيد ليست من أسماء الله الحسنى ، وإنما معناها ضد الردئ ، جمعها جِياد ، وجمع الجميع جِيادات ، أنشد ابن الأعرابي :

كم كان عند بنى العوام من حسبٍ ومن سيوف جِيادات وأرماح
وتجمع أيضا على جِيائد جمعا غير قياسى .

تقول : جاد المتاعُ يجود جُودة بالضم ، وجُودة بالفتح إذا صار جيدا ، وأجاد فلان إذا أتى بالجيد فهو مُجيد ومجود ، وهم مجاويد .

ويقال للكرم السخى : رجل جواد من قوم أجواد ، وأجاويد ، وجُوداء بزنة فقهاء ، وجُود بضم الجيم ، وللسخية أيضا امرأة جواد كما في قول أبى شهاب الهذلى :

صَنَعُ بِاشْفَاها حَصَانُ بِشَكْرها جواد بقوت البطن والعرق زَاخِرُ

ويقال في الجمع ، نسوة جُود بالضم كالذكر قال :
 وفيهن فضل قد عرفنا مكانه فهن به جُودٌ وأنتم به بُخلُ
 وقال الأخطل : (وهن بالبذل لا بخلٌ ولا جودٌ)

وتقول : إستجاد الفقر فلانا إذا طلب جوده فأجاده درهما أى أعطاه إياه وأجادت
 المرأة إذا ولدت ولدا جوادا ، وأجاد الرجل بالولد إذا ولده جوادا ومن انجاز قولك
 لصديقك : إني لأجادُ إلى لقاءك أى أشتاق إليه وقد اختلف العلماء في أصل كلمة جيد ،
 فقال البصريون أصلها جَيِّدٌ بسكون الياء وكسر الواو ، وقال غيرهم : أصلها جَوِيدٌ وزان
 كريم ، وعلى كلا الرأيين استقلت الكسرة على الواو فحذفت ، فالتقى ساكنان فقلبت الواو
 ياء وادغمت في الياء الأصلية ومن معانى الجود الجوع ، كما في قول أبي خراش :
 تكاد يده تُلْسان رداءه من الجود لما استقبلته الشماثل
 ٣٠٠ - ويقولون لمن يفضل نفسه ويؤثرها على غيره من الناس (أنانى) وهذه كلمة
 عامية والصواب أن يقال له أثر بفتح فكسر كفرح ، والاسم الأثرة بفتححات ، تقول :
 استأثر فلان بكذا إذا استبد به وخص به نفسه ، وفي الحديث « سترون بعدى أثره » أى
 سيستأثر امراء الجور بعدى بالقيء .

و ضد الأثرة الإيتار ، وهو أن يفضل الإنسان غيره على نفسه تقول : آثرت غيرى بمد
 الهمزة إيتارا إذا قدمته على نفسك وأكرمته ، ومنه قوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
 بهم خصاصة » وقوله « بل تؤثرون الحياة الدنيا » أى تفضلونها .
 أما قولهم (أنانى) فيزعمون خطأ أنه منسوب إلى قول من يقدم نفسه ويفضلها : أنا أنا
 وهذا نسب فاسد ، لأن الضمير لا ينسب إليه ، على أنه لو نسب إليه ل قيل (أنوى أنوى)
 إذ أن ألف المقصور يجب أن تقلب واوا في النسب إذا كانت ثالثة كما يقال قَهوى في النسب
 إلى قَهَا .

٣٠١ - ويقولون : زَيْت الطاهى الطعام تزيتا ، يعنون أنه وضع عليه الزيت فهو طعام
 مَزَيْتٌ بتشديد الياء وزان معظم .

والفصيح أن يقال : زات الطاهى الطعام ، وزت أنا الطعام أزيته زَيْتاً من باب باع إذا
 جعلت فيه الزيت فهو طعام مَزَيْت ومزيت ، كميح ومبيوع ، قال أبو ذؤيب الهذلي :
 أتتكم بعير لم تكن هَجْرِيَّة ولا حنطة الشام المزيت حميرها
 وتقول : زَتُ القوم إذا جعلت أدمهم الزيت ، وزتُ الصبي إذا دهنته بالزيت أما

التزيت فمعناه التزويد والتقديم ، تقول : زَيْتُ البدال حُرْفاء إذا زودهم الزيت وقدمه إليهم ، وهم يتزيتون بزنه يستعينون أى يستوهبون الزيت أو يطلبونه

٣٠٢ - ويقولون : تنبأ الفلكي بنزول المطر ، أو بخسوف القمر ، يعنون أنه ادعى علم الغيب ، وهذا التعبير فاسد ، لأن التنبؤ معناه ادعاء النبوة ، ومنه المتنبي أحمد بن الحسين الشاعر المعروف وسمى بهذا الاسم لأنه خرج إلى بني كلب وادعى أنه حَسَنَى ثم ادعى أنه نبي ، فشهد عليه بالشَّام وحُبسَ زمنا ثم استتيب فتاب وأطلق .

والنبي هو المخبر عن الله تعالى وترك همزه هو المختار ، ولقد نادى أعرابي الرسول ﷺ بقوله : يا نبي الله ، فأنكره عليه وقال له « لا تنبر باسمي » أى لا تهمز « فإنما أنا نبي الله » وفى التزيان « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » جمعه أنبياء ، كما فى قوله تعالى « قل فلم تقتلون أنبياء الله » ونبون كما فى قوله

« يحكم بها النبيون الذين أسلموا » والاسم النبوة كما فى قوله « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » وعلى هذا فالنبي فعيل بمعنى فاعل .

وقيل : إن النبي مأخوذ من النباوة وهى ما ارتفع من الأرض ، أى أنه شرف على سائر الخلق ، فأصله غير مهموز ، وعلى هذا رأى فهو فعيل بمعنى مفعول .

والفصيح الذى ورد عن العرب أن يؤدى المعنى المبتغى بقولنا : تكهن الفلكي بكذا لأنهم قالوا : كهن له كهانة أى قضى له بالغيب فهو كاهن ، ومنه قوله جل شأنه « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » جمعه كُهَّان وكهنة ككفار وكفرة والكهانة بالكسر صناعة الكاهن ، وعن ابن عباس رضى الله عنه « لا تتبع النجوم فإنها تؤدى إلى الكهانة » .

٣٠٣ - ويقولون : فلان شاطر يعنون أنه نشيط متمسم بالعبقرية ، وهذا خطأ ، إذ تقول : شطر فلان بصره شطورا إذا نظر اليك وإلى آخر ، وشطرت الدار بعدت ، ومنزل شطير بعيد ، ورجل شطير منفرد ، قال :

لا تتركنى فيهم شطيرا إلى إذن أهلك أو أطيرا

ومن ذلك يقال : شطر فلان على أهله من باب قتل إذا ترك موافقتهم خبثا فهو شاطر وهم شطار والشطارة اسم منه ، ويقال : شطر أيضا من باب ظرف شطارة .

مما تقدم استبان أن الشاطر هو الخليع ومن أعيأ أهله خبثا ولؤما ، وأنه موضع للتحقير لا لحسن التقدير .

٣٠٤ - ويقولون : هذا اللص كثير النصب ، وافر السُرقة^(١) بضم السين ، يعنون الخداع والخُتْل ، ولكن العرب وضعت كلمة النصب بفتح النون لتؤدى معانى عدة لا صلة لكل منها بالمعنى الذى أرادوه فى عبارتهم .

١ - فهو إعراب الكلمة بالفتح ، تقول : نصبت الفعل أو الاسم بأحد نواصبه فهو منصوب .

٢ - وهو ما نصب فعبد من دون الله كالنصب بالضم والنصب بضميتين ، والجمع أنصاب ومن ذلك قوله تعالى « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس » .

٣ - وهو الغناء المتسم بأنه أرق من الحُداء ، تقول : نصب محمد عبد الوهاب نصبا إذا غنى غناء رقيقا ، وفى الحديث « لو نصب لنا نصب العرب ؟ ونصب العرب ضرب من مغانيها أرق من الحداء .

٤ - وهو التعب ، تقول : نصب العامل نصبا بفتح الصاد ونصبا بسكونها إذا أعيا وأتعبه العمل ، ومنه قولهم : هم ناصب أى ذو نصب ، وسمع قولهم : نصبه لهم نصبا إذا أعياه ، قال النابغة :

كَلْبِيْ لَهُمْ يَا أَمِيْمَةُ نَاصِبٌ وَلَيْلٌ أَقَاسِيهِ بَطِيٌّ الْكَوَاكِبِ
٥ - وهو إقامة الشئ ، تقول : نصبتُ العلم فانتصب ، ونصبت فلانا لأمر كذا فانتصب له ، ونصب فلان لعمارة البلد إذا أقيم لها ، ومنه قوله جل شأنه « أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت » .

٦ - وهو المعادة ، تقول : نصبت لفلان نصبا إذا عاديته ، ومن هذا قول جرير :
وَإِذَا بَنُو أَسَدٍ عَلَى تَحْزُبُوا^(٢) نَصَبْتُ بَنُو أَسَدٍ لِمَنْ رَامَانِي^(٣)
ومنه الناصبية والنواصب وأهل النصب الذين يدينون ببغضة على كرم الله وجهه .
٧ - وهو الأمام ، تقول : وضعت هذا الأمر نصب عيني بالفتح أى أمامها ، وهو بالضم أفصح وقيل : إن هذا فى الأصل مصدر استعمل بمعنى المفعول أى منصوبا مرثيا رؤية ظاهرة بحيث لا ينسى ولا يُغفل عنه .

٨ - وهو المشورة ، تقول : نصبت لفلان رأيا إذا أشرت عليه برأى لا يعدل عنه .

(١) السُرقة بضم السين : هى مائال اللص من السرقة .

(٢) تحزبوا : صاروا ضدى أحزاباً وتآلبوا على قتالى .

(٣) رمانى : ناضلتى وعادانى .

- ٩- والنصب بالفتح وبضميتين ، وبالضم وزان فُعْل هو الداء والبلاء والشر ، ومنه قوله تعالى « إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بُنْصِب وعذاب » .
- ١٠- والنصب بالفتح أيضا هو العلم المنسوب كالتَّصَب بالتحريك والغاية ، وفي القوافى أن تسلم القافية من الفساد .

روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أراد استعمال وال على الموصل ، فاستشار أصحابه فأشاروا بتولية رجل صالح سمّوه . . فطلبه . . وجاءه فوجد عمراً يصلى وأولاده الصبيان يعابثونه ويمتطونه وهو ساجد . . فيطيل السجود حتى لا يفزعهم .

فلما فرغ عمر رضى الله عنه من الصلاة . . استنكر الرجل أن يكون هذا حال أمير المؤمنين . . فسأله عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ . قال : إذا دخلت بيتي صمت كل من فيه . . فلا تسمع إلا همساً . . ومضت فترة أحس فيها الرجل أن عمراً قد انصرف عنه وأهمله فقال : طلبتني ؟ . . فأجاب عمر : لأمر لم أجده فيك . . من لا يرحم أهله لا يرحم المسلمين .

باب الفتوى

الأستاذ عبد الحميد صالح

وردت رسالة إلى المجلة من السيد الأستاذ عبد الله عبد الحليم سابق ، الموجه بوزارة التربية بالقاهرة تتضمن أسئلة حول بعض الأحكام التي تتعلق بالأسرة المسلمة والعلاقة الزوجية . . .

وقد تفضل فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله عبد الخالق المشد عضو لجنة الفتوى بالأزهر بالأجابة عليها مشكوراً . . ونظراً لأهميتها ننشرها فيما يلي ليعم النفع .

ج ١ :

ما جاء في كتاب الإقناع : من أن دواء المرض وأجرة الطبيب لا يجب على الزوج لزوجته : إنما هو اجتهاد من متأخري فقهاء مذهب الشافعية . وجاء مثل هذا الحكم على السنة متأخري فقهاء المذاهب الأخرى دون استناد أحد منهم على نص من كتاب أوسنة ، أما الأئمة الأربعة : فليس لهم حكم في هذه المسألة ، وإن كان لهم حكم يناقض هذا الحكم فيما هو شبيه بهذه المسألة ، فقد حكموا : بأن تكفين الزوجة وتجهيزها من النفقة ، والنفقة واجبة عليه حال حياته فتجب في ماله حتى بعد وفاته لومات قبل توزيع تركته . فذهب أبو يوسف من الحنفية والشافعي ورواية عن أبي حنيفة ومالك إلى أن تجهيزها واجب على زوجها ولو كانت موسرة . وهو المقتضى به وعليه جرى القانون ، وذلك لبقاء آثار الزوجية بينها بعد الوفاة كالوراثة ، ولذا جاز للزوج أن يغسل زوجته بعد وفاتها لذلك غسل على رضى الله عنه فاطمة الزهراء .

وفي رواية عن أبي حنيفة ومالك : ليس على الزوج تجهيزها إذا كانت موسرة . فإذا اعتبر الأئمة رضوان الله عليهم تكفين الزوجة وتجهيزها من النفقة مع انقطاع النكاح بالموت لبقاء بعض آثاره .

ألا يعتبرون ثمن الدواء وأجرة الطبيب من النفقة مع بقاء النكاح بجميع آثاره من حب وود ، ورحمة وسكن وقياسها برعاية بنينا وأطفالها ، منه وقد يكون مرضها نتيجة إرهاب

ومعانة من كثرة عملها .

وإذا أوجب لها الأئمة على الزوج خادماً يساعدها في أداء عملها بل خادمين إذا كانت ممن تخدم باعتبار أن الخدمة نوع من النفقة أفلا يقاس عليها ثمن الدواء وأجرة الطبيب ويندرجان تحت عموم الأدلة في قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » وقول النبي ﷺ -
لهند زوج أبي سفيان « خذى من ماله ما يكفيك وأولادك بالمعروف » وقوله « استوصوا بالنساء خيراً » وقوله « خيركم خيركم لأهله » .

وقد جاء الإسلام بقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » وهو بهذه القاعدة المنصوصة يمنع الأذى عن أى كان لأن الله لا يحب المعتدين وشريكة حياة الزوج أولى الناس برفع الضرر عنها فلا يجوز للزوج أن يؤذى زوجته بإمساكها مريضة فقيرة دون علاج ولا دواء . وهى التى جعلها الله سكناً له وأنساً وراحة وأمناً ، وأمر بإحسان عشتها في قوله تعالى : « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا . ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه »

ج ٢ :

قال في الهداية ج ٢ - ص ٣٢

وعلى الزوج أن يسكنها في دار مفردة ليس فيها أحد من أهله إلا أن تختار ذلك لأن الله أوجب السكن مقروناً بالنفقة في قوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » .
وأذا أوجب الله لها حقاً ليس له أن يشرك غيرها فيه لتضررها به لعدم أمنها على نفسها ومتاعها ونقصان استمتاعها ، إلا أن تختار انتقاص حقها فإذا امتنعت عن السكن مع أهله لا تعد ناشراً

ج ٣ :

لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته من زيارة والديها . ولا يمنعها من الدخول عليها في كل جمعة ، وغيرهما من المحرم كل سنة ، لأن المنع المطلق فيه قطيعة للرحم ، وحمل للزوجة على مخالفتها ، وقد أمر الله بالمعاشرة بالمعروف وليس هذا منها .
وبإباح للمرأة الخروج لقضاء حوائجها بإذن من زوجها .

ج ٤ :

الزوجة الموظفة : يجوز لها إيداع ما تدخره من راتبها أو من غير راتبها من أموال في مصرف بحساب جار باسمها دون فائدة ، ولا تجبر على إيداعه بحساب زوجها ، ونفقتها شرعاً

على الزوج نظير احتباسها وقيامها بشئونه الزوجية ، فإذا خرجت للوظيفه بإذنه فقد انتقصت من احتباسها الواجب شرعاً الذى استحققت له النفقة .
لهذا وجب على الموظفة أن تشارك فى نفقة نفسها نظير انتقاص حقه فى الاحتباس فإن لم تفعل فهى عاصية لأكلها نفقة كاملة بغير حق ، ولا تعد ناشراً .
ج ٥ :

كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد : « انظروا من طالت غيبته أن يعثوا نفقة أو يرجعوا ، أو يفارقوا ، فإن فارق فإن عليه نفقة ما فارق من يوم غاب » .
وما نعلم مخالفاً لعمر لأن النفقة بإزاء الزوجية ما لم يثبت نشوزها لأنهن محبوسات عليهم وعليه نفقة الزوجة وبناتها الصغيرة ، ونفقات الولادة وما تخلف عنها مما احتاجته الزوجة والوليدة من علاج ودواء يكون على الزوج الغائب فى ماله شرعاً وإن كانت إقامة الزوجة فى بيت أهلها فى أثناء سفره .

الشئون الفنية

والله ولى التوفيق

مكتب الإمام الأكبر

عضو لجنة الفتوى بالأزهر

(عبد الفتاح بركة)

(عبد الله عبد الخالق المشد)

س : ما حكم الشرع فى نقل الدم للمسلم المريض المحتاج له من شخص غير مسلم ؟
ج - تفيد لجنة الفتوى بالأزهر : بأن الله تعالى قال فى كتابه الكريم : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وقال سبحانه فى آية أخرى : . . . فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » وفى آية أخرى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » . . .
وهذه الآيات الكريمة تفيد : أنه إذا توقف شفاء المريض أو الجريح وإنقاذ حياته على نقل الدم إليه من آخر - بالأب - يوجد من المباح ما يقوم مقامه فى شفاؤه وإنقاذ حياته - جاز نقل الدم إليه بلا شبهة ولومن غير مسلم ، وكذلك إذا توقفت سلامة عضو وقيام هذا العضو بما خلقه الله له على ذلك جاز نقل الدم إليه . . .

أما إذا لم يتوقف أصل الشفاء على ذلك ولكن يتوقف عليه تعجيل الشفاء فنصوص الشافعية تفيد أنه يجوز نقل الدم لتعجيل الشفاء فقد جاء فى الباب الثامن عشر من كتاب

الكرامية من الفتاوى الهندية ما نصه «يجوز للعليل شرب الدم والبول وأكل الميتة للتداوى إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاؤه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه ، وإن قال الطبيب بتعجيل شفاؤه . فيه وجهان» ١ . هـ

ولكن أيجوز الاعتماد في ذلك على طبيب غير مسلم ؟

ظاهر مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة أنهم يقيدون الطبيب الذى يعول على خبره في مثل ذلك يكون مسلماً . والمالكية يرون الاعتماد على غير المسلم حينئذ إذا لم يوجد طبيب مسلم . . وبعض العلماء لا يرون وجوب كونه مسلماً حتى في حالة وجود الطبيب المسلم . . وهذا ما تختاره لجنة الفتوى وتفتى به ؛ لأن المدار على ما يوجب غلبة الظن ، وهذا يتوافر كثيراً في غير المسلم بالتجربة كما يتوافر في المسلم .

فقد جاء في الجزء الثالث من كتاب بدائع الفوائد لشيخ الإسلام ابن القيم الحنبلي ما نصه « في استئجار النبي ﷺ - عبد الله بن أريقط هادياً في وقت الهجرة وهو كافر ، دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب والكحل والأدوية والكتابة والحساب والعيوب ونحوها - ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة . ولا يلزم من مجرد كونه كافراً ألا يوثق به في شيء أصلاً - فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة .

وقال ابن مفلح الحنبلي في كتاب الآداب الشرعية من الجزء الثاني نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه « إذا كان اليهودى أو النصرانى خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطب ، كما جاز له أن يودعه المال وأن يعامله كما قال تعالى : « من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك » الآية وهذا علم الجواب عن السؤال وهو جواز نقل الدم من مسلم أو غير مسلم على حسب ما فصلنا والله تعالى أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

کتاب الشهر

منهج العلماء

فی غیبة الامیر المکرم الخلیفۃ السنی

دکتور: رؤف سیبى

منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعى

(١) التشريع وسياسته في الإسلام

أولاً : في ظل النبوة الإسلامية :

كان المجتمع العربى قبل الرسالة المحمدية مجموعة من القبائل التى يسيطر عليها حكم العرف القبلى المسنون من العادات والتقاليد الموروثة ، فلم تكن عندهم فكرة التقنين ، لسهولة الاتصال اليومى ، وتقارب أفراد المجتمع فى الدم ، والعصبية . والقوانين تظهر دائماً عندما يتركب المجتمع تركيباً معقداً يصعب معه احترام العادات والتقاليد الموروثة كنظام يلى إرادته ، ويحدد سلوك الناس داخل منطقة التعاشر اليومى . فلما جاءت رسالة الإسلام الإنسانية ارتفعت بالجنس البشرى من دائرة الحكم الخاضع للتقاليد التى تحدد دائرة المجتمع بالصغر والذاتية ، والقومية العنصرية ، إلى دائرة الحكم الإلهى العام لجميع الناس ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم . وكان الصحابة رضوان الله عليهم بما مارسوه فى بدء الدعوة من تدريب على عالمية الحكم الإسلامى ، وارتفاعهم بدينهم فوق العصبية ، والعنصرية إلى عالمية الإنسانية بالإسلام الحنيف قد أدركوا أن الفكر التقينى العادل لمجتمع الإسلام مرجعه الأساسى : الله ، ورسوله ، فاستقبلت صدورهم المشرقة بنور الإيمان كل حكم يحل حلالاً أو يحرم حراماً بعقيدة ثابتة أنه هو ذلك المستوى الفاضل لحياة الإنسان فمن أصدق من الله حديثاً ؟ فالقرآن يترى به الوحي آفاقاً ، والأحداث تتولد مع نمو المجتمع ، والرسول ﷺ يشرع بما يوحى إليه ، وبما يفسره ويبينه بالسنة لجانب من الذى أوحى إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

ومع هذا فقد أخذت عملية التشريع منهجاً فريداً يدرب النفوس على استقبال الحكم ، فبعد أن ثبتت العقيدة درج الله وقسط في الأحكام .
ومع التدريج والتقسيم هيأ الله النفوس لتقبل الحكم الشرعي : فأخذت الأحكام تتوزع مع وجود الحاجة خطوة بعد خطوة ، وكلما أشرفت أنوار الإيمان في الصدور حج الناس إلى رسول الله ﷺ يسألونه :

— يسألونك عن اليتامى ؟

قل : إصلاح لهم خير .

— يسألونك عن الخمر والميسر ؟

قل : فيها أثم كبير ومنافع للناس .

— يسألونك عن المحيض ؟

قل : هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن .

— يسألونك ماذا ينفقون ؟

قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين .

— يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟

قل : قتال فيه كبير .

— يسألونك عن الأهلة ؟

قل : هو موأقبت للناس .

فاجتمع يسأل ، والوحي يترى ، والرسول ﷺ يجيب ، وينوع إجابته وحي الله ،
« ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وعلى قدر طاقة العباد منح الله الناس الدين والشرعية بالتقسيم والتأني « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . (النساء)

« يريد الله ليين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » . (النساء)

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . (البقرة)

فقد استمرت الدعوة في عصر وجودها المكي زهاء ثلاثة عشر عاماً تحرر القلوب والعقول من الشرك الحجري ذلكم الذي يحقر كرامة الإنسان ، ويبعده عن الكيان البشري وتخرجهم إلى الحق والعدل والنور بشهادة التوحيد ، فلما تجمع للدين طائفة موحدة وقيادة

أمانة بعد أحد عشر عاماً في مكة فرض الله الصلاة كوصلة تشرف الإنسان في اتصاله بربه وتكون ركيزة الأسس للعلاقات الاجتماعية لتستمر الرقابة الاجتماعية التي هي مصدر حماية القوانين متصلة بالله الحق حتى يكتمل للبشر أساس حريتهم فالكل لله عبد والكل ينبغي أن يراقب الديان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وذلك وحده هو عصب العدل والخدمة الاجتماعية التي تبذل حسبة لله وابتغاء مرضاته :

« إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » . (الإنسان)
ثم انتقلت الدعوة إلى المدينة بعد جهاد ثبت قواعد الحرية والعدل « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، ليتها المجتمع الذي رغب بنفسه في قبول الإسلام كنظام للدولة ، وباع على هذا مرتين للمسئولية التاريخية فكان التشريع القانوني الذي درجه الله وقسطه : فرض الجهاد في السنوات الأولى من الهجرة : حماية للدعوة ، والمجتمع ، ورداً للمعتدين :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .
فرض الله الزكاة وفرض أحكاماً عدة ثم فرض الله الحج في الأعوام الأخيرة للرسالة :
« ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » . (آل عمران)
وهي أحكام لا تتنافى مع سلوك موروث في المجتمع ، ومع هذا فقد خفف الله عن الأوائل حتى تنهأ نفوسهم بعد رسوخ العقيدة لتقبل شريعة الله بالهنية بعد الهنية ليشبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .
أما الأحكام التي لها صفة الجبرية لأنها تغير سلوكاً موروثاً فقد أخذت هذه الأحكام منهاجاً خاصاً في عملية التدرج والتهئية للأساس العام الأكبر « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » .

فالخمر : كانت عادة عالمية درج عليها جل المجتمع العربي كبقية المجتمعات العالمية التي اتخذتها شراباً مألوفاً ، فلما جاء الإسلام لم يهدف بادية ذي بدء لكشط تلك العادة التي تلغى عقل الإنسان الذي يعد في العرف المنطقي الميزان الفاصل بين الإنسانية في البشر ، والحيوانية في البهيم ، فإنه مع فحش آثار الخمر من وجهة نظر المنطق السوي لكرامة الإنسان كان من العسير على الأمزجة أن تتقبل دفعة واحدة تحريم الخمر ، رغم أن في التحريم تبجيلاً ، وتكريماً لمنزلة الإنسان ، ولكن الله رأف بالعباد فدرج في التدرج ؟ :

١ - فعندما سئل عنها النبي ﷺ نزل الوحي يتلو :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس » . (البقرة)
 فقال الناس : قال الله فيها إثم ولم يقل حرام ؟ واستمروا .
 ٢ - فلما خلط الناس صلاتهم بشراهم ، قال عمر : اللهم أرنا بياناً في الخمر ؟ فأنزل
 الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » . (النساء)
 فامتنع بعضهم عنها بتاتاً ، وتناولها بعضهم في غير أوقات النهي الموضحة في الآية .
 فتهيات بذلك نفسية المجتمع كله للحكم الأخير .
 ٣ - فأنزل الله تعالى - في أواخر حياة التشريع بالمدينة -

« إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
 تفلحون » . (المائدة)

فانتهى المجتمع كله انتهاء تحميه تلقائية الرقابة الدينية التي مردها « اعبد الله كأنك تراه
 فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وتزكية النفس الراضية ، ويسعد به العقل الذي تبجل ،
 وتنشرح به الصدور التي استقر فيها الإيمان بالإرادة .

ومثل هذا من الأحكام التشريعية التي تغير تقاليد المجتمع القديمة : الزواج من زوجة
 الابن الدعوى ، فقد شب المجتمع على تقاليد أسرية لا تتفق مع مقررات الإسلام .
 فالتبني قد ألغاه الإسلام :

« أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
 وَمَوَالِيَهُمْ » . (الأحزاب) .

فأبطل بذلك علاقة البنوة ، واستبدلها بعلاقة الإخوة الدينية التي هي كرم في نظر
 العقيدة والحق ، والأقوى في سياج التشريع إذ الأخوة الدينية أساس التضامن الإنساني في
 داخل التعاشر الاجتماعي :

« المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

« المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » .

غير أن آثار ذلك الإلغاء يحتاج إلى تهيئة خاصة ، فاختار الله لهذه التهيئة أرقى أسرة في
 المجتمع الإسلامي تملك ضبط حدة إنفعالات التجربة التي تجابه نظاماً موروثاً منذ الآباء
 صار له حكم العادة الجبرية اللازمة فكان زواج زيد بن حارثة مولى سيدنا رسول الله ﷺ
 من ابنة عمه النبي ﷺ زينب بنت جحش :

(١) رفض أخوها عبد الله أولاً خطبة النبي ﷺ زينب لمولاه زيد حسب التقاليد الأسرية المتوارثة فتزل قوله تعالى :
 « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخبة من أمرهم » .
 (الأحزاب)

فقال عبد الله : سمعنا وأطعنا يا رسول الله .

(ب) وتزوج زيد من زينب ، وأخذت العلاقات الزوجية مستواها الطبيعي من الود تارة والخلافات أخرى ، حتى شاء الله واحتدم النزاع ، وطلقت زينب .
 (ج) فأمر الله نبيه ﷺ أن يتزوجها إعلاناً بتشريع جديد يلغى أفك التقاليد القديمة . (لم يكن في الأمر شيء أكثر من ذلك ومن زاد فقد ابهت)

يقول الله تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وكان أمر الله مفعولاً » .

وهكذا كانت حكمة الله جل شأنه اختيار الأسرة الأولى في المجتمع الإسلامي لتتحمل مسئولية تغيير العادات التي دأب عليها المجتمع أحقاباً قديمة من الزمن لأنها وحدها التي تملك القدرة على ضبط انفعالات التجربة القاسية . . وتزيدها أوامر الله شرفاً فترضخ لحكم الله بلا تفلسف ، إذ غيرها من الأسرار لا يقدر أن يواجه أحداث تجربة مهمتها تغيير عادة لازمت العقول ، وخالطت السلوك حتى صارت واحدة من فقه اللزوم الاجتماعي منذ مئات السنين وصارت ديناً وخلقاً وقانوناً .

ومع تلك الرحمة الإلهية في التشريع كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على تلقى العلم من رسول الله ﷺ ، وكان يكفي المحتاج منهم لحكم من الأحكام أن يسمع القرآن من النبي ﷺ فيفقه حاجته من التلاوة فالقرآن عرني ولسان الرجل عرني ، والذكاء العرني عريباً خالصاً على الفطرة ، كما كانوا رضوان الله عليهم يستفسرون في كل ما يعن لهم ، ويتبعون الرسول في كل ما يرونه منه من فعل ، يروى القاضي عياض في شرحه للشفاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على إلقاء نعالكم ؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك ، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيها قدراً » .

وبهذا الاتباع الحمود كان للمسلمين في رسول الله أسوة حسنة فانتفعوا بالإسلام ومكنوا
لدين الله في دولة تحمي العدل وتحمي كرامة الإنسان من موات الجاهلية الأولى ؟

ثانياً - في ظل الصحابة :

تحمل الصحابة من بعد النبي ﷺ موارث الدولة الإسلامية . . فاتسعت رقعة الدولة
ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فكان على عاتقهم - وهم أمناء - أن يوضحوا للرعية
أحكام الله ، وهم لذلك رأوا أن الحيلة في الحكم الشرعي تستلزم التثبت من نسبة رواية
الحديث إلى النبي ﷺ فأخذت هذه الحيلة أسلوباً خاصاً حسب رأى وبصيرة الإمام
رئيس الدولة :

١ - فسينا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يراها مع الشاهد الآخر كما جاء في حديث
تورث الجدة : ما كان يعلم أبو بكر رضي الله أن لها شيئاً ثم استفتى الناس فروى المغيرة أنه
سمع النبي ﷺ يعطيها السدس فطلب أبو بكر معه شاهداً فشهد معه محمد بن مسلمة ،
فقويت نسبة الرواية إلى رسول الله ﷺ فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه .

٢ - ومثل ذلك الصنيع من التثبت بالشاهد عمل سيدنا عمر رضي الله عنه سلم عليه
أبو موسى ثلاثاً فلم يجبه فرجع فسأله عمر : لم رجعت ؟ فروى أبو موسى حديثاً عن النبي
ﷺ « إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع » فطلب منه عمر بينة والا نكل به فذهب
أبو موسى إلى أصحابه ممتقع اللون وسألهم الشاهد فأرسلوا معه من يشهد له بصحة الرواية .

٣ - وكان للإمام على رضي الله عنه منهج خاص فقد كان يكتفي بالقسم يحفظ تاريخ
السنة عنه كرم الله وجهه « وكان إذا حدثني غيره - يعني غير النبي ﷺ استحلفته » .
مع هذا الجو من الرياسة الإسلامية الأمانة الواثقة في شخصية رئيسها كان الناس
يستقون الأحكام من الصحابة رضوان الله عليهم وهم جميعاً عدول أعدل ما تكون
العدالة ، وأمناء أدق ما تكون الأمانة بأيهم اقتدى الناس اهتدوا وفازوا .

ومن ألمع ما يحمله التاريخ ويورثه للعلماء الذين احتسبوا أنفسهم للدعوة أن الفتوى في
ظل الصحابة أخذت ثوباً فكرياً فريداً بالتعاون ، والعودة الى الأدق في الحكم والاختلاف
في الرأي لا يفسد وحدة الأمة فقد روى أن رجلاً قتلته امرأة أبيه وخليل لها فرغ الأمر إلى
عمر ، وهو رئيس الدولة ، فتردد ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فعرض القضية على فقيهه
الدولة ومفتيها على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه وقال له : أرايت لو كان

نفرأً اشتروا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم ؟ قال عمر : نعم ، قال علي : فكذلك ، فعمل عمر برأيه فاقتص من الكثير للواحد .

وإذا كانت هذه الفترة من التفكير تمتاز :

١ - بالحيطه في الحكم الشرعى .

٢ - وبالحيطه في دليله .

٣ - وبالتعاون في الفتوى .

٤ - فهي كذلك تمتاز بمراجعة الفتوى والعدول عنها إذا بان أن الحق في غير جانبها .

فقد رفعت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسألة في الميراث تسمى (المسألة

المشتركة) .

وهي التي مات فيها امرأة وتركت : زوجاً ، وأماً ، وأخوة لأم ، وأخوة أشقاء قسم عمر الميراث حسب الفروض المحكمة : للزوج النصف ، وللأم السدس ، وللأخوة لأم الثلث ، وعلى ذلك فلم يبق للأخوة الأشقاء شيء من الميراث ، فقالوا لرئيس الدولة عمر : هب أن آبانا كان حجراً في اليم ، ألسنا أبناء أم واحدة ؟ فعدل عمر عن فتواه وأشركهم في الميراث . وكان عمر دائماً يقول : لولا على هلك عمر « وبهذا يرث العلماء في العصر الحديث هذه الموارث عساهم يقدموا لدين الله شيئاً من الواجب المقدس .

ثالثاً : بعد الفتح الإسلامى :

ومع اتساع الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا ، وشرق آسيا وغيرها انتشر العلماء من الصحابة في الأمصار والبلاد التي حقق لها الإسلام آمالها في الحق والعدل والكرامة فألفت الناس حولهم ينهلون من فيوضات علمهم وأبحر فقههم ويسألون فيفتون فيعملون بما انتفعوا به من الهدى فيحيون حياة الكرامة التي أرادها لهم الإسلام الحنيف .

- فكان في (المدينة المنورة) أبو هريرة ، وأبوسعيد الخدرى ، عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت .

- وكان في (مكة) عبد الله بن عباس .

- وكان في (الكوفة) عبد الله بن مسعود .

- وكان في (البصرة) أنس بن مالك .

- وكان في (مصر) عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب الصادقة .

- وكان في (الشام) معاذ بن جبل [بعد انتهاء مدته في اليمن] .
رضى الله عنهم جميعاً .

فحملوا للناس السنة ، وعلموا الناس فقه الإسلام كما تحملوه هم من رسول الله ﷺ
وافتا بما أطمأنت إليه النفس ووثقت فيه الذمة وأرضى الله ورسوله ونصح للأمة فكانت
دولة الإسلام التي خلفها محمد ﷺ ما تزال في ثوبها الموحد وثقافتها الرفيعة التي ترطب كبد
الحرية ، وتقوى أزر الصديق وتوفر العدل للبشر جميعاً كما أمر الله وأرشد نبيه ، ووصى به
القرآن والسنة والخلفاء الراشدون من بعد .

وكان هؤلاء الأساتذة والشيخ الكبار تلاميذ وأبناء حملوا عنهم العلم والفتوى والفقه
والفهم ، فانقلت على أيديهم رسالة الدين يعلمون ، ويهذبون البشر فلما اختلط الفكر
الإسلامي الصافي بالفكر البشري القديم ذى الحضارة العتيقة واختلطت الأنساب والدماء
ظهرت ثقافة جديدة خليط من ثقافة الكهوف التي احتفظت بها النفوس اللاشعورية من
أبناء القوميات العريقة فتميعت :

١ - عروبة الحاطر واللفظ السليق وامترجت الفكرة الإسلامية بخليط من الثقافات
الأولى التي دخل أهلها في دين الله أفواجاً ، ومع حلاوة الإيمان استبقوا طلاء ثقافتهم
الأولى فلم يستطيعوا الخلاص منها فقد استقرت في الدم استقرار المواريث الأخلاقية
والصفات .

٢ - كما خفت الرقابة الدينية ، ووهت العزائم ، وصار للعالم طلاب ألهتهم حياتهم عن
العمل والفقه ، وساعد على هذا اللهو ، ضعف القدرة المعرفية ، وبلادة الذوق والتذوق
للقرآن ، والسنة ، بالإضافة إلى خليط العبث السياسي الذي منيت به الأمة وتميزت به
أحقاب من الزمن ليست بالقليلة في عمر البناء فأخذت العبادة اخلل الثاني في النفوس ،
وصار الإسلام ملكاً عضوداً يحتاج ملكه إلى المؤازرة ، والتعصيد فصارت الإمامة للعالم
وجعل الدين تابعاً فنسى الناس رسالة الحق وابتعدوا عن الدين روحاً وسلوكاً وهنا ألت
الظروف : الفكرية والسياسية ، والاجتماعية ، على وجود العبقرية العابدة الطاهرة الآمنة
الزاهدة الجريئة ، لتدرك للناس الحكم الشرعي من أصوله الرئيسية : القرآن ، والسنة
الصحيحة ، بعد أن عالج الناس سوء الحياة فلجوا في أخطارها وولغوا في طهر المياه
بما اخترعوه بهتاناً فأفسدوا حقائق العلم التي يرتوى بها فكان ذلك مبدأ فجر جديد صادق
لاتجاهات الفقه الإسلامي بذل فيها الأمناء الصادقون النصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين

وعامتهم أقصى الجهد لتقديم الحكم الشرعى :

- ثابت الدليل .

- مؤسساً على الحجة .

ليأخذ الناس أحكام الشريعة من مدارك الفقهاء الذين وظفوا أنفسهم فى سبيل الله لا من أجل دنيا أوجاه أو رزق بل ابتغاء مرضاة الله وخدمة للدين الحنيف وتأدية للواجب ورعاية للمجتمع الإسلامى الذى يجب له النصح والتوجيه على سنة الله ورسوله .
وفى خلال عملية إدراك الحكم الشرعى من مصادره الأصلية أخذت الوسائل عدة أنواع : تعددت وتنوعت عند العلماء الكبار بناء على ظروف العصر ومقتضيات الفكر فى المنطقة :

- فالإمام أبو حنيفة رضى الله عنه فى العراق يسند دليل النقل برأى العقل لأن البلد الذى هو فيه بلد حضارة مارسوا الأدب والنقاش والتفكير والذين تمرنوا على هذا الأسلوب يعوزهم فى إدراك الحكم وتقبله إدراك العلة العقلية ليتسق مع الوجدان اقتناع العقل .
- والإمام مالك رضى الله عنه فى المدينة المنورة يحترم عمل أهل المدينة كواحد من وسائل استنباط الحكم الفقهى لأنهم اغتالطون العارفون الأقربون من سنة النبى ﷺ .
- والإمامان الشافعى وابن حنبل رضوان الله عليهما فى الحجاز بلد الحديث ومواطن الدعوة يشدون أيديهم على السنة لأن المجتمع مجتمع مولد الرسالة فتح عينيه القانونية والثقافية على نور النبوة لا غير ومن قبل كانت أمة أمية .

والكل ملتزم فى عملية الاجتهاد والاستنباط بأصول التشريع : القرآن والسنة والإضافات فى الوسائل التى بها يدرك الحكم إنما اقتضتها ظروف البلد دفاعاً عن الدين لا حباً فى هوى ، ولا أساساً للاختلاف بين الناس ، ولا مشاحة فى هذا الاختيار ولا يمكن لأحد أن يطعن بالأئمة فى مركز من الطهر لم يبلغه واحد من علماء العصر الحديث : هم أرادوها لله ، ونحن نريدها للدنيا . وهم أحاطوا بالأصول ونحن مازلنا نجو فى روضتهم وبعد لم نبلغ الدرجة الصغرى .

وفى خلال العمليات الإدراكية الاستنباطية للحكم الشرعى ظهرت قواعد ضبط إدراك الحكم الشرعى الفقهى التى جعلت منهجاً للعلماء فى عملية الاجتهاد التى اشتهرت فى العلم بين الناس بأنها علم (أصول الفقة) .

وإذن :

فأسس التشريع الإسلامي : القرآن ، والسنة الإسلامية الصحيحة وطريقة الاجتهاد :
 هي : عملية إدراك الحكم الشرعى القائمة على شروط خاصة فى المجتهد .
 وآلات الاجتهاد : هي : الإجماع ، والقياس بالاتفاق غالباً ، وزيادات تخضع
 لظروف بلد الإمام : مثل : عمل أهل المدينة ، والاستحسان والمصالح المرسلة . . . إلخ .
 وعلى هذا النمط عرف الفكر الإنسانى :
 منهج العلماء فى ضبط إدراك الحكم الشرعى حتى شهد الخصوم لعلماء الإسلام بالسند
 المتصل ، وبفضلهم فى تحمل الأمانة العلمية .

(ب) حول تدوين منهج العلماء فى إدراك الحكم الشرعى

أولاً : المبدأ

الأحكام الفقهية :

هى نتائج البحوث المكتسبة من الأدلة التى فصلت هذه الأحكام ، والبحث للوصول
 إلى هذه الأحكام له أصول : هى مصادر استندت الأحكام إليها وهذه المصادر هى :
 القرآن ، والسنة ، لا غير

وعملية البحث لاكتساب هذه الأحكام الفقهية من مصادرها الأصلية هى الطاقات
 الفكرية الأمانة التى بذلت خدمة لدين الله للتعرف على هذه الأحكام رعاية لسلوك المجتمع
 على شريعة الله ، وآلات البحث الكاشفة عن هذه الأحكام التى تستخدم فى عملية
 البحث : إما أن تكون الإجماع ، أو القياس ، أو أنواع أخرى من آلات الاستدلال التى
 أقرها العلماء أو وثق فيها الإمام المجتهد .

والأحكام الفقهية بهذا المعنى متأخرة فى مولدها عن عصر النبوة والصحابة .
 إذ فى الصدر الأول لم يكن المسلم فى حاجة للحصول على حكم شرعى أكثر من الرجوع
 إلى النبي ﷺ ، أو أن يسمع القرآن ، فيفهم المراد ، أو يبلغه الحديث فيكفيه العلم بالسند
 ليدرك مبلغ صلة الحديث بالنبي ﷺ لقرب الزمان ، ووضوح الأحوال ، وشدة الرقابة
 الدينية فى النفوس .

وقد سمح رسول الله ﷺ للمبعوثين من قبله إلى المسلمين فى البلاد البعيدة أن يفتوا

بما أطمأنت إليه نفوسهم على نحو ما هو مشهور في حديث سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه ، حين ذكر للنبي ﷺ أنه سيقضى بين الناس بما في القرآن فإن لم يجد فبما في سنة رسول الله ﷺ فإن لم يجد فسيجهد ولا يقصر ، فإن إدراك المعاني من ألفاظها ، واستنباط الحكم من أدلته ، ومراعاة الروح الإسلامية في بناء الدولة وإقامة العدل ، جلبة في نفوس الصدر الأول اشرفت بها الصدور إشراقة الخلاوة بالعقيدة فكانوا على نور وهدى من الله ، ومن يهدى الله فهو المهتد .

ثانياً : المولد

فلما انقرض السلف ، وانقلبت العلوم صناعة ، واختلطت الملكات ، وضعف الفكر ووهيت القرينة وصار العلم مستورداً بمشاغل الدنيا وأقبل الناس على الحياة يلهون ، وحدثت فن كالليل المظلم ، ولدت اضطرابات في المرويات ، وأدخلت الهوى المتبع على الحق الأبلج حتى تشككت الأحوال ، فاضطر الناس إلى قواعد تعصم إدراك الحكم الشرعى من مظنة الخطأ فعمد إلى ذلك الفقهاء فزجوا الحكم بقاعدته فنشأ عن ذلك أسلوب فقهي مزوج يجم من قواعد الاستنباط ، يضبط كل أمام بهذه القواعد إدراك الحكم الشرعى على قدر بصيرته وغاية جهده :

– فكتب الإمام أبو يوسف ، وصاحبه الإمام محمد بن الحسن الشيباني جملة من تلك القواعد .

– وأشار إلى قدر منها في موطأ الإمام مالك بن أنس .
فكانت تلك الكتابات المبدئية المختلطة بالفقه مرحلة المولد لعلم أصول الفقه الإسلامى من غير أن يكون له الاسم الرسمى المشهور به حالياً ، أو له كتاب خاص بقضاياها وحده .

ثالثاً : النمو

فلما كان الإمام الثبت محمد بن أدریس الشافعى رضى الله عنه تطور به المولد إلى علم مستقل كامل أملتة ظروف الحياة في ذلك العصر الذى هاجم فيه الملاحدة كتب السنة ، وأسرف المتشرفون بالكلام في موضوعات تفاضل بين تقديم القياس على خبر الواحد . . . إلخ .

فانبرى لهم الإمام الشافعى كمنافع عن مصادر التشريع الإسلامى ومدافع عن حياض

السنة ، وينابيع الثقافة الإسلامية ، ووسائل إدراك الحكم الشرعى فإن الشريعة الإسلامية شريعة الحياة مدى الأجيال البشرية ؛ والأزمان كلها ، وجوهر عالميتها ، واستمرارها هو : القرآن والسنة ، وغلاف هذا الجوهر هو : ضوابط إدراك الحكم الشرعى التى تضمن للتشريع الإسلامى السلامة من اتباع الزيغ ، وشطط الأهواء فى عملية الاجتهاد . فيتبع الناس باسم الحق أهواء الضلالة والذين يضلون . . . فيتدرب المجتمع على جحود الشمس وهى فى كبد السماء .

فجمع الله بجهود الشافعى مدخرات الأولين من العلماء ، وصنف فيه المراجع العلمية الأمانة وسماه « أصول الفقة الإسلامى » فكان بدء ازدهار التصنيف والكتابة فى هذا العلم الذى يمنع الله به ضلالة الفكر عن الصراط المستقيم ، لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ؟ وأول ما وصل إلى الفكر الإسلامى من مادة علم أصول الفقة هو ما دونه الإمام الشافعى ومن قبل كانت المادة مجموعة من القواعد منشورة فى ثنايا قضايا أحكام الفقه على أنها أدلة إدراكها ليلمح منها المسلم أصل الحكم الشرعى فجزاه الله وجزى معه السابقين من أئمتنا خير الجزاء على ما قدموه من علم يحرس الله به مستقبل شريعته وينفع به من يشاء من عباده السالكين إليه طريق المحجة البيضاء .

رابعاً : من ثمار النمو

ثم انفتح باب التدوين والكتابة فى علم الأصول حتى كانت له ثمار جمة الأنواع والتصانيف كان فى مقدمتها :

١ - رسالة الإمام الشافعى التى تكلم فيها عن القرآن ، وعن السنة ومنزلتها من القرآن وتكلم عن الناسخ والمنسوخ ، وعن علل الحديث والإجماع ، والقياس ، وخبر الواحد . . .
٢ - ومن بعده تتابع المنافعون عن الشريعة : فكتب الإمام أحمد بن حنبل فى موضوعات أصول الفقة ثلاثة كتب : كتاب طاعة الرسول ﷺ وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب العلل .

٣ - ثم انهمر سيل الفكر : فكتب علماء الأحناف وأطنبوا فى الكتابة والتحقيق بمنهج خاص لهم .

وكتب معهم علماء علم الكلام وعمدوا إلى تحقيق المسائل الأصولية بمنهج خاص لهم فورث الفكر الإسلامى منهجين :

المنهجان :

(١) أما الفقهاء :

فقد تناولوا قضايا أصول الفقه بالشرح والتحليل المبني على الاستشهاد من قضايا الفقه كتطبيق عملي للقاعدة مع فرعها المنبثق منها ، فهم يذكرون القواعد الأصولية أولاً ثم يأتون بأصل الدليل من مصدره الأمين : القرآن والسنة ، ثم يفسرون كيفية إدراك واستخراج واستنباط الحكم الفقهي من دليله الأصلي بناء على قاعدته الأصولية .

(ب) أما المتكلمون :

فقد ارتفعوا بقضايا الأصول عن موطن التطبيق ، فبحثوا قضاياها مجردة عن الفروع الفقهية مكثفين بالاستدلالات العقلية ، والبرهنة الفكرية .

٤ - ومن موارث الثمار ، وكتائج لطريق المنهجين سلك العلماء فيما بعد طريقة التألف :

(١) فعلى طريقة الفقهاء كتب جمع من علماء الأحناف منهم :

- أبو بكر الرازي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ

- أبو زيد البدسي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

- شمس الأئمة السرخسي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ

- فخر الإسلام البزدوى المتوفى سنة ٤٨٢ هـ

(ب) وعلى طريقة المتكلمين كتب جمهرة من علماء الشافعية ، منهم :

- أبو الحسن البصري المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (كتاب المعتمد)

- أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (كتاب البرهان)

- أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (كتاب المستصفى)

خامساً : مرحلة الجمود والتعقيد

لم يكن علم أصول الفقه مادة علمية هدفها ذاتها ؟ نعم الفقه مادته من حيث هو علم الأحكام السلوكية التي تين للناس الطريق السوي إلى الله ولكن أصول الفقه ليس بهذه المثابة ، بل هو قواعد وآلات تسعف المجتهد في إدراك الحكم الشرعي من مصدره الأساسين : القرآن والسنة .

إنه في أدق مداركه : منهج الإمام المجتهد ، وهو وحده الذى يملك أن يقرر القواعد الأصولية التى يحتاج بها ، يزيد أو ينقص منها ، ذلك لأنه هو وحده المسئول أمام الله عن نتائج بحثه التى يترتب عليها عبادة الناس لله رب العالمين ، فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ومعنى هذا : أن الخلف غير المجتهدين إنما حظهم من أصول الفقه والنظر في قواعد الاحتياط ووسائله هو التعلم ، وإدراك الدقة العلمية التى ضبط بها العلماء الأول عملية الاستنباط ليحصل من التابعين لهم التبجيل وفاء لما بذلوه لوجه الله من جهد هو عليهم ضريبة ، وهم من الله منحة ، دون أن يزيد الاتباع فيه شيئاً بالتقرير أو بالحاشية ، إذ رأى غير الإمام في قواعد الأصول ليس بذى معنى وليس بذى غاية .

وإذا تجاوزنا نحن الاتباع حد هذا الحق إلى الزيادة أو الاختزال ، أو الاختصار فقد عقدنا الأمور ، وصعبنا السهل ، وأظلمنا النير دون ما فائدة أو حسنة ، وذلك هو ما منبت به دراسات أصول الفقه التى هى في جوهرها « منهج المجتهد في استنباط الحكم الشرعى » ولكن الخلف من بعد الرعيل المجاهد تدخلوا بالرأى : تقريراً ، وتحشية وتخطئة ، وتصويباً . . . إلخ فأطالوا في شرح المختصرات ، واختصروا شروح المطولات وجمعوا الكتب في مختصر ، واختصروا المختصر في مختصر آخر حتى خفيت المعاني بين أحجار العبارات التى عجت بها - في غير تسلسل وأنسياب - كتب الأقدمين -

وكان ذلك نتيجة للمرض الفكرى الذى أصيب به الشرق الإسلامى بعد الانتكاسات السياسية ، والاجتماعية ، التى اعيت الفكر ، وأذبلت العزيمة ، وأضعفت الإرادة ، وثبطت الهمة .

فكان من محاصيلها مجموعة من المختصرات ، والمجموعات لما سبق من التصانيف والتآليف ومن بين ذلك :

- ١ - اختصر النسفى م ٧٩٠ هـ كتاب فخر الإسلام البزدوى م ٤٨٢ هـ
- ٢ - واختصر صدر الشريعة م ٧٤٧ هـ كتاب البزدوى ، وكتاب ابن الحاجب في كتاب واحد سماه « التنقيح » ثم شرحه هو بكتاب سماه « التوضيح »
- ٣ - واختصر الرازى م ٦٠٦ هـ ثلاثة كتب في كتاب واحد :

الكتب الثلاثة هي :

البرهان لإمام الحرمين « الجويني » .

المعتمد لأبي الحسن البصري .

المستصفى للإمام الغزالي .

وسمى هذا المختصر من هذه الكتب الثلاثة « الحصول » .

ثم جاء من بعد ذلك محمد بن الحسن الأرموي م ٦٥٦ هـ فاختصر الحصول في كتاب سماه « الحاصل » .

ثم جاء من بعده القاضي عبد الله البياضى م ٦٥٨ هـ فاختصر الحاصل في كتاب سماه « المنهاج » .

فانظر كيف تختصر ثلاثة كتب في كتاب واحد ، ثم يختصر الكتاب الواحد هذا في كتاب آخر ، ثم يختصر هذا الأخير في كتاب آخر ؟

كيف يفى مختصر المختصر من المختصر الأول بمواد واحد من الكتب الثلاث بله كلها أجمع ؟

يعنى : كيف يفى المنهاج الذى اختصره القاضي البياضى من الحاصل الذى اختصره الأرموي ، الذى هو مختصر من الحصول الذى هو مختصر من الكتب الثلاثة الكبرى : المعتمد ، البرهان ، المستصفى ؟

وعلى نفس الطريقة يلخص سيف الدين الآمدى م ٦٤١ هـ الكتب الثلاثة السالفة في كتاب سماه « الأحكام في أصول الأحكام » .

ثم يأتي ابن الحاجب المالكي م ٦٤٥ هـ ويختصر كتاب الآمدى في كتاب سماه منتهى الوصول ، ثم اختصره هو بنفسه مرة ثانية في كتاب سماه « مختصر المنتهى » .

وتختتم الحلقة بمختصر تاج الدين السبكي م ٧٧١ هـ الذى سماه « جمع الجوامع المشهور بالتعقيد والصعوبة وخفاء المعنى في بطون أمهات الكتب التى جمع منها وهى : كما يقول هو - تزيد على السبعين كتاباً » .

وبهذه المرحلة يتجمد البحث في علم أصول الفقه الإسلامى اللهم إلا رسائل جديدة في بعض قضاياها ألقت على نمط الإحصائيات التاريخيه أو على نمط التفلسف والتبحر في بعض قضاياها .

وآخر أبحاث موضوعية معاصرة قدمها فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور

إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في المؤتمر الأول لعلماء المجمع في عام ١٩٦٤ م وكذلك أبحاث قدمها لقيف من كبار العلماء منهم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن الوكيل السابق لمشيخة الجامع الأزهر وفضيلة الشيخ الوزير السابق محمد فرج السنهوري . على بدء نعود :

وإن وظيفتنا هنا هي أن نعود بعلم الأصول إلى غايته حتى نقف على أسس البحث الفقهي عند السابقين من أئمتنا فنشرحها كما حققها الأئمة على أنها قواعد منهج تضبط علمية استنباط الحكم الشرعي دون ما زيادة منا أو تعمق « حشوجي » أو اتباع لمن زاد واطنب . أما من وهبه الله طهرًا في القلب ، وإخلاصًا في النية ، وعلمًا واسعًا بالقرآن والسنة وصح منه العزم ، ورغب في الله ورسوله وجهاد في سبيلها فليتبوأ مقاليد هذه الخطوة وليضف للقواعد ما أطمأنت إليه نفسه حتى ينافع عن الدين بالسلطان والخبرة والعلم والحكمة فإن النبي ﷺ قد تفاعل لهذه الأمة أن يحيا فيها طائفة تجدد الدين للناس وتحمي الشريعة من البلاء النفسى يقول ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وهو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أن الأمر دين يصاب فيه أضرار ويؤدي فمن استأنس واستبرأ لعرضه ودينه فليخضعها على بركة الله فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر ، ولكل درجة .

دكتور

رءوف شلبي

فهرس العدد

الصفحة

- موقف الإسلام من الفلسفة
 ٢٩٣ فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر
 نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة
 ٣١١ العلامة أبو الحسن الندوى
 الإسلام والمدنية الحديثة
 ٣٢١ العلامة أبو الأعلى المودودى
 من ضيق الوطنية المحلية إلى سعة الإسلام
 ٣٢٩ الأستاذ / أحمد حسين
 دراسات قرآنية « الزواج طمأنينة ومودة ورحمة »
 ٣٣٥ الشيخ / مصطفى محمد الحديدى الطير
 فى مواجهة الإلحاد المعاصر
 ٣٤٤ دكتور يحيى هاشم
 الإسلام فى التجربة التاريخية
 ٣٥٥ الأستاذ / زاهر عزب الزغبى
 التكنولوجيا وسيلة إلى الإيمان
 ٣٦٦ دكتور / حسن محمد الشرقاوى
 مبادئ فى القيادة من هدى النبى
 ٣٧٠ اللواء / محمد جمال الدين محفوظ
 وقفة على مشهد
 ٣٧٥ الأستاذ / السيد حسن قرون
 اختلاف رأى بين الشطط والاعتدال
 ٣٨٠ دكتور / محمد رجب البيومى
 نظرات حول الترادف اللغوى
 ٣٨٦ دكتور / توفيق محمد شاهين

- الشاغبون على السنة دعاة باطل لا دعاة حق
- ٣٩٤ الشيخ / محمد نجيب المطيعي
- الخلق الجنسي في الإسلام
- ٤٠١ التحرير
- متى نكون أمة صالحة
- ٤٠٦ للعلامة المرحوم / محب الدين الخطيب
- من قضاة الإسلام : كعب بن سور الازدي
- ٤١٢ دكتور فؤاد عبد المنعم
- نبي الإسلام كما يراه الجنرال ر. ف بودلي
- ٤١٨ التحرير
- مقترحات لإذاعة القرآن الكريم
- ٤٢٤ دكتور عبد الودود شلبي
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟
- ٤٣٢ الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي
- مسئولية القادة
- ٤٥٢ فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي
- مدخل إلى الشخصية الإسلامية
- ٤٦٢ الأستاذ / طه محمد كسبة
- مع العارفين « ميمون ابن أبي شهاب
- ٤٧٢ التحرير
- أخطاء شائعة
- ٤٧٥ الأستاذ / عباس أبو السعود
- باب الفتوى
- ٤٩٢ الأستاذ / عبد الحميد شاهين
- كتاب الشهر « منهج العلماء في ضبط إدراك الحكم الشرعي .
- ٤٩٧ الدكتور / رؤوف شلبي

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

عدد
٢٢٦

العتوان
إدارة الازهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢٢
٩٠٥٩١٤٤
٩٠٥٥٠٦

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْغَرْبِ

مجلّة شرعية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عزري

مدير التحرير
والإدارة
الدكتور
عبد الوود وحليبي

الجزء الثالث - السنة الخمسون - رجب ١٣٩٨ هـ - يونيو ١٩٧٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام والغرب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر

ووجدانا ؟ ..
وما السر في عدم أخذ الأوربيين بهذا
الدين ، وعدم اعتناقهم له في سرعة
سريعة ، وفي كثرة هائلة ؟ ..
الواقع أن العوامل التي تمنع الأوربيين
من اعتناق الإسلام كثيرة قوية ، ومن
المؤسف أن بعض هذه العوامل يرجع إلى
المسلمين أنفسهم ، ولنتحدث أولا عن

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله
رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد :
فإن الإسلام واضح جلي ، وتعاليمه
سهلة ميسورة ، تنسجم مع العقل والمنطق ،
وإذا كان الأمر كذلك ، فما الذي يمنع
الغربيين من الدخول في الإسلام زرافات

العوامل الخارجية عن الإسلام والمسلمين .

١ - وأول هذه العوامل هي الكنيسة :

لقد أتقنت الكنيسة فن النظام ، فلا ارتجال فيها ، كل شيء فيها معد مرتب منسق ، قد بحث عن رويّة وأُعدَّ إعدادا تاما . .

وكان ممّا أعدّته مشروعات كبيران أحدهما : للتبشير . والثاني : لصد الهجوم عن الديانة المسيحية .

أما فيما يتعلق بالتبشير ، فإنه من الأوليات عندها ، أن يعرف المبعوث لغة المرسل إليهم ، ويدرس عاداتهم ، وتقاليدهم ، وديانتهم ، ومواطن الضعف فيهم ، والوسائل التي تجذبهم ، وأن يعلم فضلا عن ذلك ، بعض مبادئ الطب ، ويعلم قبل ذلك وبعده كيفية الهجوم على الديانة المتوطنة . وكيفية الدعوة لديانته ، أما المشروع الآخر وهو الذي يعنينا - على الخصوص - هنا ، فهو على الخصوص يتركز في دراسة مستمرة متجددة في أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين في ذلك .

وما نشر من أضراليل عن الإسلام لا يُحصر ولا يُعَدّ ، إنها أضراليل تنشر متتابعة متكررة ، تتردد في صور مختلفة ، وينتهي بها التكرار والترديد إلى إيمان من تنشر عليهم بها ، وتبلغ بهم الصفاقة إلى أن يعكسوا الحقائق عكسا تاما ، فالدين الإسلامي

مثلا ، وهو دين التوحيد الخالص ، ودين التنزيه التام ، يشيعون عنه أنّه دين عبادة الأوثان . .

ويكررون ذلك في مختلف الأمكنة والأزمنة ، وينتهى المسيحيون بالاعتقاد بأن هذا الدين إنما هو : عبادة الأوثان .

وهكذا تسير الدعاية تضليلا وتشويها وعكسا للحقائق .

ومن أهم الوسائل أيضا لتحسين المسيحية مايسمونه نظام الحرمان من الدين المسيحي ، وهو نظام بمقتضاه يسهل على الكنيسة أن تحرم قراءة أى كتاب ترى فيه خطرا على المسيحية ، سواء كان هذا الكتاب هجوما عنيفا على المسيحية ، أو دعاية بارعة للإسلام ، أوحى نطا ممتازا من الدعاية القوية لسعة الأفق وتحرير الفكر .

وقد استعملت الكنيسة هذا الحق في شأن كثير من الكتب الممتازة ، واستعملت هذا الحق أيضا في شأن كثير من الكاتين ، وكان موقفها من كل كاتب لا يمكنها أن تستولى عليه - بوسيلة الرغبة أو بوسيلة الرهبة - أن تحرم قراءة كتبه ، وأن تحرمه هو من رحمة السماء .

عند الكنيسة إذن : الرغبة والرهبة . عندها المال ، وعندها الحرمان .

٢ - على أن الأسباب التي ترجع إلى

والأخرى فيها كلُّ شيء ، وتلك هي كفة
المسيحيين بالنسبة للمسيحية .

وسبب ثانٍ تحدث عنه جمال الدين
الأفغانى ، وكان يرى أنه أقوى الأسباب ،
ذلك هو حالة المسلمين .

وكثيرا ما قال جمال الدين : إن الغربيين
يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد
رؤيتهم للمسلمين ، فإنهم يرون المسلمين
متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكينين ، قرقت
بينهم الأهواء والشهوات وقعدت بهم
الصغائر ، وانصرفوا عن عظام الأمور ،
وأصبحوا مستعبدين مستذلين ، ولو كان
الإسلام ديناً قوياً لما كان المسلمون هكذا . .
ينظر الغربيون إلى المسلمين فى العصر
الحاضر ، وينسون شيئين :

ينسون أن المسلمين فى العصر الحاضر
غير مستمسكين بالإسلام ، وتكاد الصلة
التي بينهم وبينه تكون مجرد صلة اسمية ،
وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام كانوا
مستمسكين بالإسلام ، وأيام أن كانت
الدنيا لهم .

ولعل المسلمين يعودون إلى دينهم صافيا
نقيا ، ويستمسكون به فيكونون مرآة حقيقية
يتمثل فيها الإسلام قويا ساميا .

وآداب الإسلام حقيقة كفيفة بأن تجعل
من المسلم رجلا قويا مهذبا كريم النفس ،
ولكن المسلمين ابتعدوا كل البعد عن

المسلمين ، لاتقل خطرا عن الكنيسة !
إن أية دعوة مهما كانت من السموم
لا يمكن أن تجذب إليها الأنصار إلا إذا كان
تأثير دعايتها . . وقد أخذت الدعاية فى العصر
الحديث مكانا يجعلها فى الدرجة الأولى من
الأهمية .

ويعرف ذلك المسلمون ، يعرفه تجارهم
ورجال الأحزاب منهم ، ويعرفه كل
مثقف ، ولكنهم لا يعملون به فيما يتعلق بنشر
الإسلام .

أين دعائنا فى الشرق أو الغرب . أين
مبعوثونا . أين الدعاة منا ؟

لاشئ من ذلك مطلقا ، ومن المعروف
أن مبعوثى الحكومة ومبعوثى الأزهر إلى
الأقطار الخارجية : إنما بعثوا لتعليم الحساب
والخط والإملاء واللغة العربية فى مدارس
إسلامية ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية ،
ليس لنا فى الخارج قط مبعوثون ، وإذا كان
الدين الإسلامى ينتشر فإنما ينتشر بقوته
الذاتية ، رغم الهجوم عليه ، ورغم
العقبات التى تعترض طريقه .

ولنقارن ذلك كله بالإرساليات
التبشيرية ، ومن أمامها ومن خلفها :
المستشفيات والملاجئ ، والمدارس
والمعاهد ، والمال يُغدق ، والوظائف تُهَيَّأ ،
ولنتصور كفى ميزان إحداها لاشئ فيها
وتلك هي كفة المسلمين بالنسبة للإسلام ،

الإسلام .

ولنتخذ مثلاً بسيطاً ، مسألة النظافة . .
لقد دعا الإسلام إلى النظافة دعوة لم يدعها دين من الأديان ، ولم يدعها مذهب من المذاهب قديماً أو حديثاً ، ولكن إذا نظرنا إلى الأقاليم ، الإسلامية أو إلى الأحياء الإسلامية ، وقارناها بالأقاليم أو الأحياء الأخرى ، نجد الفرق واضحاً ، سواء كنا في مصر ، أم في تونس ، أم في مراكش ، أم في غير ذلك من البلدان .
ونأخذ مسألة أهم من ذلك ، مسألة اتحاد الأمم الإسلامية .

فقد دعا إليها الإسلام في صور لا حصر لها ، وبأساليب لا حدة لتنوعها ، مهدداً متوعداً تارة ، مرغباً محبباً تارة أخرى ، متحدثاً عن الثمرات المادية والدينية للاتحاد ، ومع ذلك فقد كان كل ذلك صرخة في واد ، وكأن المسلمين عن الاتحاد صم بكم عمى فهم لا يعقلون .
وخذ آداب الإسلام واحداً فواحداً ، وانظر إلى حال المسلمين .

هل تجد توافقاً وانسجاماً بين المسلمين والإسلام .

يقول جمال الدين :

« إذا أردنا أن ندعو للإسلام ، فليكن أول ما نبداً به أن نبرهن للغربيين أننا لسنا مسلمين » وسبب ثالث لعدم انتشار الإسلام

آت من المسلمين أنفسهم . .

منذ سنوات جاء أحد الأمريكان ليمكث في مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الإسلام ، واتصل بالهيئات التي تمثل الإسلام ، فبلغت الحيرة منها حيناً أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الإسلام .

ومن الطبيعي أن يتجه الذهن إلى كتب علم الكلام ، فهي كتب الدفاع عن العقيدة . . ولكن إذا نظرنا في كتب علم الكلام نجد أنها جدال لا ينتهي بين الذين يبحثون فيه ، بالزيف . وابتغاء الفتنة ، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهي .

ثم هي تصور - على الخصوص - المستوى الثقافي للعصور الوسطى ، ولانتمت بصلة إلى الأبحاث الحديثة . ومن الطبيعي أن تكون كذلك لأنها أُلِّفت في العصور الماضية ، وما أُلِّف منها حديثاً ، أُلِّف على نمطها اتباعاً للآباء والأجداد ، وبغضا للخروج عن المألوف .

وإذا لم نأخذ الدين من كتب علم الكلام فهل نأخذه من كتب التفسير ؟ .
لقد انتهى تفسير القرآن إلى أن أصبح مسرحاً يتبارى فيه التحويون واللغويون وبلاغيو العصور المتأخرة ، وغشت هذه النواحي على الهداية لما أنزل الكتاب من أجله أى الهداية للأقوام .

قال :

« خرج رسول الله ﷺ ، ونحن نتنازع في القَدَرِ فغضب ، حتى احمر وجهه ، ثم قال : أبهذا أُمِرْتُمْ أم بهذا أُرْسِلْتُ إليكم . . إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر . . عزمت عليكم ألا تنازعوا . . »

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده قال :

« خرج رسول الله ﷺ ، ذات يوم وهم يتراجعون في القدر ، فخرج مغضبا ، حتى وقف عليهم فقال : يا قوم ، بهذا ضلت الأمم قبلكم : باختلافهم عن أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصديق بعضه بعضا ، ما عرفتم منه فاعملوا به وماتشابه قَامُوا به . . وبعض الأحاديث تذكر : « فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا . . أوفغضب حتى لكأنا فُقِيء في وجهه حَبَّ الرِّمَانِ » .

وكان من الممكن لو استقامت عقول الناس ، ونزعت من قلوبهم الأهواء والشهوات أن يكتفي بنهى القرآن ، وبنهى الرسول ﷺ ، ولكن الذين في قلوبهم زيغ موجودون في العالم في كل آونة وحين ، وفي كل بيئة ومكان .

فقد أطَلَّت الفتنة في عهد عمر بن

وإذا كانت كتب الكلام قد استفاضت

في الحديث عن القدر ، مع نهى رسول الله ﷺ عنها صريحا عن الحديث فيه ، وإذا كانت قد استفاضت في الحديث عن صلة الذات الإلهية بالصفات ، إذ إنه محاولة لاكتناه الذات الإلهية التي نهينا عن التفكير فيها ، وأمرنا بالتفكير في آثارها ، وإذا كانت كتب الكلام قد تعرّضت لذلك دون جدوى ولاثمرة ، فإن كتب التفسير أيضا قد تعرضت لهذه المشاكل نفسها دون جدوى ولاثمرة .

ومما لاشك فيه أن اكتناه سر الألوهية من حيث الذات ، أو من حيث القدر ، من المتشابه الذي نهينا عن الخوض فيه . . ولكن اكتناه سر الألوهية من الأمور التي تتطلع إليها نفوس طائفة من الناس أرادوا بعقلهم الخدّد تعيين مالا يُحدّد ، وطمعوا في أن يُحدّدوا بعلمهم الجزئى مالا يحيطون به علما .

ونشاهد الاتجاه في عهد الرسول نفسه ، وكان موقف الرسول منه حاسما ، والأحاديث كثيرة مستفيضة في النهى عن الخوض في الذات أو في القدر ، ومما يروى في ذلك :

« الأمر المتكرر المتنوع بالتفكير في الخلق دون ذات الخالق حتى لانهلك »

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه

الخطاب ، رضى الله عنه ، ممثلة في صبيغ الذى كان يتكلم في القدر ، فأخذ عمر يضربه بعراجين النخل على رأسه حتى تاب ، فتركه بعد أن أدمى رأسه وقال حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنت أجده في رأسى : يريد بذلك أنه قد تاب ، وأن نزغاته قد بددتها عراجين النخل ، وذهبت مع الدم الذى سال من رأسه .

وسأله سائل عن آيتين متشابهتين ، فعلاه بالدرة .

يقول الإمام ابن قتيبة في شرح مختلف الحديث :

« . . وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله مالا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون الناس ، بالقذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم بالتأويل ، ومعاني الكتاب والحديث ، وما أودعاه من لطائف

الحكمة ، وغرائب اللغة لا يدرك بالطرفة والتولد ، والعرض ، والجوهر ، والكيفية ، والأينية . . ولوردوا المشاكل منها إلى أهل العلم لوضح لهم المنهج ، واتسع لهم الخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة .

إنَّ عَرَضَنَا الدين الإسلامى على هذا النمط من العرض ، جعل كتبنا لا يتيسر فهمها للأجانب عنا ، ولو لم يكن في الإسلام تلك القوة الذاتية التى تستولى على القلوب وتغمر الأفئدة لضاق بهذه الكتب المسلمون أنفسهم . . الإسلام إذن بحاجة إلى عرضه عرضاً سهلاً مُيسراً قوياً ، وبأساليب متنوعة وصور مختلفة حتى نتلافى هذا التقصير .

ومع كل هذا . . هل منعت هذه العوامل من انتشار الإسلام وذيوعه ؟ هذا وبالله التوفيق ،

د. عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

فصلُ البعثة المحمدية^(١)

العلامة أبو الحسن الندوي

سبحانه وتعالى لم يقل إننا أرسلناك رحمة
لجزيرة العرب ، أو للشرق أو للغرب أو
لقارة مثل آسيا مثلاً ، بل إنه قال :
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

الحق أن سعة هذا الإعلان وشموله ،
وعظمته وسعوه ، واستمراره وخلوده ، كل
ذلك يقتضى أن يقف عنده مؤرخو العالم
وفلاسفته ونوابغه وأذكيأؤه حيارى
مشدوهين ، بل يقف أمامه الفكر الإنساني
كله حائراً مشدوهاً ، وينقطع إليه كلياً
- رُدْجَةً من الزمن - يبحث في مدى
صدق هذا الإعلان ، أو صحة هذا
الواقع ، لأننا لم نجد في تاريخ الأديان
والنحل ، وفي تاريخ الحضارات
والفلسفات ، وتاريخ الحركات الإصلاحية
واختلالات الثورية ، بل في تاريخ العالم

إعلان فريد في تاريخ الرسالات
والديانات :

قال الله تعالى مخاطباً لنبيه محمد
- ﷺ - : « وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين »^(٢) هذا إعلان فريد من نوعه ، جاء
في كتاب خالد قدّر الله سبحانه وتعالى له أن
يتلى في كل مكان وزمان ، ويبلغ عدد قرائه
ملايين الملايين ، وقال عنه : « إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون »^(٣) .

إن سعة هذا الإعلان وإطاره الكبير ،
ومساحته بحساب الزمان والمكان ، تجعلان
هذا الإعلان خارقاً للعادة ، لا يمكن أن يمرَّ
به الإنسان الواعي مرّاً عابراً سريعاً ، فإن
مساحته الزمنية تحوى جميع الأجيال ،
والأدوار التاريخية التي تتلو البعثة المحمدية ،
ومساحته المكانية تسع العالم كله ، فإن الله

(١) تعريب : محمد الحسنى رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامى » .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) سورة الحجر : ٩ .

للدعوة وعطفها على الإنسانية ، فإن نبيها المسيح عليه السلام - صرح بأنه لم يبعث إلا ليرعى خراف بني إسرائيل الضالة ^(٢) .
وحين لُفِتَ نظرُهُ إلى بعض المرضى الذين لم تكن لهم صلة رحم ونسب ببني إسرائيل اعتذر وقال « إني لست ذلك الرجل الذى يعطى خبز الأولاد للكلاب ^(٣) » .

أما الديانات الشرقية والأسبوية الأخرى ، وخاصة الهندوكية فإنها لا تختلف كثيراً عن النموذج السابق ، بل إنها تسبق الديانات السابقة أحياناً فى تقديس النسب والسلالة وتوزيع الناس فى طبقات توزيعاً ظالماً جائراً . لا يعرف اللين والمرونة والمساواة ، ومن أُولَى حقوق الإنسان ، وأبسط مبادئ الإنسانية ، لا يجوز لهم تحصيل العلم ، والتعليم والتدريس ، والتطلع إلى النهضة الروحية ، فقد خص دراسة « ويدا Vida » وتقديم القرابين والنذر لآلهتهم وأوثانهم بالبراهمة فحسب ^(٤) » وكان النظر فى كتب « ويدا » ودراستها مقصوراً على فئة كاشترى والویش ^(٥) وقد صرح « منو شاستر » أن المنبوذين لم يخلقهم الله إلا

كله ، وفى المكتبة الإنسانية بأسرها مثل هذا الإعلان المحبط بالكون كله ، والأجيال البشرية كلها ، والأدوار التاريخية بأجمعها حول أى شخصية من شخصيات العالم ، حتى إن خلاصة تعاليم الأنبياء السابقين ، ونبذة من أحوالهم وسيرتهم التى وصلت إلينا هى أيضاً مجردة عن مثل هذا الإعلان .
أما اليهودية - وهى ديانة قديمة مشهورة - فإنها تنظر إلى الله كـ « رب بنى إسرائيل » ، وإله بنى إسرائيل فى الغالب . . إن صحف العهد القديم ، والكتب المقدسة الدينية عند اليهود تخلو عن ذكر الله (كرب العالمين ورب الكون بتاتاً) ، ولذلك فالبحث فى سيرة نبي من أنبيائهم مثل موسى وهارون . أوداود وسليمان ، عن مثل هذا الإعلان ، عبث وإضاعة وقت ، فإن هذه الديانة لم تكن - فى أى مرحلة من مراحلها - رسالة رحمة ومساواة للجبل الإنسانى كله من غير تمييز عنصري ، ولم تشجع فيها الدعوة إلى هذه الديانة خارج شعب إسرائيل أبداً ^(١) .
أمّا المسيحية التى عُرِفَتْ بتسامحها وحماستها

(١) انظر للتوسع والتفصيل فى هذا الموضوع كتاب المهتدية الأمريكية الفاضلة مريم جميلة :

(٢) إنجيل متى ، الإصحاح ١٥ - فقرة ٢٤ ، الإصحاح ١٠ - فقرة ٦ - ٧ .

(٣) متى الإصحاح ١٥ - فقرة ٢٦ .

(٤) منو شاستر : الباب الأول - ٨٨ .

(٥) الباب الأول - ٨٩ - ٩٠ .

جديدة من الحياة والنشاط ، وكانت السبب المباشر في شفائها من أسقامها وعلاقتها وفي حل معضلاتها ، ونهاية آلامها وأحزانها وهطول أمطار الرحمة والبركة ، واليمن والسعادة ، والخير والفلاح على أرضها الخدبة القاحلة وكانت هذه المعطيات المحمدية الغالية منقطعة النظر بحساب السعة والوفرة ، والحجم والكمية (Quantity) وبحساب النفع والإفادة والجوهر والکیفیه (Quality) أيضاً .

« الرحمة » لفظ شاع استعماله في حياتنا اليومية ، وهو يطلق على كل شيء ينال به الإنسان نفعاً وراحة . . أما أنواع الرحمة وأقسامها ، درجاتها ومدارجها فلا حصر لها ، يقدم أحدها الماء البارد إلى أخيه العطشان ، ويدلّ المسافر والغريب على الطريق ، ويحرك له المروحة في يوم صائف ، شديد الحر ، والأم تحنو على طفلها ، الأب يرى ولده ويعلمه ويزوده بحاجيات الحياة ، والمدرس يعلم تلاميذه ، ويمنحهم ما عنده من نعمة العلم . . وهكذا إطعام الجائع المسكين ، وإكرام الضيف ، وكساء العريان . . كل ذلك من مظاهر الرحمة العامة وألوانها المختلفة الزاهية ، وهي تستحق منا كل تقدير ، واعتراف وشكر .

لغرض واحد ، وهو خدمة الطبقات الثلاث التي مضى ذكرها^(١) . . إن أهل الهند القدامي لم يكونوا يعرفون وراء جبال «هماليا» دنيا ولا صلة لهم بالعالم الخارجي ، وبالشعوب الأخرى ، ولا رغبة لهم في الإطلاع عليها . . لذلك فإن البحث عن مثل هذا الإعلان عن نبيٍّ أو وليٍّ أو مصلح فيهم عبث وإضاعة جهد ووقت ، الحقيقة أن البحث عن نبي يكون رحمة للعالمين في ديانة لا تحمل عقيدة «رب العالمين» غير معقول وغير منطقي .

قيمة الرحمة التي اقترنت بالبعثة المحمدية كمّاً وكيفاً :

إنّ لتقدير شيء ووضعه في محله المناسب ومكانه اللائق مقياسين بصورة عامة : الأول : مقداره وحجمه الذي يعبر عنه في المصطلح الحديث بالكمّ (Quantity) والثاني جوهره ووصفه الذي يقال له الكيفية (Quality) . . وهذا الإعلان الذي نادى به القرآن يشمل هذين النوعين ، ويجمع بين الناحيتين . . فإن بعثته - ﷺ - وشخصه العظيم وتعاليمه السامية الخالدة أفاضت على الإنسانية بمسحة

هذا شاب يافع ، قرة عين أبويه ،
وكفيل عائلته الفقيرة قد أشرف على الغرق
في نهر فائض ويحاول أن يطفو على الماء ،
ولكن بدون جدوى ، فيقفز إليه رجل مجازفاً
بحياته ، ويأخذ به إلى ساحل النحاة ،
فيحمله رب الأسرة أو إخوة هذا الشاب ،
على أعناقهم ويضمونه إلى صدورهم ،
بحرارة وحب ، ولا ينسون فضله على أسرته
الصغيرة مدى الدهر؟ ترى هل تساوى
مظاهر الرحمة الأولى ، هذه الرحمة
العظيمة الغالية ؟ .

البعثة المحمدية أنقذت الجيل البشرى
من الشقاء والهلاك :

ولكن آخر مظهر من مظاهر الرحمة
وقتها وذورة سنامها ، هي أن ينقذ رجل
الإنسانية كلها من الهلاك ، وهناك فرق
عظيم بين هلاك وهلاك ، وبين خطر
وخطر ، ذلك هلاك محدود سطحي وخطر
عابر قد يزول ، وهذا هلاك أبدي . وخطر
مستمر لا يزول . لذلك فإن رحمة الأنبياء
بالنوع البشرى لا تقاس أبداً على هذه
الرحمات ، رغم أهميتها وعظمتها .

إن أماننا بجرأ هائجاً مأجاً من الحياة لم
يلتقم الأفراد والآحاد فحسب ، بل إنه
ابتلع الأمم والبلاد ، وهضم الحضارات
 والمدنيات ، ترتفع أمواجه العاتية الهائلة ،

ولكن أكبر مظهر من مظاهر الرحمة ،
وأروع صورة من صورها الجميلة أن ينقذ
أحدنا أخاه من محالب الموت . . هناك طفل
صغير برىء نراه في حالة الاحتضار كاد
يلفظ نفسه الأخير ، والأم تقف إلى جواره
تبكى ، قد أظلمت الدنيا في ناظرها ،
وانقطع أملها في فلذة كبدها ومأوى حنانها
وحبها ، والأب يسعى هنا وهناك هائماً على
وجهه ، فلا يجد راقياً وأنيساً . . هنالك
يأتى طبيب حاذق ، كما ينزل الملك من
السما ويقول مهلاً . . لا داعى للقلق
ولا موجب لليأس ، ولا يلقى في فم الطفل
قطرات قليلة من الدواء حتى يفتح عينيه
وينشط . . . تصور ماذا يقال لهذا
الطبيب ، ألا يقال له إنه ملك الرحمة
أرسله الله لإنقاذ هذا الطفل ، وإعادة
الحياة إليه ، هنالك تتلاشى كل هذه
الأنواع من الرحمة التى قدمناها أولاً ،
وتدوب أمام هذا المظهر الرائع الأخاذ من
الرحمة ، إنها ليست مِنَّةً على الطفل فقط ،
بل على أسرته كلها .

نرى أعمى يمشى متوكئاً على عصاه ،
قد شارف هوة عميقة أو بئراً ، قد تكون
خطوته التالية خطوة الموت ، فيهرول إليه
عبد من عباد الله ويأخذ بيده ويمنعه من
الوقوع في هذه الهوة . . أفلا نسميه ملك
الرحمة ؟ .

إنها الجهل عن خالق هذا الكون ورب العالمين ، وعن صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى والوقوع في حبائل الشرك والوثنية ، وعبادة الأصنام ، والاسترسال مع الخرافات والأوهام . . إنها بلادة حس الإنسانية ، وذووها عن نفسها ، وغفلتها عن خالقها وبارئها .

إنها عبادة المادة والمعدة ، وتعدى الحدود ، وانتهاك الحرمات ، وسؤرة النفس الأمارة بالسوء ، والتهرب من أداء الواجبات والحقوق ، والإصرار على المنافع والحظوظ . .

إن أكبر خطر على الإنسانية أن يحدث في بنائها خلل ، وتحد لبنتها الأساسية عن مكانها الصحيح ، فينسى الإنسان قيمته ومداركه ، وغاية حياته ، ويظن نفسه ذنباً مفترساً أو أفعى أو ثعباناً ، فحين يذهل الإنسان عن هذه الحقائق الكبرى يتحول بحر هذه الحياة إلى نار متأججة ، وهب مرتفعة ، هنالك يزرد الإنسان أخاه ، ويفترسه ، ولا يحتاج إلى الثعابين ، والعقارب ، والذئاب ، والفهود . فقد ينقلب الإنسان أكبر ذئب في هذه الغابة الإنسانية . . تحجل أمامه ذئاب ، ويتحول شيطاناً مارداً ، تستحي منه الشياطين ، هنالك يحترق الإنسان ، ويشوى في ناره التي أشعلها بنفسه ، ولا يحتاج إلى أن

كأفواه التماسيح الفاغرة ، وتنقص على الجماعات البشرية كالأسد الضارى ، والمشكلة أنه كيف نعبر هذا البحر الهادر الزاخر الذى لا يعرف الرحمة ، وكيف ننزل بسفينة الإنسانية على بر الأمان ، ولا يكون صاحب الفضل الأكبر في هذا الخيال ، ولا يعتبر أكبر منقذ للإنسانية وصاحب المنّة عليها ، والإحسان إليها إلا من يجدف هذه السفينة ، التي تلعب بها العواصف الهوجاء ، والأمواج الهائلة كالجبال ، والتي غصّت بركابها ، وغاب الملاح والربان ثم يوصلها بسلامة إلى ساحل النجاة .

إن النوع البشرى شاكر هؤلاء الذين منحوه هدية العلم ، ويشكر هؤلاء الذين جمعوا له هذه الأكداس من المعلومات . ويشكر الذين هياؤا له كل هذه التسهيلات وزودوه بوسائل الراحة والرخاء ، زلّوا صعب الحياة ، واقتحموا عقباتها وشعابها ، إنه لا يبخل حق أحد من هؤلاء ، ولا ينكر فضلهم عليه ، ولكن قضيته الكبرى ، ومشكلته الأولى هي أنه كيف ينقذ نفسه من أعدائه الذين وقفوا له بالمرصاد ، وأحاطوا به من كل جانب ، وكيف يصل بسفينته إلى بر السلامة والأمان .

فما هي أمواج هذا البحر ، وما هي تماسيحه الضارية الشرسة ؟

وتكلم ثالث (شاطر) فقال : ولكنى متأكد من أنك درست الجغرافية والتاريخ ؟ فقال : هل هما إسمان لبلدين ، أو علمان لشخصين ؟

وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحه ، وعلا صوتهم بالقهقهه ، وقالوا : ما سنك يا عم ؟ قال أنا في الأربعين من سنى - قالوا : لقد ضيعت نصف عمرك يا عمنا . . وسكت الملاح الأُمى على غصص ومضض ، وبقي ينتظر دوره والزمان دَوَّار .

وهاج البحر وماج ، وارتفعت الأمواج ، وبدأت السفينة تضطرب ، والأمواج فاغرة أفواها لتبتلعها ، واضطرب الشباب فى السفينة - وكانت أول تجربتهم فى البحر - وأشرفت السفينة على الغرق .

وجاء دور الملاح الأُمى ، فقال فى هدوء ووقار : ما هى العلوم التى درستموها يا شباب ؟ وبدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم والآداب التى درسوها فى الكلية ، ويتوسعون فيها فى الجامعة ، من غير أن يفتنوا لغرض الملاح الجاهل الحكيم . . ولما انتهوا من عدّ العلوم المربعة اسماءها ، قال فى وقار تمزجه نشوة الانتصار : لقد درستم يا أبنائى هذه العلوم الكثيرة فهل درستم علم السباحة ؟ وهل تعرفون إذا

يستوردها من الخارج . فى هذه الفترة الرهيبة المظلمة تهب نفحة من نفحات الرحمة الإلهية ، وتنعش رفات الإنسانية الحامدة الهامدة ، وتزودها بملاحين يجدفون سفينها بنجاح ومهارة .

مهمة النبوة ودورها فى الإنقاذ والإسعاد وطبيعة عمل الأنبياء :

وأضرب - لتوضيح مهمة النبوة ، وطبيعة عمل الأنبياء مثلاً سوف نفهم به مهمة النبوة وموقفها من غير دلائل فلسفية دقيقة .

يُحكى أن فريقاً من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة فى البحر ، أو للوصول إلى البر . . وكان فى النفس نشاط وفى الوقت سعة ، وكان الملاح المجدف الأُمى خير موضوع للدعابة والتندر ، وخير وسيلة للتلهى ، وترويح النفس ، فخطبه تلميذ ذكى جرىء وقال : يا عمّ ماذا درست من العلوم ؟ قال الملاح : لا شئ يا عزيزى - قال : أما درست العلوم الطبيعية يا عمى ؟ قال ، كلا وما سمعت بها .

وتكلم أحد التلاميذ ، فقال : ولكنك لا بد درست علم الإقليدس والجبر والمقابلة - قال : وهذا أغرب ، وتصدقون أنى أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة .

غرقت لأن الإنسان أعد نفسه للانتحار ،
إنه صار معولاً هداماً لذلك البناء الذى فيه
متاعه وأهله ، إن التاريخ يدلنا على أن
الفكر الإنسانى أصيب فى كثير من الأحيان
بنوبات عصبية دفعته إلى التدمير ، والإبادة
بدلاً من التعمير والبناء ، فقد رأينا مستغربين
مأخوذين بالحيرة والدهشة ، ورأينا بأم
أعيننا - ونحن لانكاد نصدق هذا الواقع
لهول المنظر وبشاعة الوضع - أن الإنسان
قام بهدم أساسه بكل قوة وحماس ، ذلك
الأساس الذى قام عليه صرحه الحضارى ،
والفكر العظيم.. وظل مشتغلاً بهذه العملية
الجنونية بكل شوق ورغبة كأنها عملية بناءة
ومأثرة إنسانية رائعة وخدمة ممتازة ، وصار
يلح على الوقوع فى خندق الموت ، وقد
تملكته السامة من الحياة ، واستبد به الشوق
إلى الهلاك كأن الحياة عذاب وجحيم ،
والهلاك جنة ونعيم .

تصوير العصر الجاهلى وتبؤه للإنهيار
والانتحار :

ذلك الوضع الذى ساد على العالم فى
القرن السادس المسيحى . فإننا نجد هناك
استعدادات عامة للانتحار الاجتماعى
العام ، لم يكن النوع البشرى فى ذلك
الزمان راضياً بالانتحار فحسب ، بل كان

انقلبت هذه السفينة - لا قدر الله - كيف
تسبحون وتصلون إلى الساحل بسلام ؟
قالوا : لا والله يا عم ، هو العلم الوحيد
الذى فاتتنا دراسته والإلمام به .

هنالك ضحك الملاح ، وقال إذا
كنت ضيعت نصف عمرى ، فقد أتلفتم
عمركم كله ، لأن هذه العلوم لا تغنى
عنكم فى هذا الطوفان ، إنما كان ينجدكم
علم وحيد هو علم السباحة الذى تجهلون^(١) .
هذه مهمة النبوة ودورها فى إنقاذ
البشرية المشرفة على الغرق ، وهذه طبيعة
عمل الأنبياء والرسل ، وامتيازه عن سائر
أصناف التعليم والتربية ، والترويح
والتسلية ، يمنحون الجيل البشرى (علم
النجاة) ويعلمونه فن السباحة ، وتجديف
سفينة الحياة .

إن التاريخ الإنسانى يدل دلالة واضحة
على أنه لما غرقت سفينة الحياة لفساد أخلاق
الناس وسوء أعمالهم ، غرقت بكل ما فيها
من مجموعة بشرية ، ورصيد حضارى ،
ومحصول فكرى وإنتاج علمى وفلسفى . .
وبكل ما فيها من روائع الشعر والأدب
والبيان . . وإن هذه السفينة لم تغرق أبداً
من أجل الانحطاط الأدبى ، وقلة المدارس
والجامعات ، وفقدان التعليم المالى ، أو من
قلة المال وانخفاض مستوى المعيشة . . إنها

(١) القصة مقتبسة من كتاب المؤلف : (النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن) .

يتساقط عليه ، ويتهالك فيه ، كأنه نذره وحلف ، فيريد أن يني بنذره ولا يحث في قسمه ، ولقد صور القرآن العظيم هذا المنظر وهذا الوضع تصويراً دقيقاً لا يصوره أى رسّام أو أديب ، أو روائى أو مؤرخ .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ^(١) » .

رحم الله المؤرخين ، ورواة السيرة فإنهم لم يصوروا الجاهلية حين سردوا لنا وقائع البعثة المحمدية - تصويراً صحيحاً دقيقاً ، وهم معذورون ومأجورون ، مثابون ومشكورون ، فإن ذخيرة الأدب واللغة لا تسعفهم كل الإسعاف . . والحقيقة أن هذا الوضع في فة من الهول والفظاعة ، وفي منتهى الدقة والتعقيد ، لا يمكن وصفه بريشة قلم ، أو التعبير عنه بأى قدرة ، بيانية ، وصلاحية لغوية .

هل كان العصر الجاهلى - الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قضية انحطاط اجتماعى أو خلقى ، هل كان قضية وثنية مجردة ، أو قضية خمر وقمار ، وعبث واستهتار ، أو ظلم واستبداد ، أو قضية قوانين اقتصادية جائرة وتعسف الحكام الغاشمين ، هل كان قضية وأد البنات ؟؟

كلا . . إنه كان قضية وأد الإنسانية كلها . لقد انتهى هذا الدور ، وانقرض هذا الجيل ، وغاب هذا التصوير البشع عن أعين الناس فكيف نعيده ونمثله ، ونجعله حسياً شاخصاً تراه الأبصار ، وتلمسه البنان ؟ . وجل ما نستطيع أن نقول : إنه عصر جاهلى لا يفهمه حق الفهم إلا من عاش فيه واكتوى بناره . . ولو كان لمصور يحاول التصوير يمكن أن يمثل البشرية في صورة إنسان في غاية الجمال والصحة والأناقة وحسن الهندام ، الإنسان الذى هو نموذج بديع فريد لصنع الله الذى أتقن كل شىء والذى هو محسود الملائكة ، وغاية الخلق ، الذى كلفه الله بتاج خلافته ، فصار زينة الوجود ، ولب لباب الحقيقة والعرفان ، وبه تحولت هذه الأرض الحراب الياب إلى روضة غناء ، وحديقة فيحاء ، ثم يصور هذا الإنسان أنه يريد أن يقفز إلى خندق عظيم هائل ترتفع منه السنة اللهب ، وقد تحفز واستجمع قواه ، وجمع ثيابه ، ورفع رجله في الفضاء فعلاً وكاد يقع فيه ، وما هى إلا دقائق وثوان حتى يغيب في هذا الظلام المرعب ، ظلام الموت !! . . فلعل هذا التصوير يصور بعض الجانب من العصر الجاهلى عند بعثة النبى ﷺ . . وقد أشار القرآن إلى هذه

المصلى ، ولا يتحرر من منتهم وفضلهم مشروع علمي ، وتخطيط اجتماعي ، ولا مدرسة فكرية أو فلسفية ، كما أن العالم المعاصر مدين لهم في هذا البقاء والاستمرار ، وجدارة الحياة ، لأن الإنسان اعترف أحياناً كثيرة - بلسان حاله ، إن لم يقل بلسان مقاله - أنه فقد حق البقاء في هذه الأرض ، وأنه لا يحمل الآن أى رحمة وبركة وفيض وإفادة ، ودعوة ورسالة للإنسانية !! . . إنه رفع الدعوى في المحكمة الإلهية ضد نفسه ، وشهد عليه ، لقد كانت ملفاته مهياة للحكم العادل الأخير ، وقد نصب الإنسان نفسه لأكبر عقوبة تتصور ، بل لعقوبة الإعدام ، ولا عجب في ذلك ، فحينما تتعدى المدنية حدودها الطبيعية وتخرج من طورها ، وتنسى القيم الخلقية كلياً أو تكفر بها صراحة وعلناً ، ويتغافل الإنسان عن كل غاية نبيلة ، ومقصد شريف وعن كل واقع وحقيقة غير الحقائق المادية ، وتحقيق مآربه الجسدية ، وإرواء ظمئه الحيوانى ، وحينما يحل محل القلب الإنسانى قلب الذئب والثور والفهد . . وتتكون في جسمه معدة خيالية أو صناعية ونفس أمارة بالسوء ، لا يقرها

الحقيقة فقال في إيجاز وفي إعجاز : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وذلك ما شرحه لسان النبوة بمثال رائع بليغ ، فقال عليه الصلاة والسلام :

(مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن ، فيقتحمهن ، فأنا أحجزكم عن النار ، وأنتم تقتفزون فيها ، وقال فى آخرها فذلك مثلى ومثلكم أنا أحجزكم عن النار هلم عن النار . هلم عن النار ، فتغلبون وتقمحون فيها ^(١)) .

لقد كانت القضية الكبرى في هذه القصة كلها ، أن تصل سفينة الإنسانية بسلامة الله وفي حفظه ورعايته إلى شاطئ النجاة ، لأنه حين يستوى الإنسان ويعتدل طبعه ، وتحلى الحياة بالاعتدال والاقتصاد ، وتنفعه فإذا كل هذه المشروعات البنائية والإيمانية ، أو الأدبية والعلمية التى أوقى مواهبها كثير من أصدقاء الإنسانية وأنصارها ، ومن هنالك ، فإن الإنسانية كلها مدينة للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لأنهم أنقذوها من تلك الأخطار المخدقة التى سلطت على رأسها كالسيف

(١) متفق عليه ، برواية أبى هريرة رضى الله عنه :

الحديث كما هو وارد هنا ليس بلفظه . . فالمؤلف قد ترجمه إلى الإنجليزية ثم أعاده المترجم بمعناه إلى

قرار ، ولا يضبطها وازع أو رادع ، وحينما تصيب الإنسانية نوبة شديدة من الجنون ، يبعث الله لها جماعة من الجراحين ، أو عصابة من السفاحين ، وتأتى لأورامها المنتفخة سكاكين من ظهر الغيب تقضى عليها وتقطع دابرها وتستأصل شأفتها .

إن فساد المدنية وهوسها وجنونها أشد من جنون الملكية والحكم الشخصي وأوسع منه شراً لأنه حين يجن جنون شخص ضعيف فحيل واحد يقض مضاجع أهل الحارة كلها ، وينغص عشمهم الهادى . . فتصوّر ماذا يحدث فى العالم إذا جن جنون النوع البشرى أجمع ، ونخر هيكل المدنية وتعفن ، وفسدت طبيعة الإنسانية ؟ هل له من رقية أو علاج ؟

إلا أنه لم تفسد المدنية فحسب فى العصر الجاهلى ، بل تفسخت جثتها ، وتعفنت ونشأت فيها ديدان قدرة ، وأصبح الإنسان يقتنص الإنسان ويصطاده ، ويتلذذ بسكراته وشدائده عند الموت ، ويتمتع بحالة الاحتضار ، كما يتمتع أحياناً بمنظر البساتين والأشجار والوزود والأزهار ويضطرب ويهتر لاضطرابه وتقلبه على الحجر ، ويفرح بأنين المصاب والمريض والمنكوب وصراخه وعويله ، كما يفرح بالشراب الهنىء ، والطعام الشهى أو بالمنظر

الساو الجميل .

سرح طرفك فى تاريخ روما التى تغنت أوربا - ولا تزال - بفتوحها وبطولاتها وأمجادها وتشريعها وحضارتها ، تجد نموذجاً حياً للقسوة البشرية التى بلغت قمتها فى هذا العصر يقول (لبكى) فى كتابه (تاريخ أخلاق أوربا) يصور جانباً من همجية الإنسان وضرارته ووحشيته النادرة ، يقول : (إن أكثر المناظر سحراً على نفوس أهل روما ، وأعظم تسليّة وممتعة لهم كان حين يسقط الجريح فى مبارزة أحد الأبطال من بنى جنسه ، أو مصارعة سبع ضار يتشطح فى دمه ، هنالك كان يفلت الزمام ، ويغلب الناس على أمرهم ، ويفقدون رشدهم ، فيتهاك الحشد الحاشد وفيه النساء والأطفال ، والشيوخ العجز - على الدنو من هذا المنظر الرهيب ، والإنسان البائس الشقى ، وهو من بنى جلدتهم وأبناء بلادهم ليمتعوا نفوسهم بمشاهدة احتضاره وليرنّ فى آذانهم رنين أنينه فقد كان أجمل من كل غناء وموسيقى ، وسجع الطيور ، وكان رجال الشرطة الذين كان من واجبهم المحافظة على النظام ، يقفون مشدوهين مكتوفى الأيدي أمام هذه الموجة العارمة من المتعة الظالمة الآثمة ، لا يملكون من أمرهم شيئاً^(١) .

(١) راجع (تاريخ أخلاق أوربا) للمؤلف الإنجليزى لبكى ج ١ ص ٢٣٠ .

في مرآة المستشرقين

الكتور عبد الجليل شلبي

جوفاء وأعمال آليّة فارغة ، ففصلوا الدين عن السياسة ، وعزلوا رجال الدين أوفقهاء الإسلام عن تيارات الحياة . .

وبدافع من ذلك كله قام عديد من المستشرقين بتشويه جمال الإسلام وتغيير حقائقه كما قاموا بهجوم على نبي الإسلام ، وتحريف تاريخ الدعوة الإسلامية ، وتاريخ الإسلام بوجه عام .

ونجحت هذه الحركة في لفت نظر الشعوب الأوروبية عن الإسلام ونفورها منه ، ولا يزال صدى هذه الدعوة في آذان الأجيال الحاضرة مما بقي من آثار هؤلاء الكتاب .

وكان لهذه الحركة جانب آخر هو نشاط المبشرين بالدين المسيحي ، فقد طاب لهم أن يبنوا دعوتهم بأنقاض الإسلام ، واستساغوا أن يؤدوا رسالة المسيح بالأكاذيب والمفتريات ، فدعوا إلى الأخلاق بسوء الأخلاق ، وإلى التسامح

١ - ذكرت في غير حديث أن كتابة الغربيين عن الإسلام كانت في بداية أمرها لونا من ألوان الدعاية الحربية ، وأن العداء المستحكم بين الشرق والغرب منذ اقتطع المسلمون أطراف الدولة الرومانية وغزوا البحر المتوسط ظل يقوى ويشتد بين الطرفين . . ثم كانت الحرب الصليبية مما ألقي على نبراته وقودا جديدا ، وكان الغرب يدرك كل الإدراك أن الإسلام وحده وهو الذي منح الشرق قوة الصمود أمام هجماته ، كما أنه كان الباعث الأول على الغزوات المتلاحقة التي اقتضت من الدولة الرومانية أثمن كنوزها . . ولهذا كان همّ ساستهم وكتابهم على السواء أن يشوهوا هذا الدين وأن يحطوا من شأنه . .

وفي عصر الاستعمار بُدِلَت جهود جبارة عنيفة لإخماد الروح الإسلامي في نفوس المسلمين . . وعمل الحكام في المستعمرات وأشباه المستعمرات على تحويله إلى طقوس

الذي جاءت به رسالة المسيح بأشنع أنواع التعصب وأسوأ الأكاذيب ، ووجدت دعوة هؤلاء مجالا بين الشرقيين السذج من أبناء إفريقية وآسيا ، ووجد المستعمرون من جانب والصهيونيون من جانب آخر في دعوة المبشرين سلاحا فعلا تستفيد منه مطامعهم ، فسخوا عليهم بالمعونات المادية والحماية السياسية والتأييد والإجلال .

٢- لم تهدأ هذه التيارات أو تخف حدتها إلا بعد الحرب العالمية الثانية . . خفت من جانب المستعمرين ونشطت أكثر من جانب الصهيونية ، ذلك لأن ظل الاستعمار تقلص عن كثير أو عن أكثر البلاد الشرقية ، لكن مطامع الصهيونية استيقظت في ذلك الوقت . . وكان على الاستعمار أن يؤيدها ، إذ رأى في قيام الدولة الصهيونية - في قلب الشرق - خنجرا داميا يشل حركته ، ويقطع نشاطه ، ولذا تعاونت الكتلتان الشرقية والغربية في بناء دولة إسرائيل ، ثم وجد من مستشرق اليهود من طاب لهم أن يطلبوا الضرب على « أوتار الصليبيين » وكما عاون اليهود المبشرين بدعوة المسيح (وهم أعداء المسيح) عاون المسيحيون اليهود (وهم أعداء اليهود) .

لكن تغلغل الغرب في الشرق أثناء سنوات الحرب وكثرة نزوح الشرقيين إلى

الغرب بعدها أدى إلى تقارب أكثر ، ودعا إلى تعارف أوسع ، ووجد من كتاب الغرب من عناه البحث عن الحقيقة بقدر ما تسوغ له طاقته ، وما تهينه له معلوماته ودراسته عن الشرق والإسلام .

هؤلاء الكتاب ليسوا كثرة بل هم قلة نادرة في كل قطر أوربي .

ولمّا يستطيعوا للآن أن يتخلصوا من قيود الماضي أو يبحثوا بحثا حرا ينقاد للعقل وحده ولا تستطيع كتابتهم - وهذا طبعى - أن تصمد لتيارات المبشرين وادعاءات المغرضين .

وقصارى ما انتهت إليه هذه الحركة أن آمن كتابها بنهضة الإسلام وساحة الإسلام ولكنهم ينكرون رسالة محمد ونبوته ، ولقد كان فيما أحدثه الإسلام من تغير في حياة العرب وما نالهم منه من نهضة وتغير في أوضاع حياتهم ، ما يقنع بصحة الرسالة المحمدية ، لكن هكذا ظل اتجاه المستشرقين على ما هم عليه .

وأكثر ما يبرز في كتابة هؤلاء هو الحديث عن ساحة الإسلام ، وأن فتوحات المسلمين كانت خيرا وبركة على البلاد التي فتحوها ، وأن قادة العرب لم يكونوا يكرهون أحدا على قبول الإسلام .

وهذه كلها تعارض منهج المبشرين وكتاب الأجيال السابقة .

٣- وهناك أمر لم يستطع أحد أن يعارضه وإن استطاع الإغضاء عنه « ألا وهو تيار الحضارة الإسلامية . . وما كان له من أثر في نهضة أوروبا الحديثة ، فما لا ريب فيه أن الفرق كان واسعا جداً بين ما أنشأه الإسلام من حركة فكرية راقية وبين ما كانت عليه الدول الأوروبية من جهل وتأخر ، وما تعيش فيه من همجية وانحطاط .

ولم يتناول الكتاب العرب فيما سجلوا من أحداث التاريخ حال البلاد الأوروبية ولم يأت منها في حديثهم إلا ما كان أمراً عارضاً ، من ذلك الرسائل المتبادلة بين الملوك أو بين القواد ، أو ما سجله الرحالة المسلمون من ملاحظات . . وهذه العوارض لا تكفي للموازنة بين الحالة الاجتماعية هنا وهناك ، وإهمالها يؤدي إلى نقص كبير في تقدير الإسلام وما أحدثه من تغيير بالغ في حياة العرب ، فالإسلام ظهر في قوم غاية في التأخر والهمجية ، وكانوا أيضاً غاية في الضعف والهوان ، ومع ذلك استطاع في فترة وجيزة أن يسمو بهم إلى درجة بدت حياة الأوروبيين بجانبها ساذجة وضعيفة .

وأبرز المستشرقين الذين عُنوا بهذا الجانب في كتابتهم الإسلامية « ألفريد بتلر » و « آرثر أرنولد » . . أما الكتابات التي جاءت في مطولات المؤرخين أمثال جيون فليست

هينة في هذا الجانب - جانب الموازنة بين حكومات الإسلام وحكومات الغرب - ولكنها تأتي عرضاً ، ويحتاج قارئها إلى شيء من الأناة والجهد حتى يستخرجها .

٤- وكلا الكاتبين الأولين عُنِيَ باستعراض التيارات الفكرية والسياسية في الدولة البيزنطية قبيل الفتح الإسلامي للشام ومصر وغزو المسلمين للبحر الأبيض ، ولكن بتلر كان معنياً بالجانب السياسي ، وحديثه في جملة توضيح للأسباب السياسية والاجتماعية التي هيأت انتصار المسلمين وانكسار الرومان ، وحديثه محدود الجوانب « لأن بحثه يدور أساساً على فتح العرب إقليم مصر ، أما آرثر فحديثه أوسع لأنه يتابع حركة الدعوة الإسلامية في بقاع شتى .

وبخصوص انتشارها في ممتلكات الرومان لم يقف عند قطر معين وقد عرض في بحثه صوراً مظلمة قائمة لحياة الأوروبيين وشرح كثيراً من مواقف اضطهاد المسيحيين للمسيحيين ، ومثلاً من ظلم الحكام وإكراههم الناس على قبول مذهب معين ، بينما كان الإسلام يوجه حكامه إلى العدل والمساواة والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبهذا تبدو صورتان متقابلتان تُبرز كل منهما خصائص الأخرى وطبيعة منهجها ، فالظلم الأوربي يبدى

للكتب وكلها مكتبات عامة
Libraries بينا كانت هناك مكتبات
التجارة في الكتب والأوراق Book Shops
ثم دور الوراقية التي يعمل بها
النساخون . . . ، وبعد ذلك بأربعة قرون
جهد الإمبراطور الفرنسي شارل الحكيم في
إنشاء مكتبة ، فاستطاع أن يجمع بها نحو
تسمائة كتاب فقط . بينا كانت مكتبة
الحكم تحوى كتباً في شتى أنواع الفكر
وتياراته ومختلف العلوم .

كانت مكتبة شارل الصغيرة تحوى
سائة كتاب في الديانات . . أو على
الأصح في الديانة المسيحية ، وثلاثمائة كتاب
فقط في المواد الأخرى ، وكان هذا قصارى
جهده ، وقد خلع عليه لقب الحكيم
لتضلعه في العلوم والمعارف ؟ ؟

وقد عُني كلاً من عبد الرحمن الثالث
وابنه الحكم أن ينشئوا حركة ترجمة ، وأن
ينفقا بسخاء على المترجمين ، كما استقدموا
كبار العلماء من الشرق إلى الأندلس ،
وأرسلوا بعوثاً من أبناء الأندلس إلى العواصم
الشرقية ، واشتروا الكتب الضخمة من
مؤلفيها ، ثم تلاهما المنصور العامري فلم يأل
جهداً في اقتفاء أثرهما في هذا السبيل ، فإذا
ذكر نشاط شارل الحكيم بجانب هذا النشاط
كان البون واسعاً ؟ ؟

٦ - ومع أن هذه الحركة العلمية التي

عدالة الإسلام ، كما يبدى جمال الإسلام
وبهاؤه مما تتصف به حياة الأوروبيين من قبح
ومحافة لكرامة الإنسان .

٥ - ولعل أحق هؤلاء الكتاب بتقدير
المسلمين والالتفات إلى كتابته هو
أودين هول Idwin Hall وقد كتب
عن حياة المسلمين في الأندلس أو على
الأصح عن « حياة الأندلس تحت حكم
المسلمين » ، فعنى بإبراز الحياة الفكرية
والثقافية بين المسلمين بجانب تخلف الأوروبيين
وبعدهم كل البعد عن هذا الأفق السامى
الذى أنشأه الإسلام .

وجاء في هذا العرض أن المسلمين
أنشأوا في أوروبا مكتبات كبيرة ضخمة . .
حين لم تكن تعرف أوروبا شيئاً من هذا
النظام ، وهذا طبعى لأن المسلمين أنشأوا
جامعات وألفوا كتباً واستعملوا مراجع
عديدة ، بينا كان الأوروبيون يغطون في نوم
الأمية وليلها الطويل . وحين أيقظتهم هذه
الحركة الإسلامية ودفعتهم إلى السهر في
ركابها ظلوا حتى فجر النهضة الحديثة
متخلفين عن ركب الفكر الإسلامى .

ومن الأدلة التي ساقها لتوضيح هذا
الحكم أن مكتبة الحكم بن عبد الرحمن في
قرطبة كانت تحوى أربعمائة ألف كتاب ،
ولم تكن وحدها المكتبة العامة في قرطبة بل
كان هناك نحو سبعين داراً أخرى

أنشأها المسلمون هي التي أيقظت الأوروبيين ووجهتهم توجيهها فكريا فإنهم لم يقدرُوا الإسلام قدره ، بل رأَت فيه عدوًّا يُخشى خطره ويستحق أن يضغَط ويخمد .

وقد حدث في القرن السابع عشر أن استولى الإسبانيون على سفينة لأمير مراكش كان بها كتب كثيرة وأمتعة ، فأغضى الأمير عن الأمتعة وطلب الكتب ، فقرر الأندلسيون أن يعطوه كتب المعارف العامة ، وأن يستبقوا لديهم كتب الدين الإسلامي ، لأنها مما يوقظ همم المسلمين ويبعث حميتهم إلى تعزيز قواتهم ، ولكن المسألة لم تكن من السهل أن يفصل فيها هيئة واحدة ، فوضع هذا القرار أمام وزراء الدولة ، فقرَّر رأيهم على إحراق الكتب جميعها . ودلُّوا بذلك على أنهم لم يتقدموا أنملة واحدة عن عصر (بيتر المحترم) الذي أفتى في القرن الخامس عشر بأن كتب المسلمين كلها نجس . . وأمر بإحراقها .

ولكن أحد الأمراء لم يرضه هذا الرأي فعارض فكرة إحراق الكتب ، فاتفقوا على إيداعها مكانا حصينا . . وأن لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها ، ولا ترد لصاحبها . وهذا حقا توضيح جيد للفارق بين عقليتين مختلفتين في هذا الوقت .

فالمسلمون منذ القرن السابع الميلادي - الثاني الهجري - عملوا على نقل الكتب وترجمتها ، وهمهم أن يعرفوا أفكار السابقين وفلسفاتهم ، فكانت تيارات عديدة من الفكر الشرقي والغربي القديم تصب في بغداد ، ثم تصفى كلها ويستخرج منها لون جديد ، أما هؤلاء فكانوا بعد خمسة عشر قرنا متخلفين عن ركب المسلمين .

٧- هؤلاء جماعة من المستشرقين أستطيع أن ألحق بهم - تساريس وادى - صاحبة كتاب «العقل السليم» الذي تحدثت عنه في كتاب «صور استشراقية» أنصفوا الإسلام بعض الإنصاف ، وأنصفوه دين حضارة وعلم ، ودين مساواة وعدل ، ودين إنهاض للأمم ودافع لها إلى التقدم والرقى ، ودين حكم صالح تسعد في ظله الرعايا مسلمين وغير مسلمين . . إلخ .

وبعد كل هذا ليس ين هؤلاء من ينصف محمدا - ﷺ - ويعترف بالنبوة وهؤلاء أغصوا - أو لم يكن من بحثهم أن يتحدثوا - عن صلة محمد بالكتابين ، لهذا خلت كتابتهم من التحريف والتحاميل الذي حفلت به كتب الآخرين . .

د . عبد الجليل شلبي

الإسلام والمدنية الحديثة

العلامة أبو الأعلى المودودي

نقد القومية

شتون بلاده^(١)

أما المبدأ الثاني : القومية : فإن أريد بها الجنسية (Nationality) فهي أمر فطري لا نعارضه ، وكذا إن أريد بها انتصار الفرد لشعبه شريطة أن لا يستهدف تحطيم الشعوب الأخرى ، وإن أريد بها حب الفرد لشعبه فنحن لا نعارضها كذلك . إذا كان هذا الحب لا يعنى معنى العصبية القومية العمياء التى تجعل الفرد يحتقر الشعوب الأخرى وينحاز إلى شعبه فى الحق والباطل على السواء .

أما الذى نعترض عليه ونعتبره شيئاً ممقوتاً نحاربه بكل قوة ، فهو القومية (Racality) التى تضع ذاتها ومصالحها ورغباتها الخاصة فوق جميع الناس ومصالحهم ورغباتهم ، والحق عندها هو ما كان محققاً لمطالبها واتجاهاتها ورفعة شأنها ولو كان ذلك بظلم الآخرين وإذلال نفوسهم .

إنه إذا كان فى المجتمع شخص يتبع هواه ويعبد نفسه ويؤثرها على غيره ولا يبالى بأى تصرف مها كان سيئاً مادام فى سبيل مصلحته الفردية ، وإذا كان فى المدينة أسرة تخدم مصالحها متغاضية عن مصالح

وإن أريد بها مبدأ الاستقلال القومى فهو هدف سليم كذلك ، فمن حق كل شعب أن يقوم بأمره ويتولى بنفسه تدبير

(١) أن الطير ليحن إلى وكرة ، وإن الأسد ليدود عن عرينه ، وحنين الإنسان إلى بلده وأهله وعشيرته ، وحمائته للذمار مما ركّزه الله فى فطرته ، ولكن هذه الدوافع الفطرية فى الإسلام يجب أن تكون مرهونة باتباع الحق ، والانتصار له ، وقد هاجر رسول الله ﷺ بدينه من مكة مسقط رأسه ومهد صباه ، وكان فيما قاله فيها : (والله إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلىّ ، ولولا أن قومك أخرجنى منك ما خرجت) .

ثالثة يورى شررها وراء مظاهر الاستعداد العسكرى الذى يقوم على قدم وساق ، مع أن جروح الحرين السابقين لم تندمل بعد .

نقد الديمقراطية :

أما المبدأ الثالث : الديمقراطية ، أو تأليه الإنسان . فبانضمامه إلى المبدئين السابقين ، تكتمل الصورة التى تضم فى إطارها محنة هذا العالم ومتاعبه .

لقد قلت آنفا : إن مفهوم الديمقراطية فى المدينة الحديثة هو « حاكمية الجماهير » ، أى أن يكون أفراد قطر من الأقطار أحراراً فيما يتعلق بتحقيق مصالحهم الجماعية ، وأن يكون قانون هذا القطر تابعا لأهوائهم ، وعلى هذا الأساس فإن الأفراد لا يتبعون القانون ، ولا يكون الغرض من تكوين الحكومة الاستعانة بأجهزتها الإدارية وإمكانياتها المادية فى تحقيق المصالح الجماعية ، على عكس ما يجب أن يكون . وإذا تأملنا المبادئ الثلاثة الآن فإننا نجد : أن العلمانية قد حررت الناس من عبادة الله وطاعته وخشيته ، ومن الضوابط الحلقية الثابتة ، وألقت حبلهم على غاربهم ، وجعلتهم عبيدا لأنفسهم غير مسؤولين أمام أحد ، ثم تأتى القومية لتقدم لهم جرعات كبيرة من خمر الأنانية والكبرياء ، والاستعلاء واحتقار الآخرين .

غيرها وتعمل لتحقيقها بكل وسيلة سواء كانت مشروعة أم غير مشروعة ، أو كان فى البلاد طبقة تناهت فى الأنانية وحب الذات واندفعت وراء أغراضها ، ضاربة بمصالح الآخرين عرض الحائط (كطبقة المهرين مثلا) - إنه إذا كان هناك شئ من ذلك فلا يساورنا شك فى أن نعتبره لعنة ما بعدها لعنة ، فلماذا نعتبر على الصعيد الإنسانى الشعب الذى يتخذ مصالحه القومية إلهها يُعبد ، ويقرر فيما يقرر من مبادئ لعبادته وطاعته « الحق هو الذى يلائم المصالح القومية والباطل هو الذى لا يلائمها » ؟ - لماذا لا نعتبر على الصعيد الإنسانى هذا الشعب لعنة بالنسبة للجماعات الإنسانية ؟

إن ضمير الإنسان يقطع بأن معانى الأثرة والأنانية على النطاق الإنسانى لعنة من اللعنات بكل تأكيد ، كما أن معانى الأثرة والأنانية على النطاق الفردى أو القبلى أو العائلى لعنة كذلك . ألا وإنكم ترون بأم أعينكم المدينة الحديثة وقد ورطت أمم الدنيا فى هذه اللعنة . الأنانية القومية المستعلية الباغية ، وهى المسئولة عن تحويل العالم إلى ميادين للصراع القومى العنيف ، وبفضل هذا شهد العالم فى نصف قرن حرين عالميتين أزهقت فيها ملايين الأرواح ، وهو الآن على وشك أن يشهد اندلاع حرب

وتأتى أخيراً الديمقراطية وتُجسّد هذا الإنسان بعد أن أُطلقَ له العنان وصار أسير أهواء النفس وأخذ نشوة الأنانية - على عرش التأليه فتحوّل له جميع سلطات التشريع والتقنين ، وتسخر له الجهاز الحكومى بكافة إمكانيّاته فى الحصول على كل شىء يطلبه .

ولنتساءل إذن بعد هذا : هل تختلف حالة شعب متحرّر من كل ضابط يتمتع بسلطات الحاكمية المطلقة ويزاولها بدون قيد أو شرط عن حالة فرد شرس جامع فاجر ؟ وفى أى شىء تختلف ؟ أليس من الصحيح أن كل عمل يزاوله هذا الفرد الشرس فى نطاقه المحدود يزاوله ذلك الشعب المتحرّر فى نطاقه الواسع ؟ وإذا كان العالم مؤلفاً من شعوب كهذا الشعب تهل من نفس المورد وتقّس الأقاليم الثلاثة^(١) فكيف يتأتى أن يسود هذا العالم الأمن والهدوء والسلام ؟ وأن ينجم من أن يكون ميدان صراع ونضال وحروب ، ولا يتحول إلى حلبة سباق

تصطّرع فيها ذئاب الشر ؟ . هذه هى الوجوه التى تجعلنا نرى كل نظام يقوم على المبادئ الثلاثة المذكورة نظاماً فاسداً باطلاً ، ومن أجل هذا فإننا نعارض النظام العلمانى القومى الديمقراطى سواء أقامه غربيون أم شرقيون ، مسلمون أم غير مسلمين ، وحيثما حلت هذه البليّة وأيما نزلت فإننا نحاول إشعار عباد الله بخطورها الداهم وندعوهم لمحاربتها .

المبادئ الثلاثة :

وحين نعارض هذا النظام لا نكتفى بمعارضته بل نقدّم تجاه مبادئه الثلاثة، مبادئ ثلاثة أخرى نعتقد بصلاحيّتها وسدادها ، ونضعها تحت أنظار المنصفين ، ونحتكم إلى ضمائرهم ليحمّسوها ، وينظروا فيما إذا كانت سعادتهم ورفاهيتهم وسعادة العالم كله ورفاهيته تقوم على قبول هذه المبادئ النزيهة الحقّة التى نقدّمها ، أم تقوم على تلك المبادئ الخبيثة الفاسدة التى ذكرناها آنفاً .

(١) الأقاليم : جمع أقنوم ، وهى كلمة يونانية بمعنى الأصل أو المبدأ ، وكان فلاسفة الإغريق يرجعون وجود العالم إلى أصول ثلاثة ، وقد أثرت هذه الفلسفة الإغريقية فى تفلسف المسيحية بعقيدة التثليث ، إذ أولوا نصوص العقيدة على نمط الفلسفة الإغريقية فى الأقاليم الثلاثة ، والألفاظ الدالة عليها فى المصدر النصى للمسيحية هى : الله ، كلمة الله ، الروح القدس . فالله فى مقابل أقنوم الوجود ، وكلمة الله فى مقابل أقنوم العلم ، والروح القدس فى مقابل أقنوم الحياة ، وهى ترجع فى نظر النساطرة إلى شىء واحد ، هو الوجود ، فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة والعلم والحياة صفتان أو اعتباران له ، والمدنية الحديثة كذلك تعتبر هذه المبادئ الثلاثة أصولاً لها وأنصف الأستاذ المودودى فى التعبير عنها بالأقاليم .

- ١ - إننا نقدم مبدأ التسليم لله وطاعته
بديلاً عن العلمانية .
- ٢ - ونقدم مبدأ الإنسانية العالمية بديلاً
عن القومية المحدودة الضيقة .
- ٣ - ونقدم مبدأ سيادة الله وخلافة
المؤمنين بديلاً عن مبدأ سيادة الشعب أو
حاكمة الجماهير .
- ولنستعرض فيما يلي هذه المبادئ الثلاثة
واحدًا واحدًا .
- ومحاكمنا وأجهزة حكومتنا وأن تكون
سياستنا في نشوب الحرب أو تقرير الصلح أو
العلاقات الدولية وفق المبادئ والحدود التي
شرعها الله للناس ، فيجب علينا أن
لا نمارس حرياتنا إلا في نطاق الأسس
والضوابط المشروعة التي بينها الله لنا ،
ولا ينبغي أن نبذلها أو نبطلها بل علينا أن
تكون أنظمتنا وفق منطوقها وبوحى من
جوهرها وروحها .

مبدأ العالمية :

وهذا المبدأ يعنى أن نظام الحياة القائم
على مبدأ التسليم لإرادة الخالق والخضوع له
لا ينبغي أن يكون في داخله تمييز بين أفراد
أمته بالجنس أو الأرض أو اللون أو اللغة
ولا أن تبرز في ظله أدواء الأنانية والكبرياء
والاستعلاء والعصبيات القومية العمياء ،
تلك التي تبرز في ظل القومية المقتية .

وهذا النظام يجب أن يكون فكرياً
عقائدياً^(١) قائماً على مبادئ ثابتة معينة وقيم
صحيحة لا على مبادئ قومية ، وأن تفتح
أبواب هذا النظام لكل من يتقبل هذه

مبدأ التسليم :

إننا في ظل هذا المبدأ نؤمن ونعتقد بأن
الله هو خالقنا وسيدنا وحاكمنا ، وخالق
العالم وسيدته وحاكمه ، فينبغي أن نقيم
حياتنا وفق أوامره وتشريعاته ، إذ لا غنى لنا
عنها ، لا في نطاق حياتنا الفردية ، ولا في
كل مظاهر حياتنا الاجتماعية بكافة
صورها ، ونعنى بذلك : أن تكون كل
ناحية من حياتنا الاجتماعية والثقافية
والاقتصادية ، وأن تكون مؤسساتنا الثقافية
والاقتصادية ، وأن تكون مؤسساتنا التعليمية
والتربوية ، وأن تكون أوضاعنا القانونية

(١) قد يظن بعض الناس أن الدولة الفكرية العقائدية من سيات العصر الحديث ، ولم يعرف التاريخ
دولة فكرية تقوم حدودها على العقيدة كدولة الإسلام ، التي تجعل العقيدة الإسلامية وطن المسلم وجنسيته ،
كما أشار الأستاذ المودودي ، وهي التي تمايز اصطلاحاً بدار السلام ودار الحرب ، فدار الإسلام هي وطن
العقيدة ، ودار الحرب هي وطن من خالفها وحاربها ، وروى أنه قيل لسلطان رضى الله عنه وهو يُقسَّم غنائم
الفرس : أتفعل هذا بملك آبائك وأجدادك؟ فقال : أنا لست من أبناء الفرس ، وإنما أنا ابن الإسلام .

المبادئ ويعتقها ويكون مستعدا وقادرا على المشاركة في تنفيذها على قدم المساواة المطلقة في الحقوق دون تمييز ، وألاّ تحصر المواطنة (Citizenship) في ظل هذا النظام بحوافز جغرافية أو طبيعية بل تشمل كل شخص يؤمن بأسسها العقائدية .

والأفراد الذين لا يرضون عن هذه المبادئ ولا يستعدون لقبولها لسبب ما لا ينبغي إبادتهم أو الضغط عليهم بوجه من الوجوه^(١) بل يحتفظ هذا النظام بكيانهم تحت مبدأ الصيانة (Security) ويعطى لهم الحرية في ممارسة حقوقهم المقررة ، ونهياً لهم الفرصة المواتية ليكونوا أعضاء موجّهين يشاركون سائر المواطنين في الحقوق على قدم المساواة بمحض رغبتهم وإرادتهم الحرة وقناعتهم بصحة المبادئ التي يقوم عليها هذا النظام .

إن هذا النظام الذي لا يجد بأرض أو جنس أو لغة أو لون ، القائم على مبدأ الإنسانية العالمية^(٢) لا ينافي القومية بمعنى حنين الإنسان إلى قومه وإن قصرها على حدودها القطرية ، كما لا ينافي القومية القائمة على حب الوطن والعمل في سبيل إبعاده ورفقه دون مساس بمصالح الآخرين : مشاعرهم وحقوقهم ، ويؤمن بالاستقلال القومي

الذي لا يرغم الإنسان على الاحتجاز في مناطق ضيقة من أقطار الأرض يصعب اجتيازها والخروج منها إلى الأفق الإنساني العام ، وينكر سيطرة شعب على شعب بدافع من الأنانية والاستعلاء والأثرة ، فمن مطالب مبدأ الإنسانية العالمية أن يتولى كل شعب أمره بنفسه بكل حرية واستقلال ولا يخضع لشعب آخر ، بيد أن جميع الشعوب المتفقة على المبادئ الأساسية للحضارة البشرية يجب أن تتكاتف وتتساند على العمل في إسعاد البشرية ورفاهيتها ، وأن يسودها التعاون لا التنافس (Emulation) وأن تستأصل منها النعرات العنصرية والعصبيات الجنسية ، وأن يتم بينها تبادل مقومات الحياة ومعطيات الحضارة والمدنية في جو من الحرية والتكريم .

إن كل فرد من الأفراد يعيش في مثل هذا النظام الفكري المذهب يكون مواطناً عالمي الفكرة إنساني النزعة . يعتبر كل قطر أو مكان يعتنق فكرته موطناً له ومسكناً حتى يمكنه أن يعلن بكل تأكيد ما عبر عنه الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال :

« كل البلاد موطني لأنها بلاد ربي »

والمواطن في ظل هذا النظام يتمتع

(١) هذا الكلام لا ينطبق إلا على أهل الذمة خاصة إلى انتهاء عهدهم أو ما أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولعل هذا هو مقصد الأستاذ المودودي .

بديلا عن حاكمية الجماهير ، لأننا نعارض سيادة فرد أو أفراد أو طبقة سيادة مطلقة تستأثر بالسلطة أكثر من معارضة المتحمسين للديمقراطية الغربية ، ونؤكد المساواة في الحقوق وتكافؤ الفرص أكثر من تأكيد أنصارها . ونحارب كل نظام يكبت الحريات فلا يبيح حرية التعبير أو التجمع أو العمل . أو يضع العراقيل في سبيل بعض الأفراد لاختلافهم في الجنس أو الطبقة أو أصل الولادة بينما يعطى الآخرين حقوقا وامتيازات خاصة .

فإذا كانت الديمقراطية الغربية تعتبر هذه الأمور جوهرها (Essence) وروحها فإنه لا خلاف بينها وبين ديمقراطيتنا الإسلامية التي عرفها المسلمون خلال تاريخهم ؛ بل أعطوا تفسيرات عملية لها ونماذج صالحة منذ قرون مضت قبل أن تولد الديمقراطية الغربية .

وإنما تختلف ديمقراطيتنا الإسلامية العريقة عن الديمقراطية الغربية الناشئة ، في أن الأخيرة تبني مبدأ سيادة الجماهير المطلقة من كل قيد سوى ما تضعه الجماهير لأنفسها ونحن نعتبر هذا المبدأ باطلا في حقيقته ، يجر إلى العواقب الوخيمة الهدامة ؛ لأن الذي عليه واقع الأمر في هذا الكون هو أن حق السيادة (Sovereignty) لله وحده الذي خلق البشر ، ويسر لهم أمور حياتهم

بحقوق وحريات لا تتوفر للمواطن في ظل القوميات القائمة على وضع حدود وعراقيل عبر أراضيها ، وتنظر إلى الغريب نظرتها إلى لص أو مشبوه تراقب حركاته وسكناته ، ويعيش في جوٍّ بوليسي رهيب يتعرض فيه للتفتيش والاستجواب ، وتفرض القيود على قلمه ولسانه وخطواته ، ويحرم من الحريات والحقوق الأساسية . فكيف يقال بعد هذا إن القوميات تصلح للحياة في ظلها ! ؟ وإزاء ذلك فإننا نريد نظاماً عالمياً ائتلافياً يقوم على وحدة المبادئ ، ويسير فيه المواطنون على نهج المواطنة المشتركة (Cosmopolitan) ينتقل كل واحد من بلد إلى بلد بدون قيد أو شرط ، وعلى هذا فنحن نتمنى أن يعود علينا عهد كعهد ابن بطوطة الذي سافر فيه من شاطئ المحيط الأطلسي إلى شاطئ البحر الهادى ولم يعتبر في أى قطر مرَّ به أجنبياً (Foreigner) بل وافته الفرص حينما حل لأن يصبح قاضيا أو وزيرا أو سفيرا ، ولم يراقب في حركاته وسكناته ، ولم يسأله أحد عن هويته أو جنسيته أو مهنته أو وطنه .

مبدأ سيادة الإله :

وخذوا الآن المبدأ الثالث : نحن نؤمن بنبابة الشعب أو استخلافه في ظل سيادة الله

ومعاشهم ، ناصية الخلاق بيده ، وشؤون
العالم كلها فى قبضته وأى ادعاء بالسلطة
والسيادة ضمن نطاق سيادة الله وسيطرته
فهو ادعاء باطل سخيف غير ذى موضوع ،
وما ينجم عنه من آثار سيئة يقع على المدّعين
أنفسهم الذين تجاوزوا مكانهم الحقيقى
ووضعهم الصحيح ، سواء كان هذا
الادعاء من شخص أو طبقة ، أو كان مما
يسمونه بالجهالين .

ولا يصح إزاء هذه الحقيقة الناصية إلا
أن تؤمن بحاكمية الله تعالى ، ونقيم نظام

حكمنا على فكرة الاستخلاف أو النيابة ،
وهى نيابة ديمقراطية فى جوهرها وروحها .
يتم فيها انتخاب الخليفة أو الرئيس أو الأمير
وفق رأى الجماهير وبارادتهم الحرة كما يتم فيها
انتخاب أهل الحل والعقد والشورى
كذلك ، وهم الذين لهم الحق المطلق فى
نقد تصرفات الحكام ومحاسبتهم .

وينبغى أن يتوفر الشعور بأن الأرض لله
تعالى ، وهو مالكها الحقيقى دون الناس
وإنما نحن البشر خلفاء الله فى أرضه^(١)
نعمل بأمره ، وننفذ ما شرعه للناس ،

(١) ذكر الأستاذ المودودى فى هذا الفصل العبارات الآتية :

استخلاف الشعب . نحن البشر خلفاء الله فى أرضه ، انتخاب الخليفة أو الرئيس أو الأمير وفق رأى
الجماهير وبارادتهم الحرة ، وإزاء هذا فإننا نضع أمام القارئ الأمور التالية :

١ - الخلافة : مصدر خلف ، يقال : خلفه خلافة ، أى كان خليفته وبقى بعده ، والخلافة فى
الاصطلاح : هى رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ ، وفى ذلك يقول ابن
خلدون : « الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية والراجعة
إليها . إن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة . فهى فى الحقيقة خلافة عن
صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » .

وبهذا يتبين أن الخليفة يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية على خلاف ما كان فى الغرب فى العصور
الوسطى . حيث فرقوا بين السلطة الزمنية - وهى للحاكم السياسى - والسلطة الروحية - وهى للبابا - الذى
يعتبر « قسيساً أعظم » يستطيع أن يغفر خطايا المذنبين وهو المرجع الأعلى فى الأمور الدينية .

٢ - واختلف العلماء فى تسمية الإمام بـ « خليفة الله » ، فأجازوه بعضهم مستدلاً بقوله تعالى (وهو الذى
جعلكم خلائف الأرض) ومنع ذلك الجمهور ، وقالوا : يستخلف من يغيب أو يموت ، والله لا يغيب
ولا يموت ، وقد قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، يا خليفة الله فقال : لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة
رسول الله ﷺ ، ومعنى قوله (خلائف الأرض) تخلفون من قبلكم فيها .

٣ - يذكر العلماء أن الإمامة تتعقد بأحد أمرين :

(١) اختيار أهل الحل والعقد ، والشروط المعتبرة فيها ثلاثة :

١ - العدالة . ٢ - العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة . ٣ - أن يكون من أهل رأى =

في السر والعلن ، تشهد حياتهم العملية بإيمانهم اليقيني وقناعتهم التامة وشعورهم الكامل بقيامهم لرب العالمين ، ومسؤوليتهم أمامه « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » . ويعكس سلوكهم الشخصي والاجتماعي صورة تؤكد ارتباطهم الرباني بشرع الله ، وتقيد اجتهادهم بحدود مبادئه ، وليسوا كالحيل الجاحمة التي تجاوز كل حمى محظور وتتعدى حدوده .

هذه المبادئ الثلاثة التي أجملت فيها القول تهدف إلى إقامة خلافة إنسانية خاضعة لله تحل محل السيادة القومية العلمانية الديمقراطية التي تقوم عليها مدنية الغرب وقد وضعنا العمل لإقامة هذه الخلافة نصب أعيننا ، وتستطيعون الآن أن تعرفوا بدون عناء ما في هذين النظامين من اختلاف واضح وبون شاسع ، وتقرروا : أى النظامين أصلح وأفضل لحل مشكلات الجنس البشرى والأخذ بيده إلى شاطئ السعادة والرخاء وبر الأمان ؟ وأى النظامين أحق بأن تقوموا لتحقيقه وتبدلوا كل غال ورخيص في رفع لوائه .

وسوف يحاسبنا عن كل عمل نقوم به .
خيرا كان أو شرا .

هذا وإن المبادئ الخلقية والأحكام القانونية والحدود المفروضة التي شرعها الله لنا ثابتة دائمة لا تقبل التغيير أو التبديل ، ومبدأ نيابة الشعب واستخلافه لا يبيح مجالس الشورى أو البرلمانات أن تسن نظاما أو تصدر حكما فيما ورد فيه نص صريح واضح في شريعة الله ، وإنما يوجب عليها أن تستمد جميع قوانينها وأنظمتها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأن تقف عند النص الوارد في ذلك .

أما ما لم يرد فيه نص شرعى - وهو انجال الأوسع فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة ، إلا أنها يجب أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة الإلهية وتوجيهاتها ، وأن تكون متفقة في نصها وروحها مع القواعد الشرعية الثابتة التي وصى الله بها .

ولهذا كان من الضروري أن تستند إدارة هذه الأنظمة سياسية كانت أو ثقافية أو اقتصادية إلى أناس يخشون الله في كل أمورهم ويطيعونه ويسعون في سبيل مرضاته

= والتدبير المؤدين إلى اختيار من هو للإمامة أصلح .

(ب) عهد الإمام من قبل ، فقد عهد أبو بكر إلى عمر رضى الله عنها وعهد عمر إلى أهل الشورى

والسنة .

كلمة للمسلمين :

وإني أقول للمسلمين بصراحة إن الديمقراطية القومية العلمانية تعارض ما تعتقونه من دين وعقيدة ، وإذا استسلمتم لها فكأنكم تركتم كتاب الله وراء ظهوركم ، وإذا ساهتم في إقامتها أو إبقائها فستكونون بذلك قد خنتم رسولكم الذى أرسله الله إليكم . وإذا قتم لرفع لوائها فكأنكم رفعتهم لواء العصيان لله ربكم . إن الإسلام الذى تؤمنون به . وتُسَمُّونَ أنفسكم « مسلمين » على أساسه يختلف عن هذا النظام الممقوت اختلافًا بَيِّنًا . ويقاوم روحه ويحارب مبادئه الأساسية بل يحارب كل جزء من أجزائه ، ولا انسجام بينهما في أمرٍهما كان تافهاً ، لأنهما على طرفي نقيض .

فحيث يوجد هذا النظام فإننا لا نعتبر الإسلام موجوداً ، وحيث وجود الإسلام فلا مكان لهذا النظام .

وإذا كنتم توقنون بالإسلام الذى نزل به القرآن وبعث به محمد ﷺ فإنه يجب عليكم مقاومة الديمقراطية القومية العلمانية . والمبادرة إلى إقامة الخلافة الإلهية القائمة على عبادة الله أينما كنتم ، وحيثما حلتم ، لا سيما في القطر الذى بيدكم سيادته ، أما إذا أصبحتم أنتم القائمين بهذا النظام الذى يكفر بالله ورسله فليس لنا إلا أن نبكى ونتأوه على

إسلامكم المشبوه ، وادعائكم الكاذب له بملء الفم ! ؟

وأقول وأنا بصدد شرح نظام الحياة الإسلامى - مخاطبا إخوانى المسلمين : إن بعض المنتسبين إلى الدين يوهمون الناس في هذا السبيل - ولعلهم أنفسهم محدوعين - فيقول لهم : إن السيادة أو الحكومة إنما هى جائزة من الله ، يمنحها من يصلى ويصوم ويعمل عملاً صالحاً ، أما السعى في الحصول عليها وجعلها هدفاً وغاية فأمر دنيوى دنىء يخالف الإسلام كل المخالفة ، وهذا القول لا يصدر إلا عن الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام ، بل أقول بصراحة - معذراً إليهم - إنهم لا يعترفون فهم حقيقة دينهم لأن هذا يعنى تعكير صفو حياتهم ورغد عيشهم الذى يتمتعون به أو يطمعون فيه في ظل سيادة النظام العلماني الحاضر . فهم لا ينظرون إلى القضية إلا من ناحية القيام بما أوجبه الله عليهم - فإنها تغيب عن أذهانهم .

ولا شك أن قيام الخلافة الإلهية في الدنيا نعمة من نعم الله تعالى ينعم بها على عباده ، بيد أن السعى لإقامتها كذلك واجب ديني محتوم ، حتى يحل النظام الصحيح الحق محل سيادة الشيطان ، هذا النظام الذى يزدهر فيه المعروف ، ويذبل المنكر .

كلمة لغير المسلمين :

أما غير المسلمين^(١) فأنصح لهم نصح
الأمين : أن لا يضعوا على قلوبهم أقفال
العداء والعصبية التي احتلت الأذهان
والعقول بسبب ما جرى في التاريخ بالماضي
وما يجرى اليوم من صراع عنيف بينهم وبين
المسلمين .

إن المبادئ والمعتقدات ليست ميراثا
خاصا لأمة من الأمم وحكرا عليها ،
ولا تحمل طابع قومية بعينها من القوميات ،
وإذا ما أثبتت فكرة أو عقيدة صلاحها فهي
للناس جميعا دون تمييز ، وإذا ما تبين
خطؤها فهي خاطئة بالنسبة للناس جميعا
كذلك ، بغض النظر عن الشخص الذي
قدمها ، أو اللغة التي عبر عنها .

وأقول على سبيل المثال : إنه لا ينشأ
أبدا في قواعد الصحة ومبادئ الطب
والاقتصاد والصناعة والزراعة والعلوم وما إلى
ذلك من الفنون والنظم عما إذا كانت تنتمي
إلى شعب (فلان) أو بلد (علان) أم
لا ؟ ، أو من أى بلد تأتى ؟ فمن استمسك
بالعصبية القومية أو الوطنية في قبول هذه
القواعد والمبادئ أو رفضها فإنه لا يضر إلا
نفسه ، وهذا المنطق نفسه ينطبق على

مبادئ الأخلاق والمدينة والاجتماع
والحضارة والاقتصاد والسياسة ، فذلك كله
من المبادئ التي لا يملكها شعب دون شعب
أو جنس دون جنس . ولا يجوز الحكم
بقبولها أو رفضها إلا بمقياس ما تحمله في
ذاتها من حسن أو قبح .

وإنكم إذا اخترتم من قواعد الحياة
أحسنها فلا تسدون بذلك جيلا على أحد
سواكم ، وإذا استمسكتم بقواعد منحرفة
فلا تجنون إلا على أنفسكم .

ومن المشاهد المعلوم أنكم لا تتعصبون
فيما يتعلق بالمبادئ الأخرى التي تروج اليوم
في دنيا الناس ، وهذه الديمقراطية القومية
العلمانية لم تأتكم إلا من شعب إنكليزي
حكم بلادكم وأذل عنقكم بكل وسائل
العنف والإرهاب طيلة مائتي سنة فلماذا لم
تبدوا أية عصبية بشأن الديمقراطية العلمانية ؟
ولم تقولوا : إنها بنت أفكار شعب اضطهدنا
وداس حرياتنا ؟ وهاكم نظم الاشتراكية
والشيوعية التي يندفع وراءها قوم منكم
بسرعة مخيفة ، وهي إنما تنبعث من عقلية
يهودية : عقلية ماركس ، واحتضنتها
روسيا ، فهل لكم أدنى قرابة بهؤلاء القوم ؟
وإذا لم يكن لكم قرابة بهم فلماذا لم تعتبروها

(١) ألقى الأستاذ المودودي هذا الخطاب قبل تقسيم البلاد ، حينما كان المسلمون وغير المسلمين يعيشون
جنباً إلى جنب ، وكانت الاضطرابات الطائفية على أوجها بسبب السياسة الخاطئة التي تتبناها بعض قادة
الحركات الاستقلالية آنذاك (المترجم) .

أجنبية ؟ وإذا كنتم نسيتم كل عصبية في هذه المبادئ وأحببتم أن تنظروا إليها نظرة الخايد الباحث عن الحق فلا مبرر لأن يأخذ الشعب إلى قلوبكم سبيله فيما تقدم لكم من أسس وقواعد ، لا لشيء إلا لأننا ننتمى إلى شعب تشتكون منه في بعض تصرفاته في التاريخ القديم ، أو نشب اليوم صراع بينكم وبينه .

ولا ريب أن العالم سيظل في محنة يعاني منها الولايات والمآسى ويتردى في مهاوى الرذيلة وظلماتها حتى يقضى الله له أن يستنير بنور هديه ، ويعتق مبادئ الحق التي تصون الحقوق الإنسانية ، وعندئذ تصفو سماءه وينزل منها القلق والاضطراب ، وتسقط عليه أنوار الراحة والهناء والسلام .

المروءة

هِيَ اجْتِنَابُ الرَّيْبِ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبُلُ مُرِيبٌ ، وَإِصْلَاحُ الْمَالِ ،
فَلَا مُرُوءَةَ لِمُحْتَاجٍ ، وَالْقِيَامُ بِحَوَائِجِ الْأَهْلِ ، فَلَا مُرُوءَةَ لِمَنْ يَحْتَاجُ
قَوْمَهُ إِلَى غَيْرِهِ . .
عمرو بن العاص

الشورى أصل من أصول الحكم

الأستاذ / أحمد حسين

الإسلام بالفعل وروى عن رسول الله ﷺ قوله « المسلمون سواسية كأسنان المشط » والخلاصة أن الحضارة الأوربية عندما ازدهرت فقد كان ذلك بمبادئ وقيم إسلامية . . . واليوم والحضارة الغربية تتردى وتندهور فليس ذلك إلا لانحرافها عن هذه المبادئ . ومهمة المسلمين أن يعودوا لقرآنهم وسنة نبيهم بحثا عما ينفعهم وينفع البشر معهم .

الحكم ونظام الشورى :

وليس شك في أن سعادة المجتمع أو شقاؤه تقوم أول ما تقوم على نظام الحكم . . . ونظام الحكم في الإسلام يقوم على دعامتين الأولى : الشريعة ، والثانية : الشورى .

وليس حديثنا اليوم عن الشريعة فلهذا مناسبة أخرى ، ولكن حديثي اليوم هو عن الدعامة الثانية من دعائم الحكم الإسلامى

في هذا الوقت الذى ينهض فيه المسلمون من كبوتهم ، وينشطون في شتى الميادين تحت نظر الدنيا وسمعتها فقد حان الوقت الذى يتقدم فيه المسلمون لحضارة الإنسانية بالعطاء ، ولطالما نبّهت إلى أن ما أسموه بالحضارة الأوربية ما هو إلا امتداد لما اقتبسوه من الحضارة الإسلامية ، وطالما مثلت لذلك بما نادى به الثورة الفرنسية التى تعتبر انطلاقة أوروبا في العصر الحديث ، من « حرية وإخاء ومساواة » فليس ذلك إلا أساس التعاليم التى جاء بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا .

يقول القرآن الكريم « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » والقرآن كله قائم على حرية الإنسان مما خصه سيدنا عمر بن الخطاب في عبارته المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهن أمهاتهن أحرارا » .

أما عن المساواة ، فلم تعرف الدنيا مساواة - ولن تعرف - كذلك التى طبّقها

- « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » (سورة آل عمران الآية ١٥٩)
 - « فإن أرادوا فصلا عن تراض منها وتشاور فلا جناح عليهما » (سورة البقرة الآية ٢٣٣)

وأمرهم شورى بينهم :

فأما عن الآية الأولى « وأمرهم شورى بينهم » فهي في سورة الشورى ، وهي سورة مكية . . أى أنها نزلت في مكة قبل الهجرة ، والمسلمون مستضعفون في الأرض أبعد ما يكون عن أن تكون لهم دولة ، وقد وردت الآية في معرض وصف المؤمنين بأن « أمرهم شورى بينهم » فدل ذلك على أن التشاور صفة من صفات المؤمنين . . قال رسول الله ﷺ :

« لا ندم من استشار » . . ذلك أن المؤمن عندما يستطلع رأى من هم أهل للشورى من ذوى قرباه ، أو من أهل الخبرة ، أو من أهل الثقة ، فهو يستفيد بحصيلة كل هؤلاء من التجارب والعلم . . وفي هذا من الفائدة ما فيه . . ولما كان الله سبحانه يريد للمؤمنين القوة والعزة والنجاح والفلاح فقد وضع أيديهم على أحد أسرار بلوغ هذه الغاية ، وهي التشاور ، فجعلها صفة أصيلة من صفات المؤمنين .

وهو الشورى .

ولا يتصور متصور أننى سوف أفصل قواعد الشورى وأحكامها ، ومن هم أهل الشورى ، وكيف تتم عملية الشورى ، وما هى الحدود التى يجب أن يلتزمها الحاكم فى موضوع الشورى ؟ ! . . كل هذه أمور فى حاجة لاجتماع علماء المسلمين من مشارق الدنيا ومغاربها لتقنينها . . أى استنباطها من القرآن والسنة ، وإعدادها فى مواد وقوانين .
 وإنما سوف يقتصر مقالى هذا على تأصيل المبدأ وعرض ما جاء بصدد فى كتاب الله وسنة نبيه ، تاركا لتفصيل والتفريع واستخلاص الأحكام للمتخصصين ولن هم أقدر منى .

الشورى فى القرآن :

الشورى فى اللغة من « شرت الدابة » أى علمت خبرها وأحوالها ، ولكنها فى الاصطلاح تعنى مشاوره أهل الشورى ، أى استطلاع رأيهم . . واللفظ لم يرد فى القرآن إلا فى ثلاثة مواضع بإيجاز شديد ، ومع ذلك فهى كافية بل قاطعة فى فرض الشورى ليس فقط على الحكام ، بل على كل مؤمن فيما يعرض له من قضايا . . وإليك هذه المواضع الثلاثة :

- « وأمرهم شورى بينهم » (سورة الشورى الآية ٣٨)

« لا ينطق عن الهوى ٥٣ : ٣ » .

ثانيا : عندما جاء المدينة الخبر بأن مشركى قريش فى طريقهم إليها . . كان من رأى رسول الله الانتظار فى المدينة ، ولكن الأغلبية أشارت بالخروج لملاقاة العدو ، فنزل رسول الله ﷺ عند رأيهم الذى يخالف رأيه . . وكان هذا الذى كان . .

ثالثا : كان التطور الذى حدث فى غزوة «أُحُد» بحيث حولها من نصر إلى هزيمة هو النتيجة المباشرة لعصيان أوامر الرسول كما قدمنا ، ومع ذلك فإن الوحي ينزك عليه آمرا إياه بأن يعفو عنهم وأن يستغفر لهم . . ثم يزيد على ذلك فى أمره بالتشاور معهم ، فدل ذلك على أن الشورى لازمة ، لازمة لا سبيل للتحلل منها تحت أى ظرف من الظروف ، وإذا كان الأمر يصدر لسيد الخلق وهو من هو ، فكم بالأحرى يكون الحال بالنسبة لمن هم دونه .

عن تراض منها وتشاور :

لا يفرق الإسلام بين مسلم ومسلم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ومن هنا لم يفرض الإسلام الشورى على الحاكم فحسب ، وإنما جعلها صفة من صفات المؤمن ، وهو هنا يذكرنا بإحدى صور التشاور فليس لأحد الأيوين أن يستقل برأيه فى موضوع « فطام الطفل » فى بعض

وشاورهم فى الأمر :

على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمق وجوب الاستشارة فى نفوس المؤمنين فاختر لذلك أقوى صيغة يمكن أن تطوف بالذهن ، وقوة الصيغة لا تنبع من كونها وردت فى صيغة الأمر الصادر لرسول الله ، بقدر ما تنبع من الظروف والمناسبة التى نزل بسببها هذا الأمر ، فحيث يتصور البشر أن الموقف يملئ على رسول الله أن ينصرف عن الشورى ويذهب فيها . . إذا بهذه الآية الكريمة تأمرة أمرا بهذه المشاورة ، فقد نزل هذا الأمر الإلهى لسيدنا محمد ﷺ فى أثر ما أصاب المسلمين فى غزوة أُحُد ، وقد كان المسلمون قد فقدوا النظر الذى أتاحه الله لهم بسبب عصيان البعض لأوامر سيدنا محمد ، بل إن الخروج (ابتداءً) لمقابلة المشركين خارج المدينة كان على خلاف رأى سيدنا محمد ﷺ . . وهكذا تضافر عديد من العناصر لصرف سيدنا محمد عن الشورى والتزول على مقتضياتها . . وهذه العناصر هى :

أولا : إذا كان يمكن أن يوجد فى الدنيا مذ خلقها الله إنسان واحد من حقه أن يستقل برأيه فهذا الإنسان هو سيدنا محمد . . فلم تعرف الإنسانية له مثيلا فى كماله وعظمته وقد قرر القرآن عنه أنه

الأحوال ، فلا مناص أن يتم ذلك من خلال « التشاور » .
 رسول الله من هذا القرار .

الشورى فى السنّة النبوية :

وكانت السنّة النبوية هى الشارحة والمبينة لما أجمل القرآن . واستشارة النبى صلوات الله عليه وسلامه فى الحروب مشهورة . . فاستشار فى غزوة بدر ، وفى أحد ، ولكن غير المشهور أن رسول الله ﷺ قد استشار حتى فى خصوصياته ، والتاريخ يحدّثنا عن أصل الخلاف بين السيدة عائشة وسيدنا على بن أبى طالب يرجع إلى رأى أبداه سيدنا على فى حادث الإفك ، عندما استشاره رسول الله .

الشورى بعد وفاة رسول الله :

والسنّة النبوية كما تكون قولية فهى أيضا فعلية ، أى تقوم على فعل الرسول وعمله ، والعمل كما يكون بالإيجاب فإنه يكون بالسلب . . كأن يسكت رسول الله ﷺ عن عمل يقع أمامه ، فيعتبر هذا السكوت بمناسبة إجازته ، ومن الواضح بل من المحقق أنه بمجرد مرض رسول الله مرضه الأخير ، لم يدع رسول الله شكاً فى أن يخلفه أبو بكر . . فراح يومئى إلى ذلك بإجماعات متعددة كأن يأمر صحابته أن يسدوا جميعاً أبوابهم المفتوحة على المسجد فيما عدا

يصلى وراءه :

على أن الأمر الذى لم يكن يحتمل أى شك فى رغبة سيدنا محمد ﷺ فى أن يخلفه سيدنا أبو بكر كان عندما أمر أن يصلى أبو بكر بالناس فتصورت السيدة عائشة أنه يطلب واحداً من صاحبيه « أبى بكر وعمر » ، فطلبت من عمر أن يصلّى بالناس ، فلما سمع رسول الله صوت عمر غضب غضباً شديداً وأصر على طلبه أن يكون أبو بكر هو الذى يصلى بالناس ، وعندما شرع أبو بكر فى الصلاة دخل رسول الله المسجد ، فتصور أبو بكر أنه أصبح من الواجب عليه أن يتنحى . . ولكن رسول الله أشار إليه أن يواصل الصلاة . . وصلى رسول الله خلفه . . ونحسب أن ليس وراء ذلك إشارة إلى مكانة سيدنا أبى بكر عند رسول الله . . ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ لم يشأ أن يأمر أصحابه بأن يكون الخليفة من بعده هو أبو بكر . . وهو لو قال لأطاعوه ما تخلف منهم رجل واحد . . ولكن هكذا شاءت إرادة الله . . والترجم بها سيدنا محمد أن يكون الأمر (شورى بينهم) .

ثلاث صور :

وعلى ذلك فقد توافرت لنا ثلاث صور من الشورى لاختيار الحاكم فى عهد الخلفاء الراشدين . . أما الصورة الأولى فما جرى يوم السقيفة حيث بايع زعماء المهاجرين والأنصار سيدنا أبا بكر . . فكان ذلك بمثابة ترشيح وافقت عليه عامة المسلمين . أما الصورة الثانية فصورة ما فعله أبوبكر حيث راح يتشاور مع أئمة الصحابة فيمن يخلفه . . فاستقر رأى على أن يخلفه عمر ، . . أما الصورة الثالثة فعندما فوض عمر بن الخطاب لبضع نفر من زعماء الصحابة أن يختاروا الخليفة منهم . . وغنى عن البيان أن هذه الإجراءات كانت تتم على مسمع صحابة رسول الله ، فكانوا يقرونها . . وكان ولى الأمر بمجرد أن يلى الأمر يشاور فى كل أموره ، ولا عجب فى ذلك فهم تلامذة رسول الله . . وعندهم القرآن قبل ذلك وفوق ذلك - يأمرهم بالشورى .

تجربة السعودية فى الشورى :

وعندى أنه للسعودية اليوم دور رائد وتجربة حية فى قضية الشورى . . وإن أنسى لست أنسى كيف يطلق على مؤسس هذه الدولة ، وأعنى به عبد العزيز آل سعود ، كان يطلق عليه اسم الشيخ . . وفى ذلك إشارة إلى أن مجلسه كان يضم أهل الشورى من الشيوخ . . ثم كان للملكة مجلس للشورى . . وكل هذه أمور ينبغى على علماء المسلمين أن يجتمعوا ليستعرضوها ويدرسوها فيما يدرسون ، والأمر المحقق أن الشريعة الإسلامية قد قررت المبدأ الأساسى وهو « الشورى » تاركة التفاصيل للجماعة المسلمين ، ولا مانع من الاستفادة بتجارب الأمم إذا ما كانت تحقق المصلحة ، وقد قيل كل ما يحقق مصلحة (عند غياب النص بطبيعة الحال) فهو من الشرع ، شريطة أن يظل داخل الإطار الإسلامى .

سأل الله التوفيق والسداد .

أحمد حسين .

حول تقسيط الضريبة المعاشية بالفوائد

فضيلة الشيخ على البورلافي

يحرص على المعاش كاملا من طريق مخفوف بالمخاطر ، والله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . . . » ويجعل له من أمره يسرا » أما من أفتى من العلماء بأن هذه الزيادة ليست ربا فإنى لم أقف لهم على دليل من كتاب أو سنة أو إجماع ، وعليهم بالدليل إن كان لديهم دليل ، « والله يقول الحق وهو يهdy السبيل » ١ . هـ أقول :

إن الحكم على معاملة من المعاملات بالحل أو الحرمة أو الشبهة متوقف على بيان صفتها التي تدخل بها فى باب الحلال أو الحرام أو الشبهة ، وكما لا يجوز الحكم بالحل بلا دليل كذلك لا يجوز الحكم بالحرمة بلا دليل ، قال تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » النحل : الآية ١١٦ .

(سأل) بعض عمال اليومية بالسكة الحديدية - إحدى المجلات الإسلامية السؤال الآتى :

« لعمال اليومية بالحكومة مشكلة وهى أن من يرغب فى احتساب المدة التى لم يخصم منها قيمة المعاش فعليه سداد القيمة فورا أو بالتقسيط على مدد مختلفة خمس سنوات فأكثر ، فمثلا المبلغ المطلوب مائة جنيه فورا ، وبالتقسيط مائة وثلاثون جنيها ويزيد المبلغ على هذا إذا طال الأجل . فما حكم هذه الزيادة نرجو البيان ، مع العلم بأن بعض العلماء أفتى بأن هذه الزيادة ليست من الربا » ١ . هـ (فأجابت المجلة) بما يأتى :

« يجب على من يرغب فى المعاش أن يدفع هذه المائة فورا ونقدا ولو أدى ذلك إلى أن يقترضها قرضا حسنا ، فإن لم يجد من يقرضه القرض الحسن فليكتف بما تبقى له من قيمة المعاش ، وليس بلازم أن

وقد بحثت هذه المسألة بحثاً دقيقاً تبين لي منه أن تقسيط الضريبة المعاشية مع زيادة نسبة سنوية - لا ينطبق عليه باب من أبواب الربا التي ذكرها الفقهاء والمفسرون والمحدثون وإن كان الاقتصاديون الذين وضعوا هذه الزيادة اقتبسوها من الحساب الربوي الذي درسه فيما يسمى بحساب الربح المئوي .

وإذا كان السيد مفتي الخجلة التي أشرنا إليها قد طالب من يفتي بعدم الربا بدليل على فتواه من الكتاب أو السنة أو الإجماع فإني أذكر له دليلاً يرجع إلى الكتاب والسنة والأجماع وهو (الاستقراء) وذلك بأن نتبع أنواع الربا الواردة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ ثم نقرن تقسيط الضريبة المعاشية بكل نوع من هذه الأنواع فنجد أنه لا ينطبق عليه فنعلم أنه لا ربا فيه ، واليك البيان .

الربا الوارد في كتاب الله تعالى نوعان : أحدهما ربا الدين وثانيهما ربا القرض ، والربا الوارد في سنة رسول الله ﷺ ثلاثة أنواع : « أحدها ربا الفضل وهو بيع النقود بنقود من جنسها مع عدم العلم بالتماثل ، وكذا بيع مطعوم آدمي بجنسه مع عدم العلم بالتماثل ، وثانيها - ربا اليد وهو بيع النقود بنقود ولو من غير جنسها مع عدم قبض العوضين أو أحدهما في المجلس وكذا بيع

مطعوم بمطعوم آدمي ولو من غير جنسه مع عدم قبض العوضين أو أحدهما في المجلس . وثالثها - ربا النساء ، وهو بيع النقود بالنقود ولو من غير جنسها مع التصريح بتأجيل القبض وكذا بيع مطعوم آدمي بمطعوم آدمي مع التصريح بتأجيل القبض للعوضين أو أحدهما ولولمدة يسيرة ، والفرق بين النوعين الثاني والثالث هو أن النوع الثاني يتأخر فيه القبض على المجلس من غير نص على التأجيل والنوع الثالث ينص فيه على التأجيل . هذه هي أنواع الربا الخمسة ولا سادس لها في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ وإليك أمثلتها :

١ - (ربا الدين)

هذا النوع من الربا يسمى ربا الجاهلية أو ربا النسئة ، وله أمثلة : (منها) أن يكون لإنسان على آخر دين يجب الوفاء به في موعد ، فإذا جاء الموعد اتفق الدائن والمدين على تأجيل الدين على أن يدفع المدين شيئاً زائداً ، فهذا الزائد هو ربا النسئة سواء أكان من جنس الدين أم من غير جنسه ، وسواء أكان الدين دين بيع أو إجارة أو قرض أو غير ذلك ، وسواء أكان الدين نقوداً أم قمحاً أم تمرأ أم غير ذلك ، وسواء أكان التأجيل إلى أجل مسمى كشهري أو سنة أم إلى أجل غير مسمى كأن يقول

المدين أجل الموعد على أن أعطيك كل شهر عشرة قروش ما دام الدين في ذمتي ثم أوفيه كاملاً (ومنها) أن يتعاقد اثنان على المعاملة بالدين كيبيع ثياب بضمن مؤجل أو كمشراء ثمر مؤجل بضمن حال ويتفقا من حين العقد على أنه إن لم يوف الدين في موعده يزداد عليه كذا أو يزداد عليه كل شهر كذا إلى الوفاء ، (وهذان المثالان) يجمعان أمثلة كثيرة تفصيلية كما لا يخفى ، والربا في جميع هذه الأمثلة في مقابلة التأجيل كأنه أجرة للمنفعة كأجرة سكنى الدار ، غير أن منفعة سكنى الدار لها قيمة شرعية ومنفعة التأجيل للدين اسقطها الشارع فلم يجعل لها قيمة وحرم تقديمها ، ولا يضيرنا أن نجعل الحكمة في هذا التحريم بل نقول كما قال الله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة - الآية ٢٧٥ . . على أن الباحثين ذكروا حكمة التحريم في بعض صور ذلك الربا وإذا حرم فيها حرم في غيرها سداً للذريعة وإغلاقاً لباب الفساد كما في تحريم قليل الخمر .

٢ - (ربا القرض)

هذا النوع من الربا هو الذى أشاعه اليهود وتعاملوا به مع أنفسهم ومع الأجانب

ولم يبالوا بالنهى عنه ، قال تعالى « فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » ١٦٠ - ١٦١ - النساء ، وفي سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر من فقرة ٦ إلى فقرة ١٠ « والإنسان الذى كان باراً وفعل حقاً وعدلاً لم يأكل على الجبال - ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولم ينجس امرأة قريبة ، ولم يقرب امرأة طامثاً ، ولم يظلم إنساناً بل ردّ للمديون رهنه ، ولم يغتصب اغتصاباً ، بل بذل خبزه للجوعان ، وكسا العريان ثوباً ، ولم يعط بالربا ، ولم يأخذ مراهجة ، وكف يده عن الجور ، وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان ، وسلك في فرائضى ، وحفظ أحكامى ، ليعمل بالحق فهو بار » وفى سفر اللاويين إصحاح ٢٥ فقرة ٣٦ « فضنتك لا تعط بالربا ، وطعامك لا تعط بالمراهجة ، أنا الرب إلهك » وفى سفر نحemia إصحاح ٥ فقرة ١٧ « هال النبى نحemia تفشى الربا بين الشعب اليهودى ، فجمعهم وطفق يوبخهم ثم أمرهم أن يردوا في اليوم عينه كل ما أخذوه من الربا ، وختم كلامه مع الشعب اليهودى بتهديد إلهى خطير حيث نفص حجره قدامهم وقال : هكذا ينفض

أرجاء المعمورة وذلك مصداق ما رواه أبو داود وابن ماجه عن الحسن البصرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على الناس زمان لا يبق منهم أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره » والحسن لم يسمع من أبى هريرة ولكنه لا يروى عنه ولا عن غيره إلا ما كان صحيحا فلهذا كانت مراسيله مقبولة ، ومنها هذا الحديث الذى يكاد يكون من المعجزات فإن جميع الأموال التى فى أيدي الناس اليوم إنما أخذوها من المصارف التى تتعامل بالربا فلاأخذون جميعا أصابهم غبار الربا وإن لم يقصدوا التعامل به .

ولهذا النوع من الربا أمثلة (منها) أن يقرض إنسان إنسانا ذهباً أو فضة أو تمرا أو خبزاً أو بقرة أو غير ذلك - على أن يرد إليه زيادة عما اقترض سواء أكانت الزيادة من جنس ما اقترض أم لا ، كأن يقول له أقرضتك مائة جنيه على أن تردّها بعد سنة مائة وعشرين ، أو أقرضتك هذه المائة على أن تعطينى فى رأس كل شهر جنيتها مادام الدين فى ذمتك فإن أديته بعد ذلك أديته كاملا ، (ومنها) أن يقرضه إلى أجل معلوم ويشترط عليه أنه إذا لم يوفى الموعد فعليه أن يدفعه بعد ذلك مع زيادة قدرها تسعة فى

الله بيت المرائى ، ثم قال أخيرا لنترك هذا الربا « وفى المزامير » المؤمن لا يعطى بربا » ^(١) وفى سفر التثنية بالإصحاح الثالث والعشرين « لا تقرض أخاك الإسرائيلى بربا ، ربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شئ مما يقرض بربا . . . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إهلك فى كل ما تمتد إليه يدك » ^(٢) وهذا النص الأخير فيه تقييد تحريم الربا بالإسرائيلى دون الأجنبى وهذا من تحريفهم فقد حكى الله عز وجل عنهم أنهم يستحلون أكل أموال الأيمن أى غير الإسرائيليين - افتراء على الله ، قال تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » الآية ٧٥ - آل عمران

وقد شاع هذا الربا بين الناس بإشاعة اليهود له وتنظيم كل المعاملات الاقتصادية على أساسه وجعلوا ذلك فنا يدرسه الدارسون ويتقنونه ويتخرجون فيه ويؤسسون من أجله المصارف الصغيرة والكبيرة واقتدى بهم فى ذلك المسيحيون والمسلمون حتى عم

(١) انظر كتاب الربا بين الاقتصاد والدين للأستاذ عز العرب فؤاد .

(٢) من مقال فضيلة الشيخ محمد أبى زهرة رحمه الله فى مجلة (المسلمون) .

المائة مثلاً عن كل سنة من سنوات التأخير .
ومعنى هذا أن يحسب ما يزداد عن السنة
ويقسم اثني عشر قسماً ليعلم ما يؤخذ عن كل
شهر أو يقسم ثلاث مائة وستين قسماً ليعلم ما
يؤخذ عن كل يوم من أيام التأخير .
وهذا ، المثالان يجمعان أمثلة كثيرة عند
التفصيل كما لا يخفى .

(وها هنا تنبيه مهم) وهو أن ربا
القرض اليهودى وربا الدين الجاهلى يجمعان
فى نوع واحد وهو الربا فى مقابلة تأجيل
الدين ، فالجاهلى حينما يؤجل الدين بزيادة
تكون الزيادة كأنها أجرة للإمهال أو للصبر
أو للضرر الذى حاق بالدائن حيث لم يأخذ
الدين فى موعده ، واليهودى حينما يقرض
بشرط رد زائد فإن هذا الزائد فى مقابلة
تأجيل الدين الشرعى فإن مقتضى القرض
شرعاً هو رد المثل ، فيكون المثل وحده ديناً
شرعياً ويكون الزائد زائداً على هذا الدين
الشرعى فى مقابل التأجيل أو الضرر الذى
حاق بالمقرض بخروج هذا المال عن يده
مدة من الزمان ، فالنوعان كلاهما زيادة فى
مقابلة تأجيل الدين غير أن الدين ، فى
الحالة الأولى كان ثابتاً ثم اتفقا على تأجيله
والزيادة عليه والدين فى الحالة الثانية لم يكن
ثابتاً من قبل بل ثبت هو والزيادة فى وقت
واحد حيث كانت العبارة هكذا : أقرضتك
هذه المائة بمائة وعشرة أو أقرضتك هذه

المائة على أن تردّها مائة وعشرة فالشرع
يفصل بين المائة والعشرة لأنه لا يبيع
الزيادة على المثل فى القرض فتكون الزيادة
رباً لزيادتها عن المشروع الجائز ، وبهذا
تفارق البيع بالثمن المؤجل فإن صاحب
الأرض مثلاً لو كان يبيعها بألف جنيه حالة
وبألف وثلثائة مقسطة على مائة شهر فذهب
أحد الراغبين فى الشراء وقال له بعنيها
بالثمن المقسط فهذا الثمن يصير كله ديناً
ولا تكون الثلثائة ربة لأن البائع ليس مكلفاً
شرعاً بأن يبيع بمثل الثمن الحال بخلاف
المقرض فإنه مكلف شرعاً أن يقرض بالمثل
فيكون الزائد زائداً على الدين الشرعى .

٣ - (ربا الفضل)

هذا النوع من الربا أمثلة كثيرة (منها)
بيع الذهب بالذهب مع الجهل بالمائلة كأن
يضع سواراً ذهبياً على كفه اليمنى ويضع
سواراً مثله على كفه اليسرى ويقول إنهما
متساويان فهذا لا يكفى بل لابد من الوزن
إلا ما علم تساويه يقينا كجنبيين ذهبيين
معلومى الوزن ومتساويين فى العيار (ومنها)
بيع ذهب بذهب مع العلم بالتفاصيل كيبيع
سواراً جديداً بسواراً قديماً يزيد عنه فى الوزن
(ومنها) بيع جنيه ذهبى عليه صورة جورج
بجنيه ذهبى عليه صورة فيكتوريا مع عشرين
قرشاً ، فهذه العشرون ربة لأن الجنيهين

(ومنها) بيع القمح بالقمح ، أو التمر بالتمر ، أو الشعير بالشعير ، أو الملح بالملح مع الجهل بالتماثل في الكيل أو العلم بالتفاضل فيه ، فإن قال التاجر كيف أبيع التمر الجيد بالتمر الرديء المساوى له في الوزن ؟ ألا يكون هذا غبنا ؟ قلنا له إن رسول الله ﷺ قد أرشد البائعين للتمر إلى ما به يزول الغبن والربا وذلك بأن يبيعوا تمرهم الجيد بدارهم ويشترؤا التمر الرديء بدارهم أقل منها فيحصل لهم مقصودهم من غير ربا ومن غير غبن ، وكذا يقال في القمح الجيد والقمح الرديء والملح الصحيح والملح المطحون ونحو ذلك من كل ما لا تسمح نفس التجار فيه بالمساواة بين العوضين كيلا ووزنا ، ولعل الحكمة في تحريم بيع الطعام بجنسه ومتفاضلا تضيق هذا التبادل منعا للاحتكار كما يقول بعض الباحثين .

(وها هنا تنبيه مهم) وهو أن أحاديث الربا لم تنص إلا على الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ، واختلف الفقهاء هل يقاس على هذه الستة غيرها ؟ فالظاهرية منعوا القياس ، والحنفية قاسوا على الذهب والفضة كل الموزونات كالحديد والنحاس وقاسوا على الأطعمة الأربعة كل المكيلات ولو لم تكن طعاما ، والمالكية لم يقيسوا على الذهب والفضة غيرهما وقاسوا

متساويان في الوزن والعيار (ومنها) بيع مصوغ جديد وزنه أربعة وعشرون جراما وعياره ثمانية عشر بمصوغ قديم وزنه أربعة وعشرون جراما وعياره واحد وعشرون ، وكلاهما من الذهب فهذا ربا لأن الذهب الخالص في المصوغ الأول هو ثمانية عشر جراما فقط والذهب الخالص في المصوغ الثاني هو واحد وعشرون جراما فهو يزيد عنه ثلاثة جرامات وإن كان وزنها الكلي متساويا فإن قال الصائغ أو غيره كيف أبيع الحديد بالقديم متساويا معه وكيف أبيع الصحيح بالمكسر أو المصوغ بالسبيكة مع التساوى ؟ فهذا غبن قلت له إن لم ترض بالغبن فبع ذهبك بنقود غير ذهبية ثم اشتر الذهب الآخر بنقود غير ذهبية وبهذا تحترز عن الغبن وعن الربا . وبهذا يعلم حكم ما يحدث في الصاغة من أن امرأة تعرض على الصائغ مصوغا قديما فيطالبها بأن تدفع معه مائة قرش مثلا ويعطيها مصوغا جديدا بوزن المصوغ القديم وعياره ويقول إن القروش هي أجرة الصنعة ، فهذا ربا والواجب عليه أن يقول لها أشتري منك هذا السوار بكذا من النقود غير الذهبية ثم يبيعها السوار الآخر بنقود تزيد مائة قرش فيحذر من الربا ويأخذ أجرة صنعته (ومنها) بيع الفضة بالفضة مع الجهل في التماثل بالوزن أو مع العلم بالتفاضل فيه على ما سبق في أمثلة الذهب

فالتحقيق هو قياسها على الذهب والفضة في الربا كما تقاس عليها في وجوب الزكاة إذا بلغت نصابا كما قررنا ذلك في مقال سابق .
ولعل الحكمة في منع بيع النقود بالنقود من جنسها إلا مع الحلول والتقابض والتماثل وبنقود من غير جنسها إلا مع الحلول والتقابض - هي التضييق في بيع النقود بالنقود وهو المسمى بالصرف لأن من يجعلون تجارتهم خاصة بالنقود يوسوس لهم شياطين الإنس والجن أن يقرضوا الناس بالربا ، وشيوع القرض بالربا يؤدي إلى أضرار فردية واجتماعية لا تحصى .

٤ - (ربا اليد)

لهذا النوع من الربا أمثلة (منها) بيع النقود بنقود من جنسها أو من غير جنسها مع تأخير قبض العوضين أو أحدهما عن المجلس سواء أكان التأخير منصوحا عليه في العقد أم حصل مصادفة .

وهذا المثال يجمع أمثلة كثيرة (منها) بيع الذهب بالذهب أو الذهب بالفضة أو الفضة بالفضة مع تأخير القبض كما لو أعطى إنسان فضة للصائغ ثمنا لسوار ذهبي ثم قام قبل أن يتسلم السوار ليقضى بعض حاجاته أو قام الصائغ لبعض شأنه قبل القبض فهذا ربا يجب الاحتراز عنه فإما أن يتقابضا العوضين قبل التفرق وإما أن يفسخا

على الأطعمة الأربعة ببقية الأطعمة القابلة للادخار كالذرة والأرز والحمص والعدس والبقول والزيب ، والشافعية لم يقيسوا على الذهب والفضة وقاسوا على الأطعمة الأربعة كل طعام للآدميين للتغذى كالذرة أو التفكه كالتفاح أو التداوى كالمصطكى والصبر والمر ، والحنابلة بعضهم ذهب مذهب الحنفية وبعضهم ذهب مذهب الشافعية (ويجب في زماننا هذا) أن تقاس النقود الورقية على الذهب والفضة فالنقود الورقية المعتمدة في بلد تكون جنسا واحدا كالأوراق النقدية المصرية فإذا بيعت ورقة ذات عشرة جنيهات بعشرة أوراق من ذات الجنيه فلا تفاضل وإن بيعت بأكثر كان فيها ربا الفضل ، وهكذا يقال في نقود الأردن والعراق والكويت والسعودية وليبيا فلا يجوز التفاضل في القيمة بين نقود البلد الواحد وإنما يجوز التفاضل بين نقود بلدين فالدينار الكويتي لو بيع بجنيهين مصريين أو جنيهين وربع أو جنيهين ونصف لم يكن فيها ربا الفضل وهكذا يقال في سائر النقود الورقية لأنها تعتبر أثمانا كالذهب والفضة ، فلا يجوز لنا أن نحمد على ما تلقيناه عن الأئمة من أن الذهب والفضة لا يقاس عليهما غيرهما عند الشافعية والمالكية ويقاس عليهما الموزونات فقط عند الحنفية والحنابلة فلا يكون في النقود الورقية ربا الفضل ولا اليد ولا النساء

عقد البيع لثلا يقعا في الربا (ومنها) بيع مطعوم الآدمي بمطعوم الآدمي ولو من غير جنسه مع تأخير القبض للعوضين أو أحدهما عن المجلس كما لو باع قمحا بتمر وكان نموذج القمح موجودا دون باقيه فبعد انعقاد البيع ذهب لإحضاره فهذا لا يجوز فيجب فسخ البيع قبل قيامه فإذا قام وأحضر القمح وعاد تباعا من جديد وقبض كل واحد منهما حقه قبل التفرق .

(فإن قيل) هذا تضيق على الناس وليس من شأن الشرع التضيق (قلنا) إن التضيق مقصود لكي ينصرف الناس عن مبادلة المطعوم بالمطعوم لأن شيوع هذه المبادلة يؤدي إلى الاحتكار ، ولا يخفى ما فيه من الأضرار فلينصرف الناس عن هذا التبادل ، وليبيعوا الطعام وليشتروه بالنقود .

٥ - (ربا النساء)

لهذا النوع من الربا أمثلة (منها) بيع النقود بنقود ولو من غير جنسها وبيع المطعوم بالمطعوم ولو من غير جنسه مع التصريح في العقد بتأجيل العوضين أو أحدهما ولو مدة يسيرة كأن يقول البائع بعثك هذا الجنيه بجنيه تأتيني به غداً أو بمائة قرش تأتيني بها غدا وكان يشتري إنسان سوارا من الصائغ بنقود فضية يأتيه بها بعد ساعة (وهذه الأنواع الثلاثة) قد تجتمع وقد يجتمع منها

اثنان وقد ينفرد منها واحد (مثال اجتماع الثلاثة) أن يبيع تمرا جيدا بضعفه من التمر الرديء على أن يسلمه التمر الجيد بعد ساعة ثم يتفرقا قبل قبضه فيتحقق في هذه المعاملة ربا الفضل لأن الرديء ضعف الجيد في الكيل وربا اليد لأن المشتري فارق المجلس قبل القبض وربا النساء للتصريح بالتأجيل (ومثال اجتماع اثنين) أن يبيع القمح بشعير ويصرح بتأجيل تسليم القمح ساعة ثم يتفرقا قبل القبض ، فيتحقق ربا اليد للتفرق قبل القبض وربا النساء للتصريح بالتأجيل ولا يتحقق ربا الفضل لأن الطعامين ليسا من جنس واحد ، وكذلك يبيع القمح بقمح لا يساويه في الكيل مع تأخير قبض واحد منهما عن المجلس من غير نص على التأجيل فهذا يتحقق فيه ربا الفضل وربا اليد دون ربا النساء لعدم النص على التأجيل وكذلك يبيع القمح بالقمح المساوي له في الكيل مع النص على تأجيل التسليم ساعة ثم التفرق في المجلس قبل انتهاء الساعة فهذا يتحقق فيه ربا اليد والنساء دون ربا الفضل ، وكذلك يبيع القمح بقمح لا يساويه مع التصريح بتأجيل القبض ساعة ثم يحضر القمح قبل التفرق فيقبضه المشتري فيتحقق ربا الفضل لعدم التساوي في الكيل وربا النساء للنص على التأجيل ولا يتحقق فيه ربا اليد لأنها لم

يتفرقا قبل القبض - ولا يخفى على القارئ الكريم بقية الأمثلة .

(وها هنا تنبيه مهم) وهوان ربا النساء غير ربا النسئة لأن ربا النساء هو بيع النقود بالنقود أو المطعومات بالمطعومات مع النص على تأجيل قبض العوضين أو أحدهما وربا النسئة هو الزيادة على الدين في مقابلة تأجيله وهوربا الجاهلية أو اشتراط رد زيادة على مثل المال المقرض وهو ربا القرض الذى تعامل به اليهود .

التطبيق :

بعد أن أوضحنا الأنواع الخمسة للربا وبيّنا أن النوعين الأولين فى الديون والأنواع الثلاثة الأخيرة فى البيوع نستطيع أن نقارن بينها وبين تقسيط الضريبة المعاشية التى سأل عنها عمال اليومية فنقول :

(الأصل فى نظام المعاش) أن تقتطع الحكومة من المرتب الشهرى للعامل نسبة محصورة حتى إذا بلغ سن الإحالة على التقاعد تقاضى مع تقاعده معاشا شهريا ثم تتقاضى زوجته بعد وفاته وأولاده القصر وأبواه الفقيران بعض المعاش ، وكلما كانت المدة التى اقتطعت الحكومة منها الضريبة المعاشية طويلة كان المعاش الذى يصرف بعد الإحالة على التقاعد كبيرا كما أنه يكون صغيرا إذا كانت المدة قصيرة ولهذا يحرص

العامل على أداء الضريبة المعاشية عن المدة الماضية ليحصل على معاش أكبر ، وفى هذه الحالة تحسب الحكومة المبلغ الذى كان واجب الاقتطاع عن المدة السابقة ثم تطالب العامل بدفعه نقدا بلا زيادة أو يدفعه على التقسيط مع زيادة مقدارها كذا فى المائة ، ولما كانت هذه الحسبة تشبه الحسبة الربوية ظن بعض الباحثين أنها من الربا وليست هى من الربا فى قليل أو كثير فإن تقسيط المعاش لا ينطبق عليه ما عرفناه من ربا الفضل واليد والنساء والقرض فالحكومة لم تعقد مع العامل عقد بيع بالمفاضلة أو التأخير أو الأجل ولم تعقد معه عقد قرض بالفائدة ، فلم يبق بعد ذلك سوى ربا الدين ، فلننظر هل تقسيط الضريبة المعاشية ينطبق عليه هذا النوع من الربا أو لا ينطبق ؟ فلنقل : هل الضريبة المحسوبة عن المدة الماضية للعامل صارت دينا عليه بمجرد الطلب ؟ فيكون تقسيطها مع الزيادة من الربا ؟

والجواب : الواقع أنها لم تصر دينا عليه فإنه لما طالب بدخوله فى نظام المعاش قيل له أن مجموع الضريبة عن المدة الماضية هو مائة جنيه مثلا وإذا قسط على ستين شهرا صار مائة وثلاثين مثلا ، ولا شك أن هذا القول من الحكومة لم يلزمه بالمائة ولا بالمائة والثلاثين وإنما هو عرض للاختيار ، فإذا اختار المائة صارت دينا

عند التقسيط على ثمانية وأربعين شهرا ،
وهلم جرا ، فإذا جاءه من يريد الشراء
أعلمه أن الثمن الفوري كذا وأن الثمن
المقسط أكثر منه وأنه بالخيار بين أن يشتري
بأحدهما ، فإذا اختار الشراء بالثمن
المقسط لم تكن الزيادة ربا لأنها ليست
زائدة على دين في ذمة المشتري وإنما هي
جزء من الثمن وإن كانت زائدة على دين
خيالى فرضى تقديري-فإن التاجر إنما حسب
الزيادة في ألفاظه وفي أوراقه حسبة ربوية كما
قلنا وقد أجمع العلماء على أنه يجوز البيع
بالأجل والتقسيط بثمان أعلى من الثمن
الفوري وأنه ليس ملزما شرعا أن يقف
بالزيادة عند حد إلا أن ينهيه ولى الأمر عن
الزيادة الفاحشة لأن لولى الأمر التسعير في
الفوريات والمقسط والمؤجلات تبعا
للمصلحة العامة فإنه مسئول عن حاضر
الرعية ومستقبلها .

وخلاصة هذا الجواب أن مجموع
الضريبة المعاشية التى يحسبها الحاسبون على
العامل عن المدة التى لم يطالب فيها
بالدفع - إنما هو دين خيالى قدره وفرضه
ليحسبوا ما يزداد عليه إذا قسط على ستين
شهرا أو أقل أو أكثر ، فهو مثل الدين
الخيالى الذى يفرضه التاجر ليحسب الزيادة
عليه عند تقسيطه فكلاهما دين خيالى غير
واقعى فالزيادة عليه ليست ربا وإن سميت

عليه . وإذا لم يخترها بل اختار المائة
والثلاثين ابتداء فالثلاثون لا تكون ربا .
لأنها ليست زائدة على دين ثابت في ذمة
العامل وليست زائدة على دين سيثبت في
ذمته ، وإنما هي مع المائة تصير دين واحد
بعد الاختيار (فإن قيل) إن الحاسبين
الحكوميين قد اعتبروا أن العامل كان يجب
عليه دفع المائة ، فالمائة في عرفهم دين يجب
دفعه فورا ، فمن لم يدفعه فورا قسط عليه
بالفائدة المثوية فالفائدة وهى الثلاثون مثلا
زائدة على الدين في مقابلة تقسيطه ، وذلك
هو ربا الجاهلية بعينه .

(قلنا) إن اعتبار الحكوميين أن المائة
دين إنما هو اعتبار « حسابى » تخيلى فهو دين
في الألفاظ والأوراق تخيلوه لينوا عليه
الفائدة ، والخيال غير الحقيقة .

(فإن قيل) لم لا يقاس الدين الخيالى
الاعتبارى الفرضى على الدين الحقيقى
فتكون الزيادة عليه من أجل التقسيط ربا ؟

(قلنا) لو كان الدين الخيالى التقديرى
الفرضى ربا لامتنع البيع بالتقسيط بثمان
أعلى من الثمن الفوري ، فإن التاجر يفرض
أن الأرض أو السيارة أو المنزل أو الثلاثة
تساوى مبلغا معيناً يدفع فورا ثم يحسب
للتقسيط حسبة كالحسبة الربوية فيقول إن
المائة الفورية تزداد ثمانية مثلا عند التقسيط
على أربعة وعشرين شهرا وتزداد ستة عشر

الأمطار بضمن مقداره كذا على أن يدفع الطرف الثاني من الثمن مبلغاً فوراً ويقسط الباقي على مائة وعشرين شهراً فيكون مقدار القسط كذا ، فإنه يحصل على مقصوده بغير ربا ، وليس هذا الصنع من الحيل الربوية الممقوتة وإنما هو إرشاد إلى السبب المشروع الحلال الذى يغنى عن السبب الفاسد الحرام .

(فإن قيل) إن الضريبة المعاشية التى تقتطع من المرتب الشهري للعاملين تسمى معاشاً وهى تقابل المعاش الذى يأخذه المأجورون على التقاعد للعجز أو المرض أو الشيخوخة فهى نقود مقابلة لنقود غير معلومة التماثل ومؤخرة التقابض فشأنها هو شأن بيع الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة مع الجهل بالتماثل ومع تأخير القبض عن المجلس ومع العلم بالأجل كأنه منصوص لأن المعاش المقتطع يكون قبل الإحالة على التقاعد والمعاش المأخوذ فى مقابلته إنما يكون بعد التقاعد فهو ربا جامع بين ربا الفضل وربا اليد وربا النساء فكيف ترعمون أن نقسيطه ليس ربا ؟

(قلنا) لو كانت هذه المقابلة بين المعاش المقتطع والمعاش المأخوذ مقابلة بيع أو مقابلة قرض لكان أصل نظام المعاش فاسداً من حيث الربا والغرر ولكن السيد مفتى المجلة التى أشرنا إليها قد أفنى بأن يدفع

فائدة وحسبت بالحساب المتوى الزمنى (فإن قيل) ان الضريبة المعاشية ليست مقابلة لسلعة فليست مثل الثمن المقسط ؟ قلنا : كلاهما دين خيالى تقديرى غير حقيقى ولا تأثير لسبب الدين . وهذا واضح جداً . (وما هنا تنبيه مهم) وهو أن التاجر لو قال لمريد الشراء أنا أبيع بكذا حالاً وبكذا مقسطاً فهذا ليس عقداً وإنما هو بيان للثمن الذى يرضى به ، فإذا قال له مريد الشراء اشتريته بالثمن الحال فقال التاجر قبلت ثم وجد المشتري أن التقسيط أيسر له فقال للتاجر قسط الثمن واضمم إليه الزيادة فهذا ربا الجاهلية لأن الثمن الأصلي صار ديناً عليه بمجرد القبول وبهذا يعلم أن ما يفعله بائعو الأراضى وغيرها من قولهم (باع الطرف الأول أرضاً مقدارها كذا وسعر المتر المربع كذا يدفع منه الربع مقدماً ويقسط الباقي على مائة وعشرين شهراً بفائدة سنوية مقدارها كذا فى المائة - تقليد للكفار الذين لا يبالون بالربا - فالمشتري الذى يقبل البيع بهذه الصيغة يقع فى الربا لأنه قبل الثمن الأصلي ثم الزيادة للتقسيط فصار الثمن الأصلي هو الدين والفائدة ربا ، ولو حسب البائع الثمن الفورى ثم أخرج رבעه وزاد الفائدة على ثلاثة أرباعه وجمع الجميع فى أوراقه فكتب فى الصيغة « باع الطرف الأول للطرف الثانى أرضاً مقدارها كذا من

ولى الأمر راع ومسئول عن رعيته حاضرها ومستقبلها فمن شأنه أن يقوم بمصالحها ، ويدبر المال لذلك فيفرض ضرائب مختلفة الأنواع والأسباب ويلتزم بأموار ينفق فيها أموالا لأعمال ولأشخاص حسب المصلحة ومن هنا نرى أن ناسا يطالبون بأموال وآخرين تصرف عليهم أموال وقد يطالب إنسان بدفع مال في وقت ثم يعطى مالا في وقت آخر أو يؤخذ منه مال وتؤدى إليه منفعة ، ولا يراعى في المال المأخوذ والمدفوع أن يكونا متماثلين ولا متقايضين وإنما يراعى أن يكون المأخوذ والمدفوع مؤديين للمصلحة ، ومن ذلك إلزام الموظفين الدائمين بمعاش يقتطع من مرتباتهم الشهرية ليوضع في صندوق المعاشات ويضم إليه مثله أو ضعفه من أموال الدولة المأخوذة من موارد أخرى وينفق من المجموع على من أحيلوا إلى التقاعد للعجز أو المرض أو الشيخوخة فيتقاضوا معاشات شهرية مدى الحياة ثم أزواجهم وأبنائهم القاصرون وبناتهم اللاتي لم يتزوجن وأبائهم وأمهاتهم بشروط مخصوصة دون باقى الورثة . ولا يشك عاقل في أن المأخوذ والمقتطع ليسا عوضين في بيع ولا قرض وإنما هما إعتانتان متقابلتان داخلتان تحت قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) المائدة الآية ٢ (ومما يوضح ذلك) قصة الأشعرين

العامل المائة المطلوبة فوراً ولا يقسطها مع زيادة الثلاثين ، وهذا الإفتاء صريح في إباحة أصل نظام المعاش مع ما فيه من مقابلة نقود بنقود مؤجلة عنها مع عدم العلم بالتماثل .

(والواقع) أن المقابلة بينهما ليست مقابلة مضمنة وثمن ولا مقابلة قرض ووفاء بالمعنى الاصطلاحي بل بالمعنى المجازى كما في قوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » التوبة - الآية ١١١ وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) الحديد الآية ١١ فالجهاد بالنفس والمال مقابل للجنة مقابلة الإحسان بالجزاء الأوفى فشبه الإحسان بالمضمن وشبهت الجنة بالضمن وكذلك شبه العمل الصالح بالقرض الحسن وشبه جزاءه المضاعف بالوفاء للدين مع التضعيف ، ولو كانت المقابلة في الآية الأولى مقابلة مضمنة بضمن حقيقيين لكان فيها ربا للنساء ولو كانت المقابلة في الآية الثانية بين قرض حقيقى ووفائه المضاعف لكان قرضاً بالربا المضاعف وهو أشد أنواع الربا تحريماً .

(فإن قيل) إذا لم تكن المقابلة بين المعاش والمعاش مقابلة بين مضمن وثمن ولا بين قرض ووفاء فماذا تكون ؟ (قلنا) إنها مقابلة إعانة بإعانة . فإن

وقصص أمراء الأجناد المروية في صحيح البخارى وغيره .

روى البخارى في صحيحه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « إن الأشعرين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » وروى البخارى فى صحيحه أيضا عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنها أنه قال « بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل . فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وهم ثلثائة وأنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فى الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله ، فكان مِرْوَدَى تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فى ، فلم يكن يصيينا إلا تمر تمر ، فقلت وما تغنى التمرة ، فقال لقد وجدنا فقدناها حين فنيت » الحديث .

هذان الحديثان وأمثالهما تدل دلالة واضحة على أن ما يجمع بقصد التعاون ويوزع بقصد التعاون لا يشترط فيه التماثل بين ما يؤخذ من الواحد وما يدفع إليه ، فالأشعرى فى الحديث الأول والجندي فى الحديث الثانى قد يكون ما يعطاه أكثر أو أقل مما أخذ منه لو كانت المقابلة بيعا أو قرضا لكانت المعاملة ربا لمقابلة طعام بطعام

مع عدم التماثل لكنها لم تكن كذلك لأنها مقابلة معونة بمعونة ، فصاحب الطعام القليل وصاحب الطعام الكثير كل منهما يقصد أن يكون طعامه مشتركا بينه وبين الجميع ، فإذا جمع الطعام كله كان مشتركا بينهم فإذا وزع أخذ كل واحد حقه بقطع النظر عما أخذ منه ، وهذه اشتراكية إسلامية مبنية على التواد والتراحم والتعاطف والأخوة الصادقة .

فكذلك نظام المعاش أخذا وإعطاء فكل موظف يقصد أن يكون ما يقتطع منه مشتركا بين المتقاعدين ، وكل متقاعد يعلم أن ما يعطاه مأخوذ من ضرائب الموظفين مع ما يضم إليها من الخزانة فالموظف معين والمتقاعد معان ثم إذا تقاعد الموظف صار معانا من الموظفين الجدد ، وهكذا دواليك .

(فإن قيل) إذا لم تكن فوائد تقسيط المعاش لعمال اليومية ربا أفلا تكون شبهة ربا لأنها فوائد تأجيل مال مطلوب ، والشبهة ينبغى اتقاؤها كما هو معلوم .

(قلنا) بعد إلقاء الضوء على هذه المعاملة وبيان أن الفوائد فيها ليست فى مقابلة تأجيل دين ثابت ولا دين منشأتين أنها قريبة الشبه جدا بفوائد تقسيط الثمن فكما أن الثمن الأصلى وفوائد التقسيط يصيران معا بعد اختيار التقسيط ديننا واحدا

لا تفصيل فيه فكذلك المطلوب الأصلي من العمال وفوائد تقسيطه يصيران بعد اختيار التقسيط ديناً واحداً لا تفصيل فيه ، والأول حلال بالإجماع ، فالثاني مثله ، وإذا اشتبه الأمر على العمال وعلى من لا يعلمون فقد أوجب الله عليهم أن يسألوا أهل الذكر كما قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » النحل الآية ٤٣ والأنبياء الآية ٧ فإذا سألوا فأجيبوا بالحق الذي يدمغ الباطل فيزهره فلا شبهة ينبغي اتقاؤها .

(وها هنا سؤال يطرح نفسه) وهو أن بعض الموظفين الذين يقتطع من مرتباتهم الشهرية معاش قد يقومون بإجازة بدون مرتب عدة أشهر ثم يعودون للعمل فيطلب منهم دفع مجموع المعاش عن شهور الإجازة فإذا لم يدفعوه حالا قسط على الشهور الباقية إلى بلوغهم سن التقاعد بفوائد سنوية مقدارها أربعة ونصف في المائة فما حكم هذه الفوائد ؟ (والجواب) إن الموظف إذا اختار التقسيط بالفوائد كان متعاملاً بالربا لأنه بعقد الوظيفة يصير آخر كل شهر دائناً

بمرتب الشهر ومديناً بالمعاش فإذا تقاضى صافي المرتب فلا دين له ولا عليه فإذا طلب الإجازة بدون مرتب فبانقضاء كل شهر يصير مديناً بالمعاش وليس دائناً بالمرتب فإذا عاد إلى العمل صار مديناً بمعاش شهور الإجازة فإذا اختار التقسيط بالفوائد كانت هذه الفوائد ربا لأنها في مقابلة تأجيل الدين فعليه أن يختار الدفع فوراً أو يمتنع عن الدفع وفي هذه الحالة يقسط المبلغ بالفوائد جبراً ومعلوم أنه لا ربا مع الجبر لأن الربا عقد من الجانبين والجبر تصرف من جانب واحد وإذا قلنا إن هذا الجبر ليس ربا وإن تقسيط المعاش عن المدة التي سأل عنها عمال اليومية ليس فيه ربا أيضاً فليس معنى ذلك تبرئة نظام المعاش من الثغرات فإن القائمين بوضع هذه القوانين ليسوا معصومين فنقترح أن تعدل بحذف النصوص التي بمقتضاها تطلب الحكومة من المدينين المتأخرين فوائد سنوية وبقينا أن هذا هو الذي سيكون في المستقبل القريب إن شاء الله .

على البولاقى

دراسة قرآنية

التحريم بالرضاعة ومتى يكون

فضيلة الشيخ / مصطفى محمد الحديري الطير

قال تعالى في سورة النساء :

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من
الرضاعة » الآية ٢٣

وقال في سورة البقرة : « والوالدات يرضعن
أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة »
من الآية ٢٣٣

البيان

دلت الآية الأولى على أن الرضاعة من
أسباب تحريم الزواج ، فتجعل المرضعة في
حكم الأم من النسب للرضيع ، وبناتها في
حكم الأخوات من النسب له ، فيحرم على
الرضيع إذا كبر أن يتزوج مرضعته أو إحدى
بناتها^(١) ، سواء رضعت معه أم لا ، لأنهن
جميعاً أخواته برضاعه من أمهن ، سواء كنَّ
قبله أو معه أو بعده في الرضاع ، وإن كان
الرضيع أنثى حرم على أبناء مرضعته جميعاً

من النسب أو الرضاع أن يتزوجوا بها لأنها
أختهم من الرضاع ، وكما نصت الآية على
ذلك نصت عليه السنة ، قال ﷺ « إن
الرضاعة تُحرِّم ما تحرم الولادة » أخرجه
الإمام مالك في الموطأ عن عائشة ، وكذا
البخاري ومسلم ، واللفظ لمالك

زمن التحريم بالرضاع

يقول الله تعالى في سورة البقرة
« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين »

(١) نسباً أو رضاعاً

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» وهذا يدل على أنه لا حكم للرضاع بعد الحولين ، وأيد ذلك بما أخرجه الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « لا رضاع إلا ما كان في الحولين » .

ثم نقل القرطبي في تفسير آية المحرمات في النساء أن أبا حنيفة كان يرى أن الرضاع بعد الحولين يحرم في خلال ستة أشهر تالية لها ، دون ما زاد على ذلك ، ولم نر له سنداً من السنة على تلك الزيادة ، ولعله جعلها مُحَرَّمَةً بحجة أن القريب من الشيء يعطى حكمه

ثم ذكر عن زُفَرٍ أن الطفل مادام يرتضع من الثدي ولم يقطع فإن إرضاعه يحرم وإن أتى عليه ثلاث سنين .

ونقل ابن تيمية في كتابه (زاد المعاد) في بحث الرضاع الذي جاء في أواخر كتابه - نقل عن طائفة من الفقهاء - أن الرضاع يحرم قبل الفطَم ولم يقدرُوا ذلك بزمن ، وقال : صحَّ ذلك عن أم سلمة وابن عباس والزهرى والحسن والأوزاعى ، وذكر أن الأوزاعى قال : إن فطم وله عام واحد ، واستمر فطامه ، ثم رضع في الحولين . لم يحرم هذا الرضاع شيئاً ، فإن

لمن أراد أن يتم الرضاعة» وهذا النص الكريم يدل على أن الرضاعة لا تحرم إلا إذا كانت في السنتين التاليتين للولادة ، فقد دلت على أن الرضاعة تتم بمضى حولين منها ، وليس بعد تمام شيء ، وهذا أخذ كثير من علماء الصحابة ومن جاء بعدهم . قال القرطبي في المسألة الخامسة من تعليقه على هذه الآية : انتزع مالك رحمه الله ومن تبعه وجماعة من العلماء أن الرضاعة المحرمة الجارية بحرى النسب ، إنما هي ما كان في الحولين ، لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة ، ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة - هذا قوله في موطئه - ثم قال : وهو قول عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم . وذكر على سبيل المثال الشافعى وأحمد وأبا يوسف ومحمدا ، إلخ - ثم قال : وروى عن مالك أنه يعطى حكم الحولين الزيادة اليسيرة عليها ، واختلفت الروايات في ضبطها ، فبعضهم ضبطها بأيام وآخرون بشهر ، وحكى عنه الوليد بن مسلم أن ما كان من رضاع بعد الحولين بشهر أو شهرين أو ثلاثة ، فهو في حكم الرضاع في الحولين ، وما كان بعد ذلك فهو عبث - إلى غير ذلك من الروايات عنه ، قال القرطبي : والصحيح الأول ^(١) لقوله تعالى

(١) أى والصحيح من قَوْلَى مالك الأول وهو أن الرضاعة المحرمة ما كانت في الحولين - كما نص عليه في

موطئه ، دون ما زاد عليها .

تمادى رضاعه ولم يفطم ، فما كان في الحولين يحرم ، وما كان بعدهما لا يحرم : وهذا الرأي أخرى بالقبول ونقل ابن تيمية أيضا عن الحسن بن صالح وابن ذؤيب وجماعة من أهل الكوفة : أن مدة الرضاع انحرمت ثلاث سنين ، فما زاد عليها لم يحرم ، إلى غير ذلك من الأقوال .

ولعل أصحاب مثل هذه الأقوال يرون أن التحديد بحولين كاملين في الآية الكريمة يراد به قطع النزاع بين المطلقة وزوجها الذي طلقها بشأن مدة الرضاع التي تستحق عليها الأجرة ، فإن آية (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) جاءت متممة لأحكام المطلقات ، فهي لا تمنع من نقص مدة الرضاع أو زيادتها عندما يريد الوالدان ذلك ، ولا تمنع من استمرار التحريم بالرضاع بعد الحولين مادام الرضاع متصلا ، عملا بعموم قوله تعالى «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة» فإن حكم التحريم بالرضاع فيها مطلق ولم يقيد بزمان ،

هل إرضاع الكبير يحرم

من الفقهاء من قال إن إرضاع الكبير يحرم كإرضاع الصغير ، لعموم قوله تعالى «وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من

الرضاعة» ولحديث سهلة بنت سهيل ، فقد روى مالك عن ابن شهاب أنه سئل عن رضاعة الكبير فقال : أخبرني عروة بن الزبير أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وكان قد شهد بدرًا ، وكان تبني سالما الذي يقال له سالم مولى أبى حذيفة ، كما تبني رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، وأنكح أبو حذيفة سالما وهو يرى أنه ابنه - أنكحه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وهي يومئذ من المهاجرات الأول ، وهي من أفضل أيامي قریش ، فلما أنزل الله تعالى في كتابه ، في زيد بن حارثة ما أنزل ، فقال «ادعوهم لآبائهم هو أفسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم» ردَّ كل واحد من أولئك إلى أبيه ، فإن لم يعلم أبوه ردَّ إلى مولاه ، فجاءت سهلة بنت سهيل - وهي امرأة أبى حذيفة ، وهي من بنى عامر بن لؤى - إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله كنَّا نرى سالما ولدا ، وكان يدخل على وأنا فضل^(١) وليس لنا إلا بيت واحد ، فماذا ترى في شأنه ، فقال لها رسول الله ﷺ : أرضعيه خمس رضعات فيحرم بلبنها» وكانت تراه ابنا من الرضاعة ، فأخذت بذلك أم المؤمنين عائشة) ثم قال : (وأنى

(١) أى مكشوفة الرأس والصدر ، وقيل على ثوب واحد لا إزار تحته

سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس ، وقلن : لا والله ما نرى الذي أمر به رسول الله ﷺ سهلة بنت سهيل إلا رخصة من رسول الله ﷺ في رضاعة سالم وحده ، والله لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد فعلى هذا كان أزواج النبي ﷺ في رضاعة الكبير .

فأنت ترى أن رسول الله ﷺ قد رخص لسهلة أن ترضع سالما لكي يصبح ابناً لها من الرضاع ، وقد كان وقت هذه الرخصة في دور الرجولة ، قال ابن القيم في فصل الرضاع من كتابه زاد المعاد : قد صح عن النبي ﷺ صحّة لا يمتري فيها أحد أنه أمر سهلة بنت سهيل أن ترضع سالما مولى أبي حذيفة - وكان كبيراً ذا حية^(١) - وقال أرضعيه تحرمي عليه : إلخ

رأينا في قصة سالم

نحن نرى أن سماح النبي ﷺ لسهلة أن ترضع سالما ليحرم عليها ، إنما عالج به مشكلة لن تتكرر ، فهو علاج مؤقت لمشكلة مؤقتة ، وبيان ذلك أن التبنّي كان معروفاً ومُتبعاً في الجاهلية وصدر الإسلام ، ومن صورته أن الرجل يُعَتِّق عبده ويَتَّبِئَهُ ،

فيثبت له بهذا التبنّي حقوق الأبناء ، فتَبْدُو عَلَيْهِ أُمُّهُ بالتبني ، كما تَبْدُو الأُمُّ على ولدها ، فكان يرى منها عنقها وذراعها ونحو ذلك مما لا تظهره للغريب ، ولا تمنع عنه الولد ، كما أنه يرث من تبنّاه كما يرثه ابنه من النسب ، إلى غير ذلك من حقوق الابن النسيب التي يعامل بها الابن الدّعوى وكان أبو حذيفة وزوجته سهلة قد تَبَنَّا سالماً بعد عتقه ، وكانت سهلة بِحُكْمِ هذا التبنّي لا تحتفظ معه كما لا تحتفظ الأم مع ابنها ، فكانت بعض أجزاء من جسمها كالعنق والذراع والساق تظهر له ، كما جاء في حديثها «كان يدخلُ عليَّ وأنا فُضِّلُ» أى مكشوفة الرأس والصدر والذراع ، فلما نسخ الله عادة التبنّي بقوله «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» وقوله «ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم» أصبح هؤلاء الأدعياء غرباء ، فبعد أن كان سالم يدعى سالم بن أبي حذيفة ، قطع عن نسبته إليه وأصبح أخاً له في الإسلام ومولى^(٢) له ، وأصبح غريباً في منزل أبي حذيفة ، فيجب الاحتجاب عنه ، بعد هذه الفترة الطويلة التي مرّت عليه في البنوة وهو صبي ثم فتى

(١) نعم كان ذا حية لأن هذه سنة الإسلام ، ولكنه كان شاباً وقد تربي في بيتها على أنه ولدها ، وسنين لك ما نراه في هذه القصة .

(٢) أى عتقاً له .

وشاب صاحب حلية ، ولكن كيف يمكن الاحتجاب عنه بعد هذا كله ، وبعد أن أصبح ركناً من أركان الأسرة ، ومُعِيناً في شئونها ، فلهذا توجهت سهلة إلى رسول الله ﷺ ليحل هذه المشكلة التي داهمتهم وأمثالهم ، فأفتاها بأن ترضع سالماً خمس رضعات يصبح بعدها ابناً لها من الرضاع فتحرم عليه كأمه من النسب ، ويباح لها بذلك أن تظهر عليه كما تظهر على ابنها من النسب : وليس بلام أن يكون الرضاع من الثدي مباشرة ، بل لا ينبغي أن يحدث ذلك مُباشرةً مع كبير ، وإنما تحلب اللبن من ثديها في إناء ، ويتناوله صاحب المشكلة من الإناء كل مرة من الخمس ، وهذا يكون قد ارتضع منها خمس رضعات ، لأنها مصدر اللبن ، وهذا هو المقصود من الارتضاع منها . وهذه الفتوى وإن كانت أمراً مَوْجَّهاً إلى سهلة ، فإنها أمر إرشادي لها ولثيلاثها ممن هن مثل حالتها ، فإنه لا وجه لخصوصية سالم وسهلة بهذا الحكم ، فإن عدالته تعالى لا تتسم بالخصوصية ، فتشمل المشكلة التي حصل الخطاب بشأنها وما شاكلها من المشكلات الناشئة عن نسخ التبنّي .

ولا ينبغي أن يتوسع في هذا الحكم ، فإنه لا يصح أن يطبق الآن بعد نسخ التبنّي على أى حالة سواه ، فلو أرضعت امرأة بلبنها رجلاً كبيراً خمس رضعات ، فإن هذا الرضاع لا يحرمه عليها ، ولا يبيح له النظر إليها ولا مجالستها في خلوة ولا السفر معها .

وكذلك كان ينبغي أن لا يطبق على أية حالة بعد انتهاء مشكلة التبنّي ، فإن الضرورة تقدر بقدرها ، ويزول حكمها بزوالها ، والأصل في الرضاعة أن تكون للصغار لتكوينهم حتى يقدرُوا على تناول غير اللبن ، فيزول حكمها حينئذ ، وهذا أخذ جمهور العلماء ، ومنهم ابن مسعود ، قال القرطبي : قدم رجل بامراته من المدينة ، فوضعت وتورّم ثديها ، فجعل يمصه ويمجّه ، فدخل في بطنه جرعة منه ، فسأل أبا موسى الأشعري فقال : بانت منك ^(١) ، وأتيا ابن مسعود فأخبراه . مافعل فأقبل ابن مسعود بالأعرابي إلى أبي موسى الأشعري وقال : أرضيعاً ترى هذا الأشمط ^(٢) ؟ إنما يُحرّم من الرضاع ما يُنبِت اللحم والعظم ، فقال الأشعري : لا تسألوني عن شيء وهذا الحبرّين

(١) أى انفصلت منك وفسخ نكاحك لها . لأنك صرت ولدها بالرضاع - هكذا فهم الأشعري قبل أن يراجع ابن مسعود ويجعله يعدل عن فهمه .

(٢) الأشمط هو الذى اختلط بياض الشعر بسواده في رأسه ،

وقد بدت هذه الرواية التي رواها الإمام مالك في موطنه بالنسبة للسيدة عائشة - بَدَتْ - واضحة الغرابة ، إذا قورنت برواية أخرى له تفيد أنها كانت تصنع ذلك مع الرضعاء الصغار ، فقد روى في موطنه عن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر أخبره (أن عائشة أم المؤمنين . أرسلت به وهو يرضع إلى أختها .

أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، فقالت : أرضعني عشر رضعات حتى يدخل عليّ . قال سالم : فأرضعني أم كلثوم ثلاث رضعات ، ثم مَرَضْتُ فلم ترضعني غير ثلاث رضعات . فلم أكن أدخل على عائشة من أجل أن أم كلثوم لم تتم لي عشر رضعات) .

فأنت ترى من هذا النص الذي رواه مالك ، أنها كانت شديدة الحرص على تنفيذ شريعة الحجاب ، وأنها لحرصها على دوام الصلة بين آل أبي بكر وآل عمر ، كانت تبعث بالرضيع من آل عمر إلى أختها أم كلثوم لترضعه ، حتى إذا كبر أمكن أن يدخل عليها لأنها خالته من الرضاع ، وأنها كانت تتشدد في عدد الرضعات المحرمة فترى أنه لا يحرم سوى عشر رضعات ، ولهذا لم يتمكن سالم بن عبد الله بن عمر في كبره من الدخول عليها ، لأنه لم يستكمل في طفولته سوى ثلاث رضعات من أختها

أظهركم : اهـ

وكان أبو موسى يقول بتحريم الرضاع للكبير والصغير ، فلما سمع ذلك من ابن مسعود ، رجع عن رأيه وقصر التحريم على زمن الرضاع المعهود

مذهب عائشة في إرضاع الكبير

قد علمت من حديث سالم وسهلة الذي رواه الإمام مالك في موطنه ، أن السيدة عائشة كانت ترى أن رضاع الكبير يحرم كرضاع الصغير ، وأن سائر زوجات الرسول كان رأيهن ، أن تحريم سالم على سهلة وبنوته لها بإرضاعها إياه خمس رضعات وهو كبير إنما هو خصوصية لها ، فلا يطبق على أى حالة سوى حالتها ، ولعل زوجاته عليهن السلام كان غرضهن من اختصاص التحريم بقصة سالم ، أنه يختص بها وبما ماثلها من حالات التبنى التي نسخها الله ، إشفافاً على الناس من المتاعب التي سببها نَسَخُ التبنى ، فقد أصبح به المتبنى غربياً يجب الاحتجاب عنه ، بعد أن كان ابناً يرى من أمه أطراف جسدها التي يراها الابن من النسب ، فهو يختص بهذه الحالات ولا يطبق في سواها من أحوال الكبار .

على) وأخرجه البخارى فى كتاب النكاح ،
ومثله مسلم .

فلهذا أستبعد ما جاء فى الخبر ، من أمها
ذهبت إلى أن إرضاع الكبير يحرمه على من
أرضعته ، ويجعلها فى حكم أمه ، ويجعل
بنائها وبينها فى حكم إخوته ، وأما كانت
تأمر أختها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق أو
بنات أخيها أن يرضعن من أحب أن يدخل
عليها من الرجال - كما جاء فى حديث سالم
وسهلة الذى أخرجه مالك وغيره ، وأما
تفردت بهذا رأى بين أمهات المؤمنين
زوجات النبى ﷺ ، فإيهن رأين أمها
رخصة اختص بها سالم بسبب نسخ عادة
التبى كما شرحناه .

إننا نستبعد هذا الخبر عن أم المؤمنين
عائشة ، فإنه يفتح باب الفتنة ، ونخشى أن
يكون من اختراع المنافقين الذين افتروا عليها
قصة الإفك التى حكاها الله تعالى فى سورة
النور ، أو من افراء غلاة الشيعة ، وأن
هؤلاء أو أولئك دسوه على رواية السنة ،
والذى يطمئن له الفؤاد هو نحو ما جاء
بحديث سالم بن عبد الله بن عمر ، أى أنها
كانت تصنع ذلك فى بعض الأطفال
الرضعاء المحيطين ببيت النبوة ، الذين سوف
يدخلون عليها فى كبرهم ، فكانت تحتاط
لذلك ، فتعدهم بهذا الرضاع فى
صغرهم ، لكى يكون دخولهم عليها فى

أسماء ، لأنها مرضت فلم تستطع أن ترضعه
عشر رضعات كما أمرها عائشة ، فلو كان
رضاع الكبير يحرم عندها فى غير موضوع من
نسخ تبنيهم ، فلماذا لم تفعل ذلك مع سالم
فى كبره ، بعد أن فاته الرضاع فى صغره ،
فتجعله يرضع من إحدى قريباتها ، ليكون
بهذا الرضاع محرماً لها ، فيصح دخوله
عليها ، ثم إنك ترى نافعاً شديد الدقة فى
روايته لقصة رضاع سالم بن عبد الله بن عمر
من أخيها أسماء ، إذ يقول « أرسلت به وهو
يرضع » ليشير بذلك إلى أمها كانت تفعل
ذلك فى سن الرضاعة ، لا بعدها ، ولهذا
قال سالم فى آخر الحديث (فلم أكن أدخل
على عائشة من أجل أن أم كلثوم لم تتم لى
عشر رضعات) أى لم تتمها لى وأنا صغير فى
سن الرضاعة ، كما هو الشأن شرعاً وكما
أمرت به عائشة .

ومن الشواهد على عنايتها بأمر
الحجاب ، ودقها فى عدم الأخذ بأحكام
الرضاعة إلا عند الاطمئنان إليها ، مارواه
الإمام مالك فى الموطأ عن ابن شهاب عن
عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أمها
أخبرته ، (أن أفلح أخوا أبى القعيس جاء
يستأذن عليها - وهو عمها من الرضاعة -
بعد أن نزل الحجاب - قالت - فأبيت أن
أذن له على ، فلما جاء رسول الله ﷺ
أخبرته بالذى صنعت ، فأمرنى أن أذن له

الرضعات الخمس في رواية أخرى لحفصة ، وبه أخذ الإمام الشافعي ، وهو الذى عليه الفتوى الآن ، ولعله أدنى ما يتناسب مع قوله ﷺ « لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم » أخرجه أبو داود عن ابن مسعود برفعه ، وكذلك ما أخرجه الترمذى من حديث أم سلمة أنه ﷺ قال « لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي ، وكان قبل الفطام » .

ومهم من قال : لا يحرم إلا عشر رضعات ، وبه أخذت عائشة رضى الله عنها ، وقد مريانه في قصة سالم بن عبد الله بن عمر ، وقيل غير ذلك ، وأقواها دليلا ما ذهب إليه الشافعي ، وهو أن التحريم لا يثبت إلا بخمس رضعات معلومات فأكثر - والله أعلم -

الحكمة في التحريم بالرضاع

جعل الله الرضاع لُحْمَةً كُلُّهُمُة النسب . بحيث يحرم في النكاح ما يحرمه ، لأن الرضيع يعيش على اللبن الذى يخرج من ثدى مرضعته كما يعيش ولدها عليه ، ولأن اللبن خلاصة من دمها ، وقد تعاونت أجهزة جسدها على تحويله إلى لبن خالص من ين فرث ودم ، فقد اشترك في ذلك قلبها وأعصابها وغددها وخلاياها ، فإذا

كبرهم مشروعا ومباحا ، لكونها خالتهم أو عمتهم بهذا الرضاع ، ولا شك أن أمرها مع سالم بن عبد الله بن عمر يؤكد حرصها على الحجاب ، فإنه لَمَّا لم يكتمل له عشر رضعات في صغره لم يدخل عليها في كبره

آراء العلماء

في الرضعات المحرمة

اختلفت العلماء في عدد الرضعات التى تحرم الرضيع - أى تجعله كالولد من النسب في حرمة النكاح - فهم من يحرمه برضعة واحدة محققة ، فإنها أقل ما يطلق عليه اسم الرضاع الذى جعله الله سببا للتحريم في قوله « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » وفي ذلك يقول الليث بن سعد : الرضاع قليله وكثيره يحرم في المهد ، كما يفطر الصائم بالقليل والكثير

ومن العلماء من اشترط ثلاث رضعات للتحريم بالرضاع ، لقوله ﷺ « لا تحرم المصاة ولا المصتان » أخرجه مسلم . قال القرطبي : وهو يفسر قوله تعالى « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم » أى أرضعنكم ثلاث رضعات فأكثر : ١ . هـ وقد جاءت الرضعات الثلاث في رواية لحفصة .

ومهم من اشترط خمس رضعات لحديث سهلة الذى مر ذكره ، فقد جاء فيه « أرضعنيه خمسا يحرم عليك » وقد جاءت

بها ، سواء من رضع منهم معها أو قبلها أو بعدها ، لأنها أختهم من الرضاعة ، فحكمها في ذلك حكم الأخت من النسب ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وينتقل التحريم من المرضعة إلى أصولها وحواشيها وفروعها ، فأبوها جده لأمه من الرضاع وأمها جدته كذلك ، وأختها خالته ، وأخوها خاله ، وبنت ابنها تعتبر بنت أخيه ، وبنت بنتها تعتبر بنت أخته - إلى غير ذلك من الصور التي تثبت حرمة الزواج بين الرضيع وبين أقاربها من الأصول والفصول والحواشي - ذكراً كان الرضيع أو أنثى .

وزوج المرضعة الذي جاء لبنها بسبب حملها منه يكون والدًا للرضيع ، وأصوله أجداده وجداته ، وأولاده ولو من غير المرضعة إخوته وأخواته ، وإخوة صاحب اللبن وأخواته أعمام الرضيع وعماته وهكذا . أخرج الإمام مالك في موطنه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت « جاء عمي من الرضاعة يستأذن عليّ ، فأبيت أن آذن له عليّ حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فجاء رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال « إنه عمك فأذني له - قالت - فقلت : يا رسول الله إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل ، فقال : إنه عمك

تغذى به الطفل فإنما يتغذى بخلاصة من دمها وجسدها ، فصار بذلك كأنه جزء من جسدها ، فلهذا أعطى حكم ولدها في حرمة النكاح .

الجهات التي تنتقل إليها الحرمة بالرضاع

قلنا إن الحرمة تثبت برضاع الطفل في أثناء الحولين التاليين لولادته خمس رضعات معلومات يقيناً ، وإن هذا العدد هو الذي عليه الفتوى لقوة دليله ، ولما فيه من منع الحرج على الناس فيما هو أقل منه أو كان مشكوكاً في كونه خمسا ، فإذا أرضعت المرأة طفلاً خمس رضعات معلومات يقيناً ، صارت أمّاً له من الرضاعة ، فيكون لها بذلك حكم الأم من النسب في حرمة نكاحه لها بعد كبره ، وصارت بناتها أخواته من الرضاعة ، فيكون لهن حكم الأخوات من النسب في حرمة التزوج بهن ، وكما يحرم على الرضيع أن يتزوج بنات المرضعة نسباً . يحرم عليه أن يتزوج بناتها رضاعة فهن جميعاً أخواته من الرضاعة ، فيستوى في حكم التحريم من رضعت منهن معه أو قبله أو بعده .

وإذا كان الرضيع أنثى حرم على جميع أبناء المرضعة نسباً أو رضاعاً أن يتزوجوا

صاحب اللبن أو أبناءه أو أبناء مرضعته ،
لعدم وجود رضاع هؤلاء أو أولئك ، وفي
موسوعات التفسير وكتب الفقه فروع كثيرة ،
وقد أسهب ابن القيم - رحمه الله - في
حديثه عن أحكام الرضاع في أواخر كتابه
زاد المعاد ، فراجع إن شئت ، وحسب
الكافّة ما ذكرناه ، والله تعالى أعلم .
مصطفى محمد الحديدي الطير

فَلْيَلِجْ عَلَيْكَ « أَى إِنَّهُ عَمَكَ مِنَ الرضاع
فليدخل عليك وقد أخرج هذا الحديث
البخارى فى كتاب النكاح ، ومسلم فى
كتاب الرضاع .

أما إخوة الرضيع من النسب ، فلا
حرمة بينهم وبين مرضعته ، فلأى واحد
منهم أن يتزوجها أو إحدى بناتها ،
ولأخوات الرضيع من النسب أن يتزوجن

الْبَخِيلُ شَقِيٌّ بِمَالِهِ

لَمْ أَرَأَشَقَى بِمَالِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا يَهْتَمُّ بِجَمْعِهِ ، وَفِي
الْآخِرَةِ يُحَاسِبُ عَلَى مَنَعِهِ ، غَيْرَ آمِنٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ هَمِّهِ ، وَلَا نَاجٍ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ إِثْمِهِ ، عَيْشُهُ فِي الدُّنْيَا عَيْشُ الْفُقَرَاءِ ، وَحِسَابُهُ فِي الْآخِرَةِ
حِسَابُ الْأَغْنِيَاءِ ..

الحسن البصرى

من أخلاق الإسلام

فضيلة الشيخ أبو الوفا المرائي

وما أروع ما قال الغزالي في الموازنة بين
اللسان وغيره من الجوارح ، إذ يقول اللسان
رحب الميدان ليس له مرد ، ولا نجاله
منتهى وحد ، له في الخير مجال رحب ، وله في
الشر ذيل سحب ، فمن اطلق عَذْبَةَ اللسان
وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في
كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن
يضطره إلى البوار ، ولا يُكَبُّ الناس في
النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم
ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام
الشرع .

وإذا كان الإسلام نظاماً كاملاً لحياة
الإنسان تناول سلوكه في جميع مراحل
بالتنظيم والتهديب والتوجيه وكان اللسان
أهم أدوات السلوك الإنساني كان من
الطبيعي أن يتناوله بالتخطيط ويرسم له
ميدان العمل المباح ، ولخطر اللسان وضمان
عدم الخطأ في الكلام فضل الإسلام
كما فضلت الأديان الصمت ومدحه وحث
عليه فقال ﷺ : من صمت نجا . وقال :

عن مالك بن أنس رضى الله عنه بلغه
أن عيسى بن مريم يقول : لا تكثرُوا الكلام
بغير ذكر الله فتفسد قلوبكم فإن القلب
القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون ،
ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب
وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ،
فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء
واحمدوا الله على العافية . أخرجه الموطأ .
لعل مما يصح وصف اللسان به أنه ملك
أو شيطان ، ملك إذا صلح واستقام لأنه
ينطق بالحكمة والموعظة فيأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وترجم عن العلوم ودقائق
المعارف ومكونات الضمائر ويؤديها إلى
الناس فيفهموها ويفيدوا منها وتستنير بها
أذهانهم وعقولهم فسمو إلى سماء العز
والكرامة ، وشيطان إن فسد وانحرف يسعى
بين الناس بالفساد ويكون رسول الخقد
والكراهية إذ يغرى بعضهم ببعض ويؤلب
بعضهم على بعض وميدانه في ذلك فسيح
يجرح وقل أن بأسو .

وشغل اللسان بفضول القول شغله بذكر الله ، ففي شغل اللسان بذكر الله سلامة من العثرات واكتساب لرضا الله بذكره والثناء عليه وفي ذكر الله اطمئنان القلب واجتماع البال كما قال سبحانه : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . ولقد كرر الله في عشرات الآيات الأمر بذكره وتسبيحه فقال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً » . وقال سبحانه : « وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم » وقال سبحانه : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون » .

إن الاقتصاد في الكلام وتوفير وقته لمهمات الأمور خلق حضارى رفيع فالشعوب المتحضرة تكره الثثرة وتعددها بضاعة المتبطلين الفارغين إلا أن ذلك الخلق الحضارى كان ولا يزال خلقاً دينياً تظاهرت الأديان والعقول على امتداحه واستحسانه ، كما تضافرت على ذم المستكثرين من الكلام كما روى في الحديث عن عيسى بن مريم عليه السلام ، وكما روى في حديث آخر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فقد روى عنه في حديث له : ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون

الصمت حكم وقليل فاعله . ولكن إذا كان لابد من الكلام كان من رحمة الإسلام وحزمه أن يضع حدوداً لماله ضرورة من الكلام في المخاصمات في الحقوق والمجادلات في العلوم وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم حظر الكلام في مواطن كثيرة لسوء آثاره وتفاقم أخطاره ، وإن أبغض الرذائل إلى الفطر جميعاً وإلى الأديان عامة كثرة الكلام واللغو فيه ، ولم يكثر العلماء والحكماء ورجال الأخلاق الحديث في نقيصة خلقية مثلاً أكثروا الكلام فيها ، ولقد انكرت الأديان كثرة الكلام لخطورها على صاحبها في دينه ودنياه ، أما في الدين فلأن فيما ينطق به ما ينال الناس ويؤذيهم وهو مؤاخذ به ومحاسب عليه قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ، وأما في الدنيا فإنه يستجر عليه الإحن والحفاظ دون غرض صحيح وفائدة مرجوة ، إن للسان مزالق كثيرة من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات ، ولا يأمن الإنسان إذا تكلم أن يقع في أحد هذه المزالق وكلها ذنوب ترين على القلوب فتقسيها وتطبع عليها فتتسببها الله وتبعدها عنه وخير من الكلام فيما لا يعنى

المتفهبون .

ذلك مجمل الكلام فيما تضمنه الشق الأول من القول في فضيلة الاقتصاد في الكلام وفي شقه الثاني تنويه بفضيلة خلقية خطيرة في آثارها إن تحققت وخطيرة في آثارها إن أهملت ، تلك الفضيلة هي التي أشار إليها الحديث بقوله : لا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس مبتلى ومعافى فارجموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية ، وآثار هذه الفضيلة إن تحققت أن تصلح شئون الناس جميعاً وتقل فيهم الجرائم ويسودهم الصفاء والود فلو نظر كل إنسان إلى ذنوبه وتفكر في شرورها وعواقبها وحاول كفاحها فأقلع عنها وتطهر منها سلم له دينه ودينه وكان قدوة لغيره وإذا تم ذلك بباعث الخشية من الله كانت عبوديته عبودية خالصة له وهي أقصى مراتب القرب منه ، وإذا تجرد من هذه الفضيلة واستسلم لهواه وشيطانه وشغل نفسه بعيوب الناس وذنوبهم استبدل الأدنى بالذى هو خير وانساق من هذه النقيصة إلى نقائص أخرى كلها آثام وشرور ، سينساق إلى سوء الظن بالناس في كثير مما يعملون وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه كما يقولون ، وسيفسر أفعال الناس بأسوأ التفاسير ويستبعد ما عسى أن يكون لهم من معاذير وينسى في غمرة

الجهل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ، وستسوقه نقيصة الاشتغال بذنوب الناس إلى تتبع عوراتهم والتفتيش عن سوءاتهم ليرضى شهوة التطلع الخبيثة فيقع في خطيئة التجسس التي نهى الله عنها في الآية الكريمة بقوله « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً » ، وسيجره سوء الظن والتجسس إلى التشهير بإخوانه المسلمين وإذاعة السوء عنهم ولكل ذلك عواقبه في علاقاته بإخوانه واستجلاب غضبهم وكراهيتهم .

ولو وقف كل منا من نفسه موقف الخاسبة والمعاتبة وتدبر حقيقة النفس الإنسانية وأنها على استعداد للخير والشر وأنها إلى الشر أميل لدافع الهوى والشيطان والرغبة في اللذة العاجلة كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم » . لو تدبر كل منا ذلك وعلم أنه بحكم فطرته له حظه من الطاعة وحظه من العصيان ولا يسلم من الخطيئة إلا من رحمه الله واصطفاه لأغضى عن عيوب الناس وأسبل عليهم جلايب الستر وتأدب بأدب الرسول حيث يقول من ستر أخاه المسلم في الدنيا فلم يفضحه ستره الله يوم القيامة . قد يقول قائل

لا فريضة هذا إذا رجح أن المنكر يزول بإنكاره فإذا رجح أنه يؤدي ولا يترتب على نصحه فائدة فحينئذ يكره له أو يحرم إذ كان من الإلقاء باليد إلى التهلكة .
ويصلح أن يكون هذا التفسير وجهاً آخر لتأويل الحديث بمعنى أن الإنسان عليه أن ينظر في ذنوبه ويترك الناس وذنوبهم ولا ينكر عليهم إذا يئس من استجابتهم لوعظ وإنكار لأنه عمل دون جدوى ، وملخص دفع التعارض أن يقال إن النص الوارد بالأمر بالمعروف إنما ورد في حالة الظن بفائدته والنص الوارد في ترك الأمر بالمعروف إنما ورد في حالة اليأس من ذلك .

إن الخطيئة مرض النفس وهو كمرض الجسم فمن ألم منها بشيء فهو مريض مبتلى خالق بالثناء والشفقة ومن سلم منها فقد صح وتعاوى وعلى المسلم أن يقدر ذلك ويدعو لمرضى النفوس بالشفاء ويحمد الله على العافية .

وبعد فقد تضمن الحديث فضيلتين من أصول الفضائل الإنسانية التي اتفقت عليها الأديان وردتا عن عيسى عليه السلام ، وأقرهما الإسلام وما أكثر الفضائل التي اتفقت عليها الأديان وإنها لتلتقي جميعاً في تطهير نفوس الناس لتوفير السعادة والصفاء بينهم .

إن هذا الحديث يغلق باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الأمر المهم في الدين والذي تواترت النصوص القرآنية والنبوية على الاهتمام به وإحيائه في جميع الأزمان بين المسلمين فالحديث يوجب ظاهره أن ينظر الإنسان إلى ذنوبه وعيوبه فيشتغل بإصلاحها ولا ينظر إلى ذنوب غيره ويشغل نفسه بها وذلك تعارض والذي نراه في تأويل هذا الظاهر ليدفع التعارض وتلتقى النصوص الواردة في الأمر بالمعروف مع الحديث أن معناه ولا ينظر إلا ذنوب غيره أى لا يفتش على ما خفى منها لينكره على صاحبه ويكتفى بإنكار ما ظهر منها بالأسلوب الذى رسمه الإسلام فى الإنكار بأن يكون بالرفق واللين دون تعنيف أو استطالة وترفع أو تشهير وأن يخفى إنكاره قدر الإمكان وأن يغلب على ظنه أنه على استعداد لقبول النصح دون لجة أو مكابرة فإن غلب على ظنه الرفض والمكابرة أو وقوع الأذى فليس عليه أن يتصدى لهذا الشأن ، وهذا ما فسر به العلماء قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . قال صاحب المنار بعد ما أفاض فى تفسير هذه الآية « والتحقيق أن من علم أو ظن ظناً قوياً أنه ينال الأذى إذا أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر يسقط عنه الرفض ويكون الأمر والنهي حينئذ فضيلة

اعتبار الإسلام الفروق بين الناس

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : كم نغفو عن الخادم فصمت ، ثم أعاد الكلام فصمت . فلما كان الثالثة قال : اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة . أخرجه أبو داود .

وعن أبي رافع بن مكبث رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : حسن الملكة نساء وسوء الخلق شؤم . أخرجه أبو داود .

سبحان الله لقد وزع الحظوظ على الناس من العقل والعلم والمال والجاه وغيرها من النعم فأعطى وحرم ليتلى كلا من المخطوظين والمحرومين وليجزى من يرضى ومن يسخط بما يستحق من الثواب والعقاب على الرضا والسخط ، ومن آثار ذلك التوزيع أن يستخدم بعض الناس بعضاً ويستسخر بعضهم بعضاً فتتيسر شئون الحياة وتنظم أمورها ولتستقر أحوالها ، قال تعالى : «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون» . إن الفوارق بين الناس في نعم الدنيا سنة من سنن الوجود وطبيعة الخلقة والتكوين ،

فمحاولة التسوية بينهم بأى وسيلة أو بأى مذهب من المذاهب البشرية معارضة لتلك السنن لا تنتهى إلا بالفشل مهما أحيطت بسلاح القانون أو سلاح الإرهاب ، وكيف يمكن لمجتمع أن يعيش ويستقر في ظل نظام يسوى فيه تسوية كاملة بين رئيس الدولة وجامع القمامة أو سائس الخيل أو راعى الغنم أو بالغ الذروة في العلم والشأدى فيه مهما زينت الدعايات وزخرفت في القول لتلك المذاهب . فواقع ما يجرى من شئون الحياة وواقع التطبيق لتلك المذاهب كفيل بالكشف عن باطلها وبيان زيفها .

إن الإسلام وهو دين الفطرة والواقع قرر التسوية بين الناس في أصل الخلقة والتكوين وخصائص الإنسانية وتكاليف الدين والمثوبة على العمل بتلك التكاليف ، وفرق بينهم في الرزق والعلم والجاه والكفاية لحمل الأعباء والقدرة على خدمة الجماعات بتحقيق المنافع ، وفيما يتصل بالتسوية في أصل الخلق يقول تعالى : «يأبىها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» . وفيما يتصل بالتسوية في التكاليف بأحكام الدين يقول تعالى : «يأبىها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» . ويقول تعالى : «يأبىها الرسل كلو من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم» .

وفى الناس بحكم الفطرة والدين رئيس
ومرءوس وسيد ومسود ولكل منها - كى
تنظم شئون الحياة فى المجتمعات - حدود
وقيود عنى الإسلام ببيانها ، فبين حدود
السادة والرؤساء فيما احتملوا من مسئوليات
وما أعطوا من سلطات وبين حدود الخدم
والمسودين فيما احتملوا كذلك ، وقد
تكفلت كتب التفسير والحديث والفقه
بشرح كل ذلك وتفصيله والذى يعيننا هنا
بيان حدود السيد وعلاقته بخادمه وكيف
أولاها الإسلام عنايته ولقد جاء الإسلام
والاستخدام شائع فى العالم وبخاصة
استخدام الرقيق ، وكانت نظرة السادة إلى
الرقيق نظرة خاطئة ومعاملتهم إياهم معاملة
سيئة قاسية . فكانوا ينظرون إليهم نظرتهم
إلى البهائم والمتاع يبيعونهم ويبتاعونهم
ويسومونهم سوء العذاب بل يقتلونهم إن
شاءوا فحاول الإسلام أن يغير تلك النظرة
ويعيد إليهم اعتبارهم كأناس فأخذ يوصى
بهم وبحسن معاملتهم ، وأكثر النبي من
الأحاديث فى الرفق بهم والعفو عنهم وفى
الحديثين اللذين صدرنا بهما كلمتنا نموذج
من تلك الوصايا . فى أحدهما أمر بالعفو
عن الخادم وإن تكرر خطؤه وتوالت عثرته ،
فقد يصلح الإغضاء والتسامح من أمر
الخادم ما لا يصلحه الضرب ، وفى الثانى
إرشاد إلى أن حسن الملكة أى التملك وهى

وفى يتصل بالثوبة على العمل بأحكام الدين
يقول تعالى : « من عمل صالحا من ذكرا أو
أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون » . ويقول تعالى : « من يعمل مثقال
ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره » . وينبغى أن نلاحظ أن الصيغ الواردة
فى هذه الآيات هى من صيغ العموم التى
تشمل جميع الناس ولا تفرق بين أحد
منهم ، وفىما يتصل بأمر الرزق والعلم
والتصدير لقيادة الناس وسياستهم وتدبير
شئونهم وأمور معاشهم عامة يقول سبحانه :
« والله فضل بعضكم على بعض فى
الرزق » ، ويقول سبحانه : « نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات لبتخذ بعضهم
بعضا سخريا » ، ويقول جل شأنه : « قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ولقد اصطفى الله بعض خلقه
لحمل رسالاته ولم يجعلهم جميعا أنبياء
ورسلا وامتزج على بعض الأمم بأن جعل فيهم
أنبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من
العالمين ، فإطلاق قضية التسوية ، بين الخلق
فى جميع الشئون قضية ينقصها التحرير
والتوضيح حتى لا ينخدع بها بعض العوام
فيتخذها أداة للهدم والتخريب بعد أن
يلبسوها ثياب الدين .

معاملة الرقيق بالملاينة والتلطف سبيل إلى البركة والزيادة في الرزق فبحسن المعاملة ينشط الرقيق والخادم ، في الخدمة وتتوافر أمانته وحرصه على ما أوّمن عليه ووكل إليه التصرف فيه . من مال سيده أو مخدومه فينمو ويزداد ولن يحصل ذلك إن أساء معاملته واشتط في عقابه وتأديبه وكم من خادم أمتك قلب سيده واكتسب ثقته وعطفه دون أقرب الأقرباء إلى السيد والمخدوم ومن شواهد التاريخ على ذلك أننا نجد كثيراً من هؤلاء السادة قد وقفوا عقاراتهم وأمواهم على معاتيقهم وخدمتهم مكافأة لهم على حسن خدمتهم وأمانتهم وحرصوا من ذلك أهلهم وأقاربهم ، وإذا كانت قواعد الإسلام وجوب الرفق بالناس عامة فإنه قد خص طبقة الرقيق والخدم بمزيد من الرفق لأنها طبقة مستضعفة يجب أن ينصرها ويأخذ بيدها ويحترم إنسانيتها التي يحاول بعض الجهلة والطغاة إهدارها .

وقد كثرت أحاديث الرسول في ذلك بأساليب رائعة من الترهيب والترغيب ، ويمكن إجمال معانيها دون التطويل بذكر نصوصها في أن الإسلام نظر إلى الخادم نظرة إنسانية سامية هي نظرة الأخوة الرقيقة الحانية لا نظرة الملكية المستبدة المتغترسة ، وعلى هذا الأساس أمر الإسلام السيد أن يطعم خادمه مما يطعم وأن يلبسه مما يلبس

ويرفق به في العمل فلا يحمله منه إلا ما يطيق ، فإن كلفه بما يشق عليه فقد أوجب عليه أن يعينه وأمر باللطف في ندائه ودعوته حتى لا يجرحه في إنسانيته ولا يصادمه في شعوره ، فلا يقول له يا عبدى يا أمتى ولكن يقول له : يا فتى يا فتاتى ، لأنه إنسان ذو إحساس وشعور إلا أن ظروفه القاسية وحاجته الملحة هي التي ألجأته إلى هذه المنزلة ، ومن المروءة أن نقدر له إنسانيته ونخفف قساوة الحال عليه . كما نهى الإسلام عن تعذيب الخادم وضربه ولطمه وعد ذلك جريمة تستوجب العقاب ، لأن ذلك يحمله على الكذب والسرقة والخداع وينزع من نفسه الحياء والاحترام ويورثه سوء الظن بمخدومه كما يورثه التفريط فيما تحت يده مما يملكه سيده أو مخدومه نكاية به بل ربما يعثه إلى أن يكون عيناً عليه لعدوه لا يقاع الأذى به . إن في وصايا الإسلام وإرشاداته في معاملة الرقيق والخدم نوعاً من وسائل الإصلاح الاجتماعى لطبقة من الأمة لها دور في حياتها عامة ، في إصلاح الخادم بالرفق وغرس المحبة والاطمئنان في نفسه تستقر الأسرة ويتفرغ فيها كل ذى شأن لشأنه في أمان واطمئنان .

في رحاب الاخلاق النبوية :

عن أنس بن مالك رحمه الله قال : إن أناساً قالوا : يا رسول الله ويا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ﷺ : السيد الله ، قالوا : أنت أفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً فقال : يأبها الناس عليكم بقولكم ولا يستهينكم الشيطان ، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلنيها الله تبارك وتعالى : أنا محمد بن عبد الله ورسوله ، أخرجه رزين .

لك الله يا رسول الله ما ألطف توجيهك وأعذب لفظك وأحلى نطقك وأرق بيانك وأرق أسلوبك ، إنه لذوب الشهد والسلسل العذب في هاجرة الحر حسنت خلقاً وخلقاً وعلوت نسباً وحسباً فكنت أهلاً للاصطفاء والرسالة ، أدبك ربك ولم يؤدبك مؤدب وعصمك الله ولم يعصمك عاصم سواه ، وأديت رسالتك العظمى فكنت بين إخوانك الرسل إماماً وكنت في التاريخ مناراً لم تذكر موهبة لعظيم إلا كنت الراجح فيها ولم يذكر خلق عظيم إلا كنت المثل الكامل فيه فإذا يقول المجادلون في عظمتك وتساميك وقدرك وتعاليك

فاق النبيين في خلق وفي خلق

ثم اصطفاه رسولاً بارئ النسم لم يكن ينقصه ﷺ خلق من الأخلاق

الفاضلة وحاشاه ذلك ولم يكن في خلق أكمل منه في خلق آخر بل كان المثل الكامل في كل خلق وكان سلوكه تطبيقاً كاملاً لتلك الأخلاق ولو شئت أن تضرب من سيرته الطاهرة عشرات الأمثال لوسعت المجال وانفسح المقال وكان خلقه في العلانية مرآة لخلق في السر لا يحصر على خلق في العلن ثم يفرط فيه في السر فذلك نفاق سلم منه بطبعه وبرسالته ، ولئن كان في رسالته شرائع وأحكام إلا أن الجانب الأخلاقي أخذ منها حظاً كبيراً وربما رجح الجانب الأخلاقي الجانب التشريعي في كثرة نصوصه ولم يكن ذلك استهانة بالجانب التشريعي فيما نعتقد وإنما كان ذلك تقديراً للجانب الأخلاقي ولأثره في حياة الناس واستقرار أمورهم ، ولو حسنت أخلاق الناس لقلت حاجتهم إلى الشرائع والقوانين وكلما فسدت أخلاق الناس اشتدت حاجتهم إلى الأحكام وإلى الحراس والشرط ، وما أصدق قول القائل : لو أنصف الناس استراح القاضي ، إن من الأخلاق ما هو خاص بصاحبه كاللئوب الأنيق الرقيق يبدو صاحبه فيه جميلاً أنيقاً مستلطفاً يتطلع الناس إلى النظر إليه لعلمهم يقبسون من جماله فيحاكوه أو ينسجوا على منواله ومن الأخلاق ما يتعدى صاحبه إلى غيره فيعم النفع به وتعظم الفائدة منه

كالنسمة الرقيقة يأخذ كل إنسان حظه منها فتنتعش قلوبهم وتصح أبدانهم وأذهانهم ، ولخطر هذه الفضائل الأخلاقية المتعدية حض الإسلام على تحقيقها وترسيخها في المجتمع الإسلامي ، وكأنه بما ساقه من نصوص الترغيب في التمسك بها والترهيب من التفريط فيها يدفع الناس إليها دفعاً ويدعهم إليها دعاً ، وتكاد هذه الأخلاق لا تحصى ومن أمثلتها الصبر والعفو والنصيحة والبذل والشجاعة وقضاء حاجات الناس والشفاعة في الخير ، ومن تتبع النصوص الإسلامية قرآناً وسنة تجمع له من ذلك أسفار ، وإن كان العلماء رضى الله عنهم قد حاولوا ذلك فقد فاتهم الكثير ، ولو قارنا ما جاء في الإسلام خاصاً بذلك بما جاء في الأديان التي غلب عليها الطابع الخلقى والوعظي لرجح الإسلام غيره فيها .

ومن تلك الأخلاق المتعدية التي خصها النبي بعنايته ونوه بفضلها قولاً وعملاً التواضع أو فضيلة التواضع ، والتواضع حقيق بهذه العناية ، ويستطيع المتحدث أو الكاتب أن يقول في آثاره الإيجابية والسلبية ما شاء ، يستطيع أن يقول إنه شيمة العقلاء ويستطيع أن يقول إنه رسول الود والحب والتعاطف بين المسلمين ويستطيع أن يقول إنه مادة التلاحم بين الأفراد والجماعات ، يستطيع أن يقول إنه مغناطيس التجاذب

بين الناس حيث يغرى بعضهم ببعض فيتآلفون ويتلاحمون ، وبالجملة فالتواضع مفتاح الخير وسبيل الرضا ، ورضا الناس غاية غالية الثمن فمن ظفر بها فقد ظفر بسعادة الدنيا والآخرة وهذه هي الآثار الإيجابية للتواضع أما آثاره السلبية التي تستتبع الحرمان منه فهي القطيعة والحد والبغض وكف اليد عن التعاون واستغلال الشر والأذى جزاء نفوره وتعاضمه فيفقد الولي والنصير ويعيش غرباً حتى ين أهله وأقرب الناس إليه ، إن التواضع مفتاح الخير ، والتكبر مفتاح الأذى والشر وينبغي أن نشير هنا إلى أن إلزام النفس بالتواضع يحتاج إلى مجاهدة ورياضة لحمل النفس عليه ، فحب التظاهر والتعظيم والتسلط غريزة من أقوى الغرائز وألصقها بالنفس ، ومما يغرى بها أن يجتمع للمرء أسباب التسلط والقهر ، كما تجتمع للملوك والأمراء والرؤساء وقدماً ركب فرعون شيطان الغرور فاستعلى على قومه كما حكى القرآن الكريم « ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين » قال الإمام الغزالي : وقد فوض

الله تحسين الأخلاق إلى اجتهد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره .

وانطلاقاً من هذا المفهوم لطبيعة الإنسان حرص النبي ﷺ على توضيح الأسلوب الذى يمكن أن يروض به الإنسان نفسه على خلق التواضع حرص على توضيحه بقوله وفعله ، أما بقوله فما أكثر ما جاء عنه فى الحض عليه وبيان فضله وإذا أمر بشئ أو نهى عنه أو عما يجز إليه بدأ بنفسه ، ومما جاء فى ذلك قوله ﷺ : تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر وجاء فى أحاديث أخرى عنه لا تخبروني على موسى ولا تفضلوا بين أنبياء الله وجاء : ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى ومن أقواله ما جاء فى حديثنا هذا فقد أبى على أصحابه أن يخاطبوه بيا سيدنا وابن سيدنا أو أفضلنا وابن أفضلنا وأرشدهم إلى أن ينادوه بما ناداه به الله : محمد بن عبد الله ورسوله .

ما أحلى هذا النداء وأعذبه فى القلوب والأسماع إنه لنداء التكريم والإجلال من ذى العظمة والجلال .

وأما توضيحه بمجاهدة أسباب الكبر ومحاولة اكتساب التواضع بالفعل فقد كان فى سلوكه بين أهله فى بيته وسلوكه بين أصحابه وفى حياته عامة فإنه كان يأبى أن

يتقدم أصحابه إذا مشى ويطلب إلى من تأخر عنه من أصحابه إجلالاً لمقامه أن يتقدم ليكون بمحاذاة لا خلفه ، وإذا اشترى شيئاً من السوق حمله بنفسه ويأبى أن يحمله عنه غيره ، وفى بيته كان يقوم ببعض ما يتيسر من مصالحه فكان يكنس البيت ويخطط الثوب ويصلح النعل ولا يتقل على أهله فى شئ من طعامه فيأكل مما حضر من الطعام ولا يرد شيئاً منه ويرى فى كل شئ فضلاً من الله ونعمة لا يتشهى غائباً ولا يتطلع إلى حاضر .

إن الحديث عن تواضعه ﷺ قولاً وعملاً حديث عذب طويل يكشف عن صفاء قلبه وكرم نفسه ومقدار فضله فكيف الحديث إذا رتعا فى رياض أخلاقه وإنها لرياض نضرة مونة الأزاهير شذية السمات لو يستمتع كل منا بنفحات منها ونظرات إليها لطابت نفسه وانشرح صدره واعتدل مزاجه واستقام سلوكه وصفت نظرتة إلى الحياة وتبددت عناتها وتجلي له ما فيها من أنعم الله وفواضله وامتدت أسباب الوصول بين المنعم المفضل وبينه وعرف له قدره وحقه ووفى له بذلك الحق شكراً وتسبيحاً وتقديساً وتزنيهاً وتمجيذاً وتعبداً وإحباتاً ، والله بعباده لطيف خبير رؤوف رحيم .

وبعد . . فإن الحديث فى التواضع مردد معاد وقد يكون فى الإعادة إفادة ،

وأقل فوائدها الذكرى وما أجلها حيث وأقل فوائدها الذكرى وما أجلها حيث
 أحلها الله من المنزلة ما أحلها إذ يقول أحلها الله من المنزلة ما أحلها إذ يقول
 « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » ،
 والسلام عليكم يا سيدى يا رسول الله
 يا صفوة المرسلين وقدوة المتواضعين . . .
 أبو الوفا المراغى

من وصايا الخليفة للقائد

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ
 وَجَّهَهُ قَائِدًا لِقِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ :
 « سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا عَنِ
 الْحِمْلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ ، وَأَسْتَظْهِرُ بِالزَّادِ ، وَسِرْ بِالْأَدِلَاءِ .
 وَلَا تُقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ فَإِنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرِسْ مِنَ الْبَيَاتِ ، فَإِنَّ
 فِي الْعَرَبِ غُرَّةً ، وَأَقْلِلْ مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّا لَكَ مَا وُعِيَ عَنْكَ » .

في مواجهة الإلحاد المعاصر

مناقشة دعوى استقلال الفلسفة عن الدين

الدكتور محيى لهاشم

تصدى هذه المقالة لدعوى استقلال العلم عن الدين في ضوء مفهومين للعلم : المفهوم القديم الذى يعنى المعرفة الإنسانية التى تشمل الفلسفة والمعارف الكونية والطبيعية وكل ما يدخل فى دائرة المعرفة الإنسانية .

هذا المفهوم ظل سائداً فى الحضارات القديمة حتى عصر النهضة الأوربية .

والمفهوم الحديث : الذى يعنى العلم باعتباره خاصاً بالبحوث والنظريات والنتائج التى تقوم على المنهج التجريبي . وما عدا ذلك فليس من العلم ، وإنما هو من الفلسفة أو من الدين . .

ربما كان من المتبادر إلى الذهن ، أن العلم بمفهومه القديم الشامل للمعرفة الإنسانية بكل أنواعها لم يكن مستقلاً عن الدين ، وما علينا إلا أن نلاحظ أن العلم فى العصور القديمة كان شاملاً لجميع أنواع المعرفة بما فيها الدين ، والسحر ، والفلسفة وما إليها ، فالكلام فى هذه النقطة نافلة من

القول لا جدوى من ورائها . .

ولكننا نرد على ذلك فنقول :

مع أن العلم بالمفهوم القديم كان شاملاً لجميع أنواع المعرفة إلا أن الفلسفة العقلية كانت هناك ، وقد كانت قائمة فى طور رقيها على البحث العقلى الحر المستقل عن الدين أو تدعى ذلك ، وكانت تنشر تأثيرها فى جميع أنواع المعرفة السائدة . . أيضاً . . هذا من ناحية . .

ومن ناحية أخرى فنحن نريد بالكلام عن استقلال العلم عن الدين ، لا استقلاله من ناحية الموضوع أو المعلومات . . . ولكننا نريد أن نتكلم فى جذر القضية :

أى استقلاله من ناحية المنهج . .

وبعبارة أوضح وأدق : نريد أن نجيب على السؤال الآتى :

عندما وضع العلم منهجه بمفهومه القديم أو بمفهومه الحديث : هل كان مستغنياً عن الدين ؟

هذا هو السؤال ؟

وقبل أن نجيب عليه يلزمنا أن نوضح المقصود بالدين في مجال هذا البحث .

نحن لا نريد أن ندخل هنا في مشكلة تقديم تعريف للدين يكون جامعاً مانعاً . . . فلكل تعريف في هذا المجال مأخذه . .

ويكفي أن نذكر أن ما نريده بالدين في مجال هذه المقالة . وبحسب طبيعة الموضوع الذى

نتصدى له بالبحث . . . المعنى العام الذى لا يختص بالدين الصحيح ، وإنما يشمل أى نظام من المعتقدات التى تتوفر لها الخصائص التالية كلها أو بعضها . .

أولاً : أن تقوم على إيمان أولى . .
ثانياً : أن تقوم على التسليم بوجود غيبى غير خاضع للإدراك الحسى المباشر أو غير المباشر .

ثالثاً : الإيمان بأصل للكون يتصف بالقدم والخلود وترجع إليه الأشياء فى طبيعتها وقوانين وجودها .

رابعاً : انتظار الحياة المؤجلة التى يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .

ولنبداً إذن فى محاولة الإجابة على السؤال الذى قدمناه ، فيما يختص بالعلم بمفهومه القديم ، هل كان محققاً فى دعواه الاستغناء عن الدين والتحرر من المعتقدات

الأولية السابقة على البحث العقلى ؟

إنه فى نظر الفلسفة القديمة نجد أن التعلم لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك علم سابق ، وهذا العلم السابق لا يمكن أن يتسلسل إلى غير نهاية ، بل لابد أن يقف الإنسان عند أشياء ضرورية يقينية بعدها تبدأ البرهنة .

وتقوم حينئذ مشكلة هى :

من أين لنا الوصول إلى هذه المعرفة الضرورية اليقينية الأولية . . . ؟ اضطر أفلاطون لحل هذه المشكلة إلى القول بالتذكر ، فهو يرى : أن هذه المعارف الضرورية لا يجدها الإنسان فى نفسه إلا لأنه قد حصلها من قبل فى حياة سابقة حيثها النفس فى عالم المثل . . . (١)

أما أرسطو فكان يرى أن مصدر هذه الأوليات هو العقل ، وهى دائماً صادقة . وتقوم هذه الأوليات جميعاً على مبدأ عدم التناقض « وأرسطو يقول عن هذا المبدأ إنه لا يمكن لأى عاقل أن يشك فيه يجد ، كما أنه لا يمكن مطلقاً البرهنة عليه ، لأنه أولى . . . » (٢) .

وهنا ينشأ سؤال :

ما هو هذا العقل الذى هو مصدر هذه الأوليات ؟

(١) أرسطو للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٦٢ طبعة ١٩٦٤ النهضة المصرية .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

يقول أرسطو في الجزء الثاني من كتابه
عن النفس :
أما فيما يمس العقل فليس هناك شيء
بديهي بشأنه . .

والعقل عند أرسطو :

عقلان :

العقل الهولاني وهو ذلك الجزء من
النفس الذي من شأنه أن يكون محلاً
أو مستودعاً يقبل معاني الأشياء .

العقل الفعال : هو الذي ينتزع
المعاني فعلاً ، ويلقي الضوء على الصور
الخيالية لتخرج منها الصور العقلية من القوة
إلى الفعل ، وقد وصف أرسطو هذا العقل
بصفات تسمو عن عالم الإنسان وعن العالم
الطبيعي .

يقول الدكتور محمود قاسم في كتابه
في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق
والإسلام :

(ترك أرسطو مشكلة العقل غامضة) .

وقد حاول شراحه تفسير هذا الغموض ..

وعلى رأس هؤلاء إسكندر الأفروديسي
الذي ذهب إلى أن العقل الفعال عند
أرسطو « ليس جزءاً من أجزاء النفس
أو وظيفة من وظائفها ، بل هو الإله الذي

يتمثل في نفوس البشر ويقوم مقامهم في
إدراك معاني الأشياء » . وإسكندر
الأفروديسي هذا هو الذي يقول عنه أبو نصر
الفارابي من حكماء المسلمين : « لن يكون
المراء فيلسوفاً إلا إذا كان على رأى
الإسكندر » ^(١) .

فإذا انتقلنا إلى فلاسفة المسلمين
وجدناهم يذهبون إلى أن العلم يحصل عن
طريق الفيض من العقل الفعال .

ذلك أن الإنسان بممارسته النظر والبحث
يعد ذهنه لهذا الفيض ، والنتيجة وهي العلم
تفيض عليه وجوباً .

يقول الفارابي :

« الروح الإنسانية تتمكن من العلم بقوة
لها تسمى « العقل النظرى » وهذه الروح
كالمرآة .

وهذا العقل النظرى كصقالها .

وهذه المعقولات ترتسم فيها من الفيض
الإلهي ، كما ترتسم الأشباح في المرايا
العقلية » .

وهنا نتساءل ، أوجب أن نتساءل . .

ما مصدر الثقة بهذا العقل ؟

إن العقل نفسه ولا أحد سواه يضع
أماننا أن يكون هو نفسه ضالاً مضالاً ؟
ثما هو الضامن لسلامة العقل ، وقدرته

(١) انظر في النفس والعقل عند فلاسفة الإغريق والإسلام للدكتور محمود قاسم ص ١٩٧ - ١٩٨ -

على معرفة الحقيقة ؟

هنا تضع الفلسفات القديمة هذا الضمان كما رأينا من ناحية ما تقرره من نظرية في الوجود ، تتضمن انماء جوهر العقل إلى الكائنات العليا ، وأن ما يفيض عليه من علوم إنما يأتيه من المبادئ العليا المقدسة التي تتسلسل في وجودها من الله إلى العقل الفعال .

ومن هنا تظن الفلسفة القديمة أنها وضعت الأساس العقلي للثقة في العقل . . لكن الحقيقة أنها محدوعة - منهجياً - في هذا الأمر .

لأن هذه الثقة - من الناحية المنهجية - مترتبة على نظرية الوجود التي أشرنا إليها . وهذه الثقة بدورها إنما هي نتيجة نظر عقلي ، وهذا النظر العقلي هو نفسه الذي نتساءل عن مصدر ثقنتا به ؟

وإذن فطبيعة الأمور تقضى بأن توضع هذه الثقة أولاً - أى قبل الوصول إلى نظرية الوجود - وإلا فإن كل ما يصل إليه العقل - نتيجة النظر - يكون مبنياً على أساس عقلي بحت ، ويظل العقل بكل ما حققه من نظر وبكل ما وصل إليه من نتائج ، قائماً على هوة سحيقة لا قرار لها معلقة بالجواب على هذا السؤال : ما مصدر ثقنتا بهذا العقل وبنظره ، ونظرياته . . . ؟ لا إجابة على هذا السؤال في الفلسفة

القديمة إلا إذا نقلنا نظرية الوجود من كونها نتيجة للنظر إلى كونها مقدمة له ، وإذن تصبح نظرية الوجود إيماناً أو ديناً ، فإذا انتقلنا إلى المتكلمين نرى الآتى :

ذهب المتكلمون من المعتزلة إلى : أن معرفة الله تعالى لا تكون بالدليل النقلى وإنما تكون بالدليل العقلى المستقل .

والمراد بالدليل العقلى المستقل الذى يقوم فيه العقل بالاستدلال ، بجهد ذاتى ، يتبع فيه الطرق المنطقية وينتقل فيه من العلوم الضرورية إلى العلوم النظرية ، دون أن يستند إلى شئ من حجية النصوص الدينية ، أى السمع .

وهم يبينون لنا الميادين التى يجب أن يخوضها العقل مستقلاً ، وهى : معرفة الله بتوحيده ، وعدله وذلك بأن ينظر فى :

الحوادث ليعرف أنها محدثة . .

وأنه لا بد لها من محدث .

وأن هذا المحدث يصح أن يفعل ، ليعلم

كونه قادراً

وأن فعله محكم . ليعلم كونه عالماً

وأنه ليس بجسم ولا عرض

وأنه غنى غير مفتقر لغيره

وأنه لا يرى بالأبصار

وأنه واحد

وأنه عالم بقبح القبيح

وأنه عدل حكيم .

- وأما بقية المسائل ، فإنه مع أن العلم بها يتوقف على السمع ، فإن للعقل فيها دوراً حاسماً ، لأنها لا تصح إلا إذا كانت مما يجوز العقل وقوعه .

- إن العبارة التي تلخص موقف علم الكلام عند الأشاعرة من استعمال الدليل العقلي أو النقلى هي ما قاله الإيجي صاحب كتاب المواقف :

« ودلائله - أى علم الكلام - يقينية يحكم بها صريح العقل . . »

وقد تأيدت بالنقل . . »

فبصريح العقل يتم الحكم .

وبالنقل يحصل التأيد

بمجرد التأيد .

وليس أصرح من ذلك ادعاء باستقلال العقل واستغنائه بنفسه في معرفة الله تعالى . . فهل تم فعلاً للمتكلمين ما أرادوه من استقلال العقل بالمعرفة في وضع أسس الاعتقادية ؟ . . لننظر :

إن المعرفة العقلية المستقلة على أى شىء

تقوم ؟

- إنها تقوم على العلوم النظرية .

والعلوم النظرية تقوم بدورها على العلوم

الضرورية .

والمقصود بالعلوم الضرورية :

البدهيات . وما يلحق بها مما لا يحتاج في إثباته إلى دليل .

وأنه قادر على إرسال الرسل .

وإظهار المعجزة على أيديهم ، ليدل بها على صدقهم .

وأنه متكلم ، ليوحى إليهم بالرسالة .

- أما بقية المباحث :

كالوعد والوعيد .

والأسماء والأحكام .

وبقية الأمور السمعية التي تتعلق بأخبار البعث ، واليوم الآخر ، واللجنة والنار . فتشترك فيها الدالتان :

العقلية

والسمعية

ولا تستقل السمعية فيها

وأئمة الأشاعرة - وبخاصة المتأخرين

منهم الذين يمثلون عصر نضج علم الكلام - يذهبون إلى أن العقل يستقل بمعرفة المسائل الآتية :

حدوث العالم

ووجوب المحدث

وقدرته

وإرادته

وكونه حياً

متكلماً

صادقاً

مرسلاً للرسل

مظهراً للمعجزة على أيديهم ، ليدل

على صدقهم .

- وما مصدر هذه البدهيات ؟

يقول المتكلمون إن الله هو الخالق للعلوم الضرورية . .

كما قالوا في مواضع أخرى : إنه الخالق للعلوم النظرية . .

قال بذلك الأشاعرة . .

- وما مصدر هذه البدهيات ؟

يقول المتكلمون : إن الله هو الخالق للعلوم الضرورية . .

كما قالوا في مواضع أخرى : إنه الخالق للعلوم النظرية .

قال بذلك الأشاعرة .

وقال بذلك المعتزلة أيضاً على الرغم من أنهم يقولون في سائر الأفعال الأخرى : إن العبد خالق أفعال نفسه .

يقول القاضي عبد الجبار من كبار علماء المعتزلة .

« لا تبطل العلوم الضرورية ، لأنها من فعل الله تعالى » .

ويقول عضد الدين الإيجي وهو من كبار علماء الأشاعرة « إن العلم غير واقع بالنظر أو بقدرتنا ، بل بخلق الله تعالى ، وهو مذهب أهل الحق من الأشاعرة »

وإذن فمضى أردنا جواباً من المتكلمين عن سبب ثقتنا في العقل وفيما يقدمه لنا من بدهيات ؟

فسوف يكون الجواب :

- لأنها من خلق الله تعالى . .

ويترتب على ذلك بالضرورة أن تكون معرفتنا بالله متقدمة على أى إجراء يقوم به العقل نحو معرفة الله . وإلا كان كل ما يترتب على هذه البحوث معلقاً على هذا . . السؤال : لماذا ننق ؟

فإذا قدمنا معرفتنا بالله على قيام العقل بنشاطه وبحوثه كان معنى هذا أن الإيمان غير المعلن هو الأساس .

وإذن فقد وجب عليهم أن يتنازلوا عن ادعاء قيام الإيمان بالله على أساس عقلي بحت . وثبت أن الإيمان بالله يجب أن يسبق جميع الخطوات .

إن المثال الذى قدمه الإمام الغزالي لأهمية العقل مؤيداً به مذهب المتكلمين حيث قال :

« مثال العقل . . البصر السليم ، ومثال

القرآن . . الشمس المنتشرة الضياء . . »

أقول : إن هذا المثال لا ينطبق على الذين يحتمون السير في طريق طويل « قبل إثبات النبوة » بالعقل وحده .

في هذا الطريق الطويل يحتم الأشاعرة والمعتزلة على السواء الاستدلال بالعقل وحده . .

فأين نور الشمس إذن في هذه المرحلة ؟ ؟

إن المثال الذى ضربه الإمام الغزالي

صحيح ، وهو يقتضى أن يكون الشرع هو الذى ينير الطريق من البداية إلى النهاية .
 بل يقتضى أكثر من ذلك .
 يقتضى أن يكون الشرع هو الذى ينير الطريق وحده ، والعقل لا دور له إلا النظر . . النظر فى ما يقدمه الشرع من ضياء .

إلا إذا استقينا هذا الضمان ، وهذه الثقة من مصدر غيره . . عن الإيمان بالله .
 أى يتقدم هذا الإيمان على أى نشاط عقلى .

لكن على أى أساس يقوم هذا الإيمان ؟
 هذا هو السؤال الكبير . .

الذى نؤجل الإجابة عليه إلى القسم الأخير من هذا المقال . .

ولا ضمان لنا من أن لا يكون مضلاً لنا . .
 لا ثقة لنا بهذا العقل - أى بهذا البصر -
 ولا ضمان لنا من أن لا يكون مضلاً لنا . .

د . يحيى هاشم

حِجَابٌ مِنْ نُورٍ

رَبِّ اغْمِسْنِي فِي بَحْرٍ مِنْ نُورٍ هَبِّتِكَ ، حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهُ وَفِي وَجْهِهِ
 شُعَاعَاتُ هَبِّيةٍ : تَخْطِفُ أَبْصَارَ الْحَاسِدِينَ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ، فَتُعْمِيهِمْ
 عَنْ رَمَى سِيْهَامِ الْحَسَدِ فِي قُرْطَاسِ نِعْمَتِي ، وَاحْجُبْنِي عَنْهُمْ بِحِجَابِ
 النُّورِ الَّذِي بَاطِنُهُ النُّورُ ، وَظَاهِرُهُ النَّارُ .
 أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ النُّورِ أَنْ تَحْجُبْنِي فِي نُورِ اسْمِكَ بِنُورِ اسْمِكَ :
 حِجَابًا يَمْنَعُنِي مِنْ كُلِّ نَقْصٍ يُمَازِجُ مِنِّي جَوْهَرًا أَوْ عَرَضًا ، إِنَّكَ نُورُ
 الْكُلِّ ، وَمُنُورُ الْكُلِّ بِنُورِكَ . .

الإمام البوني

بلاغة الأسلوب النبوي

فضيلة الشيخ منسأدى عبود

تمهيد :

فراغ القوم ، ويأخذ بألبهم فأنزل عليه القرآن الكريم حافلا بأعلى صورة لجزالة المعنى واحكام النظم ، وروعة البيان ، فخر أئمة البلاغة صاغرين أمام عظمتة ، وأذعنوا لإعجازه .

واقضت الحكمة الإلهية أيضا أن يكون الرسول الذي أنزل عليه القرآن المعجز في رتبة من البيان تلي رتبة الكتاب الكريم ليتمكن من إبلاغه والافتناع به في صورة محكمة رائعة .

لذا أتم الله تعالى على رسولنا الأعظم نعمة البيان فكان المثل الأعلى في الفصاحة وبلاغة الكلام ، وما من شأن من الشئون تحدث فيه - ﷺ - إلا كان أين غرضها وأصدق لهجة ، وأبلغ قولاً ، وأروع أداء ، وقد مثلت لنموذجين من صنوف بلاغة الأسلوب النبوي - وأحاول في هذا المقال أن أمثل لبعض النماذج الأخرى لبلاغة هذا الأسلوب فأقول :

بينت في المقال السابق أن « مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام إبلاغ شريعة الله تعالى إلى الناس بقول سديد ، وكلام بليغ ، وحجة مستنيرة ، وبيان مشرق ، كما قال عز وجل في تحديد تلك المهمة : « فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » ^(١)

وأوضحت : أن بلاغة القول إذا كانت أمراً لازماً تقتضيه رسالة كل رسول للقيام بأعباء دعوته - فهي بالنسبة لرسولنا الأكرم - أشد لزوماً ، وأكثر حاجة ، وأجل أثراً إذ قد بعث - صلوات الله وسلامه عليه - في أمة عربية تعثر بفصاحة اللسان ، وتبأرى في بلاغة القول وتمجد البيان ، وتسمو بأهل الإجادة والبراعة فيه إلى أسمى مراتب التقدير والإكبار .

فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزته - ﷺ - من جنس ما يشغل

(١) سورة النحل آية رقم ٣٥ .

للقاطعين ، ومقابلة هجرهم ، ومنعهم بالتقرب منهم ، والإحسان إليهم : (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها)^(٤) أى ليس الواصل الذى يعتد بصلته يكافئ صاحبه بمثل فعله ، ويعطيه نظيره ما أعطاه ولكن الواصل حقا هو الذى إذا قطعه أرحامه ، ومنعوه وصلهم وأعطاهم

وقوله فى التنويه بنعمتين عظيمتين ، والتوجيه إلى المسارعة للنفع بهما فى كسب صالح الأعمال والتزود من الطيبات (نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ)^(٥)

وبدل أن نستطرد بذكر كثير من الأمثلة نجتزئ بعرض ما قاله - صلوات الله وسلامه عليه - تحدثا بنعمة ربه ، واعتازا بجزيل عطائه : (أعطيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا)^(٦)

يذكر البيانون التشبيه على أنه طريق من طرق الأداء لجلاء المشبه ، وإيضاح المعنى المراد ، وإكسابه رفعة وسموا .

يمتدح علماء البلاغة الكلام القليل الدال على المعانى الكثيرة فيقولون : « البلاغة الإيجاز » وعندما نستعرض الأحاديث النبوية نجد - عليه الصلاة والسلام - السابق المجلى فى هذا الميدان - فقد أتاه الله تعالى جوامع الكلم ، ومنحه القدرة على الكلام الوجيز الحامل لكثير من المعانى الرفيعة القيمة .

فمن أمثلة ذلك قوله - صلوات الله وسلامه عليه - فى فضل الحياء وبيان حميد عاقبته :

(الحياء لا يأتى إلا بخير)^(١)

وقوله فى الحض على اختيار الصديق ، ونحرى صاحب

(الرجل على دين خليله ، فليُنظر أحدكم من يخال)^(٢)

وقوله فى ذم السؤال من غير حاجة ، وتقبيح هذا السلوك الشائن :

(من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل ، أو يستكثر)^(٣)

وقوله فى الإشادة بصلة الأرحام

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى ، والمراد بالفراغ هدوء البال وعدم شغله بما يعكر صفو الحياة .

(٦) رواه أبو يعلى فى مسنده عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنها ورواه أيضاً البيهقى فى الشعب

والدارقطنى عن ابن عباس - رضى الله عنها .

كسبه لصالح الأعمال (مثل المؤمن مثل النحلة . لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً)^(٣)

ووجه الشبه بين المؤمن والنحلة طيب الأكل وعظم النفع والأثر ، وقوله في العناية بأمر الصلاة المفروضة وتصوير أثرها العظيم في محو الخطايا والتطهير من الذنوب والآثام : (مثل الصلوات الخمس ، كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات . فما يُبقي ذلك من الدنس ؟)^(٤) ووضح أن وجه الشبه بين الصلوات الخمس والنهر ، كون كل منهما أداة للتطهير بيسر وسهولة .

وقوله في تقرير أن سلامة الأمة تكون بمقاومة المنحرفين من أبنائها والأخذ على يد العابثين بأمنها ووحدتها .

(مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا

واذا نظرنا إلى تشبيهات رسول الله - ﷺ - وجدناها وردت في أروع صورة ، وأزهى حلة ، وأقوم عبارة ، تحدد الهدف ، وتجلي القصد ، وتجذب انتباه السامع وتثير إعجابه . فمن ذلك قوله - ﷺ - في رفع شأن الذاكر لربه والتقبيح لحال الغافل عن الذكر « مثل الذى يذكر ربه ، والذى لا يذكره مثل الحى والميت »^(١) ووجه الشبه بين الذاكر والحى الاعتداد بكل منهما ، وثبوت أهلية العون والنصرة فيها .

ووجه الشبه بين تارك الذكر والميت عدم الاعتداد بكل منهما وتعطيل القلب والجوارح عندهما - وقوله في بيان الأهمية لمعاونة المؤمن لأخيه ، ومؤازرته (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك ﷺ أصابعه)^(٢) ووجه الشبه بين المؤمن المعاون لأخيه والبنيان التماسك والقوة ، وحاجة كل منهما في جميع شئونه إلى الآخر ، ولتأكيد وجه الشبه شبك - عليه الصلاة والسلام - بين أصابعه .

وقوله في الإشادة بالمؤمن من حيث أكله من طيبات الرزق وما ينشأ عن ذلك في

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه ابن حبان في الصحيح ، ورواه الطبرانى في المعجم الكبير عن أبى رزيم رضى الله عنه .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه .

على أيديهم نجوا ونجونا جميعا^(١) ومعنى حدود الله أحكام شريعته.. والمراد من القيام عليها التزامها بالعمل بها كما أن المراد من الوقوع فيها مخالفتها وترك العمل بها ومعنى استهموا على سفينة : اقترعوا على قسمتها وأخذ كل فريق سهما بالقرعة . وفي الحديث ثلاثة تشبيهات :

الأول : تشبيه القائمين على حدود الله الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بمن يركبون أعلى السفينة بجامع العلو في كل .
الثاني : تشبيه الواقفين في حدود الله التاركين الأمر بالمعروف وفعله المقترفين للمنكر بمن يركبون أسفل السفينة بجامع الانخفاض في كل .

الثالث : تشبيه ضمنى وهو تشبيه أحكام الشريعة السمحة بالسفينة ، فكما أن السفينة متى أحسن ركابها تصریفها ، وسددوا قيادتها وصلت بهم إلى بر السلامة ، ونالوا ما يبتغون ، كذلك الشريعة القيمة إذا التزمها أهلها ، واستمسكوا بهديها خاضوا معترك الحياة وهم في أمن من الخطر ، ومنجاة من الزلل ، وبلغوا ما تطمح إليه نفوسهم من عز الدنيا وسعادة الآخرة . ولا يصح أن تكون هذه

التشبيهات من قبيل التشبيه المتعدد ، لأن ذلك إنما يستقيم حيث يمكن استقلال كل تشبيه بمعنى صحيح مقصود على حدته وإنما المراد أن يكون المسلمون كالبنیان الواحد يشد بعضه بعضا ، وألا يفروا من العصاة بل يدعوههم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة فالتشبيه في الحديث ، من قبيل التشبيه المركب ، وهو تشبيه حال المسلمين القائم منهم على الحدود والواقع فيها ، والساكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال قوم شركاء في سفينة تنازعوها ، فاستهموا على قسمتها فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فأراد من أسفلها خرقها تيسيرا للحصول على الماء ولم يجدوا بأسا من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في خالص نصيبهم ، فإن منعهم من هم في أعلى السفينة من هذا التصرف الخطر نجا الجميع ، وإن تركوهم وما أرادوا هلك الجميع - والجامع هو الهيئة المنتزعة من اجتماع نافع وضار في محل واحد .
فهل رأيت أروع من هذا التصوير في إيضاح أن صيانة الأمة وأمنها لا يحصلان إلا بأخذ الراشدين فيها على أيدي العابثين والمفسدين ؟ .
منشأوى عثمان عبود .

(١) رواه البخارى والترمذى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

بناء الاقتصاد في الإسلام

الله أكبر

في المعركة الاقتصادية

فضيلة الشيخ زهران أبوالمكارم

سِرْبًا ، والبارجة أسطولا ! !
كيف ؟ لأننا بذلنا أقصى طاقتنا ، ثم
وصلنا قلوبنا - ونحن نفعل ذلك - بِمَنْ
لا نهاية لقدرته ، ولا غالب يغلبه : الله عز
وجل .

لا يجوز أن ننسى هذه التجربة
العسكرية في ظلال الإيمان ، ومدد رمضان
ونحن نواجه أية معركة أخرى .

وعلى أن نعرف كيف يكون الإيمان
سلاحاً يشترك في حلّ جميع الأزمات ،
ونعلوبه فوق الماديات وأطماعها الخائبة ، كما
ارتفعت أرواح المجاهدين والشهداء ،
فقهرت شهواتها ونقائصها ، وقهرت
أعداءها ، وحققت النصر !

والآن : كيف يتم ذلك في ميدان
الاقتصاد ؟

لأبد من تحديد غاية شريفة ، لا يختلف
عليها أحد .

ولأبد من الإيمان بها ، وبِسْمِهَا
وعدتها ، إيمان يقيني لا شك فيه .

لقد أكرم الله أمتنا بالعاشر من رمضان
سنة ١٣٩٣ هـ والحمد لله ، وانتقلنا من
الشعور الأليم بمראה الهزيمة إلى الثقة
بالنفس ، والأمل في المستقبل .

ومادنا قد استطعنا أن نحز هذا القدر
من النصر في الميدان العسكري ، فإن في
قدرتنا أن نكسب مثله في سائر الميادين : في
الاقتصاد ، والحرية ، والصحة ، والتعليم ،
والثقافة ، والصناعة ، والزراعة . . . إلخ .
ولكن حكمة الشعب وإيمانه ووعيه
بالتجربة تجعله ينادي :

« لا تنسوا - بعد الاعتراف بفضل العلم
والتخطيط والتدريب والسلاح ، وشجاعة
الرجال في المعركة »

« لا تنسوا قبل ذلك وبعده وفي كل
وقت فضل « الله أكبر » معبرة عن إيمان
ويقين ، وآخذة من كل قوة أقصى طاقتها
وأكثر من طاقتها بعون الله ، فيصبح الرجل
الواحد اثنين بل بعشرة من الرجال ،
وتصبح البندقية مدفعا ، والطائرة الواحدة

بعقيدته ، وبكتابه المقدس ، يطلب منه
الحلّ وتحديد الهدف ، ويقول واثقاً :

إذا وجهنا وجوهنا وقلوبنا نحو كتاب الله
وسنة رسوله ، فسوف نكتشف الغاية ونميز

بينها وبين الوسائل ، وسوف نكسب المعركة
بقوة الله الذي وضع الإيمان في قلوبنا .

— من واجبي ألا أطيل عليك ، ولكني

أريد أن أكون واضحاً وأنا أضع الأمانة بين
يدي رجل عرف بإخلاص النصيحة لأُمته

وحكّامها :

لقد واليتُ العناية بالاقتصاد في

الإسلام منذ أكثر من عشرين سنة في ظلال

القرآن والسنة .

وما نشرته من رسائل ومقالات لا زلتُ

أرجو أن يلتفتَ إليها بالنقد والدراسة أساتذة

الفقه الإسلامي ، وأساتذة علم الاقتصاد .

وفي إيجاز شديد أقدم بعض

الإيضاحات الضرورية .

أولاً : في مجال غاية الإسلام من

الاقتصاد :

— الهدف : إقامة «العدل الاقتصادي»

وهذه الغاية هي مسئولية خالدة ، كلّف

الله بها الإنسان قبل الإسلام وبعده :

(لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات ، وأنزلنا

ولأبد مع وضوح الغاية من توضيح
الطرق السليمة للوصول إليها عند جميع

الناس .

ولأبد من التعبئة الشاملة لها في ظلال :

الإيمان ، والحرية ، والاقتناع ، والحب ،

والإخلاص ، والجدية ، والخلق المستقيم ،

والحماس الدائم .

تلك عناصر ضرورية من أجل

البداية ، ومن أجل الاستمرار ، فالمعركة

الاقتصادية لا تنتهى ، بينما المعركة

العسكرية لها بداية ، ولها نهاية .

ما غابتنا من خوض المعركة الاقتصادية

لحل الأزمة ؟

— تسديد الديون ، الارتفاع بمستوى

التنمية ؟

— التصنيع ، زيادة الإنتاج ، القضاء

على البطالة ؟

— الرفاهية ، تلبية الطلبات والرغبات ؟

— بناء الاشتراكية ؟

على قدر قراءاتي المحدودة^(١) ، لم

أستطع أن أعرف هدفاً متفقاً عليه ! !

ولكني لاحظت أن نصيب (الإنسان

المصرى المؤمن) تائه ، أو ضائع ؟ !

فإذا عدلنا الميزان ، ورجعنا إلى

(الإنسان المصرى المؤمن) وجدناه يتعلق

(١) وآخرها مقال د. القيسوى في الأهرام ٢٢ رمضان ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧/٩/٥ م تحت

عنوان : مشكلة مصر الاقتصادية .

معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط (« ٥٧ : ٢٥ »

والقسط : هو العدل .

- وإذا كانت الرأسمالية تُلخص مذهبها في قولها : من كُلِّ حسب مواهبه وقدراته ، إلى كُلِّ بقدر عمله .

- كما تُلخص الشيوعية ومشتقاتها مذهبها في قولها : من كُلِّ بقدر طاقته ، إلى كُلِّ بحسب حاجته .

- فإن الإسلام ، يبرأ من مظالم المذهبين ، وهي مظالم حتمية تنشأ من اعترافها التام بضرورة وجود (فائض القيمة) وهذا هو منبع الظلم .
والرأسمالية ترى أن (فائض القيمة) حق الفرد الرأسمالي .

والشيوعية ترى أن (فائض القيمة) حق الجماعة ، تستولى عليه الدولة ، لتتفق منه على مصالح الجماعة .

وأما (العدل الاقتصادي) في الإسلام فإنه يقول :

(أوفوا الكيل ، ولا تكونوا من الخسرين ، وزِنُوا بالقِسْطَاسِ المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين) « ٢٦ : ١٨١ - ١٨٣ »
- يجب أن يأخذ كل إنسان حقه كاملاً ، وحيث لا يبقى (فائض القيمة) على الإطلاق .

ولكل إنسان يعيش على أرض الوطن التي وهبها الله لجميع سُكَّانه على السواء ، حقان :

الأول : حقه في الانتفاع بنصيبه العادل في ثمرة الجزء الذي يخصه من تقسيم خيرات الوطن ، برِّه وبعِّره ، وباطن أرضه على أبناء الوطن بالعدل والتساوي .
الثاني : أجر عمله بالعدل ، بغير بخس ولا ظلم .

كل إنسان لابد أن ينال حقه الأول ، والحكومة هي القادرة بالوسائل العلمية على تعيينه ، شرعاً ، وعقلاً ، وسلطاناً .
أما الحق الثاني ، فإن الذي يناله هو كُلُّ قادر على العمل ، ولا يستطيع أن يناله : العاجز والمريض ، فتكُمِّلُ الزكاة المفروضة حاجاته .

- وأساس الكسب في (العدل الاقتصادي) هو «العمل» .

- القيمة العادلة : حلال ، نجب حياته ، وتشجيع طاليه في جميع الميادين .
- فائض القيمة : رباً ، حرام ، يجب رده إلى أصحاب الحق فيه ، من المنتجين أو المستهلكين .

- بخس القيمة : حرام ، يجب منع من يفعله ، وتأديبه ، واسترداد ما ينتج عن بخسه من ثروات ، ولذلك عقوبات وتعزيرات شرعية .

- والمعادلة في (العدل الاقتصادي)

تقول :

عمل + عدل اقتصادي = سعادة
حقيقية + تقدم حقيقي

عمل - عدل اقتصادي = شقاء حقيقي
+ تقدم مزيف

ثانياً : في مجال وسائل الإسلام ،
لتحقيق (العدل الاقتصادي) :

نرى الإسلام يعتمد على دعائم منها :
- التربية الإيمانية والاقتصادية ، التي
تحوي الضمير ، وتوقظ الشعور برقابة الله عز
وجل ، وترهف الإحساس بحساب النفس
على كسبها في الدنيا قبل أن تحاسب عليه في
الآخرة ، وهي تربية تيم دائماً ، وفي جميع
المستويات : في البيت ، والمدرسة ،
والجامعة ، والمسجد ، والسوق ، والحقل ،
والمصنع . . إلخ ، وعن طريق جميع
وسائل الإعلام .

- وضوح الرؤية ، من خلال وضوح
الغاية لدى أجهزة الحكم . حتى تتجه
القوانين إلى تحقيق (العدل) بالأساليب
المناسبة الواضحة :

فالزكاة ، ثم الضرائب ، والجمارك ،
والرسوم . . إلخ .

وسائل جباية ، لإحسان التوزيع ، أو
التماس العدل في إعادة التوزيع .

- استخدام كافة الوسائل العلمية

لتقدير قيمة كل سلعة وكل خدمة حتى
لا يعتدى أحد على (القيمة العادلة) ويقع
في جريمة الحصول على (فائض القيمة)
وهو رباً .

ومن هنا ترتبط الثروة ارتباطاً شرعياً
وعملياً ، بالعمل ، عن طريق (القيمة
العادلة) ، فمن حقق عملاً أكثر نال ثروة
أكثر ، وثوباً من الله على كسب الحلال .
لقد كان رسول الله ﷺ يطوف
بالأسواق وينهى عن الغش ، ويكشفه
ويُرسل من يراقب الأسواق ويضرب
مرتكبي العدوان الاقتصادي .

لأبد إذاً من :

١- توضيح (القيمة العادلة) لكل
سلعة ولكل خدمة ، وإعلان ذلك إعلاناً
واضحاً لجميع الناس .

٢- استنباط العقوبات الشرعية التي
تحمي (القيمة العادلة) من أيّ عدوان يقع
عليها ، وأولها استرداد (فائض القيمة) ، ثم
توقيع العقوبات المناسبة ، وتبدأ من الكلمة
الزاجرة ، إلى الضرب ، والمصادرة
الجزئية ، وأخيراً «القتل» .

٣- التربية الاقتصادية على جميع
المستويات ، ومحورها :

- احترام العمل الشريف .
- حب العدل وتقديسه .

٦ - الإنفاق الحكومي مازال - برغم كل المحاولات التي تُبذل - ينطوى على فاقد كبير ، ماذا ترى لعلاج ذلك ؟

٧ - هل ترى أن يبيع القطاع العام السلع التموينية ؟ أم يقتصر دورُه على الاستراتيجية القومية ، كالحديد والصلب ، والبنوك ، وشركات التأمين والصناعات الثقيلة ؟

٨ - كيف يمكن تحقيق العدالة بين المواطنين فيما يتحملونه من أعباء ضرائبية ؟ .

٩ - هل يستطيع القطاع الخاص أن يُسهم في خطة التنمية ؟ وكيف ؟

١٠ - مَنْ هو مَحْدُود الدَّخْل ؟
- أكتفى الآن بهذه النقاط العشر ، داعياً المولى القدير أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير مصر العزيزة . .

الإجابة عن الأسئلة

١ - الأسئلة عن «الدَّعْم» : (وهي الأسئلة الثلاثة الأولى) .

- لقد قدّم وزير التخطيط تحليلاً بيّن فيه عيوب سياسة (دَعْم السلع التموينية) .

والعيان الرئيسيان هُما : الانحراف الذى يتمثل فى أن مَنْ لا يستحقون الدَّعْم يستغلون سلع الدَّعْم لنهب مغامٍ تصل من الألوف إلى الملايين .

ثمّ العيب الثانى ، وهو الإسراف فى

- حب الكسب الحلال ، واحترام أصحابه ، وتكريمهم وإعلاء منزلتهم

- كراهية الكسب الحرام ، والترفع النفسى عن حيازته أو قبوله ، أو احترامه ، وإسقاط قيمة من يُصِرُّ على ارتكابه .

٤ - الرقابة الحكومية والشعبية ، ليسود الحلال ، ويأخذ مكانته فى المجتمع ، ويغزى الحرام ويموت مذموماً مخدولاً من جميع الناس ، بقانون الشريعة وبتقاليد المجتمع .

هذا إنجاز شديد فى مجال المبادئ والوسائل .

والآن نضع أمامنا بعض التساؤلات التى أحب أن أعرف رأى الناس فيها ، ومنها :

١ - هل أنت مُوافق على إلغاء الدَّعْم للسلع التموينية مع زيادة الأجر ؟ ،

٢ - هل ترى أن يكون الإلغاء كُلياً أو جزئياً ؟

٣ - كيف يصل الدَّعْم - إذا بقي ، أو اقتصر على بعض السلع - إلى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ من المواطنين .

٤ - هل أنت راضٍ عن مستوى الأداء فى الوحدات الإنتاجية ، ووحدات الخدمات ؟

٥ - ما هى مقترحاتك لرفع مستوى الأداء ؟

- وسنعرض فى المجموعة الثالثة - مع ذلك - لبعض الحلول المرحلية الواقعية .

٢ - الأسئلة عن الحكومة وأدائها وإنفاقها :

(وهى الأسئلة الثلاثة التالية للمجموعة الأولى) .

- نسمع عن بعض المصالح الحكومية وإدارتها أنها تؤدى واجباتها أداءً نموذجياً ، ونسمع عن أخرى أنها قليلة الأداء ، أو سيئة الأداء ، وفى تصوّرنا أن القسم الثانى أكثر من القسم الأول ، وهذا وذالك له أسبابه الجوهرية المعقولة :

- منها : عدم وضوح الأهداف لدى العاملين فى تلك الجهات بدرجة كافية تثير حماسهم ، وتحرك مواهبهم لتحقيق الأداء الأمثل .

- ومنها : الإحساس - والإحساس والشعور أمران جوهريان بكل مقياس - بعدم وجود العدل فى الجزاء ، من حيث المرتبات ، ومن حيث الثواب والعقاب عند المتابعة والتقدير .

ومنها : فقدان دور الإيمان بالله ، والحلال والحرام ، بدرجات متفاوتة فى ميادين العمل الوطنى ، وعدم وضوح الصلة بين الإيمان والنجاح الدينوى فى جميع الأعمال .

الاستهلاك ، الذى يندفع إليه المستحقون للدعم وغيرهم .

وكلا الأمرين يجعل أعباء الحكومة تتضخم تضخماً مَرَضِيّاً لا يتوقّف ! ! - ما الحل ؟

يجب أن نلتمس حلاً يجعل معونة الدولة تصل إلى مستحقيها دون وساطة ، والمستحق إذا وصل إليه حَقُّه كاملاً ، كانت ثمرة الحكمة فى استعماله عائدة إليه ، وحينئذٍ يأخذ حاجته ، ولا يسرف ولا يُبذّر فى الاستهلاك ، ولا يتمكن المستغلون من الاستغلال عن طريق الدعم .

- وفى هذا المجال يبرز المبدأ الأساسى فى العدل ، ليقول كلمة : يجب أن ينال كلُّ عامل أو موظف حَقَّه كاملاً عن عمله ، فإن كثيراً من هؤلاء يحسّون أنهم مَبْخُوسُونَ فى أجورهم ومرتباتهم ، وحينئذٍ سوف لا تحتاج الحكومة إلى الدعم . والفلاح يحسّ أنه مغبون من وسطاء السوء ، حيث يبخسون أسعار منتجاته شراءً ، فإذا باعوها نهبوا وحدهم فارق السعر الهائل المتزايد .

- العدل : مَبْدَأٌ يجب أن يسود . العدل : حلٌّ أفضل لكل المشكلات . - ولابدُّ من النظرة العادلة الدائمة ، لإقامة التوازن بين القيم فى ميادين العمل ، وبين الأجور فى ميادين السِّلَع والخدمات من الجهة المُقَابِلَة .

— ما الحل ؟

من التشخيص الموجز أعلاه يمكن معرفة الأمور التي يجب اتخاذها ، وعلى رأسها :

— وجوب توضيح الهدف الذى يُثير حماس الإيمان .

— وكذلك إعطاء (العدل الاقتصادى) حقه من الإيمان والتنفيذ والجدية .

٣ — أسئلة القطاعين العام والخاص .
وتحقيق العدالة :

(وهي الأسئلة الأربعة الأخيرة) .

— لماذا أنشئ القطاع العام ؟ وماذا

يجب أن يفعل ؟

ليس من الأوصاف الذاتية لكل حكومة أن تكون مُنتجة سِيَّاراتٍ أو بضائع أو تاجرة قماش أو دجاج ! ؟

فإنه يُمكن أن تكون هناك حكومة ناجحة ، ولا تفعل شيئاً من ذلك . اشتراك الحكومة فى الإنتاج والتجارة له أسباب تجعله ضرورياً فى بعض الأحيان والمراحل .
— من هذه الأسباب انحراف القطاع

الخاص ، حين يظلم العمال والموظفين ويخس أجورهم ، وحين يحتكر ، فيُضَرُّ بالمستهلكين ، وحين يهرب من الضرائب ، ويرشو ، ويغش ، فيُضَرُّ الاقتصاد الوطنى كله ، وقد يُعرض الوطن كله للاحتلال

الأجنبى ، حين تطفئ مصالحة الخاصة على كل القيم الدينية والوطنية والقومية .

— ومن هذه الأسباب أن يعجز القطاع الخاص عن القيام بإنتاج كبير يحتاج استثماره إلى زمن طويل ، كما هو الشأن فى الصناعات الثقيلة ونحوها مما لا بُدَّ منه للشعوب المتقدمة .

لشئ من هذا وذلك نشأ القطاع العام .
والمعيار الذى يُقاس به دور (القطاع العام) هو : حيث يفشل القطاع الخاص أو يعجز أو ينحرف ، يجب أن تتدخل الحكومة بسلطة (القطاع العام) لتؤدى الدور القانونى للشرطى الأمين الذى يُمسك بالمُعْتَدَى ، ويعطى كل ذى حقَّ حقه بعد ما تبين ، ثم يَمْضى إلى عمله الأساسى فى الرقابة القانونية ، ونشر الأمن .

— وفى هذا المجال ، يلوح لى أن من الأفضل الآن أن يصبح القطاع العام (موزع جملة أمين) بدل (تاجر الجملة) ، يُسَلِّم السلع التموينية إلى (الجمعيات التعاونية) التى تُنشأ الآن على مستوى المصالح والأحياء ، ولها مُسَاهِمُوهَا ، على أن نُعنى عناية فائقة بتوجيه وترشيد الناس .
ليحسنوا التعاون على إدارة هذه الجمعيات بالنسبة لجميع المشتركين ، الذين ينبغى أن يكونوا جميع أبواب الأسر فى أنحاء الجمهورية .

الغذائية والصحية والأمنية . . . إلخ .
ولقد أصبح هذا الفريق القليل من
ذوى الدُّخُول غير المحدودة يمثل خطراً
كبيراً . ! ؟

— يذكر وزير التخطيط^(١) أن هذا
الفريق امتلَكَ من فروق الأسعار في ثلاث
سنوات ٨٠٠ ثمانمائة مليون جنيه ، بدون
إنتاج حقيقي (أى من «فائض القيمة»
بالاصطلاح الاقتصادي ، أو من «الربا»
بالاصطلاح الشرعى فى ، الحلال
والحرام) .

ما الحل ؟

— هل يجوز أن نعتمد على فلسفة

الضرائب ؟

العدل : يقول : لا ، إن الضرائب إنما
تكون عن الثروة التى يعترث القانون
بشرعيتها وشرفها .

— فهل يحمى القانون الكسب
الحرام ؟ .

لابد إذاً من إقامة العدل : نُحِلَّ
الحلال ونُحْمِيهِ ، ونُحْمِي أصحابه
ونُحَرِّم الحرام ، ونعيده إلى أصحابه
المظلومين . . ؟ ؟ ؟

عندئذ سوف لا نُحْمِل فلسفة الضرائب
مالا تستطيع أن تَحْمِلَهُ تَحْتَ غوايات
(فائض القيمة) المُقَامِرِ الْمُغَامِرِ ،

— وفى مجال الضرائب ، وتحقيق
العدالة بين المواطنين فيما يتحملونه من
أعباء .

— نبدأ بالحديث عن (محدود الدَّخْل)
مَنْ هُوَ ؟

لو أنعمنا النظرة الاقتصادية والضريبية
والقانونية ، لرأينا :

بإنصاف — أن (محدود الدَّخْل) هو كل
من يُحدِّد دَخْلُهُ نظام قانونى أو طبيعى
يَحْكُمُهُ الواقع .

— ينطبق ذلك على العدد الأكبر من
العاملين داخل الوطن ، ويدخل فيه رئيس
الجمهورية ، والوزراء ، وجميع الموظفين
فى الحكومة والقطاع العام والخاص .
والفلاحون ذوو الملكيات الصغيرة —
فالقانون الوظيفى والطبيعى بأنواعه يحكم
دخولهم جميعاً ، ويحددها ، ويربطها .

— ويخرج من هذه القوانين : التجار .
والمهنيون ، وذوو الأعمال الطفيلية . وهؤلاء
لا يَحْكُم دخولهم أحد ، ولا يربط
مكاسبهم سوى إرادتهم وذمتهم ، ومنهم من
يَكْسِب من حلال ، ومنهم من لا يبالى
حلالاً ولا حراماً ، فهو يلتمس كل ما يقع
تحت يده ، ويصل فى وقتٍ وجيز إلى
الألوف وألوف الألوف ، من الاحتكار ،
وفروق الأسعار ، واستغلال الضرورات

والرأشى ، والمُرابى المُخرب ؟ ؟

- كيف تستعيد «الحكومة» (فروق الأسعار) ، التى بلغت نحو ألف مليون جنيه - فى الداخل - لتردها إلى أصحابها الذين أخذت منهم ظُلماً ؟

طريق الإقناع الشرعى ، والقانونى ، والعلمى - فى ظلال المحبة والحرية والإخلاص لله والوطن - هو عندى أفضل الطرق .

- وفى يد «الأزهر» فتاواه الشرعية النزهة ، وخطبه ومواعظه ومؤلفاته

- وفى يد الحكومة وسائل التغيير الداخلى ، والإقناع المشروع ، عن طريق أجهزة الإعلام والصحافة والقانون .

وفى يد الشعب نقاباته وجمعياته المتنوعة : الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية ؟ ؟

وأخيراً :

فإننى أتصور - بالنسبة إلى «مشكلتنا الاقتصادية» أننا تجاه (معركة) ، لماذا ؟ - الأزمات العالمية فى الاقتصاد ، قد التهمت من اقتصادنا فى التضخم العالمى من ١٩٧٣ - ١٩٧٦ فقط :

١ - ٢٨٠٠ ألفان وثمانمائة مليون من الجنيهات (فروق أسعار) .

٢ - وفى الداخل التهمت (فروق

الأسعار) ٨٠٠ ثمانمائة مليون جنيه من الاستهلاك الشعبى ، كما التهمت ١٥١ مائة وواحداً وخمسين مليون جنيه من الاستهلاك الحكومى ؟ ؟

- ما الهدف من خوض هذه المعركة ؟ - تصحيح المسار الاقتصادى ، وذلك يقتضى أمرين :

١ - إيقاف نزيف «الربا» الذى يسميه الاقتصاديون «التضخم» . وذلك بحسب مظهره الخارجى .

٢ - وضع الأسس الراسخة التى تمنع عودته إلى الظهور مرة أخرى فى مستقبل قريب أو بعيد ؟ ؟

- إن هذا الذى يسمونه «التضخم العالمى» قد ألحق الأذى بجميع الدول النامية فى العالم الثالث ، وأحست جميعها بوطأته الثقيلة عدا دول البترول - ولقد احتشدوا لعلاجها ، وهذا أمر لازم وواجب ، ولا يزال دائراً ، والدول الصناعية الكبرى تُحاور وتُراوغ !! والدول النامية تُطالب وتلح للخروج من الأزمة . ومهما وصف من حلول مثل : زيادة المعونات ، وتسهيل الاقتراض ، وإطالة فترات السماح فى سداد الديون إلى آخر هذه المقترحات . . فإن ذلك لو أخذ به كله أو ببعضه ، لن يكون حلاً جذرياً ، وسوف يسمح بعودة الأزمة مرة أخرى ومرات

حاسمة ، نحاسب فيها أنفسنا ، لنهزم عوامل الشر والاستغلال والشقاء في داخلها ، فلا شك أن النفوس إذا طهرت من الأطماع ، والعقول إذا نورتها الهداية الإلهية ، والعلاقات الاجتماعية إذا آنسها الإخلاص والمحبة ، كُلّ ذلك كَفِيلٌ بأن يعلّق الجميع بالحلال من الرزق . ويحدث تيارا كاسحا للبراءة مما حرم الله من : الربا ، والسحت ، والرشوة ، والغش ، إلى آخر هذه الموبقات المهلكات .

ولنبتدئ حياة مباركة طيبة في ظلال الكسب الحلال ، ونخطط اقتصادية قائمة على شرف الغايات ، وطهارة الوسائل ، والزمن جزء من العلاج .
وينبغي أن يؤلف :

« المجلس الأعلى لإقامة العدل الاقتصادي » .

حيث يبدأ (معركة تصحيح المسار الاقتصادي) على النحو التالي :

١ - القائد : الحكومة .
٢ - غرفة العمليات لمساعدة الحكومة بالمشورة والرأى ، لإصدار القرارات في أوقاتها المناسبة لتقبّل الرأى العام ، وتضمّ :
(أ) الاقتصاديين الفنين .

(ب) الفقهاء الإسلاميين من الأزهر والجامعات .

بأشكال أشد ثقلاً ، وأكثر وطأة على الشعوب النامية .

وانما الحلّ الجذرى يكمن فى الاتفاق على وجوب (تحديد الأسعار العالمية) بطريقة علمية عادلة ، ثم تنهيتها .

- بعد هذا التحديد العادل ، سيكون التنافس شريفاً ، لخير البشرية جمعاء .

- أما الخضوع لصنم (العرض والطلب) فى تحديد الأسعار ، فسوف يجعل الكلمة الأولى والأخيرة دائماً لأولئك القادرين على الاحتكار والتحكم فى الأسواق بالظلم والبغى .

- والمثل واضح فى (أسعار البترول) التى انتقلت الكلمة فيها إلى منتجى البترول ، بعد حرب رمضان (٦ أكتوبر ١٩٧٣) .

وسياسة مصر فى مجموعة الدول النامية يجب أن تتجه إلى تأييد (التسعير العلمى العادل) على المستوى العالمى ، حتى تتقوى الوقوع فى خسارة ٢٨٠٠ مليون جنيه مرة أخرى ، أو أكثر؟؟

هذا فى الخارج على مشقته واضح .
- فماذا عن الداخل ؟ وقد خسرنا ٨٠٠ مليون جنيه فى الاستهلاك الشعبى و ١٥١ مليون جنيه فى الاستهلاك الحكومى ، والمجموع نحو ألف مليون جنيه ؟ .
- يلزمنا أن نواجه هذا الحلل مواجهة

٣ - القادة المساعدون :

من علماء المساجد والوعاظ ، وقادة وسائل الإعلام في الصحافة والإذاعة والتأليف الأدبي والفني ، وضباط الداخلية ومفتشو المومنين . . . إلخ .

٤ - الجنود : جميع أفراد الشعب بدون استثناء ؟ ؟

٥ - من شعارات المعركة :

« العدل الاقتصادي حق لجميع الناس »

« سيادة الكسب الحلال ، وتطهير الكسب من كل أمر حرام ، بذلك تتم سعادة الوطن » .

٦ - الحلال بين ، والحرام بين .

ويجب أن تصدر البيانات الشرعية والعلمية والقانونية التي تبين بياناً حاسماً حدود كل من : الحرام ، والحلال ؟ ؟

٧ - المعلومات المؤثرة على القيم :

لأبداً أن تكون تحت أنظار كل من له اتصال بالتقدير ، وإصدار القرارات في التسعير والتقييم .

٨ - يجب أن يكون الاعتماد الأكبر في الإصلاح على (التغيير الداخلي) في النفوس

عن طريق وسائل الإقناع والإعلام ، في المساجد والمدارس والصحافة والإذاعة والجمعيات العلمية والاجتماعية والسياسية

٩ - القدوة الحسنة في هذا المجال من أقوى وسائل التغيير :

كم يكون الطريق مُمهّداً ، حينما يندفع عدد من الذين يحوزون (فوائض القيم) الهائلة . ليتجردوا من آثار جهنم . ويُطهروا أنفسهم وأولادهم من آثار المال الحرام ، ليعيشوا طاهرين مُتطهرين .

١٠ - النصوص القرآنية : هي القائد المقبول في كل خطوة تخطوها الحكومة في المراحل المتتالية لتحقيق العدل الاقتصادي .

- وفي ختام هذا الموجز نذكر قول شعيب عليه السلام رسول الاقتصاد الإلهي :

(وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا . . .

(ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين) « ٧ : ٨٩ » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . زيدان أبو المكارم حسن

الوقائع والأحداث في شعر حسان بن ثابت

الأستاذ / السيد حسن فزون

موهبتة الشعرية ونباهة شأنه بين العرب
وجدته جديراً بحب رسول الله وتقديمه .
ويمتاز على غيره من شعراء عصره بمكانة
عالية جعلته يمدح ملوك الحيرة وملوك الشام
ولا يحدث له ما حدث للنابعة الذبياني مما
يدعوه إلى الاعتذار ، وهو حين يمدح
الغساسنة بالشام يمدح أبناء عمومته ؛
فنسب الخزرج والأوس ينتهي إلى الأزدي كما
ينتهي إليه نسب الغساسنة ، وصلاتهم له لم
تنقطع حتى بعد أن أسلم وتنصروا . حكى
عن نفسه قال : أتيت (جيلة بن الأبيهم
الغساني) فأذن لي فجلست بين يديه ، وعن
يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل
لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت :
أما هذا فأعرفه وهو النابغة وأما هذا فلا
أعرفه ، فقال : فهو (علقمة بن عبدة) فإن
شئت استنشدتها وسمعت متهما ، ثم إن
شئت أن تنشد بعدها أنشدت ، وإن شئت
أن تسكت سكت . قلت فذاك ، فأنشد النابغة :

اجتمع لحسان بن ثابت ما لم يجتمع
لأحد من شعراء الرسول ﷺ ، فهو أول
من سمع البشرى بمولده من أهل المدينة ،
فقد روى عنه أنه قال : إني لغلام يفيع ابن
سبع سنين أو ثمان إذا يهودى يصرخ ذات
ليلة : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا قالوا :
ويلك ! مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد
الذى ولد به في هذه الليلة . قال
محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن
عبد الرحمن بن حسان فقلت : ابن كم كان
حسان بن ثابت حين قدم رسول الله ﷺ
المدينة ؟ فقال : ابن ستين . وقدمها رسول
الله وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع
حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين . وأسلم
حسان مثل قومه من بني الخزرج ، ثم إنه
يجتمع مع رسول الله من جهة النسب في
عدي بن النجار ؛ لأن سلمى أم
عبد المطلب من بني عدي بن النجار ، فهو
يتم له بصلة القرابة ، فإذا أضفت إلى هذا

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطئ الكواكب
فذهب نصي . ثم قال لعلقمة أنشد ،
فأنشد :

طما بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب
فذهب نصي الآخر . فقال لى : أنت
أعلم الآن - وخيره - قال حسان :
فتشددت ، وقلت : لا ، بل أنشد .
قال : هات . فأنشدته :

أبناء جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص^(١) عليهم
بردى يصفق^(٢) بالرحيق^(٣) السلسل
يغشون حتى ما نهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم

شم الأنوف من الطراز الأول
فقال له (جيلة) : أدنه ، أدنه ،
لعمري ما أنت بدونها ، وأمر له بثلاثمائة
دينار وعشرة أقصة لكل منها جيب واحد .
وقال : هذا لك عندى فى كل عام .
ويهمنى من تلك النادرة أمان : أما
أولها فحديثه عن الشاعرين وتخييره فى
الإنشاد رعاية لمقامه وتجنباً لسقوطه أمام أكبر

(١) نهر يتشعب من بردى نهر دمشق .

(٢) يمزج .

شاعرين ، فالنابغة محكم الشعراء فى سوق
عكاظ ، وبكلمة منه يعلو الشاعر أوبنزل ،
والثانى عارض امراً القيس أمير الشعراء فى
قصيدة واحتكما إلى زوج امرئ القيس فكان
حكمها لعلقمة لا لزوجها ، ولكن شاعريته
أبت عليه أن يكون دونها . أما آخرهما فهو
القرار الذى جعله يتقاضى من الغساسنة
ثلثائة دينار كل عام ، وبقيت حتى بعد
انتشار الإسلام وحسان من أنصاره .

وعلى هذا فحسان فحل من فحول
الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدر ،
وكان يفضل - كما يقول الرواة - على
الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار فى
الجاهلية ، وشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام ،
لأن حسان كما قلت من بنى (قبيلة) وقبيلة
من (الأزد) والأزد من اليمن .

أسلم بنو قبيلة : الأوس والخزرج ،
وهاجر إليهم رسول الله ، واحتاجت الدعوة
إلى لسان يعبر عنها ، وينافح دونها ، وبدا
ذلك جلياً بعد موقعة (بدر) فانطلقت ألسنة
شعراء قريش تتناول أعراض المسلمين ،
وأظهر شعراء قريش ومن تابعهم :
عبد الله بن الزبعرى السهمى ،
وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ،

(٣) الخمر .

وضرار بن الخطاب الفهري ، وعمرو بن العاص السهمي ، وفزع الصحابة إلى علي بن أبي طالب ليرد عليهم ، فلم يقبل الرسول ؛ لأن علياً « ليس عنده ذاك » ثم قال للأنصار : ما يمنع الذين نصرُوا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرني به مِقُولُ بين بصرى وصنعاء . فقال : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ فقال : إني أَسْلُكُ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين . فقال النبي : اللهم أيدِه بروح القدس .

ومن هذا اليوم شَمَّرَ حسان عن ساعده ، ووظف شعره في الدفاع عن الرسول وصحابته ودعوته ، فكان شعره صدى للحوادث والوقائع ، فكان شعراء قريش يرهبونه أكثر مما يرهبون الشعارين : كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وكانا من شعراء الرسول ، وهجاء حسان يتسم بالواقعية ، والبعد عن الفحش ، إنما يلجأ إلى ما يحبون ستره فيفضحه ، ويستعين بأبي بكر رضي عنه ليطلعه على أنساب قريش ليوجع من يتعرض لهجو الرسول ويفتخر بقومه وما قاموا به من الإيواء وبذل النفس والنفيس دفاعاً عن الإسلام ، فقد رمتهم الجزيرة العربية بكل داهية دهياء ، فحين ينتصر المسلمون يصف شجاعة أولى

البأس وأثرهم في جذب النصر ويزأ بالمغلوتين من الكفار ، وحين تحدث هزيمة لا ينكص على عقبيه فعنده ما يقوله ، يعيرهم بالكفر ، ويوضح لهم متواهم من النار ، انظر إليه يعاتب من تلومه ويزأ (بالحارث بن هشام) أخى (أبى جهل) : لهربه :

إن كنت كاذبة الذى حَدَّثَنِي

فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأعبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طِمْرَةٍ ولجام
وبنو أبيه ورهطه في معرك

نصر الإله به ذوى الإسلام

ويعتذر الحارث عن هربه بشعر ، ولكن حسان لا يتركه لعذره ؛ بل يقول له :
يا حار قد عولت غير معول
عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطى سُرْحَ اليبدين نجيةً
مَرَّطَى الجراء طويلة الأقراب
والقوم خلفك قد تركت قتاهم
ترجو النجاة وليس حين ذهاب

ويفخر قائلاً :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
إبارتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
 وشية يكيو للبدن وللنحر
 كثير ذلك الشعر الذي قاله في غزوة بدر
 جعل شعراء قريش يرجعون بهزيمتين ،
 هزيمة المعركة ، وهزيمة الشعر .
 وجاءت غزوة أحد ، ولقيت قريش
 فيها خطأ ، وقتل حمزة ، ومصعب بن
 عمير وأناس من الأنصار رضى الله عنهم
 ووجد شعراء قريش فرصتهم فوجهوا
 الكلام لشعراء الرسول وافتخروا فحمي
 حسان ولم يترك لهم مجال النصر ، بل
 أوصده دونهم ببراعة تستحق الإعجاب ،
 فإن ذكروا النصر ذكرهم هزيمة بدر ، وإن
 شتموا بمقتل حمزة بين لهم منزلته من الجنة
 ورضا الله عنه وعدد لهم أشرفهم الذين
 قتلوا وألقوا في القلب ثم هم من أصحاب
 النار وشتان بين من يؤيدهم جبريل بأمر الله
 ومن ينق في قفاهم الشيطان ، ويبكى
 حمزة والشهداء :
 يا حمز ، لا والله لا
 أنساك ما صرَّ اللقائح^(١)
 لناخ أيتام وأضيأ
 ف ، وأرملة تلامح^(٢)
 ولما ينوب الدمر في
 حرب لحرب وهي لافح^(٣)
 ذكرتنى أسد الرسو
 ل وذاك مدرُّها المنافع
 لهن لشبان رزئناهم
 كأنهم المصابيح
 شم ، بطارقة ، غطا
 رفة ، خضارمة^(٤) . مسامح
 المشترون الحمد بالأموال
 إن الحمد رابع
 وتتوالى الأيام والجهاد مستمر ،
 والانتصار يتتابع ، وتعلو راية الإسلام
 خفاقة ، وإذا وقع الغدر من قبيلة على دعاة
 المسلمين أطلق لسانه في الغادرين .
 وجعلهم مضغة الأفواه ، فحين غدرت
 هذيل (نجيب بن عدى) وأصحابه وهم
 ستة أرسلهم الرسول لتفقيه (عَصَل والقارة)
 كطلب هاتين القبيلتين جعل منها سبة الدهر
 لتلك القبائل ، والوفاء بالعهد وإجارة
 النزيل وإكرام الضيف من عزائم الأمور عند
 العرب فكيف غدرت تلك القبائل ؟ يقول
 حسان :
 إن سرك الغدر صِرْفًا لا مزاج له
 فأت (الرجيع)^(٥) فسل عن دار الحيان^(٦)
 قوم تواصوا بأكل الجار بينهم
 فالكلب والقرود والإنسان مثلان
 لو ينطق التيس قام يخطبهم

(١) التوق لهالين .

(٢) زائد شرها .

(٣) ماء لهذيل .

(٤) من يكثرون العطاء .

(٥) حتى من هذيل .

(٦) تنظر سريعاً .

رجالَ بني كعب تُحزُّ رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتل كثيراً لم تجن ثيابها
ويعنى بالرجال الذين لم يسلوا سيوفهم
قريباً فقد عاد نوابها ولم يحاربوا ، ولم يجن
ثيابها يريد لم يستروا بالدمن .
وهياً الرسول جند الرحمن وزحف إلى
مكة في عشرة آلاف مقاتل ، فيهم
المهاجرون والأنصار ، وينطلق صوت
حسان :

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء^(٢)
ينازعن الأسنة مصغيات
على اكتافها الاسل الظماء
نظل جنادنا متمطرات
يلطمهن بالخمير النساء
فإما تعرضوا عما اعتبرا
وكان (الفتح) وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
وجاء النصر ورم الفتح ودخل الناس في
دين الله افواجا . ويذكر حسان حينئذ
خصمه ابن الزبعرى وقد هرب إلى نجران

وكان ذا شرف فيهم وذا شان
وهو أسلوب ساخر بلحيان التي تعرف
الغدر خالصاً ، وتتواصى بأكل الجار ، ولا
تعرف حقوق الإنسان ، والبيت الثالث فيه
كل السخرية ، وحدث غدر مثله في (بئر
معونة) فشنَّ حسان الغارة على بني عامر
الذين لم يفوا بوعدهم ولم يحموا من نزلوا
عندهم من الصحابة بطلبهم ، وكان
عامر بن الطفيل هو الغادر فاستعان ببني
سليم ، هنا يقول حسان يحرض (بني براء)
على عامر بن الطفيل :

بني أم البنين ألم يرفعكم
وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم (عامر) (بأبي براء^(١))
ليخفره وما خطأ كعمد
وتستمر الدعوة الإسلامية ،
والتضحيات تساوقها الانتصارات ، وحسان
يرصدها ويسجلها يوماً بيوم ، صور زحف
الأحزاب وهزيمتهم ، وصور الغزوات
واحدة بعد أخرى حتى كانت غزوة مكة ،
أوفتح مكة ، فجال كل مجال وصال أبلغ
مصال ، تحدث عن غدر قريش بالهدنة ،
وسيوفهم التي استعان بها بنو بكر على بني
كعب من خزاعة ، وحرض على القتال :
عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيْطْحَاءَ مَكَّةَ

(١) هو الذي طلب الدعاة ويلقب بملاعب الأسنة .

(٢) موضع بمكة .

واعترف الوفد بذلك في قصيدته :
إن الدوائب من فھر وإخوتهم
قد بينوا سنناً للناس تتبع

وعاش في كنف حبيبه ونبيه في مكانة
عالية وعزلا يرام ، وبينما هو كذلك وقد آن
له أن يستريح إذا برسول الله يمرض ويخبر
فيختار الرفيق الأعلى ، وينظر حسان فيرى
المنبر قد خلا من خطيبه ، فيبكي بكاء
مراً ، ويرثيه رثاء يبين عن إيمان عميق ،
وحب مكين ، وشعور صادق ، لقد تلقى
بشرى مولده ، وتلقى نعيه ففجر كل ذلك
عاطفة شاعر جياش الشعور ، عارم
الخيال ، صادق الوفاء ، أريحي الوداد :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها (منبر الهادي) الذي كان يصعد
وواضح آثار ، وباق معالم

وربع له فيه مصلى ومسجد
ويسير على هذا باكياً منتحباً مبيناً آلاء
الرسول وما أدى من رسالة ، ويذكر القبر
وبكاء الصحابة :

لقد غيوا حلماً وعلماً ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعصد

خوفاً من عقاب رسول الله ، فيرميه بيت
واحد أرميه وهذه ، هو .
لا تعدّ مَنْ رجلاً أحلك بغضه

نجران في عيش أحد لثيم
بلغ ابن الزبعرى هذا البيت فضافت
عليه الأرض بما رحبت ، فلم يجد بداً من
ترك العيش الضيق اللثيم في نجران وأتى إلى
الرحمة المهداة محمد بن عبد الله رسول الله
طالباً الصفح والمغفرة ، فما إن مثل بين يديه
حتى أنشد :

يا خير من حملت على أوصالها
غيرانه سرح اليمين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي
أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
فاغفر فدى لك والداي كلاهما

زلي ، فإنك راحم مرحوم
ونال العفو ، ونجا من «عيش أحد
لثيم» فالإسلام يجب ما قبله ، وصار أخاً في
الإسلام لحسان .

وكان فتح مكة مسحاً لأحزان حسان
التي عاناها من استشهاد أمراء المسلمين في
مؤتة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي
طالب ، وعبد الله بن رواحة الذين بكاهم
بشعر يقطر أسى والمأ .

ويأتى عام الوفود فيكون حسان لسان
صدق في الذود عن الحياض ، والاعتلاء
بفنه على كل شاعر وافد ، غلب شاعر تميم

وعلو النسب ، وتربية الله إياه ، وأنه :
تناهت وصاة المسلمين بكفه
فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند
ختمها برجاء يتمناه كل مؤمن صادق
الإيمان قال :

مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسمى وأجهد
قصيدة رائدة ، ويقينى أن النقاد لم
يقربوا منها إلا لأنهم يفرون من الحديث
عن وفاة سيد الخلق ﷺ ، وإلا فهي
جديرة بالتحليل وبيان ما فيها من جمال
وجلال .

هل سلمت حياة حسان من المؤاخذة
إبان تلك الحقبة التي عاشها في كنف رسول
الله على أنه شاعر الرسول ؟
يقتضينا هذا السؤال أن نذكر موقفاً
لحسان عُذ فيه مذنباً ، ولا أدري كيف وقع
في هذا الذنب ؟

حدث في غزوة بني المصطلق أمران في
غاية من الخطورة والحساسية يتصلان
بالمجتمع الإسلامي المكون من المهاجرين
والأنصار ، الأمر الأول وقع بين المخارين ،
فقد تشاحن بعض المهاجرين مع بعض
الأنصار على الماء فتفوه رأس النفاق
(عبد الله بن أبي بن سلول) بكلمة نابية
سجلها القرآن الكريم وهي : «لئن رجعنا
إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»

يكون من تبكى السموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكرم
وهل عدلت يوماً رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد ؟
لقد تقطع منهم منزل الوحي ونوره
المهادى ، والقذوة الحسنة ، إمام يهدى
فينال السعادة تابعه ، يعفو عن الزلات ،
ويحمل عنهم مالا يستطيعون حمله ، فعنده
تيسير ما تعسر ، وتوسيع ما تحجر :
فيباهم في نعمة الله بينهم
دليل به نهج (الطريقة) يُقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى

حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
فبكى رسول الله ياعين عبدة
ولا عرفتك الدهر دمعك يحمد
وتراه هنا يمتح عن روح إسلامية
أصيلة ، ففي حياة الرسول ترى مدحاً أشبه
بمدح الملوك إلا بعض تأثره بالقرآن الكريم
والحديث الشريف ولكنه هنا في روحانية
غالبة ، وربانية رابية ، وقد لمح الدكتور
زكى مبارك لحة ذكية حين جعل الطرق
الصوفية في تسميتها راجعة إلى (الطريقة)
التي جاءت في تلك الأبيات ، وما أصدق
حين يقول :

وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يفقد
ويصفه بالكرم والوفاء ، وحسن المنبت

ملا بسها منتظرة أن يفتنوا لها فيعود أحدهم إليها . وبينما هي كذلك جاء (ساقية الجيش) الصحابي (صفوان بن المعطل السلمي) كانت مهمته جمع ما تركه الجيش سهواً ، فلما رآها - وكان يعرفها قبل الحجاب - قال : طعينة رسول الله ؟ ولما لم تجبه أناخ بعيره وابتعد عنها وطلب إليها الركوب ، فركبت وسار بها حتى دخل المدينة ، وهنا تقول أهل الإفك وعلى رأسهم ابن أبي ودخل في الشائعات حسان مع (مسطح بن أثانة) و(جمنة بنت جحش) أخت زينب زوج الرسول ، وبرأ الله السيدة عائشة بقرآن ينزل في المخاريب ، وأقام الرسول الحد على من اشتركوا في هذا الأمر ومنهم حسان . وغضب صفوان من شعر حسان ، فضرب حسان بالسيف ، ولكن الله سلم ، وكادت تكون فتنة بين المهاجرين والخزرج لولا تدخل عبد الله بن رواحة الذي ذهب بهما إلى الرسول ليقتضى بينهما وهنا عاتب الرسول حسان على ما قاله في شأن المهاجرين قائلاً له : « تشوهت على قومي أن هذا هم الله للإسلام » واعتذر حسان ثم أرضاه الرسول على تنازله عن حقه قبل صفوان فأعطاه عقاراً (وسيرين القبطية) أخت (مارية) جارية الرسول . وهنا فاض قلب حسان بالشعر . فقال يصف السيدة عائشة بالظهر والنبل ، وتنصل مما قال :

يقصد رد المهاجرين إلى مواطنهم في مكة وما حولها مما دعا الرسول إلى التعجيل بالعودة من حيث أتى ، وبلغ حسان الخبر . فشايح (ابن أبي) وقال شعراً : منه :
أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريرة أمسى بيضة البلد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه
أو كان منتشبا في برثن الأسد

وطبعاً هذا يؤلم الرسول ، لأنه سمي المهاجرين «جلابيب» وهي لفظة كانت تطلقها قريش عليهم زراية بهم وخطاً من منزلتهم . ويعني بابن الفريرة نفسه ؛ لأن الفريرة أمه : وهي من بني ساعدة .

الأمر الثاني اشتراكه في حادث الإفك ، وحادث الإفك موجزه : أن النبي كان إذا خرج إلى غزاة أقرع بين زوجاته ، فكان من نصيب السيدة عائشة خروجها في تلك الغزاة ، وكان من عادتهم أن يضعوا زوج الرسول في هودج تكون فيه وهي على البعير أو على الأرض ، وكذلك صنعوا بالسيدة عائشة ، وحدث في أثناء الرجوع أن أمر الرسول باستراحة الجيش ، وحين أذن مؤذن الرحيل كانت السيدة عائشة تبحث عن عقد سقط منها حين خرجت من الهودج لقضاء الحاجة ، ورجعت فوجدت الجيش قد رحل ، فتلففت في

حسان رزان ما تُزَنُّ بريبة
وتصبح غرث من لحوم الغوافل
عقيلة حى من لؤى بن غالب
كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها^(١)
وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم
فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وهكذا انقشعت تلك السحابة ، وعاد
الرضا للشاعر ، وبقى وده للرسول وآله
- وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه -
عاش حسان طويلاً بعد الرسول ،
وعاشر خلفاءه بالحسنى ، شاهد خلافة أبى
بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وتوفى
سنة ٥٤ هـ فى خلافة معاوية بن
أبى سفيان ، ولم يعكر صفو حياته فى تلك
المدة الطويلة سوى حدثين أولهما يسير محمله
وآخرهما ثقیل حملة ، كان الأول فى عهد
عمر رضى الله عنه ، وذلك - كما يقول
صاحب الأغاني - إن عمر بن الخطاب
نهى الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة
الأنصار ومشركى قريش وقال : فى ذاك
شتم للحى والميت وتجديد الضغائن وقد هدم
الله أمر الجاهلية بما جاء به من الإسلام .
فقدم عبد الله بن الزبيرى السهمى
وضرار بن الخطاب الفهرى فتزلا على

أحمد بن جحش بالمدينة وقالوا : نحب أن
ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك
فننشده وينشدنا ما قلناه وما قاله ، فأرسل
إليه فجاء ، فقال : يا أبا الوليد هذان
أخواك : ابن الزبيرى وضرار ، وقد أحبا أن
يسمعاك وتسمعهما ما قالاً لك وقلت لهما .
فقال حسان : أفتبدآن أم أبداً ؟
قالا : نبدأ نحن . قال : أنشدا ، فأنشده
حتى فار كالمرجل غضباً ، ثم استويا على
راحلتيهما يريدان مكة دون أن يسمعا شيئاً
منه ، فلما كان منه إلا أنه ذهب إلى الخليفة
عمر فقص عليه قصتهما وقصته . فقال عمر
وهو العادل : لن يذهبا عنك ، وأرسل من
يردهما ولو بلغا مكة . فلما كانا بالروحاء رجع
ضرار إلى صاحبه وقال : يابن الزبيرى ، أنا
أعرف عمر وذبه عن الإسلام وأهله ،
وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به .
وين له أن عمر لا بد أن يرسل فى طلبهما ،
والأفضل أن نبقى هنا إلى أن يأتينا الخبر .
فأقاما بالروحاء فلما كان إلا كمر طائر حتى
وافاهما رسول عمر ، فرجعا إليه . فدعا لهما
بحسان وعمر فى جماعة من أصحاب رسول
الله ﷺ فقال لحسان : أنشدتهما ما قلت
لهما ، فأنشدتهما حتى فرغ مما قال لهما . فقال
عمر : أفرغت ؟ قال : نعم .

قال : أنشدك فى الخلاء وأنشدتهما فى

الملا . وبذلك هدأ ورضى . وبرى صاحب الأغاني أن عمر قال لمن حضره من الأنصار : إني نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكذبوه واحفظوه ، فدونوا ذلك عنهم . والعهددة على الراوى .

أما الأمر الآخر فموقفه من مقتل عثمان رضى الله عنه ، فقد حزن وأنكر ولم يهش لخلافة على بن أبى طالب وبلغ علياً أن حسان والنعمان بن بشير وكعب بن مالك يقدمون بنى أمية ويقولون : الشام خير من المدينة ، فاستدعاهم فدخلوا عليه . فقال له كعب : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان أقتل ظالماً فتقول بقولك أم قتل مظلوماً فتقول بقولنا أم نكلك إلى الشبهة ؟ فالعجب من يقيننا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه فهاته نعرفه وأنشده شعراً باكياً على عثمان : فقال لهم على رضى الله عنه : لكم عندى ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأثرة ، وجزعت فأسأمت الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بذلك العرب ولا تعدرنا فيه . فقال على : أتردون على بين ظهراى المسلمين بلا نية صادقة ولا حجة واضحة . اخرجوا عني ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً . فخرجوا من بيوتهم فساروا

حتى أتوا معاوية بالشام فقال لهم : لكم الولاية والكفاية ، فأعطى حسان ألف دينار ، وكعب بن مالك ألف دينار ، وولى النعمان بن بشير حمص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد ، وهذا الخبر يدل على تغيير رأى حسان فى على أيام رسول الله فقد كان عنده إحدى دعائم العز للإسلام ، جبلاً تضؤل دونه الحجارة المجتمعة ، وسيداً كريماً من البهاليل . انظر إليه تجده يقول فى رثاء جعفر بن أبى طالب :

وكنا نرى فى جعفر من محمد وفاء وأمراً حازماً حين يأمر فما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزلن ومفخر هم جبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طود يروق ويقهر بهاليل منهم جعفر وابن أمه (على) ومنهم أحمد المتخير فكيف صار بنو أمية أفضل منه ؟ وكيف صارت الشام أفضل من المدينة ؟ أكون حسان قد جعل من الأخوة التى بين أوس أخيه وعثمان قرابة قريبة ، فهو يتعصب لها ، ويغضب فى سبيلها ؟ إذ آخى النبي إثر الهجرة بين أوس بن ثابت وعثمان ، وقد يكون لمصرع عثمان وإحراق داره ، ودفنه ليلاً أثر كبير فى نفسه ؟ وقد تكون الحوادث أعجلته عن التروى ، والنظر إلى الأحداث

الله في ظعنهم وإقامتهم ، في حربهم
وسلمهم ، وأين الغسانية من محمد ﷺ
وأصحابه ، وصار للوفاء معنى غير ما كان
عليه قبل ، فهو وفاء يصاحبه خشية المعرفة
في الدنيا والعقاب في الآخرة ؟ على أن
النقاد في العصر العباسي رأوا أن شعر حسان
في الجاهلية أقوى منه في الإسلام وعللوا
ذلك بأن الشعر لا يقوى إلا في باب الشر
الذي يحظره الإسلام ، وفاتهم أن الإسلام
إن حظر الباطل والفسق فقد ترك الباب
مفتوحاً لكثير من فنون القول ، فليست
الحياة وفقاً على الخمر والعردة والاستهتار
بالنساء والفخر بالآباء ، فهناك المثل العليا ،
والمبادئ السامية وحديث البطولة والوقائع
الحربية وفتوح البلدان ونشر الإسلام
والاستشهاد في سبيل الله والأريحية ساعة
العسرة ، وتفنيد مقال الخصوم الكاذب :
وبيان حقيقة الإسلام وعدالته ويسر
أحكامه ، وقد وجد حسان من كل ذلك
مجال القول نسيماً ، فصالح وجال وأنى
بالعجب العجائب ، وما جاءت به قريحته
مما وصل إلينا لا يقاس به ما قاله في
جاهليته ، ولقد اعتر حسان بثلاث
قصائد : أولاهما في الجاهلية مدح بها
الغسانية ، وقد ذكرت بعضها عند حديثي
عن لقائه الشاعرين : النابغة وعلقمة في

بفكر ثاقب ، لا بعاطفة شاعر ، إنها
الفتنة ! لم يسكت حسان بل قال شعراً فيه
بكاء وتحريض منه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً^(١)

لتسمعن قريباً في ديارهم

الله أكبر يا ثارات عثمان
وقد فصل في الأمر أسلافنا فقالوا في
مثل معاوية اجتهد وأخطأ وله أجر واحد ،
وفي علي وأصحابه : اجتهد وأصاب وله
أجران . وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مقتل
عثمان يقول : كان على أتقى لله من أن يعين
في مقتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من أن
يعين في مقتل علي . ورحم الله الجميع ،
فقد كانوا مصابيح الظلام .

وقد وضعت أمامك نصوصاً من شعره
على اختلاف عهوده ، منها ما هو جاهلي .
ومنها ما هو إسلامي في عهد الرسول وعهد
خلفائه ، وإنك لتراها من معدن واحد ،
وإن اختلف المدلول ، ففي الجاهلية اتجاه
يخالفه الاتجاه الإسلامي ، فأكثر ما يقال في
مدح ملك أو عظيم في الجاهلية أنه كريم
أو شجاع ، أو عظيم النسب ، وأين هذا من
حديث التقوى وتوحيد الله والجهاد في سبيله
والثواب المدخر للمؤمنين الصادقين الذين

يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينبيون إلى
مجلس جبلة بن الأيهم الغساني ، ونال عليها
الجوائز السنية . أما الأخريان ، فواحدة في
الرد على ابن الزبيرى ، وواحدة في فتح
مكة ، والقصيدة التى رد فيها على ابن
الزبيرى وذكر فيها عدة حملة لواء قريش في
غزوة أحد أعجب بها ناظمها ؛ فقد ذكر
ابن هشام في السيرة النبوية أن حسان نظمها
ليلاً فدعا قومه فقال لهم : خشيت أن
يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها
عنى . ومعنى هذا أنه كان حريصاً عليها
وعلى روايتها ، وقد نهج فيها منهج القصيدة
العربية ذات الأغراض المتنوعة ، ولكن
حالته النفسية ربطت بين معانيها فكأنها في
غرض واحد ، بدأها بالتشبيب فقال :
منع النوم بالعشاء الهمومُ
وخيال إذا تغور النجومُ
من حبيب أضاف^(١) قلبك منه
سقم فهو داخل مكتوم
يا لقومى هل يقتل المرء مثلى
واهن البطش والعظام سئوم
لو يدب الحولى من ولد الذر
ر عليها لأندبها^(٢) الكلوم
وفخر فقال :

إن خالى خطيب جابية^(٣) الجو^(٤)
لأن عند النعمان حين يقوم
وأنى وواقد أطلقا لى
يوم راحا وكيههم محطوم^(٥)
وسطت نسبي الذوائب منهم
كل دار بها أب لى عظيم
وأنى فى (سميحة)^(٦) القائل الفا
صل يوم التقت عليه الخصوم
وهجا شاعر قريش فقال :
تلك أفعالنا وفعل الزبيرى
خامل فى صديقه مذموم
لا تسبى فلست بسبى
أن سى من الرجال الكريم
وقال عن عدة أصحاب اللواء :
ولى البأس منكم إذ رحلتم
أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت
فى رعاى من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيعوا جميعاً
فى مقام ، وكلهم مذموم
ومن الحكمة قوله فيها :
رب حلم أضاعه عدم الما
ل وجهل غطى عليه النعيم
وهى قصيدة فيها منهج القصيدة العربية

(٤) موضع بسورية حوله نزاع الآن .

(٥) مكسور .

(٦) بئر .

(١) زار .

(٢) أثرت فيها .

(٣) الحوض .

الإسلامي . مثل حديثه عن رسول الله
وعدوه :

أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الجزاء ؟
ينظر إلى قوله تعالى « وإنا أو إياكم لعلى
هدى أوفى ضلال مين » . ومثل وصفه
للسيدة عائشة بأنها :

حصان رزان لا تُرنَ برية
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإنه يقتبس بمهارة قد تخفى عن غير
المتأمل فكلمة « غرثى » أى خميسة البطن
من لحوم الناس من قوله تعالى : « أيجب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه »
وكلمة « الغوافل » يريد العفيفات الغافلة
قلوبهن عن الشر كما قال سبحانه : « إن
الذين يرمون المحصنات الغافلات . . »
الآية ، وكثير مما قال يشبه هذا ويجيء في
موضعه مطمئناً .

وينفرد حسان عن بقية الشعراء ببراعته
في الخط من الغدر وفاعليه ، وقد ذكرت
لك أبياتاً في غدر هذيل ، وإليك أبياتاً في
غدر الحارث بن عوف المرى ، وقد وقع فيما
وقع فيه (عضل والقارة) من طلب الداعية
إلى الإسلام ، فقد طلب الحارث إلى
الرسول ذلك فأرسل معه أحد الصحابة
فغدروا به ، وجاء إلى الرسول معتذراً فتلقيه
حسان بقوله :

الموروثة من التشيب والفخر والهجاء ووصف
المعركة والحكمة ومعانيها واضحة ، ولم
يستخدم فيها الخيال المهوم ، ولكن روعتها
في صدقها ، وعفته عن القذف في
الهجاء ، فكفاه أن ابن الزبيرى حامل ليس
له من المكارم نصيب ، ثم هو ليس كفوا
له ، فيبادله السباب « إن سبى من الرجال
الكريم » وخصمه ليس هناك . ولم يصف
حملة اللواء من بنى عبد الدار بالجن ، بل
قال عنهم إنهم أقاموا حتى أبيحوا جميعاً ،
وذمهم لأنهم لم يبتدوا والنور أمامهم ، إنما
وصف قريشاً بالهرب فلم يكونوا بجانب
حملة اللواء . قال :

وقريش تفر منا لوأذاً
أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حملته العواقب منهم
إنما يحمل اللواء النجوم
والشطر الأخير في نهاية الجمال فيه مدح
وإنصاف لحملة اللواء وسخر واستهزاء
بقريش في صورة فنية رائعة تصلح أن تكون
حكمة . أما قصيدته في فتح مكة فقد سبق
التنويه بها ، وفيها منهج القصيدة العربية من
غزل وبكاء الديار وحديث عن الخمر
والحياة الناعمة ثم وصف الجيش الزاحف ،
ورد على أبى سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب ، وتراه يقتبس من آيات الذكر
الحكيم مما يدل على تشربه للروح

يا (حار) من يغدر بذمة جاره
منكم فإن محمداً لم يغدر
وأمانة المرى حيث لقيته
مثل الزجاجة صدعها لم يجبر
إن تغدروا فالغدر منكم شيمة
والغدر ينبت في أصول السخبر
فقال الحارث : أنا عائد بك يا محمد
من شره ، اكففه عني على أن أؤدى لك
دية الخفارة فأداها وكانت سبعين ناقة
عشراء .

ذلك أن حسان كان من الوفاء بمكان
يشار إليه بالبنان ، كان وفيا لدينه ولنبيه
ولأصحابه ولقومه ولأبنائه ولصباه .

حكى المبرد في الكامل قال : حدثني
غير واحد من أصحابنا عن أبي زيد
سعيد بن أوس الأنصارى بسنده قال :
كانت وليمة في أخواننا وهم حى يقال لهم بنو
نبيط من الأنصار ، فحضر الناس وجاء
حسان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه
عبد الرحمن يقوده ، فلما وضع الطعام
وجيء بالثريد ، قال حسان لابنه : يا بنى
أطعام يد أم طعام يدين ؟ فقال : بل طعام
يد ، فأكل ، ثم جئ بالشواء فقال : أطعام
يد أم طعام يدين ؟ فقال : طعام يدين ؟
فأمسك وفي المجلس قيتان تغنيان بشعر
حسان :

انظر خليلي بباب جلق هل
تؤنس دون البلقاء من أحد ؟
وحسان يبكى يذكر ما كان فيه من
صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ
إليها أن زيدا ، قال أبو زيد : فلا أعجبنى
ما أعجبه من أن تبكى أباه ، ومعنى العبارة
يقول : ما الذى أعجبه من أن تبكى أباه
حتى تركنى أعجب مثله ؟

وعبد الرحمن ليس قاسياً على أبيه في
ذلك الموقف فهو شاعر كآبيه ويعلم أن البكاء
يخفف الأشجان ويعين على الأحزان ،
وما بكى حسان إلا لأنه وجد نفسه في حال
ليست كالحال التى كان فيها شاباً قادراً على
الاضطراب في الأرض ، وقد ذكره الشعر
بأيام جلق والبقاء والغساسة فاهتاج ، وما
كان له إلا أن يريق الدمع ليهدأ ويستريح ،
إنه الوفاء للشباب والصبا والحياة الفارحة .
ووفاءه هو الذى دفعه إلى البكاء الدائم على
رسول الله بعد وفاته يقول :

بأبى وأمى من شهدت وفاته
في يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متبلداً
متلداً ، يا ليتنى لم أولد
أقيم بعدك بالمدينة بينهم
يا ليتنى صُبِّحْتُ سَمَّ الأسود ؟
والله أسمع ما بقيت بهالك
إلا بكيت على النبى محمد

رحمه الله ، فقد كان شاعراً جاهد
 بلسانه ووفى بجنانه ، ووصل بإيمانه ، وأعلى
 كلمة الحق ببيانه . وكفاه قوله الذي لم يقله
 أحد غيره :

ما إن مدحت محمداً بمقالتي
 لكن مدحت مقالتي بمحمد

حكى عروة بن الزبير قال : كنت
 جالساً عند عائشة (خالته) فَمَرَّ بجنازة
 حسان بن ثابت فملت منه ، فقالت :

مهلاً . فقلت : أليس الذي يقول فيك

ويقول ؟ قالت : « فكيف بقوله :
 فإن أبى ووالده وعرضي
 لعرض محمد منكم وقاء
 إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بقوله
 هذا » كان ذلك سنة ٥٤ هـ ، والناس
 يذكرون أنه عاش ستين سنة في الجاهلية
 وستين سنة في الإسلام ، وهو قول تقريري
 والحقيقة أنه عاش ستين سنة في الجاهلية وأربعاً
 وخمسين في الإسلام فيكون قد عاش ١١٤
 سنة .

السيد حسن قرون

الرُّهْدُ

ذُكِرَ الرُّهْدُ عِنْدَ الْفَضِيلِ فَقَالَ :

هُوَ حَرْفَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » .

القرآن والأحرف السبعة

الركنور روف ملبي

السؤال الثالث :

كيف يستعمل الحرف في الاصطلاح
العربى . . . وهل يمكن استعماله اللغوى من
أن يساعدنا في تحديد المراد من معنى (سبعة
أحرف) ؟

السؤال الرابع :

ارتباط الأحرف السبعة .
برأفة النبي ﷺ بأمنه وعالمية الدعوة
الإسلامية ،

السؤال الخامس :

ماهى حكمة نزول القرآن على سبعة
أحرف ؟

السؤال السادس :

آراء العلماء التقليديين في الحروف السبعة
ونخص منهم :
١ - الرازى
٢ - ابن قتيبة

على عادتنا دائماً في مناقشة الموضوعات
المتعلقة بالقرآن والوحى والنبوة وكل
ما يتصل بالخبر المعصوم فإننا نعتصم دائماً
بالذاتية الإسلامية التى تبدو فى قبول العقل
للنصوص الإسلامية مع تدبر دون تفهيق أو
تشديق أو تفلسف أو وراء أو جدل .

وقضية : نزول القرآن على سبعة أحرف
إذا بحثناها من الناحية الأكاديمية مع
الاعتصام بالذاتية الإسلامية نجد لها عدة
جوانب نطرحها فى أسئلة ست :

السؤال الأول :

هل نزول القرآن على سبعة أحرف
نظرية تناقش فكرياً ؟
أو هل هى أحداث وقعت بالفعل ؟

السؤال الثانى :

هل وقع هذه الأحداث يساعد على
تحديد المراد من (سبعة أحرف) ؟

٣ - والقاضي الطيب

٤ - ابن الجوزي .

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل ^(٢) .

هل هي أحداث أو نظرية :
قبل أن نخوض غمار الحديث فإنني أحب أن أنبهكم إلى عدة مسائل :

المسألة الرابعة :

نزل القرآن أولاً بلغة قريش ثم يسر الله تعالى على الناس أن يقرءوا ما تيسر منه . نقل أبو شامة عن بعض شيوخه أنه قال : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ^(٣) .

وإذن فلا مجال للرأى فيما يتعلق بالأحرف السبعة اللهم إلا في ضوء الهدى النبوي الكريم .

المسألة الخامسة :

لا تناقض بين هذا وبين (ورتل القرآن ترتيباً ٧٣ : ٤) . .

المسألة الأولى :

أن الأحرف السبعة ليست نظرية ثقافية يمكن عرضها على بساط البحث والمناقشة الأكاديمية الجدلية التي يلعب الذكاء والعقل الحصيف فيها دوره ويفعل أفاعيله . . وإنما هي أحداث واقعية سببرهن عليها بالأحاديث الصحيحة إن شاء الله .

المسألة الثانية :

ليس المراد من نزول القرآن على سبعة أحرف أن كل كلمة فيه تقرأ على سبعة أحرف قال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع متفرقة فيه ^(١) .

المسألة الثالثة :

ليس المراد من الأحرف السبعة القراءات . .

الأحرف السبعة أحداث واقعية :
١ - روى الإمام البخاري بسنده عن

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٦ .

ابن شهاب [الزهري] قال :

حدثني عروة بن الزبير أن المِسْور بن مخزومة ، وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنها سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ : فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكذت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت ، كذبت فإن رسول الله ﷺ ، قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها . فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه ^(١) .

إن هشام بن حكيم أسلم هو وأبوه يوم الفتح وعمر من الذين أعز الله بهم الإسلام فلما سمع قراءة هشام شك في صحتها ففاده

من تلايبيه إلى رسول الله ﷺ . فحسن قراءتها معاً .

٢ - وفي تفسير الطبري : عن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فغير عليه فقال : لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على .

قال : فاختصما عند النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي ﷺ ذلك في وجهه قال : فضرب صدره وقال : أبعد شيطاناً قالها ثلاثاً . . . ثم قال : يا عمر : إن هذا القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة ^(٢) .

٣ - ويروى ابن حجر في فتح الباري ما أخرجه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص : أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه » إسناده حسن ^(٣) .

٤ - ووقع مثل هذا الاحتكاك بين

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠١/٣٩٩ راجع تفسير الطبري ج ١ ص ١٣ .

(٢) الطبري ج ١ ص ١٣ .

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠١ .

ملخص هذه الأحاديث :

١ - أن خلافاً وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان .

٢ - أن أئبى بن كعب اختلف مع عبد الله بن مسعود في قراءة سورة النحل .

٣ - أن أبى بن كعب سمع رجلاً يقرءون القرآن على غير الحرف الذى يقرأ هو عليه .

٤ - أن عمر بن الخطاب صحح قراءة رجل فأخبره أنه قرأ ذلك على النبى ﷺ ولم يغير عليه .

٥ - أن عمرو بن العاص كذلك اختلف مع رجل في قراءة آية .

وكل هذا الاختلاف ليس فيه تغيير للمعاني وكل هذه الأحرف التى قرأ بها رضوان الله عليهم بلهجاتهم أو بلغاتهم أو بأحرف قراءتهم قد أجازها النبى ﷺ وحسنها جميعاً وقال لهم :

«أنزل القرآن على سبعة أحرف فأبى ذلك قرأتم أصبتم»

«ثم نهاهم عن الاختلاف فقال :

فلا تماروا فيه» . . .

ومعنى هذا أن مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف ليس بحثاً نظرياً خاضعاً لمقاييس الذكاء والعبقرية فى البحث

عبد الله بن مسعود وأئبى بن كعب فى قراءة سورة النحل . فاحتكما إلى النبى ﷺ فقال لهما : كلاكما محسن ، قال أبى فقلت ما كلانا أحسن ولا أجمل ؟ قال فضرب فى صدرى وقال : يا أبى : أرسل إلى : أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف .

٥ - وأبى بن كعب يسمع رجلاً يقرءون فى الصلاة قراءة ينكرها عليهم فلما انتهت الصلاة دخلوا على رسول الله ﷺ فحسن قراءتها فى مسلم ، من طريق عبد الرحمن بن أبى لبلبى عن أبى بن كعب قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما فقرأ فحسن النبى ﷺ شأنهما قال : فسقط فى نفسى ولا إذ كنت فى الجاهلية فضرب فى صدرى ففصت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله فرقاً فقال : يا أبى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية : أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة : أقرأه على سبعة أحرف . . الحديث^(١) .

والدراسة وإنما هو أحداث وقعت وعلى المسلم أن يتبصرها في جو: «أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» أو في جو الذاتية الإسلامية حتى يسلم البحث من تهوك المتفلسفين الذين قيل فيهم ثلاث مرات :
«هلك المتنطعون» .

ومرغبة في قراءة القرآن الكريم .

* * *

نموذج النوع الأول :

أحاديث تدل على الاختلاف
في القراءة

يروى الإمام الطبري في تفسيره :

١ - أن أبا جهم الأنصاري أخبره :

أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا : تلقيتها من رسول الله ﷺ ، وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا رسول الله ﷺ عنها فقال رسول الله ﷺ : «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر»^(١).

٢ - فيما مضى من قصة اختلاف

عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم انطلق عمر يقود هشام حتى وصلا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ اقرأ يا عمر فقرأ القراءة التي أقرأها إياه رسول الله ﷺ فقال له كذلك أنزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافقهوا ما تيسر منه .

٣ - أقرأ النبي ﷺ رجلاً من

المسلمين : «إن شجرة الزقوم طعام الأثم

٤٤ : ٤٣ ، ٤٤» ، فلم يستطع أن ينطق

ثانياً :

هل يمكن تحديد الأحرف السبعة
من خلال الأحداث التي وقعت ؟

وإذا تتبعنا الأحاديث التي تصور وقوع تعدد في القراءات واللهجات والتي كان الصحابة يتلقونها عن رسول الله ﷺ وجدنا عدة أنواع من الأحاديث :

النوع الأول : أحاديث تدل على الاختلاف في القراءة .

النوع الثاني : أحاديث تدل على الاختلاف في اللغة .

النوع الثالث : أحاديث تدل على الاختلاف في أوجه المعاني .

النوع الرابع : أحاديث ناهية عن المراء والاختلاف في القرآن الكريم .

النوع الخامس : أحاديث ميسرة

بكلمة الأثيم فأقرأه «طعام الفاجر» هذه الأحاديث والوقائع نماذج للخلاف في القراءة فهل المراد من سبعة أحرف : الخلاف في القراءة ؟

أو هل الخلاف في القراءة واحد من سبعة أحرف ؟

نموذج النوع الثاني :

أحاديث تدل على الاختلاف في اللغة

أورد ابن حجر في فتح الباري : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن - قال : والعجز : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية وثقيف .

٢ - وأخرج أبو عبيد مرة وجها آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبيين : كعب قريش ، وكعب خزاعة قيل : وكيف ذاك ؟ قال لأن الدار واحدة^(١) .

قال في تفسير الطبرى : حدثني أبو العالية قال : قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة فرض قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب

القوم^(٢) .

٣ - روى الأزهري عن ابن عباس أنه سئل عن قوله ﷺ نزل القرآن على سبعة أحرف فقال :

ما هي إلا للغات . .

فهل تدل هذه الأحاديث على أن المراد من الحروف السبعة اللغات ؟
أو هل تدل على أن اللغات واحد من الحروف السبعة ؟

نموذج النوع الثالث :

أحاديث تدل على الاختلاف في وجوه المعاني

١ - في تفسير الطبرى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ومحكم ومتشابه ، وأمثال : فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه « وافعلوا ما أمرتم ، وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا »^(٣) .

(٣) تفسير الطبرى ج ١ ص ٣٠ .

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٩ ، ٢٩ .

٢ - ويروى أيضاً : عن أبي قلابة قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف : أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب وجدل ، وقصص ، ومثل ^(١) .

ويعلق ابن حجر على هذه الرواية وأمثالها بقوله :

ومما يوضح أن قوله زاجر وأمر . إلخ ليس تفسيراً للأحرف السبعة ما وقع في مسلم من طريق يونس عن ابن شهاب عقب حديث ابن عباس الأول . قال ابن شهاب : بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام ^(٢) .

ونص الحديث في مسلم :

عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن

عبد الله بن عتبة :

أن ابن عباس حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدي حتى انتهى إلى سبعة أحرف ^(٣) .

قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام ^(٣) . فهل هذه الأحاديث تجعل الاختلاف في الوجوه تفسيراً للحروف السبعة ؟ أو تجعلها واحدة من الحروف السبعة ؟ قبل أن نجيب نود أن نتأدب أولاً بآداب السنة النبوية فيما يتعلق بنماذج النقطة الرابعة والخامسة . .

[البحث موصول]

دكتور رءوف شلبي

(١) الطبري ج ١ ص ٣٠ فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٤ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٥ .

(٣) مسلم ج ١ ص ٥٦١ .

تفسير الطبري ج ١ ص ١٤ .

نظام الحكم في الإسلام

الأستاذ / زاهر عذب الزغبى

ومن شأن هذا التشاور أن ينتهى إلى اتفاق فى الرأى وإجماع عليه . . فلا يبقى هناك مُمارٍ فيه أو مخالفٌ له أو راغب عنه أو غير راض به ، وهذا دون شك أوفق وأجدى من الانتخابات الديمقراطية التى تجعل رأى الأغلبية ملزماً للكل ، وقد يكون إحراز الأغلبية بعدد ضئيل من الأصوات . . مما يجعل جزءاً كبيراً من الأمة - يقارب نصفها - محكوماً بغير إرادته . .

والنظم الانتخابية تضيقُ حدود الاختيار وتُحصِره فى نطاق من رشحوا أنفسهم أو رشحتهم هيئة مسئولة . . وكثيراً ما هم هؤلاء الناجبون الذين يذهبون إلى صناديق الاقتراع وهم على ثقة من أن كافة المرشحين الذين سيصوّتون لواحد منهم غير أكفاء وغير صالحين ، ولا يتمتعون بالصلاحيّات المطلوبة .

أما الشورى فإنها مُدَارسَةٌ يرشّح خلالها من شاء أيّاً ممّن يشاء ، ويعرّف غيره من المتشاورين بمرشحه ، ويبين أفضاله وما

أراد الله للحاكم أن يكون كفئاً صالحاً ، عادلاً غير ظالم ولا طاغية ولا مستبداً ، وأن يعمل لصالح الناس لا لمصلحته الشخصية . . فكانت وسيلة الوصول إلى الحكم - فى الإسلام - إرادة الأمة وحدها . .

والأمة فى اعتبار الإسلام هى سائر أفراد المسلمين الذين يعيشون فى أرض منيعة عزيزة غير خاضعة لغير السيادة الإسلامية . وهؤلاء الأفراد المسلمون جميعاً لهم حق اختيار واحد منهم ليحكمهم . . وهم يستطيعون - دون ريب - أن يتعرّفوا على الأنسب والأصلح والأجدر ، فيُسلّمون له زمام الأمر فيهم ، ويدينون له بالطاعة . . وفى اختيار الحاكم قرر الإسلام مبدأ الشورى . . والشورى - كما يقررها الإسلام - ليست مجرد اقتراع أو تصويت كما هو معتاد فى الأنظمة الديمقراطية الحديثة . بل هى أشمل من هذا وأعمق . . فهى تشاور وتداول الرأى بين جماعة المسلمين ،

على شخص غيره ، أو إذا تعذر ذلك لسبب من الأسباب . . .

والشورى الإسلامية - حين ضمنت للرياسة أن يتولاها خير رجل - تحوّل دون أن يتحوّل الرئيس إلى طاغية . . . لأنها تقوم على حق الجاهير - لا في انتخاب الحاكم فحسب - بل وفي محاسبته أيضا . . . لأن المجتمع الإسلامى لم يتكون جزافا ، وإنما تكون والتف حول ميثاق الله . . . وجميع أفراد هذا المجتمع - سواء فى ذلك الحاكم والرعايا - ملزمون باتباع هذا الميثاق الممثل بشريعة الله وأحكام دينه . . .

وقد أخذ الله من الناس ميثاقهم بأن ينصرهم ، وبأن يضمن لهم الصلاح فى دنياهم وأخراهم ماداموا على كتاب الله وسنة رسوله . . .

وهذا الميثاق يحدد خطة السير ونهج العمل لكل من الحاكم والرعايا . . . وهو يضبط أمور الأمة ويحدد أهدافها . . . وإذا كان الهدف الأساسى هو إسعاد الكل وصلاح حال الجميع فإن هذا يوضّح مهمة الحاكم ، وقد بينّ له الميثاق كيف يعمل وكيف يتصرف وكيف يسير . . . كما تتضح به أيضا مهمة كل فرد فى الأمة ، وتبينّ به كيفية العمل والسلوك الشخصى لكل مسلم . . .

يتمتع به من كفاءات وصلاحيات . . . ثم تبلور العملية فى النهاية إلى اتفاق فى رأى وإجماع من المشاورين على شخصية محددة تحوز رضا الجميع واختيارهم . . .

وبهذا فإن نظام الشورى يضمن للرياسة أن يتولاها خير الرجال وأقربهم إلى قلوب الأمة ، وأحبهم لدى أفرادها ، وأشدّهم اكتسابا للثقة ، وأكثرهم احتراماً . . .

وقد توفى النبى ﷺ واختلف المسلمون على من يتولى الرياسة بعده . وقام عمر بن الخطاب فرشح أبا بكر ، وخطب فى الناس مبيّناً مزاياه مشيداً بأفضاله ، وكان أبو بكر معروفا من الجميع . . . فسرعان ما استقر الرأى على اختياره رئيسا وخليفة وحاكما يدين له الكل بالطاعة والإذعان . . . فى حين أن أبا بكر لم يكن طامعا فى هذه الخلافة ، ولم يسع إليها أو يطلبها .

والخلافة فى الإسلام تكليف وواجب . . . فهى مسئولية ، وهى عمل من أجل الجميع ولصالح الأمة . . . وليست وسيلة للتمتع بأبهة السلطة وجاه الرياسة . . . ولهذا كان من غير الممكن أن يتخلّى عنها من اختير لها إذا لم يكن هناك من يستطيع أن يسوس الدولة ، وينهض بأعباء تنظيم أمورها سواه . . . وليس من حقه أيضا أن يتنحى عن المسئوليات التى وضعها الأمة على عاتقه إذا لم يجتمع رأى الأمة من جديد

وللحاكم في الميثاق مسئوليات خاصة عليه وحده أن ينهض بأعبائها . .

وكما قامت الشورى بمهمة اختيار الحاكم فإنها تقوم أيضا بدورها في محاسبته وتوجيهه . . ومن واجب الحاكم أن لا يستبد برأيه وأن لا يتخذ قرارا بناء على اجتهاده الخاص ولو في الأمور الخطيرة على الأقل . . بل عليه أن يتشاور مع الرعايا في مثل هذه الأمور . . وعلى الأخص في المسائل التي لم تقل فيها الشريعة رأيها بنص قاطع . . والواجب على كل ذى رأى من المسلمين أن لا يبخل به حتى ولو لم يطلب منه الإدلاء بشيء منه . . .

والإسلام يحتم على المسلمين أن يظلوا على يقظة دائمة لجرى الأمور في مجتمعهم ، وكيفية جريانها ، والألّا يسمحوا بأن يُقادوا كالأنعام غُمياً بغير وعى . . فإذا لم تكن أمور الحكم تسير وفق ما ينبغي وجب عليهم أن يجابهوا الحاكم بأخطائه ، وأن يوضّحوا له الطريق الصواب . . وفي كل هذا يتحتم أن يكون العمل - لا بالجهود الفردية وحدها - بل يجب أن يكون عملاً جماعياً ، وأن توحده وتنظّمه الشورى إلا في الهنات اليسيرة التي لا تستدعى سوى النصيحة . . وهذه يكفى فيها أن تتم على نطاق فردى . . وقد ترك الإسلام للجماعة تحديد التزامات الحاكم واختصاصاته التي يمكن أن يتصرف

والعلاقة هنا بين الحاكم والرعايا عبارة عن مسئولية متبادلة . . فعلى الحاكم أن يُنظّم ويُصلح ويعدّل ويسوس وفق ميثاق الله . . وعلى المحكوم أن يطيع وأن يكيّف حياته وسلوكه وفق هذا الميثاق . . فإن تَمَرَّد أو انحرف كان من مسئولية الحاكم أن ينفذ فيه حدّ الله وعدالته . . وإن تهاون الحاكم في أى من مسئولياته كان على الرعايا أن يحاسبوه ، وأن لا يسمحوا بالتمادى في الخطأ على أى وجه من الوجوه .

وعلى هذا يمكن اعتبار الحاكم في الإسلام « وكيلًا ذا سيادة »

ويعتضى هذه الوكالة فإن الحاكم يقع تحت عبء من الالتزام . . وأبرز جانب من هذا العبء هو مسئولية الحاكم أمام سائر المسلمين . . وهى مسئولية قد تؤدى إلى العزل بسبب عمل لا يتفق مع مضمون الوكالة . ومضمون الوكالة هذا لا يخرج عن كونه المسمى الحسن والإخلاص في العمل بما جاء في ميثاق الله . . ومسئولية الحاكم أمام سائر المسلمين لم تتوجّب حقاً عليه لهم لأنهم هم الذين اختاروه وولّوه . . بل وجبت عليه لأنه في الأصل واحد منهم ، وقد التزم منذ البداية بالميثاق والعمل بمقتضاه . . وليس في تنصيبهم له إلا تحديداً لمسئولياته وواجباته حيالهم . . لأنه حينئذ قد اختص دونهم بصفة الحاكم . .

متحيز أو منتزع بالإكراه والعنت . .
وقد جاءت الشورى الصحيحة في
الإسلام على أشكال متعددة . . فالنبي عليه
السلام كان يتشاور مع من يحضر مجالسه من
الصحابة رضوان الله عليهم ، وكانت مجالسه
هذه ندوات عامة يحضرها كل من استطاع
من المسلمين . . وكان سكان يثرب (المدينة
المنورة) يحافظون على ارتيادها في سائر
أوقاتها . .

واختيار أبى بكر للخلافة كان نتيجة
لانعقاد الشورى في محفل عام تحت سقيفة
مفتوحة تَجَمَّعَ تحته من أتيح له الحضور من
الأنصار والمهاجرين ، فتمت على صورة
مؤتمر شعبى عام . .

أما اختيار عمر للخلافة فجاء على
صورة إجماع عام بالموافقة على رأى أبى بكر
حين عهد بها إليه . . ولو كان في الأمة
الإسلامية آنذاك فرد واحد لا يوافق على
تولى عمر الخلافة لما عَدِمَ الوسيلة للتعبير عن
رأيه بوسيلة أو بأخرى . .

وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى
طالب ، فقد جاء اختيارهما نتيجة لانعقاد
الرأى في مجلس شكَّله عمر بن الخطاب من
عدد كاف من كبار أجلاء الصحابة الذين
اشتهروا بالخصافة والعدالة في الرأى
والشجاعة على الجهر به . . وقد جعل عمر
ابنه عبد الله عضوا في هذا المجلس لِمَا يعرفه

برأيه منفردا في نطاقها ، والمسائل التى يتعين
عليه فيها الرجوع إلى الأمة قبل أن يصدر
بشأنها قراراً نهائياً .

والخلفاء الراشدون أنفسهم كانوا يبدأون
مهمتهم بأن ينبِّهوا الناس إلى ضرورة
النصيحة وتقويم الخطأ . . وكانوا يقتدون
بالنبي ﷺ في استشارته من يرجو عنده
الصواب والرأى السديد . . وكانت الأمور
آنذاك تتم دائما في نطاق من الشورى
الصحيحة والمدارسة الحقة . .

والإسلام إذ أوجب الشورى لم يحدِّ لها
صورة معينة . . بل ترك المسألة للمسلمين
يقررون فيها ما تقتضيه ظروفهم التى تختلف
 باختلاف الأزمان والأمكنة . .

ومن الجائز - طبقا لهذا - أن تتم
الشورى على الشكل البرلمانى في النظم
الديموقراطية الحديثة ، سواء أكان ذلك
البرلمان من مجلس واحد أو من مجالس
متعددة . . ومن الممكن أيضا أن تتم على
نطاق اتحاد يمثل القاعدة الشعبية كلها . . أو
على نطاق اتحادات يمثل كل منها قطاعا
خاصا من المجتمع . . أو على مستوى عدد
من المجالس الاستشارية ذات المسئوليات
والخبرات الكافية .

ولكن المهم أن تجرى الشورى في جو
تتوفر فيه الحريات والخبرات التى يمكن أن
تسفر عن رأى صحيح حر غير مغرض أو

الجيش ، ووجه البعثات الدبلوماسية إلى ملوك الدول الأخرى ، بل خطط حدود دولته وحافظ عليها من أن تنتهك أو يُعتدى عليها . . وقد كانت غزوة تبوك تحركاً عسكرياً مهماً أن يحمي حدود الدولة الإسلامية من الحشود الرومانية التي تجمعت لغزو الأراضي الإسلامية والاعتداء على سيادتها . .

وقد أننا كيف كان لهذه الدولة حاكم ، كما أوضحنا طريقة الإسلام في اختيار هذا الحاكم . .

فالإسلام عقيدة ودين

والإسلام شعب وأمة

والإسلام وطن ودولة

والإسلام أيضاً نظام وحكم . .

ومن المسلم به أن أكثر ما جاء به الإسلام لا يدخل تنفيذه في اختصاص الأفراد . . وإنما هو من اختصاص الحكومات . . وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الإسلام ومقتضياته . . فالإسلام قد حرم الكثير من الأفعال واعتبر إتيانها جريمة يعاقب عليها ، وفرض لهذه الجرائم عقوبات ، ومن هذه الجرائم القتل العمد وعقوبته القصاص ، والسرقة وعقوبتها قطع اليد ، والقذف وعقوبته الجلد . .

وما لا شك فيه أن الإسلام لم يأت

فيه من سداد الرأي والمقدرة على إبدائه بشجاعة ، ولكن عمر حرم ابنه من حق انتخابه للمنصب ، حتى ينفي عن نفسه أية شبهة في أن يكون له في تكوين مثل هذا المجلس أى مطمع شخصي ، أو في أنه يعمل على أن يصل ابنه إلى مقاليد السلطة . وقد امتاز الإسلام بأنه دين استطاع أن يوحد بين الناس من جميع الأجناس والأمم ، وأن يوجههم جميعاً وجهة واحدة ، بل وأن يحملهم على نهج واحد وغاية واحدة . . وما استطاع الدين الإسلامى أن يفعل ذلك إلا لأنه عقيدة ونظام . .

وإذا كان الإسلام في حقيقته عقيدة ونظاماً ، فإن مقتضى طبيعته أن يكون حكماً . . وإذا كان قيام النظام الإسلامى يقتضى قيام حكم إسلامى فمعنى ذلك أن الحكم الإسلامى من مقتضيات الإسلام أو قل إنه طبيعة الإسلام .

والإسلام ليس ديناً فحسب ، وإنما هو دين ودولة ، لأنه قد أنشأ أمة ، ووحدتها وكتلها وأظلمها برايته ومنعها وأعزها ، وجعلها أمة ذات سيادة . .

والدولة الإسلامية كانت كيانه قائماً معترفاً به منذ البداية . . وقد زاول النبي ﷺ حقوقاً لا تكون إلا لحاكم دولة ذات سيادة ، فقد عقد المعاهدات وجيَّش

بهذه التشريعات عبثا . . وإنما قصد بها أن تُنفَّذ وأن تقام . . وإذا كان هذا هو قصد الإسلام فمن الواضح أنه يوجب على المسلمين أن يقيموا حكومة تسهر على إقامة هذه التشريعات وتلتزم بتنفيذها . .

والإسلام حين أوجب على المسلمين أن يؤمروا عليهم رئيسا أو خليفة . . فقد أناط بهذا الرئيس كل مسئوليات الحكم وواجباته . . وألزم هذا الرئيس بأن يحقق المساواة بين المسلمين ، وأن يقيم العدالة فيهم ، وأن يحمي حدود الله ، فيعاقب على كل جريمة منعها الله ، وأن يلزم كل فرد من المسلمين بأداء كل واجب فرضه الله . .

وإذا كان هذا هو مسئولية الرئيس فمن واجبه أن يقيم جهازا كاملا للحكم يستطيع به أن ينهض بكل هذه التبعات . . ولم ينكر أحد من المسلمين على الخلفاء حقهم في تعيين الولاة (حكام المقاطعات) والقضاة والشرطة والحياة ، والكتبة والجند وقوادهم ، وكل ما تقتضيه ضرورة الحكم من وظائف وموظفين بما في ذلك الوزراء . .

ولقد كان للإسلام دائما جهاز قوى للحكم . . ويريد الإسلام أيضا لهذا الجهاز أن يكون دائما حكومة مثالية . . والحكومة المثالية - كما يريد الإسلام - هي التي تقيم أمور الدنيا بأمر الدين . . فتأخذ مواطنيها بما أمر الله ، وتمنعهم عما نهى الله . .

وإذا كان الإسلام قد أوجب على الحكومة الإسلامية أن تقيم في الأمة الإسلامية أمر الله فإنه ينكر أن يقوم بوظيفة الحكم غير مسلم . .

ومن أهم واجبات الحاكم أن يعرف طبيعة عمله ، وتفاصيل مهمته ، فوجب عليه أن يكون على إدراك كاف بأحكام الدين . .

وفي غير الرئيس الأعلى يكفي للمسئول الحكومي الذي يشغل منصبا له مهمة محددة أن يكون فقط على علم بأحكام الدين في مجال وظيفته واختصاصها .

وإذا كانت الحكومات تقوم على طاعة المحكومين فقد أوجب الإسلام أن يطيع المسلمون أولى الأمر فيهم والقائمين على شؤونهم من الحكام . . لكن الإسلام أيضا قد أوجب على المحكومين أن يتحللوا من هذه الطاعة إذا ما خرج الحاكمون على طاعة الله . . في ذلك يقول الرسول ﷺ : « لا طاعة لخلق في معصية الخالق » .

وبذلك فقد ربط الإسلام طاعة المحكومين للحكامين بطاعة الحاكمين لأمر الله . .

فالحكومة الإسلامية يجب أن تقوم على أمر الله . . وليس لها بأى حال أن تنحرف عنه ، وإلا فقدت حقها في الطاعة وبالتالي حقها في الحكم . .

حال المجتمعات والشعوب . .
وعلى هذا فبرز ثلاث صفات رئيسية
للحكومة الإسلامية : أولاها أنها حكومة
دستورها القرآن ، وثانيها أنها حكومة
شورى ، وثالثها أنها حكومة خلافة أو
إمامة . .

وبهذا تكون الحكومة الإسلامية فريدة
في نوعها ، وليست على نسق أى من
الأنظمة الحكومية المعاصرة . .
فهى بعيدة كل البعد عن أن تكون
حكومة ديكتاتورية لأن الحاكم فيها مختار
بالشورى وتقييمه الأمة التى لها حق محاسبة
هذا الحاكم على سائر تصرفاته ، ومن
واجبات الأمة أن تخرج على طاعته إذا
خرج عن دستور الله وشريعته اللذين يجب
عليه أن يلتزمهما وأن لا يستبد برأيه أو
يخالفهما . .

وهى وإن كانت تشبه كثيرا - بمقتضى
نظام الشورى فيها - الأنظمة النيابية . . إلا
أن نظام الشورى يخالف كثيرا النظام النيابى
سواء فى شكله أو فى أغراضه . . فالنظام
النيابى من اختصاصه التشريع . . أما
الشورى فإنها تلتزم بشريعة الله وليس من
مهمتها أن تغير أو تبدل فى أصول هذه
الشريعة المنصوص عليها فى القرآن وستة
الرسول . . والالتزام بشريعة الله يحصر
المهمة فى التطبيق .

والحكومة الإسلامية من حيث إنها
حكومة يختار رئيسها الأعلى بواسطة المواطنين
وبطريق الشورى تماثل الجمهوريات
الديمقراطية من بين نظم الحكم المعاصرة مع
الفارق البسيط فى أمرين اثنين :

أما الأول : فهو أن الرئيس فى الدولة
الإسلامية يختار مدى الحياة ، ولا يسقط أو
يعزل مادام قائما بالعمل على تنفيذ أحكام
الدين . . وما هو جدير بالتنبيه هنا أن هذه
المسألة قد روعى فيها المصلحة العامة
واستقرار أمور الحكم وسياسة الدولة . .
ولكن إذا اقتضى الأمر غير ذلك فليس
هناك ما يمنع أبدا من أن يكون اختيار
ال خليفة لأجل موقوت أو لمدة محدّدة . كما هو
معمول به الآن فى كثير من نظم الحكم
المعاصرة .

والفارق الثانى يتعلق بالدستور ،
فالدستور فى الجمهوريات الديمقراطية
الحديثة يكون من عمل الناس . . أما
الدستور فى الحكومة الإسلامية فهو تنزيل
من الله لا يقبل فى قواعده المنصوص عليها
تغيرا أو تبديلا . . وذلك بعكس الدساتير
الحديثة التى تغير فيها الشعوب والحكومات
حسب ما تقتضيه المصلحة وظروف الحياة
وأحوالها المتغيرة . . وكثيرا ما تلعب الأهواء
والأغراض الخاصة دورها فى العبث بهذه
القوانين والدساتير باسم الديمقراطية فتسوء

وليست حكومة ثيوقراطية .. لأن الحكومات الثيوقراطية تقوم على مبدأ السيادة الكهنوتية التي تستمد سلطانها من الله .. وهى بهذا تفرض نفسها على الرعايا .. أما الحكومة الإسلامية فإنها تستمد سلطانها من الشعب .. والتزامها لأحكام الدين لا يؤثر فى حق الشعب فى اختيارها وإقامتها وإسقاطها .. وهى فوق ذلك تباشر سلطات مدنية بحتة لأن الله قد شرع للناس - ضمن ما شرع - نظمهم المدنية ..

وهى تشبه النظام الديمقراطى ولكنها ليست منه .. فهى وإن كانت توجب اختيار الحكام بواسطة الشعب وتوجب قيام العدل والمساواة المطلقة وتوجب إطلاق الحريات بسائر أنواعها .. إلا أنها تختلف عن النظام الديمقراطى فى أن الشريعة الإسلامية تقيد كلا من الحاكمين والمحكومين بقيود هى محمل أحكام الدين وتشريعاته ، وفى أن الإسلام لم يترك مقاييس العدالة والمساواة وغير ذلك من الفضائل الإنسانية فى يد البشر يرسمون حدودها فيوسعونها تارة ويضيّقون فيها تارة أخرى طبقاً لأهوائهم .. وإنما رسم الإسلام حدود الفضائل الإنسانية ، ووضع مقاييسها وأوجب أن يخضع البشر لهذه المقاييس الإلهية ، وبذلك حمى الإسلام الحياة العامة من الفساد ومن

تلاعب الأهواء .. وبذلك أيضاً خلا النظام الإسلامى من العيوب التى تؤخذ على النظم الديمقراطية .

وهى تشبه النظام الجمهورى من حيث طريقة اختيار الرئيس الأعلى للجمهورية .. ولكنها تختلف عنه من حيث إنها تسمح بانتخاب الرئيس مدى الحياة .. وتختلف عنه أيضاً بما سبق بيانه فى أوجه الخلاف بين الحكومة الإسلامية والنظم الديمقراطية والنيابية ..

وقد جاء الإسلام بنظام حكمه الخاص لأنه قد حوى جميع المزايا التى فى كل نظام من أنظمة الحكم المعروفة وتحاشى جميع ما فيها من مساوئ وعيوب ..

ولا تتضح مثالية نظام الحكم الإسلامى ولا قوته ولا إيجابيته ولا فعاليته الممتازة إلا إذا أدركنا أنه يقوم على دستور سليم وشريعة صالحة .. وصالح النظام الإسلامى إنما تحقق لأنه انبنى على مبادئ قيمة أكدت التجربة حكمة الله فيها ، وأثبتت أنها خالية من العيوب تماماً ..

وإذا استعرضنا كافة المبادئ والمثل التى يتبناها دعاة الإصلاح الاجتماعى والسياسى فى كل عصر نجدها بعضاً مما قرره الإسلام بصورة أوسع وأدق .

فالعدالة والحرية والمساواة وسائر الحقوق الإنسانية ليست فى الإسلام مجرد شعارات

أنقص من راتبه بمقدار ما استطاعت زوجته أن توفره ، فقد وضح له أنه فائض عن الحاجة وزيادة عن القدر الضروري لنفقة أسرته . .

والإسلام يحرم على الحاكم أن يستغل نفوذه أو سلطته للإثراء أو تحقيق أية منفعة شخصية ، حتى ولو كان ذلك في صورة العمل المشروع . . ولهذا حاسب الخليفة عمر بن الخطاب أحد الولاة على ما جمعه من ثروة خلال مدة ولايته . . فقال له الوالى : « لقد تاجرتُ فربحتُ » فاستنكر عليه ذلك عمر قائلاً :

« وهل أرسلناك للتجارة ؟ ! » . .
وبهذا كان الإسلام أول من قرر مبدأ « من أين لك هذا » في محاسبة الحكام وموظفي الدولة . .

والإسلام يحرم على الحاكم أخذ الرشوة كما يحزم عليه قبول الهدية ممن لم يبيع العرف له أن يتبادل معهم الهدايا . . وإذا كان في الإهداء أية شبهة للرشوة ولو كانت من أقرب الناس إليه . .

والإسلام يحرم على الحاكم أن يمالئ معتدياً أو ينصر ظالماً مهما كانت قوة هذا الظالم وذلك المعتدى أو منزلتها عنده . .
والإسلام يحرم على الحاكم أن يهمل أية شكوى لأى مظلوم أو يتهاون في أى حق . .
وفي سبيل ذلك يتعين على الحاكم أن يرتب

وإنما هى كلها واقع حقيقى طبقة الإسلام ونفذه على جميع الأفراد بلا تمييز ولا تفرقة ، ولم يُحد منها أو يقيد بها إلا بقدر ما يستفيد منه المجموع . . وفى هذا أيضاً مصلحة تعود على الفرد نفسه . .

ومن قبيل التجنى أن يوجه أى نقد لنظام الحكم في الإسلام . . لأنه خير النظم وأكثرها انطباقاً على الطبيعة ، فهو يأتى إلى الحكم بأرشد الناس ، وهو قد وضع كافة الضمانات التى تجعل عملية الحكم لصالح الرعايا لا لمصلحة الحاكمين . .

والحاكم في الإسلام يخدم ولا يتحكم ، ويسهر على المصلحة دون أن يستبد أو يستفيد . . فراتبه قدر الكفاية من بيت المال من غير إسراف أو ترف . وقد ضرب عمر بن الخطاب للمثل في الاكتفاء بالقدر الضرورى لنفقة الخليفة وأهله حين اشتهت زوجته الحلوى فطلبها منه ، واعتذر لها الخليفة بضيق ذات يده . . وفوجئ الخليفة بعد أيام بزوجته تعطيه قدراً من المال ليشتري لها طلبتها . فسألها عن مصدر هذا المال ، وأخبرته بأنها اقتصدته على مدار هذه الأيام . . كل يوم كذا حتى اكتمل لها هذا المبلغ . . وكان عدة دراهم . . فأخذها منها عمر وورده إلى بيت المال ورفض أن يشتري الحلوى لأنها إسراف لا مبرر له ، وزاد على ذلك بأن

المرافق العامة كالطرق ومسالك الري وأجهزة الأمن كالشرطة وما إلى ذلك يجب على الحاكم أن يضمن لها الصلاحية والكفاية لتحقيق المصلحة فيها بصورة كاملة . .

والإسلام يحرم على الحاكم أن لا يغفل عن القوة الدفاعية للدولة . . حتى لا تبقى الدولة ولو للحظة واحدة عاجزة عن رد أى اعتداء خارجي .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

زاهر عزب الزغبى

ديوانا خاصا للنظر فى كل شكوى وكل مظلمة بحيث تيسر وسائل الشكوى والتنظيم لكل مسلم . .

والإسلام يحرم على الحاكم التعرض لأى حق من حقوق المسلم إلا بحق . .

والإسلام يحرم على الحاكم التهاون فى أية مصلحة خاصة أو عامة للمسلمين . .

فالشئون الخاصة بالتكافل الاجتماعى

- ومسئولية الدولة فيها - يجب على الحاكم

أن ينهض بها كاملة غير منقوصة . . وكذلك

من صفات الخليفة

لَا يُقَوْمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعُقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغُرَّةِ ، لَا يَطْلُعُ مِنْهُ
النَّاسُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَحْنُقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جَرَّةٍ ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَا تَمُوتُ . .

عمر بن الخطاب

حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ

الدُّسْتَاذُ / موسى محمد على

وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه ، وذلك هو الواجب .

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة رضى الله عنه : هذا رأى ، وهذا أحسن ما رأيت . فمن جاء برأى خير منه قبلناه .

ولهذا : فلما اجتمع أفضل أصحابه « أبو يوسف » بإمام دار الهجرة « مالك بن أنس رضى الله عنه » ، وسأله عن مسألة الصاع ، وصدقة الخضرافات ، ومسألة الأحباس ، فأخبره مالك رضى الله عنه بما دلت عليه السنة في ذلك فقال : رجعت لقولك يا أبا عبد الله ، ولورأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت .

والله سبحانه وتعالى علق سعادة الدارين بمتابعته ﷺ ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته ، فلأتباعه صلوات الله وسلامه عليه : الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة . . . ومخالفيه

يقول الله تعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ٤ : ٦٥ » .

ثبت بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة أن الله تعالى قد فرض على العباد طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما أمر به ونهى عنه إلا رسوله ﷺ : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ٣ : ٣١ » .

حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيها ﷺ ، ورضى الله عنه يقول : « أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم » .

واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما أمر به ونهى عنه إلا رسول الله ﷺ ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : « كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ » . .

ﷺ : الذلة والصغار ، والخوف والضلal والحذلان والشقاء في الدنيا والآخرة .

وقد أقسم سيدنا رسول الله ﷺ ، بأن لا يؤمن أحد حتى يكون هو أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين .
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص :
« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وأقسم الله سبحانه بأنه لا يؤمن من لم يرض بحكمه ﷺ في كل ما تنازع فيه هو وغيره . . وإنما المؤمن هو من قبل حكومة الرسول ﷺ ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم به ، ثم يسلم له تسليمًا ، وينقاد له انقياداً .

يقول سبحانه : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ٣٣ : ٣٦» .

فقطّع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره تعالى وأمر رسوله ﷺ ، فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ ، بل إذا أمره

حتم ، وإنما الخيرة في قول غيره ، إذا خفى أمره . وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسته .

بهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع ، لا واجب الاتباع ، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه ، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه ، ولو ترك الأخذ بقول غيره ، لم يكن عاصياً لله ورسوله ،

فأين هذا من يجب على جميع المكلفين اتباعه ، ويحرم عليهم مخالفته ، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله :

فلا حكم لأحد معه ، ولا قول لأحد معه ، كما لا تشريع لأحد معه وكل أحد سواه : فإنما يجب اتباعه على قوله ، إذا أمر بها أمره ، ونهى عما نهى عنه ، فكان مبلغاً محضاً ومخبراً لا منشئاً ومؤسساً .

فن أنشأ أقوالاً وأسس قواعد ، بحسب فهمه وتأويله ، لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها ، حتى تعرض على ما جاء به ، فإن طابقت ووافقت ، وشهد لها بالصحة ، قبلت ، وإن خالفت وجب ردها واطراحها ، وإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة ، وكان أحسن أحوالها : أن يجوز الحكم بالإفتاء بها ، وأما أنه يجب ويتعين فلا .

وظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس ، لأنه يدل على

الإيمان إلا بحكمه وإرشاده وهدايته ، ذلك أن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافية بإدراك هذه الحقائق ، وعقل النبي المعصوم كامل مشرق ، فإذا اتصل إشراق نوره بعقول الأمة قويت عقولهم وانقلبت من النقص إلى الكمال ، ومن الضعف إلى القوة ، فقدروا عند ذلك على معرفة هذه الأسرار الإلهية ، والذي يؤكد ذلك أن الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ كانوا جازمين متيقنين كاملي الإيمان والمعرفة ، والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا ، وما حدث هذا الاضطراب وهذا الاختلاف إلا بعد زمان الصحابة والتابعين .

وقوله : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت »
قال الزجاج : « لا تضيق صدورهم من أقضيتك » .

والراعى بحكم الرسول ﷺ ، قد يكون راضياً به في الظاهر دون القلب ، فحين سبحانه في هذه الآية ، أنه لابد من حصول الرضا به في القلب ، وأن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر ، فليس المراد من الآية ذلك ، بل المراد منه أن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به الرسول ﷺ هو الحق والصدق .
وقوله : « ويسلموا تسليماً » .

أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق ، وأنه لا يجوز العدول عنه إلى غيره . ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف ، وذلك يوجب تقديم عموم القرآن الكريم والخبر الصحيح على حكم القياس . .

وقوله (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) مشعر بذلك ، لأنه متى خطر بباله قياس يفضي إلى نقض مدلول النص ، فهناك يحصل الحرج في النفس ، فين تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ، ويسلم النص تسليماً كلياً ، وهذا الكلام قوى حسن لمن أنصف .

وقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون »
قسم من الله تعالى على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط : أولها قوله تعالى : « حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ، وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ لا يكون مؤمناً ، وأن من يتمسك بهذه الآية في بيان أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بإرشاد النبي المعصوم ، لأن قوله : « لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ، تصريح بأنه لا يحصل لهم الإيمان إلا بأن يستعينوا بحكم النبي عليه الصلاة والسلام في كل ما اختلفوا فيه ،

فلزم بحكم هذه الآية أنه لا يحصل

فمن عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً
وصدقاً قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
أو يتوقف في ذلك القبول ، فين تعالى ، أنه
كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين
في القلب فلا بد أيضاً من التسليم معه في
الظاهر .
فقوله : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً
مما قضيت »

المراد به الانقياد في الباطن .

« ويسلموا تسليماً » المراد منه : الانقياد
في الظاهر .

عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه
قال :

لو أن قوماً عبدوا الله تعالى ، وأقاموا
الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ،
وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله
ﷺ ألا صنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا
في أنفسهم حرجاً فكانوا مشركين ، ثم تلا
هذه الآية :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليماً » ٦٥ .

وفي هذه الآية الكريمة التي نحن
بصددها دلالة على أن الإيمان الحقيقي ،
لا يحصل إلا لمن حكم الله تعالى ، وحكم
رسوله ﷺ على نفسه ، قولاً ، وفعلاً ،
وأخذاً ، وتركاً ، وحباً وبغضاً ، ويشمل

ذلك حكم التكليف وحكم التصريف ،
والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في
كليهما .

فأحكام التكليف : الأوامر والنواهي ،
المتعلقة باكتساب العباد .

وأحكام التصريف : هو ما أورده
عليك ، من قهر المراد .

فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة
الإيمان إلا بأمرين :

بالامتثال لأمره : والاستسلام لقهره .
ثم إنه سبحانه وتعالى ، لم يكتف بنبي
الإيمان ، عمن لم يحكم ، أو حكم ووجد
الحرج في نفسه على ما قضى ، حتى أقسم
على ذلك بالربوبية الخاصة ، برسوله
ﷺ ، رافة وعناية ، وتخصيصاً ورعاية .
لأنه لم يقل : « فلا ورب » وإنما قال :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم » ٤ : ٦٥ .

ففي ذلك : تأكيد بالقسم ، وتأکید في
المقسم عليه ، علماً منه سبحانه بما النفوس
منطوية عليه من حب الغلبة ، ووجود
النصرة ، سواء كان الحق عليها ، أو لها ،
وفي ذلك إظهار لعنائه برسوله ﷺ ، إذ
جعل حكمه حكمه ، وقضاءه قضاءه ،
فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه ،
والانقياد لأمره ، ولم يقبل منهم الإيمان
بالأهية ، حتى يذعنوا لأحكام رسوله ،

إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم ، فانتسعت
وانشروحت ، فكانت واسعة بنور الواسع
العليم ، ممدودة بوجود فضله العظيم ، مهياة
لوارادت أحكامه ، مفوضة إليه في نقضه
وإبرامه .

يقول ابن تيمية :

«إنما جرى بصيغة التحكيم مع أنه
ﷺ حاكم بأمر الله إيداناً بأن اللائق بهم
أن يجعلوه عليه الصلاة والسلام حكماً فيما
بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن
كونه حاكماً على الإطلاق» .

ولعل حكم هذه الآية باق إلى يوم
القيامة ، وليس مخصوصاً بالذين كانوا في
عصر النبي ﷺ ، فإن قضاء شريعته عليه
الصلاة والسلام قضاؤه .

وبعد : فإن الالتجاء إلى الله تعالى ،
والتسليم المطلق لما قضى رسوله ﷺ ، وإيثار
تحكيمه صلوات الله وسلامه عليه فيما أشكل
من أمور ديننا ودنيانا ، هو الإيمان الصادق
الذي يذوق معه العبد حلاوة الإيمان ،
ويغمر قلبه برد الرضا وسلامة التسليم .

روى مسلم في صحيحه ، والتزمى في
سننه عن العباس بن عبد المطلب قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«ذاق طعم الإيمان ، من رضى الله
رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً» .
يقول صاحب التحرير ، رحمه الله تعالى :

ﷺ : لأنه كما وصفه ربه :

«وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى
يوحى ٥٣ : ٣ ، ٤» .

فحكمه : حكم الله ، وقضاؤه قضاء
الله ، كما قال :

«إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
٤٨ : ١٠» . وأكد ذلك بقوله : «يد الله
فوق أيديهم» . وفي الآية إشارة أخرى لعظم
قدره ، وتقدير أمره ، ﷺ ، وهى قوله
تعالى :

«فلا وربك»

فأضاف نفسه تعالى إليه ، كما قال في
الآية الأخرى :

«كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده
زكريا ١٩ : ١ ، ٢» .

وأضاف الحق سبحانه ، اسمه إلى
محمد ﷺ : وأضاف زكريا إليه ليعلم
العباد ، فرق ما بين المنزلتين ، وتفاوت
ما بين الرتبتين .

ثم إنه تعالى : لم يكتف بالتحكيم
الظاهر ، فيكونوا به مؤمنين ، بل اشترط
لفقدان الحرج - وهو الضيق - من
نفوسهم ، في أحكامه ، ﷺ ، سواء كان
الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها .

وإنما تضيق النفوس ، لفقدان الأنوار ،
ووجود الأغيار ، فعنه يكون الحرج : وهو
الضيق ، والمؤمنين ليسوا كذلك .

واختياره ، فوجد لذادة العيش وراحة التفويض .

ولما رضى الله رباً ، كان له الرضا من الله ، كما قال الله تعالى :
« رضى الله عنهم ورضوا عنه » . ٩٨ : ٨ .

وإذا كان له الرضا من الله ، أوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما من به عليه ، وليعلم إحسان الله إليه ،

ولا يكون الرضا بالله إلا مع الفهم ، ولا يكون الفهم إلا مع النور ، ولا يكون النور إلا مع الدنو ، ولا يكون الدنو ، إلا مع العناية ،

فلما سبقت لهذا العبد العناية ، خرجت له العطايا من خزائن المن ، فلما واصلته أمداد الله وأنواره ، عوفى قلبه من الأمراض والأسقام ، فكان سليم الإدراك ، فأدرك لذادة الإيمان ، وحلاوته لصحة إدراكه ، ولسلامة ذوقه ،

ولوسقم قلبه بالغفلة عن الله - والعياذ بالله تعالى - لم يدرك ذلك لأن المحموم ، ربما وجد طعم السكر مرّاً ، وليس هو في نفس الأمر كذلك .

فإذا ما زالت أسقام القلوب ، أدركت الأشياء على ما هي عليه ، فتدرك حلاوة الإيمان ولذادة الطاعة ، ومرارة القطيعة والخالفة .

« معنى رضيت بالشئ قنعت به . واكتفيت به ، ولم أطلب معه غيره . فحينئذ يكون معنى الحديث :

لم يطلب غير الله تعالى ، ولم يسع في غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ .

ولاشك في أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه ، وذاق طعمه « اهـ

وقال القاضى عياض رحمه الله : معنى الحديث :

« صح إيمانه ، واطمأنت به نفسه ، وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات ، دليل على ثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ، ومخالطة الإيمان بشاشة قلبه « اهـ .

وفى هذا الحديث الشريف دليل على أن من لم يكن كذلك ، لا يجد حلاوة الإيمان ، ولا يدرك مذاقه ، وإنما يكون إيمانه صورة لا روح فيها ، وظاهراً لا باطن له ، ومرتبساً لا حقيقة تحته .

وفيه إشارة إلى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى ، تنعم بملذات المعانى ، كما تنعم النفوس بملذات الأطعمة .

وإنما ذاق طعم الإيمان ، من رضى بالله رباً ، لأنه لما رضى بالله رباً : استسلم له ، وانقاد لحكمه ، وألقى قياده إليه خارجاً عن تدبيره واختياره ، إلى حسن تدبير الله

«إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون ٢ : ١٣٢» .
وإذا رضى بالإسلام ديناً ، فمن لازم
ذلك :

امتثال الأوامر ، والانكفاف عند وجود
الزواجر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر ، والغيرة إذا رأى ملحداً يجادل ، أن
يدخل فيه ما ليس منه ، فيدفعه ببرهانه ،
ويقمعه بتيانه .

وقوله ﷺ ، «ومحمد رسولاً» .
فلازم من رضى بمحمد رسولاً أن يكون
له ولياً ، وأن يتأدب بأدابه ، وأن يتخلق
بأخلاقه ، زاهداً فى الدنيا ، وخروجاً
عنها ، وصفحاً عن الجناية ، وعفواً عن
أساء إليه ، إلى غير ذلك من تحقق المتابعة .
قولاً ، وفعلًا ، وأخذًا ، وتركًا ، وحبًا .
وبغضًا ، وظاهرًا وباطنًا .

فمن رضى بالله ، استسلم له ، ومن
رضى بالإسلام : عمل له ، ومن رضى
بمحمد ﷺ : تابعه ، ولا تتكون واحدة
منها إلا بأكملها ،

إذ محال أن يرضى بالله رباً ، ولا يرضى
بالإسلام ديناً ، أو يرضى بالإسلام ديناً ،
ولا يرضى بمحمد نبياً ، وتلازم ذلك ، ين
لا خفاء فيه . . .

هذا وبالله التوفيق

موسى محمد على

فيوجب إدراكها لحلاوة الإيمان ،
اغتنابها به ، وشهود المنة من الله عليها
فيه ، وتطلب الأسباب الحافظة للإيمان ،
والجالبة له .

ويوجب إدراك لذادة الطاعة ،
المداومة عليها ، وشهود المنة من الله فيها .
ويوجب إدراكها لمرارة الكفران
والمخالفة ، الترك لها ، والنفور عنها ، وعدم
الميل إليهما ، فيحمل على الترك للذنب ،
وعدم التطلع إليه ، وليس كل متطلع
تاركًا ، ولا كل تارك غير متطلع .

وإنما كان كذلك : لأن نور البصيرة
دال على أن المخالفة لله ، والغفلة عنه ، سم
للقلوب مهلك .

نفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله
تعالى ، كنفرتك عن الطعام المسموم .
وقوله ﷺ : «وبالإسلام ديناً» .

لأنه إذا رضى بالإسلام ديناً ، فقد
رضى بما رضى به المولى واختاره ، لقوله
تعالى :

«ورضيت لكم الإسلام ديناً ٥ : ٣»
ولقوله تعالى :

«إن الدين عند الله الإسلام ٣ : ١٩»
ولقوله تعالى :

«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ، فلن

يقبل منه ٣ : ٨٥» .

ولقوله تعالى :

الأزهر جامعاً وجامعة

الأستاذ / محمد كمال السيد

١

الزيتونة في تونس سنة ١١٤ هـ وجامع القرويين في فاس (بالمملكة المغربية) سنة ٢٤٥ هـ وهكذا . . . مع ملاحظة أن بلاد المغرب فتحت في القرن الأول الهجري . فلم يكن إنشاء جامع القرويين بسبب الفتح فاسمه نسبة إلى مهاجرين من القيروان من تونس كانوا يقطنون الحى الذى أنشئ فيه الجامع سنة ٢٤٥ هـ . أى قبل الأزهر بأكثر من مائة عام وسنعود لذكر هذا الجامع ثانية بإذن الله .

ولكن ترجع مكانة الأزهر إلى الدور الذى اضطلع به الأزهر أكثر من ألف سنة في التاريخ الإسلامى من الحفاظ على العلوم الدينية والثقافة الإسلامية واللغة العربية لغة القرآن وأنه كان مقصد الطلاب والدارسين في كل البلاد الإسلامية يحجون إليه ليتزودوا من شيوخه العلم والمعرفة .

والأزهر يعتبر أقدم الجامعات القائمة للآن لا في البلاد الإسلامية فحسب ولكن

روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : (فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة . وفي مسجدي بألف صلاة . وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة) .

هذه المساجد الثلاثة هى أقدم المساجد وأكثرها تقدساً عند المسلمين ويلبها مباشرة في الشهرة والمكانة الجامع الأزهر .

ولا ترجع مكانة الأزهر إلى قدمه فقد أنشئت قبله جوامع عديدة في العواصم الإسلامية وكان يستتبع الفتوحات الإسلامية إنشاء المدن وإنشاء جامع في كل مدينة تنشأ أو تفتح فقد أنشئ جامع البصرة سنة ١٤ هـ وجامع الكوفة سنة ١٦ هـ . وجامع عمرو بالفسطاط سنة ٢٠ هـ . وجامع العسكر شمال الفسطاط سنة ١٣٣ هـ عندما قضى العباسيون على الأمويين . وجامع أحمد بن طولون بالقطائع في الشمال الشرقى في العسكر سنة ٢٦٦ هـ كما أنشئ جامع

جامعة مكونة من ثلاث كليات :
الآداب ، والشرعة ، والعلوم . وكان
بالجامع مكتبة تحوى كثيراً من المخطوطات
النادرة تبدد أغلبها مع الزمن .

ونقول إنه ولو أن جامع القرويين أقدم
عهداً من الأزهر . لكن الأزهر يتفرد أنه
أول جامعة تولت الدولة الإنفاق على
مدرسيها وتعهدهم بالرعاية منذ عهد العزيز
بالله بن المعز لدين الله الفاطمي ووزيرهما
يعقوب بن كلس (توفى سنة ٣٨٠هـ)
فضلاً عن تنوع العلوم التي كانت تدرس في
الأزهر فلم يقتصر التدريس فيه على العلوم
النظرية من دينية وأدبية . بل كانت تدرس
فيه أيضاً العلوم العملية مثل الطب والرياضة
والفلك وغيرها . كما أن موقع مصر المتوسط
ومكانتها في العالم الإسلامي جعلاً الأزهر
محط الرجال وكعبة القصاد .

والأزهر كما هو معروف أنشئ مع إنشاء
القاهرة المعزية الفاطمية . وبدئ في بنائه
بعدها ببضعة شهور ، واستغرق بناؤه
ما يزيد قليلاً على العامين ، وافتتحه القائد
جوهر الصقلي بصلاة الجمعة فيه في ٧
رمضان سنة ٣٦١هـ (٢١/٦/٩٧٢م)
فالمعز لدين الله الفاطمي لم يقدم من المغرب
ويدخل القاهرة إلا بعد سنة كاملة من هذا
التاريخ .

وكما ذكرنا أن إنشاء المدن كان يستتبع

في جميع أنحاء العالم . فالأزهر أنشئ في
منتصف القرن الرابع الهجري (الحادي عشر
الميلادي) حين أن الجامعات في أوروبا
وأمریکا لم تنشأ إلا بعد هذا التاريخ .
ونذكر على سبيل المثال أن جامعة باريس
أنشئت في القرن الثاني عشر الميلادي
وجامعة أوكسفورد بإنجلترا في القرن
الثالث عشر وجامعة لوفان في بلجيكا ،
وأوبسالا في إسبانيا أنشئت في القرن
الخامس عشر وفي القرن السادس عشر
أنشئت جامعة أشبيلية في إسبانيا وجامعة
المكسيك وجامعة بوجوتا في كولومبيا وجامعة
القديس مرقس في ليما عاصمة بيرو . وفي
القرن السابع عشر أنشئت جامعة قرطبة
الوطنية في الأرجنتين ، وهكذا . .

وينافس جامع القرويين السابق ذكره
الجامع الأزهر في التاريخ الجامعي إذ يعتبره
البعض أقدم الجامعات . حيث استمرت
الدراسة فيه منذ إنشائه سنة ٢٤٥هـ إلى
الآن بدون انقطاع تقريباً . وفي سنة
١٩٣١هـ صدر مرسوم من السلطان محمد
الثالث بتقسيم التعليم فيه إلى ثلاث
مراحل : ابتدائية ، وثانوية ، وعالية .
ويتألف التعليم العالي من اختصاص ديني
واختصاص أدبي . ثم أضيف للجامع معهد
للفتيات يؤهل للعالية وبعد استقلال المغرب
سنة ١٩٥٦م تقرر اعتبار جامع القرويين

عادة إنشاء مسجد جامع للمدينة الجديدة فكان اسم الجامع الأزهر جامع القاهرة . وقيل عن اسم القاهرة إن جوهرًا أسمى المدينة أولاً بالمنصورية وعندما قدم المعز لدين الله لمصر سنة ٣٦٢ هـ أسماها القاهرة . وقيل إن جوهرًا أسماها القاهرة تبعًا لنجم المريخ ، وهو عند الفلكيين القدماء قاهر الفلك ، وأن المريخ كان بالأفق عندما أُلقي العمال الأساس . وأن التسمية جاءت مصادفة ، فقد وضع الفلكيون جبالاً حول الأساس بها أجراس ، وأخذوا يرصدون الفلك ليختاروا لحظة مرور نجم حسن الطالع فيأمروا بالبدء في البناء ، فوقف طير على الحبال فدقت الأجراس فألقى العمال ما في أيديهم في الأساس ووجد المريخ قاهر الفلك في الأفق فأسموها القاهرة .

والقول الثاني أكثر شيوعاً بين المؤرخين . وأود أن أذكر أن دائرة المعارف الإسلامية ذكرت في (الترجمة العربية ج ٣ ص ١٨٣) أن جوهرًا كان معروفًا باسم إلياس الصقلي ، ولكنها في مادة إلياس (ج ٤ ص ٣٨١) لم تذكر هذا ، وذكرت أن إلياس النبي عند المسلمين هو إيليا المذكور في التوراة ، ونسبت للمسلمين بعض الخرافات المتعلقة به وبالحضر عليهما السلام ، ورد على أقوال الدائرة الأستاذ محمد عرفة في تعليقه على المادة .

نعود فنقول : إنه سواء أكانت تسمية القاهرة من القائد جوهر أو من الحليفة المعز لدين الله ، فقد عرف الجامع الأزهر في صدر الدولة الفاطمية باسم جامع القاهرة . فلما تعددت المساجد التي أنشأها الفاطميون داخل القاهرة الفاطمية اختير له اسم الجامع الأزهر .

فقد أنشأ العزيز بن المعز الجامع الأنور عند باب النصر وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ فنسب إليه وعرف بجامع الحاكم ، وأنشأ الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ الجامع الأغر (بجهة بين القصرين) وأنشأ الظافر بأمر الله بن الحافظ لدين الله سنة ٥٤٣ هـ الجامع الأفخر (بجهة العقادين) وهو المعروف بجامع الفاكهين ، والأخيران بشارع المعز لدين الله .

وقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٦٥ و ص ٥١١) أن الجامع الأنور وهو جامع المقس بباب البحر ، وهذا مخالف لغيره من المؤرخين (خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٧٧) وحسن المحاضرة للسيوطي (ج ٢ ص ١٤٠) وجامع المقس من إنشاء الحاكم بأمر الله أيضاً ، وهو الذي عرف أخيراً بجامع أولاد عنان بشارع الجمهورية بالقرب من ميدان رمسيس وقد هدم هذا الجامع في السنوات الأخيرة لإنشاء مسجد مكانه باسم مسجد الفتح ، وكان موقع هذا

الفاطميون ، فجدهم إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، والأخير هو الإمام السادس عند الشيعة الإمامية والإسماعيلية .

فأول الأئمة عند الشيعة على بن أبي طالب ، ثم ابنه الحسن بن علي ثم الحسين بن علي ثم ابنه علي زين العابدين بن الحسين ، ثم ابنه محمد الباقر بن علي زين العابدين ثم ابنه جعفر الصادق بن محمد الباقر .

وبعد جعفر الصادق تفرقت الطائفتان ، فالإمامية يرون أن الإمامة بعده لابنه موسى الكاظم ، والإسماعيلية يرون أنها لمحمد المكنوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق لأن إسماعيل كان أكبر من أخيه موسى الكاظم ولكنه توفي في حياة والده .

واستطراداً نقول : إنه ينسب إلى علي زين العابدين المشهد الموجود بالقاهرة ، بجهة المذبح ، والحقيقة أنه توفي سنة ٩٥ هـ ودفن بالبقيع (بالجانب الشرقى من المدينة المنورة) وأن مشهد القاهرة أقيم على رأس ابنه زيد الشهيد الذى ثار على الأمويين وقتل سنة ١٢١ هـ وأرسل رأسه إلى القاهرة وطيف به فيها .

وكان الأزهر محل تقدير الخلفاء الفاطميين فقد كان الخليفة يصلى الجمعة الثانية من شهر رمضان فى الجامع الأزهر والثالثة فى الجامع الأنور المعروف بجامع

الجامع يطل على النيل ، قبل أن يتحول غرباً إلى مجراه الحالى ، وهناك كانت الميناء المهرية للقاهرة ، وقيل : إن المقس أصلها من المكس أى الجمارك ، وقيل : إنها من المقس حيث قُسمت هناك غنائم الحرب عند الفتح الإسلامى وربما كان فى هذا تعليل اختيار اسم الفتح للجامع الجديد ، والمعروف أن الحاكم بأمر الله هو الذى أتم الجامع الأنور فنسب إليه ولكن فى خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٧٧) أن العزيز بالله صلى الجمعة فيه سنة ٣٨١ هـ (والعزيز توفى سنة ٣٨٦ هـ) وأن الحاكم أمر بإتمامه سنة ٣٩٣ هـ فيبدو أن العزيز بالله صلى الجمعة فيه قبل إتمامه ، وعرف الجامع الأنور بجامع الحاكم ، كما عرف أيضاً بجامع الخطبة بسبب سذكره فيما بعد بإذن الله .

ولا يعرف على وجه التحقيق وقت اختيار اسم الأزهر للجامع الأزهر ولكن الأرجح أنه فى وقت متقدم من حكم الفاطميين بدليل اختيار أسماء المساجد التى أنشئت بعده بداخل القاهرة الفاطمية : الأنور والأفقر والأفخر ، لتسير على نمط لفظه .

كما أن اختيار اسم الأزهر يرجع إلى لقب السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووالدة الإمامين الحسن والحسين وإلى الإمام الحسين ينتسب

الحاكم والرابعة في جامع عمرو
بالفسطاط ، أما الجمعة الأولى فكانت
راحة ، وقال المقرئى : (فينال الناس من
هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات
وصداقات) .

وظل تقليد صلاة ولى الأمر الجمعة
الأخيرة من رمضان في جامع عمرو معمولاً
به في مصر حتى ثورة سنة ١٩٥٢ م .

وذكر المقرئى نقلاً عن ابن الطوير في
الكلام على الجامع الأنور أن الجمعة الأولى
راحة والثانية في الجامع الأنور والثالثة في
الجامع الأزهر والرابعة في جامع عمرو ،
ولكنه عاد فقال نقلاً عن ابن المأمون :

(ووصل من الطراز الكسوة الشريفة المختصة
بغرة رمضان وجمعيته بدلة كبيرة مذهبة
ويرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من
الشهر بدلة موكبية حرير مكلمة منديلها
أبيض ، ويرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية
بدلة منديلها وطيلسانها شعري . . إلخ)
(خطط المقرئى ج ١ ص ٤٩٥ ، وج ٢
ص ٢٨١ ، وص ٢٨٢) .

وقال أيضاً (الخطط ج ١ ص
٤٩٥) : وكان الخليفة يركب كل سنة
ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في
جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الأزهر
مرة ، وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع
الحاكمى مرة وفي جامع عمرو بن العاص

بمصر أخرى) .

وكان موكب الخليفة لصلاة الجمعة فيه
عظمة وجلال فيخرج من القصر راكباً وبين
يديه الآلاف من الغلمان بين راكبين
وراجلين ، وتندق الطبول ، وتنفخ الأبواق
وحوله قراء الحضرة وإخوته وأولاده وكبار
رجال الدولة . وتُهيأ له بالجامع مقصورة
يجلس فيها حتى يؤذن للصلاة . وقد فرشت
المقصورة وأمام اخراب بفرش خاص ويعلق
ستران على جانبي المحراب ، كتب على
الأيمن منها بخط واضح الفاتحة وسورة
الجمعة وعلى الستر الأيسر الفاتحة وسورة
المنافقون .

ويصعد قاضى القضاة المنبر ، ويديه
مبخرة بها أطيّب البخور من نَدِّ وعود فيبخر
الدَّرْوَةَ التى عليها الغشاء كالقبة ، فإذا أذن
للصلاة يدخل قاضى القضاة على الخليفة
ويقول : السلام على أمير المؤمنين الشريف
القاضى ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك
الله فيخرج الخليفة ويصعد المنبر فيجلس
عليه والوزير بباب المنبر ووجهه إلى الخليفة
فيشير إليه بالصعود فيصعد إليه ويقبل يديه
ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يعود بظهوره
وهو مستقبل الخليفة فيزور عليه باب المنبر ،
وإن لم يكن الوزير صاحب سيف فيزور عليه
قاضى القضاة ويقف ضابطاً للباب .
وبعد الخطبة ينزل إلى اخراب فيصلي

الأخشيدى ووجد الدين مانعاً من تحقيق طموحه فأسلم ولعله أخلص فيما بعد في إسلامه بدليل مؤلفاته وتاريخ حياته ونزح من مصر إلى الغرب حيث التحق بخدمة المعز لدين الله وعاد معه إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ وولاه المعز الخراج وجميع وجوه الأموال من أعشار وجوالم وأحباس وكذلك الحسبة والسواحل واستمر في عمله أيضاً في عهد العزيز بن المعز وعلا شأنه ومقامه حتى لقب بالوزير الأجل وهو أول وزير للفاطميين . والأعشار جمع عشر والجوالم هى الجزية التى كانت تجبى من أهل الذمة بواقع كل نفس منهم ، والأحباس هى الأوقاف . ونصب فى داره الدواوين وجعل فيها خزانة للكتب ورتب فيها الأطباء والكتاب وجمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء وأرباب العلوم ورتب مجالس أسبوعية يتناظرون فيها وألف كتباً فى الفقه والقراءات وكتباً فى آداب الرسول وآخرى علم الأبدان وكتاباً فى الفقه مما سمعه المعز والعزيز ويسميه الشيعة مصنف الوزير ويعتبره بعضهم أنه يلى القرآن والحديث فى الأهمية ، وكان يلقى بعض الدروس من كتبه فى الجامع الأزهر . وتوفى يعقوب بن كلّس سنة ٣٨٠ هـ وقد ذكرنا ترجمة حياته فى مقال سابق (المقال التاسع من سلسلة صفحات من تاريخ القاهرة بمجلة الأزهر فى ذى الحجة

بالناس قارئاً فى الركعة الأولى من الستر الأيمن الفاتحة وسورة الجمعة ، وفى الركعة الثانية فى الستر الأيسر الفاتحة وسورة المنافقون

وسبب التزير عليه فى المنبر أن الخليفة كان يقرأ الخطبة من مكتوب كذلك تعليق السترين على جانبى الخراب حتى لا يرتج عليه ، وكان الحاكم بأمر الله ينب عنه فى الخطبة لأنه كان يرتج عليه .

وكما كان الأزهر محل تقدير الفاطميين فقد كان أيضاً محل عنايتهم إذ أرادوا أن يكون منطلقاً للمذهب الشيعى فأشار أبو الفرج يعقوب بن كلّس - وزير المعز ثم وزير ابنه العزيز - على العزيز أن يرتب رواتب لجماعة من الفقهاء يعملون فيه حلقات للتدريس ، فرتب خمسة وثلاثين فقيهاً - وبني لهم داراً بجانب الجامع وكانوا يخلّقون - أى يجلس كل منهم فى حلقة - فى الجامع بعد صلاة الجمعة حتى صلاة العصر ، وكانت تطلق لهم - فضلاً عن المرتبات - الخلع والصلّات فى المواسم والأعياد من دار الخلافة ومن دار الوزارة وهذا ما جعل الأزهر أقدم جامعة فى العالم باقية للآن تتولى الدولة الإنفاق على مدرسيها كما سبق ذكره .

وكان يعقوب بن كلّس المذكور يهودياً أصله من بغداد وقدم مصر فى زمن كافور

التعصب أو التزمت ، فقد استوزروا يهوداً
أونصارى ، وكانوا يشاركون رسمياً في
الاحتفال ببعض الأعياد الدينية المسيحية ،
وعينوا أحياناً في مركز القضاء من غير
المذهب الشيعي ، فكذلك كان يُدرّس في
الأزهر فضلاً عن التفسير والحديث واللغة
فقه المذاهب الأربعة ، وليست هي
المذاهب الأربعة التي نعرفها الآن ولكنها
كانت المذهب الشافعي والمذهب المالكي
ومذهب الشيعة الإمامية ومذهب الشيعة
الإسماعيلية .

وابتدع الفاطميون بما عرف عنهم من
ترف وحب التَّعَمُّ . أعياداً جديدة منها
ليالى الوقود الأربع . وهي مستهل رجب
ونصفه ، ومستهل شعبان ونصفه ومنها الموالد
الستة .

وهي مولد الرسول عليه الصلاة
والسلام ، ومولد الإمام علي بن أبي طالب
ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الإمام
الحسن ومولد الإمام الحسين ومولد الإمام
الخليفة القائم بالحكم .

وفي ليالى الوقود كانت تنار الجوامع
الست الكبرى وهي الأزهر والأنور والأفقر
وجامع ابن طولون وجامع عمرو وجامع
القرافة ، فضلاً عن باقي المساجد والمشاهد
التي بها الأعضاء الشريفة أى مشاهد آل
البيت النبوي الكريم .

سنة ١٣٩٥ هـ ديسمبر ١٩٧٥ م) كما ذكرنا
أن داره أصبحت داراً للوزارة حتى قدم أمير
الجيش بدر الجمالي (توفي سنة ٤٨٦ هـ)
وتولى الوزارة للمستنصر بالله الفاطمي ، فلم
يسكن دار ابن كلس وسكن داراً أخرى
بجارة برجوان بالخرنفش ، ثم بنى ابنه
الأفضل داراً جديدة للوزارة شرق القصر
الشرق الفاطمي الكبير (في موقع جزء منها
الآن جامع يبرس ، الجاشناكير بالجمالية) .

أما دار ابن كلس فقد جعلت داراً ينسج
فيها الحرير والديباج برسم الخلفاء الفاطميين
فعرفت بدار الديباج وعرف الخط كله
بخط الديباج بعد أن كان يعرف بخط
الوزيرية وكان موقع دار الديباج بالنسبة
لفهومنا الحاضر جنوبي شارع الأزهر وشرق
شارع الخليج . (بورسعيد حالياً) ثم عرف
الحى هناك بسوقة الصاحب لما سكنه
الصاحب بن شكر وزير العادل الأيوبي .
وقد ذكرنا ترجمة الصاحب بن شكر في
المقال المذكور ، كما ذكرنا خطأ البلدية في
تسمية شارع هناك باسم شارع السلطان
الصاحب فالصاحب بن شكر كان وزيراً
فقط .

ولو أن الفاطميين قصدوا أن يجعلوا من
الأزهر منطلقاً للدعاية لمذهبهم الشيعي
ولكن حرية الفكر العلمي تأبى القيود ، كما
أن سعة الأفق عند الفاطميين كانت ترفض

لأنه الشهر التاسع في السنة فهو فردى وإذا لم تصادف رؤية الهلال في أول رمضان فقد تأولوا في تفسير الحديث الشريف (صوموا لرؤيته) أن معناه صوموا اليوم الذي يرى الهلال في عشيته .

وعلى هذا فلم يكن هناك أيضاً خلاف في أول رجب ، لأن جمادى الآخرة من الشهور الزوجية فهو دائماً تسعة وعشرون يوماً وكذلك لا خلاف في أول شعبان لأن رجب من الشهور الفردية فهو دائماً ثلاثون يوماً .

ولم يكن الوقود قاصراً على الأربعة أيام المذكورة ولكن كان يوقد أيضاً في ليالي الجمع من شهرى رجب وشعبان فضلاً عن طول شهر رمضان .

فقد ذكر المقرئى نقلاً عن المُسَبِّحى في حوادث شهر رجب ٣٨٠ هـ في عهد العزيز بالله بن المعز (الخطط ج ١ ص ٤٦٥) قال : (وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالي الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة يعنى الجامع الأزهر وزيد فيه في الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التناير والشمع والقناديل على الرسم في كل سنة والأطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة ، وطيف بها وحضر القاضي محمد بن النعمان في ليلة النصف المقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت إليه سلال

وكذلك في أيام الموالد الستة .
وكان بجوار الأزهر بالجهة القبليّة (بشارع محمد عبده سابقاً والتبليطة حالياً) منظرٌ تشرف على الجامع الأزهر يجلس فيها الخليفة لمشاهدة ليالي الوقود .

ولم يكن عند الشيعة خلاف في أوائل الشهور فقد كانت العرب تعرف أن السنة القمرية ٣٥٤ يوماً وخمس يوم وسدس يوم ، أى ١١ ٣٥٤ يوماً ، أى ٤٨ ق ، ٨ س ، ٣٥٤ . وهذا يطابق الحساب الفلكى الصحيح ، أى أن ستة شهور من السنة تامة من ثلاثين يوماً وستة شهور ناقصة من ٢٩ يوماً ، فاعتبروا الشهور الفردية تامة والشهور الزوجية ناقصة ويضاف يوم إلى ذى الحجة - وهو من الشهور الزوجية الناقصة - كلما تقارب كسر اليوم من يوم صحيح ، ويتكون من كسر اليوم أحد عشر يوماً كل ثلاثين سنة ، فكانوا يضيفون يوماً كل ستين أو ثلاث بترتيب وضعوه كالنالى : ٣ - ٥ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ١٦ - ١٨ - ٢١ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٩) ويسمون السنة التى يضاف إليها اليوم كبيسة من ٣٥٥ يوماً فإذا قسمت السنة الهجرية على ٣٠ وكان باقى القسمة أحد هذه الأعداد كانت سنة كبيسة من ٣٥٥ يوماً ، وإلا فهي سنة بسيطة من ٣٥٤ يوماً .
فيكون رمضان دائماً عندهم ثلاثين يوماً

الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء والمنشدون وغيرهم وأقام إلى منتصف الليل بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم) اهـ .

والمُسَبَّحِي الذي نقل عنه المقرئ هو الأمير مختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ وتوفي سنة ٤٢٠ هـ وتولى عدة مناصب كبرى منها الوزارة للحاكم بأمر الله وكتابه (أخبار مصر) ذكر ابن خلكان أنه بلغ ١٣٠٠٠ ورقة وهو مفقود علمت بعض فقراته من الإشارة إليه من غيره من المؤرخين (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية للأستاذ محمد عبد الله عنان ص ٣٦) .

أما القاضي محمد بن النعمان المذكور فهو ابن أبي حنيفة النعمان وهو غير أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي - وكان أبو حنيفة هذا قاضياً للمعز قدم معه من المغرب ولكن لم يوله القضاء ، وأقرباً طاهر محمداً البغدادى الذى كان قاضياً بها منذ كافور الإخشيدى ولما استعفى أبو طاهر قبل موته بقليل عين العزيز للقضاء علياً ابن النعمان سنة ٣٦٦ هـ ثم أخاه محمد بن النعمان المذكور ٣٧٤ هـ وتوفى ٣٨٩ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ ص ٩٢) .

وقال المقرئ أيضاً نقلاً عن المُسَبَّحِي

في شعبان من نفس السنة : (وكان الناس في كل جمعة وليلة النصف مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد - وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد - ووقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء - وحمل إليهم العزيز الأطعمة والحلوى والبخور فكان جمعاً عظيماً) اهـ .

ونرى من قول المُسَبَّحِي في الفقرتين السابقتين عن رجب وشعبان سنة ٣٨٠ هـ وهو معاصر لهذا التاريخ : أن اسم الأزهر لم يكن وُضِعَ للجامع فهو يُعبر عنه في الفقرتين بجامع القاهرة .

وكان للمقيمين بالأزهر رواتب من الخبز والحلوى تصرف لهم ليالى الجمع وليالى الوقود في الشهور الثلاثة - رجب وشعبان ورمضان - فأبطل الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٢ هـ هذه الرواتب - كما أبطل ليالى الوقود .

وسنرى في المقال التالى بإذن الله كيف أعيدت .

محمد كمال السيد

نظرات حول المترادف اللغوي

الدكتور / توفيق محمد صالحين

٢

حالة لفظ يدل عليه ، وتسميه قبيلة بما لا تسميه به الأخرى . والعرب كلها حجة في لغتها ، فلا مناص بعدئذ من اختلاف الألفاظ الموضوعية للمعنى الواحد أحيانا بحسب ذلك .

ونادراً ما يكون المترادف من واضع واحد - كما ذكر السيوطي ، بحسب الملحظ في الأثر أو الصفات عند التسمية والوضع . (والأقدمون عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة - وحسناً فعلوا - للهجرة والاجتماعات المتكررة ، وبخاصة حين يتفق اللفظان تماماً في المعنى على الأقل في ذهن الكثرة واتحاد العصر ، شريطة ألا يكون ذلك نتيجة لتطور صوتي^(٢٨) .

ويقول الشيخ عبد الله العلايلي :

« يتخذ بعض من دارسي العربية اليوم المترادف علامة على قلق اللغة ، وبعض آخر يتخذها أثراً من الاختلاف القبلي أو ما يشبه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات

ووجود المترادف في العربية يرجع إما إلى الاختلاط الكثير بسبب الهجرة الدائمة والدائمة للعرب ، جرياً وراء الكلا والرعى ، حين تمحل الأرض أو تبخل السماء ، أو حين يجتمعون في الأسواق ، فيستعمل بعضهم ألفاظ بعض ، فتنتشر هذه الألفاظ وتشيع على الألسنة . وقد يكون سبيله انجاز الذي اشتهر ، حتى أصبح في درجة الحقائق .

والعرب تنصرف في لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من عرى إلا وهو في حكم العرب كلهم باعتبار الفطرة اللغوية التي يرجع إليها أصل الوضع ، إذ هي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى بعضهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد في نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، والقريبة أو البعيدة ، ويذهب غيره منحى آخر - فمن تمرهم - مثلاً - البرنى والصرفاني والعرب تعالجه بالماء أو السمن وله في كل

وشعائر ، أو تصحيف ، مثل لدع ولذع .
ومزح ومرح . . أو مجاز كالأسل للرمح ،
أو كناية كسبط الأنامل ، وطويل النجاد ،
للكرم .

أو تناسب ، مثل : نهق ونعق ، أو
اتباع ، مثل : حسن بسن أو حذف مثل :
عم صباحاً ، من أنعم . . (٣٠)

* * *

ومن استقراء تاريخ الشواهد نبئنا بأن
علماء القرن الثاني الهجري - أو كثيراً منهم
على الأقل - قد سلموا بوجود الترادف
اللغوي . . ولكن القرن الذي يليه : « شهد
تلمس العلماء للفروق الدقيقة بين الألفاظ
المترادفة ، وعلى رأسهم ثعلب - واشتد
الجدل في أمر الترادف في القرن الرابع
الهجري ، وظهر من ينكره ، ومن يؤيده
صراحة » (٣١) .

ومحصل هذين المسرين أن وجد فريق
يؤكد وجود الترادف في الفصحى ، بل
وبكثرة كثرة ، وعدوا ذلك مبعث افتخار
واعتراز باللغة والتراث .

كما وجد فريق آخر من العلماء يثير
الشك ، ويبعث الحيرة ، ليصل إلى إنكار
الترادف ورده .

ونتيجة لهذا الخلاف نشأت فرقة متوسطة
بين الإفراط في الاعتراف ، والغلو في
الإلغاء ، وخير الأمور الوسط .

طويلة . والحقيقة وإن كان في المذهب
الأخير شيء من الحق والصدق ، ليس هو
كل الحق .

ويرى الشيخ العلايلي القول الأول
منكراً من القول وزوراً ، لا ريب في ذلك
ولا شك . ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن
من مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التي
تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل
قصده ، فأين منه القلق المزعوم؟ (٣٢)

فالشيخ العلايلي وإن نفي القلق ، لكنه
لا يقبل أن يكون الترادف من اختلاف
القبائل على علاقته ، للمبالغة في كثرة
الترادف أحياناً إلى حد المئات والألوف
للمعنى الواحد ، ونحن معه في ذلك .

ويروى الأصمعي - كما في عيون
الأخبار ١٧٨/٢ - « إذا نظرف العري كثر
كلامه ، وإذا نظرف الفارسي كثر
سكوته » . وقد تأتى كثرة الكلام بالترادف .

* * *

وكان ادعاء هذه الكثرة الكاثرة مدعاة
للتوسع عند بعض الباحثين في الترادف ،
فعد من ألوانه :

مترادفات وضع ، لاختلاف القبائل ،
كالإنسان والبشر ، والأسد والليث .
اشتقاق ، كالمعطس والمبسم للأنف
والفم . . أو حروف دون ترتيب (القلب
المكاني) ، مثل ، جذب وجبد ، وشرائع

كتاب (الألفاظ المترادفة) .

كما ذكر ذلك الأستاذ مصطفى أبوهلال
في مقاله القيم عن الترادف بمجلة « الفكر »
التونسية ٤٢١ع - ١٩٧٦ م .

وجمع ابن منظور خمسمائة اسم
للأسد ، ومائة للثعبان . . .

ويروى من هجّيره البحث والغوص
والتدقيق (ابن جنّي) - رحمه الله - : أن
« اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين كثير في
كتب العلماء وقد تناهت أحوالهم ، وأحاطت
بحقيقته أحوالهم » (٣٣) .

ويؤكد ابن جنّي أنه لا فرق في التعبير
بأحد الألفاظ المترادفة ، وكأنما المقصود
باللفظ الذي عبر به هو هو ، لا يتخلف
يقول :

« وهذا ونحوه - عندنا - هو الذي أدى إلينا
أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على
معان متفقة ، وكأنه إذا أورد المعنى المقصود
بغير لفظه المعهود كأنه لم يأت إلا به ،
ولا عدل عنه إلى غيره ، إذ الغرض فيها
واحد ، وكل واحد منها لصاحبه مرادف .
وكان أبو علي (الفارسي) أستاذ ابن
جنّي - رحمه الله - إذا عبر عن معنى بلفظ
فلم يفهمه القاري عليه ، وأعاد ذلك المعنى
عينه بلفظ غيره ففهمه ، يقول : هذا إذا
رأى ابنه في قميص أحمر عرفه ، فإن رآه في

وإذا كان القرن الرابع شهد ذروة
الجدل والخلاف بين العلماء اللغويين حول
المترادف ، بين مثبت ومنكر ، إلا أننا
نلاحظ أن الأكثرية منهم على إثباته
ووجوده في العربية :

« ومن أيد وجوده : المبرد ،
كما أسلفنا » (٣٤) . والإمام الشافعي ، رضى الله
عنه ، وهو عرى له بصر بالعربية . والمطرز
الزاهد في (المداخل) وابن الأنباري في
(الوقف) ، وفي شرح القصائد
الجاهليات ، والطبراني في (المعجم
الكبير) ، وابن دريد في (الجمهرة) ،
وعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي في
(حلية الفرسان وشعار الشجعان) ، وابن
النحاس في (شرح المعلقة) ، والقي في
(أماليه) ، وقطرب في (الأزمنة
والأمكنة) : وابن سيده في (اخصص) .
والضبي في (المفضليات) ، ومجد الدين
الفيروزابادي في الروض المسلول فيأله
اسمان إلى ألوف ، وابن خالويه في : أسماء
الأسد . وأسماء الحية . . وفي أمالي القالي
والزجاجي . والاشتقاق لابن دريد . .
وغيرهم من علماء اللغة والأدب .

كما أيد وجوده : « الرازي .
والسبكي ، وابن السكيت ، والهمداني ،
وقدامة بن جعفر مؤلف (جواهر الألفاظ) ،
وأبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤) جامع

فقيص كحلى لم يعرفه . . .

وقرأ أبو سوار أو أبو سرار المازني - وهو أعرابي فصيح من رواة اللغة - : « فحاسوا خلال الديار » بالحاء المهملة ، فقليل له : إنما هو « جاسوا » فقال : حاسوا وجاسوا واحد . وعلق ابن جني في المختصب ٣٣٦/٢ : هذا يؤنس بأن القوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها ، فإذا حصلوها وحصلوها ساءحوا أنفسهم في العبارات عنها . .

ويحكى ابن جني أن قوماً ترفعوا إلى الشعبي في رجل يخص عين رجل فشرقت بالدم ، فأنشدهم بيت الراعي :

لها أمرها حتى إذا ما تبوأ

بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا
ولم يزداهم على ذلك ، فأنصرفوا « راضين » بالفتوى ، وهم عارفون بغرضه فيها . والمراد ينتظر بها إلى أن يستقر أمرها ، ثم يحكم في أمرها بما توجبه الحال^(٣٤) مما يدل على أن أمر الترادف كان معروفاً لدى القاصي والداني ، وأنه لم يمنع الدقة في حكم جنائي . . وبالتالي فهو لا يمنع من نهضة علمية حديثة .

وكثير من علماء فقه اللغة اليوم يؤيدون وجود الترادف ، شريطة الاعتدال وعدم المبالغة في وجوده .

وهناك فئة تلتقي القول على عواهنه ،

فتزعم أن جامعي اللغات وضعت مفردات من عندا نفسها ، تزيداً في كلام العرب ، لحاجات في نفس يعقوب . . وهذه فرية نزه عنها رجالاً مخلصين ، أفنوا العمر كدّاً ودأباً في إخلاص لله ، ولغة القرآن والسنة . ومن ذلك ما يحاوله البعض من التشكيك فيما روى عن أم الهيثم البصرية العجوز من بني منقر ، حين قالت لرواة اللغة كلاماً ما فهموه ، لأنه لم يبلغهم أوطال به العهد ، فأقسمت لهم أنها ما كلمتهم إلا بالعربي الفصيح (أمالي القالي ٦٩/٣) ، ويقول المشككون : إن ابن دريد ذكر النص في الجمهرة ١١/١ ، منسوباً لأبي حاتم ، ومسنداً لأعرابية أخرى . ونقول : ورد النص ، فلا يضر اختلاف الرواة . والاشكنا في كل ما ورد عن الأعلام . وروته الثقات ، وحفظته أمهات الكتب .

ومن أنكر الترادف :

أبو علي الفارسي وقد اعترض على ابن خالويه ، حين قال في مجلس سيف الدولة : إنه يحفظ للسيف خمسين اسماً ، فقال الفارسي : أما أنا فلا أحفظ له إلا اسماً واحداً ، هو السيف ، وأرجع الباقي إلى الصفات ، وتهكم على ابن خالويه بأنه لا يفرق بين الاسم والصفة^(٣٥) .

كما أنكر ثعلب^(٣٦) وابن فارس في

(ج) أو إثبات الترادف ، لكنه مخصوص بإقامة لفظ مقام آخر ، لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث . . أما إطلاق الأسماء على المعنى الواحد فيسمونه المتوارد : الخمر والعقار ، والليث والأسد « وهذا المذهب من تقسيم بعض علماء الأصول » .
(د) إثبات الترادف مطلقاً : بدون قيد ولا اعتبار ولا تقسيم ، وعليه أكثر اللغويين والنحاة ^(٣٧) .
فالأمر يدور بين الإثبات والإنكار أولاً ، لكن على اعتبارين لكل منهما .

* * *

ذلك رأى الفريقين . . ولنا أن نذكر بأن من حق العرب أن تقول ما تشاء لأنها لغتها ، وهي صانعتها ، ولها في صناعتها حرية تواكب حرية العرنى الواسعة في حياته بجوانبها العديدة .

كما أن اللهجات العربية كلها فصيحة صحيحة على اختلافها ، والآخذ بإحداها مصيب غير محطى كما قرر ابن جني ، بل وجوزوا للعرنى أن ينتقل إلى لغة غيره إذا رأى ذلك : إذ جوز ابن جني للعرنى أن ينتقل لسانه ، ويصبح حجة إذا انتقل لسانه إلى فصيح .

ولا يظن ظان أنه مع هذه الحرية كان الأمر فوضى ، فقد عرفت العرب الدقة

(الصاحبي) وابن الأثير في (المثل السائر) وأبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية) ، والأب هنري كولا منس اليسوعي في (فرائد اللغة في الفروق) . والأستاذ حفي ناصف في (مميزات لغة العرب) ، والدكتورة بنت الشاطئ في مؤلفها : (كتاب العربية الأكبر) .

ومحصل كلامهم : أنه لا يوجد لفظان مترادفان ، إلا وبينهما فرق في المعنى ، كما في أسماء السيف ؛ فبعض أسمائه من عمله : كالحسام ، والبار ، وبعضها ينسب لبلده : كالهند واليماني ، وبعضها من لونه كالأبيض . . . أما موضوع الآلة : فهو السيف فقط لا غير .

* * *

وبلخص القول في أمر الترادف أدينا - البليغ - مصطفى صادق الرافعي في أربعة آراء :

(أ) الإنكار المطلق من بعض العلماء ، مثل ثعلب وابن فارس ، لأن وجوده ينفي الحكمة عن هذه اللغة الحكيمة . . واعتبروا أن المترادفات إنما هي أسماء تزيد معنى الصفة .

(ب) أو الإنكار المطلق أيضاً - كالرأى السابق - ولكن على أساس أن المترادفات صفات محضة ، كما يرى الفارسي .

الفائقة في التعبير اللغوي :

يقول الأصمعي : سأل رجل من أهل الحضر رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما يرعى ؟ فقال البدوي - وهو يهزأ به - : نعم ، عندنا : « مقمل ومدب ، وباقل ، وحانط ، وثامر ، ووارث » . وإنما عني بذلك كله (الرمث) لأن الرمث أول ما يتفطر بالنبت يقال له : أقل . فإذا زاد على التفطر شيئاً ، قيل : قد أدبى ، وهو الباقل . ثم الحانط وهو المدرك من كل شيء ، والنامر : الذي أخرج ثمره ^(٣٨) . ومن مظاهر حريتهم في لغتهم : ذكر الواحد ، والمراد به الجمع ، والعكس : قال تعالى :

(هؤلاء ضيفي) ويقول سبحانه : (ثم نخرجكم طفلاً) .

واعتبر ابن جني من شجاعة العربية : الحمل على المعنى : لأن العرب ذكرت المؤنث وعكسه ، وتصورت المعنى الواحد في الجماعة وعكسه ، كقول الشاعر :

إن امرأ غره منكن واحدة

بعدي وبعدي في الدنيا لمغرور

وقال تعالى : « يلتقطه بعض السيارة » ^(٣٩) وتأول السهيلي حديث الرسول « أقبلت راكباً على حمار أتان » ، ونظر له بحجة ذكر ، وبطلة ذكر ، وهو شاة وهذا بقرة ^(٤٠) .

بل أنثوا لفظة « رجل » و « ثور » : ذكر المبرد لبعضهم .
كل جار ظل مغتبطاً
غير جبراني جيله
خرقوا جيب أمهم
لم يبالوا حرمة الرجل
وقال الأخطل :

جزى الله فيها الأعورين ملامة

وعبدة ثغر الثورة المتضاجم
(ثغر الثورة : فرجها ، والمتضاجم :
الواسع) ^(٤١) .

وصغر أعراني الحباري على حبرور ، ولم يجمع ابن الشحرى المحرنجم (لأنه ما فرقه شيء حتى يجمعه) ، وحقر بعضهم الدممك (القوى من كل شيء) على : شخيت (الضعيف من كل شيء) ^(٤٢) وغير ذلك كثير . مما دعا ابن الأعراني أن يقول : (هي العرب تقول ماتشاء) ^(٤٣) . إذا كانت تلك هي حرية العرب في قولها ، أفكثر عليها ، أو نحجر عليها أن تقول الألفاظ المترادفة ؟ !

يقول أبو عثمان المازني - كما في أمالي القالي ٧٨/٢ - سمعت أبا سرار الغنوي يقرأ قوله تعالى : « وإذا قتلتم نسمة فادارأتم فيها » ، فقلت له : إنما هو « نفساً » فقال النسمة والنفس واحد .
ذاك طرف من وجهات النظر بين

- ٣٣ - الخصائص ٩٤/٢ .
- ٣٤ - الخصائص ٤٦٧/٢ - ٤٦٨ .
- ٣٥ - المزهرة ٤٠٥/١ ، واللهجات العربية د .
إبراهيم نجا ٩٧ .
- ٣٦ - مجالس ثعلب ٢٩٣/١ .
- ٣٧ - تاريخ آداب العرب للرافعي ٢٠٤ .
- ٣٨ - الخصائص ٤٣٦/٢ .
- ٣٩ - أمالي السهيلي ٦٢ .
- ٤٠ - الكامل للمبرد ٢١٠/١ .
- ٤١ - الخصائص ٤٢٦/٢ .
- ٤٢ - المفضليات بشرح ابن الأنباري ٢١١ .
- ٤٣ - بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي

النافين والمثبتين قديماً وحديثاً . فما هو الرأي
المستخلص والمرتضى ؟

[الحديث موصول]

المراجع

- ٢٨ - اللهجات د . أنيس ١٦٥ .
- ٢٩ - المقدمة للشيخ العلايلي ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- ٣٠ - مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة ١٢٤/٩ لسنة
١٩٥٧ من بحث للأستاذ خليل سكاكيني .
- ٣١ - اللهجات د . أنيس ١٦٣ .
- ٣٢ - كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه
للمبرد ٢ .

القضاء المستعجل

حول زواج المسيحي بأكثر من واحدة
حيثيات حكم أصدره المستشار عبد العزيز هندی

محكمة الأمور المستعجلة

الجزئية بالقاهرة

في ٤ فبراير سنة ١٩٥٨

المبادئ القانونية :

١ - يتعين عند اختلاف الملة أو اختلاف الطائفة بين المصريين غير المسلمين تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل الأحوال الشخصية إعمالاً لصراحة نص المادة السادسة من القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ .

٢ - إلا أنه لما كانت القاعدة الجوهرية الواردة في الشريعة الإسلامية وهي (أننا أمرنا بترك الذميين وما يدينون) فإنه يتعين وسماحة الإسلام تطبيق الشريعة المسيحية على العلاقات الصحيحة التي نشأت بين طرفين غير مسلمين في ظل قانونها الخاص لأن الأصل في هذه العلاقة هو الصحة .

٣ - ولأن شريعة الأقباط الأرثوذكس تقضى في المادة ٢٤ من قانون أحوالهم

الشخصية ببطان الزواج بأكثر من واحدة إلا أنه إعمالاً لنص المادة ٤٢ من ذات القانون والتي تقضى بأنه ولوحكم ببطان مثل هذا الزواج إلا أنه يترتب عليه مع ذلك آثاره القانونية بالنسبة للزوج حسن النية ويكفي في هذه الحالة أن يكون أحد الزوجين حسن النية ليتعين الاعتداد بآثار هذا الزواج بالنسبة للأولاد الناشئين عنه لأن حسن النية لا يمكن تجزئته بالنسبة للأولاد خاصة .

٤ - لم يرد في الإنجيل نص مانع قاطع يحرم تعدد الزوجات وإنما أصبح ذلك تقليداً مسيحياً بعد أن نص على ذلك في مؤتمر نيقيا .

٥ - من الخطأ المشهور القول بأن الإسلام وحده هو الذي عرف تعدد الزوجات فإن نظام تعدد الزوجات كان معروفاً في البيئة المصرية منذ عهد الفراعنة ثم لم تحرمه الشريعة اليهودية حتى مؤتمر فيرمكما لم يرد في الإنجيل نص صريح مانع قاطع

يحظره حتى مؤتمر نيقيا .

٦ - نظام الزواج هو نظام اجتماعي بالنسبة للآثار المترتبة عليه ويتعين لذلك التفرقة بين مايمس العقيدة بالنسبة له ومايمس المجتمع ، فندع مالمقصّر لقصّر ومالله لله . وبالتبعية يكون الزواج باعتباره أحد أسرار الكنيسة السبعة خاضعاً لهذه الكنيسة التي يتبعها الفرد في نطاق ولايتها الروحية عليه فقط ، أما ماجاوز ذلك من أمور الزوجية وآثارها فإن على الشارع أن يتولى هو تنظيمها بما يسنه من قوانين . كما وأنه لن يخرج المسلمين عن دينهم أن يحظر الشارع تعدد الزوجات وتنظيم إثبات الزواج وآثاره بما يسنه من قوانين إذا اقتضى الأمر ذلك وعلى الشارع أن يستكمل الخطوة التي بدأها بتوحيد جهات التقاضي بتوحيد قانون الأحوال الشخصية .

٧ - حسب المحكمة أن تستين أن عقد زواج والد المدعى - وهو قبطي أرثوذكسي - بالمدعى عليها الأخيرة - وهي من طائفة الروم الأرثوذكس - وكان سنهما وقتئذ سبعة عشر عاماً وذلك بحضور شهود وقعوا عليه مما يظاهر القول بحسن نية الزوجة - ومن المستخرج الرسمي عن شهادة ميلاد المدعى ونسبته فيها . إلى والده ومن شهادة تعميم المدعى وأنه لم يحكم بعد بإبطال عقد الزواج ، للقول بأن للمدعى

مصلحة ظاهرة تتطلب اتخاذ إجراء موقوت حفظاً لحقوقه .

المحكمة :

« حيث إن المدعى أقام دعواه ابتغاء الحكم بإقامة حارس على الأعيان الميينة بصحيفة الدعوى لإدارتها والحفاظة على نصيب المدعى فيها حتى يفصل في دعوى الموضوع . قولاً منه بأن المرحوم صالح شكرى شكر الله توفى بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ عن ورثة هم المدعى عليهم فضلاً عن المدعى الذي كان قاصراً وقتئذ وبلغ رشده في سنة ١٩٥٥ - وعن تركة هي الميينة بصحيفة الدعوى وبمحضر جرد التركة المقدم ضمن حافظه المدعى - وأضاف المدعى أنه لجأ إلى القضاء الموضوعي لإثبات وراثته للمورث المذكور كما أقام دعواه الماثلة تحوطاً للمحافظة على حقه في تركة هذا المورث . وقدم بين يدي هذه الدعوى مستندات التي تضمنتها حوافظه .

« وحيث إن المدعى عليهم الأربعة الأول طلبوا رفض الدعوى في مرافعاتهم ومذكرتهم (٩ دوسيه) ويخلص دفاعهم الذي أفصحوا عنه في هذا الصدد أن مورثهم المرحوم صالح شكرى شكر الله كان قبطياً أرثوذكسياً وتوفى في ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ عن زوجته المدعى عليها الأولى وعن أولاده منها وهم المدعى عليهم من الثاني إلى

الرابعة وانحصر إرثه فيهم وحدهم بمقتضى إعلام ثبوت وفاة ووراثه صادر من مجلس / على مصر بتاريخ ١٩٤٨/١/٣٠ . وأنهم فرغوا منذ ذلك الحين من قسمة تركة مورثهم فيما بينهم دون منازع - وأن القول من المدعى ببنته لمورثهم المذكور أوبقيام الزوجية بينه وبين والده المدعى وهى المدعى عليها الأخيرة أمر لايسوغ مطلقاً - إذ أن الجمع بين زوجتين محرم وباطل فى الشريعة القبطية الأرثوذكسية التى كان يتبعها المورث المذكور - وأنه لما كانت المدعى عليها الأولى هى الزوجة الأولى والوحيدة التى يقوم على زوجيتها صحيح العقد المقدم من المدعى عليهم المعارضين وإعلام الوراثة سالف الذكر واعتراف المدعى - فإن مزاعم المدعى تكون - فيما يراه المدعى عليهم المعارضون - منهارة الأساس متعينة الرفض . فضلاً عن أن ماتقدم به المدعى من مستندات ، لاينھض لحمل دعواه .

« وحيث إن المحكمة ترى أن تتخذ قرارها الموقوت فى الدعوى - بعد استظهار سائر أوراقها وسجال الطرفين فيها على هدى الملاحظات التالية - وذلك دون مساس بأصل الحق الذى يبقى دائماً سليماً للمناضلة فيه أمام محكمة الموضوع :

أولاً : أن البادى من الاطلاع على الترجمة طبق الأصل عن اليونانية المؤرخة

١٧ يناير سنة ١٩٥٨ مخضر المعمودية الصادر من ديوان الوكيل البطريركى بالقاهرة لبطريركية الروم الأرثوذكس والمقدم من المدعى بحافظته (١٣ دوسيه) أن القس ديمتريوس راعى الكنيسة قد أمم بتاريخ ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٦ تنصير ابن صالح شكرى شكر الله من أبناء طائفة الأقباط الأرثوذكس من أهالى القاهرة وصناعته مزارع وأمه مارى جورج ساريس من أبناء طائفة الأرثوذكس المولود بالقاهرة يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٤ وأعطى لهذا المولود المتعمد اسم جورج بمعرفة عرابته - وأن على هذه الشهادة . توقيعات راعى الكنيسة والعرابة والوالدين - كما وأن البادى من الاطلاع على الشهادة الصادرة كذلك من نفس الديوان البطريركى المذكور والمؤرخة ٢٢ / ١١ / ١٩٥٧ أن جورج المذكور هو من أبناء طائفة الروم الأرثوذكس ومعروف أيضاً باسم وحيد صالح شكرى شكر الله - ولما كان ذلك وكان المدعى عليهم المعارضون لم يجحدوا أنهم كالمرحوم والدهم من طائفة الأقباط الأرثوذكس - فقد أضحي لزاماً - إزاء اختلاف الفريقين المتنازعين فى الطائفة - وتطبيقاً للقانون رقم ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ الخاص بتوحيد القضاء - أن تستهدى المحكمة - فى نطاق ولايتها الموقوتة - بأحكام الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد ، تطبيقاً

ثالثاً : ولكن ماهو رأى الشريعة الإسلامية في هذا المقام ، وهل ينتهى إلى غير ماينتهى إليه تطبيق شريعة الزوج وهو قبضى أرثوذكسى ؟ إن عبارة الشريعة الإسلامية تعنى اصطلاحاً ماشرعه الله لعباده من الأحكام التى جاء بها محمد ﷺ سواء ماتعلق منها بأعمال الناس ويسمى بالفقه أو ماتعلق بمعتقداتهم وهو التوحيد (راجع فى هذا المعنى أحكام الأحوال الشخصية فى الفقه الإسلامى للدكتور محمد يوسف موسى ص ٩ ومابعدها) .

أما القسم الثانى فلا شأن لهذه الدعوى به - وأما القسم الأول الخاص بالمعاملات فى الشريعة الإسلامية ، فإن الأمر مستقر فيه حتى الآن وبعد إلغاء المحاكم الشرعية - لأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة حسبما نصت على ذلك المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ، وقد احتفظ القانون ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ لها بقوتها الإلزامية . وقد تضمن فقه أبى حنيفة قواعد يختص بها المسلمون كما تضمن أخرى يختص بها أهل الكتاب ولأجل لتطبيق ماينخص بالمسلمين على سواهم ، كما ذهبت إلى ذلك بعض الأحكام . فقد ألغت محكمة استئناف القاهرة بحكمها الصادر بتاريخ ٦ مارس سنة ١٩٥٧ فى الدعوى رقم ١٦٦ سنة ٧٣ ق حكماً ذهب هذا المذهب وأيدته بحكم تال

لهذا القانون من جهة واستناداً إلى نص المادة ٨٧٥ مدنى من جهة أخرى .

ثانياً : ذلك أن اتحاد الطرفين فى الملة لايعنى عن وجوب اتخاذها فى الطائفة كما ذهب إليه البعض (انظر محاضرات السيد المستشار حلمى بطرس لكلية الحقوق ص ٣٩ - ٤٦) ذلك لأن هذا رأى فضلاً عن أنه يهدر صريح النص الذى أورده المادة السادسة من القانون ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ التى تقضى بأنه « بالنسبة للمنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والمتحدى الطائفة والملة الذين لهم جهات قضائية ملية منظمة وقت صدور هذا القانون فتصدر الأحكام فى نطاق النظام العام طبقاً لشريعتهم ، فهى بهذه المثابة تستوجب اتخاذ الطائفة والملة معاً لو جرى تطبيق الشريعة الخاصة - وقد كان هذا هو رأى السائد حتى قبل توحيد جهات القضاء (انظر أحمد صفوت ص ٢٣ ، ٢٤) . فضلاً عن أن القول بغير ذلك يخافى حكمة قانون توحيد جهات قضايا الأحوال الشخصية - فقد صدر هذا القانون ليحد من تعدد التشريعات الداخلية التى تحكم مسألة واحدة لمواطنين يجمعهم وطن واحد (انظر محاضرات الدكتور أحمد سلامة لطلبة كلية الحقوق سنة ٩٥٧ - ٩٥٨ ص ٦٤ ومابعدها) .

صدر منها بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٥٧ -
ورأت أن الإمام أبا حنيفة يقر غير المسلمين
على جميع الأنكحة وإن كانت فاسدة بين
المسلمين متى كانت صحيحة وجائزة في
ذمتهم - ويرى ترتيباً على ذلك ألا يتدخل
القاضي من تلقاء نفسه ليفرق بين الزوجين
ولا يتدخل لجرد مرافعة أحد الزوجين دون
الآخر .

وإذا كان الصحابان محمد وأبو يوسف
يربان خلاف ذلك . فإن رأى الإمام يجب
أن يرجح . والواقع أن جوهر رأى أبى حنيفة
هو أنه يقر غير المسلمين على أنكحتهم متى
كانت صحيحة في شرائعهم حتى لو كان
مثلها فاسداً عند المسلمين ويمنع على القاضي
المسلم أن يتعرض لمثل هذا الزواج سواء من
تلقاء نفسه أو بناء على مرافعة أحد الزوجين
فهو يقول : أصل النكاح كان صحيحاً
- فرفع أحدهما إلى القاضي ومطالبته بحكم
الإسلام لا يكون حجة على الآخر في إبطال
الاستحقاق الثابت له باعتقاده بل اعتقاده
يكون معارضاً لاعتقاد الآخر . فبقى حكم
الصحة على ما كان عليه (انظر كتاب
المبسوط ج ٥ ص ٤٠) وذلك تأسيساً على
قاعدة جوهرية في الشريعة الإسلامية هي
« أننا أمرنا بترك الذميين وما يدبنون » . وترى
المحكمة أن هذا الرأي يتفق مع سماحة
الإسلام ومن ترى التعويل عليه في هذا

المقام وعدم الاعتداد بما ذهب إليه بعض
الفقهاء الآخرين من رأى مخالف (انظر
كتاب أحكام القرآن للجصاص ج ٢
ص ٤٣٤) وقارن بما ذهب إليه الكاساني
الحنفي في كتابه « بدائع الصنائع في ترتيب
الشرائع ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٤ موافقا
لما ذهبت إليه المحكمة » .

رابعاً : وحيث إنه وقد انتهت المحكمة
إلى ماسلف من وجوب تطبيق الشريعة
المسيحية على العلاقة التي كانت قائمة بين
والد المدعى والمدعى عليها الأخيرة وعلى
آثارها - وترى المحكمة استهزاء بما ذهب إليه
الشارع في المادة ١٣ من القانون المدني في
سريان القانون الذي ينتمى إليه الزوج وقت
انعقاد الزواج على الآثار التي يرتبها عقد
الزواج بما في ذلك من أثر بالنسبة إلى
المال ، أن تطبق في الدعوى الماثلة شريعة
طائفة الزوج ، فإذا تقول هذه الشريعة في
هذا الصدد .

خامساً : تقضى المادة ٢٤ من قانون
الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس
الذى أقره المجمع المقدس والجلس الملى العام
وطبعته دار رمسيس للصحافة والطباعة
والنشر - بأنه لا يجوز لأحد الزوجين أن
يتخذ زوجاً ثانياً مادام الزواج قائماً - كما
تقضى المادة ٤٠ من هذا القانون بأنه يعتبر
باطلاً كل عقد يقع مخالفاً لهذه المادة ولو

وحسن النية التى تتطلبها المادة ٤٢ من القانون سالف الذكر قد ناقشه الفقه الفرنسى طويلاً ، وانتهى فيه إلى أن حسن النية هنا كحسن النية فى غير هذا المجال - أمر مفترض - وعلى من يدعى عكس المفترض يقع عبء إثبات دعواه - والمادة ٤٢ سالفه الذكر تتفق فى هذا الصدد مع حكم المادة ٢٠١ مدنى فرنسى - ويستتبع أن المخالطة الجنسية التى حدثت قبل الحكم ببطلاق الزواج تعتبر علاقة شرعية - حقا أن المادة ٤٢ تتكلم عن الزوج حسن النية - لكن يجب أن يراعى أن صفة المشروعية لا تنجز ، ومتى ثبتت بالنسبة لأحد طرفى العلاقة فيجب حتماً أن يمتد أثرها إلى الأولاد المشتركين ثمرة هذه العلاقة ، فهم يعتبرون شرعيين نظراً لعدم إمكان تجزئة هذه الصفة ، إذ إنه من غير المقبول أن يعتبر الأولاد شرعيين بالنسبة لوالدهم حسن النية مثلاً وطبيعيين بالنسبة للأم سيئة النية على هذا الأساس . وبهذه الصفة يرثون فى تركة أى من والديهم بعكس ما ذهب إليه بعض الشراح .

وقد ذهب القضاء الفرنسى إلى أنه بالرغم من عدم مشروعية العلاقة التى قامت فإن على المرأة أن تعتد وأنه يجب أن يظل نسب هؤلاء الأولاد بأبيهم وأمههم ثابتاً وفقاً لما جاء بشهادة ميلادهم . واتجه الفقه فى

رضى به الزوجان - ولكن يجب التحرز من قياس هذا البطلان على مثيله فى القانون العام - فقد قررت المادة ٤٢ من نفس القانون وهى ٤٤ فى طبعة أخرى صراحة بأن مثل هذا الزواج الباطل ولو حكم فعلاً ببطلانه إلا أنه يترتب عليه مع ذلك آثاره القانونية بالنسبة للزوجين وورثتهما إذا ثبت أن كليهما حسن النية - أى كان يجهل وقت الزواج سبب البطلان الذى يشوب العقد أما إذا لم يتوفر حسن النية إلا من جانب أحد الزوجين دون الآخر فالزواج لا يترتب عليه آثاره إلا بالنسبة لهذا الزوج والأولاد المرزوقين له من ذلك الزوج .

والواقع أن حكم هذه المادة ليس مبتدعاً ، بل إن الغالب الأعم من الشرائع قد طبقته بصورة أوبأخرى وحاول الفقه بدوره أن يجد الوسيلة الفنية التى تبرره فقال بنظرية الزواج الظنى Marriage Potaif وقد احتضنها القانون الكنسى كى يوازن بها تشدده فى شروط الزواج ، إذ كلما كان ثمة تشدد فى هذه الشروط كلما كثرت أحوال البطلان . ثم استقرت هذه الفكرة فى التشريعات الوضعية ووجدت أيضاً فى الشريعة الإسلامية فى الزواج بشبهة - وكل ذلك إنما يهدف إلى رعاية حق الصغير الذى كان ثمة لمثل هذا الزواج الباطل دون جريرة منه أودنب جناه .

مصر إلى الأخذ بهذا الرأي .

(راجع محاضرات الدكتور سلامة سالفه الذكر) .

سادسا : نصت المادة ٩١ من قانون الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس وهي المادة ٩٦ في طبعة أخرى ماثلة - على أنه تثبت البنوة الشرعية بشهادة مستخرجة من دفتر قيد المواليد فإذا لم توجد شهادة فيكفي لإثباتها حيازة الصفة ، وهي تنتج من اجتماع وقائع تكفي للدلالة على وجود رابطة البنوة بين شخص وآخر ومن هذه الوقائع أن الشخص كان يحمل دائماً اسم الوالد الذي يدعى بنوته له - وأن هذا الوالد كان يعامله كابن له - وكان يقوم على هذا الاعتبار بتربيته وحضانه ونفقتة - وأنه كان معروفاً كأب له في الهيئة الاجتماعية وكان معترفاً به من العائلة كأب له - فإذا لم توجد شهادة ولا حيازة فليكن إثبات البنوة بشهادة الشهود المؤيدة بقرائن الأحوال .

سابعاً وأخيراً : فإن المحكمة ترى أن تلفت النظر في هذا المقام إلى أن القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وإن خطأ خطوة موفقة نحو توحيد جهات اختصاص المحاكم في قضايا الأحوال الشخصية إلا أن ذلك يجب أن يستتبع وبطريق التلازم - تنظيم التشريع الخاص بها . فيكون لها قانون موحد لا تتفرق فيه السبل أو تفضل الآراء ، على أن يراعى

فيه التحرز من الخلط بين العقائد والمعاملات - فأما الأولى فهي قائمة بين الشخص وربه ، وأما الثانية فهي قائمة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه بما يضمنه من أشخاص وأموال ، وبذلك ندع مالم يقصر لقيصر ومالله لله . فيكون الزواج مثلاً - بوصفه أحد أسرار الكنيسة السبعة خاضعاً لهذه الكنيسة التي يتبعها الفرد في نطاق ولايتها الروحية عليه فقط - فتباركه أو تقرر طرد من يخالف تعاليمها أو سلحه دون تدخل من المجتمع في عقيدة الفرد وأتائمه .

أما ما جاوز ذلك من أمور الزوجية وإثباتها وما تستتبعه من آثار قانونية ومالية واجتماعية - فإن على الشارع أن يتولى هو تنظيمها بما يسنه من قوانين تقتضيها حاجة المجتمع ومطالبه - فلورأى المجتمع أن من صالحه قصر الزواج بين أفراد - مسلمين وغير مسلمين - على زوجة واحدة فقط فلا تريب عليه ولن يخرج ذلك المسلمين من دينهم أو يمس عقيدتهم في شيء . فإن الترام ذلك لم يجعل المسلمين في البلاد التي تحظر التعدد - سواء كانت إسلامية كتنونس ، أو غير إسلامية ، لم يجعلهم غير مسلمين أو يتعرض لعقيدتهم الإسلامية في شيء . وكذلك الحال إذا رأى المجتمع أن يرتب عند حصول تعدد الزوجات آثار هذا التعدد على نحو أو آخر - صراحة بدلا من التوصل

حاجة إلى النص على تحريمه - وذلك تمشياً مع الآراء التي سادت الفلسفة المسيحية وقتئذ والتي ترى أن من يقول بأن الزواج خير من عدم الزواج يحرم .

ولما كان ذلك وكان الزواج هو نظام اجتماعي في آثاره - فإنه يجب أن يكون رهناً بما يراه المجتمع في هذا الشأن مع عدم المساس بعقيدة أحد بإلزامه باتباع نظام التعدد دون نظام التوحيد .

وإنما على المجتمع أن ينظم حدوده وضوابطه وآثاره على كل حال ، فقد يرى المجتمع نظراً لارتفاع مستوى المعيشة وأولقتضيات اجتماعية أو خلقية يراها - أن يلزم أفرادها باتباع نظام الزواج الفردى - أو يكون العكس فيعم الرخاء أو تقوم ضرورات حربية من وجود عدو يترصد بالبلاد الدوائر ، ويزيد هذا العدو من تعداده بوسائل مشروعة وغير مشروعة تقتضى مقابلتها بما يدرأ خطرها - فعلت ذلك كل من فرنسا وألمانيا بعد أن ذهبت حروبها المتصلة بخبرة شبابها فاضطرتا إلى توريث الابن غير الشرعى تشجيعاً لزيادة النسل عن أية سبيل ، وأوقد تقع - لا قدر الله - حروب ذرية أو هيديروجينية تفنى الحرث والنسل فيتطلب الأمر عندئذ زيادة التكاثر ملء الفراغ الذي تحدثه أمثال هذه الكوارث بأسرع مستطاع .

إليها من الباب الخلفى وراء شتى النظريات - ولعل من الخطأ المشهور القول بأن الإسلام وحده هو الذى يبيح تعدد الزوجات ، فإن المتتبع لتاريخ التطور الدينى يلاحظ فى يسر وسهولة أن نظام تعدد الزوجات ليس غريباً على البيئة المصرية ، فقد كان سائداً فى الدول الفرعونية عند الملوك وذوى اليسار ، ولعل تمثال رمسيس الثانى القائم بميدانه بالقاهرة ومانقش عليه من أسماء زوجاته العديديات وألقابهن خير دليل على ذلك - ثم كان هو النظام السائد بعدئذ فى الديانة اليهودية ولم يحرم هذه العادة إلا مجمع « وورمز الربانى » الشهير الذى عقد فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى وإن كانت بعض طوائفهم لاتزال تمارسه حتى اليوم أسوة بأنبياء بنى إسرائيل ولم يرد فى الإنجيل نص صريح مانع قاطع يحظر هذا التعدد . والنصوص التى يستند إليها القائلون بغير ذلك لاتستقيم دون الاعتساف فى تأويلها وتفسيرها ، ذلك بأن السيد المسيح لم يهدم الناموس الذى جاء به موسى عليها السلام ، بل إن تعدد الزوجات ظل قائماً فى المجتمع المسيحى حتى قرر مجمع « نيقية » تحريمه . وتلاه المجمع « الترينيوى » وأورده كتاب « المجموع الصفوى » للشيخ الصفى ابن العسال العالم المسيحى المشهور - ولو لم يكن قائماً حتى ذلك الحين لما كانت بهم

ولما كان ذلك كذلك ، وكان تنظيم الزواج وآثاره من شأن المجتمع على النحو الذى سلف تفصيله ، ورغبة فى أن يتولى قانون محدد تنظيم الأسرة المصرية كوحدة اجتماعية متجانسة فى وطن موحد - فإن المحكمة تهب بالمشرع أن يستكمل مابدأه فى هذا السبيل واستكمال مايعتور القانون رقم ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ من نص فى هذا الصدد ، بالعمل على توحيد القانون بعد أن وحد المحاكم التى تطبقه .

« وحيث إنه بإنزال حكم ماسلف فى البند السابق جميعه على وقائع الدعوى الماثلة لتستين المحكمة على هديه ماإذا كان للمدعى حقاً ظاهراً فى تركه من يدعى نسبه إليه ، فإن حسب المحكمة أن تستين من زواج المرحوم صالح شكرى شكر الله ، بالمدعى عليها الأخيرة والدة المدعى ، والذى مم على يد كاهن فى كنيسة الروم الأرثوذكس هو القس استفانوس خورى بتاريخ ١٩٢٩/٦/١ وكان سن الزوجة وقتئذ سبعة عشر سنة فقط ، وذلك بحضور شهود وقعوا عليه ممايظهر القول بحسن نية الزوجة - ولو لم يثبت ذلك فى دفاتر الكنيسة كما قرر المدعى عليهم المعارضون استناداً إلى الشهادة السلبية المقدمة منهم - ومن المستخرج الرسمى عن شهادة ميلاد المدعى ونسبته فيها إلى والده مورث المدعى

عليهم الأربعة الأول - ولوكان ذلك بتبليغ من القابلة التى تمت الولادة على يديها كما جرى عليه العمل فى أمثال هذه المناسبات ومن شهادة تعميم المدعى وتسميته باسمه الحالى على النحو الذى سلف بيانه - حسب المحكمة ذلك - وأنه لم يحكم بعد بإبطال عقد الزواج الذى يستند إليه المدعى ، للقول بأن للمدعى مصلحة ظاهرة تتطلب اتخاذ إجراء موقوت حفظاً لحقوقه المحتملة وفقاً للمادة الرابعة من قانون المرافعات وأن النزاع الذى يقيم المدعى فى هذا الصدد له من سمات الجدل مايستنهض المحكمة لإضفاء حايثها الموقوتة عليه - على النحو المقرر فى المادتين ٧٢٩ . ٧٣٠ من القانون المدنى ، درءاً لما يتهدد حقوقه المحتملة من خطر عليها إذا استمرت أعيان التركة تحت يد تنازعه الحق فيها .

« وحيث إنه وإن صح ماسلف ، فإنه وقد تقدم كل من شكر الله كامل شكر الله وحننا كامل شكر الله ، طالبين قبولها خصماً فى الدعوى أستنادا إلى القول بأن الأطيان المطلوب فرض الحراسة عليها من بين أعيان تركة المرحوم صالح شكرى شكر الله تدخل ضمن أطيان وقف أخرى قدرها ١٢٠ فداناً ، كان طالبا التدخل ناظرين عليها فأصبحتا حارسين قانونيين بعد حل الأوقاف على غير الخيرات ، وقدما بين يدي دعواهما

حكماً صادراً من المحكمة الشرعية العليا بتاريخ أول مايو سنة ١٩٥١ يفيد إقامتهما وثالث معها هو المدعى عليه شكرى صالح شكر الله نظاراً على أعيان وقف المرحوم صالح شكر الله ولم يمار أحد من طرفى الدعوى فى مدعياتها بشئ وقد طلبا إقامتهما حارسين قضائين على هذه الأقطان إذا رأت المحكمة فرض الحراسة القضائية عليها ، وترى المحكمة قبولها من ثم خصما فى الدعوى .

« وحيث إنه لما كان ذلك ، وكان البادى من الاطلاع على حكم المحكمة الشرعية العليا سالف الذكر ، أن المتدخلين فى الدعوى والمدعى عليه المذكور ، قد أقيموا نظاراً منضمين غير منفردين على أعيان وقف مورث الطرفين ، ولم يحدد ذلك أحد منها - بل سارع المدعى إلى ترشيحها للحراسة كما سبق أن وافق من قبل على حراسة المدعى عليه المذكور ، الأمر الذى يحدو بالمحكمة أن تخلص من كل ماسلف إلى استبدال الحراسة القضائية بالحراسة القانونية المفروضة على هذه الأقطان موضوع التداعى فى هذه الدعوى والمبينة بالصحيفة ، وتقيم كلا من المتدخلين

فى الدعوى والمدعى عليه شكرى صالح شكر الله حراساً قضائين ، منضمين غير منفردين وبدون أجر عليها وعلى باقى أعيان تركة المرحوم صالح شكرى شكر الله ، المبينة بصحيفة الدعوى وذلك لإدارتها وتحصيل ريعها وتقسيم صافى هذا الربح بين المدعى والمدعى عليهم الأربعة الأول بحسب الشريعة الإسلامية للذكر منهم مثل حظ الأنثيين ، وتسليم المدعى عليهم المذكورين نصيبهم فيه وإيداع نصيب المدعى خزينة المحكمة ريثما ينتهى الخلاف بين الطرفين إلى رضاء أو قضاء بحكم حاسم للخصومة القائمة بينهما بشأن الميراث وذلك بعد أداء الضرائب القانونية ومصروفات الإدارة الضرورية ، وتقديم كشف مفصل بأوجه الحساب مدعم بالمستندات ، كل ستة أشهر وإيداعه قلم كتاب المحكمة . وذلك مع إضافة المصروفات إلى عاتق الحراسة باعتبارها إجراء كافلاً لحقوق الطرفين كليهما - وبغير حاجة للنص على النفاذ فهو حتمى (م ٤٦٦ / ١ مرافعات) . »

القضية رقم ٩٧٧٨ سنة ١٩٥٧ رئاسة السيد الأستاذ عبد العزيز هندى القاضى .

حول التفاهم الإسلامى المسيحى

رسالتان متبادلتان : بين صاحب الفضيلة الإمام
الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر والدكتور
ميجيل دى إيبالثا سكرتير عام جمعية الصداقة
الإسلامية المسيحية بمدريد - أسبانيا

يشرح المسيحيون كيف يعبر عيسى عليه
السلام عن القيم الاجتماعية نفسها عند
مسيحي اليوم . . ورغبنا ان يدرس هذا
الموضوع مجموعة ممن يعيشون في مجتمع
متكافل يفيض بالمودة والوفاق . وإن
اختلفت عقائد مواطنيه وتنوعت أديانهم .
وسوف يتولى عملية تنظيم وإعداد المؤتمر
من الجانب المسيحى الكليات المتخصصة
في علوم اللاهوت نذكر منها بصفة خاصة
كلية اللاهوت بمدريد . والجامعة البابوية في
روما . . ويعد الموضوع - بمشيئة الله - من
الجانب الإسلامى الجامعات المتخصصة في
بعض البلدان الإسلامية . ومؤسسات
إسلامية وشخصيات مسلمة ، يستوى في
ذلك من يعيشون داخل إسبانيا ومن يقيمون
خارجها .

ونعتقد انه من الممكن دراسة رؤوس

السيد المحرم صاحب الفضيلة الاستاذ
الاكبر شيخ الجامع الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد

فيسر جمعية الصداقة الإسلامية
المسيحية في مدريد ان تتوجه إلى فضيلتكم
لتشرف بإخباركم بما استقر عليه الراى من
انعقاد مؤتمر فرطبة العالمى الإسلامى
المسيحى الثالث خلال عام ١٩٧٩ . إن
شاء الله وقد رات إدارة الجمعية اختيار
موضوع « محمد وعيسى ملهتان للقيم
الاجماعية المعاصرة » ليكون محور اللقاء
الإسلامى المسيحى المقبل والمنقصد ان
يشرح المسلمون كيف يعبر النبى ﷺ عن
هذه القيم المعاصرة بالنسبة لمسلمى اليوم
سواء برسالته وعقيدته ودعوته . او
بشخصيته وسلوكه ونفسيته المثالية ، بينما

وسلام الله عليكم وتحياته ورحمته وبركاته ، ، ،

سكرتير عام جمعية الصداقة
الإسلامية المسيحية

(إمضاء)

دكتور . ميجيل دى إيبالنا
مدير دى إبريل ١٩٧٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد المحرم د . ميجيل دى إيبالنا
بحية طيبة وبعد

فقد وصلنى خطابكم المؤرخ : إبريل
١٩٧٨ م

وإنى اشكر لكم هذه الرغبة فى التفاهم
بين المسلمين والمسيحيين وأثراء الفكر المعاصر
بالحللول التى أوحاها الله تعالى إلى محمد
وعيسى صلى الله عليهما وسلم . وذلك فيما
يتعلق بالمشاكل المعاصرة .

وقد وصلتني أخبار المؤتمرين السابقين .
واحب أن أنبه . فى مودة ، ومن أجل
تفاهم عميق إلى بعض الامور :

١ - إن الاسلام - منذ أن بدأ -
خالف الجؤ العالمى : اليهودى والونى . . .
فى أمر عيسى عليه السلام . لقد أعلن
الإسلام مباشرة تقديره واحترامه لعيسى
وأمه . اما عيسى عليه السلام فهو وجهه فى
الدنيا والاخرة . وأما أمه فهى صديقه .

الموضوعات التالية فى نطاق الموضوع العام
للملتقى وهى : الحرية والعدالة والمساواة فى
مختلف مظاهرها وجوانبها المتعددة فى هذا
الدين أو ذاك . ولا يعنى هذا بطبيعة
الحال . ان هذه هى الكلمة النهائية على
العكس ، نحن نتوجه إليكم منذ الان وفى
لحظة نشأة الفكرة املين ان تتروا الموضوع بما
تقترحونه وان تفضلوا بإضافة ما ترونه مفيدا
ونافعا ، ولنا نشك فى إنكم ستزودونا
بسديد الراى وصائبه - بإذن الله . فأنتم
أدرى بهذا الحقل منا ، ولكم فى هذا
الميدان خبرة قد لا تتوافر للكثيرين بحكم
احتكاكم بالمجتمعات ، وجهودكم فى
القارات المختلفة . وقد سبق أن شرفتمونا
حين تفضلتم بإيفاد وفد مثل بلادكم فى
مؤتمر قرطبة الإسلامى المسيحى الاول الذى
عقد فى عام ١٩٧٤ م .

وما نبغيه فى هذا المرحلة - مرحلة
الإعداد والدراسة - هو النصيحة وتبادل
الراى ، والاستفادة بالمشورة دون إلزام او
التزام بحضور المؤتمر . وسوف نتصل بكم فى
مرحلة اخرى إن شاء الله من أجل توجيه
الدعوة لحضور جلسات الملتقى نفسه إذا
رغبتم فى ذلك .

وفى انتظار كريم ردكم نرجو أن تتقبلوا
خالص تحياتنا وأطيب أمنياتنا بالصحة
والسعادة .

وجود عيسى عليه السلام جزء من إيمان المسلم . وبراءة امه وطهرها جزء من إيمان المسلم . ولم يقف الإسلام من عيسى عليه السلام ومن امه موقف اليهود الذين ما زالوا على موقفهم إلى الآن من عيسى وامه . لقد افترؤا - وما زالوا - على عيسى وعلى أمه ورموها بهتان شنيع . . اما الإسلام فإنه مجدهما وما زال مستمرا في مجيده لهما .
ثمّ اذا لقي المسلمون من المسيحيين في مقابل ذلك ؟

٢ - إنه لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامي وبرسوله حتى ينال المسلمون في أوروبا ما يناله اليهود من الاعتراف باعيادهم وبشعائيرهم . . وأنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون هو عيسى عليه السلام وأتباع رسول لا يعرف به المسيحيون وهو محمد ﷺ .

٣ - إن المسلمين والمسيحيين يعملون على مقاومة الانحراف والاحلال والمادية والإلحاد وكان يجب ان يسيرا في خط متعاون متساند ضد التيارات المنحرفة . . ولكن - للأسف - يسير المسيحيون في طريق تنصير المسلمين بقوة : فهم يعملون ليل نهار على ان ينصروا المسلمين في كل مكان في العالم ، وكل الدول الغربية وأمريكا ترسل إرساليات لتنصير المسلمين بأسلوب مكشوف واضح او بأسلوب خفي

مستور ، ويضيق المسلمون بذلك ضيقا شديدا . ورغم ذلك فإن ملايين الجنيّات تنفق في سعة للتصير بكل الطرق .
ومما هو ملاحظ ان الدول الإسلامية ليس لها إرساليات تبشيرية . . وقد ارسل المسيح عليه السلام لهداية خراف بني إسرائيل الضالة . ومع ذلك فإن المسيحيين تركوا خراف بني إسرائيل الضالة واخذوا يعملون على تنصير المسلمين . . تساعدهم الثروة . . وتساعدهم وسائل الحضارة الحديثة .

ولو حصروا نشاطهم على تنصير الوثنيين لما اثار ذلك ضيق المسلمين الشديد . وكراهيهم للأسلوب ولموضوع التنصير نفسه .

٤ - والمسلمون أقلّيات في بعض الاقطار المسيحية مثل الفلبين . وهذه الأقلّيات المسلمة ينكل بها باسم المسيحية : تؤخذ ارضها ويمنّ أطفالها وتتمل نساؤها . ولا تجد إلا ارتياحا في نفوس الاغلبية المسيحية . . ونحب أن ينتهي التنكيل بالمسلمين في الاقطار التي بها الأغلبية المسيحية : نحن نحب ان ينهي ذلك : إنسانية ونحب أن ينتهي ذلك ديناً .

٥ - وفي المؤتمرات التي تعقد في إسبانيا وغيرها هناك اسلوبان للحديث :
(١) التزام العقل . وهنا يتحلل

بل على العكس من ذلك لقد هاجموا ومازالو يهاجمون رسول الإسلام ومبادئ الإسلام . فهل يمكن مع ذلك التفاهم ؟
٦ - وأحب أن أقول إن الإسلام هو العامل الأكبر فى تثبيت المسيحية حين اعترف بوجود المسيح عليه السلام وحين برأ أمه . ومع ذلك فقد قوبل ببحود لا مثيل له ومازال يقابل بهذا الجحود من المسيحيين على أكبر خدمة أدت للمسيح عليه السلام .

وبعد : فإني أحب صادقاً أن نتعاون فى صدّ كل انحراف . . وأحب أن أقول إنه لولا تقديري لكم لما كتبت لكم هذا . وإننى يسرنى أن أقرأ لكم .

وسأحدث إليكم عن رأى فى موضوع المؤتمر فى المستقبل إن شاء الله . ولكم تحيى وتقديرى . . .

« د . عبد الحليم محمود »

شيخ الأزهر

المسلمون من مبادئ دينهم فيتناولون المسيح عليه السلام وأمه بالأسلوب العقلى فيكون موقفهم منها موقف اليهود : يقولون على مريم وعلى ابنها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً . ويقولون على المسيحية نفسها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً .

ولكن المسلمين فى هذه المؤتمرات يتبعون مبادئ دينهم فيحترمون المسيح عليه السلام وأمه . . أما المسيحيون فإن البعض منهم لا يبالي ، فيتحدث عن رسول الإسلام بما يضيق به المسلمون : فلا تكون هذه المؤتمرات وسائل تفاهم ، وإنما تكون وسائل تنافر ، وذلك كما حدث فى المؤتمرين السابقين من بعض المسيحيين .

(ب) التزام ما عليه روح التفاهم : فلا يساء إلى المسلمين فى مقدساتهم .

٥ - ونحن من جانبنا قد قدّمنا أسس

التفاهم واضحة سافرة : احترام المسيح عليه السلام ، احترام أمه عليها السلام . . . فإذا قدم المسيحيون ؟ لا شئ ! ! .

الفاء

إعداد الأستاذ / عبد الحميد شاهين

نصوص القرآن تدل على ذلك دلالة واضحة ، واختيار الإنسان أساس لتكليفه ومحاسبته ، ومحال أن يكون الإنسان مجبوراً على فعله ثم يكلف ، ويتأب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه . . . وعلم الله بما سيكون من الإنسان باختياره وإرادته يحقق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر .
وصفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير . . .

(س ٢) ما حكم الشرع في تقبيل أيدي العلماء والوالدين ؟

(ج ٢) التقبيل من العادات القديمة التي عرفها الناس وانتشرت بينهم . . . ومنه القبيح المستهجن . . . ومنه الحسن المقبول ، وقد اختلط على الناس . بحكم التقاليد المختلفة والأهواء النفسية - قبيحه يحسنه - ومستهجنه بمقبوله ، وصرنا نرى منه ما يمتنع الشرع والدين . . . وما تنكره المروءة

(٣) الآية ٣ من سورة الأعلى .

(س ١) ما معنى كلمة « القدر » التي ورد ذكرها كثيراً في القرآن الكريم ؟

(ج ١) القدر الذي جاء في القرآن الكريم مضافاً إلى الله مثل قوله : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » ^(١) وقوله : « وما ننزله إلا بقدر معلوم » ^(٢) وقوله : « والذي قدر فهدى » ^(٣) وغير ذلك . . . يرجع معناه إلى أن الله خلق هذا الكون على سنن مضبوطة ومقادير معينة . ولم يكن صادراً عن طريق الصدفة التي لا تعتمد على نوااميس يجرى عليها ، ويسير على مقتضاها ، ويؤدى بها مهمته . ولا توجد في القرآن كلمة « قدر » بالمعنى الذي يفهمه كثير من الناس ، والذي يرجع إلى أن الإنسان مجبور في أفعاله بحيث يكون مقهوراً عليها . . .

والقدر بالنسبة للإنسان معناه : أنه خلقه بإرادة وحرية واختيار فيما كلفه به من أعمال الخير والبعد عن أعمال الشر . وكل

(١) الآية ٤٩ من سورة القمر .

(٢) الآية ٢١ من سورة الحجر .

والوالدان مقدمان على الناس جميعا في استحسان تقبيل أيديهما.. «واخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» (١)

(س ٣) :

(أ) يقطع بعض الزراع الفول الأخضر والذرة الخضراء قبل نضجها فهل تجب فيها زكاة ؟

(ب) وهي في الطماطم التي تباع في الأسواق زكاة ؟

(ج) وهل في الموالح والفاكهة زكاة ؟

(د) مع الإحاطة بأن من الناس من يزرع هذه الأشياء ويبيعها لحسابه .. ومنهم من يزرع ويبيع لتاجر الجملة .

(ج ٣) نفيد عن الأول بأن ما يبيعه الزارع من الفول الأخضر والذرة الخضراء تجب الزكاة في ثمنه بنسبة نصف العشر إن كان سقيه بالآلة ، وما يأكله الزارع أو يهديه فيجب نصف عشر قيمته إن كان سقيه بالآلة كذلك .

وعن الثاني بأن الطماطم لا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء ، وتركى عند أبى حنيفة ويخرج الزكاة من ثمنها على ما تقدم في السؤال الأول .

وعن الثالث بأن الموالح والفواكه تأخذ حكم الطماطم فتزكى عند أبى حنيفة

والشرف ، وما قد يصل بصاحبه إلى عتبة الكفر والخروج من الإيمان .. ونرى منه مالا بأس به في نظر الشرع وتقدير الشرف ..

والواجب في هذا الشأن النظر فيما ينبغي أن يكون فيفعل ، وما لا ينبغي أن يكون فيترك ، والأصل ، الذي يجب أن نجعله أساسا - هو تقدير الباعث عليه ، فإن التقبيل قد يكون بقصد الخضوع وإعلان العظمة ، وقد يكون بقصد إشباع الغريزة تحت ستار التحية والتعظيم ، وقد يكون تلبية لعازفة الشفقة والرحمة ، وقد يكون اعترافا بفضل .. وهكذا تنوع بواعثه ..

فإن كان الباعث بمقتنه الشرع - أخذ التقبيل حكمه وكان ممقوتا ، وذلك كتقبيل الأرض أمام الملوك والعظماء وأدعياء التصوف .. وقد صرح العلماء بحرمته ، وقالوا : إن فاعله والراضى به آثمان ، لأنه يشبه العبادة ومن مظاهر الوثنية .

ومنه تقبيل الأجنيات ، سيدات أم فتيات ، في الحدود أو الأيدي !! فهو محرم ممقوت ، وفاعله والراضى به آثمان . وإن كان الباعث لا بمقتنه الشرع أخذ حكمه .. وذلك كالتجلة والاحترام لتقى ورع ، أو عالم عامل ، أو حاكم عادل . تستقيم بعدله الأحوال ، ويقم حدود الله ..

ولا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء .

هذا بالنسبة للزراع ، أما التجار فإن عليهم زكاة التجارة في كل ما يتجرون فيه يقومون تجارتهم آخر العام ويخرجون من قيمتها ربع العشر حيث بلغت نصابا والله أعلم .

(س ٤) هل يجوز للحائض قراءة القرآن من غير مس للمصحف ؟

(ج ٤) نفيد بأن يجوز شرعا للحائض أن تقرأ القرآن من غير مس للمصحف ما دام الحيض نازلا . فإن انقطع الدم يحرم عليها القراءة حتى تغتسل ، وهذا هو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه .

(س ٥) هل يجوز أن يخطب رجل الجمعة ثم يصلى مأموما ويؤم الناس إمام غيره ؟

(ج ٥) نعم يجوز أن يخطب خطيب ، ويصلى بالناس غيره . وكل من الخطبة والصلاة صحيحة في هذه الحالة والله أعلم .

(س ٦) هل يجوز نقل جزء من جسم ميت إلى حى ؟

(ج) يتأذى الميت مما يتأذى منه الحى ، فأخذ جزء منه يؤذيه ، وقد يتأذى أهله كذلك . وعدم انتفاع الحى بعضو من أعضائه وتعطل نفعه ضرر يفوق ضرر الميت إذا قورن به ، لأنه إذا ترك جزء الميت للميت فإنه يبل ولا ينفع به أحد . وإذا

نقل إلى غيره من الأحياء فإنه سيؤدى وظيفته وينتفع به الحى ، وقد يتعدى نفعه لغيره من الأحياء كذلك فيعود نفعاً عاماً . ولا يقف دون هذا ضرر الميت بأخذ جزئه منه ، فإن الضرر الأخف يحتمل لدفع الضرر الأعظم ، ولا شك أن ضرر الحى أكثر ، فالتقل إليه أولى أن يسلك سبيله ويتبع ، على أن الإنسان اجتماعى لم يخلق لنفسه ، وإنما خلق له وللمجتمع ، فإذا أمكن أن تبقى منفعة بعض أجزائه ولو لغيره بعد وفاته فلا مانع منه ، ولا يقف الدين في سبيل ذلك بشرط ألا يكون في ذلك مُثْلَةٌ بالميت ، وأن يستأذن أهله في ذلك حتى لا يترتب على ذلك مفسدة . .

(س ٧) هل يجوز حرمان الابن العاق من الميراث ؟

(ج ٧) قسوة الولد على أبويه أو أحدهما أو على أحد أفراد أسرته أمر لا يجوز بحال من الأحوال ولا يرضاه الله من الولد . . وهو بذلك مسيء إلى نفسه وإلى دينه ، ومحل سخط من الله في الدنيا والآخرة . .

ومع ذلك فحرمانه من التركة مخالفة لتشريع الله ، ولم يجعل الله عقوبة العبد بقطع رزقه . . أو ضياع استحقاقه في التركة ، لأنه سوف لا يستحقها إلا بعد وفاة المورث له . سواء كان الأم أو

هذا الولد الكبير الذى انتهت تربيته واستغنى
عن والديه . . وذلك عن طريق الوصية فى
حدود ثلث المال ، تمييزاً لهم عن أخيه
العاق عملاً بقانون الوصية الذى أجاز
الوصية للوارث دون توقف على رضا بقية
الورثة . . والله أعلم*
عبد الحميد السيد شاهين

الأب .
ومن الجائز أن يكون حين استحقاق
نصيبه فى الميراث مهذب النفس طيب
الأخلاق حسن السلوك ، فلا مسوغ لعقوبته
بالحرمان ، ونظراً لوجود إخوة صغار
يستحقون التربية فإنه يجوز للأب أو الأم أن
يخص الأولاد الصغار بشيء من الملك دون

« وفد ندوة العلماء بالهند »

يزور مصر الآن وفد ندوة العلماء بالهند بدعوة من الإمام الأكبر شيخ
الأزهر . للاطلاع والدراسة على نظام العمل فى الأزهر الشريف
ومؤسساته .

ويتكون الوفد من الأستاذين : سعيد الأعظمى الندوى مدير مجلة
البعث الإسلامى التى تصدر باللغة العربية فى الهند ، والأستاذ واضح
رشيد الندوى أستاذ اللغة العربية وآدابها بندوة العلماء .
وسيغادر الوفد مصر فى منتصف شهر يونيو القادم إلى المملكة العربية
السعودية للمهمة نفسها .

× الإجابة عن السؤالين الأول والثانى من كتاب الفتاوى للأستاذ الإمام الشيخ محمود شلتوت .
والإجابة عن بقية الأسئلة من سجلات الفتوى بالأزهر .

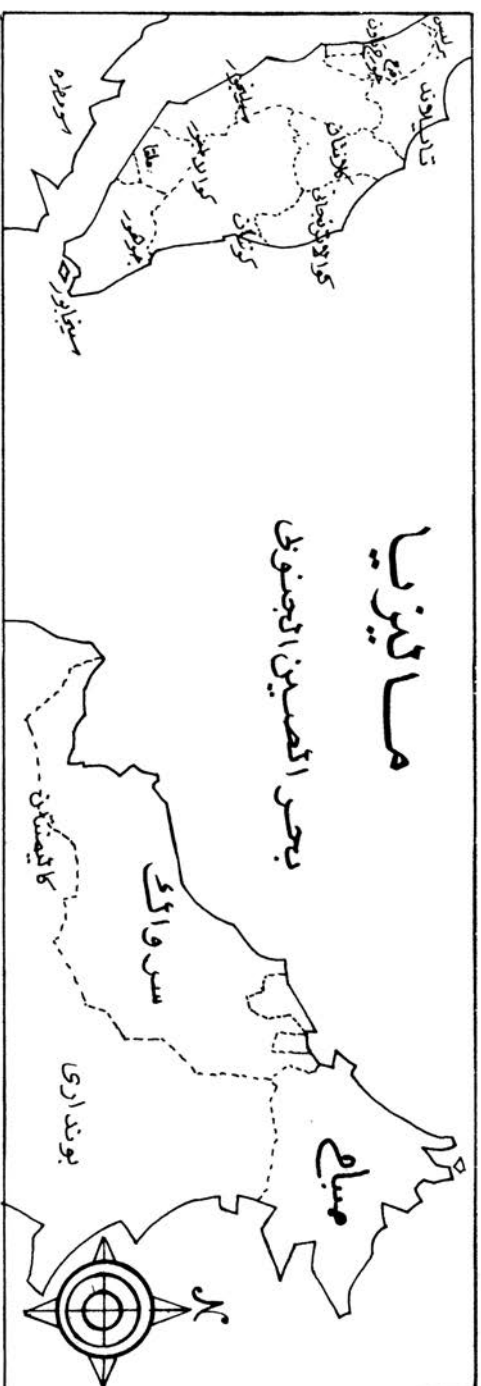
كتاب الشهر ..

ماليزيا ..

MALAYSIA

الناس والخطر .

الدكتور عبد الوود شليحي



والشعوب المختلفة . ماأروعك أيها الأزهر العظيم . . . لقد جمعت في ساحتك كل الدنيا . . . وزويت لك الأرض حتى صارت تحت مآذنك العليا . . .

وتقدم إلى طالب من أصحاب هذه الوجوه الغربية . ثم طلب منى رعاية كتبه ريثما يعود من دورة المياه القريبة .

كان هذا الطالب من « الملايو » فقد قرأت اسمه على صفحة كتاب من تلك الكتب . . . وعرفت بلده من الغلاف الموشى بماء الذهب . . . ومنذ ذلك اليوم . . . وهذه الكلمة لم تغب عني . . . الملايو . . . وأين تكون ؟ . . . وفي أى القارات تقع ؟ . . . وماذا يركب المسافر إليها من وسائل النقل ؟ . . . الغليون . . . ؟ ولكن ماهو الغليون ؟ . . . اننى لأعرف عن هذه الكلمة أكثر مماكانت تحدثنى به جدتى فى ليلى السمر . . . أم « الرفاص » الباخرة النبيلة الصغيرة التى كانت وسيلتنا المحببة فى السفر . . . أم الجبال - هكذا كنا نسمي من

فى عام ألف وثلثمائة وستين بعد الهجرة . . . دلفت - ولأول مرة - إلى ساحة الجامع الأزهر الشريف بعد تسجيل اسمى كطالب فى معهد القاهرة . وتذكرت حين تجوالى بين أروقتة دعوة أمى التى طالما تمننت لولدها أن يكون من علماء هذه الجامعة المباركة . وأن يمسك عمودا من تلك الأعمدة التى ترمز إلى مقام صاحبه الكبير فى العلم والفتوى . . .

لقد صحبني والدى فى هذه الزيارة ، وقدمنى فخورا إلى أحد شيوخه الذين تربطه بهم صلة . . . وما زلت أذكر حتى هذا اليوم صورة الشيخ « أبو القاسم إبراهيم » . . . فقد كان من علماء الأزهر المنتسبين إلى الجمعية الشرعية ، وكانت بينه وبين خالى الشيخ « سيد » زمالة فى هذه الجمعية ، وتعاون صادق فى الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة المحمدية . . . !

ماذا أرى فى هذه الساحة ؟ خليط من الأساتذة والطلبة . . . ومزيج من الأجناس

القصة . . ألا ما أسرع مرور الأيام في هذا الزمن . . هل نقص النهار والليل ؟ أم مُحِقَّت البركة في كل شيء ؟ أم مات في الناس الشعور والوعى ؟ ولكنها سَنَةٌ الحياة . . بل هي طبيعة البشر حين تختل في القلوب موازين الخير فيقلب كل شيء إلى النقيض والعكس . وينعكس أثر ذلك على القلب والنفس ، وكم أشعر بهذه الحسرة حين أُرْجِع بصرى في رحاب الأزهر . الأزهر الجامع والأزهر الجامعة ، والأزهر التراث ، والأزهر أمل المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض .

نعود إلى الملايو . . أو إلى ماليزيا بعد أن عرفت بهذا الاسم إثر قيام الاتحاد الذي يضم ثلاث عشرة ولاية هي : جوهور (Johore) وقدهح (Kedah) وكلاتون (Kelantan) وملقا (Malka) ونجری سميلان (Negrisembilan) وبارليس (Parlis) وصباح (Sabah) وسرواك (Sarwak) وسلانجور (Selangor) وترنجانو (Trenggano) وكوالا لامبور (Kuala Lumpur) العاصمة ، وكانت سنغافورة (Singapore) عضوا في هذا الاتحاد . ثم انفصلت عنه خوفا على (بوذيتها) من الإسلام الدين الرسمي للاتحاد .

ولم يكن انفصال سنغافورة هو بداية

الحجاج الذين يسافرون إلى أرض الحرم . . لم يكن ركوب الطائرة قد شاع كما هو الحال في أيامنا هذه . . بل كنا نحسب من يركب الطائرة كافرا يستحق اللعنة . . وَعَدُّوْا من أعداء الشريعة والملة . . !

وفي حي « الجودرية » . . كانت إقامتنا بمنزل من تلك المنازل التي تعود سكنها « المجاورون » أي الطلبة . . لم يكن يشاركننا في هذا البيت غير صاحبه العجوز « أم أحمد » . . وذات يوم سمعنا ديبيا وحركة في الشقة المجاورة . . وجاءت العجوز لتخبرنا عن الساكن الجديد وتقول : إنه من « جاوة » . . جاوة ! . . وما « جاوة » هذه أيضا ؟ ! . . إن كل مانعرفه عن هذا البلد أنها تشتهر بنوع من البخور يسمى « الجاوى » . . وحتى هذه التسمية هل هي نسبة إلى « جاوة » أم هي شيء من اختراع الدجالين والسحرة . . ؟ ولم تمض غير أيام قليلة حتى توثقت بيننا وبين هذا الأخ العلاقة ، وتكرر الحديث عن بلاده في كل زيارة . . وعلمت منه لأول مرة - أن الشرق الذي ننتسب إليه ينقسم في كتب الجغرافيا إلى قسمين : شرق أوسط تقع فيه مصرنا العزيزة . . وشرق أقصى تقع فيه الملايو ، وجاوة ، وسومطرا . .

لقد مضى أكثر من ثلث قرن على هـ

انتقل الإسلام إلى الملايو ، وتقول إحدى الروايات أن « مالاقا » الواقعة على الطرف الغربي من بلاد الملايو قد دخلت في الإسلام قبل هذه الفترة ، فتروى أن سفينة عربية قادمة من « جدة » ، يقودها سيدي عبد العزيز ، قد رست في ميناء مالاقا عام ١٢٧٦ ، واستطاع ركابها أن يحولوا ملك مالاقا إلى الإسلام ، وأطلقوا عليه اسم السلطان محمد شاه ، وتبعه شعبه في اعتناق الدين الجديد . وبذا قامت أول مملكة إسلامية تعمل على نشر الإسلام فيما جاورها من البلاد ، وفي غضون نصف قرن أصبحت مالاقا مركزا يشع منه الإسلام على المناطق المجاورة ، فأسلمت باهانغ وجنوب الملايو .

وتذكر بعض الروايات أنه في القرن الثالث عشر قامت مملكة « تياسيك » في سنغافورة ، وفي أوائل القرن الرابع عشر قامت في « جاوة » إمبراطورية « ماجايا هيت » الهندية القوية التي استطاعت القضاء على مملكة تياسيك . . وكان الإسلام قد وطد دعائمه في أجزاء من شبه جزيرة الملايو . وقد استطاع ملك تياسيك أن يغادر سنغافورة مركز حكمه السابق ، وأن ينتقل إلى مالاقا مع ١٥٠٠ شخص من أفراد العائلة المالكة . وأن يؤسس هناك حكومة ، ويقاد اعتنق الإسلام بتأثير من

المشكلات في هذا الاتحاد . . بل إن إندونيسيا المسلمة شعباً . الشيوعية حكومة (في عهد سوكارنو) . ناصبت هذا الاتحاد العداء منذ قيامه ، وأعلنت عليه حرباً سياسية ضارية حساب أعدائه .

ولا يعرف بالضبط متى وصل الإسلام إلى الملايو . . ولكن من المعروف أن علاقة شبه جزيرة الملايو كانت قوية مع الهند . . وخاصة مع سواحلها الغربية التي انتشر فيها الإسلام في وقت مبكر . نتيجة التجارة وانتقال المراكب المستمر بينا وبين أطراف شبه الجزيرة العربية التي انطلق منها الإسلام ، وكذلك كانت روابطها متينة مع جزيرة سومطرة المواجهة لها من جهة الغرب ، والتي وصلها الإسلام أيضا لأن أطرافها الشمالية أقرب إلى الغرب حيث كانت تمخر السفن الإسلامية ، وتتحكم في طرق المحيط الهندي البحرية وفي موانئه وقواعده ومراكزه وبحاره ، وينتقل التجار المسلمون والدعاة على سواحله يحملون مع بضائعهم بضاعة جديدة هي العقيدة .

وقد وصل الإسلام إلى جزيرة سومطرة في القرن الثالث عشر الميلادي ، فعندما زار الرحالة الإيطالي « ماركوبولو » المنطقة عام ١٢٩٢ م وجد التجار المسلمين في ميناء « بولاك » على الساحل الشمالي للجزيرة ذات الصلة الوثيقة بالملايو . . ومن سومطرة

أعتنقه من سكان المنطقة ، وأطلق على نفسه اسم إسكندر شاه وكان ذلك في بداية القرن الخامس عشر حوالى عام ١٤١٤ م . ويقال إن الإسلام قد انتقل من باساي في شمال سومطرة إلى مالاقا بعد أن أسلم حاكمها ليتزوج أميرة مسلمة من باساي وذلك لأن المسلمة لا يصح أن تتزوج غير مسلم ، وكان ذلك حوالى عام ١٤٠٠ م ، ثم اعتنق شعب مالاقا الإسلام بعد إسلام حاكمه .

وقد كان ميناء سرى فيجايا في شبه جزيرة الملايو أكبر مرفأً تصل إليه السفن الإسلامية . . وخاصة بعد القرن العاشر الميلادى عندما أُغْلِقَ ميناء « كانتون » الصينى في وجه التجار الأجانب نتيجة لاضطرابات مملكة تانك الصينية ، وفي ذلك الوقت أصبحت سرى فيجايا أبعد نقطة تصل إليها السفن الإسلامية آنذاك . ورغم ما حدث في العالم الإسلامى من أحداث جسيمة مثل تدمير بغداد على يد هولاكو عام ١٢٥٨ م ، وسقوط الخلافة الإسلامية إلا أن المسلمين قد بقوا سادة التجارة في المحيط الهندى .

ومن المحتمل أن يكون تجار جنوب الهند هم الذين كان لهم الأثر الواضح في إسلام الملايو . . إذ أن المسلمين هناك يؤدون عبادتهم على المذهب الشافعى وهو المذهب

المنتشر في جنوب الهند . . بينا أثر التجار الكوجراتيين في الهند كان أقل ، حيث يتعبدون على مذهب الإمام أبى حنيفة الذى لم ينتشر في الملايو ، كما أن الصوفية قد انتشرت هناك عن طريق جنوب الهند وليس من شبه جزيرة العرب ، وقد يكون تجار غرب الهند وجنوبها قد لعبوا دورهم معا في الدعوة ، وهذا لا ينفى أثر الدعاة العرب الذين ما انفكوا يفتدون إلى البلاد بعد أن توقفت الفتوحات الكبرى ، وانصرف المسلمون إثر ذلك إلى نشر الدعوة عن طريق التجارة والتنقل لهذه الغاية .

ويقول السير توماس أرنولد (Sir Thomas Arnold) في رواية لطيفة نقلها عن أخبار « قويدة » - إحدى ولايات شبه جزيرة الملايو - وكيفية دخول الإسلام إلى هذه المنطقة :

قدم عالم عرى يدعى الشيخ عبد الله إلى « قويدة » وزار الراجة "Raja" . وسأله عن ديانة البلاد ، فأجابه الراجة : إننا جميعا نعبد الأصنام . . فقال الشيخ : إذن أما سمعتم جلالكم قط شيئا عن الإسلام والقرآن الذى أنزله الله على محمد ، ونسخ به كل الديانات الأخرى ؟ فقال الراجة : إذن أرجو منك - إن كان حقا ماتقول - أن تعلمنا هذا الدين الجديد وتهدينا بنوره .

احتضنهم وقال لهم : إنه يأمل - لكي يبرهنوا - على إخلاصهم أن يستدعوا شعبهم بأسره إلى بهو الاستقبال ، ويحضروا معهم كل الأصنام التي تعودوا أن يعبدوها . . وأجيب الشيخ إلى طلبه ، وأحضرت في الوقت المحدد كل الأصنام . . وهناك حُطِّمت وحرقت وأصبحت رمادا تذروه الرياح ، ولم يأسف واحد منهم على ما أصاب آلهتهم الزائفة . . وكانوا جميعا فرحين بدخولهم في حظيرة الإسلام . ثم سأل الشيخ عبد الله الوزراء الأربعة ما اسم أميركم ؟ قالوا اسمه « برا أونج مها وانجسا » فقال الشيخ دعونا نستبدل اسمه باسم آخر ، وبعد تبادل الرأي طلب الراجة أن يحول اسمه إلى السلطان « مزلف الشاه » .

وقد وصلت أخبار تحول سكان « قويدة » إلى الإسلام إلى « أنجي » فأرسل إليهم سلطان هذه البلاد ومعه رجل يدعى الشيخ نور الدين - كان قد قدم من مكة - بعض الكتب ورسالة تقول : « من سلطان انجي ونور الدين إلى أخينا سلطان « قويدة » والشيخ عبد الله اليمنى الذى يقيم الآن في « قويدة » أرسلنا إليكم كتابين من كتب الدين حتى تتأكد دعائم العقيدة

فتَهَلَّ الشيخ عبد الله تهلل الحماسة المقدسة لسؤال الراجة إياه هذا السؤال . واحتضنه ثم فقَّهه في الدين . . ولما اقتنع الراجة بتعاليم الشيخ أرسل في طلب آنية الأرواح^(١) التي طالما عكف عليها ، وأفرغ مافيها على الأرض بيديه ، ثم أمر بعد ذلك أن تحضر كل الأصنام التي في قصره . فجمعت بين يديه أكوام من أصنام الذهب والفضة والطين والخشب . . فكسرها الشيخ عبد الله قطعاً بسيفه وبفأسه ، وأحرقت الأجزاء في النار . . ثم طلب الشيخ إلى الراجة أن يجمع كل نساء القلعة والقصر ، فلما قدمن جميعا في حضرة الراجة والشيخ ، تعلمن عقائد الإسلام ، وكان الشيخ مهذبا لطيف المعشر كما كان جذابا رقيقا في لغته ، حتى إنه جذب إليه قلوب ساكني القصر ، ولم يلبث الراجة أن أرسل في طلب وزرائه الأربعة المُسنِّين ، ولما دخلوا البهو استولى عليهم الدهش حين رأوا شيخا يجلس إلى جوار الراجة . فأبان لهم الراجة المهمة التي جاء من أجلها الشيخ ، وعندئذ أظهر الزعماء الأربعة استعدادهم للاقتداء بجلالته . . وقالوا : إننا نأمل أن يعلمنا الشيخ عبد الله كذلك ، ولما سمع الشيخ هذه الكلمات

(١) آنية الأرواح عبارة عن قارورة منبعجة على هيئة جرة صغيرة من البلور أو الفخار ، يقتنيها أتباع الديانتين الهندوكية والبوذية لحفظ بعض من الرماد المتخلف من حرق أجداث أسلافهم بعد وفاتهم ، وفي اعتقادهم أن أرواح هؤلاء الأسلاف تبقى مع هذا التراب . .

الإسلامية ، ويتعلم الناس واجباتهم وشعائر دينهم تعلمًا كاملاً :

وقد أرسل الراجه والشيخ عبد الله رسالة يردان فيها على هذه الرسالة ويشكرانها على ماأنعم به عليهما . . ومن ثمّ ضاعف الشيخ عبد الله جهوده ، وبني زوايا في كل القرى على اختلافها . . بالإضافة إلى ما فيها من المساجد ليكون الانتفاع عاما . . ثم علم الناس كل أحكام الدين وشعائره . . وكان الراجه وزوجته ملازمين للشيخ يتعلمان قراءة القرآن . . وبحث هذان الزوجان عن امرأة من نسل الراجات لتكون زوجة للشيخ ، ولكن لم يرغب أحد في أن يهب ابنته زوجة للشيخ لأن هذا الرجل المقدّس كان يوشك أن يعود إلى بغداد .

ويعلق سير توماس أرنولد على هذه القصة قائلاً :

إنه وإن كان ليس لدينا أخبار مفصلة أخرى في تاريخ تحوّل أهالي شبه جزيرة الملايو إلى الإسلام لكننا نجد في أماكن كثيرة أضرحة دعاة العرب الذين كانوا أول من دعوا بينهم إلى هذه العقيدة . . وقد أدت معاشرتهم الطويلة للعرب ومسلمي ساحل الهند الشرقي إلى جعلهم محافظين شديدي التمسك بفروض دينهم ، واشتهروا بين الناس بأنهم خير من يقتدى بهم من مسلمي الأرخبيل ، كما أنهم شديداً التمسك

بالحفاظة على صوم رمضان وتأدية فريضة الحج إلى مكة . .

* * *

هذه الصورة الوضيئة لأهل الملايو . وتدينهم العميق - يلمسها كل مسلم يلتقي بهؤلاء الإخوة ، في لندن وفي حي بادنجتون (Paddington) تعرفت على بعض هؤلاء الإخوة من الدارسين في جامعات بريطانيا وكانوا - كما يقول - أرنولد - محافظين على عقيدتهم . وفي المسجد الحرام كان يلفت نظري الكثير من الحاجات القارئات في المصحف وهن يرتلن آياته البينات في خشوع وتقوى ولن أنسى الحاجة « فريدة » القارئة الشهيرة في عموم ماليزيا وهي ترتل القرآن في الحفل التذكارى الذى أقامه مركز الدراسات الإسلامية العالية في فيلم بورى . . وفي كل عام تقام مسابقة دولية لأحسن القارئ والحافظين لكتاب الله في العاصمة كوالالمبور ويتم الاحتفال بهذه المسابقة في شهر رمضان . . وبرعاية الملك والملكة . . إن في ماليزيا أحسن القراء لكتاب الله بعد مصر وأحسن هؤلاء القراء من الملاويين موجودون في « كوتابارو (Kota Bharu) عاصمة ولاية كلن (Kelantan) .

* * *

لقد قرأت الكثير عن الملايو .

المستقبلون من وصولنا بعد هذا التأخير .
جلست على مقعد من شدة الإرهاق . .
ليلتان بدون نوم . فأقبل على رجل ليسلم
بحرارة ويحتضني بقوة ثم يهتف وقد تملكته
الدهشة : عبد الودود . . محمد محي . .
لقد كان هذا الرجل هو أخي في الكلية .
إنه الطالب الذي استعرت منه كتاب الحرية
لم يكن إندونيسيا كان ماليزيا . . ولم يكن
هذه المرة طالبا بل مديرا للتعليم الديني في
الوزارة المركزية .

وقد مضى أكثر من ربع قرن على تخرجنا
في الكلية . . تغيرت الملامح وماجت الحياة
بشئ الصور والأحداث . وتباعد فيما بيننا
المكان والزمان ولكن شيئا واحدا بقي ولم
يتغير . . الإيمان والحب . . والإسلام
والقلب . . وإيمان الحب . . وإسلام القلب
هما الرباط الوثيق بين المسلمين في كل
شعب . .

وها نحن في طريقنا إلى فيلم بورى
(Milampuri) فقد تلقينا الدعوة من
الوزير داتو حاج بن محمد عسرى والأخ
محمد على هارون للاشتراك في الاحتفال
 بالذكرى العاشرة لتأسيس مركز الدراسات
الإسلامية العالية . . وقد مثل الأزهر في
هذا الاحتفال الأساتذة الدكتور :
عبد الجليل شلبى الأمين العام لجمع البحوث
الإسلامية ، وفصيلة الدكتور محمود شوكت

وإندونيسيا . . في كلية أصول الدين عام
١٩٥٠ م تعرفت على الأخ « محمد محي
الدين موسى » زميل الدراسة في هذه
الكلية . . رأيت ذات يوم يحمل كتابا اسمه
« مردیکا » . . أى الحرية كان موضوع هذا
الكتاب عن حركة التحرير في إندونيسيا . .
وعن جهاد المسلمين في سبيل الاستقلال
والحرية واعتقدت من ذلك اليوم أن الأخ
محمد محي الدين إندونيسى استعرت منه
الكتاب الذى أهب مشاعرى الإسلامية
تجاه إخواننا في هذه المنطقة النائية بالشرق
الأقصى ومنذ ذلك الحين وخوايلى يخلق
ويطوف حول هذه الآفاق الغالية من الوطن
الإسلامى .

إندونيسيا وماليزيا - لقد تبين لى أن
هذه التفرقة في الاسم خرافة . فإندونيسيا
هى ماليزيا إيمانا وعاطفة - وكلانتون
وسومطرا شقيقتان في الروح والعقيدة ،
والشعبان على جانبي الارخبيل اسمان لحقيقة
واحدة هى الإسلام والأخوة .

في مطار كوالالمبور
(Kuala Lumpur) وصلنا متأخرين عن
موعدنا إحدى عشرة ساعة كنا متجهين إلى
كوتابارو للاشتراك في الاحتفال بالذكرى
العاشرة لتأسيس مركز الدراسات الإسلامية
العالية في فيلم بورى (Milam Puri)
لم نجد في انتظارنا أحدا . . لقد يئس

العدوى عميد كلية الشريعة والقانون والدكتور عبد الواحد بصيلة عميد كلية الطب . وعبد الودود شلبي مدير ورئيس تحرير مجلة الأزهر .

لقد تأسس هذا المركز في الرابع من جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ على قطعة من الأرض تقدر بحوالى خمسة عشر فدانا . وبتأييد من السلطان يحيى بن المرحوم السلطان إبراهيم سلطان ولاية كلانتون (Kelantan) الذى قدم قصره هدية إلى هذا المركز فى فيلم بورى (Ketnton) فبدأ المركز عمله بإعلان افتتاح كلية الشريعة والقانون فى تلك السنة نفسها لتكون نواة صالحة للجامعة الإسلامية المقترحة وكان عدد طلبتها ٣٤ طالبا وطالبة فقط . وفى نفس الوقت افتتح معهد الدعوة والإمامة كقسم توجبهى لهذه الكلية الفريدة .

وفى ١٠ من أكتوبر ١٩٦٨ أصدر مجلس الحكومة الحالية (كلتن) بموافقة جلالة الملك رقم ١٩٦٨/٩ بشأن الاعتراف بهذا المركز رسميا لدى الحكومة . وفى سنة ١٩٧١ أعلن المركز افتتاح قسم التربية لخريجيه الذى كان هدفه تزويد الطلبة بالمواد التربوية الإسلامية والحديثة . وقد نجحت كلية الشريعة والقانون فى أن تقيم جسرا من التعاون بينها وبين جامعة ملايا

بكوالالمبور فقبلت كلية التربية بالجامعة المذكورة خمسة من خريجي كلية الشريعة والقانون للحصول على الدبلوم فى التربية وقد أبدى هؤلاء الطلاب تفوقا ملحوظا فى دراستهم بهذه الجامعة .

وفى عام ١٣٩٤ هـ خطا المركز خطوة أخرى بافتتاح كلية جديدة هى كلية أصول الدين والاجتماع التى كان من أهدافها إعداد العلماء القادرين على حمل لواء الدعوة الإسلامية وتزويدهم بأحدث العلوم العصرية وقد اعترفت جامعة الأزهر بالشهادات الممنوحة من كليتى الشريعة وأصول الدين وقدمت المنح الكثيرة لهذا المركز حتى يستكمل الطلاب دراستهم العليا فى كليات الأزهر ومعاهده المختلفة .

وقد وضع مؤسسو هذا المركز نصب أعينهم هذه الأهداف الرئيسية منذ قيامه وتأسيسه :

- إحياء الدراسات الإسلامية العالية .
- تكوين جيل واع يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .
- القيام على حفظ الثقافة الإسلامية والتراث العلمى للأمة الإسلامية .
- العمل على إيجاد الاتصالات بين الجامعات الأخرى فى الميادين العلمية داخل ماليزيا وخارجها .
- إتاحة الفرصة للطلبة الخريجين من

الكلية فمجلس كلية الشريعة والقانون يرأسه الأستاذ هاشم حاج بحى بصفته عميد الكلية ويساعده الأستاذ عبد الوهاب ومجلس كلية أصول الدين والاجتماع يرأسه الأستاذ محمد ابن جىء ووء بصفته عميد الكلية ويقوم بمساعدته الأستاذ أحمد حاج داود .

المواد التى تدرس فى المركز :

١ - كلية الشريعة والقانون :

تدرس فيها المواد الآتية : الفقه الإسلامى ، الفقه المقارن ، الأحوال الشخصية ، أصول الفقه ، المعاملات الحديثة ، قانون ولوائح المحاكم الشرعية تفسير آيات الأحكام ، أحاديث الاحكام ، مصطلح الحديث ، التاريخ الإسلامى ومدخل الفقه الإسلامى ، النظام الدستورى ، القانون المدنى الجنائى ، القانون التجارى ، القانون الدولى العام ، القانون الإدارى ، الاقتصاد ، اللغة العربية ، اللغة الوطنية وآدابها ، واللغة الإنجليزية .

ومدة الدراسة بالكلية للحصول على الإجازة العالية فى الشريعة والقانون هى أربع سنوات .

٢ - كلية أصول الدين والاجتماع :

تدرس فيها المواد الآتية : التفسير . علوم القرآن ، أصول التفسير ، ومناهج الحديث ، مصطلح الحديث ، رجال المفسرين ،

المدارس الثانوية الإسلامية والعربية لمواصلة دراستهم فى المستوى الجامعى .

- إعداد المدرسين المؤهلين لتدريس المواد الدينية واللغة العربية فى المدارس الثانوية وإعداد الموظفين الإداريين الملمين بالإسلام والملتزمين بشريعته .

- إتاحة الفرصة لخريجى المركز لمواصلة دراستهم العليا فى مستوى الماجستير والدكتوراه فى الجامعات والمؤسسات الإسلامية وغيرها فى داخل ماليزيا وخارجها .

المجلس الأعلى للمركز :

تتولى إدارة المركز هيئة يطلق عليها اسم « المجلس الأعلى لمركز الدراسات الإسلامية العالمية » وأعضاء هذه الهيئة يعينون من قبل جلالة سلطان الولاية لمدة ثلاث سنوات ولهذا المجلس كافة الصلاحيات فى جميع النواحي .

المجلس العلمى :

وفى المجال العلمى فإن المجلس الأعلى قد عين أعضاء هذا المجلس لمدة سنتين وفوض إليهم كل الأمور المتصلة بهذا المجال .

مجلس الكلية :

يعين المجلس العلمى أعضاء مجلس

خيالى بعيدا - بعيدا . . إلى تلك الأيام التى
عشتها فى معهد القاهرة الدينى ، كل شىء
هنا يذكر بك بالله علما . . وعملا . . الطلبة
والطالبات فى سباق كبير للحصول
والبحث ، إن الأزهر أمامى هنا فى مركز
الدراسات العالية . . الأزهر الحقيقى الذى
تركته بعيدا فى مدينة القاهرة . .

لكن من هم الرجال الذين يقفون وراء
هذا العمل الكبير المخلص ؟ وما سر هذا
النشاط السائد فى كل موقع ؟ وما السبب فى
هذا النجاح الفائق بهذا المركز ؟ إنهم باقية
من خيرة الناس فى ولاية كلانتون . . مثلاً . .
داتو محمد عسرى الوزير السابق ورئيس
الحزب الإسلامى ، ومحمد على هرون مدير
المركز ويحيى عثمان نائب المدير وساعده
الأمين .

إن داتو محمد عسرى رجل يجذبك إليه
ببساطته وبشاشته وجهه تشعر من أول وهلة
أنه أخوك - وصديقك .

ومحمد على هرون - الهادئ ، الوديع
الباسم - خريج الأزهر يلفت نظرك إليه أدبه
الجم . . وزيه الأزهرى الناصع المهندم . .
أما يحيى عثمان . فشعلة من النشاط والحركة
يجذبك إليه ، بمجرد سماعك صوته . . لقد
أطلق عليه وفد الأزهر اسم « العفريت »
لخفة ظله وتوقد ذكائه وعاطفته .
ثلاثة نماذج لحقيقة واحدة . . حقيقة

الأثر ، العقائد ، تاريخ الدعوة والدعاة ،
الفقه ومدخله ، مقارنة الأديان ،
أنثروبولوجيا العلوم السياسية .
الاقتصاد ، علم الاجتماع ، النظام
الدستورى ، علم النفس . المعتقدات الدينية
والتزعات الباطنية ، الفلسفة ، التاريخ
الإسلامى ، دراسة الأخلاق من الكتاب
والسنة ، التصوف ، دراسة العلاقات بين
القوميات المختلفة ، طرق البحث . اللغة
العربية ، اللغة الوطنية وأدبها ،
ومدة الدراسة فيها للحصول على
الشهادة العالية فى أصول الدين والاجتماع
أربع سنوات .

٣ - القسم التوجيهى :

المواد التى تدرس فيه اللغة العربية (من
نحو وصرف وبلاغة ونصوص أدبية مقال ،
مطالعة ، الفقه الإسلامى ، أصول الفقه ،
التفسير ، الحديث ، التوحيد ، المنطق ،
الاقتصاد ، اللغة الوطنية وأدبها . اللغة
الإنجليزية ، وحفظ سور من القرآن .
ومدة الدراسة فيها للحصول على
الشهادة التوجيهية سنة واحدة .

لقد عادت بى الذاكرة إلى الوراء وأنا
أنجول فى أرجاء هذا المركز . . تمثلت لى
صورة الأزهر العريق - القديم - فى هذه
المنطقة الغالبة من العالم الإسلامى ، وسبح

وهي تترامى هادرة على الشاطئ الوديع
حاملة إلى هذا البلد المسلم بقايا « الثورة
الثقافية » وحطام النجم الأحمر - والخوف
الذى يغلف قلوب الناس بغلالة من القلق
والترقب ؟ !

إن هذه المنطقة من الساحل أشبه بلسان
يمتد إلى داخل البحر ، ومن وجهة النظر
الاستراتيجية . فإن هذا المكان هو أصلح
موقع للتزول والغزو - ولأدري لماذا خطر
ببالي قصة الجنرال « ياماشيتا » الياباني في
هذا الوقت . كنت قد قرأت في صحيفة
« المصرى » التى توقفت منذ حوالى ربع
قرن . . أن هذا القائد الياباني زحف على
سنغافورة بجيش يحمل جنوده أغصان
الأشجار الضخمة . . واستمر اليابانيون في
الزحف حتى دخلوا المدينة وفوجئ الناس
بهذه الأغصان تتحول إلى جنود وإلى تلك
الأشجار وهى تطلق عليهم البارود وعندما
حاول القائد البريطانى المقاومة كان كل شيء
قد انتهى . . والقائد « ياماشيتا » يقف تحت
علم بلاد الشمس المشرقة منتصرا . !

أعود إلى شاطئ الغرام مرة ثانية . . لقد
خلوت إلى نفسى متسائلا : أليس من الجائز
أن يكون غزو اليابانيين قد بدأ المايزيا من
هذه المنطقة وأجاب الإخوة المايزيون : نعم
من هنا بدأ الغزو - ونزل الجنود اليابانيون
إلى البر ومنذ ذلك الوقت كنت أحس وقع

الإخلاص الذى هو سر النجاح والنجاة . .
وحقيقة الداعية المتجرد لأقدس رسالة في
هذه الحياة . .

وقد آثر الأخوة في فيلم بورى أن نقيم في
فندق يبعد بضعة كيلومترات على شاطئ بحر
الصين الجنوى . . وهذه المنطقة من الشاطئ
تسمى بـ (شاطئ الغرام) . . والفندق
نفسه يحمل اسم هذه المنطقة

Beach of Passionate Love Hotel

إنه أشبه بفيلات صغيرة (Chalets)
تفصل فيما بينها أشجار النرجيل ، ونخيل
الزيت وكان منظرا رائعا تسلق القروود لجمع
ثمار « جوز الهند » من شجرته العالية السامقة
وبحركة فنية رشيقة .

في هذا الفندق تعودت ملكة بريطانيا
الإقامة كلما زارت هذه المنطقة وقد
استرجعت في مقامى هنا ذكريات الحرب
العالمية الثانية ، هذه الصورة العذرية
للغابات المتوحشة ، وما تحفل به من أسرار
عجيبة ، وما يحيط بها من أحراش كثيفة
كانت مثيرة لخيالى وقراءاتى البعيدة .

وفى الطريق من فيلم بورى إلى
كوتابارو . . إلى شاطئ الغرام على بحر الصين
الجنوى رأيت هذه الطبيعة يجنونها
وهدوئها . . بأماطارها وأنوائها . . أشجار
زيت النخيل ، وأشجار المطاط ، وأشجار
جوز الهند ، وحقول الأرز وأمواج بحر الصين

أقدام الجنرال «ياماشينا» وهى تغوص فى الوحل . . وأشعر برائحة البارود الملتهب فى جوف الرمل ! .

قد يكون ذلك خيال شاعر قديم ذى إحساس مرهف فى جوف الليل ، ولكنه الواقع الذى أحسه كلما سافرت إلى بلد مسلم ، والمرارة التى تفيض بها النفس خوفاً من المستقبل « إن المشاكل التى تواجهها ماليزيا الآن خطيرة نتيجة الأوضاع المهددة فى الأقطار المجاورة لاسيما تايلند وفيتنام ولاوس وكمبوديا وأن دور الإسلام فى ظل تلك الأوضاع مهم جداً ، لأنه الأمل الوحيد فى الحياة والقدرة على الصمود ومقاومة الهجوم الوحشى للشيعوية المحيط بماليزيا . ومن ثم فإن الإسلام هو حصن الدفاع المنيع ضد الفساد الغربى والشيعوية ، وفى ظل تلك الظروف يصبح من واجب الدول الإسلامية الغنية فى العالم أن تتقدم بأقصى سرعة لإنقاذ الدول الإسلامية المكافحة فى شرق آسيا ، وعلى الأخص ماليزيا وإندونيسيا .

إن ماليزيا تحتل موقعا استراتيجيا مهماً ومن ثم أصبحت مركز الاهتمام وهدف الحركة الشيوعية الآسيوية ، كما أنها هدف لتيارات الأفكار الغربية الفاسدة وماليزيا تتكون من ١٤ ولاية وعدد سكانها يبلغ ١٢ مليون نسمة ٥٣ فى المائة فقط مسلمون ومن

المتوقع أن تنخفض نسبة المسلمين فى المستقبل إذا استمر الحال على ما هو عليه وهذا يعنى أن الصينيين سوف ينتزعون السلطة السياسية فى البلاد ، وهذا يشكل تهديدات خطيرة مختلفة بالنسبة للمليزيا والإسلام ، ومن الحقائق المسلمة أن الشيوعية فى ماليزيا ذات صلة وثيقة مباشرة - بالصينيين فإذا أصبحت مقاليد الحكم بأيدي الصينيين فهذا معناه قيام دولة شيوعية .

إن الصينيين والهنود فى ماليزيا جاليتان مهاجرتان من الصين والهند وقد منحت هاتان الجاليتان الجنسية الماليزية فى خلال محاولات التوفيق السياسى وتسهيلات النظام الديمقراطى وتمتع هاتان الجاليتان الآن بمثل الامتيازات التى يتمتع بها أبناء البلاد الحقيقيون من المسلمين وقد أثار الصينيون بصفة خاصة مشاكل خطيرة بسبب ولائهم المزدوج والانحياز لقوميتهم وتعاطفهم مع القضية الشيوعية ورغبتهم القوية فى مساعدة الحركة الشيوعية وظهر هذا بكل وضوح خلال فترة الطوارئ فى ماليزيا سنة ١٩٤٩ إلى ١٩٦٠ وتعتمد الحركة الشيوعية فى ماليزيا أساسا على الصينيين من حيث الطاقة البشرية ، وأما الهنود فجعلوا من أنفسهم عناصر مشاغبة من خلال احتكارهم وسيطرتهم على اتحادات العمال .

اصطلاح الجالية الصينية في الخارج وعلى كل فإن هذا الاصطلاح أخذ يندثر حيث إن الصينيين في ماليزيا حاليا كثيرا ما يتحدثون عن الجنسية الماليزية والولاء الماليزي ، وهم مضطرون إلى إعلان ذلك في الظاهر لأسباب سياسية واقتصادية وهم في الحقيقة يتعاونون مع الشيوعيين من أجل تحقيق الأهداف وقد كانت فترة الطوارئ في ماليزيا وكذلك فترة الشعب والاضطرابات في سراواك منذ نهاية الحرب الثانية في الواقع نتيجة لنشاط الصينيين . أما الإرساليات المسيحية فتشكل تحديا خطيرا للإسلام بفضل التأيد الكامل والمساعدة الضخمة لهم من المنظمات الدولية وأعمال التبشير المسيحي في منتهى النشاط لاسميا في سراواك وصباح فالملشرون المسيحيون يتزلون إلى أعماق الغابات والمناطق النائية المختلفة ومعهم هذه الإمكانيات الهائلة .

(ب) الأخطار الخارجية :

هناك دلائل تكشف عن دور الصين الحقيقي في ذلك النشاط الشيوعي ، فقد كانت الشيوعية الدولية التي تعمل بهمة وجد في تأييد الاضطرابات الداخلية التي تستهدف الاستيلاء على الحكومة الإسلامية في ماليزيا وهذا بدوره يشكل خطرا على الأمن في ولايات ماليزيا الإسلامية .

والمواطنون الذين يكون الولاء الحقيقي للدولة هم أبناء البلاد الحقيقيون من المسلمين والمواطنين الأصليين غير المسلمين . وبناء على ذلك فقد نشأ هناك وضع مؤسف في ماليزيا حيث أصبح أبناء البلاد الذين يحملون الولاء الخالص للوطن أصبحوا مهددين من الأجناس الوافدة من الخارج . وفي مجال الاقتصاد نجد الصينيين والهنود مسيطرين دائما على التجارة والصناعة وإذا سمح للأوضاع الحاضرة بأن تتطور خلال عشر سنوات من الآن فسوف ينتزع الصينيون السلطة السياسية أيضا :

ويمكن تقسيم الأخطار الداخلية التي تهدد ماليزيا إلى ثلاثة أقسام :

(أ) الأخطار الداخلية .

(ب) الأخطار الخارجية .

(ج) مشاكل الدول المجاورة .

وفيما يلي بيان موجز عن كل منها :

(أ) الأخطار الداخلية :

الشيوعية تمثل الخطر الرئيسي الذي يهدد أمن ماليزيا وحياتها وتعتمد الحركة الشيوعية الدولية على التسهيلات التي يقدمها الصينيون وولاء الصينيين المزدوج واضح للعيان ، والصين في نظرهم هي الوطن ، أما ماليزيا فتعتبر محطة انتقال للمصالح الاقتصادية ويطلق عليهم

(ج) أخطار الدول المجاورة :

إن انتصار الشيوعيين في الدول الواقعة شمال ماليزيا (فيتنام ولاوس وكمبوديا) يثير قلقا عظيما ومخاوف شديدة في ماليزيا أوينطوى على تشجيع للشيوعيين المحليين خصوصا إذا وقعت تايلند تحت سيطرة الشيوعيين ، وبالنسبة لماليزيا فإنها تستطيع أن تقف ضد الشيوعية إذا توافرت لها العقيدة الإسلامية القوية ومن ثم يصبح من واجب جميع الدول الإسلامية أن تشد من أزر ماليزيا لتقوية ودعم موقف المسلمين في معركة الحياة أو الموت ضد الشيوعية ، وماليزيا تعتقد أنها تستطيع أن تقاوم الشيوعية عن طريق الإسلام ومهما يكن من شيء فإن ماليزيا تعتقد أنها لو وقعت تحت سيطرة الشيوعيين - لا قدر الله - فإن إندونيسيا وبروناي «الدولتان المسلمتان» سوف تلقيان نفس المصير وتصبحان شيوعيتين . .

وتشير الدلائل إلى وجود أعمال تبشير نشط عبر حدود ولاية سراواك وولاية صباح ولقد تدفقت ملايين الدولارات إلى هذه المنطقة من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم وهناك تقارير تفيد وضع كثير من طائرات الهليكوبتر تحت تصرف المبشرين وفيهم عدد من القسس الأجانب ، ونظمت العملية كلها تنظيما محكما ، ومولت

تمويلا سخيا ، وهناك أيضا شكوك تخوم حول دور وكالة أجنبية في هذا المشروع وينبغي أن يهتم العالم الإسلامي اهتماما خاصا بهذا الأمر لأنه يمكن أن يؤثر على تقدم الإسلام ونموه في هذه المنطقة .

والمعروف أن دولة اتحاد ماليزيا دولة مسلمة ينص دستورها على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة وللشعب الماليزي ، ومن ثم فهي تسير حسب قواعد ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف وشعبها شعب مسلم يطبق أحكام الشريعة الإسلامية ، ولا يألو جهدا في السعي والجهاد من أجل تثبيت المبادئ والقواعد الإسلامية مستمدة أصولها من المصادر الإسلامية الأصلية لاسيا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

ومن هنا كانت خطورة ماليزيا ودورها القيادي في مجال الدعوة الإسلامية ومن هنا نرى أن المهمة الإسلامية شاقة وخطيرة فهي ذات ميادين متعددة في الداخل حيث توجد جنسيات غير ماليزية الأصل معظمها غير مسلم وهي في احتكاك مستمر مع الماليزيين المسلمين وفي الخارج حيث الشيوعية تحيط بماليزيا من جميع الجوانب وتربص بها الدوائر .

ولذلك قامت الحكومة الماليزية يعضدها الشعب الماليزي المسلم بواجبها الديني وأسهمت الحكومة الماليزية بوسط

والكشف عن حقيقة كل منها وماتهدف إليه من تضليل وانحراف وزيف ، ثم بيان وجه الحق للمسلمين ليتبعوا الطريق الصحيح .

وافر في الإصلاحات الدينية وامتدت هذه الإصلاحات إلى المجالين الحكومي والشعبي .

٢ - إدارة الدعوة الإسلامية :

ويشمل نشاطها عقد ندوات علمية إسلامية في مقر الإدارة يحضره عدد كبير من المسلمين رجالا ونساء كما تنظم ندوات خاصة لرجال الجيش والبوليس للثقيف الديني الإسلامي وتبصيرهم بقواعد الدين ومبادئه ، كما ترسل هذه الإدارة بعض الدعاة الإسلاميين إلى كل مكان يطلبهم المسلمون لإلقاء المحاضرات عن الإسلام ومناقشة المسلمين في المسائل الدينية والشرح والتوضيح لكل من يحتاج .

٣ - إدارة الترجمة والنشر :

وقامت هذه الإدارة بترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغة الماليزية وتمت هذه الترجمة فعلا ، وطرحت في الأسواق وهي الآن في أيدي المسلمين ، وتقوم الآن بترجمة شرح بعض الأحاديث النبوية الشريفة المختارة التي تمس المسائل والموضوعات العصرية التي يحتاجها المجتمع الإسلامي الماليزي .

٤ - إدارة تحفيظ القرآن الكريم :

مقر هذه الإدارة في مسجد « نجارا »

أولا : في المجال الحكومي وعلى المستوى الرسمي :

نظرا لأن ماليزيا هي اتحاد فيدرالى وتوجد بها حكومة فيدرالية وحكومات للولايات المختلفة التى يتكون منها الاتحاد الماليزى ، فإن النشاط الدينى الإسلامى ينقسم إلى قسمين ، نشاط الحكومة الفيدرالية ونشاط حكومات الولايات . فيما يختص بنشاط الحكومة الفيدرالية أنشأت الحكومة الفيدرالية المجلس الوطنى الأعلى للشئون الإسلامية ويتبع رئاسة الوزراء مباشرة ورئيسه رئيس مجلس الوزراء والأعضاء يتكونون من رؤساء مجالس الشئون الدينية فى الولايات بحكم وظائفهم ومن ستة أعضاء آخرين يعينون من قبل الملك . وتتفرع من المجلس الوطنى الأعلى للشئون الدينية الإسلامية الإدارات الآتية :

١ - إدارة البحوث الإسلامية :

ونشاطها يتركز فى الدراسة والبحث عن الوسائل الفعالة لمقاومة المبادئ الهدامة والمذاهب الدينية المنحرفة كالفقاديانية والبهائية والشيوعية والماسونية وغيرها

إن هذا هو المؤتمر الثالث للحزب الإسلامي بعد اشتراكه في الجبهة القومية وبالنظر إلى أن العلاقة والصلة بين الطوائف المرتبطة تقوم على الاتفاقية لصالح مشترك فإنني أرى أن تقويم هذه الاتفاقية يكون ضروريا حيناً بعد حين وخصوصاً في مثل هذه الظروف الحاسمة .

وعلينا أن ننتبه إلى الحركة الشيوعية المهددة لسلامة البلاد والأمة الإسلامية سواء أكانت تلك الحركة إرهابية أم كانت مسلحة وسواء أكانت تلك الحركة تتحرك في المدن والغابات النائية والحدود أم كانت تنطلق من قاعدة خارجية .

إن المسلمين والشعب الملايوى يمثلون العمود الفقري لبقاء دولة الاتحاد وإذا تشقق هذا العمود الفقري وبالأحرى إذا ماتكسر ، فإنه سوف يؤدي إلى انهيار أسس هذه البلاد وإذا حدث هذا فلسوف يفقد المسلمون أوضاعهم ويفقد الملاويون مكانتهم التي لا يحتمل أن يكون هناك بديل لها ، ولا يعلم مصيرهم إلا الله .

ولهذا فإنني دائماً أؤكد بأنه من الضروري للحزب الإسلامي الماليزي أن يواصل عملية تنظيم وتوحيد صفوفه وينبغي علينا أن نذكر دائماً بأن الإسلام هو هدف كفاحنا وأنا نسعى لإعلاء كلمة الله وخاصة في بلادنا . فإذا أهملنا وأغفلنا هذا المبدأ

وفقد إليه التلاميذ من جميع أنحاء الولايات الماليزية ويقومون بحفظ القرآن الكريم وتجويده ، ومن يتخرج منهم يمكن أن يواصل دراسته في هذا المجال في مصر أو السعودية .

٥ - لجنة الإفتاء :

وتتكون من مفتي الولايات وستة معينين من قبل الملك ورئيس هذه اللجنة من أعضاء المجلس الوطني للشئون الإسلامية وينتخبه الأعضاء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ونشاط هذه اللجنة هو البحث في المسائل الدينية المطروحة عليها من مجلس السلاطين أو الملك التي يقتضيها الصالح العام للمسلمين في ماليزيا .

٦ - التعليم الديني الإسلامي :

تشرف وزارة التربية والتعليم على التعليم الديني الإسلامي في جميع مراحل التعليم الحكومي الخاص وتمده بالمساعدات المالية والخبرة العلمية اللازمة للتخطيط والتنظيم وهناك التعليم الإسلامي في كليات تتبع الجامعات .

* * *

وفي المؤتمر السنوي للحزب الإسلامي المركزي الذي يرأسه داتو حاج بن محمد عسرى قال رئيس الحزب في هذا المؤتمر :

بالنجاح ، فإن الحق لا يمكن أن ينتصر إلا بالتنظيم والقوة .

إن ماليزيا تمثل خط الدفاع الإسلامى الأول فى هذه المنطقة . . . ولو انهار هذا الخط وزحفت على حصونه جحافل التتار الجدد . . . فلسوف تنهار فلاح إسلامية كثيرة . . . ويفاجأ العرب والمسلمون بمأساة « فلسطين » جديدة .

وعندما تدق ساعة الخطر . . . فلن تتخلى بكين عن أبنائها وسيظهر « بوكرك » جديد يضرب بأساطيله ثغور الإسلام وموانئه فى المنطقة كلها .

لقد هتف الصينيون بعد نجاح بعض مرشحيهم فى الانتخابات العامة بماليزيا . أيها الملاويون . . . ليس مقامكم هنا . . . فعودوا إلى الجبال والأحراش . . .

وكانت مذبحة أوقفها الحكمة . . . والتجمل بالصبر والفطنة . . . لقد زرعت بريطانيا فى قلب كل وطن مسلم مشكلة . . . فى الهند ، كانت وراء المذابح والفتن وجعلت من الأخ عدوا لأخيه فى الوطن . . . فى فلسطين . . . لاتزال دماء الضحايا والشهداء تنزف والقتال بين المالك . . . والسارق قائم لم يتوقف !

الصومال مزقت أوصاله . . . والسودان فصلت بين جنوبه وشماله . . . وملك يابريطانيا . . . ثم وملك . . .

وذلك الهدف فإن الجيل القادم سوف يلومنا على ذلك وأن لعنة الله سوف تحل علينا . إن حياتنا متوقفة على عوامل متعددة فى مقدمتها الاستقرار السياسى والاقتصادى داخل البلاد كما يتوقف على قوة الدفاع والإيمان وطهارة الذيل ، كما تتوقف كذلك على الأمن والاستقرار فى المنطقة ويقظتنا للاطلاع على النوايا وتغيرات الموقف من أية جهة كانت .

وقد حان الوقت للنهوض بالإسلام بعد أن انحدر من قمة مجده منذ خمسمائة سنة وربما يضيق بنا الوقت لذلك يجب علينا أن نستعد للدفاع بكل ما نملك عن إيماننا ومبادئنا .

إن المشكلة التى يواجهها شعب ماليزيا هى نفس المشكلة التى تواجهها الشعوب الإسلامية فى أنحاء العالم لأن ألد خصوم الإسلام هو العلمانية المسيطرة على جميع مناحى حياتنا ، ونحن اليوم نعيش فى فترة الانتقال من الحضارة المزيفة إلى الحضارة الحقيقية المتكاملة من الناحية الإنسانية ، وإذا فاتنا ركبها فإننا سنخسر خسارة كبرى . إن جهاد الأمة على مر العصور كان من أجل إعزاز الإسلام ولم يكن دورنا إلسلسلة من هذا الجهاد ، وعلى الرغم من استقامة جهادنا فإننا لا بد من أن نعمل على تقوية الأمة بكافة الوسائل حتى يكمل جهادنا

وفي ماليزيا حوالى خمسمائة مؤسسة
تبشيرية موزعة على النحو التالى :

الولاية	المدارس التبشيرية	المؤسسات	الكنائس المركزية
برلس	١	—	١
قدح	٩	١	١٣
بينانج	٢٣	٤	٢٦
فيراك	١٦	١٦	٣١
كلانتون	٢	١	—
زيجانو	٤	١	—
بهانغ	١٥	٨	٤
سلانجور	٢٥	١٤	١٥
سمبلان			
نجرى	١٧	٩	٦
ملقا	١٧	٤	١١
جوهور	٢٨	٨	١٨
سراواك	٤٠	٢٣	١٣
صباح	٥٠	٣٠	١٥
كوالا لمبور	١٧	١٥	٢٦

* * *

إن المسافة من كوتابارو إلى جنوب تايلند
لا تزيد عن أربعين ميلا . . وفي هذا الجنوب
جنوب تايلند يقع إقليم « فطاني » الذى
يقا تل فيه المسلمين دفاعا عن العقيدة .
والوطن والحرية .

وقد كانت « فطاني » من قبل إمارة
مستقلة ترتبط مع بقية إمارات الملايو بروابط
وثيقة ومن أهم هذه الروابط الدين
والعقيدة .

وفي عام ١٦٠٣ هاجمها السياميون
سكان تايلند لأول مرة ولكنهم باءوا بالفشل
ثم تابعوا اعتداءهم عليها مرتين متواليتين
وذلك فى عامى ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ إلا أنهم
لم يحصلوا إلا على ما حصلوا عليه فى المرة
الأولى ، وأخيرا استطاع السياميون من
احتلال المنطقة عام ١٧٨٦ وقتلوا سلطانها
وحملوا معهم آلاف الأسرى إلى بانجوك وفى
العام الثانى لهذا الاحتلال أجبر السياميون
سكان فطاني على دفع الجزية وبعد أن
استعمرت إنجلترا المنطقة أبرمت مع تايلند
معاهدة بانجوك عام ١٩٠٩ اعترفت فيها
إنجلترا بضم إمارة فطاني إلى تايلند وذلك
ضمن سياسة إنجلترا فى تقسيم المسلمين
وتسلط غيرهم عليهم .

لم تهدأ الثورات فى هذه الإمارة منذ أن
حكمها السياميون فقد قامت ثورة تنكو
كميدى عام ١٧٨٩ ثم قامت ثورة بقيادة
داتو ففكالن عام ١٨٠٨ م وقامت ثورة
الأمراء عام ١٨٣٢ كما أنها لم تهدأ بعد
المعاهدة الإنجليزية التايلاندية عام ١٩٠٩
والتي أصبحت فطاني إثرها جزءا من تايلند
رسميا فقد تفجرت ثورة كبيرة عام ١٩٤٨

وأصحاب ثقافة بوذية وقد أغلق البوذيون المساجد والمدارس الدينية وأجبروا المسلمين على دخول المعابد البوذية .

ويذكر بعض مؤرخي الملايو :

أن كراهية أهل سيام للإسلام قد زادت عندما غلبت في كل حروبها ضد ملقا وأخذ ملك سيام يهوى جيشا ثالثا وهو يكاد ينفجر غيظا وكانت القيادة في يد ابنه للهجوم على ملقا أملا أن يكون على يدي ابنه هلاكهم وفناؤهم وشعر بذلك الملك المظفر فأخذ يهوى نفسه لاستقبال جيش العدو وهو قلق حزين لأنه يعلم تماما أنه لا يملك من العتاد مثلاً يملكون وأخذ يفكر فيما يجب عمله حتى يضمن النصر للمسلمين وفي غمرة تفكير دخل عليه شيخ تقي متصوف وقال :

المتصوف : مالى أرى سمات الأسى والحزن تعلو جبينك أيها الملك العظيم ، وقد عهدته وضاء باسم ؟

المظفر : ألم تسمع أيها الشيخ الفاضل بالهجوم الذى دبره ملك سيام ضد مملكتنا وجعل القيادة هذه المرة لابنه « تشو باندان » وأنت تعلم أنه مقبل علينا بجيوشه وسوف تكون الطامة واللطمة للمسلمين إذا انتصر علينا هذا الملك الكافر .

المتصوف : لاتحزن ولا تبتئس إن الله معنا ولنصرن الله من ينصره أتخشب أن الله

بقيادة العالم المشهور الحاج محمد سولونج الذى اغتيل في ظروف غامضة عام ١٩٥٢ م وقسمت فطاني إلى خمس مقاطعات هي :

١ - « فطاني » ومركزها مدينة فطاني المرفأ الشهير على بحر الصين الجنوى .

٢ - « ناراثبوت » ومركزها مدينة « ناراثبوت » وهى مرفأ أيضا على بحر الصين الجنوى .

٣ - بالا ومركزها مدينة بالا وهذه المقاطعة أكثر المقاطعات امتدادا في أرض ماليزيا .

٤ - سونغكلا ومن مدنها الشهيرة « سادو » و « بانا » .

٥ - « ساتون » ومركزها مدينة « ساتون » وهى « في الطرف الغربى على ساحل المحيط الهندى وتتبع هذه الولاية مجموعة جزر أشهرها جزيرة « تاروتا » وجزيرة « راوى » .

ويلاقى المسلمون تعنتا كبيرا من قبل السياميين ، فبعد الانقلاب العسكرى الذى حدث في تايلند عام ١٩٣٢ وأطاح بالملكية المطلقة ووضع السلطة بأيدي العسكرين انتشرت الدعوة القومية السيامية المتعصبة وقامت لجنة تعرف باسم « لجنة الثقافة القومية السيامية » وكان الشعب الفطامى ضحيها الأولى فهو شعب مسلم وذو ثقافة إسلامية على حين أن السياميين بوذيون

نسألك اللطف فيه ، إني أترك لك أيها الشيخ حرية التصرف ، ولكن كيف ستقاتل هذا الجيش العرمم وحدك ؟

المتصوف : سترى بنفسك أيها الملك . وأخرج المتصوف سهما من جرابه وأطلقه في الهواء قائلا فلتمت يا تشوبانندان « فلتمت بإذن الله » ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى .

ابتسم الملك عندما رأى ما فعله الشيخ المتصوف وهو في شك من أمره وسأله ترى أيموت حقا يا شيخنا الفاضل ذلك المدعو تشوبانندان عندما صوبت إليه هذا السهم في الهواء ؟ إذا حدث هذا فأنت بحق من أصحاب الكرامات .

ولم يمض سوى أيام قلائل حتى سمع السلطان المظفر الجواب على أسئلته التي وجهها للمتصوف أن ابن ملك سيام تشوبانندان وقائده الذي كان سيرسله للهجوم على ملقومات قبل أن يتحرك من بلاده وكان يحس بأن طعنات السهام تمزق صدره ومات على أثر ذلك فحزن أبوه على ولده أشد الحزن .

ونجا بذلك المظفر وشعبه من جبروت الملك الظالم ! !

* * *

إن كوتابارو مدينة جديدة بالإعجاب والحب . . كل شيء فيها يدرك بالإسلام

مخز قوما يقولون « ولاتدع مع الله إلها آخر » و « كل شيء هالك إلا وجهه » كلا أيها الملك العظيم إن الله الذي أعاد إليك الملك وأهلك خالك الخائن « ريكن » ونصرك مرتين على ملك سيام سوف ينصرك بقلة عددك وعنادك « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

وأنت تعلم أيها الملك أنهم يحاربونا ليطفئوا نار الحقد التي تتأجج بين ضلوعهم وليوسعوا من مساحات أرضهم وملكهم ، أما نحن فلا نحاربهم بل ندافع عن أنفسنا وديننا وحقوقنا ولن يتخلى الله أبدا عن المؤمنين ، وسوف تذهب ريجهم وتكون كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى فليطمئن قلبك ودعني أيها الملك أقابل جيش العدو وحدي هذه المرة وبطريقي الخاصة .

فعجب الملك وحار في أمر ذلك الشيخ المتصوف ولكنه كان يعلم مبلغ ورعه وتقواه ، فقال له افعل ما تشاء وليعنا الله على هذا البلاء ، اللهم لانسألك رد القضاء بل

* اكتب رسالة إلى معلمك تعتذر فيها عن عدم حضورك إلى المدرسة مبينا السبب .
* دور الزكاة في بناء المجتمع السليم .

* * *

في الطريق . . . تسمع آيات القرآن الكريم مرتلة بأصوات قراء مصر وتشنف أذنيك أنغام « ولد الهدى » وكأنك في حي « الحسين » .

إنه الازهر ذو المقام الشريف في كل قلب . هؤلاء الذين يحملون شارته فوق هذه الأرض . ويبلغون رسالته إلى هذه الآفاق . . . ويعلمون لغته وثقافته للناس . . . كانوا طلبة نشأوا في رحابه الطاهر . . . فاغترفوا من معين حكمته العذب ، وحملوا أمانته بكل صدق وظلوا - كما كانوا أوفياء لجناحه ، سائرين في ركابه ، مقتفين أثر شيوخه وطلابه :

محمد على هرون - يحيى عثمان - محمد شيوك - عبد القادر محمد - أحمد بن الحاج داود . عبد الوهاب عبد الحميد .
إن من حقكم علينا . . . بل على الأزهر الذي تحبونه . . . بل على مصر العزيزة الغالية لديكم . . . من حقكم علينا جميعا هذه التحية . وتسجيل مشاعركم النبيلة الزكية . . .

والعروبة . . . وقد كان منقوشا على علم جيشها القديم « لا إله إلا الله محمد رسول الله . وفي المعرض الذي افتتحه رئيس الوزراء حسين عون بمبنى مركز الدراسات رأيت ملابس جنود هذا الجيش وقد كتب عليها : نصر من الله وفتح قريب .

إن ماليزيا من أنظف بلاد العالم الإسلامي التي رأيتها عيناى . . البيوت نظيفة . والشوارع ملساء ناعمة . . لا تقع عينك في شوارع كوالالمبور على قشة . . أو ورقة ملوثة . . . إن عقوبة هذا الخطأ كبيرة . . . وفي كوتابارو تخلع حذاءك قبل أن تدخل البيت ، والفتيات والنساء في غاية الوقار والحشمة . وفي « المعهد المحمدى » يهرك هذا البهاء في وجوه طالبات المدرسة . .

لقد استقبلنا الأخ عبد القادر محمد مدير المعهد المحمدى ، والذي درس في كلية أصول الدين القديمة . مرحبا بوفد الأزهر .

وصادف موعد زيارتنا للمعهد ، ولمدرسة النعيم للفتيات يوم الامتحان في اللغة العربية وقد اخترت هذه النماذج من الأسئلة لأين مدى تعلق هؤلاء الإخوة بالإسلام واللغة العربية تقول هذه الاسئلة :
* قيمة كل إنسان بأخلاقه وآدابه - لا بشكله ولونه . . .

رجعنا إلى شاطئ الغرام استعداداً لرحلة العودة إلى القاهرة ولم نشأ أن نترك هذا المكان حتى نسأل عن السر في هذه التسمية شاطئ الغرام (Beach of Passionate Love) قالوا عن السبب في هذه التسمية ، إن سلاحف البحر تأتي إليه من شواطئ استرالية لتضع بيضها كل عام مرة واحدة ، وهنا على الشاطئ يتم اللقاء بين الإناث والذكور في عملية زواج كبرى . ثم تعود هذه السلاحف بالرفاء والبنين - إلى وطنها الأصلي بعد ذلك إلى كانبيرا !

ولكن قصة غرام حقيقية كادت تقع في هذه المنطقة . . . في حوار بين الخادم وفضيلة الشيخ محمود شوكت . . فهم الخادم من طلب الشيخ بعض المساعدة أنه يريد عروسا . . وبعد ساعات قليلة من هذا الحوار كان هذا الخادم يقف بجوار فتاة ليدق باب حجرة الشيخ التقى المبجل . . وفزع الدكتور العدوى من المفاجأة وخرج هاجماً يستنجد بالدكتور عبد الجليل الذي حول الأمر إلى دعاية لطيفة :

قال الدكتور عبد الجليل : من هذه ؟

الخادم : العروس التي طلبها الشيخ .

الدكتور عبد الجليل : ولكن أين أبوها ؟

الخادم : في المدينة على بعد خمسة أميال

الدكتور : لا بد من حضوره لإتمام العقد

واستلام الصداق والمهر . . !

الخادم : متى يكون ذلك ؟ .

الدكتور : غدا إن شاء الله في الخامسة ظهرا . .

وفي اليوم الموعد . . وفي تمام الساعة

العاشرة صباحا . . . كانت الطائرة تحملنا

من كوتا بارو إلى كوالالمبور . . وبقيت قصة

الزواج المعلق على شاطئ الغرام قصة تحكى

في المناسبات الجميلة . . وتطالب أى إنسان

يتكلم بغير لغته أن يعرف دلالات كل كلمة

وحرف في هذه اللغة . . إنها مشكلة

تصادف كل مسافر إلى الخارج . . وأحيانا

ينطق الإنسان كلمة ينقصها حرف . . أو

ينطقها دون معرفة بأصول النطق . . فتكون

النتيجة عكس ما يريده بالضبط .

وداعاً يا فيلم بورى . .

وداعاً يا كوتا بارو . .

وداعاً يا شاطئ الغرام الذى كاد يصبح

حقاً وحقيقة . . ! ! !

* * *

من كوالالمبور (Kuala Lumpur)

ركبنا طائرة شركة الخطوط الجوية

الماليزية إلى بانكوك Bangkok

عاصمة تايلند (Thailand) إن

الخدمة على متن الشركة الماليزية لا تقل عن

مثيلاتها في أرقى الشركات العالمية . . دقة

في المواعيد غاية في النظافة . كل من في

الطائرة يخدمونك بود ومحبة . الشاي والقهوة

- يقدمان في أى وقت ، وكما يحب أى راكب . وبدون ملل أو تباطؤ .
 - لست أختار لأحد . . !
 - لقد منحني شرفا كبيرا . . !
 وفى بانكوك Bangkok انتظرنا
 - ماذا تقصد ؟
 يوماً لنركب الطائرة المصرية القادمة
 - وهل هناك شيء يستحق أن يقصد ؟
 من طوكيو ويألفها من طائرة - أقصد الخدمة
 - وهذا الصندوق ؟
 فيها . والمضيفات العاملات بها . .
 - لست صاحبه . .
 كان جلوسى على مقعد بجوار النافذة . .
 - من يكون إذن . . ؟
 وجاءت المضيفة تحدثنى بلغة إنجليزية . .
 - اسألى فى الطائرة . .
 فرددت عليها بلهجة مصرية صميمة . .
 وطار صواب المضيفة . . وذهبت إلى
 قائد الطائرة الذى حضر مسرعا للتحقيق فى
 الواقعة فقلت للكابتين حسين . وكان لطيفا
 ومهذبا . .
 أعتقد أنكم عند تعيين هذه المضيفة لم
 تطلعوا على صحيفة سوابقها فى وزارة
 الداخلية ولو كان الأمر بيدى لذهبت بها الى
 سجن النساء فى القناطر الخيرية . . .
 * * *
- وفى بانكوك (Bangkok)
 - أرفع هذا من هنا . .
 - ماذا تعين ؟
 - هذا الصندوق . .
 - وأين أضعه ؟
 - لا أعرف . .
 - إلا يمكن التفاهم بغير هذا الأسلوب ؟
 - من فضلك لا تتفلسف . .
 - لست فيلسوفا . . وأنا أحدث بلغة
 بسيطة إلى أخت مصرية . .

تحوض قدماءك فى وحل الخطيئة من أول
 خطوة - كل شيء هناك فى متناول اليد ،
 وعلى مرأى ومسمع من الشرطة وفى ظل
 قانون خدرة الحشيش والجنس والرشوة . . .
 أهذه هى بانكوك التى قرأت عنها فى
 الكتب . ؟ منذ ثلاثين عاما كنت قد قرأت
 تلخيصا لكتاب وضعته مدرسة إنجليزية عن
 حياتها فى هذه المملكة الغامضة . وقد نشر
 تلخيص هذا الكتاب فى مجلة « المختار » التى

كانت تصدر في القاهرة : . . . اسم هذا الكتاب (الملك وأنا The King and I) إن الصورة التي رسمتها يراع هذه الكاتبة جعلني أحلم بزيارة هذه المنطقة : الحياة الفاتنة الأخاذة . . الشرق بسحره الغامض - الناس بعقائدهم العجيبة . . الطبيعة بتقلباتها المختلفة . . . كانت « سيام » أو تايلند تمثل في خيالي حلما من أحلام الطفولة . . . البراءة النقية . . . الفردوس والجنة . . . الحور والملائكة . . . وهأنذا في بانكوك . . . ولكن . . . أية بانكوك هذه التي أقف عند بابها مفعما بأحلامي القديمة . . ؟

لقد شعرت بالضيق من أول لحظة . فالشوارع مقبضة . . . وغير نظيفة - والهواء ثقيل يقبض أنفاسك اللاهثة . . . وآثار الفقر والخطيئة تزيد من شعورك بالانقباض والضيق في كل لحظة ؟ ؟

في الفندق الذي نزلنا فيه تبدد كل أمل في الهدوء والراحة . . صخب وعبث وفقر وهو . . . ومساومات رخيصة . . . جو خانق معتم . . . حتى الطعام لم أذق منه لقمة واحدة . . . لقد اختفى الجوع فجأة . . . وحلت مكانه غصة في الشعور والعاطفة . وفي تلايف هذه الظلمة يسطع شعاع من نور الأمل في صورة شاب يتقدم منحنيا

على يدي الشيخين عبد الجليل وشوكت . إنه الطالب التايلندي عبد الله محمد . . . كان مسافرا إلى الكويت لاستئناف دراسته التي بدأت . . . ولاحظ مودعوه ذلك فهرولوا مسرعين لالتماس البركة التي حلت . . .

لقد ظهرت بانكوك في صورة جديدة . وامتحت صورة القمار والبغاء والرشوة .

إن المسلم يختلف تماما عن غيره . . . سر من أسرار الخالق يكمن في أعماقه . .

أصله من تراب وفطرته من نور . . عبد تخلق بأخلاق الله واستغنى عن الدنيا . ألقى عليه الحب . وكسى المهابة والجلال . نزه برىء في السلم والحرب . إن إيمانه هو مركز الدائرة التي يدور حولها العالم وكل ما عداه وهم وطمس ومجاز . إنه الغاية التي يصل إليها العقل . . . ولب لباب الإيمان والحب . . . فألى غير رجعة . . . با مدينة الخطيئة مسكينة أنت يا تيلند . .

وليحفظ الله عبد الله محمدا . وكل مسلم يعبد الله في هذه الأرض .

* * *

الطائرة تنهيا للإفلاق . . . لكن حركتها بطيئة . . . وبليدة . . . ترى هل تغيرت طبيعة الأرض . . ؟ أم فقدت جاذبيتها فوق تايلند . . ؟ أم أن الشياطين تسد في وجهها الأفق ؟ أم اعترض « بوذا » بحجمه الهائل :

ومن بين ثنايا الضباب الكثيف تتسلل
 الطائرة إلى مدارها في الأفق البعيد ، ومن
 حولها تتناثر أشلاء السحاب الأسود في
 طريق الصعود . . . حتى إذا استوت في
 الأفق ، وعبرت حدود بورما في طريقها الى
 الهند . . . كان القمر قد ظهر متألقا من
 خلال أشجار النرجيل والجوز متخطيا حقول
 الألغام والموت قائلا لـ (آسيا) الحزينة :
 يا قارة الحروب والفقر . . . !
 إني أنا القمر قاهر الظلام . . . وفي
 الإسلام
 يا آسيا النور والأمل والسلام .

طريقها الممهد ؟
 وهل هذا الذي أراه حقيقة أم وهم أم
 أن عقلى الباطن لا يزال شاردا في قاع مدينة
 الفجور واللهو . ؟
 طوفان تتراكم أمواجه العالية في
 داخل النفس وأشباح تطارد عقلى الذى
 توقف عن التمييز والفكر ! ؟
 وأخيرا ترتفع الطائرة . . . وتهدر
 محركاتها القوية مزجرة . . . لقد تصورتها
 تصرخ في وجه عوامل السقوط المثبطة . .
 وتقاتل أشباح الفساد في هذه المدينة
 الضائعة ! !

فهرس العدد

الصفحة

- ١ - الإسلام والغرب
فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / عبد الحليم محمود
٥٢٢ - ٥١٧
- ٢ - فضل البعثة المحمدية
العلامة أبو الحسن الندوى
٥٣٢ - ٥٢٣
- ٣ - فى مرآة المستشرقين
الدكتور عبد الجليل شلبى
٥٣٧ - ٥٣٣
- ٤ - الإسلام والمدنية الحديثة
العلامة أبو الأعلى المودودى
٥٤٨ - ٥٣٨
- ٥ - الشورى أصل من أصول الحكم
الأستاذ أحمد حسين
٥٥٣ - ٥٤٩
- ٦ - حول تقسيط القضية الفلسطينية بالقوات
فضيلة الشيخ على البولاقي
٥٦٧ - ٥٥٤
- ٧ - دراسة قرآنية التحريم بالرضاعة ومق يكون
فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير
٥٧٧ - ٥٦٨
- ٨ - من أخلاق الإسلام
فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى
٥٨٨ - ٥٧٨
- ٩ - فى مواجهة الإلحاد المعاصر
الدكتور يحيى هاشم
٥٩٥ - ٥٨٩
- ١٠ - بلاغة الإسلوب النبوى
فضيلة الشيخ منشاوى عبود
٥٩٩ - ٥٩٦
- ١١ - بناء الاقتصاد فى الإسلام
فضيلة الشيخ زيدان أبو المكارم
٦١٠ - ٦٠٠
- ١٢ - الوقائع والأحداث فى شعر حسان بن ثابت
الأستاذ / السيد حسن قرون
٦٢٥ - ٦١١

- ١٣ - القرآن والأحرف السبعة
الدكتور / رؤوف شلبي
٦٢٦ - ٦٣٢
- ١٤ - نظام الحكم في الإسلام
الأستاذ / زاهر عزب الزغبى
٦٣٣ - ٦٤٢
- ١٥ - حقيقة الإيمان
الأستاذ / موسى محمد على
٦٤٣ - ٦٤٩
- ١٦ ؟ الأزهر جامعا وجامعة
الأستاذ / محمد كمال السيد
٦٥٠ - ٦٥٨
- ١٧ - نظرات حول الترادف اللغوى
الدكتور توفيق محمد شاهين
٦٥٩ - ٦٦٥
- ١٨ - القضاء المستعجل
التحرير
٦٦٦ - ٦٧٥
- ١٩ - حول التفاهم الإسلامى المسيحى
فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود
٦٧٦ - ٦٧٩
- ٢٠ - الفتاوى
الأستاذ / عبد الحمید شاهين
٦٨٠ - ٦٨٣
- ٢١ - كتاب الشهر (الناس والخطر)
للدكتور / عبد الودود شلبي
٦٨٥ - ٧١١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مسلة
٢٢٢٢

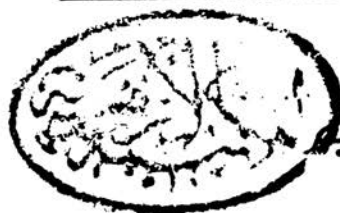
العتوان
إدارة الازهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٩١٤ } ت
٩٠٥٥٠٦

مَجَلَّةُ الْإِزْهَرِ

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عزف

مدير التحرير
والإدارة
الركن
عبد الوود عيسى

الجزء الرابع - السنة الخمسون - شعبان ١٣٩٨ هـ - يوليو ١٩٧٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأحوال الشخصية ومجلس الشعب

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر
الدكتور عبد الحليم محمود

بديلا ، وبعضهم يأخذ في محاولة
الالتواء بالنص ليُقرَّبَهُ مما يجرى العملُ
به في الغرب ، أو ليقرَّبَهُ من أهوائه
التي ينحرف بها تلبية لرغبة منحرفة أو
لهوى جامع .

ولكنك إذا سألت الجميع فإنهم
يقولون لك : نحن مع الوحي ومع الرأي

« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً،
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . »

من آن لآخر يثار في المجتمع الإسلامي
قانون الأحوال الشخصية . . ويختلف
الكتاب تبعا لأهوائهم : فبعضهم
يستجيب للنص القرآني لا يريد به

الإسلامي . ولا يمكنهم أن يقولوا غير ذلك ، حتى لا يثيروا الرأي العام عليهم . وأحب أن أقول :

إن النتيجة الحتمية التي ينتهي إليها كل باحث مخلص .. ينتهي إليها تاريخياً ، وينتهي إليها إسلامياً : أمران بدهيان ، وهما من البدهاة بحيث لا يمارى فيهما من كان في قلبه حبة خردل من إيمان .

أما أولهما : فإن الطلاق بيد الرجل .. يوقعه حينما يشاء لحكمة يراها لا قيد عليه في ذلك ولا تحديد ، ذلك هو الأمر الذي سار عليه التشريع الإسلامي منذ أن نشأ للتشريع الإسلامي . وهو الأمر الذي يلجأ إليه الغرب الآن .. حتى في إيطاليا نفسها .

فإذا كان الغرب قد أخذ بمبدأ الطلاق وبالتالي في التقرب إلى الإسلام فهل نحاول نحن الابتعاد عن الإسلام للتقرب من الغرب القديم ، في الوقت الذي يتخلى فيه الغرب عن مبادئه القديمة ؟

إنك مهما حاولت - حتى ولو متعسفاً - فلن تجد مناصاً من القول بأن الطلاق بيد الرجل يوقعه متى شاء حسب حكمة يراها . على أنه من المباح الجائز أن تشترط المرأة عند العقد أن يكون لها حق تطليق نفسها إذا

أضبرت ، فيكون الطلاق بيدها توقعه حينما ترى أن مصلحتها تقتضي ذلك . وعن الطلاق يقول المستشرق الفرنسي « أتين دينيه » :

« وهل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا لبعضهما صبراً وقد خاب ظنهما في الزواج ، ولم يدركا السعادة التي طلباها من وراء ذلك ، .. هل أشد من الحكم عليهما بأن يُخلَّدَا يقضيان بقية أيامهما في عذاب ونكد وشقاء ؟

كذلك إذا كان أحدهما عاقراً ؟ أو كان غير كفء لزميله ؟ هل يحرم الآخر من أن يبني لنفسه بآخر ، وأن يقيم له عائلة من جديد ؟ هذا ما يقوله مستشرق غربي . ويقول الله تعالى :

« الطلاق مرتان : فإمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان »

* * *

أما عن تعدد الزوجات فإنه من الواضح أن الإسلام يبيحه : ذلك واضح نصاً ، وذلك واضح من الوجهة التاريخية ، وإن ذلك أيضاً بدهي ومهما حاول ذوو الأهواء فإنه لا يمكن للدارس إلا أن يقول :

إن التعدد مباح في الإسلام ، فعله الخلفاء الراشدون ، وفعله الصحابة

والقانون لا يتساهل ، وذهبت الشرطة وضبطوه متلبساً بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق وقالوا له : هل تزوجت امرأة أخرى ؟ فقال .. كلا . .

ف قيل له : ولكنك كنت عندها .
قال : نعم .
وتنفق عليها ؟ قال : نعم .

قالوا : وقد استأجرت لها هذا المسكن ؟
قال : نعم .

قالوا : وتبيت عندها ؟
قال : وأبيت عندها .

قالوا : ماذا تكون إذن ؟
قال : إنها عشيقة .

فقالوا له : اذهب لا ملام عليك لا لوم عليك . !!!

حرّموها زوجة بالفعل والتحقيق ،
تحقيق البوليس ، وأباحوها عشيقة
ونخدينة .

٢ - ويأتى أيضاً فيما يتعلق بالتعدد أن « أتيين دينيه » مستشرق فرنسي كان قد ذهب إلى الجزائر ، في عهد الفرنسيين وهو فرنسي ، وأقام في الجزائر في بلدة اسمها « بوسعادة » استراح إلى الجو ، واستراح إلى الناس واستراح إلى الخلق ، وكلّها أغرته :

كبارهم وصغارهم ، وفعله التابعون ، وتابعو التابعين ، قرناً بعد قرن .

والقرآن الكريم ينص عليه ، والأحاديث الشريفة تدل عليه ، ثم إن الوضع الاجتماعي يوجب . . وربما يدهش بعض الناس لقولنا : إن الوضع الاجتماعي « يوجب » ونحن في ذلك نورد أموراً :

١ - في أحد الأقطار منع زعيم القطر تعدد الزوجات : وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره ، هذه الحادثة تتلخص في أن شخصاً من الأشخاص متزوج ، وعنده أولاد من زوجته ، ثم أصبحت زوجته هذه في وضع غير صالح من الناحية الجنسية ، فكان هو بين أمرين :

إما أن يزني ، وإما أن يتزوج .. ولكن التعدد ممنوع ، فماذا يصنع ؟

إن امرأته الأولى ليست مسئولة عما حدث لها ، هذا قضاء الله بالنسبة لها ، فما ذنبها لتطلق ؟ ولم يطلقها ؟

إنها لم تسيء إليه ، لم يطلق ، وإنما ذهب وعقد عقداً شرعياً على امرأة وتزوجها بحسب الشرع ، وأسكنها في مسكن ، وكان يذهب إليها ويبيت عندها .. وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى

الجو ، الطبيعة ، الصجراء ، الناس :
كلها أغرته بأن يقيم في الجزائر فأقام .
أقام في عهدين : عهد كان
فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم
التعدد ، أو الإقلال من التعدد .
فلاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها
باللغة الفرنسية في أحد الكتب .
كتب يقول :

حينما منع التعدد والطلاق ، وجدت
ظواهر لم تكن موجودة ، أيام إباحة
التعدد والطلاق .

ما هي هذه الظواهر ؟ هذه الظواهر
التي وجدت عندما منع التعدد ؟
أولاً : كثرة العوانس ، هذا أمر .
الأمر الثاني : كثرة اللقطاء .
الأمر الثالث : كثرة الأمراض
السرية .

هذه المسائل الثلاث ، حدثت بعد
أن منع التعدد ، وبعد أن منع
الطلاق ، وليس معنى إباحة التعدد
أنه مفروض ، وليس معنى ذلك أنه
لا بد من التعدد .

كلا ، وأنتم تعلمون أنه مع
إباحة التعدد الآن في القاهرة فإنه
لا يزيد عن نصف في الألف ، إن
هذا النصف في الألف من الناس
فقط هو الذي يعدد الزوجات ، إنه

يعدد الزوجات إلى اثنتين . .
أما الثلاث والأربع فلا وجود لها . .
وهكذا الأمر ، نغني : يكاد يكون
التعدد - مع إباحته - معدوماً .

ولكن من الوجهة النظرية وفي حالات
الندرة ، وفي حالات الحاجة لو فرضنا
أن شخصاً من الأشخاص ، إما
أن يتزوج ، وإما أن ينحرف يباح
له الزواج .

هذا رأى الكاتب الفرنسي الذي
يقول ، ويشاهد ، بالتعداد وبالتجربة
ما حدث ، وما كان . .

ثم ماذا : ألم يتزوج الخلفاء
الأربعة كل منهم بأكثر من واحدة ؟
والحسن ؟ والحسين ؟ وعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنهم ؟ وكلهم : مثني
وثلاث ورباع ؟

* * *

وبعد فإن مما يشبه اليقين عندنا :
أن لا ينساق مجلس الشعب وراء
أهواء تنحرف بالإسلام : إنه لا قيود
على الطلاق إلا من ضمير المسلم . .
ولا قيود على التعدد إلا من ضمير المسلم .
« وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

شيخ الأزهر
عبد الحليم محمود

التصور الإسلامي لنظام الحكم

حوار بين العلامة المودودي .. وإذاعة باكستان

مندوب إذاعة باكستان :

سماحة الأستاذ الكبير مولانا سيد
أبو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية .

من اللحظات السعيدة لإذاعة
باكستان أن يحضركم مندوبها ،
ويوجه إليكم بعض الأسئلة ، ولا يخفى
على سماحتكم أن دولة باكستان تريد
الاعتصام بحبل الله بعد أن عاشت
ثلاثين سنة في ظروف الانحراف . ومن
فضل الله علينا أنه لا يختلف اثنان
اليوم في جعل باكستان دولة إسلامية .

سماحة الأستاذ : هناك أكثر من واحد
من الرواد والقادة ولكننا لا نزال نعانى
الاضطراب والتشويش من عدم
الاهتداء إلى ما هو الحق ، وصرنا
في وضع يتمثل جيداً في قول الشاعر
الأردى ما معناه بالعربية : أمشى
مع كل من يسير في الدرب خطوات
قليلة . ولا أزال أجهل من هو الرائد .
نحن اليوم في حاجة ملحة إلى

التوجيهات التي جاء بها النبي صلى الله
عليه وسلم حتى نسير في الطريق المستقيم
ويصلح بذلك دنيانا وديننا .

صاحب السماحة : أول ما نرجوه
منكم هو أن تبيينوا لنا الأسلوب الذي
اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام
للحكم . وثانياً : كيف يمكن لنا
اتباع هذا الأسلوب في العصر الحاضر .
ولعرفة محاسن دولة راقية أو عيوبها
في العصر الحاضر تؤخذ الأمور
الأربعة بالاستعراض :

١ - من هو مصدر السلطة العليا
في الدولة .

٢ - ما هو مدى حرية القضاء
ونزاهته فيها .

٣ - ما هي نوعية السلطة التشريعية
وحُدودها ونطاقها .

٤ - ما هي حدود السلطة التنفيذية
واختصاصاتها وخصائصها .

ومن هذا المنطلق نتوجه إليكم

عليه وسلم في أذهان البشر ودعا الناس إلى الإيمان به هو : أن الملك لله تعالى ، والحكم له أيضاً . ولا يجوز لأحد أن يشرع للناس قانونهم .

والأمر الثاني الذي له أهمية أساسية في الدين أيضاً هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح للناس أن الله سبحانه وتعالى لا يؤتي قانونه للناس مباشرة . وإنما يؤتيه لهم بواسطة أنبيائه ورسله . والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حاكماً ولا منتخباً ولم يصطنع حكمه من تلقاء نفسه ، بل الله سبحانه وتعالى أعطاه هذا المنصب ، وأمره بأن يعلم الناس ، ويزكيهم ، ويصلح أذهانهم وأفكارهم ويقوم أخلاقهم ، ويبلغهم رسالات الله وأحكامه . ويطبقها بالذين يؤمنون بها ويطيعونها ابتغاء مرضات الله .

والأمر الثالث الذي دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به هو الآخرة . فالإنسان إذا لم يؤمن بكونه مسؤولاً أمام الله . وبأنه يبعث بعد موته ، ويقوم أمام الله ، ويحاسب على كل عمل من أعماله لا يمكنه أن يسير في طريق الإسلام . كما لا يمكنه أن يصبح إنساناً حقيقياً .

برجاء حار أن تلقوا الأضواء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . حيث نحن وراء البحث عن كنوز تجعلنا نعيش وفق أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه : نعيش وفقها اليوم ، وغدا ، بل أبداً دائماً .

الأستاذ المودودي : يسرني كثيراً أنكم أتحم لي هذه الفرصة لأبين للمسلمين في بلدي بصفة عامة ، ولحكامه بصفة خاصة أن نظام الحكم الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم ماذا كان شكله وأساسه .

إن الأمر الأساسي الذي عرضه الرسول عليه الصلاة والتسليم هو : أن السلطة العليا المطلقة ليست إلا لله سبحانه وتعالى . فالأرض أرض الله . وكل ما نعيش عليه من ماء وهواء وضوء وما إلى ذلك هو ملك لله سبحانه وتعالى . هذا الجسم الذي نعيش به ، والقوى الكامنة فيه ، وأعضاؤه ، وجوارحه هو الذي وهبنا إياها . ولا يحق لنا ابتداء أن ندعى لأنفسنا السلطة المطلقة ، أو نعترف بها لأحد يدعيها من دون الله . سواء أكان ذلك المدعي شخصاً أو حزباً أو فئة أو مؤسسة .

فأول شيء عمّقه النبي صلى الله

يقام فى تلك القرية ذلك النظام للحياة الذى آمنت به الأمة ديناً وشرعة .. وعلى ذلك فقد قامت الحكومة الإسلامية فى المدينة المنورة فى ذلك اليوم الذى نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة .

وأول ما قامت به الحكومة الإسلامية هو العناية بنشر العلم والوعى بين الناس . لأن الإسلام هو العلم لا الجهل . واستفد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جهودهم فى أن يعرف الناس دينهم ، ويؤمنوا به على وعى وبصيرة . وبقدر ما انتشر الوعى ، وأصبح الناس يعتنقون الإسلام ازدادت قوة الإسلام وتوطدت دعائمه .

والأمر الثانى الذى حققه الرسول عليه الصلاة والسلام هو أنه زكّى نفوس الناس ، وأقام اعوجاجهم وأنشأ مجتمعاً يقوم كل شئ فيه على أساس الأخلاق المستقيمة . إذ أن أى نظام للحكم مهما كان يبلغ من السموقمته ، ومهما كانت قوانينه تبلغ من الصلاح أوجها .. إذا كان بناؤه لا يقوم على قاعدة من الخلق التزيه ، وإذا كان القائمون به لم يكونوا من أصحاب السيرة المستقيمة والسلوك النظيف ، وإذا كان المجتمع

إن هذه الأمور الأساسية الثلاثة ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إليها ، ويعرضها على الناس فى مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة متتالية فالذين آمنوا به ورضوا بتلك العقائد جعل منهم أمة واحدة ونظمهم فى جماعة واحدة .

وفى السنوات الثلاثة الأخيرة من عهده صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة آمن به جماعة قليلة من أهل يثرب وهم دعوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يهجر إليهم ويهجر معه أصحابه . وصدقت السيدة عائشة رضى الله عنها حينما قالت : « إن المدينة فتحت بالقرآن » إذ لم يكن هناك سيف أو قوة قاهرة أرغمت أهل المدينة على الإسلام . بل لما بلغهم القرآن وعلموا بما أنزل فى مكة من سور القرآن آمنوا بها إيماناً صادقاً . ولم يكتفوا بذلك ، بل دعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الهجرة إلى قريتهم (يثرب) الصغيرة . ولم تكن لهم هذه الدعوة دعوة اللجوء إلى هذه القرية بل كانت لأجل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لهم معلماً ، ومربياً ، وحاكماً ، وأن يكون المهاجرون والأَنْصار أمة إسلامية واحدة ، وأن

والأصبح من كان يشربها وبلغه النبي يصرفها عن فمه ، ولا تجدون ولا مثالا واحداً في جميع تاريخ البشرية لهذا النوع من الالتزام والاتباع . وما يوم أميركا ببعيد . إنها صرفت آلاف الملايين من الأموال لإقناع الناس بأضرار الخمر ومساويه . وقد جندت كافة الوسائل الإعلامية لشرح النتائج السيئة للإدمان . وأدخل على الدستور الأمريكي بعد تأييد الرأي العام تعديل منع بموجبه الخمر في أميركا . ولكن اليوم التالى لصدور قانون منع الخمر بدأت ظواهر المخالفة القانونية في طول البلد وعرضه . صار الناس يشربون الأنواع الرديئة من الخمر . وقد بلغ الأمر إلى حد أن الشارع الأمريكي اضطر لإلغاء قانون منع الخمر . ولكم الآن أن تقارنوا بين المثالين : مثال يبرهن على أنه ما إن صدر حكم تحريم الخمر إلا وأقبل الناس على تطبيقه إيماناً واحتساباً . ومثال يوضح أنه يقرر قانون منع الخمر معزراً بالتأييد الشعبي ، بعد تمهيد الجوبد للعداوة على أوسع النطاق . ولكن صدور القانون يقرن بمخالفة بدون ما تأخير . وهذا دليل واضح على أن نظام الحكم الصالح أساسه الإيمان والتقوى ،

الذى يخاطبه لم يكن مجتمعاً يؤمن بالله ويخافه لن يدوم ذلك النظام للحكم أبداً . ولذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مع تكريسه الجهود في الدعوة إلى الإيمان بالله ونشر العلم ركز عنايته على ترقية النفوس وتحسين الأخلاق . وكان من مقتضى طبيعة نظام الحكم الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون أخلاق الناس تسير طبيعته وتنسجم معه . ولذلك لم يفتقر النبي صلى الله عليه وسلم إلى استخدام القوة لتنفيذ الأحكام والقوانين في أغلب الأحيان ، ولم يحتاج إلى إرغام الناس على الطاعة قسراً . وإنما كان يكفيه أن يقول للناس : إن الله أمركم بالأمر الفلانى ونهاكم عن الأمر الفلانى وإذا بالناس يأتون بما أمروا وينتهون عما نهوا عنه عن طوعية أنفسهم . ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم من شرطة أو سجن أو شبكة للمخابرات ، وما كان يدور بخلد أحد أن يبلغ الناس شئ من الرسول للعمل به فيخالفوه .

خذوا مثالا على ذلك حكم تحريم الخمر : عندما أعلن في المدينة حكم التحريم أصبح الناس يريقون الخمر ويكسرون أوانيها ويمتنعون من تناولها .

متسع فى مناقشته . أما الذى لم ينزل فيه أمر من السماء فكان يستشير فيه أصحابه ، وكان يعطى لهم الحق فى الاختلاف معه . وحدث أكثر من

مرة أنه صلى الله عليه وسلم تخلى عن رأيه إلى رأى أصحابه والمثال على ذلك ما حدث فى غزوة بدر حيث أنه صلى الله عليه وسلم اختار مكاناً للنزول فقام أحد أصحابه الحباب بن المنذر يسأل : يا رسول الله أرايت هذا المنزل ، أمتزلاً أنزله الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو رأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو رأى والحرب والمكيدة فقال :

يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فأنزله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه .

يمكنكم أن تفهموا من خلال ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يروض الناس على أمرين : أحدهما : كل أمر ينزل من الله يطيعوه إطاعة مطلقة بدون تلكؤ . وثانيهما : الأمر الذى لم ينزل

وبانعدام هذين الأمرين مهما وضعنا أحسن الدساتير وأفضل القوانين لا يعدو حبراً على الورق ولا ينال طريقه إلى التنفيذ فى الأرض .

مندوب إذاعة باكستان : الحصائص الأربعة للنظام الديمقراطى الغربى اليوم الذى أشرت إليه فى البداية هل كان الحكم الإسلامى أيام النبى صلى الله عليه وسلم يتسم بتلك الحصائص ؟ وإذا كان فبأى شكل ؟

سماحة الأستاذ : فيما يتعلق بالسلطة العليا سبق أن قلت أن تلك السلطة ليست إلا الله سبحانه وتعالى كما علمنا ذلك النبى صلى الله عليه وسلم . وأما تصنيف الحكومة إلى ثلاث سلطات : التنفيذية والتشريعية والقضائية فهذا التصنيف لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فهو صلى الله عليه وسلم كان شارعاً وكان قاضياً وكان حاكماً .. فكل السلطات كانت مجمعة فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم بحيث كونه نبياً مأموراً من الله .

ولكن كان من دأب الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر الذى كان يأتيه من الله عز وجل كان يطالب الناس باتباعه اتباعاً كلياً . ولم يكن هناك

فيه حكم من الله يُستشار فيه أصحاب الرأى والبصيرة ويتاح لهم حق مناقشته، واستبانة ما فيه جوانب الحسن أو القبح، ويتاح لهم حتى الاختلاف معه في بعض آرائه ، وعرض رأى آخر عليه ثم الأخذ بالرأى الذى يقرّر بعد المشاورة .

ولكم مثال آخر من هذا القبيل :
عندما اكفهرت الظروف واشتدّ البلاء فى غزوة الأحزاب أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعقد الصلح مع بعض القبائل من اليهود : أعداء الإسلام على ثلث ثمار المدينة ، لأجل فصلها من تكتل المشركين . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله : أمراً نحب ونصنعه ؟ أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا (قال : بل شئاً أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، جاءوا لكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكمهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم

على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى (ضيافة) أو يبعأ . أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذلك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحما ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا . ويمكنكم أن تعرفوا مما ذكرت أنفا أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم للحكم حيث أن الأمور التى كان الله ينزل فيها حكمه لم يكن فيها ما نصطلح عليه اليوم بالديمقراطية . والأمور التى لم يكن فيها حكم الله كانت تتسم بروح التشاور (روح الديمقراطية بدون تشبيه) .

ونأخذ الآن موضوع السلطة القضائية : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قاضياً حيث قال الله عز وجل «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» . وعلى هذا كانت السلطة القضائية بيد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أسلوبه فى القضاء وتسوية النزاعات أنه صلى الله عليه

وسلم كان يحرص على أن لا يتحقق العدل الكامل فقط بل أن يلمس الناس بوضوح ذلك العدل الإسلامى . فكل القضايا كانت تطرح فى المحكمة العلنية . ولا نجد 'ولامثالا واحداً للمحاكمة السرية . من المشهور أن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مشركى مكة قبيل الفتح أخبرهم باعترام المسلمين بالهجوم عليهم فعرّض على هذا الكتاب . وكان هذا الأمر بمثابة التجسس لحساب العدو والحيانة مع الحكومة . ولو سألنا اليوم آراء الناس لقالوا : أن هذا النوع من القضايا لا بد أن يحاكم فيها فى المحكمة السرية إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقام المحكمة فى المسجد علناً ، وسمع إلى الأدلاء وقضى ما شاء الله أن يقضى . وكانت القاعدة الثانية من قواعد القضاء النبوى أن لا يقضى فى أمر إلا بعد أن يستمع إلى ما عند الخصمين ، وأن لا يحرم أحد من حق من الحقوق الأساسية إلا بعد إتاحتها للدفاع عن نفسه بكل حرية . وأن القضاة الذين عينهم النبى صلى الله عليه وسلم خارج المدينة كان ينصحهم بأن لا يقضوا فى خصومة بدون أن

يسمعوا إلى ما عند أطراف الخصومة . وقد أغلق النبى صلى الله عليه وسلم باب الشفاعة بكل شدة فيما يرجع إلى القضاء . وحدث بعد فتح مكة أن أن سرق امرأة من قريش : تقول عائشة رضى الله عنها : أن قريش أهمهم شأن المخزومية التى سرق . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامة فقال : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ » ثم قام فخطب ، فقال : يا أيها الناس إنما هلك الذين قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . وهكذا فقد سد النبى صلى الله عليه وسلم باب الشفاعة فى الحدود .. بل لقد وضع قاعدة شاملة جعل بموجبها كل الناس سواسية فى القانون ، ومنع الناس من تضليل القاضى والحصول على الحكم لهم بهذه الطريقة . قال صلى الله عليه وسلم : إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلىّ فلفل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مشرعاً مستقلاً ، بل الله سبحانه وتعالى هو المشرع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شارحاً لقانونه بتكليف منه عز وجل . فالذى نسميه القانون الإسلامى هو ما فى كتاب الله ، وأما السنة فهى ما يحتوى عليه كتب الحديث .

والأسلوب الذى اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لتنفيذ القانون كان يشتمل على ما يلى من المبادئ الرئيسية :

- ١ - ادعوا الحدود بالشبهات .
- ٢ - أن الأمام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة .
- ٣ - أن يقضى الناس فى الخصومات بالتراضى بينهم ولهم أن يعفوا عن أحد إذا أرادوا أو أن يستروا أحداً . وكل ذلك قبل أن يبلغ الأمر القاضى . فإذا بلغ القاضى فلا عفو ولا ستر ، فالقاضى يقضى فيه بما يراه من الحق .
- ٤ - ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم بكل شدة من بذل أية محاولة فى التأثير على القاضى . وأمر القاضى بأن يقضى فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله وبما يراه من الحق .

٥ - وقال صلى الله عليه وسلم :

فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها . ونلقى الآن الأضواء على السلطة التشريعية فإن الدين الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان القانون فيه لله سبحانه وتعالى كمبدأ أساس . وكذلك كان حق التشريع فيه لله تعالى ولذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فيه مشرعاً مستقلاً . إنما كان منفذاً لقانون الله ، وشارحاً له ومربياً للناس على تنفيذه بالعدل والقسط . فبين للناس أولاً ما هو قانون الله ثم شرح ذلك ؟ القانون فيما نجده فى سنته صلى الله عليه وسلم . فثلاً ورد فى القرآن حكم السرقة حيث قيل : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . « وهذا حكم موجز كل الإيجاز مجمل كل الإجمال ولكننا نجد فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كيف نطبق هذا الحكم ، ومتى نطبقه ومتى لا نطبقه . وما هى السرقة ، وما هى ليست بسرقة وما هو نصابها الذى بموجبه يطبق هذا الحكم ، وما هى الأموال التى تدخل فى حكم السرقة والتى لا تدخل فى حكمها . ولولا التفصيل الذى جاء فى السنة لما استطعنا أن نطبق حكم السرقة بصورة صحيحة . ويتضح من

القضاة ثلاثة : واحد فى اللجنة واثنان فى النار . فأما الذى فى اللجنة فرجل عرف الحق ففضى به ورجل عرف الحكم فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس عن جهل فهو فى النار .

وهناك أمور أخرى يجب أن تفهموها جيداً : لا نستطيع أن تفهم جيداً ما كان عليه عهد النبى صلى الله عليه وسلم من شؤون الحكم إذا جعلنا النظريات السياسية المعاصرة مقياساً لفهمها . فالدولة فى العصر الحاضر تتكون من ثلاث شعب : التنفيذية والقضائية والتشريعية ، والقانون الأساسى للدولة تقرر ما لكل شعبة منها من الحدود والاختصاصات . هذا فى العصر الحاضر أما ما كان عليه عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهو أن المدينة المنورة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم كان فيها لكل دار من دور القوم حيطان منفصلة كانت تشتمل على أراضيهم وحدائقهم وبيوتهم وسقائفهم التى كانت يجتمعون تحتها عند المهام . وكان يسودهم النظام القبلى . وكل قبيلة منهم كانت تتولى شئونهم . ولما أسلم نفر من أهل المدينة فى بيعة العقبة فى مكة طلبوا منه صلى الله

عليه وسلم أن يعين لهم النقباء فعين النبى صلى الله عليه وسلم لهم اثنى عشر نقيباً ممن كانوا أكثرهم صلاحاً ونفوذاً وثقة عند القوم . وكان من مسؤولية كل نقيب منهم أن يستعين بمن فى قبيلته من وجهاء وأشراف فيهم العلاج والنجاة يستعين بهم فى نشر الإسلام وإصلاح الأخلاق وتسوية المعاملات . والذى آمن من أشراف القبائل ورؤسائها جعله النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً سيد قومه وشيخ قبيلته . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أقر بنفس النظام . وكل ما كان هناك من فرق هو أن الأشراف المسلمين من المدينة حلوا مناصب الرئاسة محل الأشراف المشركين . وهذا التغير لم يحدث بالانتخاب أو التصويت .

ولما كان ذلك من طبيعة الانقلاب الإسلامى أن يبتعد الأشراف المشركون ويتقدم الأشراف المسلمون فى كل مجال من مجالات الحياة . ولتسيير شؤون المدينة كان النبى صلى الله عليه وسلم يستشير أصحاب رأى من المهاجرين والأنصار . وهذا الوضع لا يشبه النظام التشريعى أو البرلمانى فى العصر الحاضر ، والذين كانوا من ذوى النفوذ

والرأى والأمانة من المسلمين سواء أكانوا من المهاجرين أو الأنصار كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم كلما أهداه الأمر أو مسته الحاجة . وهؤلاء لم يكونوا منتخبين من كل العوام . ولم يكن هناك من انتخاب حسب المصطلح الحديث . إلا أنهم كانوا على قدر من المعرفة والبصيرة والنفوذ عند العوام حيث لو أجرى لهم الانتخاب على الطريقة الحديثة لكانوا هم الناجحون بكل تأكيد . ثم لم يكن من الضروري أن يدعى كل واحد منهم عند كل ملمة أو معاملة . بل كلما كان الأمر يتطلب إلى التشاور استشير من كان حاضراً في المدينة . وكان يكفي حتى عند أهم القضايا وأخطر المسائل أن ينادى مناد حضور الناس في المسجد النبوي .

كانوا يخرجون إلى الجهاد متطوعين عندما يدعوهم الداعي فكذلك عين النبي صلى الله عليه وسلم قضاة في مختلف الأقطار وكانوا في حرية تامة في شؤون القضاء حيث لم يكن لعامل أو وال أن يتدخل في شؤنه . وكذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه على تعليم الناس دينهم . ولم تكن الغاية من التعليم تعليمهم القراءة والكتابة . بل كان مراده أن يتلو المعلم للناس القرآن ، ويلقنهم معانيه ويبين لهم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان التعليم في أغلب الأحيان شفاهياً . وكذلك المعلمون كانوا يتولون تربية الناس خلقياً وفكرياً بنفس الأسلوب الذي كانوا تعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم . فمثلاً بعد فتح مكة جعل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد والياً وجعل معاذ بن جبل معلماً فيها .

ولما اتسعت دائرة الدولة الإسلامية خارج المدينة عين النبي صلى الله عليه وسلم ولاية وعمالا في مختلف المناطق . وهم الذين كانوا حكاماً يتولون الشؤون الإدارية ، وكانوا قادة يتولون شؤون الجند . ولم يكن في ذلك العهد جيش نظامي كجيشنا بل عامة المسلمين

أما جباية أموال الزكاة فعين النبي صلى الله عليه وسلم محصلين في بعض النواح . وأمر رؤساء القبائل جباية أموال الزكاة في النواح الأخرى . والأقطار التي استسلمت للدولة الإسلامية على الخراج لم يكن فيها من يجبي أموال الخراج . ولما فتحت خيبر وتصلح

يهود خبير مع النبي صلى الله عليه وسلم على نصف زروعها كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث أحداً من أصحابه أيام الحصاد وكان يجعل كل الزروع نصفين . وكان يخبرهم أن يأخذوا أيهما أرادوا .. وجاء في كتب التاريخ أن المسلمين لما أخذوا منهم الخراج على هذه الطريقة قال اليهود : على هذا العدل تقوم السماوات والأرض .

هذه هي الصورة الموجزة لنظام الحكم النبوى .

فى الإخلاص والنية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يغزو جيش الكعبة . فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم . قالت (أى عائشة أم المؤمنين) قلت : يا رسول الله : كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ، ومن ليس منهم . قال : يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم » .

حيرة الشباب المسلم .. أسبابها وعلاجها

العلامة أبو الحسن الندوي

ما يعيشونه ، وبين ما يلقونه تلقيناً وبين ما يطلبه منهم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم ومنوا به هو السر في هذه الحيرة ، هذه الحيرة المردية ، هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم ولد في بيت إسلامي في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادئ الإسلام ، وقرأ التاريخ الإسلامي — إذا أكرمه الله بذلك وتست له هذه الفرصة الكريمة — وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سبق — ومعدرتني إلى اختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال في سن مبكرة وليس له خيار — إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة — الذين يحلهم ، لأنهم أصحاب اختصاص وأصحاب دعامة في كثير من العلوم — كل ما ينقض ما أبرمته البيئة

السؤال الأول : أستاذنا ، العالم الإسلامي بأسره اليوم يعيش حيرة مردية ، عقيدة وتصوراً وسلوكاً ، وأبرز ما تكون هذه الحيرة في الشباب المسلم في بلادنا خاصة ، فريد أن نعرف أولاً : ما هي الأسباب التي خلقت هذه الحيرة أو ساعدت على وجودها^(١) ؟

إن من أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم بصفة خاصة وشباب العالم بصفة عامة ، هو التناقض في التوجيه والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثوه وبين

(١) هذا الحديث مقتبس من ندوة علمية انعقدت في عمان في عام ١٩٧٣ ، حضرها نخبة من الأساتذة الكبار والمثقفين وفضلاء النبلاء ، وأدارها الأستاذ محمد إبراهيم شقرة بلباقة ومقدرة ، وكان من ضمن الأسئلة هذا السؤال الخطير . وقد سجل هذا الحوار شيخنا الندوي بقلمه في كتاب « من نهر كابل إلى نهر اليرموك » .

وقبل أن يتلوا شيئاً من القرآن ، فأول ما يقع عليه نظرهم صورة عارية لفتاة ، وعناوين مثيرة للغرائز أو مقالات مثيرة للشكوك مزعجة للإيمان والثقة ، فيتلقون هذا في رغبة ونهامة ، وفي شوق واستجابة ، إنه يقع في أيديهم كتب علمية لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة صادرة من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم فيرون ما يشككهم في الدين يشككهم في التاريخ الإسلامي ، يشككهم في مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى في مصادر اللغة والأدب الأولى ، ويشككهم في صلاحية هذه الأمة ، وفي خلود الرسالة التي يحملونها ، يشككهم في صلاحية اللغة العربية ، فيتلقون هذا المزيج العجيب ، وهذه الحميرة العجيبة ، من أفكار ومبادئ وإغراءات ومن نظريات علمية ، ويقعون من كل ذلك في حيرة لا تعدلها حيرة ، فخلق بكل هذا أن يوقع الإنسان - وإن كان ناضج الفكرة ، مختمر العقل حصيف الرأي - في حيرة ، فكيف بالشباب الغض الناعم ، وكيف بهذه البراعم الناعمة التي لم تنفتح بعد ، كيف يرحى منهم أن يقفوا أمام التيارات المتصارعة .

إن مثل ذلك - أيها الإخوان للسادة -

وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية ، يسمع ويرى ما ينفي كل ذلك أو ما يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب وصراع فكري عنيف ، وهذا الصراع الفكري يدوم معه إلى أن يشاء الله ، أو تحدث معجزة ، إنها معجزة حقاً في هذه البيئة التي نعيش فيها ، صراع من أدق أنواع الصراع ومن أصعب أنواعه ، الصراع بين القوى المتعارضة . إنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساعة القتال قصيرة وإن طالت ، ولكن هذا الصراع يعالجه دائماً ، إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، هذا الصراع المرير الهائل العميق يتلقى من مؤسسة «الإعلام» ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التلفزيون الذي جاء حديثاً ، يسمعون إذاعات وأحاديث وبرامج تقضى على البقية الباقية من آثار التربية القديمة وتحدث فيهم ثورة فكرية وقلقاً نفسياً ، والصحافة التي هي «صاحبة الجلالة» في نظر كثير من الناس تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف ، قبل أن يكسر الصفر على تعبير إخواننا السوريين ،

على ذلك : « إننى أعتقد أن أول خطوة نخطوها نحو إنقاذ الشباب من هذه الحيرة المردية هى توحيد نظام التعليم ، ولستم فى حاجة إلى شرح هذه النقطة ، إن المعسكر التعليمى موزع بين قسمين ، المعسكر الدينى ، والمعسكر اللادينى ، أو العلمانى ، أو المعسكر القديم ، والمعسكر الجديد ، وهذه الثنوية أو الازدواجية فى التعليم هى السبب الأكبر فى خلق هذه الحيرة التى يعيشها الشباب ، فأول خطوة نخطوها نحو الغاية الصحيحة لإزالة هذه الحيرة ، هى تنسيق غايات التعليم ومواد التعليم ، لا أعنى بالتنسيق بين تعليم قطر وبين تعليم قطر آخر ، إنما أعنى به التنسيق فى تعليم القطر ، فهناك كما قلت تناقض فى المواد الدراسية ، فالذى يبنيه تعليم يهدمه تعليم آخر ، والعلوم التى لم تكن لها صلة بالعقائد أصبح لها اتصال بالعقائد ، وما أصبح التعليم مجرداً ، إن الاعتقاد بأن من التعليم ما هو محايد وما هو نزيه كل النزاهة ، وما هو بعيد كل البعد عن التأثير فى العقيدة قد أصبح نظرية قديمة ولا نصيب لها من الصحة ، الخطوة الأولى : الخطوة الثورية الجذرية هى إحداث تنسيق فى نظام التعليم ، فلا قديم ولا جديد ولا دينى بالمعنى اللاهوتى ،

كمثل عجلة أو مركبة ركب فيها فرس فى الأمام وركب فيها فرس فى الورا وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً أن يكون ركابها فى حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام ، وهذا يجرها إلى الورا ، فكذلك الشباب يتأرجحون فى أرجوحة عينا وشمالا .

إن الأدب الذى لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على الأقل من العواصم العربية الكبرى ، التى كان لها التوجيه وكانت لها الزعامة الفكرية والدينية ، وهذه غرست فى قلوب الناشئة وفى قلوب الشباب ، بل فى قلوب كثير من الكهول بذوراً من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى فى وجودهم ، تشككوا فى كل ما تواتر واستفاض وأصبح من قبيل البديهيات ، إن هذه الكتب التى أريد من ورائها رزق أو شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف أو تصفيق حاد ، إن هذه كلها غرست فى قلوب شبابنا الشك والحيرة والتناقض ، فأنا لا أستغرب هذا الوضع ، وهذا هو السبب الرئيسى والسر فى حيرة الشباب . ثم وجه الأستاذ سؤالاً ثانياً : وهو « ما هو العلاج الصحيح لهذه الحيرة التى يقع فيها الشباب ؟ » وكان جوابى

« لعل أستاذنا أبا الحسن يبين لنا الدور الإيجابي الذي ينبغي للدولة أن تقدمه لهذه المؤسسات ، حتى يتم التناسق الصحيح بين هذه المؤسسات كلها » .
وكان جوابي على ذلك :

في الحقيقة أن دور الدولة عظيم وحاسم في إزالة هذه العوامل الهدامة وفي رد المجتمع إلى حياة سليمة لا صراع فيها ولا حيرة ، ولكن هذا يتوقف على أن تكون عند الدولة فكرة واضحة - لست أعني دولة دون دولة ، ولا أعرض بدولة - إنما هي موضوع علمي ، فكرة واضحة عن الدين الذي تؤمن به وتدين ، وعن الأهداف التي تتبناها وتريد أن تعيش هذه الأهداف ، ولا تعيش فقط بل تنمو وتزدهر ، وإذا آثرنا التعبير الإسلامي الديني ، قلنا : « الإيمان والعقيدة » إيمان راسخ ، وعقيدة جازمة بفضل الإسلام أو بفضل الأهداف التي تدعو إليها وتعيش لها ، وأن تكون متمسكة بمبدأ الهداية لا الجباية ^(١) .

(١) وتمثل هذه الفكرة خير تمثيل جملة مأثورة عن سيدنا عمر بن عبد العزيز يخاطب بها أحد عماله الذي شكاه إليه انتشار الإسلام والنقص في الجزية . « ويحك ! إن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما بعث هادياً ولم يبعث جابياً » .

وبالمعنى الكهنوتي المسيحي الأوربي ، لا بالمعنى الإسلامي الصحيح ، فلا تعليم لاهوتي ولا تعليم دنيوي أوزمني أو علماني ، بل التعليم وحدة لا تتجزأ ، إنما ينقسم بين غايات ووسائل ولا بد أن تكون بين هذه الوسائل وحدة تربطها وتخضعها للغاية الأساسية .

ثم إزالة هذا التناقض الذي يعبر عنه لسان الشريعة ، ولسان القرآن بكلمة : « النفاق » إن هذا يحتاج إلى قلب نظام التعليم رأساً على عقب ، يعنى إحداث نظام تعليمي كوحدة متكاملة متناسقة ، وهذا يحتاج إلى ثورة عارمة ، إلى ثورة جريئة ودقيقة وشاملة ، ويحتاج طبعاً إلى أناس عندهم الأصالة الفكرية ، لا يعيشون متطفلين على مائدة الغرب . إنه يحتاج إلى الاجتهاد في المواد الدراسية ، وهذا يحتاج طبعاً إلى مشاريع عملاقة ، وإلى جهود كبيرة واسعة النطاق عميقة الجذور ، ويحتاج كذلك إلى أن تتبناها الحكومات الإسلامية والمجامع الإسلامية الكبيرة ، فإذا نجحنا في تطوير نظام التعليم تطويراً جديداً ، وإذا نجحنا في إزالة النفاق عن هذا المجتمع الذي نعيش فيه ، إذن من المؤمل أن فنقذ الشباب من هذه الحيرة المردية .
ثم وجه الأستاذ سؤالاً ثالثاً وهو :

ثم الإخلاص والعزم الصادق والتضحية التي لا غنى عنها ، هذه كلها عوامل لوجود بيئة مناسبة أو الأجواء المناسبة لنمو الشخصية الإسلامية وإكمالها ووصولها إلى الغاية المطلوبة .

ثم ختم الندوة بالسؤال الأخير وهو : « وترك في الختام التعليق على هذه الخطوة الأخيرة للأستاذ أبي الحسن صاحب التجارب الكثيرة التي مر بها في دور الشباب والكهولة ، وهو الآن في دور الشيخوخة ، ولا بد أخيراً من نصيحة فيها إلى الشباب بارك الله فيه » .

قلت : لست متشائماً ولا يائساً من دور الشباب ومن صلاحيتهم ومن حرصهم أن يعملوا شيئاً في مجال الدعوة الإسلامية ، والفكرة الإسلامية ، وفي أن يمثلوا دورهم كشباب مسلم في هذا المعترك الفكري الذي لم يشاهد تاريخ الإنسانية معتركاً فكرياً مثله ، إن الشباب طبقات وأقسام كثيرة وليس هناك طراز واحد من الشباب . إننا شاهدنا عدداً كبيراً من الشباب يتلهفون شوقاً إلى أن يلعبوا دورهم ، وهم في استعداد تام وعندهم التألم الشديد مما هو واقع حولهم ، إن هؤلاء الشباب هم أمل

اليوم وجيل المستقبل ، وفي الحقيقة أن الشباب هم الذين يستطيعون أن يحولوا هذا التيار ، وعندى من المعلومات ما تؤكد لي أن في الشباب مجالا واسعاً للعمل الإسلامي والفكر الإسلامي ، وعندهم قلق والقلق أول خطوات النمو والتقدم والتحسين ، إن الشباب قلقون اليوم ، وإن الحضارة الغربية قد عجزت عن تسليتهم وإرضائهم ، وإن هنالك فراغاً لم يملأ ولا يمكن أن يملأ كما تفضل الأستاذ كامل الشريف ، إن هنالك ديناً واحداً يستطيع أن يملأ الفراغ الهائل الذي أحدثته أوروبا بين القلب والروح والجسم والمادة ، وهذا من خصائص الحضارة الغربية التي لها تجارب خاصة ، ومراحل معينة مرت بها في رحلتها الطويلة ، ولكن - مع الأسف الشديد ومن سوء حظ الإنسانية - لما آلت القيادة إلى أوروبا أثرت هذه التجارب في تفكير الأمم التي كانت في عزلة عن هذه التجارب ، تجارب مجتمع خاص ، كانت لدينه طبيعة خاصة ، وقد حدث فيه صراع بين الكنيسة والحكم ، وصراع بين تعليم الدين ، وصراع بين الكهنوت والعقل السليم والعلم الحديث ، هذا كله من تجارب الغرب ، وكان الشرق غنياً عن

والشباب المثقفين بالثقافة الغربية ، يمكن أن نجر عدداً كبيراً ونجعلهم مقتنعين مستجيبين لهذه الدعوة متحمسين لها ، ولكن ذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة عميقة ، مخططات علمية مدروسة ، يحتاج ذلك إلى مكتبة جديدة ، يحتاج ذلك إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب ، يحتاج ذلك إلى الحكمة التي أشار إليها القرآن بقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » يحتاج ذلك إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة ، وأن تكون عندنا تلك المقدرة البيانية والطلاوة الأدبية ، وحلاوة التعبير التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام وأن تنفذ في عقول الشباب وفي نفوسهم عن غير هذا الطريق .

إننا نرى - مع الأسف الشديد - أن كثيراً من علمائنا الأفاضل يعتبرون التضلع في آداب اللغة ، والحصول على تلك المقدرة البيانية الأسلوب البليغ الذي يدخل إلى قرارة النفوس من فضول واجبات العلماء وعلى هامشها ، وقد يعتبرون ذلك ابتعاداً عن وظيفتهم وانحرافاً عن جادتهم ، مع أننا نرى أن القرآن نوه بهذه الحقيقة ،

هذه التجارب ، لم يكن منها في غير ولا نفي ، ولكن فرض الغرب وفرضت الثقافة الغربية هذه التجارب وانطباعات هذه التجارب ، ومردود هذه التجارب ، وقيمة هذه التجارب ، فتنظيرية « الدين قضية شخصية » و « الفصل بين الدين والسياسة » هذه كلها تجارب الأمم الأوروبية لظروف خاصة ، وأجواء خاصة للطبيعة المسيحية التي دانت بها أوربا ، ولكنها قد أشركت فيها الشعوب الشرقية من غير سبب ومن غير مبرر ، فهذا الفراغ موجود في الشباب ، والشباب بدأوا يشعرون بهذا الفراغ ، إن ما نشاهده من انحرافات وشذوذ ومن مبالغات ومن تطرف في حياة الشباب ، كل ذلك شعور لهذا الفراغ ، وإنني أستطيع أن أقول في ضوء تجاربي ومشاهداتي في الشرق وفي آسيا ، أن الشباب فيهم قابلية واستعداد كبير ليكونوا قادة حركة جديدة ، وليخوضوا هذه المعركة .

ولكننا نعيش في عزلة عن الشباب وعندنا كثير من سوء تفاهم ، ومن إساءة ظن ومن جهل للوضع الذي يعيش فيه الشباب ، فإذا ملثت هذه الفجوة بين الكهول والشباب ، وبين الدعاة إلى الدين وبين الشباب الجامعيين

المخاطبين ، إننى فى الحقيقة أؤخذ بالحيرة إذا قرأت خطب سيدنا عبد القادر الكيلانى ، فأنا أرى أن هذا الرجل الذى اشتهر فى العالم كله ، وفى جميع العصور بزهده وبقناعته ، وبربانيته ، وبإشراقه وتبته ، إنه يخاطب الجيل المعاصر والمجتمع الذى كان يعيش فيه فى بغداد : البلد الذى ولد فيه الحريرى ، وولد فيه ابن الجوزى : وولد فيه الصابى ، وولد فيه هؤلاء الشعراء ، وتغنى فيه البحترى ، والشريف الرضى ، والمتنبى ، وأبو تمام ، والمعرى .

كانت بغداد عاصمة عالم الإسلام ومركز الخلافة العباسية ، كانت محط كل عبقرى من جميع الأصناف ، فسيدنا عبد القادر الكيلانى نراه يخاطب الجيل المعاصر فى بغداد بلسان يخلق فى البلاغة ، ويخاطبهم بأسلوب ساحر ، بأسلوب يبلغ إلى الأعماق ، بأسلوب لا تزال له الصولة إلى الآن ، وإذا قرأنا خطبه التى دونها المدونون ، وحرصوا على نقل اللفظ الصحيح لاعتقادهم أن ما يصدر من القلب يدخل فى القلب أقرنا بهذه الحقيقة ، وهذا كان من دواعى الحرص على نقل الكلام بالحرف .

وكلنا نؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو أغنى الأغنياء ، ولكنه أنزل كتابه فى أساليب معجز ، وفى لسان عربى مبین ، ولم ينزل فى لسان عربى مبین فحسب بل نوه بهذه الناحية فى غير موضع من مواضع القرآن ، فقال : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبین ، « إنا أنزلناه قرآنًا عربياً لعلكم تعقلون » فعنى ذلك أن ناحية اللفظ وناحية الأسلوب وناحية البلاغة ناحية مهمة ، وإذا رجعنا إلى تاريخ الإصلاح والتجديد رأينا أن الذين كانوا على قمة الإخلاص وعلى ذروة الإنقطاع إلى الله وإلى الربانية الصادقة ، كانوا لا يستهينون بهذه الناحية ، إنما كانوا يهتمون بها كل الاهتمام ، ولا تضرب المثل بالنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه المناسبة لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء من غير شك وهذا معروف عند الجميع ، ولكننى أضرب المثل بسيدنا على بن أبى طالب ، إنه كان فى قمة من البلاغة ونواصل سيرنا إلى آخر القرون الإسلامية ، ففرى أن من تبوأ القيادة أو الزعامة فى الدعوة الإسلامية كانوا على جانب عظيم من البلاغة ومن فهم نفسية

عقلية الشباب وتؤثر فيها ، ويتقبلها الشباب بقبول حسن بل يتشوقون إليها ويمدون إليها أيديهم ، فإذا وفينا هذه الشروط فإننا واثق بأن الشباب مستعدون ليكونوا : لا مؤمنين بهذه الفكرة فحسب ، بل دعاة متحمسين لهذه الفكرة والدعوة متفانين فيها ، متهاكين عليها ، لا يعدلون بها شيئاً .

وهذا كله يعطيه الفكرة عن أهمية الأدب والأسلوب ، إننا إذا أردنا أن نوجه الشباب التوجيه الإسلامي العميق ، فعلينا أن نتسلح لذلك ، وأن نعد له عدته ، وأن نستوفى تلك الشروط التي كانت لكل زمان ومكان ، وهي لا تزال لها قيمتها وأهميتها وتأثيرها ، وهو لإحداث مكتبة إسلامية علمية ، تلائم

في الإخلاص والنية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . فهجرته إلى الله ورسوله : ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها . فهجرته إلى ما هاجر إليه .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يظل دائماً في حدود الحكمة والموعظة الحسنة

الأستاذ / أحمد حسين

لسماع خطبهم ، وبعض الكتاب المسلمين الذين تتأثر الناس بكتاباتهم وهؤلاء هم من أكتب لهم هذا المقال في الدرجة الأولى ، وأوجهه بعد ذلك للملايين الشباب في العالم الإسلامي الذين أصبحوا متعطشين لرفعة الإسلام . . فلهؤلاء وهؤلاء أقول إن أمر الله صريح وواضح لكل من كان يؤمن بالإسلام والقرآن .

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» . وهذا نص ولا يجوز لأحد أن يجتهد أمام النص . .

شروط الدعوة إلى سبيل الله :

ويتضح من هذا النص أن الدعوة إلى سبيل الله ليست مطلقة من أى قيد

في هذه الأيام التي اختلط فيها الحابل بالنابل ، واشتدت عوامل السخط العام والتدمير والقلق ، ثمّة شعاع من الضوء يسطع وسط هذه الظلمات الخالكة ، ألا وهو تمسك الجماهير بالإسلام ، وإيمانها بأنه حبل النجاة ، فارتفعت الأصوات من أعلى ومن الأجيال الصاعدة بوجوب أن يحكم المجتمع بالشريعة الإسلامية .

وكما هو الشأن في فترات الانتقال وما يسودها من اضطراب وقلق وفوضى ، فقد تواجدت الحركات ، وارتفعت الصيحات المتطرفة (وليس يدخل فيها بطبيعة الحال الحركات الوحشية الإجرامية) وإنما أعنى بالتطرف : هذا الذي لا يزال يصدر من أشخاص لا شك في إيمانهم وتدينهم ورغبتهم المؤكدة في الإصلاح والخير ك بعض خطباء المساجد الذين تتسارع الألوف

في سبيل الدعوة إلى الله فهو إما جاهل بالإسلام والقرآن ، وإما خارج عن تعاليم الدين لغرض في نفس يعقوب .

الحكمة كما طبقها الرسول :

معلوم أن الدعوة إلى التوحيد ، والتخلي عن الشرك بعبادة الأوثان ، كان هو جوهر الدعوة المحمدية التي قام بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نزولا عند أمر ربه ، ومع ذلك نراه بعد أن يجهر بالدعوة ويلغنها يلتزم الحكمة بعد ذلك في نشر الدعوة حتى ليطلب من أصحابه أن لا يسبوا الأصنام لئلا يكون ذلك سبباً للمشركين فيسبوا الله عدواً بغير علم .

ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستظل بحماية عمه أبي طالب المشرك ليؤدي رسالته مع أنه في حماية رب العالمين وما ذلك إلا ليعلمنا كيف تكون الدعوة بالحكمة ، ومن الحكمة الانتفاع بكل الأنظمة والتقاليد التي قد تفيد في الدعوة إلى الله .

تصور خاطيء لموضوع النسل :

بقي أن البعض يتصور أن ذلك كله كان في صدر الدعوة وإن ذلك كله قد نسخ فيما بعد ، ولم يعد للإسلام إلا

أو شرط ويحسب أى إنسان يتصور نفسه أنه داع إلى سبيل الله كى يعطى نفسه الحق في أن يقول ما يشاء ، ويجرح من يشاء ، ويسب من يشاء ، فضلا عن أن يفعل ما يشاء ، فكل هذا انحراف بل خروج صريح عن أمر الله الذى طلب أن تكون الدعوة إلى سبيله :

أولاً : بالحكمة ، ويجب أن نقف طويلاً أمام « بالحكمة » فهي تعنى أول ما تعنى فهم الظروف والملازمات التي تحيق بالمجتمع ، وما ينفعه ويفيده في ظرف معين ، أو يضره . . وفي نصوص القرآن وفي سيرة الرسول تحديد لهذه الحكمة ومفهومها وكيفية ممارستها ، كقول الله تعالى لموسى وهارون ، عندما قرر إيفادهما لفرعون لهدايته : فقولاً له قولاً ليناً لعله يذكر أو يخشى .

فهذا هو الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء ، والقادر على أن يصعق فرعون (وقد أغرقه فيما بعد) ، ولكن لأن الله يريد أن يعلمنا « الحكمة » في الدعوة إلى سبيله ، أمر سيدنا موسى بأن يكون قوله « لنا » . . فعندما يتصور كائن من كان أن الإغلاظ في القول فضلاً عن السب والشتم هو

فنص القرآن على وجوب الإحسان في الجدل.

الحكمة كما طبقها الرسول :

ولقد عن لى فى شبابى ، أى منذ أربعين سنة ، وقد كان يحيط بى شباب متدين متحمس لدينه وعلى رأسهم طيب الذكر الأستاذ حسين يوسف (ألف فيما بعد شباب محمد) وكانت الخمارات ومحلات بيع الخمر منتشرة فى كل مكان (أمام المدارس وبجوار المساجد) فعن لنا أن نقاوم بعمل ماذى انتشار الخمر بهذا الأسلوب وذلك نزولا على قول الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ... إلخ الحديث » .

فعمد بعض الشباب المحيطين بى فهاجموا متجرين أو ثلاثة لبيع الخمر وحطموا بعض زجاجات الخمر ، وأراقوا براميله ... وهاجت الدنيا وماجت ، واعتبر ما حدث عدواناً على نظام الدولة ، وتصدت لنا حكومة ذلك الزمان بكل قوة وعننف ، ولم يدهشنى ذلك بطبيعة الحال ، فقد كان الإنجليز هم الذين يحكمون مصر

لغة واحدة يخاطب بها المخالفين وهى لغة « السيف » وهو تخرّص قال به أعداء الإسلام .. ومن يتصوره من المسلمين يدخل على القور فى زمرة أعداء المسلمين ، فالقرآن كتاب الله القديم نزل تبياناً لكل شئ وتنظيماً لكل شئ ، ولما كانت الحرب إحدى سنن الحياة ، فقد نظمها القرآن الكريم فيما نظم وهذا لا يعنى بحال أنه ألغى نظام الدعوة ، فلم تعد « بالحكمة » فللسيف مجاله وأحكامه ، وللدعوة شرائطها وأحكامها .. وأولها الحكمة كما قدمنا .

ثانياً : والموعظة الحسنة .. ثم انظر إلى شرطه الثانى فهو لم يكتف بالحكمة والوعظ ، بل اشترط أن يكون الوعظ حسناً تفتح له القلوب ، وهنا يقع كثير من الدعاة فى الوهم بأن بحسبهم تفتح قلوب المؤيدين ، ولكن هؤلاء « بداهة » ليسوا هم المحتاجين للموعظة ، وإنما يحتاجها المخالفون ، فعندما يشترط القرآن حسن الموعظة فهو يشترطها بالنسبة للمخالفين ، بدليل ما جاء فى الشرط الثالث .

ثالثاً : « وجادلهم بالتى هى أحسن .. والجدال لا يكون إلا بين المتخالفين

وتفضل الشيخ الورع مفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم فأصدر فتوى تتضمن أقوالاً لابن تيمية من نوع ما قاله الغزالي ..

ولكن حجة الأقطاب الأربعة ظلت تعلوم ما قال به الغزالي وابن تيمية . خاصة وأن ما رخصوا به ، يظل في حدود ما أجمع عليه الأئمة الأربعة . وتتلخص هذه الحجة « الحكمة » أننا لو أبحنا للفرد العادي أن ينكر على غيره باليد فربما تنشأ عن ذلك مضرة تفوق ما كان ينكره ، كأن يحطم عنوة زجاجة خمر فيتسبب في مشاجرة قد تؤدي إلى القتل وهو ذروة الكبائر .. وأشهد أنني اقتنعت بذلك إلى الحد الذي جعلني أكره العنف بقية حياتي ، وأصبح لزاماً عليّ أن أحذر الشباب مما وقعت فيه فلا يتصورون أن بحسبهم أن يقولوا هذا حرام وهذا حلال ، ليندفعوا بعد ذلك لتغيير ما يرونه حراماً باليد فالمسألة ليست بهذه البساطة .. ومن قيد الله سبحانه وتعالى أن تكون الدعوة إليه « بالحكمة » وليس من الحكمة في قليل أو كثير « الإشارة » أن ما يحتاجه العالم الإسلامي في الدرجة الأولى لكي ينهض من كبوته أمران في الدرجة الأولى :

في موضوع الأمن العام وحماية الأجانب .

ولكن الذي روّعني حقاً وأصابني بخيبة أمل شديدة مقال كتبه الشهيد حسن البنا، يعترض فيه على الأسلوب الذي انتهجناه، وأنا أعلم الآن أنه كان يتحدث بما يمليه الإسلام «روحاً ونصاً» كما سيظهر لي بعد الدراسة ، ولكنني في ذلك الوقت غضبت أشد الغضب ، واعتبرت الأمر مناورة حزبية .

ورحت أطالع (وأنا في السجن) كل ما قاله فقهاء المسلمين عن حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومدى حق المسلم العادي في التغيير باليد ، فإذا بي أفاجأ بإجماع الفقهاء الأربعة ، على أن تغيير المنكر باليد هو من حق « ولي الأمر » وحده ، وليس للأفراد تغيير المنكر باليد .. وذهلت لهذا الاتفاق ، وعبثاً حاولت أن أجدر مخرجاً من المأزق الذي وجدت نفسي فيه . . إذ رحت أتحدث باسم الدين ، وها هو حكم الدين ، يدل عليه إجماع الأئمة الأربعة (مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل) وليس إلا عند الغزالي وجدت الرخصة في أن للمسلم أن يريق وعاء الخمر عنوة ، ويحطم الدف والمزمار . . .

- ١ - إعطاؤه القدوة .
 ٢ - التربية .
 السير الحميد بأكثر من أى شىء
 آخر ..

فعلى كل عامل فى حقل الدعوة الإسلامية إذا أراد أن يكون نافعا حقا ، أن يقدم بسلوكه الشخصى القدوة لكل من حوله .. فالناس تنقاد لصاحب
 وعلينا بتربية الأجيال الصاعدة التربية الإسلامية الحققة وهو ما أرجو أن أخصص له مقالى التالى .
 أحمد حسين

فى التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم
 كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه
 وشرابه . فأيس منها . فأتى شجرة . فاضطجع فى ظلها قد
 أيس من راحلته . فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده .
 فأخذ بخطامها . ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى
 وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح .

المكتبات الإسلامية

فضيلة الدكتور / عبد المجيد شلبي

المكتبات الإسلامية وما بذل المسلمون في بنائها، ثم ما نالها من غير المسلمين من إتلاف وتبديد . . ولعل في هذا ما يكفي لإنصافاً للإسلام والمسلمين، وكشفاً لمغالطة هؤلاء الذين لم يروا في الفتوحات الإسلامية إلا طلب الغنائم والتسرى .

ومن المعروف - وهذا مما يبرز معجزات الإسلام في بناء الدولة الفكرى - أن الإسلام ظهر في أمة أممية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف شيئاً عن الكتب، بله المكتبات، وقد كان وقوف هؤلاء الأميين إزاء دعوة الإسلام ومعارضاتهم لنبيّه مما عاق نشاط الإسلام الثقافى إلى حين، وكان لابد بعد هدوء هذه المعارضة أن تستغرق هذه الدولة الناشئة فترة من الزمن تتعلم فيها أولاً، ثم تقتنى الكتب ثانياً، ثم تنشأ المكتبات العامة فيها بعد ذلك .

ولم تنشأ هذه المكتبات العامة

المكتبات العامة في أى دولة عنوان نهضتها الفكرية، ومقياس اتجاهها العلمى، ونشاطها العقلى . . وقد بدا هذا كله في الأمة الإسلامية منذ وقت مبكر جداً، حتى أننا لا نجد أمة أخرى تباريها في هذا السبّاق . . ومع تضافر الأدلة التاريخية عليه، وثبوته على أقلام المستشرقين وغير المسلمين من كتاب الشرق، طاب لفريق من أولئك وهؤلاء أن يتهموا الإسلام والمسلمين بأنهم لم يكونوا دعاة ثقافة ولا وجههم الإسلام توجيهاً فكرياً . . وجاء على لسان غير واحد منهم أنهم انقضوا على أطراف الإمبراطورية الرومانية كالذئب الجائعة، وأنهم لم يكن لهم هم إلا غنائم الحرب والاستكثار من التّسرى .

وردّ هذه التهم قد يطول ويتفرع الحديث فيه، ولكنى أريد هنا فى إيجاز وسرعة أن أستعرض نشأة

إلا في عهد الدولة العباسية، أى بعد قرن ونصف قرن من الهجرة النبوية ، أو ما يقرب من هذا الزمن . .

كانت بداية ظهورها في عهد الخليفة الرشيد ، وتم نماؤها — وإن لم يقف تيار ازديادها — في عهد المأمون .

ولكننا نرجع إلى الوراء فنجد أن نواتها بدأت قبل ذلك بأكثر من قرن كامل . . ذلك أن خالد بن يزيد كان قد شُغِلَ بالعلم ، وهمُّه أن يحصل من فروعه ما لم يكن يعرفه العرب من قبل ، وكان خالد بعد أن فاتته الخلافة رأى أن يفرِّغ نفسه لدرس هذه العلوم المستحدثة لديهم والموروثة عن الأمم القديمة . . وقد استطاع أن يتصل بمكتبة الإسكندرية وعلمائها ، وقد ترجم له شيء من تراثها العلمي وترك هو بحوثاً ومؤلفات مهما يكن من شأنها كانت بداية اتجاه ونواة نهضة علمية ، وكان لديه مكتبة خاصة هي أول مكتبة عرفت في الإسلام .

ويبدو أن هناك حركة خفية لم يأبه التاريخ بها ولم يحدثنا عنها حديثاً تفصيلياً واسعاً ، هذه الحركة هي استمرار البحث العلمي واتصال تياره

فيما بين خالد بن يزيد الأموي والرشيد العباسي ، فنحن فجأة نجد هذا الخليفة يستكثر من الكتب الأجنبية حتى إنه في سفرة له إلى الرقة حمل معه ثمانية عشر صندوقاً من أسفار الأمم القديمة^(١) ، وكاد الوزير جعفر البرمكي يتنازع كتب الفلسفة يونانية وغير يونانية ويأمر الترجمة بتعريبها ويقال أن عمل جعفر كان مما أعرى الرشيد بالاتجاه إلى الترجمة ونقل تراث السابقين^(٢) ، على أن الخليفة المنصور كان له عمل محدود في ذلك .

هذا الاستكثار المفاجئ لا بد أنه كان استمراراً لحركة سابقة ، وأن التيار الذي بدأه خالد لم ينقطع جريانه . ولا يتأتى لمبتدئ أن يحمل في سفرة طارئة كل هذه الكتب أو أن يهتم بالترجمة كل هذا الاهتمام .

وقد أنشأ المأمون بيت الحكمة أو على الأصح أوسع في بنائه وسخا عليه لأن نواته موجودة منذ عهد أبيه ، وكان مجعاً علمياً ومتندى بحث ، إذ

(١) انظر حضارة الإسلام ص ١٦٢ من الأغاني ٦٧/٥ (ساس).

(٢) انظر ابن خلكان ٢٣٦/١ .

بوزنها ذهباً ، وكان للبرامكة لبني موسى ابن شاكر سخاء ونشاط في جمع الكتب وترجمتها ، وكانت بغداد كلها في هذا الوقت تعج بالعلماء وتنتشر فيها قاعات البحث والمناظرات ، وكانت تيارات الفكر وأنواع العلوم قد تعددت من أصيلة ودخيلة ، ولكل فرع علماؤه وطلابه ، وكان الأثرياء يسخون على الطلاب تشجيعاً لهم ورغبة في نشر العلوم وتفقيه الناس .

وقد أخرج الحسن بن الفرات من خزانته عشرين ألف درهم لطلاب الحديث وقال : لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق أو ما هو دونه فيقتطعه من قوته أو ملبسه ليجعله ثمن ورق وجبر وأنا أحق بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم^(٢) .

لم يقف تأسيس المكتبات عند بيت الحكمة - وهو أمر واضح - فكانت هناك مكتبات أخرى عامة وخاصة .

كان للكبراء والأثرياء مكتباتهم الكبيرة في بيوتهم وكانوا يفتحونها لراغبى الاطلاع ، وكانت المساجد أيضاً دور كتب ، وكان العلماء يهبون

كان به مكتبة عامة ولجنة ترجمة ومجلس مناظرات ، وهو ولا ريب أهم مجمع علمي بعد مكتبة الإسكندرية ، واستتبع هذه المكتبة عملاً علمياً آخر . وهو عمل الوراقين ، فقد كان هؤلاء ينسخون الكتب المترجمة إما لأنفسهم وإما لمن يستأجرهم لنسخها ، وكانت هذه مهنة مدرة على مشقتها ، وكان النساخ يستفيدون كثيراً من المعارف إلى جانب فائدتهم المادية ، ويكفى أن يكون منهم ابن النديم وابن سعد صاحب الطبقات وأبو حيان التوحيدي . وكان الرجل العالم إذا لم يجد ما يعيش منه اشتغل بالوراقة ونسخ الكتب ، وكان غير المسلمين يكتبون للمسلمين ما يروقهم وما هو على غير دين الكاتب وملته ، وقد كتب يحيى بن عدى المنطقي النصراني نسختين من تفسير الطبري وفيه ما يعد احتجاجاً على النصرانية ، كما كتب ما لا يحصى من كتب المتكلمين ، وربما كتب في اليوم والليلة مائة ورقة^(١) .

وكان سخاء الخلفاء ومحبى العلوم مما يشجع على نشاط هذه الحركة ، وقد اشترى الرشيد بعض المخطوطات

(٢) انظر ياقوب ١/٢٥٥ .

(١) انظر الفهرست ٣٨٣ ط التجارية .

كتبهم للمساجد ، ووقف الخطيب البغدادي كتبه على المسلمين: (١) .

وانتشرت بجانب ذلك دور بيع الكتب ، فكان في أحد شوارع بغداد ما يزيد على مائة حانوت لبيع الكتب ، وكان أصحابها غالباً من الخطاطين وكانت هذه الدور أيضاً أندية بحث ومناظرة .

وتبع هذه الحركة الثقافية حركة التأليف ، والحق أنها حركة بدأت قبل حركة الترجمة ، وكانت بدايتها الرغبة في تعليم الدين وضبط قواعد العبادات ، وقد كتب جابر بن عبد الله المتوفى سنة ٧٨ منسكاً في الحج ، ثم كان للغويين نشاط أوسع - وحركتهم بدأت بأبي الأسود ، ولكن يقال إنه لم يضع إلا باب الفاعل والمفعول ، وقيل وضع أيضاً باب التعجب ثم كان عبد الله الحضرمي فبعج النحو ، ثم كان عيسى بن عمر (١٤٩) فترك نيفاً وسبعين تصنيفاً ، وقال : كنت أكتب ليلاً حتى ينقطع سوائي أي ظهري (٢) .

ولم تقف دور الكتب وحوائث

بيعها عند أسوار بغداد بل نجد العواصم الأخرى تتحلى بمكاتب كبيرة عامة ونجد أمراءها يسخون على العلماء ويحتلبون الكتب من مختلف البقاع ، فكان بالموصل مكتبة كبيرة لأحد الأثرياء ، يختلف إليها الطلبة للقراءة والبحث وتقدم لهم الأوراق بالجان ، وكان بالبصرة مكتبة ينتج إليها كل راغب في القراءة من الطلبة وغير الطلبة ، وكان صاحبها يميز المتفوقين في المناظرات بمكافآت علمية تغريهم بالمزيد من القراءة والتعمق في الدرس والمعرفة (٣) .

وكان لكل من الصاحب بن عباد وعضد الدولة البويهى مكتبة كبيرة خاصة حتى أن الصاحب أراد أن يسافر مرة فاحتاج إلى عدد من الإبل لحمل كتبه ، وقد ترك الصاحب معجماً لغوياً كبيراً أثبت فيه محصولة اللغوى وما استدركه على من سبقوه (٤) أما مكتبة المعتضد فكانت في شيراز وكانت الكتب فيها مرتبة ترتيباً أبجدياً وكانت ذات فهارس خاصة تساعد على

(٣) أنظر المقدس ٤١٣ .

(٤) توجد نسخة خطية من هذا المعجم بالمتحف البريطاني - ويقال إنها اشترت بانثى عشر ألف جنيه استرليني .

(١) نفسه ٢٨٧/٤ .

(٢) أنباء الرواء ٣٧٥/٣ - ياقوت

١٠٥/١٦ .

بحوث في الفلك والتنجيم والطب الذى
يستند إليها وهذه قرأها المسلمون وأخذوا
منها ما أخذوا، واتهمهم بعض المحدثين
بأنهم أحرقوها ونفى ذلك آخرون .

ومهما يكن من شئ فهناك خمسة
من الحكام إليهم يرجع أكبر الفضل
فى إنشاء المكتبات ودور العلم وهم
المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكى
والحاكم بأمر الله الفاطمى . ثم الحكم
بن هشام الأندلسى .

ونعرض للمكتبات الإسلامية فى
حديث لاحق .

الاهتداء والبحث ، وكان هذا أمراً
ضرورياً لكثرة ما بها من الكتب .
وكان بالرئى مكتبة تحمل كتبها
أربعمائة بعير ولها فهرس كبير يقع
فى عشرة مجلدات .

وبعض هذه المكتبات كالتى كانت
بالرى وجنديسابور كانت موجودة قبل
العرب ، ولكنها كانت فى المعابد ولم
يستفد المسلمون منها شيئاً كثيراً لأنها
كانت تدور حول ديانتهم المجوسية
وتأليه الكواكب والنجوم ، فأعرض
المسلمون عنها ، لكن بعضها كان به

فى الصدق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . فان الصدق طمأنينة

والكذب ريبة » .

دراسات قرآنية

لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

فضيلة الشيخ / مصطفى الحديدي الطير

قال الله تعالى : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »
(الآية ١٩٩ من سورة الأعراف)

وقال : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »
(الآية ٢٢ من سورة النور)

البيان

الجاهلين ومساءاتهم ، فلا نقابلهم
بمثلها ، ولا نحاسبهم عليها ، فإن فعلنا
ذلك حولنا عداوتهم إلى صداقة ،
وطهرنا قلوبهم من مرض الحقد الخطير
وجعلنا منهم أعضاء صالحين في المجتمع
الإسلامي .

ولقد كان للإمام محمد عبده درس
في الأزهر ، وكان يمر بزاوية الحلوجي
في طريقه إليه ، وكانت له آراء
فقهية ومذهبية متحررة خلقت له
خصوصاً ، وكان بعضهم عنيفاً
في خصومته إلى حد السفه ، فجلس

عنى الإسلام بالحث على بذل
المعروف والإحسان لعباد الله وإن
أساءوا ، حتى يزول الحقد والضغينة
والخوف من مجتمعهم أو يكاد ، وحتى
تسود المحبة والود بينهم ، قال الله تعالى
أمراً نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ورائه
أُمته : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

فالله جل جلاله يأمرنا أن نغفو عن
أساء إلينا ، ونعالج حقه ومساءته
بالمعروف والإحسان إليه ، إلى جانب
العفو عنه ، وأن نعرض عن جهالة

بالعفو ، ليجعله سبيله في معاملة الناس ، ليألفوا الإسلام ويعرفوا فيه الرفق والصفح ، ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة مع أهل الشر ، فإن الحزم حينئذ أجدى وأحسن آثاراً ، فإن الكرم لا ينبغي أن يوضع موضع العقاب ، والشدة لا ينبغي أن توضع موضع الإحسان ، فكل في موضعه هو الدواء ، وهو العلاج ومن بعده الشفاء .

أبو بكر يحسن إلى من أساء إليه في عرضه :

ولا يوجد أشد على النفس من أن يسيء إليك من تحسن إليه ، وأن يكون هذا المسيء من أهل قرابتك ، ومع هذا فقد أمرنا بالتجاوز عن مساءتهم وإعادة الإحسان إليهم ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، فلا بد من أن يصحو ضميره ، وَيَتَكَلَّمْ بِسَبَبٍ تَتَابَعِ الإِحْسَانَ إِلَيْهِ مَعَ تَوَالِي إِسَاءَتِهِ ، رَوَى فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أُنْزِلَ : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ » الآيات . قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره - والله لا أنفق عليه أبداً بعد الذي قال لعائشة ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَا يَأْتِ الْفِتْنَةَ إِلَّا جُنُودٌ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ » ، إِلَى

إليه أحدهم عند زاوية الحلوجي ، ينتظر مروره به وهو ذاهب إلى درسه في الأزهر ، فحينما بصر به أمطره شتماً وسفهاً وصل إلى رميته بالكفر ، وكان الشيخ وقتئذ مفتياً للديار المصرية ، وله منزلة في الدولة يستطيع بها أن يعاقب هذا السفیه بما يجعله عبرة لأمثاله.. ولكنه آثر أن يعالجه من حقه ، وأن يصرفه عن عداوته ، وأن يفتح عقله وقلبه ، فلم يجد محققاً لهذا كله سوى المعروف والإحسان ، فقد رأى بالرجل حاجة ، وأدرك أن هذه الحاجة هي التي جعلته سيئ الفكرة سريع الإنفعال ، فلهذا بعث إليه بمعروفه وغمره بإحسانه. ولما مر به بعد في طريقه إلى درسه ، أقبل عليه وأحسن تحيته ، وأظهر أسفه وندمه على ما كان منه نحوه ، وهكذا حوله الإحسان من صفوف الأعداء إلى صفوف الأولياء والنصراء .

وهذا معاذ بن جبل يذكر لنا وصية النبي صلى الله عليه وسلم له حين بعثه والياً على اليمن فيقول : « لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال : « ما زال جبريل يوصيني بالعفو ، فلولا علمي بالله ، لظننت أنه يوصيني بترك الحدود » فأنت ترى أنه صلى الله عليه وسلم يخبر معاذاً بوصية جبريل له

صلى الله عليه وسلم: «أفضل العباد أن
تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ،
وتعفو عن ظلمك ، كما كان يدرك
بثاقب فكره ، أن الإحسان عظيم الأثر
في جذب القلوب ، ونشر الأمن
والطمأنينة ، وكان يحلو له أن يردد
قول الشاعر :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعدَمُ جَوازِيه
لا يذهب العرف بين الله والناس
وكان له في الإحسان والرحمة عُمرِيَّاتٌ
لا تجارى ، سجلها التاريخ بمداد
الاعتزاز والفخار ، كما سجل نجاحه
بها في الحكم الأمثل للمسلمين في
المشارك والمغرب ، وربما خصصناه
بمقال إن شاء الله تعالى .

موقف خطير في الوفاء وبذل المعروف :
وقف مُعِين بن زائدة موقفاً خطيراً
في بذل المعروف ، كاد يعرضه للإطاحة
برأسه ، ولكن الله نجاه : لأنه أجاز
مظلوماً ، وحماه من إهدار دمه .

وتفصيل ذلك أن الخليفة المهدي
بلغه عن رجل أنه يتزعم فتنة ضده في
بغداد ، فصدق الوشاة ، وأهدر دم
هذا الرجل ، وجعل لمن دل عليه
مكافأة عظيمة .

قوله: «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»
فقال أبو بكر : والله إنى لأحب أن
يغفر الله لي ، فأرجع إلى مسطح النفقة
التي كان ينفق عليه وقال : والله
لا أنزعها منه أبداً . قال عبد الله بن
المبارك : هذه أرجى آية في كتاب
الله تعالى ، وقال القرطبي : إن الآية
تتناول الأمة إلى يوم القيامة ، بأن
لا يغتاز ذو فضل وسعة ، فيحلف
أن لا ينفق على من هذه صفته . .

وكان مسطح ابن خالة أبي بكر ،
ومن المهاجرين البدرين المساكين ،
فتأثر بكلام المنافقين في حق عائشة ،
فكان يستمع إليهم ولا يردهم ، فلما
غضب أبو بكر وقطع عنه نفقته ، جاء
 واعتذر إليه بأنه كان يسمع ولا يقول ،
 فلم يقبل منه هذا الاعتذار ، فلما
نزلت الآية الداعية إلى إعادة إحسانه
إليه ، استجاب لربه وأعاد إليه
إحسانه كما مر بيانه .

وعمر يدعو إلى المعروف ويبذله :

وقد كان عمر بن الخطاب على شدته
حريصاً على بذل المعروف في موضعه ،
شعوراً منه بمسئوليته العظمى أمام الله
تعالى - باعتباره أميراً للمؤمنين - وكان
يرى ذلك أفضل العباد ، عملاً بقوله

بيته ، وأمرهم بالمحافظة على الرجل الذى أجاره وقال : لا يخلص إليه أحد وفيكم عينٌ تطرفُ ، ثم ركب متجهاً إلى المهدي ، فلما دخل عليه سلم فردَّ سلامه وقال : يا معن أتجير على؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال المهدي : تقول نعم . واشتد غضبه ، فقال يا أمير المؤمنين . قتلت في اليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً في طاعتكم ، إلى جانب أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائى وحسُن عنائى ، فما رأيتمونى أهلاً لأن يوهب لى رجل واحد استجار بى ، فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سرى عنه وقال : قد أجرنا من أجرت ووهبناه لك ، فقال معن إن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، قال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم ، قال : فيأمر أمير المؤمنين بتعجيلها ، فأمر بها فأحضرت ، فانصرف معن إلى الرجل بالمال ، وأضاف من عنده سواء وقال له : خذ هذا والحق بأهلك ، ولم ينس أن يوصيه بطاعة ولى الأمر ، ولا شك أنه بهذا الإحسان سيكون من أشد الناس ولاءً لأمير المؤمنين الذى منحه العفو وشفعه بالإحسان .

ولما كانت الفتنة لا عقل فيها ، حتى يستطيع المظلوم أن يجادل عن نفسه ، فلهذا اضطر البغدادى المتهم زوراً أن يخفى لينجو من الهلاك ، فلما طالت أيام اختفائه ، ظن أن العيون عنه نامت ، وشخصيته جهلت ، وقصته نسيت ، فظهر يوماً فى بغداد ، فبصر به رجل من أهل الكوفة يعرفه ، فأخذ بمجامع ثوبه قائلاً : أنت مطلوب أمير المؤمنين . فاشتد به الحرج وأدرك أنه هالك ، فإذا هو يسمع من ورائه وقع الخوافر ، فالتفت فإذا معن بن زائدة ، فقال الرجل : يا أبا الوليد أجرنى أبارك الله ، فوقف وقال للرجل الذى أمسك بتلابيه : ما شأنك ؟ قال : هذا رجل أهدر دمه أمير المؤمنين ، وجعل لمن دل عليه مالا جزيلاً ، فقال معن لرجل من رجاله : انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها ، فصاح الرجل : أتحوّل بينى وبين نائى على أمير المؤمنين ، فقال له معن : اذهب وأخبر أمير المؤمنين أنه عندى ، فانطلق الرجل إلى قصر المهدي وأخبر حاجبه بما حدث ، فأبلغ الحاجب الأمر إلى مولاه ، فأمر بإحضار معن ، فأتته الرسل ، فأحضر جميع رجاله وآل

أسلوب معاوية في تأليف القلوب :

كان معاوية بن أبي سفيان حسن التصرف في تفادى الأزمات وتأليف القلوب ، وكان من أنجح وسائله وضع الإحسان في مواجهة الحدة أو الإساءة ، ومن ذلك ما حدث بينه وبين عبد الله بن الزبير ، فقد كان لابن الزبير أرض له فيها عبيد يعملون بها ، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير ، فكتب إلى معاوية يقول : أما بعد يا معاوية فإن عبيدك قد دخلوا في أرضي فأنهم عن ذلك وإلا كان لذلك شأن — فلما قرأه معاوية دفعه إلى ولده يزيد فقرأه : فقال معاوية لولده ما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه ، فقال : أو خير من هذا يا بني ؟ ثم أخذ ورقة وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير فقال : وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأني ما ساءه ، والدنيا بأسرها هينة في جنب رضاه ، وقد كتبت على نفسي صكاً بالأرض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك ، فليستضفها إلى أرضه مع عبيدها : والسلام .

فلما قرأ عبد الله بن الزبير كتاب معاوية كتب إليه : وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله من قریش هذا المحل ، والسلام .

فلما قرأ معاوية كتاب ابن الزبير دفعه إلى ابنه يزيد ، فلما قرأه علتُ البشاشةُ وجهه ، وعرف حسن معالجة أبيه لمعضلات الأمور بإسداء المعروف ، فقال معاوية : يا بني من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز استمال القلوب ، فإذا ابتليت بمثل ذلك فداوه بمثل هذا الدواء .

وكان معاوية على نمط ممتاز من ضبط النفس والحلم ، فكان يقول : أنى لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ، وذنب لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي ، وكان يقول : لو كان بيني وبين أحد خيط من عنكبوت ما انقطع ، فإنه إذا شدَّ أرخيت ، وإذا أرخى شددت .

ومن أمثلة حلمه العجيبة أنه وزع قطعاً من القطيفة على رؤساء الأمر ، فأخذ شيخ منهم ثوباً ، فلما فحصه في بيته لم يعجبه ، وأقسم أن يضرب به رأس معاوية ، فذهب به إليه وقال :

لا تطع فيّ مشيراً يمنعك عفواً تدّخر به
عند الله يداً ، ويعثك على الانتقام
الذي ليس من مكارم الأخلاق ، واقتد
بالله تعالى ، فإنه لو أطاع فيك مشيراً
لما استخلفك طرفة عين ، وأحسن كما
أحسن الله إليك ، فأمر بإطلاقه وأن
لا يعاوده في شأنه ، فظل بعد ذلك
للرشيد مخلصاً وفيّاً .

صاحب رحبة سوار والمهدى :

يقص علينا محمد بن القاسم الأنباري
قصة ممتازة في أثر المعروف ، يحدثنا
بها عن سوار صاحب الرحبة المعروفة
باسمه ، وكان من جلساء المهدي
وأصفياه ، قال سوار : انصرفت
يوماً من دار المهدي ، فلما دخلت
منزلي دعوت بالطعام ، فلما قدم بين
يدي لم تقبل عليه نفسي ، فأمرت
به فرفع ، ودخلت وقت القائلة
لأنام ، ولكن النوم نأى عني ولم أجد
له سبيلاً ، فأمرت ببغلة فأسرجت
وأحضرت ، فركبتها فاستقبلني وكيلي
حين خرجت ومعه مال ، فقلت :
ما هذا ؟ قال : ألف درهم جثت
بها من مستغلك الحديد ، قلت أمسكها
معك واتبعني .

قال سوار يتابع حديثه — كما رواه

يا معاوية . كيف تختار لي هذا الثوب
المعيب . لقد حلفت أن أضرب به
رأسك ، فأجابه قائلاً : برّ بقسمك
وليرفق الشيخ بالشيخ .

الرشيد يعفو عن نائر فيشتريه بعفوه عنه :

هؤلاء القادة كانت لهم قلوب أشعتها
نفادة ، فكانوا يعالجون المسيئين
بالإحسان ، ويستلهمون ضمائرهم
فتهدئهم سواء السبيل ، انظر إلى
الرشيد : حين خرج عليه بعض رعاياه
في جموع كثيرة ، فجهز له جيشاً
حاربه حتى هزمه وظفر به ، فلما
أدخل على الرشيد قال له : ما تريد
أن أصنع بك ؟ قال له : اصنع بي
ما تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت
بين يديه وهو أقدر عليك منك على ،
فأطرق الرشيد ملياً ثم رفع رأسه وأمر
بإطلاقه ، فلما خرج قال بعض جلسائه :
يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتفني
أموالك ، وتظفر بهذا الذي خرج
عليك وتطلقه بكلمة واحدة ، ألا ترى
أن هذا يجري عليك أهل الفساد ،
فأمر الرشيد برده ، فلما عاد ومثل بين
يديه ، علم أنه قد سعى به وأشير على
الخليفة بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين

أصدق الناس لي ، فقلت له إن الله تعالى قد أتاك بسوار ومنعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به وأجلسه بين يديك ، ثم دعوت وكيلى فأخذت منه الدراهم ودفعتها إليه وقلت له : إذا كان الغد فسر إلى منزلى ، ثم مضيت فقلت : ما أحدثُ أمير المؤمنين المهدي بشئ أفضل من هذا ، فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي ، فحدثته فأعجبه الحديث ، فأمر بالني دينار وقال : أدفعها إلى الأعشى ، فهضت فقال : اجلس . أعليك دين ؟ قلت نعم ، قال : كم دينك ، قلت : خمسون ألف درهم ، فجعل يحادثني ساعة في غير موضوع الدين وقال : أمض إلى منزلك ، وإذا بخادم معه خمسون ألف درهم يقول لي : أمير المؤمنين بعث بها إليك لتقضى بها دينك ، فلما كان الغد أبطأ على الأعشى ، فأتاني رسول المهدي يدعوني : فجئته فقال : فكرت البارحة في أمرك فقلت : يقضى دينه ثم يحتاج إلى القرض ، فلهذا أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى ، فقبضتها وانصرفت ، فجاءني الأعشى فدفعته إليه الألفين ، وقلت له : قد رزق الله بكرمه وحسن

محمد بن القاسم الأنباري - عبرت البغلة الجسر إلى شارع دار الرفيق ، حتى انتهت إلى الصحراء ، ثم رجعت إلى باب الأنبار ، فأنتهت إلى باب دار عليه شجرة ، وبالباب خادم ، فوقفت عنده وقد أصابني عطش ، فقلت للخادم : أعندك ماء تسقينيه ؟ قال نعم ، فأخرج قلة طيبة الرائحة عليها منديل فشربت ، وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً إلى جانب الباب ، فصلبت فيه ، فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعشى يتلمس فقلت : ما تريد يا هذا ؟ قال : إياك أريد ، قلت وما حاجتك ؟ فجلس إلى وقال : شمت منك رائحة طيبة ، فقلت إنك من أهل النعم ، فأردت أن أحدثك بشئ هام ، فقلت له : قل ما عندك ، قال : ترى عظمة هذا القصر ؟ قلت نعم ، قال : إنه كان لأبى فباعه ، وخرج إلى خراسان وخرجت معه ، فزالت عنا النعم التي كنا فيها ، وكف بصرى ، فقدمت إلى هذه المدينة ، وأتيت صاحب القصر لأسأله شيئاً أصل به إلى سوار ، فإنه كان صديقاً لأبى ، قلت ومن أبوك ؟ قال : فلان بن فلان ، فإذا هو من

معاملتي إياك أضعاف ما أخذته مني ، القلوب كما يحركها في الإحسان بداية ،
ثم أعطيته منحة أخرى وجهزته وانصرف . يحركها في المكافأة عاقبة ، والله تعالى ،
وهكذا من يزرع جميلاً يحصد هو الموفق .
جميلاً مثله أو خيراً منه ، فإن رب مصطفى محمد الحديدي

في الصبر

قال صلى الله عليه وسلم :

الطهور شطر الإيمان . والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان
الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ،
والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن
حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو . فبائع نفسه
فمقتها أو موثقها

الفيلم السراب

نقد لفيلم « الرسالة »

لسماعة الشيخ / حسن كتيبي

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا . . . » (قرآن كريم)

عند اكتمال إشراقها في إطار واحد ..
أو إطارات متعددة ليسهل على العين
المجردة الإحاطة بكامل حجمها ..
أو بحجم يقرب من حجمها الحقيقي ..

وكذلك شأن جميع الكائنات التي
أوجدها الله ليتمكن للعقل الإنساني
الكامل التفتح والذكاء أن يسبح في
شواطئها القريبة الضحلة حتى يعرف
من تجاربه في هذه الممارسة آفاقها ،
وعظمة الحقائق التي تُكْنِئُهَا في أعماقها
تلك الآفاق ، والأعماق البعيدة -
المتندة إلى شواطئ الخلود .. والتي
لن يصل إليها عقل في هذا الوجود ..
« قُلْ : لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا
لِكَلِمَاتِ رَبِّي - لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

لقد شاهدت فيلم (الرسالة) المعروض
في إحدى دور السينما في لندن ..
ورأيت من الواجب أن أسجل انطباعاتي
وملاحظاتني عليه .

أعتقد أن هذا الفيلم عالج عرض
حقائق تاريخية ، ودينية ، وانتفاضة
إنسانية عالية على مستوى أعلى بكثير
من جميع الإمكانيات التي تتوفر
للكفاءات السينمائية معالجتها على الوجه
السلام ..

فالموضوع أعظم بكثير - إلى حد
الإعجاز - عن القدرة على جمع أبعاده
في إطارات محدودة تعطى ولو بعض
الشمول لبعض جوانبه .. ومن يستطيع
أن يحصر حجم الشمس في رابعة النهار

لإمكانيات عرضه في لقطات سينمائية ،
وإلى حركات تخضع لأقوى عدسات
أجهزة التصوير لتقلها في شكل
قريب من حقيقتها على ما كانت
عليه في كل حقبة من أحقاب
التاريخ التي سبقت حلقاتها تلك الحلقة
الهائلة التي جاءت في ختام تلك المسلسلة
الإلهية والتي هي (رسالة الإسلام) .

وإذا كان التحضير (لرسالة الإسلام)
على نحو ما ذكرنا باختصار وإيجاز ،
ينمُّ على العجز عن تصوير المعنى الكامل
لذلك التحضير الإلهي لتلك الرسالة
العظمى . .

إذا كان هذا التحضير هو عنصر
رئيسي من موضوع رسالة الإسلام التي
أريد لها أن تقدِّم في هيئة فيلم سينمائي
لجلب هذا العصر الذي اختلطت في
مداركه الحقائق العلمية التي هي من
(كلمات الله) التي وردت الإشارة
إليها في الآية الكريمة . . اختلطت هذه
الحقائق بتمرد العقل المادي على قوانين
الروح التي فطرها الله على الإيمان به ،
ونجم عن ذلك الخلط هذه المشاعر
القلقة التي تغمر بالفزع والرعب والحرمان
من نعمة الاستقرار والاطمئنان حياة
إنسان هذا العصر .

تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا
بِمِثْلِهِ مَدَدًا» .

فموضوع رسالة الإسلام — تأتي
مقدمته من (التحضير الإلهي لوجود
هذه الرسالة) . . التحضير في أكوانه
التي تتألف من الأزمنة والأمكنة والأجيال
المتعاقبة الموغلة في القدم . .

والتحضير في تنظيم الرسائل السماوية
التي سبقت الإسلام . . وما صادفته
من قبول ورفض وثواب وعقاب . .
بما في ذلك اختيار وتحديد الأمكنة
والأزمنة والشعوب التي وجهت إليها
الرسالات السماوية . . وما صادفته تلك
الرسالات من مدٍّ وجزر . . ومقاومة
وتأييد .

كل ذلك تمهيد ضروري ينبغي أن
يسبق (الدخول) إلى عرض رسالة
الإسلام . . وهذا الأمر يبدو ذا أهمية
عظمى وأبعاد شاسعة ليظهر تفاعل
تلك الرسائل العميق مع رسالة الإسلام
التي جاءت خاتمة لها — ويبدو هذا
الجزء من أجزاء (رسالة الإسلام) أعظم
من جميع الطاقات الفكرية والفنية التي
يستطيع الفن السينمائي بكامل أجهزته
تصوّره . . ثم نقل ذلك التصور إلى
شيء مرئي ومسموع . . يخضع

مركز رسالة الإسلام من الرسائل التي سبقتها والتي يؤمنون بها . كما يتطلعون إلى التسلسل الطبيعي الذي أدى إلى وجود هذه الرسالة . . لأنها من عند الله . . ومن أبسط حقائق الإيمان أن رسالة سماوية لا تأتي من غير حاجة إليها . . وهي إذا جاءت ينبغي معرفة الحقائق التي تلتقي عندها الرسائل السابقة . . والحقائق التي تأخذ شكلا غير شكل سابقتها . . وما هي المصلحة العليا في هذا التطور في تعاليم منزهة عن الشك في صدقها ومطابقتها . . .

وباختصار . . فإن المشاهدين الذين يعتنقون رسالة من الرسائل السماوية كانوا يتطلعون منذ بدأ الفيلم إلى رؤية عرض مرتب يصور معاني الديانات السماوية في جمل مختارة من تعاليمها الأساسية التي لا تختلف بحال من الأحوال . كما يصور الغاية من تلك التعاليم . . والأحداث الزمنية التي سلكت بهذه الرسائل مسالك تنحدر من الضد إلى الضد في صور من الكفر بها . . ومسالك تقودها إلى الشقاق بدلا من الوفاق ، وإلى عكس الغاية التي خلق الله الإنسان من أجل تحقيقها ، وجعل خلقه من

إذا كان هذا التحضير الذي يعتبر من أهم وأوليات عناصر الإخراج للفيلم في حكم الاستحالة فإن محاولة إخراج الفيلم قامت على أساس من (العدم المطلق) لتحقيق صورة من (الوجود المطلق) ذلك الوجود الذي جعله الله في هيئة أنظمة محكمة دقيقة يعجز العقل البشري عن أن يتابع جوانب من ظواهرها . . وكل حظه من القدرة هو أن يقف خاشعاً عند إدراك بعض أسرارها . . مغتبطاً عند حل شيء من رموزها .

وإنه ما من إنسان ملم برسالة الإسلام إلا وقد أدرك بوضوح أن عنصر (التحضير للرسالة) معدوم كليا في الصور التي عرضها الفيلم ، وبانعدامه بدأ الفيلم أشبه مايكون « بمفاجأة حقاء » لأنها جاءت مبتورة عن المقدمات الطبيعية لها التي توفر في نفوس المشاهدين القابلية لتلقيها .

فرسالة الإسلام ليست هي الرسالة السماوية الوحيدة على الأرض وللبر . . كما أنها ليست من نوع وطبيعة تختلف عن الرسائل السماوية التي سبقتها . وهي معروضة لمشاهدين يعتنقون شيء الرسائل السماوية ، ويؤمنون بها ، ويتعصبون لها ، ويتطلعون إلى معرفة

أنطفأ نورها ، وأقيمت المآتم على قبورها
إمّا على شكل أسى وحزن من العارفين
بحقها . . أو على أنغام الجاز وموسيقى
الهييز الداعرة من الراقصين فرحاً على
زوالها والخلاص منها .

فالحقائق التي تلتقى على تأكيدها
جميع الرسالات السماوية هي أهم
ما كان ينبغي أن يأتي كمقدمة
للدخول على الفيلم لتحضير نفوس
المشاهدين لتقبل ما يأتي بعدها . . .

ولكن الفيلم بدأ بمفاجأة حمقاء . .
كما لو كان يصور (قصة) بطل ظهر
في ظروف غامضة ، وغير متوقعة . .
ليحدث وجوداً تبدو المفاجآت التي
لاحد لها ولا عد في جميع ظروف
قصته .. ثم يُصعّدُ الفيلم أحداث
القصة حتى تظهر آثارها وقد طبقت
المشارك والمغارب . . وبعد ذلك ينهيها
باختفاء البطل صانع القصة وكلّ من
صاحبه في صنعها بعد أن توسعت
آفاقها إلى ما لا نهاية . . يخفون جميعاً
عندما تكون الصورة الأخيرة من الفيلم
كالعاصفة القوية في أشدها . . إذ
تنطفئ الأنوار فجأة على الشاشة ،
ويترك المشاهدون في نهاية من الظلام
والخيرة تشبه البداية التي بدأوا منها .

أصل واحد هو « آدم » ثم خلق جنسه
(حواء) من ذاته . . وكان قادراً على
أن يخلقه خلقاً مستقلاً ، ولكن إرادته
العليا لتوحيد خليقته سبقت بأن يخلق
حواء من كيان آدم ليتحقق الكيان
المتحد في الوجود الإنساني . . .

أما الغاية التي خلق الله الإنسان من
أجلها فهي التي توضحها رسالة
الإسلام - « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ،
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . .
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

فالتعارف إنما يتم عن حقيقة واحدة
هي المساواة المطلقة في أصل الوجود .
أما التفاضل بين إنسان وآخر فإنه يأتي
من العمل : عمل الخير ، وعمل الشر ،
وهما خطاً السير في الوجود على الأرض .
فأما خط الخير فينتهي بسالكيه إلى
الكرامة واستحقاقها والحدارة لها . .
حتى يسلمهم إلى نعيم مقيم لا يحول
ولا يزول ولا تدركه العقول .

وأما الخط الآخر فإنه ينحدر بسالكيه
إلى صور من المآسى الخاصة والعامة
التي يعرفها جيل هذا العصر أكثر من
أى جيل مضى قبله . . لأن جميع
الفضائل اهترّت معاييرها وكثير منها

ولأننى بعد ما تقدّم أجد مجال القول واسعاً جداً . . ويوشك أن يخرج بنا من نطاق الأفلام السينائية المحدودة إلى آفاق الديانات التى لا حدود لها ، وإلى مثلها السامية ، وأهدافها فى تكريم المواهب الإنسانية التى أنعم الله بها على الإنسان ، وكرّمه بالعلم وسلحه بالعقل ، وخلق له ما فى الأرض جميعاً ، ليستخدم عقله ومواهبه فى معرفة أسرار الخليقة والتمتع بها ، والتنعّم بما أودعه فيها .

إن مجال القول على نحو ما تقدم يخرج بنا عن الموضوع : وهو الحديث عن فيلم الرسالة الذى كانت حصيلته أرباحاً هائلة لأصحابه . . وخسارة محزنة لمشاهديه . . .

وسأحصر الحديث فى انطباعاتى عن هذا الفيلم فى النقاط التالية - وهى :

١ - أن موضوع الفيلم أثبت حقيقة واحدة هى أن موضوع الأديان أسمى وأعظم من أن تطوله أعلى الكفاءات السينائية وأجهزتها وقدراتها . . وكل ما استطاعته السينما بهذه المحاولة أنها أثبتت عجزها التام على أن توفى حتى أبسط جوانب الموضوع حقّه من العرض المناسب .

٢ - أنه يجب على كل إنسان غيور على دينه الذى يعتنقه مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أن يمنع بكل عنف محاولة السينما وصانعيها ومحترفها من التعرض للديانات السماوية والرسول وحواريهم وأنصارهم وحملة دينهم الذين ينقلونه من جيل إلى جيل . . ويجب أن ترتفع مشاعر الغيرة الدينية إلى أقصى الحدود التى ترهب أولئك الذين يحاولون أن ينحدروا بالقيم السامية للأديان ورسالتها والمبشرين بها وبتعاليمها إلى مستوى الروايات التى تعزف الألحان فى منعطفاتها .. وتراق الحُمور على ندواتها.. فالأديان السماوية : الإسلام . . والمسيحية . . واليهودية - وحتى تعاليم الأنبياء الذين لم نعرف أسماءهم وقد جاءوا مبشرين بتلك الأديان الكبرى يجب أن يدافع معتنقوها عن انتقاصها ووضعها فى المستوى الذى يجعلها مادة للمستهزئين .

٣ - أن أبطال فيلم الرسالة كانوا فى تمثيلهم على عكس صفات ومميزات الأبطال الحقيقيين الذين مثلوا أدوارهم . فحمزة وبلال . . وعلى . . كانوا فى حياتهم على صورة تختلف كل الاختلاف عن الصور التى مثلت

وأخيراً - فإن الذين حاولوا إخراج رسالة الإسلام في هذا الفيلم مثلهم كمناطح صخرة يوما ليوهنها - فلم يضرها . . وإنما تحطمت رأسه على بأسها وصلابتها وقوتها . .

وليس هذا شأن هذا الفيلم وحده . . ولكنه شأن جميع الأفلام التي تصدت للأديان السماوية الأخرى ورسالتها وحواريهم والأمناء في كل شعب من الشعوب وجيل من الأجيال على نقل رسالة الدين إلى المؤمنين .

وأذكر في ختام ما قدمت أننى لم أكتب ما كتبت تحت تأثير عصبية دينية أو رغبة في معارضة عمل فني بُدِلَتْ فيه أموالٌ طائلة .. وقد تكون من بين دوافعه الخفية نوايا صالحة ، وأهداف شريفة من قبل بعض الذين شاركوا في الاهتمام بإخراجه .

كما أؤكد أننى حين حضرت لرؤية هذا الفيلم كنت متأثراً بأحاديث كثيرة لأصدقائى الذين سبقونى لمشاهدته . . وقد ترك في نفوسهم ارتياحاً لمناظر قسوة كفار قريش على المسلمين وتعذيبهم ، ثم انتصار الدين وشموله جميع أقطار العالم . . . وكان من الممكن أن تبقى آثار انطباعاتهم ماثلة في ذهنى عند مشاهدة الفيلم . . . ولكنى أعتقد أن

عنهم في الفيلم - فقد كانوا معروفين بالأدب والتواضع وخفض الصوت في مخاطبة الرسول عليه السلام . . . والتنزّه عن التشنجات التي ظهر بها أبطال فيلم الرسالة في أحاديثهم مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . .

ولقد عرف عنه - عليه السلام - وعنهم أنهم في مجالسه كانوا كأئمة على رؤوسهم الطير من السكينة والوقار والحب والاحترام والأدب حتى لا يستطيع الواحد منهم أن يملأ عينه من النظر إلى وجه سيدهم مهابة وتوقيراً وتعظيماً ..

وهناك مناظر عديدة ينكرها المسلمون ويحتقرونها في هذا الفيلم ، ويعرفون أنها مناقضة لما هو ثابت في تاريخهم ظهرت في لقاء المسلمين مع قريش في الحديبية وعند فتح مكة . . وفي تسلق بلال على ظهر الكعبة للآذان ، وفي الأسلوب الذى جرى عليه تبليغ تعاليم الإسلام للمسلمين بالنسبة لحقوق المرأة ، والجار ، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وآداب المحاربين وما يحظره الإسلام في معاملة المحاربين وما يحيزه . . وغير ذلك . . فكل هذه المناظر كانت في أسلوبها مشوّهة لحقائقها التاريخية ومتعارضة مع قدسيّتها . .

التي عرضت في الفيلم تصويراً يتفق مع الأفلام التي تشابه صور الجاهلية في شعوب الجرمان والإغريق - أكثر مما يتفق مع الشعب القرشي . . الذي كانت تحكم حياة مجتمعاته قوانين أخلاقية وتقاليدها تخالطها كثير من الآداب والمعاني الفاضلة . . .

لذلك فإن أضرار الجانب السلبي في الفيلم تفوق أضعاف الانفعالات التي تحدث بها من شاهده مشاهدة سطحية ، وهم بمعزل عن معرفة عظمة وجلال الرسالة التي حجبتها هذا الفيلم عنهم - بل لقد عمل على تشويهها ، وإلحاق أضرار بليغة بحقائقها .. وبعد :

فعنوان هذا الفيلم (الرسالة) قد أخرجه هذا العنوان من صفوف الأفلام . . ولم يدخله في صفوف (الرسائل) . . وقد تعاملنا مع العنوان فقط . . ولذا جاء ما كتبناه بصدده على الأسلوب الذي هو عليه - والذي استحق الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم انسجاماً مع عنوان الرسالة . . وليس مع واقع الفيلم .

حسن محمد كتيبي

العواطف السطحية سريعة الانفعال لا يمكن أن تؤثر في التعبير عن أى حقيقة في الوجود إذا لم تطابق جوهر الحقيقة وطبيعة تركيبها . . و الفرق الضد للضد بين العواطف التي تقوم على الانفعال . . . وبين رسوخ الحقائق وصلابتها وعدم خضوعها للمتغيرات الطارئة التي لا تقوم على أسس سليمة .

وفي الختام - أؤكد أيضاً أن فيلم « الرسالة » حجب حقيقة الإسلام ولم يظهرها . . وإنما قدم لمن يجهلون الإسلام صورة مشوهة عن المبشرات به . . وانتشاره . . وتعاليمه - وأهمل الجوانب المهمة فيه التي تثبت أن أول من بشر بظهور الرسول عليه الصلاة والسلام هم أحبار اليهود وقسس النصارى .. وأنه جاء مؤيداً لجميع الديانات السماوية بحيث لا يسمح لمعتنقيه بالشك في تلك الديانات ولا بإنكار رسلها .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون : كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله : لا نفرق بين أحد من رسله . . وقالوا سمعنا وأطعنا . . » .

بل إن هذا الفيلم شوه حياة قريش في جاهليتها ومسسخها وصورها في المناظر

القرآن والعمل

للمعلمة الشيخ / عبد الله بن كمون

وهكذا بعد أن يتساءل المؤلف عن موقف القرآن من العمل يقول :

« القرآن يذكر أن العمل هو العقاب »
الذي جازى الله به الإنسان على خطاياہ
ثم يستدل بالآية ٥٦ من سورة الذاريات
التي تقول : « (وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون) » وهذا كلام
غامض يظهر أن المؤلف سمعه من أحد
المبشرين - المسيحيين أو قرأه في
كتاب من كتبهم ولم يفهمه فنقله على
علاته ، وكيفما كان الأمر فقد طبق
عقيدة المسيحيين في الخطيئة الأولى
أو الكبرى كما يسمونها ، على الإسلام ،
وحيث إن المسيحيين يعتقدون أن صلب
المسيح كان هو الكفارة عن هذه
الخطيئة فقد ظن هو أن الإسلام جعل
العبادة ، وهي العمل في نظر المؤلف
عقابا للإنسان على خطاياہ ؟

فأى خبط مثل هذا ؟ وما هي

تحت هذا العنوان كتب مؤلف
كتيب : (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن)
فصلا استهله بما سماه بديهية وهو قوله :
« إن كل ما يوجد على وجه الأرض
يعد من صنع يد الإنسان وعقله
كما هو معلوم » ونجد أنفسنا مضطرين
لنقض بديهيته هذه ببديهية حقيقية
لا يمارى فيها مؤمن ولا ملحد ، وهي
أن من جملة الأشياء الموجودة على ظهر
الأرض الإنسان نفسه ، فهل هو الذي
صنع نفسه بيده وعقله ؟ ومتى كان
ذلك ؟ وأين ؟ وكيف ؟

أسئلة نوجهها إلى الفيلسوف
(رحماتوف) منتظرين جوابه الذي يحل
جميع المشاكل على الطريقة الشيوعية
السوفيتية .

وإذا كان أول الدنّ دردياً كما يقول
المثل ، فلا نتوقع أن نرى في هذا
الفصل أحسن من هذه البداية السيئة ،

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)
أى إلا ليوحدونى ويعرفونى .

فسقط كل من هول به من كلام
مدخول ملفق يكاد يكون لا معنى له ،
لولا أن أخرجنا خبأه وبيننا زيفه .

بعد هذا يقول : « إن من يأخذ
بتعاليم القرآن ، عليه أن لا يشتغل إلا
بعبادة الله ، لكن كيف يمكن أن
يعيش ؟ كيف يدبر المؤمن أمر
معيشته ؟ الجواب حسب تعاليم الإسلام
سهل جداً ، وهو : « إن الله هو
الرزاق » إن الإسلام وضع المؤمن أمام
أحد أمرين ، إما أن يشتغل بطلب
الرزق ويكون حظه الحرمان فى الآخرة ،
وأما أن يقبل الحرمان فى الدنيا ويكون
جزاؤه الجنة فى مملكة الله ويستشهد على
قوله هذا بالآية الكريمة : (من كان
يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ،
وما له فى الآخرة من نصيب)^(١) . .

وبما بيناه آنفاً من أن المراد بالعبادة
فى قوله تعالى : (وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون) هو معرفة الله
تعالى وتوحيده ، يبطل قوله هذا وما

العلاقة بين العمل والعبادة حتى تجعل
العبادة هى كل العمل ؟ ومن قال له
إن العبادة فى الإسلام هى عقاب
للإنسان على ما ارتكبه من الخطايا ؟
هنا يتبين أن المؤلف يهرف بما
لا يعرف ، فقد حمل العقيدة المسيحية
على الإسلام ، وهو براء منها ، بل هى
من الأخطاء التى جاء الإسلام لتصحيحها
بقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :
(ولا تزر وازرة وزر أخرى) فضلاً
عن أن هذه الخطيئة الأولى قد غفرها
الله لآدم منذ أدرك خطأه ، واستغفر
ربه ، كما قال تعالى : (فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو
التواب الرحيم) . .

ثم إن العبادة ليست هى كل العمل ،
بل هى جزء قليل منه ومع ذلك فهى
ليست عقاباً ، وإنما هى قربة وزلى
من العبد لله عز وجل وشكر له على
نعمه التى لا تحصى ، واختصاص
له بالعبودية التى يجب فى شرع
الإسلام أن لا تكون إلا لله .

على أن العبادة فى الآية الكريمة التى
استشهد بها هذا المؤلف ، إنما هى
توحيده عز وجل ومعرفته بصفاته العليا
فالحققون من المفسرين يقولون : (وما

(١) الآية ٢٠ من سورة الشورى والمؤلف قال
أنها من سورة مريم (١٩) .

شيده عليه من نزعات لاحقيقة لها ، فإن من يأخذ بتعاليم القرآن عليه أن يسهم بما في استطاعته ، في بناء مجتمع فاضل يقوم على العدالة الاجتماعية والإحسان في العمل ويمتنع هو كما يمنع غيره من المنكر والبغى وجميع الشرور ، على حسب ما جاء في القرآن في آيات كثيرة من أكثرها دلالة على ذلك قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » ليس عليه ألا يشتغل إلا بالعبادة كما زعم هذا المؤلف ، كيف والقرآن يقول : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) ، فأمر المؤمنين بمجرد انصرفهم من الصلاة أن ينتشروا في الأرض طلباً للرزق ، وذلك يكون بجميع أنواع العمل من صناعة وتجارة وفلاحة ، وبالسفر والتنقل في البلاد جلباً وتصديراً لخيراتها ومنتجاتها على سبيل تبادل المنافع وتنمية الموارد إلى غير ذلك مما يدخل تحت هذه العبارة الفذة الجامعة : (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) ولكن من أين للمؤلف أن يفهم سر البلاغة العربية والإعجاز في الأسلوب البياني للقرآن ؟

والمهم هو أن القرآن يحض على طلب الرزق ، ويأمر المؤمنين به أن ينصرفوا من الصلاة إلى السعى في الأرض لتدبير معيشتهم ، عكس ما ادعاه المؤلف من أنه إنما يلزمهم بالعبادة ولا يدع لهم فرصة لطلب الرزق اعتماداً على أن الله عز وجل هو الرزاق ، فهذا هو القرآن يكذبه ويعكس ما ادعاه ، فيجعل أفضل الوقت للعبادة وأكثره للعمل والسعى وتدبير المعيشة وذلك في يوم الجمعة الذي هو اليوم المفضل من أيام الأسبوع ، لأن هذه الآية من سورة الجمعة وفي صلاتها المفروضة ، بل إن مما امتاز به الإسلام على غيره من الأديان ما تدل عليه هذه الآية ، أنه لم يستثن حتى هذا اليوم الفاضل - أعني يوم الجمعة - من طلب العمل فيه والسعى لتدبير المعيشة ، كما يستثنى اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد وإنما أمر بإقامة صلاته في الجماعة وهي لا تستغرق أكثر من نصف ساعة بما في ذلك من سماع الخطبة أو عظة الجمعة بعبارة أخرى ، والصلاة ثم قال : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) فما أعظم الإسلام وأكثر تجاوبه مع مطالب الحياة ..

الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) . فهي لم تنه عن حرث الدنيا وإنما تلفت النظر إلى أن العمل للدنيا يجب أن يكون مقرونا بالعمل للآخرة ، فن عمل لآخرته مع عمله لدنياءه ، تطبيقاً لتعاليم القرآن التي تحض على العمل لهما معاً كما في الآية الأخرى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا) بارك الله عمله وأعطاه من خير الدارين ومن قصر نظره على الدنيا ولم يعمل شيئاً لآخرته ، وأول عمل الآخرة الإيمان ، آتاه الله نتيجة عمله الدنيوى ولم يكن له في الآخرة حظ ولا نصيب ، فهي من باب الحسنى على الجمع بين الإيمان والعمل ، بالنصوص التي ذكرناها من قبل . وتعلق المؤلف بها كالتعلق بخيط العنكبوت .

ومع ذلك فهو يتورك عليها ويقول : إن مثل هذه الأحكام ليست بجديدة ، (يعنى في الإسلام) إنها اللاأخلاقية الدينية التي يتسم بها البغاة الماكرون ، والكسالى المتبطلون ، وجميع طوائف المتفجرة الذين لا يعملون ولكن يأكلون) . فهو يخرج من اتهام الإسلام إلى

وما يدخل في نطاق الحض على السعى في طلب الرزق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « من بات وانياً في طلب معيشة أهله ، بات مغفوراً له » - وبما سبق للمؤلف من أن الحديث يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن وأنه المبين له يعلم أن قول المؤمنين أن الله هو الرزاق اعتماداً على تعاليم الإسلام ، ليس معناه ترك طلب الرزق ، ولكن الاعتقاد بأن ما يكسبه الإنسان بعمله وكده هو من عطاء الله وفضله لأنه رب العالمين وخالق الكون وما فيه ، وواهب القدرة على العمل ، فرجع ذلك إلى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هو جوهر الإسلام .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذي أنشأ إمبراطورية الإسلام العظمى ، وليس هناك من يدعى اليوم أنه يفهم أمر الإسلام في هذا الصدد أكثر منه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : « اللهم ارزقني » ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » فطلب الرزق لا ينافي قول المؤمن : « اللهم ارزقني » ، وإنما هو جمع بين الإيمان والعمل وهذا لا يرقى إليه فهم الماديين المفتونين من أمثال المؤلف . أما آية : (من كان يريد حرث

نازلين في فندق من أفخم الفنادق فكان طبق الفاكهة الذى يقدم إلينا من الطماطم والخيار ، وفي بلد شيوعى آخر بأوروبا احتاج أحد كبار الناس إلى لتر واحد من اللبن لغذاء مريض عزيز عليه ، فلم يجده وكان له صلة برئيس ذلك البلد فذهب إليه وشكا له الحال فأعطاه لتر اللبن المطلوب من بيته ، أفيكون هذا الحرمان هو الذى يجعل أصحابنا الشيوعيين يكثرون الكلام على الأكل ويجدون في نفوسهم على الذين يأكلون ؟

لكن الذى لا ريب فيه هو أف هذه الحالة هى مصداق لقوله تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ، وقوله عز من قائل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) .

ويعود المؤلف إلى الإسلام ، يخص رجاله بعد تعميم ، فيصفهم بالخداع وتخدير عقول الناس ، واختراع الأناشيد الدينية والدعوات ، لإلهاء الشعب ، وإيهامه أنه لا فائدة من العمل ، لأن

اتهم جميع الأديان ، شنشنة أعرفها من أخزم ، أى من الشيوعيين وجميع الملاحدة ، وقوله هذا هو من باب ما جاء في الأمثال : (رمتى بدائها وانسلت) فالأخلاقيات الشيوعية هى المهتمة بالأكل ، وهى التى يكاد جميع نشاطها يدور على الأكل... ولعلها لما رأت الأخلاقية الدينية التى توصى بالقناعة والتقلل من الطعام وهى إنما قامت لمناهضة الأديان — جعلت وكدها هو السعى لتوفير المواد الغذائية ومضاعفة إنتاجها ، ولكن الواقع هو أن القدرة الإلهية عكست مرادها ، فضنت عليها بما جادت به على غيرها ، فلا ترى بلدا شيوعيا إلا وهو يعانى من ضنك العيش وقلة المؤونة بقدر ما يبذل من الجهد ويتحمل من المشقة ، وقد بلغت أثمان بعض المواد الضرورية كالطماطم والبطاطا والأرز ونحوها فى عاصمة بلاد شيوعية أرقاماً خيالية ، وحدثنى بعض رجال الدبلوماسية أنهم يخرجون إلى القرى البعيدة من العاصمة بعشرات الكيلومترات فى طلب حبتين أو ثلاث من البصل ونصف رطل من الفاصوليا ، وأما الفاكهة فلا كلام عليها .

ولقد كنا فى بعض البلاد الشيوعية

الله هو مدبر الأمور ، وكل شيء مكتوب عنده في اللوح المحفوظ ، قائلاً : (ونحن نتساءل كيف يمكن لله أن يكتب في اللوح مسيرة الملايين من البشر منذ بدء الخلق ؟ وما هو مقياس هذا اللوح السرى ؟) ثم يعقب على ذلك بقوله « إن جواب الوعاظ المسلمين هو أن الله وحده هو الذى يعرف سر هذه الأمور » .

ونحن لا نجيب على ما يكيّله لرجال الدين الإسلامى من تهم وما يصفهم به من أوصاف نابية لا تصدر من رجل مذهب ، لا ندرى كيف انخرط فى رجال الديبلوماسية ، وهو بهذه الرعونة والسلوك المعوج ، ولكننا نرد عليه قوله بأن رجال الدين الإسلامى يوهمون الشعب بأنه لا فائدة من العمل ، فقد أثبتنا بالحجة القطعية أن ذلك خلاف الحقيقة وأن رجال هذا الدين ما زالوا يحثون أتباعه على العمل والسعى اعتباراً بما جاء فى كتاب الله العزيز وسنة النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وتقدم بعض ذلك ، ومنه أيضاً قوله تعالى : (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فياًكل ، خير له من أن يسأل الناس

أعطوه أو منعه » وقول عمر بن الخطاب : « إنى لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول هل له حرفة فإذا قيل لا ، سقط من عيني » والكلام فى هذا الباب لا حصر له .

وكون الله عز وجل هو مدبر جميع الأمور ، هو مما لا نزاع فيه عند جميع المؤمنين من أتباع الأديان وغيرهم من الحكماء والعلماء والمفكرين ، إلا الملاحدة الذين لا يؤمنون بشيء وهؤلاء لا يهتمون ما دامت الأكثرية الكاثرة من سكان المعمورة على الإيمان الراسخ والاعتقاد الجازم بأن الله خالق الكون ومدبره ومصرف أموره كما يشاء ويريد ، ومنذ كانت الدنيا وهى لا تخلو من طائفة من الجاحدين والمنكرين لوجود الله وهم بمثابة الشذوذ الذى يثبت القاعدة والخارجين على النظم والآداب العامة الذين ينبذهم المجتمع ويتقيهم كما يتقى إحدى الآفات .

ولما كان المؤلف لا يؤمن بالله ولا يعرفه فمن الطبيعى أن ينكر تصريحه للأمور وإثباته للمقادير فى اللوح المحفوظ . . .

وغاية ذلك علم الله الشامل المحيط بما يقع فى الكون من أعمال الخلق وتسجيله فيما يسمى باللغة التى يمكن أن نفهمها ؟ (لوحاً) تقريباً لهذا الأمر

والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ،
ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب
ولا يابس إلا في كتاب مبين .

ويكرر المؤلف كلامه السابق في
بلادة لا تحتل ، عن القدرة والرزق
والقسمة غير العادلة ، ويقول : إن
القرآن يأمر المستضعفين أن لا يشكوا
حالمهم ، ولا يحسدوا الأغنياء ، فقد جاء
في السورة ٢٠ الآية ١٣١ قوله :
(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا
منهم) ولو كان لهذا المؤلف ضمير حي
لتقبل هذا النصيح بأحسن التقبل ،
فإن هذه الحالة قائمة في كل المجتمعات
ومنها الشيوعية ، وإن خير ما تواجه به
هو عدم التشوف إلى الغير واطمئنان
الإنسان إلى ما عنده ، وإلا فإن
ما يسببه لنفسه من انفعالات وما ينشأ
عنده من الحسد لذلك الغير ، هو من
الأدواء التي يصعب علاجها ، وما زال
الحكماء من قديم يوصون الإنسان بأن
ينظر إلى من فوقه في العلم والفضل وإلى
من تحته في المال والجاه ، تفادياً لمثل
هذه الحالة ، فالقرآن وهو كتاب
ديني أخلاقي تربوي لا يمكن أن يشذ
عن هذه القاعدة ليكسب المؤمنين به
طمأنينة النفس وراحة البال .

وقلت إن هذه الحالة لا يخلو منها

الغيبى من الأذهان ، وإلا فجلال الله
وعظمته وما يتصل بعلمه وقدرته ، مما
لا تدركه العقول ولا تتصوره الأفهام . .
وكيف يدرك العقل وهو محدود الإدراك ،
ما لا حد له ولا نهاية ؟ وبحق أطلق
عليه الفلاسفة اسم المطلق ، وقال فيه
آخرون : العقل الأول :

إننا نقول للمؤلف : إن كانت
العقول الألكترونية وهي من صنع البشر
تعد الملايين والملايين من الأشياء
وتضبطها ، فإذا يكون إحصاء مسيرة
الملايين من البشر بالنسبة إلى العقل
الأول أو إلى المطلق وبالعبارة التي هي
أعظم من كل ذلك بالنسبة إلى الله ...
أما مقياس هذا اللوح ، فانظر إلى
سعة الكون من الأرض والسماء والكواكب
والجموعات الشمسية والحجرات وعظمتها
التي يصفها العلماء ، واستحضر عظمة
خالقها وسعة قدرته ، وعندئذ تعرف
مقياس اللوح أو السجل الذي يناسب
هذا الخالق .

ولقد أصاب وعاظ المسلمين الذين
تندرت بهم ، فيما قلت إنهم يجيبون
به ، من أن علم ذلك خاص بالله
سبحانه ، وهو جواب مقتبس من
الآية الكريمة (وعنده مفاتيح الغيب
لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر

حتى المجتمع الشيوعي وأنا أعنى ما أقول
فهل يستطيع أن يثبت لى سعادة السفير
(رحماتوف) أن لباس زوجه وحليها
هو ما تلبسه أى امرأة من عامة الشعب
السوفييتى وتحلى به إن كان لها حلى ؟
ودع عنك امرأة رئيسه وزير الخارجية
وغيرها من نساء (الطبقة العالية) فى
الاتحاد السوفييتى .

ويجمع المؤلف بما يوجد فى بيت
المشايع والبكوات من المؤن والطرف
بحيث إنها على حد تعبيره لا ينقصها
إلا حليب الطيور ، فى الوقت الذى
يطلب من الفقراء والمستضعفين الصبر
على ما هم فيه من الحاجة والضيق ،
كأن بيوت قادة الحزب ومسيرى تشكيلاته
تخلو مما يوجد فى بيوت من ندد بهم من
المشايع والبكوات ، أو كأن بيوت العمال
والطبقة الدنيا من المجتمع الشيوعى تحتوى
على ما يوجد فى بيوت من ذكرنا من
رجال الحرب ، ولذلك فنحن لا ننكر
التفاوت الموجود بين الفقراء والأغنياء
من المسلمين ، وإنما نحدثه عن حفلة
استقبال أقامها زعيم نقابى كبير فى
(إحدى) فيلاته قال الذين حضروها
أن (الكافيار) كان يقدم فيها
بالكيلوات) فى صحون (الصينى)
مع العلم بأن ذلك فى بلد لا ينتج

الكافيار بل يستورده بأعلى الأثمان .
وحسبنا هذا لفتح بصر المؤلف الغيور .
ويأتى المؤلف بعد ذلك بعبارة لا ندرى
من أين استقاها وهى قوله : « إن
القرآن يحرم على المسلم العمل وُجِئِلُ
له التجارة » وإذا كنا نتحداه أن يأتينا
بنص قرآنى أو إسلامى على العموم
بصدق قوله هذا ، فإن فى النصوص
المتقدمة التى تخص على العمل وتطالب
المسلم أن يسعى لكسب رزقه ، ما يكفى
الرد عليه ، ثم نسأله : كيف أنشأ
المسلمون حضارتهم التى استمدت منها
الإنسانية جمعاء ، وأسسوا المدن ،
وفتحوا أقطار العالم ، وحكموا الدنيا
بالعدل والمساواة طوال عشرة قرون
بل تزيد ؟ هل كان ذلك بالتجارة
فقط ؟ أم بالعمل الذى تقول إن القرآن
يحرمه عليهم . . .

وهو يبنى على ذلك فذلك طويلة فى
الإشادة بالشيوعية وعمل الشعب السوفييتى
الذى يؤمن بأن الشيوعية هى المستقبل
الزاهر للإنسانية ، ويقول : (إن واجبنا
هو الكفاح ضد هذه التركة الخاملة
بجميع الوسائل ، لتسود الشيوعية فى
بلادنا أولاً ، وبعد ذلك فى البلاد
التابعة لها ، ثم فى جميع بلدان العالم
كما أوصى بذلك المؤتمر الثانى والعشرون

للحزب الشيوعي السوفييتي . . .)

وإذا كان لهذا الكلام من خلفية نستطلع منها ما يخفيه المؤلف فإنها المجابهة التي تلقاها الشيوعية من الإسلام في بلاد الاتحاد السوفييتي أولاً : - واستعصاء تطويع الشعوب الأخرى المبتلاة بسيطرة الحزب الشيوعي ثانياً وأما سيادة الشيوعية في العالم ، فإن بوارق إخفاقها في عقر دارها ، وخفض جناحها للإمبريالية الغربية ، مما يدل على أنها حلم من الأحلام .

ويتأدى المؤلف في غروره فيقول (النصر على جميع عناصر الطبيعة يحطم صرح الديانة ، والشعب السوفييتي الذي ليس له أمل في الله يصنع الطبيعة بوسائله العلمية ، أن الفلاحين السوفييت قد أخرجوا ٢٠ ضرباً من القمح من الأنواع الـ ٥٣ المعروفة ، وورثوا الماشية قد استنتجوا ٤٠٠ صنف من جنس البقر و ٢٥٠ من الغنم و ١٥٠ من الخيل . إن هذه الإنجازات تؤكد القوى الخلاقة للإنسان ، وتنقص عناصر الكتب السماوية التي تحصر قدرة تغيير أجناس الحيوان والنبات في الله) ..

لا يخامرنا شك في أن المؤلف إنما ولي سفارة بلاده بإيمانه الأعمى بالشيوعية ،

لا بمؤهلاته العلمية ، وإلا فكيف يعتقد أن تحسين نوع من أنواع النبات أو جنس من أجناس الحيوان بالتلقيح والتوليد هو تغيير للنوع والجنس ؟ وكيف يجهل أن ما فعله فلاحوا السوفييت ومربوا الماشية في روسيا ، هو ما يفعله غيرهم في بلاد أخرى ؟ فاستخراج أنواع جيدة من القمح هو مما يقع عندنا في المغرب ولا نحتاج أن نذهب إلى بلد من بلاد أوروبا وأمريكا . ولكن أحداً عندنا حتى من الفلاحين البسطاء لم يفهم أن ذلك تغيير لجنس القمح . وتحسين نوع الماشية هو أيضاً من هذا القبيل ، وكم يعرض منه في معارضنا الفلاحية الموسمية . هل حول البلاشفة الخيول إلى أناس ؟ إلى رجال يفكرون ويعملون ؟ هل حولوا جنس البقر أو الغنم إلى نساء يحملن بأطفال بشرية ، ويقدمن عرضاً للحبالى في أحد المسارح ؟ هذا هو تغيير الجنس يا سيد (رحماتوف فأين أنت منه ؟

عندنا كلمة حكيمة تقول : (في تلقيح الأجناس تحسين للنوع) وهي قديمة وقد جربها الفلاحون المسلمون منذ قرون وخرجوا منها بنتائج مضمنة في كتبهم التي وضعوها في علم الفلاحة التي نقلت إلى اللغات الأوروبية واعتمدها

العلماء في أبحاثهم وما تزال مرجع المؤلفين منهم في هذا العلم ومنها فلاحه ابن العوام وفلاحه أبى الخير وفلاحه ابن بصال وغيرها ، ومع ما كان لأصحابها من علم ومقدرة في ميدان التجارب الفلاحية فإن واحداً منهم لم يأخذ منه الغرور المأخذ الذى جعلك تقول ما تقدم من الكلام في جانب الألوهية وتتباهى تباهى الأطفال بلعبهم الملوثة ؟

ولإليك هذه الحكاية من تاريخنا المغربى - كتب أحد علماء مدينة فاس منذ ثلاثة قرون إلى أحد علماء إقليم تافيلالت يسأله عن أنواع التمر التى تنبت في بلده ، فأرسل إليه حمل بعير من التمر كل حبة منه من نوع لا يشبه النوع الآخر ، وكتب إليه بهذه الآية القرآنية : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » . .

عبد الله بن كنون

في التوبة

قال عليه الصلاة والسلام :

« يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه . فإنى أتوب

في اليوم مائة مرة » .

كتابة التاريخ بين الإنصاف والإجحاف

دكتور / محمد رجب البيومي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

تطبيقه العملي لدى هؤلاء على وجه شاف مبسوط ، بل إنه لم يكد يجد تطبيقه العملي لدى ابن خلدون نفسه ، لأنه رسم القواعد الدقيقة في مقدمة الكتاب ، ولم يتقيد بها في أكثر ما تلاها من الفصول ، حتى ظن بعض الدارسين أن المقدمة كتبت أخيراً ، بعد أن انتهى المؤلف من كتابه ! وهذا ظن معقول نشاهده في ذوات أنفسنا ، إذ نلجأ إلى كتابة المقدمة للكتاب بعد أن نفرغ من تدوين فصوله ، وليس معنى ذلك أن المؤلف الذي يرجي المقدمة إلى النهاية يظعن على عمياء دون تحديد ، بل معناه أنه يحتفظ بطريقة السير في نفسه محاولاً تطبيقها حتى إذا فرغ من مهمته عكف على

وجدت في مصر بعد ابن خلدون عناية هائلة ضخمة بتدوين التاريخ سابقاً ومعاصراً ، فأنت تذكر المقرئ وابن حجر والبدر العيني وابن عرب شاه وابن تغري بردي والصيرفي والسخاوي وابن إياس والسيوطي وابن زنبيل وابن خليل وغيرهم ممن لا تزال مؤلفاتهم مخطوطة تتطلب النشر والتحقيق ، وفيهم من عكف على التاريخ وحده ومن كتب في علوم كثيرة ، ولكنه جعل التاريخ من همه ، فجاء الفحول من المتخصصين ، ومن الواضح الجلي أن أثر ابن خلدون كان ضئيلاً في أكثر ما خطه هؤلاء ، لأن طريقته التحليلية ، ومنهج التعلي ، ووقوفه المطمئن أمام الظواهر المتعارضة ، لم يجد

كتابة المقدمة موضعاً جهده العلمي كما كان لا كما سيكون .

ولقد كان المأمول ممن ذكرنا من هؤلاء أن يرتفعوا إلى الإنصاف الحميد في كل ما يكتبون ، وبعضهم من كبار العلماء الذين كتبوا في التفسير والحديث ومسائل التشريع ، ولكن الإنصاف الدائم مطلب عسير لا يبلغه غير الصفوة ممن اجتباهم الله ، وليس الإنسان ملكاً في كل أحواله ، ولكنه بشرٌ يخلق ويسفّ وكل امرئ بما كسب رهين .

إن الباحث ليطالع كثيراً مما خطّ هؤلاء فلا يعدّم الإنصاف السديد ، والأمانة الحميدة في كثير مما يقرأ ، ولكنه من ناحية أخرى يشاهد جموحاً لا مبرر له ، ويرى اعتسافاً يضل به صاحبه سواء السبيل ، ولو علم الذي يركب متن الشطط أنه ليس وحده في الميدان ، وأن إخوانه يكتبون فيما يكتب ، وستتيح المقارنة الدقيقة وجه الحق فيما يدونه المتسرعون ، وقد ينقضى

عصره دون أن يكشف اللثام عن الإسراف ، ولكن باحثي العصور التالية سيقروون ويوازنون ، وسيحللون البواعث ، وسيبحثون عن السرائر - وحينئذ تنجلي الرغبة عن الصريح - أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، أقول : لو علم الذي يرتكب الاعتساف في التاريخ أنه موضع بحث دقيق ، وأنه مسئول مفحوص ، لخشي عاقبة التسرع ، ورحم اسمه من الناقدين ، وأكبر الظن أنه يعلم ذلك ويعيه . ولكن أين الإرادة القوية التي تسيطر على النوازع؟ وتعصم الميزان أن يميل ؟ وإذا وجدت في بعض الأوقات ، فهل يُقدّر لها أن تطرد وتستقيم ؟

وسأحاول أن أضرب مثلاً لبعض الشطط الذي كشف أمره ، وانتقل إثمُه من المتحدث عنه إلى المتحدث به ، ليعرف جمهرة الدارسين أن الإحجاف لا يستمر ، وأنه لا يصح غير الصحيح مهما أرجف الباطل ، وجلب

ناصر الدين بن العديم الحنفى، فإذا
فارق الحياة خلفه على هذه التربية المزدوجة
زوج أخته أيضاً قاضى القضاة جلال
الدين البلقينى الشافعى! فما ظنك بمن
يُشرف على ثقافته الأولى رأس الحنفية
ورأس الشافعية معاً، حتى إذا غرسا في
نفسه ظمأ المعرفة، وأوقدا حرارة التطلع،
بادر بنفسه إلى مجالس العلية الكبار
من أماتدة الحلقات العلمية الكبرى في
عصره فتتلمذ على أستاذ الأول المقرئى،
وناهيك به في مجال التاريخ، وواصل
الأخذ عن الشهاب ابن حجر والبدر
العينى، وهما علمُ العصر تاريخاً
وفقهاً وسنةً، ولم ينسَ من دونهما من
الناهين كابن عربشاه وابن ظهيرة
وابن العليف وابن الشماع وبعضهم
في غير مصر من بلاد الإسلام، فتجشّم
إليهم الرحلة مشوقاً!! وانكبَّ على
التأليف حين استوى على ساقه
واستحصد فأخرج شطأه الذى أعجب
وراق، وقرأ معاصروه اثنى عشر
كتاباً من تأليفه، أشهرها كتابُ

على الحق بخيله ورجله .
نعرف جيداً كتاب (النجوم الزاهرة
في ملوك مصر والقاهرة) منذ أخذت
دار الكتب المصرية في نشره
وتحقيقه لأربعين سنةً خلت،
ونعرف من قراءة الكتاب الضخم دون
تزكية خارجية أن مؤلفه أباً المحاسن
جمال الدين يوسف بن تغرى بردى
كان ذا نظير ثاقب، وتلقيقٍ بارع،
وسردٍ سهل على أعجمية لم تمنع عذوبة
لغته، وسلاسة سرده، هذا ما تنطق به
أجزاء الكتاب، وهى وثيقة صادقة
لا تقبل الإرجاف من متنقّص لجوج،
فإذا تركنا هذه الوثيقة الشاهدة ودرسنا
حياة المؤلف لم نجد أنه أعجميُّ ألكن
اللسان يتطفّل على العلم دون دراسة
وتحقيق، كما حاول أعداؤه أن يقولوا
في إجحافٍ مغرض، بل نرى طالبَ
علمٍ أولجَ بالتحقيق منذ نشأته، وقد
سلك سبيل المجتهدين من ذوى النجابة.
فقام على تربيته المعيشية والعلمية معاً
زوج أخته، وهو قاضى القضاة

(النجوم الزاهرة) الذي كتبه في سبع مجلدات ضخام ، ومن ينشره الآن سيتمدون بالأجزاء إلى حينٍ مستريح ، محلاةً بالتحقيق والتوثيق والشرح ! هذا المؤرخ النابه الذي يجيء ثالثاً في حلقة ممتازة تبتدئ بابن خلدون وتثنى بالمقريزي وتثلاث بابي المحاسن هذا ، ثم تمضي في اتساقها المطرد حتى تنتهي بابن إياس ، هذا المؤرخ النابه يجد من معاصريه وتلاميذه من يثلبه طاعناً في غير سداد ، ونحن لا نحرم على أحد أن ينقد أحداً - فلن تظهر الحقيقة إلا بعد مثافئة وتمحيص ، ولكننا نحرم أن يكون النقد طعنًا ظالماً دون حق ، فقد ترجم له نور الدين بن الجوهري الخطيب في كتابه عن (أنباء العصر) فذكر المعروف من أساتذته ، وزاد على ما ذكرناه من قبل ، فنص على أنه حضر مختصر القدوري في الفقه ، وشروح ألفيه ابن مالك في النحو ، وإيساغوجي في المنطق وشرح العقائد

لسعد الدين التفتازاني ، وسمع المسانيد في الحديث ، وأعلى ما سمعه سنن أبي داود الترمذي ، والشمائل ، ومسند ابن عباس ، كما قرأ علم العروض على النواجي ، وأخذ علم النغمات عن فتح الدين العجمي !! هذا الدارس الصبور الذي أخذ شتى العلوم عن أئمتها ، وأظهر من المؤلفات ما يدل على ضلوعه البارعة لم يجد الجوهري في نفسه حرجاً من أن يقول عنه .

(وحاصل الأمر فيه أنه عامي ، والمصدق لما قلته يشهد من خطئه في كتبه التي سردناها ، فإنه يكتب كتابةً ما تصدر عن صغار الكتاب المتعلمين من تصحيف وزيادة في الأحرف ونقص ولحن مفرط ، وإذا نقل حكاية فتجد غالبها تصحيفاً ولحناً ، ولعمري فهذه العلوم التي سردناها ، والشيوخ الذين حضر عليهم ما استفاد منهم مسألة ، والظان أنه كلما فرغ من تصنيف يترجمه به إلى من يعرف العربية ، فيصلحه له ،

الخطأ ، لأن فساد العبارة لدى الجوهرى
أشد وأفدح . وفي كتابه ركاقات
وأخطاء تمنعه أن يتصدّر للحكم على
البناء المملوكى لدى سواه وأهونها أن
يقول (ولم أعارنى كتاباً) !

لقد تحدث الجاحظ عن تحاسد
العلماء فخيّل إلى أنه أفرط . وبالغ ، ولكن
بعض ما نستشهد به الآن يميل بنا
إلى تصديقه ، كما أن الذين كتبوا
في الجرح والتعديل أشاروا إلى (المعاصرة)
وعدها أكثرهم مانعاً من قبول الشهادة ،
ولست أرى أن الكلام على إطلاقه ،
فقد تكون المعاصرة حائلة دون الإنصاف
لدى قوم تهيج أنانيّتهم حين يتقدم
سواهم ويتأخرون ، ولكن هناك من
رُزقوا السلام النفسى فما ضرهم فى شيء
أن يُجيد المجيد ، بل أسعدهم أن
يُسارعوا إلى تقديره ، والثناء عليه ،
ولم يعد أبو المحاسن من عرف مكانه
من الكبار ، فقد نال تقدير
ابن حجر وهو علامة الإسلام فى عصره
ورأس القضاة الشافعيّين ، كما عرف

ويصير له به مزية ، ولكن إذا
أراد الله أمراً بلغه .
ولقد حضرته مراراً ، فإنه كان
يحضر عند مخدمينا وصاحبنا وجارنا
المقر الزينى ، فكنت أمشي معه فى
الحوادث فلم يمش ، وأتكلم معه فى
شئ من الفقه فأجده عارياً منه ،
وكذا فى النحو والعروض ، ومن حين
عرّف أنى اشتغلت بفن التاريخ لم
(أعارنى) كتاباً من كتبه ولا أوقفنى
على شئ من مصنفاته) اهـ .

هنا مربوط الفرس حقاً ! إذ أن
العلّة فى هذه الحملة أن الجوهرى قد
طلب مؤلفات صاحبه التاريخيّة فرفض
أن يعطيها إياه ! فلا بد أن تقوم
القيامّة على الرجل ، لا سيما وقد انتقل
إلى رحمة ربّه ، وترك من المنافسين
ما يؤلمهم ذبوع تآليفه ، فليحاول أن
يسلقه بتجريحه الظالم ، ولعلّ أدهى
ما فى هذا التجريح هو التشنيع على
فساد العبارة عند أبى المحاسن حتى
اضطر إلى اتخاذ من يُراجع قوله ليصحح

مكانته البدر العيني ، وهو منافس ابن حجر في التصور والفتوى والترأس ، بل إنَّ العيني كانت تأتيه الأسئلة العويصة في بعض الغوامض التاريخية فلا يستنكف أن يُحيل على تلميذه أبي المحاسن كي يُجيب معتذراً بتقدم السن ، وتأخر الصحة ، وقد ترجم له ابن تغري بردي فأشار إلى شيء من ذلك حين قال (ولما انتهينا من الصلاة على قاضي القضاة (العيني) قال لي بدر الدين محمد بن عبد المنعم (خلا لك البر) فلم أرد عليه ، وأرسلت إليه بعد عودتي إلى منزلي ورقة بخط العيني ، يسألني فيها عن شيء سُئل عنه ، ويعتذر عن الإجابة بكبر سنه وتشتت ذهنه ، ثم بسط في الشكر والثناء ، إلى أن قال : وقد صار المعول عليك الآن في هذا الشأن ، وأنت فارس ميدانه وأستاذ زمانه فاشكر الله على ذلك ، وكانت كتابة هذه الورقة في سنة ٨٤٩ هـ أي قبل وفاة العيني بسنتين) .

ماذا نأخذ من هذا النص ؟ نأخذ منه صراحة أن العيني لم ير بعد انتقال المقرئ وابن حجر من يعتده مرجعاً في قضايا التاريخ غير أبي المحاسن ؟ كما نأخذ منه صراحة أن الفقيه الحنبلي بدر الدين بن عبد المنعم قد لسن حين قال لأبي المحاسن في جنازة العيني (خلا لك البر) وإذا كان الجوهري والسخاوي والسيوطي عند وفاة العيني دون أبي المحاسن سناً وإنتاجاً ، وهم الذين واصلوا مسيرة التاريخ فيما بعد ، فإن الرجل قد أخذ زعامة التاريخ عن استحقاق ، وما يُلَقَّاه إلا ذو حظ عظيم !

لقد قرأتُ فصولاً مما كتب الجوهري فلم أرتج إلى لغته بالقياس إلى لغة أساتذته ، ونظرائه ، وعرفتُ أن المثل القائل (رمئ بدائها وانسلت) قد انطبق عليه ، والشاهد الناطق بيننا هو آثار الرجلين ، وإذا كان السخاوي - عفا الله عنه - قد تجرأ ظالماً على ابن خلدون والمقرئ وأبي المحاسن ،

وحين تصدر معركة طاغية جارحة فلاقى
من السيوطى والبقاعى نلدين جهيرين ،
وشغلوا الناس بقذائفهم دون نكرص ،
وهم من أكابر العلماء ورؤساء المحدثين ،
وكان من الخير للجدل العلمى أن
يقتصر على الحقائق الفكرية دون أن
ينقلب إلى مماراة وتشهير بالمواقف
الهابطة ، فينتقل من الموضوعية الجديرة
بالاعتبار إلى الذاتية التى يتضخم لديها
غرور الشخصية حتى ما يرى صاحبها
سوى نفسه ! والقوم بعد علماء مفسرون ،
ومن واجبهم أن يلتزموا بحق قول الله عز
وجل (ولا يعجز عنكم شنان قوم على
الأتعدلو ، اعدلو هو أقرب لليتقوى ،
واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) .
آن لنا أن نصل إلى موضع العبرة
مما ذكرناه ، فقد اتضح لنا أن الهجوم
على أبى المحاسن لم يجد الإقناع الجازم
فى عصره ، ثم مضى الزمن فى سيره
واهتمت المؤسسات العلمية الان فى
الجامعات ودور البحث بمراجعات دقيقة
لأعلام التراث ، ودرس ما عُثر عليه
مجلة الأزهر

أفيسكت صادقاً عن الجوهرى ؟ !
لقد عنى أن أراجع ما كتبه عنه
فوجدته يقول :

(وقد نسخ (البداية) لابن كثير
ونحوها فى مجلدات يضحك أو يبكي
عليه فيها ، والعجب أنه قرظها له
كثيرون ثم آل أمره إلى أن نفذ غالب
ما معه واحتاج ، فناب فى القضاء . . .
ونصب نفسه لكتابة التاريخ ، فكان
تاريخاً لكونه لا تميز له عن كثير من
العوام إلا بالهيئة ، مع سلوكه لما يستقبح
بحيث أمسكه جماعة الوالى ، وصار
الفقهاء والقضاة به مثلة ، وضرف بأمر
السلطان مرة بعد أخرى . . . ثم لما كثر
تردده إلى توقفت فى كونه يحصل
شيئاً ، وعملت له مقامة بعد أخرى
للزبن بن مزهر ، ومع كونه كرر قراءتها
على غير مرة لم يحسن قراءتها عنده) .
هذا ما قاله السخاوى ، وما استشهدت
به لأنقل رأيه فى الجوهرى وحده ، بل
لأتجاوز ذلك إلى مؤاخذه المنصف حين
هاجم زملاءه وأساتذته ملحقاً محتداً ،

من آثار السابقين دراسةً عادلةً ، ووُزِنَ ما قيل من النقدِ بميزانه الدقيق مُحاطاً ببواعثِهِ ودواعيهِ ، فإذا هؤلاء المظلومون من أمثال المقرئى وابن خلدون وأبى المحاسن يأخذونَ اعتبارهم العادل فتُعرفُ لهم مزاياهم وسقطاتهم جميعاً ، ثم تميل كفتهم إلى الرجحان حين تثقل جهودهم الصائبة ، وتشمل هئاتهم التى لا بدَّ منها ، وإذا هؤلاء الظالمون من أمثال الجوهريّ والسخاوى يرتدون إلى حجومهم الطبيعية دون اتساع ، ولئن حُمِدَتْ لهم جرأةُ البحث وقوةُ الدفع فقد أُخِذُوا بما تورطوا فيه من افتياتٍ وادعاء ، وأذكرُ أن المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة قد كتب بحثاً جيدة تحت عنوان (المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى : القرن التاسع الهجرى) كانت على وجازتها الدقيقة شافيةً صادقةً ، وقد حفظتُ للمقرئى وأبى المحاسن مكانى الرياسة والتصدر ،

ولو كان ابن خلدون من رجالِ هذا القرن لخصَّه المؤلفُ ببحثٍ منصفٍ كما خصَّ زميليه !! على حين جعل السخاوى والجوهريّ والسيوطى ممَّن عنفوا فى المؤاخذه والتشهير بمنزلةِ دون أولئك ! ولم يرسل القولَ إرسالاً دون استدلالٍ ولكن شَرَحَ وعلَّلَ واستنتجَ حتى بلغ الشاطئ فى اطمئنان مريح ، وقد صدق شوق حين رثى المنفلوطى فقال :

سكن الأحبة والعدى وفرغت من
حقنِ الخصوم ومن هوى الأشياع
فإذا مضى الجيل المراض صدوره
وأقَى السليم جوانب الأضلاع
فافزع إلى الزمن الحكيم فعنده
نقد تنزه عن هوى ونزاع
فإذا قضى لك أبْت من شَمِّ العلى
بثنيةٍ عزتْ على الطَّلَاع
د. محمد رجب البيوى

النهاية المؤكدة

المشيخ ، أستاذ التفسير

فى مسيرته لا مقياس عنده يقيس به
الأمر ولا حلال ولا حرام ، وإنما كل
أمر مباح : من قتل نفس أو ظلم
إنسان أو أكل مال حرام ، أو
استعباد نفس أو إذلال للخلق ، فلا
عجب أن ظهرت الطبقة العرقية الممثلة
فى السادة والعبيد ، والأشراف والسوقة ،
والطبقة الاقتصادية الممثلة فى تجارة الربا
وأكل أموال الناس بالباطل ، واستغلال
حاجة الآخرين للإثراء غير المشروع ،
والطبقة الدينية بحيث يصبح الدين
وفهمه احتكاراً على طبقة معينة وناس
مخصوصين يستغلون جهل الناس ويطلبون
منهم أن يعبدوهم ، ويطلبون منهم تقديم
النذور والقربان لهم ولما يمشلون .

وأخذ الكفريقاتل عن مواقفه بشراسة
حتى اضطروا المسلمون إلى الهجرة مرتين
فراراً بدينهم وحرصاً على عقيدتهم ، وحتى
يأذن الله بالفرج .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى

اشتد الصراع بين النبى صلى الله
عليه وسلم وبين الكفار من قريش حيث
خافت قريش على ما يوفره الكفر لها
من امتيازات طبقية ودينية ، وأخذ
الصراع بين الحق والباطل يتصاعد بين
الدين الجديد وما يمثله من خير للإنسان
وما يعطيه للبشرية من حياة كريمة
يعبد فيها الإنسان ربه الذى خلقه
ويسجد لبارئته الذى أوجده فلا يسجد
لبشر ، ولا ينحنى أمام حجر أو شجر
ولا يعبد فلماً ولا مظهراً من مظاهر
الكون ، وإنما يستمد العزة لنفسه من
عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

اشتد الصراع بينه وبين الشرك وما
يمثله من انحطاط فى الفكر الإنسانى
والسلوك البشرى الذى يظهر فى السجود
لحاكم أو رجل دين أو حجر أو شجر
أو فلان . . . ذلك الانحطاط الذى
ينتج عنه أن الغرائز فى الإنسان تتحكم

فلما وصلها عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم ثلاثة إخوة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود بن عمرو بن عمير وحبيب ابن عمرو بن عمير ، فردوه رداً غير جميل فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبداً لأن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولأن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يشس من خير ثقيف ، وقد قال لهم فيما ذكره شيخ المؤرخين المسلمين الطبرى وأنا أروى عنه : إذا فعلتم ما فعلتم فاكنتموا عني وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم ذلك عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يناجي ربه مناجاة الصابر المحتسب يطلب منه المدد والعون حيث

مكة يقارع قومه الحجة ، يبين باطل ما هم فيه وما عليه حياتهم ، ولكنهم أصابهم الكبر ولحق بهم العناد ، وكان الله قد هيا له زوجة صالحة تعتني بأمره وتدعمه بمالها ، وتخفف عنه قسوة عناد قومه ، وجهل عشيرته ، وهيا له كذلك أبا طالب يحميه ، ويمنعهم من قتله واغتياله ، وإن لم يمنع عنه ما دون القتل والاغتيال من الأذى ، وهم مع هذا يحسبون حساب عمه .

ثم إن خديجة رضى الله عنها ، وأبا طالب ماتا في عام واحد قبل هجرته بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما ، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبا طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ، حتى نثروا التراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله يقول لها : « يا بنية لا تبكى فإن الله مانع أباك » رواه الطبرى .

مالقيه النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف :

ولما استعصت قريش ، وصمت آذانها ، وأغلقت قلوبها وعقولها ، اتجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ،

الجزء الأوفى على تحمله فيستدعيه إليه
ويقربه منه ، ويرفعه إلى درجة لم يصلها
أحد من خلقه حتى ولا الملائكة
المقربون . ويقدم له أرض الشام ،
أرض فلسطين ، أرض القدس ، المسجد
الأقصى هدية إيمان وجائزة رضوان
فيفتح النبي أرض الشام ، ومنها أرض
فلسطين فتحاً مادياً بجسده الشريف ،
ويعلم الله للدنيا في ذلك الحين وللدنيا
في هذا الحين ، وللدنيا في كل حين
أن المسجد الأقصى أصبح مسجداً
للمسلمين ، فيصلي فيه النبي الصلاة
الإسلامية الأولى إماماً للأنبياء المرسلين
حيث أحياهم الله له ويصلي الصلاة
الثانية بعده عمر وأبو عبيدة ، وكبار
الصحابة والجنود المؤمنون يوم أن دخل
عمر القدس ، واستلمها من بطريكها
صفرونيوس وأعطاه العهد العمرية التي
تنص فيما نصت عليه : أن لا يسكن
إيليا (القدس) أحد من اللصوص
واليهود وذلك أن كبار أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا على علم
منه لا يعلمه بقية الناس ، وهذا النص
في الوثيقة يدل على مبلغ فهم عمر لخطر
اليهود على هذه الأرض .

ولا يقال بأن عمر جاء بناءً على أمر
صفرونيوس ، فما كان للخليفة المنتصر

قومه لا يستجيبون للنور ولا يلتقون على
الخير ، والطائف كانت أسوأ من
مكة ، وأقصى من قریش ، فأخذ
يقول كما يروى الطبري « اللهم إني أشكو
إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني
على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت
رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من
تكلمني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو
ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب
فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا
والآخرة من أن تنزل بي غضبك ،
أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى
ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

تكریم الرسول صلى الله عليه وسلم بحادثة الإسراء :

في هذا الجو القاتم الشرس كان الله
بنبيه رؤوفاً رحيماً ، وكانت حادثة
الإسراء من مكة إلى القدس ، وكان
المعراج من أرض المسجد الأقصى إلى
السماوات العلا إلى سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى ، وكان في الإسراء أكثر
من معنى وأثره لا يزال على مر الأيام
وكر السنين يفعل .

يكرم الله نبيه على صبره ويجازيه

أن يستجيب ويأتمر بأمر البطريق المهزوم ، لولا معرفته الحقيقية بمنزلة القدس عند الله وفي الإسلام ، وهو أحد وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويسجل الله سبحانه وتعالى في هذه المعجزة كتابه القرآن العظيم فيقول في سورة الإسراء : (سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

قدسية المسجد الأقصى المبارك :

وسورة الإسراء تتحدث عن المسجد الأقصى وإسراء النبي إليه وتقرر أن هذا المسجد الذي بنى بعد البيت الحرام بأربعين سنة كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال : المسجد الحرام ، قلت ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة ثم الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل » فعاد للمسجد بالاسراء قدسيته وطهره حيث كان المسجد خراباً يبابا لا يصلى فيه أحد إلى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم فتقررت مسجديته

في القرآن واستلمه عمر فكان ينظفه هو وأصحابه من الكناسه وطهره ، وأصبح من يومها منارة علم ودار إيمان ومحجة زوار ومحراب صلاة .

إذن سورة الإسراء تتحدث عن علاقة المسلمين بالمسجد ، وأن المسجد للمسلمين حيث أسرى بنبيهم إليه وتقرر السورة بركة أرض الشام ومنها أرض فلسطين ، وتبدأ بعد ذلك في الحديث عن الفساد والعلو لليهود والتدمير الذي سيلحق بهم ، وأنهم سينزعون المسلمين أرض الإسراء والمسجد الأقصى .

الإفساد الأول :

وهنا لابد أن نقرر أن علماء التفسير اختلفوا اختلافاً كبيراً فيمن دمر (العلويين) والإفسادين اللذين أشارت إليهما الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً) فقال قوم هم أهل بابل ، وكان عليهم بخنصر قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال قتادة أرسل عليهم جالوت فقتلهم فهو وقومه أولو بأس شديد ، وقال

(العذاب) . الأعراف الآية ١٦٧ .
إذن لا غرابة أن يكون إفساد اليهود
وعلوهم ثم تدميرهم أكثر من مرة قبل
الإسلام ولا غرابة أن يكون كذلك
علو وفساد بعد الإسلام مرة أو أكثر
ثم تدميرهم .

وليس هناك ما يمنع أن يكون الفساد
والعلو ثم التدمير لمرتين بعد نزول الآيات
والواقع أن المتعمق في الآيات يجد أن
المرتين اللتين أشارت إليهما آية الإسراء
في علو اليهود وإفسادهم ثم تدميرهم هما
بعد نزول آيات الإسراء .

وذلك أن الله يقول : (وقضينا إلى بنى
إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض
مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء
وعد أولاهما) و « إذا » ظرف للمستقبل
من الزمان ، ولا علاقة لما بعدها بما قبلها
فوجود كلمة « إذا » في الآية تدل
على أن الفساد والعلو ثم التدمير الأول
آت وأنه لم يمر كما أن استعمال إذا
للمرة الثانية يدل على أنها آتية لم تمر
كذلك .

وقوله تعالى : (بعثنا عليكم عبادا
لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال
الديار) .

أى أن الذين سيتولون تدمير اليهود
هم من المؤمنين إذ أن الله سبحانه وتعالى

مجاهد جاءهم جند من فارس يتجسسون
أخبارهم ومعهم بختنصر ، وقال محمد
ابن إسحق إن المهزوم سنحاريب ملك
بابل وقيل إنهم العمالقة إلى غير ذلك
من الأقوال المتضاربة ، ونحن حين
ننظر إلى الآيات نظرة موضوعية نجد
الأشياء الآتية :

أولاً : الآيات مكية وتتحدث عن
علوهم وإفسادهم لليهود فهل مضى هذان
العلوان قبل نزول الآية أم أنهما آتيان؟!
مما لا شك فيه أن اليهود دُمِّروا أكثر
من مرة قبل الإسلام ، وقبل نزول
الآيات فقد سباهم البابليون ، ودمرهم
الرومان وذلك أنه منذ أن غضب الله
عليهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على
الله وأنبيائه غضب الله عليهم وجعلهم
يتصرفون تصرفاً يلجئ البشرية إلى
إذلالهم وضربهم يقول الله تعالى في
سورة البقرة الآية ٦١ (وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون) ثم تقرر آية
أخرى في سورة أخرى أن العذاب
سيستمر في اليهود والتدمير لهم إلى يوم
القيامة : (وإذ تأذن ربك ليعثن
عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء

في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) الآية ٢ .

الإفساد الثاني :

إذن هو أخرجهم لأول الحشر ، فخرج قسم منهم إلى أذرعات من أرض الشام حتى تبدأ المرة الثانية من علوهم وفسادهم . ويقول الله تعالى : (وكان وعدا مفعولا) يعني أنه تم تدمير العلو الأول في عهد النبي والوحي ينزل ، وأتمه أصحابه من بعده . وتبدأ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المرة الثانية في العلو والفساد ، فتخبر الآيات أن الله سيجعل لليهود الكرة عليهم ، على من ؟ على الذين جاسوا خلال الديار أول مرة ، والكرة الدولة والسلطة . وحين أراد الله لليهود أن يكرؤا استعمل كلمة (ثم) و ثم كما هو معروف معناها العطف مع التراخي أو المهلة فهل كر اليهود في التاريخ على البابليين وكانت

حين يضيف كلمة العباد لذاته تكون في موضع التشريف ، ويخص بها المؤمنين ، يقول الله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) ويقول : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) ويقول : (سبحان الذي أسرى بعبده) ، وأعظم منزلة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله ورسوله . وفي التحيات (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) .

وهذا التشريف والتكريم الإيماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان لأنهم جميعاً من الوثنيين . إذن ينطبق هذا الوصف على رسول الله وأصحابه الذين جاءوا إلى المدينة واليهود فيها نفوذ سياسي واقتصادي . وكان من أول أعماله في المدينة إبرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود وأن اليهود جماعة مستقلة وأن المسلمين جماعة مستقلة ، فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وأزالوهم عن المدينة وخير وتيماء ، وزال سلطانهم وتم تدمير علوهم فكان ذلك من خلال معارك بني قريظة وبني النضير ، ومعارك خيبر الشهيرة ، وتأتي سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى في قوله تعالى

واستمر العذاب ولقد عاش اليهود في ظل دولة الإسلام عبر القرون آمنين مطمئنين ، تحفظ لهم دماؤهم وأموالهم ، ولكنهم لم يحفظوا الجميل .

وحتى نرى مبلغ صدق الآية ، ونرى إعجازها بأعيننا نجد دولة اليهود تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدوها بالجد ، وفي هذه الفترة من روسيا بالذات ، وترى الأموال من دول الغرب تأتينا بمساعدات مذهلة حتى تستمر في عدوانها وطغيانها وجبروتها ، ثم يقول الله سبحانه : (وجعلناكم أكثر نفيراً) ، ولذلك فإن أكبر قوة في الأرض وأكبر دول الأرض تساند دولة اليهود في حال نفرتها وحربها .

إذن هذه هي المرة الثانية من العلو فما بال الفساد ؟ وحتى يتحقق الفساد فنرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفظع الجرائم بحيث فاقوا كل أنواع العذاب التي عانوا منها في زعمهم أو عاناه غيرهم ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) وهم قد إساءوا فقتلوا النفس الإنسانية وعذبوها ويطمئنون الأطفال وسجنوا النساء وهدموا البيوت واغتصبوا الأرض وأقاموا المستعمرات ، وحرقوا المسجد الأقصى في ٢١/٨/١٩٦٩ . والأقصى عند

لهم دولة وسلطة عليهم ؟ لم يحدث ذلك في التاريخ ، ولن يحدث الآن ولا في المستقبل ، حيث إن البابليين قد انقرضوا من الدنيا كأمة وليس لهم مكان يعرفون فيه أو دولة يعيشون فيها وحاشا لله أن لا يصدق القرآن أو يكون خبره غير محقق إذن لا بد أن تكون الكرة على أبناء من جاسوا خلال الديار وهم المسلمون أو العرب المسلمون فقد كر اليهود على بلاد الشام وفلسطين منها وهذا هو الذي قد حدث ونعيشه الآن ويعاني منه المسلمون كل المسلمين ، وانظروا معي إلى بقية الآيات تمضي فتصف الواقع الذي نعيشه وتعيشه دولة اليهود . إذ بعد أن جعل الله الكرة لليهود علينا يقول الله تعالى لليهود : (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) وهنا نسأل مرة أخرى : هل أمد الله اليهود بأموال وبنين غير هذه المرة ؟ لم نعرف أن ذلك قد حدث واليهود منذ أن غضب الله عليهم وهم في بلاء متصل وعذاب مستمر فقبل الإسلام كان عذاب البابليين لهم والرومان ، وبعد الإسلام أخرجهم المسلمون من الجزيرة ثم بدأت أوروبا تعذبهم في إسبانيا وفي بقية أقطارها حتى جاء المسلمون فأنقذوهم من الإسبان

الله عظيم ، ودنسوا مسجد الخليل عليه السلام ، والخليل عند الله هو الخليل ، وارتكبوا جريمة الجرائم في مسجد الخليل يوم أن عمدوا إلى كتاب الله فزقوه وداسوه .

وهنا تأتي عقوبة الله لهم على ما اقترفوه من الإثم والجرائم بتفسير من الآيات إن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها فيقول الله : (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تبيرا) وهنا حين يخبر الله عن زوال دولتهم استعمل كلمة الفاء للعطف ولم يستعمل ثم والفاء للعطف مع التعقيب ، والتعقيب على كل شيء بحسبه وما يناسبه وهو يدل على السرعة في حصول المقصود (فإذا جاء وعد الآخرة) أى لذهاب علوهم الثانى تصبح وجوه بنى إسرائيل سيئة ويبشرنا ربنا بجلت قدرته أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة ، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى دخولنا المسجد مرتين . والمرتان حدثا بعد نزول الآية ، المرة الأولى : الفتح العمرى للمسجد حين دخله باسم الله والإسلام ، والمرة الثانية : هذه التى نحن على أبوابها حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية ، ثم يقرر الله أننا سنتبر

أى ندمر ، ونهلك علو اليهود المادى والمعنوى . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التى تزيد على أربعة أو خمسة طوابق إلا فى ظل اغتصاب اليهود لها . ولذلك فإن هذه العمارات الشاهقة التى يقيمونها فى الأرض المباركة سيلحقها التدمير والحراب ثم تمضى الآيات فتحذر اليهود من محاولة العودة للفساد والتعالى فيقول الله لهم (وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) ، وتأتينا البشرى من الله بعد أن يفهمنا ربنا أن القرآن يهذى إلى الطريق السوى والحياة الصحيحة تأتينا البشرى بالنصر فيقول : (إن هذا القرآن يهذى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات إن لهم أجراً كبيراً) . وفى آخر السورة سورة الإسراء آية أخرى تتعلق بهذا الأمر ، وهى قوله تعالى فى آخر السورة : (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) الآية ١٠٤ و « لفيفا » أى جماعات ملتفة وفى بقية الآية إنذار لليهود وبشرى لنا ، فيقول الله (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) بشرى لنا وإنذار لهم فإذا ربطنا هذه الآيات وتفسيرها بالحديث

خلقى يهودى فتعال فاقتله» إذن لن يكون قتال النصر فى فلسطين قتالا يمينياً ولا يسارياً ، وإنما يكون قتالا إسلامياً فى سبيل الله كما كان دائماً قتال النصر للمسلمين (ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً) .

الأرض المباركة :

وبعد فإن الآية فى سورة الإسراء نصت على بركة الأرض التى تحيط بالمسجد الأقصى وكذلك آيات أخرى نصت على هذه البركة مثل قوله تعالى فى حق الخليل إبراهيم : (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) وقوله : (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) سورة سبأ ، والبركة : الزيادة فى كل شىء وليست بركة هذه الأرض مادية وإنما بركتها بالإضافة إلى الأشياء المادية بركات معنوية تتمثل فى أنها عيش الأنبياء ولذلك فكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دفنه فى بيت المقدس عند وفاته باعتبارها عيش الأنبياء ، وكانت لم تفتح بعد ، وهى مهبط الوحي وهى مسرى النبي ومعراجة منها صلى الله عليه وسلم وهى القبلة الأولى

الذى يدلنا على صدق النبوة . ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم حين أخبرنا عن قتال اليهود فيما رواه الشيخان البخارى ومسلم وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلقى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) .

أيقنا بعد ذلك لماذا لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود وذلك أنه منذ سنة ١٩٤٨ ، وكل محاولة للصالح وتثبيت دولة اليهود يفسلها اليهود أنفسهم وذلك لأن الله يلهمهم الخطأ فيرفضون كل الحلول لأن اليهود لا يعالجون أى أمر إلا بالحق والتأمر والخديعة ، ويقرر الله أن لا عقل عندهم فيقول (لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) الآية ١٤ ، وذلك كله يجرى حتى يأتى اليوم الموعود يوم تتخلص المعركة أو ديار المسلمين من الأيديولوجيات المنافية للإسلام وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر فى حديث قتال اليهود أن الحجر والشجر سينطق ويقول : « يا مسلم يا عبد الله

فقد صلى المسلمون إلى مسجدتها ستة عشر شهراً ومسجدتها تشد إليه الرحال كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

ومن بركة هذه الأرض الاستقراء أنه حينما يتعد المسلمون عن محور عزهم ومركز قوتهم وهو الإسلام يضعفون ويتمزقون وتكثر دولهم ودويلاتهم فيسهل على العدو أن يتسرب من خلالها فيأخذ الأرض المباركة ويأخذ المسجد الأقصى وعندها يتحرك المسلمون حركة حياة من جديد ، وينفضون غبار الهزيمة فيعملون لاستخلاص هذه الأرض فعن طريق استخلاصها يتم توحيد المسلمين من جديد . ألا ترون أنه بسبب حريق المسجد الأقصى كان مؤتمر القمة الإسلامي الأول في المغرب الذي انبثق عنه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذين كونوا الأمانة العامة الإسلامية في جدة ، وهذا من بركة هذه الأرض التي باركها الله . ولذلك لن يصل أحد مع اليهود وأعوانهم إلى حل حتى يأتي أمر الله ويتوحد المسلمون، ويعود الإسلام محرراً للحياة في ديار الإسلام وفي العالم كله .

وقد ظهرت بركتها في الحروب الصليبية إذ بعد أن أخذها الصليبيون وظنوا أن الأمر قد استقر لهم كانت حروبهم سبباً في توحيد المسلمين من جديد فكان نور الدين زنكي الذي وحد الأجزاء المبعثرة وأخذ الراية منه صلاح الدين ، فكانت حطين النصر المبين وكانت معركة القدس فيما بعد ودخلها رحمه الله فأعاد الأمن والأمان إليها وعاد مسجدتها إلى قدسيته وطهره .

ربط أهل الشام :

وقد رُأى أهل الشام - وفلسطين منها - أنهم مرابطون إلى يوم القيامة حيث الكفار لا يتركون الأرض المباركة يستقر أهلها وهم يريدون مسجدتها ليقيموا عليه الهيكل .

روى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماءهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون فنزل مدينة أو قرية من المدائن فهو في رباط أو ثغر من الثغور فهو في جهاد ، وقدر أهل الشام كذلك أن ينتقم الله بهم من أعدائه فعن خريم بن مالك « أن أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتي
بنفسه لاستلام القدس .

الوطن البديل :

ولذلك فحينما يتحدث اليهود وأعوانهم
عن الوطن البديل للفلسطينيين يظنون
أن أى أرض يمكن أن تستبدل بها
الأرض المباركة ويظنون أن الأمر أمر
إسكان لاجئين أو استقرار مشردين
وما علموا وهم يتجاهلون أن هذه الأرض
لا تدانيها أرض أخرى ولا يمكن أن
يقوم مقامها وطن بديل فى أى بقعة
من بقاع الكرة الأرضية إذ أن هذه
الأرض مرتبطة بعقيدة المسلمين سجلت
فى كتاب الله بوصفها القبلة الأولى
وبوصفها مسرى النبي وبوصفها معراج
الرسول وبوصفها الأرض المباركة ولذلك
فهى لا تخص الفلسطينيين وحدهم ولا
تخص العرب وحدهم بل تخص المسلمين
أينما كانوا وحيثما وجدوا وما دام كتاب
الله القرآن موجوداً على الأرض يتلى وفى
الأرض مؤمنون فليس هناك استقرار
لدولة اليهود وهى فى طريقها لأن تصبح
من مخلفات التاريخ كما أصبحت دولة
الصليبيين من قبلها من مخلفات التاريخ
تؤلف الكتب عن أسباب زوالها ويكتب
الباحثون أبحاثهم ويعطى العلماء آراءهم فى

يظهروا على مؤمنهم ولا يؤتون إلا همماً
وغمماً » رواه الطبرانى مرفوعاً وأحمد
موقوفاً ورجاله ثقات ، وعن أبى الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه
يقول « الملمحة الكبرى بأرض يقال
لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق
خير منازل المسلمين يومئذ » رواه الحاكم
وقال صحيح الإسناد وقد روى أبو بكر
ابن شيبه عن أبى الزاهرية قال ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « معقل
المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم
من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من
يأجوج ومأجوج الطور .

وعلى هذا فالأرض المباركة بركتها
بالإضافة إلى الأشياء المادية التى ذكرها
المفسرون من الثمار والأشجار والأنهار
والأرض المعطاء والسهل الخصيب والجبال
العالية والأرض المنخفضة التى تجعلك
تنتقل فى ساعة زمن أو أقل من مستوى
سطح البحر إلى العلو الشاهق إلى الغور
المنخفض فهناك البركة المعنوية والبركة
المادية تتصاغر أمام البركة المعنوية
والتي باركها الله فجعلها القبلة الأولى
يصلى إليها المسلمون وأسرى بنبيه إليها
وعرج به من مسجدها إلى السموات
العلا ، وجعل مسجدها الأقصى تشد إليه
الرحال وهى عش الأنبياء وهذا مما جعل

ذلك كلهم أو جلهم وسينسى أو يتناسى الحقيقة الأزلية وهي استحالة أن يملك هذه الأرض غير المسلمين وأن تبقى في حوزة أعدائهم لأن هذه إرادة الله بينها ليلة الإسراء . . .

والواقع أن العالم كله يفقه القضية الفلسطينية أو القضية اليهودية بالأحرى وإنما كل فئة تنظر إلى القضية من زاوية معينة تتفق مع مصالحها وهذه النظرة بالنسبة لمصالحها صحيحة ، فالغرب ينظر للقضية على أنها امتداد للحروب الصليبية ، وأن اليهود أداة في يديه لتمزيق الوطن الإسلامي والسيطرة على بلاد المسلمين وتهديدهم حتى لا يفيقوا مرة أخرى فيتعرضوا لقيادة الدنيا وإنقاذها مما تعانيه . والشيعية تنظر إلى القضية على أن بقاء دولة اليهود في بلاد المسلمين أمر ضروري لإيجاد التناقض حسب الفكر المادى ولذلك هي مع بقاء دولة اليهود ، وتحارب الطبقة الحاكمة في إسرائيل حرباً طبقية باعتبارها عميلة للغرب ، ويهمها أن يبقى التناقض في المنطقة ، وعدم الاستقرار لأن ذلك حسب وجهة نظرها يغذى الحركة الشيوعية وينميها .

وأهل البلاد الذين أخرجوا من ديارهم (الفلسطينيين) ينظرون إلى

القضية من زاوية أنهم شعب ظلم وشرذ واضطهد فهم يريدون حياة الاستقرار في الأرض التي ولدوا فيها أو نبت آباؤهم فيها أو دفن أجدادهم في ترابها فهم يحنون بفطرتهم إليها ولا يرون في الدنيا أرضاً تكون بديلاً لها وهذا صحيح ولكن هذه النظرات المختلفة للقضية من زواياها المختلفة ليست هي القضية وإنما القضية تتعلق باليهود أو بغضب الله على اليهود والمستمر عبر التاريخ بالعذاب الواقع بهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الإنسانية فحلقة من حلقات الغضب والسخط عليهم من الله . إن الله أخبر في القرآن في آيات الإسراء كما أسلفت في أول البحث وفي حديث البخارى ومسلم أنه قبل قيام الساعة ستقوم لليهود دولة ثم يتولى المسلمون تصفيتهم حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله خلقني يهودى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

حتمية زوال دولة إسرائيل :

ولقد حاول العالم منذ ١٩٤٨ أو القوى الكبرى في العالم أو الغرب على وجه التخصيص أن يثبت لإسرائيل دولة فوضع الحلول وحاك المؤامرات ولكن المؤامرات تفشل والطبقات تحترق وذلك

الضعف فيأخذ الأرض المباركة وتسقط القدس ، ويسقط الأقصى في يديه، عند ذلك تبدأ الأمة في التحرك حركة الحياة من جديد حتى إذا وقفت على قدميها كرت على عدوها لتخلص الأرض المباركة منه فتتوحد من أجل ذلك أو بسبب ذلك كان ذلك في الحروب الصليبية وكان ذلك في حروب التتر وهو الآن . ولذلك بسبب حريق الأقصى في ٢١/٨/١٩٦٩ انعقد مؤتمر القمة الإسلامي الأول وخرجت من ذلك المؤتمر منظمة الدول الإسلامية الممثلة في الأمانة العامة الإسلامية في جدة والتي يعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمرهم السنوي في أحد العواصم الإسلامية وسيستمر اللقاء والتقارب حتى يصل إلى حد التمازج والتلاحم فيشترك المسلمون كل المسلمين في تحرير الأرض المباركة التي تكون سبب وحدتهم .

بفضل الله وبمعاونة اليهود أنفسهم حيث يرفضون كل ما يعرض عليهم حتى يأتي يومهم الموعود وقدرهم المرصود فتزول دولتهم بآثامها وشرورها وإن الغرب اليوم يحاول جاهداً لإنقاذ دولة اليهود من مصيرها المحتوم وقدرها المرسوم رغم أنفها ، ولكن اليهود يتمردون على من أوجدتهم، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون وصدق الله إذ يقول في حقهم (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) .

وإن من بركة الأرض المباركة أن المسلمين يتوحدون دائماً عن طريق استخلاصها من أيدي أعدائهم وذلك أن الأمة الإسلامية حينما تبتعد عن محور قوتها وهو الإسلام يلحقها الضعف والتشتت فتقام فيها دول ودويلات حتى تصل في صغرها إلى مستوى الأحياء والحارات فيأتي العدو ليتسلل عبر هذا

بلاغة الأسلوب النبوى

فضيلة الشيخ
مفتاوى عثمان عبود

تمهيد :

شاءت إرادة الله تعالى ، واقتضت حكمته أن يجعل من رسولنا الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - نموذجاً فريداً فى المكارم والحمد . وأسوة طيبة خالدة للناس كافة ، ومثلاً أعلى لمن يحاولون الوصول إلى رفيع الخصال ، وكريم الخلال ، فجمع له من صفات الكمال ما يتفوق بين صنوف البشر ، ومنحه من العطاء ما لم ترق إليه نفس ، ولم يدن من ساحته أحد ، وما كان هذا غريباً أمام قدرة الله القاهرة ، وإرادته النافذة ، وحكمته البالغة - كما قال الشاعر العربى :

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم فى واحد
ومن هذه الكمالات التى أتم الله تعالى النعمة فيها على رسول الله عليه الصلاة والسلام ملكة البيان . . فكان

قمة فى القول السديد والكلام البليغ ، والحجة المشرقة والأداء الرائع .

وفى المقالات الماضية مثلت لأربعة نماذج من صنوف بلاغة الأسلوب النبوى . . وأحاول فى هذا المقال أن أمثل لبعض نماذج أخرى لبلاغة هذا الأسلوب فأقول : يذكر البلاغيون الاستعارة على أنها طريق آخر من طرق الأداء ، وتطلق عندهم على معنيين :

الأول : المعنى المصدرى : وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضع له وما استعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له .

الثانى : المعنى الاسمى : وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة بين ما وضع له وما استعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له

فإذا عرف أن أركان التشبيه : مشبه — مشبه به — وهما الطرفان — ووجه شبه، وأداة .. عرف أن أصل الاستعارة تشبيه حذف فيه أحد الطرفين ووجه الشبه والأداة .

فإذا قال شخص : كان الخطيب ينثر الدرر من فيه — فإنه يريد أن يقول : إن الخطيب أتى بكلام كالدرر في الحسن .

وأصل هذا تشبيه لكلام الخطيب بالآلئ الحقيقية بجامع الحسن في كل ، فحذف وجه الشبه ، وحذفت الأداة ، واستعملت كلمة « الدرر » في كلام الخطيب — فكلمة « الدرر » يقال لها : استعارة بالمعنى الأسمى ، لأنها لفظ مستعمل في غير ما وضع له وهو كلام الخطيب ، لعلاقة المشابهة بين ماوضع له (الدرر) (الآلئ الحقيقية) وبين ما استعمل فيه (كلام الخطيب) مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له ، وهي كلمة ينثر من فيه .. واستعماله كلمة (الدرر) في كلام الخطيب ؛ يقال له استعارة بالمعنى المصدري لأنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة إلخ .

ويقسم علماء البلاغة الاستعارة —

باعتبار ذكر المشبه به وعدمه إلى تصريحية : إذا كان لفظ المشبه به مذكوراً في الكلام وإلى مكنية : إذا كان لفظ المشبه به محذوفاً من الكلام ورمز إليه بشيء من لوازمه . ويسمى إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور استعارة تخيلية : وهي قرينة الاستعارة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها إذ لا استعارة بدون قرينة . وسميت الاستعارة التخيلية — استعارة لأنه استعير لها ذلك من المشبه به للمشبه وتخييلية : لأن إثبات اللازم للمشبه — خيل اتحاده مع المشبه به .. كما يقسمون الاستعارة التصريحية باعتبارها المستعار — إلى :

أصلية : وهي التي يكون المستعار فيها اسماً غير مشتق : وإلى تبعية : وهي التي يكون المستعار فيها اسماً مشتقاً ، أو فعلاً ، أو حرفاً .

وكما أن التشبيه يجري بين مفردين كذلك يجري بين مركبين بأن تشبه هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها — فمثل هذا التشبيه يسمى التشبيه المركب أو تشبيه التمثيل . فإن حذفت منه الأداة — والمشبه — ووجه الشبه — وبقي المشبه به كان ذلك استعارة تمثيلية . فالاستعارة التمثيلية : هي

أحدهما باسم الآخر ، ولولا ما أقام القائل من القرينة على ما أراد ما خطر ببال أحد يسمعه إلا أنه يريد البحر الذى تعرف بهذا الاسم .. وهذا اللون من البيان نجده فى الأسلوب النبوى على أرفع مثال من عذوبة اللفظ ، وإحكام السبك ، ودقة المسلك واستبانة الغرض وروعة المظهر .

فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :
(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله ، وأتته الدنيا ، وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له)^(١) .

اللغة :

قوله : (همه) يقال : هم بالشئ يهمهما من باب رد إذا نواه وأراداه ، ويؤيد هذا رواية أخرى للحديث فى سنن ابن ماجه بلفظ (من كانت الآخرة نيته) ومعنى كون الآخرة همّه أنها مقصودة له .

(شمله) يدعى به للشخص ، فيقال : جمع الله شمله ، أى ما تفرق من

(١) رواه الترمذى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه .

اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى ، والاستعارة كما يقول البلاغيون - لا بد فيها من تناسى التشبيه والمبالغة بادعاء أن المشبه (المستعار له) فرد من أفراد المشبه به (المستعار منه) وداخل فى جنسه - فإذا قال قائل : وردت بحراً - يريد جواداً كريماً - فقد استعار لفظ البحر للرجل الكريم ، فأفاد بهذا القول المبالغة فى وصف الرجل بالحدود وبسط يده بالبدل والعطاء .. فكانت الاستعارة أبلغ من التشبيه فى تأدية المعنى المراد وأوقع فى النفس من الأداء عن طريقه .. لأن التشبيه مهما تناهى فى المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به .. وهذا اعتراف بتباينهما وتغايرهما وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتقارب - فلا تصل إلى درجة الاتحاد إذا جعلت لكل منهما اسماً يتميز به دليل عدم اتحادهما وامتزاجهما .

بخلاف الاستعارة فيها دعوى الاتحاد والامتزاج وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحداً يصدق عليهما لفظ واحد .
ففى المثال السابق جعل الجواد والبحر شيئاً واحداً حتى صح أن يسمى

إلى الغرض في كل دون مشقة ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الرغم بمعنى التيسر راغمة بمعنى متيسرة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وقرينة الاستعارة إسناد الرغم للدنيا . . وكانت الاستعارة هنا تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به ، وتبعية لأنها جرت في المشتق بعد جريانها في المصدر .

ويصح في هذا القول استعارة مكنية بتشبيه الدنيا في تيسر أحوالها لمن كانت الآخرة همه بشخص مغلوب على أمره ، لا يسعه إلا أن ينقاد لغالبه ، بجامع الخضوع في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو راغمة بمعنى ذليلة التي تعتبر من خواص الأحياء ، وإثبات هذا اللازم للمشبه (الدنيا) استعارة تخيلية وهي قرينة الاستعارة المكنية .

وفي قوله : عليه الصلاة والسلام (جعل الله فقره بين عينيه) مبالغة في وصف ما يشعر به المهمل في طلب الدنيا من تصور الفقر فكأنه شاخص أمامه ، لا يغيب عنه أبداً ، كما تقول لشخص تريد أن تؤكد

أمره ، ويدعى به عليه ، فيقال : فرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره ، والشمل يسكون الميم ، والشمل بفتحيتين لغة في الشمل ومن ذلك قول الشاعر :

قد يجعل الله بعد العسر ميسرة

ويجمع الله بعد الفرقة الشمال

(راغمة) الرغام : التراب ، يقال : أرغم الله أنفه - أي ألصقه بالرغام - وهذا هو الأصل ثم استعمل في الذل والانقياد على كره ، فعنى (أنته الدنيا وهي راغمة) أنته ذليلة منقادة :

ففي قوله : (وجعل غناه في قلبه) أريد بالغنى القناعة ففيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبهت القناعة بالغنى بجامع راحة النفس بكل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

وقرينة الاستعارة قوله : (في قلبه) وكانت الاستعارة هنا تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به ، وأصلية لجريانها في اسم غير مشتق .

وفي قوله : (وهي راغمة) استعارة تصريحية تبعية بتشبيه تيسر أحوال الدنيا وقضاء الحوائج فيها بانقياد الدليل للعزير ورغمه على طاعته ، بجامع الوصول

له تصورك التام لمسألته وحاجته : والفرع في كل ، واستعير التركيب الدال
 حاجتك بين عيني أى لا تغيب بحال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة
 عن فكرى . التمثيلية .

وهذا من قبيل التمثيل : تمثيل حال المتلهف على الدنيا ولا تزيده إلا
 دلا بحال مفترضة من مثول الفقر بين يصير في النفس أزهى صور التقدير
 العينين ، بجامع الباعث على الضرر والإعجاب .

منشاوى عثمان عبود

في الإخلاص والنية

قال صلى الله عليه وسلم
 « إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم
 ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

دور مصر في انتشار الإسلام

إلى الصديقين : منظور خان في باكستان
ومحمود عباس في إيران : استجابة لرغبتهما
في هذا المقال .

دكتور / عبدالودود سبكي

ولقد يبدو غريباً في نظر بعض الإخوة أن نربط بين حديثنا عن دور مصر في انتشار الإسلام وبين وضعها الجغرافي، إلا أن العلاقة بينهما في هذا الشأن وثيقة ، وتأثير كل منهما في الآخر واقع وحقيقة .

ولنضرب لذلك مثلاً بانتشار الإسلام في أفريقيا . .

هل كان يمكن للإسلام أن ينتشر في أقطارها هذا الانتشار الممتد شرقاً من المحيط الهندي مخترقاً وسط القارة الشمالي حتى يصل إلى غربها على المحيط الأطلسي . . هل كان يمكن ذلك لولا دخول الإسلام إلى مصر واتخاذها منها قاعدة لانطلاقه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ؟ لقد كانت مصر هي

لم يكن فتح مصر في سنة ٢١ هـ مجرد انتصار على جيوش الدولة البيزنطية الظالمة أو إضافة قطر جديد إلى دولة الخلافة الإسلامية العادلة .

بل كان هذا الفتح مقدمة لفتوحات أخرى في القارة الأفريقية ، وقاعدة انطلاق واسع وبعيد للدعوة الإسلامية .

وقد لعب مركز مصر الجغرافي دوره الخطير في هذه الناحية ، فقد كانت مصر بحكم هذا الموقع هي « المفتاح » الذي مهد لانتشار الإسلام في هذه القارة ، وكان دخولها في الإسلام « باباً » لدخوله في أقطار أخرى مختلفة ، إنه قدر كتب على مصر منذ فجر الحضارة وأمانة تاريخية تحملها شعبها المؤمن عن ثقة وجدارة .

القاعدة التي انطلقت منها جيوش الإسلام إلى أعماق هذه القارة فعلى امتداد الساحل الشمالى سارت جيوش المسلمين حتى بلغت المحيط الأطلسي ، ومن واحات مصر الغربية انطلقت قوافل العلماء والدعاة إلى غرب القارة مروراً بجنوب بلاد المغرب ، ومن بلاد المغرب « جنوب تونس » إلى بلاد « برنو » اتخذ الإسلام طريقه إلى شمال السودان ، ومن جنوب « الجزائر » إلى بلاد « الحوصا » شمال نيجيريا ومن جنوب « مراکش » إلى مصب نهر السنغال ومنحني النيجر ، ومن القاهرة اندفع الإسلام جنوباً بمحاذاة النيل أو عن طريق الصحراء الشرقية ليستقر بعد ذلك في السودان وبلاد النوبة .

لقد كانت مصر هي « الباب » الذي دخل منه الإسلام إلى هذه القارة وكان لموقعها الجغرافي أثره في انتشاره وتقدمه بسرعة . وإلا هل كان من الممكن أن يقوم إمام جليل وشيخ للإسلام بهذه الرحلة التي تجشم فيها أخطر المصاعب للوصول إلى بلاد « التكرور » وهي ما يسمى في عصرنا هذا ببلاد غرب أفريقيا ، أو بلاد « القولاني » و « الحوصا » فقد ذكر

الشيخ آدم بن عبد الله الالورى في كتابه « الإسلام في نيجيريا » أن الإمام الحافظ السيوطي رحل من مصر إلى بلاد التكرورية وأقام فيها مدة للتدريس في « أكدرز » و « كشنه » وكانت بينه وبين ملك نيجيريا مراسلات يطلبون منه فيها الوعظ والنصيحة . . وفى هذا الكتاب نفسه يحدثننا الشيخ آدم عن علماء بلاده الذين رحلوا إلى مصر والتقوا بعلمائها الأجلاء في الأزهر الشريف . ومن هؤلاء العلماء الذين تعلموا في مصر وكان لهم دور كبير في انتشار الإسلام - الشيخ أحمد بن محمد أفيت ، والشيخ عاقب بن عبد الله الاكدرى ، والقاضى محمد بن أحمد القادخى .

وقد ذكر معظم المكتشفين الجغرافيين الأجانب أن الذين يقومون بنشر الإسلام في أفريقيا أكثرهم من الدعاة والمسلمين الذين درسوا في الأزهر بصفة خاصة . هذا الجامع الذى يهرع إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم وبخاصة من شعوب أفريقيا. وقد قام هؤلاء المعلمون بإنشاء المدارس والزاويا لتعليم أصول الدين ، والتفقه في أحكام الإسلام . وقد ذكر المقرئى في خططه أن عدد هؤلاء

الشريف الذى يقدم لهؤلاء الطلاب المنح الدراسية ، ويوفر لهم كل أسباب الراحة طوال سنوات التعليم والدراسة . وقد تخرج الألوف من هؤلاء الطلاب في الأزهر الشريف ، وتولوا في بلادهم أرفع مناصب التعليم الدينى والتوجيه .. ولم يكن ذلك ليتم لولا تلك الرعاية التى شملتهم بها مصر طوال سنوات التعليم ، ولولا الدور الذى تقوم به مصر في خدمة الدين ..

وقد خطت مصر في هذا المجال خطوة أخرى تختلف عنها في الصورة وأن اتفقت معها في القصد والغاية .

هذه الخطوة أو « الخطوة » تتمثل في إرسال العلماء والدعاة إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى ، وفي إنشاء المراكز الإسلامية في العواصم الهامة ، وفي إقامة المعاهد والمدارس الخاصة .

وفي نيجيريا مثلاً توجد بعض المراكز الثقافية التى تنفق عليها مصر وتشرف عليها ، وفي الصومال أنشئ العديد من المدارس على حساب مصر لتعليم أصول الدين واللغة العربية ، كما أن هناك فرعاً لجامعة القاهرة في مدينة الخرطوم ، وفي الخرطوم نفسها قام أكبر مركز إسلامي لتخريج الدعاة

الطلاب بلغ في عهده - في القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى - ٧٥٠ طالباً وكان لكل طائفة منهم « رواق » - يعرف بهم . وكان من أهم هذه الأروقة رواق « الدكارتة » و (رواق السناريه) و « رواق الجبرت » و (رواق برنو) ..

وقد انتهى عهد الأروقة في الأزهر الآن بعد أن تكاثر عدد الوافدين إلى مصر من أنحاء العالم الإسلامى . حيث أنشئت لإقامتهم مدينة خاصة هى « مدينة البعوث الإسلامية » تضم حوالى عشرة آلاف طالب من كل الجنسيات المعروفة في العالم .. وكان آخر ما وصل إلى هذه المدينة من الطلاب الدارسين في الأزهر ، طلبة من اليابان ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وجنوب أفريقيا وبريطانيا ..

وقد عمل الأزهر على تسهيل دراسة هؤلاء الطلاب الذين لا يعرفون حرفاً واحداً من اللغة العربية ، فأنشئ من أجل ذلك قسم الدراسات الخاصة لتعليم اللغة العربية ، كما أنشئ « معهد البعوث الإسلامية » الذى تسير مناهجه وفقاً لحاجات هؤلاء الطلاب اللغوية والدراسية ، وكلاهما أى قسم الدراسات الخاصة ومعهد البعوث تابع للأزهر

— مويشيس — مالا جاسي — ليبيا —
 الجزائر — المغرب — السنغال —
 موريتانيا — غانا — غينيا — نيجيريا —
 توجو — داهومي — ساحل العاج — النيجر —
 — مالي — جابون — أفريقيا الوسطى —
 تشاد — وأخيراً في الولايات المتحدة —
 وفرنسا — وكندا — وبريطانيا —
 والبرازيل — الأرجنتين — والبرتغال .

كما تقوم وزارة الأوقاف المصرية
 بتقديم المساعدات المالية ، وإرسال
 الوعاظ وإقامة المساجد في بعض الدول
 الإسلامية النامية .

كما يقوم المجلس الأعلى للشئون
 الإسلامية — التابع لهذه الوزارة —
 بتقديم المنح الدراسية ، وطبع الكتب
 الإسلامية وترجمة الكثير منها إلى
 اللغات الحية ، كما قام هذا
 المجلس بطبع المصحف الشريف
 وتسجيله ، وقدم الكثير من نسخه إلى
 المسلمين في أقطارهم المختلفة .

لكن . . . هل هذا كل ما فعلته
 مصر في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ؟
 إن في مصر إذاعة خاصة بالدعوة
 الإسلامية هي «إذاعة القرآن الكريم» ..
 هذه الإذاعة التي بدأت عملها منذ
 حوالي أربع عشرة سنة ، وتبث إرساها
 على موجتين قصيرة ومتوسطة وتنوع

الإسلاميين بمساعدة كبرى من القاهرة
 وإشرافها . .

وفي خارج العالم الإسلامي ، كان
 أول مركز إسلامي أنشئ في أوروبا —
 وهو مركز لندن — من سعي مصر
 وعملها ، وهناك مركز آخر في واشنطن
 أقامته مصر بجهودها ، وتبع ذلك إنشاء
 مراكز إسلامية أخرى في كل من
 « مونتريال » وباريس ، ونيويورك .
 وتقوم هذه المراكز برعاية أحوال
 المسلمين في أمريكا وأوروبا . كما
 تقوم بتوضيح مبادئ الإسلام وشرحه
 للراغبين في اعتناقه من غير المسلمين
 في الولايات المتحدة ، وبريطانيا .

وللأزهر الشريف أكثر من خمسين
 بعثة تؤدي عملها في مختلف أقطار
 الدنيا ويختلف عدد أعضاء هذه
 البعثات من دولة إلى أخرى . حسب
 الأهمية وحسب ظروف المسلمين
 في كل دولة . فللأزهر الآن بعثات
 في كل من :

سوريا — الكويت — لبنان — قطر
 — السعودية — العراق — البحرين —
 أفغانستان — باكستان — الهند —
 ماليزيا — أندونيسيا — الفلبين —
 السودان — الصومال — تنزانيا — كينيا
 — أوغندا — جزر القمر — بنجالاديش

وكان لتعدد اللغات التي تذيع بها هذه البرامج أكبر الأثر في التعريف بالإسلام وفي تبليغ كلمته ورسالته إلى أقصى مكان .

إن في مصر كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « خير أجناد الأرض » وحين سئل عن سبب ذلك قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة . .

وهذا هو « قَدَرُ » مصر .. قَدَرُها ديناً .. وقَدَرُها تاريخاً .. وقَدَرُها مكاناً وموقعاً .

د. عبد الودود شلبي

برامجها لتشمل كل حاجات المسلمين الروحية والفكرية وتذيع يومياً لأكثر من ثمانى عشرة ساعة .

وقد وضع لهذه الاذاعة تخطيط جديد يتفق مع رسالتها السامية ، ويقوم المسئولون حالياً بالاعداد لتقوية لإرسالها حتى يصل إلى كل ناحية .

كما لا يفوتنا أن نسجل ما تقوم به « البرامج الموجهة » في نشر الوعي بالحضارة الإسلامية ، وتلبية حاجات المستمعين في القضايا الدينية ، لقد سجلت « البرامج الموجهة » تفوقاً ملحوظاً في هذه الناحية ، واستكثبت لبرامجها كبار العلماء والمفكرين في الأزهر الشريف والقاهرة .

في التوبة

قال صلى الله عليه وسلم :
« أن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ،
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل . حتى تطلع الشمس من مغربها » .

الديناميكية في التصوف الإسلامى

للمستشرق الفرنسى/روجر ارنالدينز

ترجمة : همام طاهر

رابليه عندما أظهر جارجانتيا ، بطل روايته ، حزينا على وفاة زوجته ، وسعيداً بميلاد ابنه . وتدل هذه المهزلة على كاريكاتيرية الضمير ، حيث لم يتم تناول المشاعر فى ذاتها ، وإنما تبعاً لأسباب خارجية استدعتها . والواقع أنه فى الحالة الواحدة التى يمكن أن يوجد فى الضمير شعوران متناقضان لا يعدو الأمر أن أحد هذين الشعورين قد خرج من الآخر واستدعاه ، بينما يعود الآخر إلى الأول . وفى الحقيقة ، يوجد للمشاعر قطبان يتذبذب الضمير بينهما على نحو مستمر وهذا الطابع الجدلى هو الذى يولد الديناميكية .

وعلى قدر ما اهتمت الفلسفة الكلاسيكية بالضمير الأخلاقى ، وبحث عن تحديد الفضائل والعيوب ، والمشاعر الطيبة والمشاعر الرديئة ، فقد حاولت أن تزج بالقيم السيكلوجية

كان من الضرورى أن ينقضى وقت طويل حتى يدرك الفكر الأوربى أن المشاعر الإنسانية لا تنحصر فى أى نظام من أنظمة الفكر الواضحة ، ولا يمكن التعبير عنها بأية وسيلة من وسائل المنطق الأرسطاطالى .

فالمشاعر لا تخضع لمبدأ التناقض ، وهى فى ارتباطها بالضمير — الذى يعتبر أساساً حركة يختفى حين يراد تحديده ، ولا يغلغ فى مفاهيم أو موضوعات — من النادر أن تكون صافية ، لكنها قادرة عندما تعاش أن تضم فى ذاتها المتناقضات : فلا يوجد سرور دون بقايا حزن ، كما لا يوجد حب دون بغض ، أو بغض دون حب . وليس معنى ذلك أن الضمير قادر على أن يحس — فى نفس الوقت — بشعورين متوازيين ومتضادين : إن الأشياء عندما تمثل على هذا النحو ، ينتج منها واقع هزلى مضحك ، كما فعل

في المستويات المنطقية . ولم يحدث بالتدريج أن أدركنا استقلال عالم المشاعر وعدم اختزاله : فليس هناك مشاعر طيبة من الضروري أن تكون مرتبطة بالأفكار الصحيحة الواضحة والتميزة ، كما لا توجد مشاعر رديئة تنتج أفكاراً خاطئة غامضة وغير مقبولة . وليس هناك من شك في أن متطلبات الحياة الدينية في رفعها للإنسان كى يتجه إلى أحوال الضمير قد ساعدت في اكتشاف الطبيعة الجدلية للمشاعر .

ولما كان المنطق عاجزاً عن التعبير عن هذه الحركة الأساسية ، فقد كان ينبغي على البلاغة — بطائفة من الكلمات والصور — أن تنهض بهذه المهمة .. فعندما قال سينكا بصدد الإنسان المرتبط جداً بحياته ، والذي لا يكف عن الاهتمام بأدق الأمور من أجلها : « الحياة في صيانة مريض . . » كان قد ابتكر (عبارة جيدة) اشتهر استعمالها ، ربما أكثر من رسائله المنطقية ذاتها . فليس باكتناز الحياة يعيش الإنسان ، وإنما بالمخاطرة بها والتعرض للموت . وقد بين فيلون الإسكندري أن هناك نوعين من الموت : موت النفس أمام الله

الذى وهبها الحياة ، وموتها مع الإنسان الذى يرغب في الحياة ، وهو من أجل ذلك يقتل في الحقيقة نفسه . وإذن فهناك كلمات كثيرة تبدو في استعمالها المحدد غامضة ، ومع ذلك فهي وحدها التى تستطيع أن تعبر عن الواقع (السائل) للضمير الإنسانى . تحتوى اللغة العربية على عدد كبير من المصطلحات التى تشير في وقت واحد إلى دلالات متناقضة ، وتلك هى « الأضداد » ، وبالتالي فمن المهم فحص دورها الذى يمكن أن تقوم به في لغة التصوف الإسلامى ، خاصة وأننا قد رأينا أن الاهتمام بالقيم الدينية التى يعيشها الضمير ، ينحصر بصفة خاصة ، في اكتشاف الطبيعة الجدلية للمشاعر .

حدد صوفية المسلمين ثلاثة مستويات داخل الكائن الإنسانى : مستوى النفس ، الذى هو الإحساس بالذات ، ومستوى القلب ، ومستوى السر . وتمتد حياة النفس من الميلاد إلى الموت . وهى متميزة (بمقامات) تتتابع بالتوالى بعد أن يستمر كل منها وقتاً ما . ومن مشاعر الضمير يتكون لحن النفس ، غير أنه بمقدار ما يتوقف الضمير في كل واحد من هذه المواقف ،

الروحي . وهكذا تنحصر أحقية العمل الديني في هذه الحدود . فهي لا تشترط مثلاً للنية نية ، ولانية نية النية ذلك الذي يمكن أن يذهب إلى ما لا نهاية دون فائدة. إن انكفاء الضمير على ذاته أمر مكروه.. والعقيدة لا تتكون من تأمل الإنسان في ذاته ، واستمرار دورانه حول نفسه .. فالهداية تأتي بالتأكد من الخارج ، من الله القادر على كل شيء ، المنفرد في تساميه المطلق ، وأمامه لا يملك المؤمن المخلص إلا الطاعة في خشوع . . (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون - ٢٣/١ ، ٢) .

وإذن فإن هذه الطاعة الخاشعة عبارة عن موقف في مواجهة (الوحي) الذي يلقيه الله في ذاكرة الناس . « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » ٥٧ / ١٦ . وفي اللحظة التي يستهلك الموت فيها كل شيء ، يرتفع الغموض الأساسي عن مشاعر النفس . تقول الآية . « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم - ٢٢/١٤ .

وإذن فالشيطان ، إبليس ، هو الذي يغوي بالمتشابهات الباطلة وبالتلبس ،

لا يستطيع أن يحتوى أبداً على أي مجموع ، أو على الأقل : المجموع الكامل لحياته ، وبالتالي فهو لا يعرف نفسه ، ولا يستطيع أن يحاكمها . فلكن يحاكم القاضي لا بد أن يزن وقيس ، ولكن يفعل ذلك لا بد أن يكون خارجاً. ولذلك فإنه من منظور النفس ، يتم الحكم عادة بعد الموت (إذا قضى الأمر - ٣٩/١٩) وقد أعلنت الشريعة قبل موعد هذا الاستحقاق ، حتى تحذر الناس ، وتقودهم إلى الطريق المستقيم . وإذن فإن ما يميز الشريعة أنها عبارة عن وعد مرتبط بتنفيذ العبادات والطاعة ، وقد حددت - على نحو موضوعي رقيق ، ما ينبغي أن يتلفظ به من قول ، أو يحدث من حركة أو إشارة ، وكذلك الأوقات التي يجري فيها كل هذا . . لكن الشريعة لا تحدد بنفس الطريقة أعمال الباطن ، وقد لاحظ ابن حزم ، بصدد حديثه عن النية - التي تعتبر ضرورية - أنها تملأ الفراغ الذي يمكن أن يصاحب أعمال العبادات . لكن النية قائمة ببساطة على أن ما يأمر به الله كاف ، وهي إذ تحول دون أي إعجاب بالنفس فإنها تتجنب وضع النموذج الذي لا يستطيع الإنسان عادة بلوغ مستواه

لقد كانت الأخلاق البدوية ، فى الجاهلية ، قائمة على أخلاق التنافس . فالكرم معناه أن يكون الإنسان أكرم من كل الآخرين وإن يباهى كذلك بالكرم (= كرم) . وجاء الإسلام فعارض هذا المستوى من القيم . فالله وحده هو الكريم المختص بالكرم ، الرحيم . . . إلخ .

ولا أحد على الإطلاق يطمع فى أن يضاهيه ، وإذن فن الضرورى مكافحة هذا الاتجاه الذى يتمثل فى أن تقارن النفس الآخرين ، وتتصنع أمامهم وهذا هو الذى جعل من قيم البدو ، بالنسبة للمسلمين وكذلك لكثير من المسيحيين « عيوباً زاهية » فليس ما لديهم سوى أمور براقه خادعة . والمشكلة إذن هى فى الوصول إلى (الإخلاص) الحقيقى . لكن الإنسان على المستوى الصوفى لا يقدر على ذلك ، لأنه لا يتصنع فقط فى محاولته العظمة ، وإنما أيضاً فى محاولته للخشوع . أنه يتصنع الفقر (تفاقر) والجهل (تجاهل) ، وبصفة عامة ، فليست النفس إلا (تصنعاً) وهكذا فإن أى تطور صوفى ، على مستوى الإخلاص الصوفى ، يفترض صراعاً (لمخالفة النفس) .

وهو الذى يحصن الإنسان على أن يتعلق بهذه الخيرات والمخلوقات الحادثة التى يظهرها له مشروعه ومباحة . إن كل ما تبثلى به النفس يمكن أن يعود : إماً إلى الله الذى يرسله ، وإماً إلى النفس ذاتها ، التى ترغب فى الكبر والعظمة ، ليس فى الحقيقة ، وإنما أمام الناس . ولأن النفس ليست كائناً صلب التكوين ، فإنها تستسلم بسهولة للزهو بنفسها : وهذا هو ما يطلق عليه الصوفية (الرياء) الذى ينبغى عدم خلطه بالنفاق ، لأن الأول يعنى فكرة أن يعرض الإنسان نفسه أمام الآخرين ، وهذا ما يحدث تزويراً كاملاً للكائن . ويمكن الإشارة هنا إلى نظريات سارتر فى سوء الظن واللهو والكوميديا التى تتكون من حياة الكائن الذى يحس بذاته وللتعبير عن عدم تلائم الاحساس بالذات مع النفس ، فإن اللغة العربية تحتوى على الصيغة الفعلية (تفاعل) التى تعد ذات علاقة بصيغة (فاعل) الذى يعبر عن المنافسة مع الآخرين . فمثلاً نجد (تماجد وماجد) ينطبقان على معنى واحد ، لأن المنافسة مصحوبة دائماً بتفاخر وظهور أمام الناس . و (فاخر وتفاخر) هما أيضاً معنى المنافسة فى المجد .

رجالا خالصين ، تبعاً للخلصة الخالصة التي لا شوب فيها ، والتي هي عبارة عن البلاغ الخاص بالجنة الخالدة . وفي حالة الإضافة يكون المعنى : لقد اخلصناهم تبعاً لما هو خالص في ذكرى هذا البلاغ ، لأن هذه الذكرى يمكن أن ترجع إما إلى الله - إذا لم تعتقد إلا فيه ونحن نفكر في الإقامة بها - وإما إلى الإنسان إذا ما تذكر في نفسه . .

وهاتان القراءتان هامتان جداً ، لأنهما تعنيان أن المفكرين المسلمين كانوا على وعى بالفكرتين وأنهم لا يستبعدون أيّاً منهما. إن الله تعالى هو دائماً الذي يهب الإنسان الإخلاص ، لأنه لا أحد على الإطلاق يمكنه أن يصل إلى الإخلاص الكامل الذي هو عبارة عن : بساطة دون امتزاج بأي كائن لكن هذا الإخلاص ، وهذا الصفاء الصوفي يمكن تصوره (كطبيعة) يتقبلها المؤمن المحافظ على الشريعة ، طبيعة أشبه ما تكون بمنحة في ذكرى البلاغ الإلهي . وذلك هو ما نعبّر عنه بقولنا :

« يحل ضمير الشريعة محل الضمير الإنساني » . . وفي الواقع يذكر الرازي بصدد (ذكرى الدار) أن

إن الشريعة في شكلها المادي تنذر وتحذر . وبإمكان المؤمن الذي يطيع قوانينها أن يتخلص من أنواع الغموض الشيطانية ، ومن لبس الضمير . وألا يثق في نفسه ، وإنما يجهد لكي يحقق مشيئة الله فيه . وليس بمقدار ما يحفظ نفسه من الوقوع في الشر ، إنه يصل على نحو إيجابي إلى الخير . لأن كل مرحلة على الطريق ، حتى لو تجنب السقوط ، تظل معرضة لغموض الضمير المؤكد . وإذن فإن النجاة عن طريق الشريعة تتكون من تمسك الضمير الإنساني بالنص المحدد لهذه الشريعة ، ووضع نفسه في المكان الذي يحل فيه ضمير الشريعة محل ضميره نفسه . وهذا النوع من النجاة يشترك فيه عامة المؤمنين . فما يعنى المؤمن في اتباع الأوامر هو ما ذكره القشيري : فكرة الحياة الأخرى ، والوعود والأخطار التي تتمثل له فيها . وهنا خطوة نحو الإخلاص (إنا اخلصناهم بخالصة ذكر الدار - ٤٥/ ٣٨) . وتبعاً للمفسرين يمكن أن تقرأ هذه الآية بطريقتين : بخالصة (بالتونين) أو (بالاضافة) وفي حالة التونين يكون المعنى ، كما يقول فخر الدين الرازي : لقد جعلنا من إبراهيم واسحاق ويعقوب

العطايا إنه يتلقى الفضل الإلهى فى (الأحوال) . وليست الأحوال غامضة مثل مقامات النفس التى لا تحقق الصفاء الصوفى الكامل للاخلاص .

وتحتوى تلك الأحوال على قطبين أساسيين متقابلين . وهى لا مدة لها ، ومع ذلك فليست خاطفة . فلأنها لا تبقى زماناً طويلاً ، لا يمكن أن تمثل تارة وجهاً وتارة وجهاً آخر ، كما هى الحال فى أحداث الضمير . ولأنها ليست خاطفة لا تحقق الوحدة الكاملة المنزهة عن كل إمكانية للشرك ، أنها لخطبة وتلك هى أوقات القلب ، الشبيهة بما يسميه الفيزيقيون « لحظات الامتزاج أو التزاوج » ، وهى ديناميكية ، بمعنى أنها عبارة عن توتر بين قطبين متقابلين وتذبذب مستمر من أحدهما للآخر ، وهى تبث فى القلب قوة ترج النفس وتهزها كما تفعل إيقاعات لحن موسيقى . .

وإذا كانت مشاعر النفس تقبل التعبير عنها بواسطة صيغة (تفاعل) فإن أحوال القلب ، التى وصفناها ، تقبل التعبير عنها (بالأضداد) ، تلك الكلمات التى يتذبذب معناها بين دالتين متقابلتين . ومن المؤكد أنه كان من الملائم جداً أن نرى كل

المشار إليهم فى الآية مستغرقون بالكلية فى تذكر بلاغ الآخرة ، وإن الذكرى المستمرة التى يعيشونها توصلهم إلى حد أنهم ينسون هذه الدنيا . ونذهب القراءة الثانية (= الإضافة) إلى أبعد من ذلك إذ ليس فقط بالاستغراق فى الشريعة تتم النجاة ، ولا بنسيان الدنيا نفكر فى الآخرة ، أو بالخلاص من غوايات إبليس نحقق دعوة الخير ، وإنما بنسيان النفس من أجل الله ، وذلك باكتشافها فى ذاتها ، وما وراء ذلك من الصفاء الذى أبدعه الله ، حيث يكمن الإخلاص الحقيقى فى صفائه ونصاعته .

لقد عتقد الصوفية المسلمون أن هذين الشكليين من الاخلاص : الموضوعى والذاتى ، مرتبطان باطنياً ، وأنه يجب الانتقال من الأول ، الذى يتكون فى إطار قوانين الشريعة ، إلى الثانى الذى يتم بالاتجاه الصادق إلى الله .

لكن كيف يتم هذا الانتقال من مستوى النفس إلى مستوى القلب ، الأكثر عمقاً ؟ . بمنحة الهبة . فبينما تعتبر النفس مجالاً للجهد الإنسانى (وهنا توجد علاقة بين « قام بجهد » و « تظاهر ») فإن القلب هو محل

الأسماء التي أعطاها الصوفية لأحوال القلب - من الإضداد . على الأقل سوف نرى أن المصطلحين الأولين يتبعان مستوى الإضداد ، وهي (الخوف والرجاء) تقول الآية (ويرجون رحمته ويخافون عذابه ٥٧/١٧) لكن يستشهد في المعنى المقابل بآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً - ١٨/١١٠) . وكذلك بآية « يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر - ٢٩/٣٦) حيث يفسر فعل الأمر (ارجو) بـ (احذروا واخشوا) ويترجم بالاشير هذه الآية (الذين لا يرجون لقاءنا - ١٠/١٥) :

(لا يرجون = لا يخشون ، أى ليس عندهم خوف) وبهذه المناسبة ، يحدد الخليل أن فعل (رجا) مثل (أمل) لا نلتقى أبداً بمعنى فزع ، إلا إذا لحقته أداة نفي . وهذا ما حدث في الآية السابقة ، بيد أن أبا الطيب يلاحظ أنه يمكن أن يأخذ هذا الفعل نفس المعنى حتى لو لم يكن منفياً ، كما نرى في أمثلة أخرى مستشهد بها . ويدل الفعل (خاف) على الفزع ، عندما يتعلق الأمر بشيء لسنا متأكدين منه . لكنه يستعمل أيضاً عندما نكون متأكدين . وهكذا فإنه (فان خفتم

ألا تعدلوا - ٤/٣ . ينبغي أن تفهم على معنى « إذا علمتم جيداً وتأكدتم أنكم لن تعدلوا » ، وليس (إذا خشيتم » . لكنه بمقدار ما يفهم منه عدم التأكد ، فإنه يعنى في نفس الوقت : خشى ورجا ، كما أشار إلى ذلك قطرب . إن الحياة الدينية كلها في الإسلام تبدأ من (الوعد) و (الوعيد) اللذين يذكرهما الله تعالى في القرآن معلناً التبشير بالجنة ومنذراً من عذاب النار (انظر ١٨/١٢) و (الخوف) و (الأمل) من المشاعر المشتركة في النفس الإنسانية ، وهنا يأتي الكلام الإلهي ليحرك فيها كل ما هو عادي جداً وعام من الذي لا يرى الأخطار الجسيمة التي يمكن أن تقع له ، ولا يستغرق من الناحية السيكولوجية والروحية ، في رعب كامل ومستمر ؟ . . وفي المقابل يظل هناك أمل خادع ، لا يحده شيء ، ومنه تنتج ضروب الغفلة والذنوب . لكن النفس تميل إلى أن تطيل مقاماتها عندما تنتقل من شعور إلى شعور مضاد ، وهذا دائماً بالتعاقب : فهي ترجو بعد أن تخاف ، وتخاف بعد أن ترجو . . وتولد هذه الانفعالات المتعاقبة اضطراباً في النفس . أما

منها رصيذاً ضخماً. وهنا يحدد الصوفية (أصل) التقوى ، كما لو كانت عبارة عن (تجنب أى شرك مع الله) والتحفظ مما سوى الله . كذلك الابتعاد عن أى لبس : عبارة عن (تجنب أى شرك مع الله) والتحفظ مما سوى الله . كذلك الابتعاد عن أى لبس : (اتقاء الشرك والشبهات) . ومن المعلوم في الإسلام أن الشرك لا يقتصر فقط على عبادة الأصنام التي صنعها الإنسان، وإنما أيضاً على عبادة أهوائه الخاصة ، والخضوع لها كما لو كانت أرباباً من دون الله . وإذن فإن التقوى تؤدي مباشرة إلى تلاشي الشعور بالذات ، وإلى فناء النفس ، والقضاء على كل ما هو مثار شك فيها .

عندئذ يمكن للقلب أن ينخرط كلية في طريق الله . وهو ثواب (أى الذى يتجه نحو الله ، من الفعل تاب ، أى رجع إلى الله ، وهو قريب جداً من الفعل تاب بمعنى رجع أو عاد) والتوبة كما يذكر الغزالي ، عبارة عن إسقاط الحجب التي تفصل الإنسان عن الله : المخلوق الذى يجب عن الخالق المحبوب ، وإذن فكلية تاب تعتبر من الأضداد ، بهذا المعنى الذى ينطبق على الإنسان الذى يتوب ، وعلى الله ، بحلة الأزهر

في القلب ، فالأمر على عكس ذلك تماماً، لأن الخوف الكامن في الرجاء ، والرجاء الكائن في الخوف يجعلان الإنسان في يقظة دائمة ، دون أن يفتر أو يتجمد. إن ديناميكية الأحوال الصوفية لا تدع النفس تغفل أبداً ، وفضلاً عن ذلك فإن تحقق مفهوم المصطلحين الأولين يولد - بفضل الله- تحقق مفهوم المصطلحين التاليين على نحو أكثر كمالاً . ويؤثر هذا المفهوم الأخير على النفس بدوره ، بحيث يجعل الإحساس بالذات يتحرر بالتدريج من ذاته خالصاً ، بمعنى الاخلاص الداخلى (ولم يعد الأمر هنا يتعلق بمستوى الضمير الموضوعى الذى يتحقق في قوانين الشريعة) ثم ابتداء من المصطلحين الأولين ، تتوالى باقى المصطلحات الزوجية (قبض وبسط) ، (هبة وأنس) . . . إلخ . وإذا لم تكن هذه المصطلحات أضداداً على المستوى المادى للغة ، فإنها من حيث انبثاقها وتطورها عن المصطلحين الأولين تظل الأضداد على مستوى المعنى الروحى .

وهكذا بعد عملية التصفية ، المنشطة بحويية الأحوال ، تبلغ النفس درجة التقوى ، في وحدتها الأكيدة ، تختزن

الروحي ، سوف نكتشف أن هذا الفعل الواحد ليس له إلا فاعل حقيقي واحد ، هو الله تعالى .

وفي الواقع عندما يجد القلب في أحواله من شبهات النفس ويقضى على السلطان الخادع للإحساس بالذات يكتشف المؤمن أن كل ما فيه ليس إلا لله : إنه موجود بالكلية لله . وهذا هو (البقاء) ، ومع ذلك يبقى عمل أخير لا بد منه ، وهو أن الاخلاص الصوفي لا يدرك في اللحظة التي يكتشف فيها فقط أن - (كل ما هو كائن ، وكل ما في ذاته لله) وإنما أيضاً (ليس إلا فعل الله) .

بهذا ننتقل إلى مستوى (السر) ، فالمؤمن على مستوى القلب يحب الله ، فهو (مريد ، محب) والله (مراد ، محبوب) . أما في السر فينقلب كل شيء ، ويصبح الموجب سالباً . إذ في حب الإنسان لله ، يكتشف أنه هو المحبوب ، وإن الله تعالى هو الحب . ويبلغ النشاط الإنساني في بحثه عن الله ، غايته ، عندما يتحقق بصورة كاملة في حالة مطلقة ، حيث يمتد الفعل الإلهي الذي يخلق وينجي معاً على كل شيء . وهكذا يجد الإنسان نفسه في نقطة أبعد من

تعالى ، الذي يتوب عليه . تقول الآية ...

(إن الله يحب التوابين - ٢ / ٢٢٢) وبالنسبة لله تعالى (قابل التوب- ٣/٤٠) . لكن تبعاً للمعنى المضاد ، الله أيضاً تواب (انظر القرآن ١٦/٤ ، ١٠/٢٤) . فالآية تقول (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه - ٣٩/٥) .. إن كلا من فكرة التعبير القرآني (ثم تاب عليهم ليتوبوا) إن الله هو التواب الرحيم ٩ / ١١٨) والآية رقم ١١٧ من السورة السابقة تقدم معنيين متطابقين لفعل تاب (لقد تابَ اللهُ على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم أنهُ بهم رؤوف رحيم) . وقد حاول بعض المفسرين (كالجلالين مثلاً) أن يحدد من المعنى الدقيق للجزء (ت و ب) المنطبق على الله تعالى ، فقالوا : إن الله (يوفق) الناس في توبتهم ، وأنه (يديم) توبتهم .. لكن الصوفية المسلمين لم يفهم أن يستفيدوا من القدرة التعبيرية الموجودة في الأضداد ، لأنه في ديناميكية فعل واحد نجد الإنسان يتجه نحو الله ، والله نحو الإنسان وفي قمة التطور

الفاعل الوحيد ، لكنه يخفى عن كل إدراك ، وذلك حين يكون موضوعاً للحمد والعبادة أو الحب ، فهو (الفاعل) المطلق في فاعليته .

وتعتبر الأضداد ، من وجهة النظر اللغوية ، كلمات لها ، في وقت واحد معنى إيجابى ومعنى سلبى . فمثلاً (الأمين) تدل على الشخص المؤمن (بكسر الميم الثانية) وعلى الشخص المؤمن (بفتحها) . ومهما يكن من أمر فالفرق بين الطبيعة الموجبة والطبيعة السالبة يوجد في تغيير الحركات لقد كان ماسينيون يذكر بأن الحروف الصامتة ، المكتوبة بالحبر الأسود ، هي الهيكل العظمى للكلمات ، بينما الحركات الأصلية أو الاعراب ، المكتوبة بالحبر الأحمر هي النفس الحى الذى يثبت الحياة في هذا الهيكل والانتقال من الموجب إلى السالب ، الذى هو انتقال من (القلب) إلى (السر) ما هو إلا (حركة) النفس ، وارتباط الحياة بالكائن .

ومع ذلك ، لا ينبغي استنتاج أن التصوف الإسلامى يعتمد فقط على هذه الخاصية الهامة للغة العربية المتمثلة « في الأضداد » ، لكنه — عمداً أو عن غير عمد — انتزع جزءاً كبيراً

مقامات النفس وأحوال القلب ، حيث يتقبل اللمسات الإلهية التى تعتبر بصورة مطلقة ، لحظية : (الطوارق) . وهنا لم يعد الأمر يتعلق باظهار ما يعطى الله في توكل النفس وتسليم القلب ، كما لم يعد أى اكتساب أو كسب . لاماكان إلا للقدرة الكلية العميقة التى يحققها الله تعالى ، الفاعل لكل شئ ، وذلك هو (التفويض) . لقد تجاوزت (العبادة) الخارجية الموجودة في النفس (علم اليقين) وكذلك العبارة الداخلية (العبودية) الموجودة في القلب : (عين اليقين) ، إلى مستوى السر حيث يصير المؤمن هو حقيقة العبارة ذاتها (العبودية) ، وتلك هى ما يحققها الله وحده : (حق اليقين) . وهنا تجهد النفس لكى تحصل على (التواجد) ويتمتع القلب في شطحاته (بالوجد) ، أما السر فهو الوجود الحقيقى : (الوجود) الذى يحقق الاخلاص الصوفى الكامل .

وهكذا نجد أنه قد أشير لهذا العمق الأخير للكائن بكلمة (السر) التى تندرج صيغتها الفعلية (أسراً) في قائمة الأضداد ، لأنه في الواقع ، يدل معاً على (أظهر وأخفى) إنه يظهر في الجوهر الخالص لفعله وحقيقته

من مجال الكلمات التي تعبر عن مواقف (مفاتيح) لكي يقيم منها صرحاً متماسكاً جداً للغة التصوف . وبناء على ما علقه مفكرو العرب على اللغة العربية دائماً من أهمية ، فلن يكون من المدهش أن يؤثر طابع الأضداد ، المعروف جيداً ، في تطور « تعدد القطب » في الأحوال الصوفية ، وفي الديناميكية التي بفضلها تجاوز التصوف مستوى التظاهر والاحتفالات العلنية بأعمال الضمير ، وأصبح في إمكانه بلوغ الاخلاص الصوفي ، حيث يخفى الظاهر ، ليحل محله ظاهر خالص ، وذلك عن طريق التحول (بالتوبة) حيث الثواب هو - في وقت واحد وبالتضامن - الإنسان والله .

في الصبر

قال صلى الله عليه وسلم :

« عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وأن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

النظام الاقتصادي في الإسلام

الأستاذ / زاهر عزب الزعبي

لقد نظم الإسلام كلاً من الملكية الفردية والملكية العامة ، طبقاً لنظرية الاستخلاف . . . وهي تقضى بأن كل شيء في الأرض مملوك أصلاً لله . . . الذي استخلف الإنسان فيها وسوَّده عليها . . . وطبيعة هذا الاستخلاف أن يبدأ جماعياً ، ثم يتطرق إلى أن يتوزع فردياً . . .

وهذه النظرية الإسلامية تجعل حق الجماعة في المال أظهر من حق الفرد فيه . . . ولذا منع الإسلام الفرد من أن يملك ما كانت المنفعة فيه ضرورية للجماعة : كالماء والكأ والنار . . . وأبقى ملكيتها عامة للجماعة تنظَّم كيفية الانتفاع بها . . . حتى يجد كل فرد نصيبه منها وقت حاجته إليه . . . فلا يملكه فرد أو أفراد فيحتكرون المنفعة ويمنعونها عن الباقين .

وهكذا سار الإسلام في إقرار حق الملكية للفرد وللجماعة ، فوضع

التشريعات الخاصة بالملكية على أسس قوية تستند على الحقوق المكفولة لكل من الفرد والمجتمع في الانتفاع بنصيب من نعم الله التي أتاحها للإنسان في الكوكب الذي يعيش عليه . . . كما تستند هذه التشريعات في أسسها أيضاً على الحرية التي جعلها الإسلام حقاً من الحقوق الطبيعية للإنسان . . .

وحينما يكون الحق والحرية هما أساس البناء الاقتصادي في المجتمع تنتفي عنه العيوب الخطرة وتتوارى بعيداً عنه . . .

والملكية في الإسلام ليست إلا استخلاًفاً . . . وحق الله فيها أظهر من أن يحجبه ما أعطاه للإنسان من حق عليها . . . ولذا كانت الملكية بالنسبة للإنسان حقاً في الانتفاع أكثر منها حقاً في التملك . . . ولكن لما كان حق الإنسان في الانتفاع - كما قرره الإسلام - حقاً مطلقاً : به يحوز

والحرام، فحلّل طيبها وحرم خبيثها..
وأطيب وسائل كسب المال عمل الرجل
بيده ..

وقد فرض الإسلام العمل وجعله
واجباً تكليفياً .. فلا يجوز للقادر عليه
أن يعيش كلاً على الناس ويسألمهم أن
يطعموه ..

والإسلام حين أوجب العمل على
كل مسلم قادر عليه .. جعله حقاً
له لا يجوز لأحد أن يصدّه عنه أو
ينكره عليه .. وأوجب أن يكون أجر
العامل الأجير مساوياً لجهده ، وحقاً
خالصاً له لا يجوز حجزه عنه أو
انتقاصه فيه ..

وللعمل أنواع كثيرة ، بعضها
يدوى وبعضها ذهني ، ولكنها كلها
من قبيل السعي الواجب في سبيل
الرزق ..

وقد حض الإسلام على هذا السعي
وشجّع عليه ، فأطلق حدود الكمّ فيما
يستطيع المسلم أن يحصل عليه من
مال نتيجة لسعيه ، وأجاز له التمتع
والانتفاع بهذا المال على أي وجه
مشروع يريده ، وأجاز له التصرف
فيه — وفي نطاق أحكام الشريعة
وقوانينها — بالبيع أو الهبة أو الوصية ..
أو بالتبرع والصدقة ، أو باستهلاكه

الشيء وبه يتصرف فيه تصرف المالك..
أمكن اعتباره — تجاوزاً — حقاً في
الملكية .. وقد أخذ القرآن بهذا
الاعتبار أيضاً حين نسب المال إلى
البشر ولم ينسبه إلى الله حيث يقول :
« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »
(البقرة ١٨٨)

« لتبلون في أموالكم وأنفسكم »
(آل عمران ١٨٦)
« خذ من أموالهم صدقة »
(التوبة ١٠٣)

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم »
(الذاريات ١١)

والقرآن الكريم أيضاً ينبه الناس في
كثير من المواضع على أن ما في
أيديهم من المال ليس إلا ملكاً خالصاً
لله استخلفهم فيه إذ يقول :

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم »
(النور ٣٣)

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه،
فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر
كبير »

(الحديد ٧)

والإسلام إذ قرر للإنسان حق
الانتفاع بالمال وسمّاه على سبيل التجوز
تملكاً ربط وسائل هذا التملك بالحلال

يَكْفُ عنه وعن أسرته الحاجة ويدفعها
في حدود الاعتدال بلا إسراف ولا
تقتير . . قال تعالى :

« كلوا واشربوا ولا تسرفوا »

(الأعراف ٣١)

« كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا
تطغوا فيه »

(طه ٨١)

« والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما »

(الفرقان ٦٧)

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط »

(الإسراء ٢٩)

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الترف
واعتبره سبباً للفسوق والإفساد قال
تعالى :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها »

وعلماء الاقتصاد المعاصرون يعتبرون
الترف من أخطر الآفات الاقتصادية
والاجتماعية . . لأنه إما أن يكون نتيجة
للثراء ، أو أنه يجعل الثراء ضرورياً ،
فهو يفسد الأغنياء والفقراء على السواء ،
يفسد الأولين بمزاولتهم له ، والثانين
برغبتهم فيه ، كما أن الترف يبيع

في منافعه وشئونه الخاصة ، فإذا ما مات
عن فضل منه انتقل هذا كله إرثاً
إلى الأقربين الذين جعلت لهم الشريعة
حق الميراث فيه . . .

فالسعى هو الوسيلة الأصلية للتملك ،
وغيره من الوسائل المشروعة كالصدقة
أو الهبة أو الوصية أو التبرع أو الإرث
كلها وسائل فرعية .

وقد حرم الإسلام امتلاك المال عن
طريق الظلم أو الغش وسائر أنواع
الإضرار بالغير أو بالنفس ، فحرم
الربا والقمار والاحتكار والنصب
والسرقة والرشوة وكل ما كان من قبيل
الظلم ... وحرم الختل والتغريب والنصب
والاحتياال وكل ما كان من قبيل الغش
والخداع . . وحرم أجر البغاء وثمن
الخمر ومكسب التجارة مع العدو وكل
ما كان فيه لإضرار بالغير سواء أكان
فرداً أو جماعة . .

وكما قدم الإسلام حق الجماعة في
ملكية المال قبل حق الفرد فيها فإنه
اعتبر أيضاً مصلحة الجماعة قبل
مصلحة الفرد في وظيفة المال وأوجه
استعماله وطرق استغلاله . . فالإسلام
يجعل وظيفة المال وظيفة اجتماعية بحتة
وليست فردية إلا بقدر حاجة المالك
الضرورية لهذا المال ، وبالقدر الذي

بمثابة الخزانة العامة التي يمتلكها المجتمع
ممثلا في الدولة وحكومتها . .

وفضلا عن ذلك فقد فرض الإسلام
حق الجماعة في الملكية الفردية ،
فأوجب الزكاة وأجاز للجماعة بواسطة
ممثليها أن تضيف إلى الزكاة واجبات
مالية أخرى تفرضها على الأموال
وتجيبها لصالح الجماعة إذا اقتضت
ذلك ضرورة اجتماعية أو مصلحة
عامة . .

وجاءت التشريعات الاقتصادية في
الإسلام فجعلت التملك مبنياً على
الإباحة وساءت في هذا بين الجميع ..
ولكنها استثنت من هذا المبدأ أموراً
منعتها لأن فيها أضراراً أدبية أو مادية
تحيق بالفرد وبالمجتمع على السواء كالخمر
والخنزير والأنصاب فحرمتها ، أو لأن
في تملك الأفراد لها إضرار بالمجتمع
كالماء والهواء فحرمت استئثار الأفراد
بها ، وتركت ملكيتها على الشيوع ،
وأعطت للمجتمع حق تنظيم كيفية
الانتفاع بها . . وتطبيقاً لمبدأ المساواة
منعت تفاوت الفرص في التملك فلا
تفاضل بسبب من الطبقة أو الجنس ..
بل لكل على قدر سعيه واجتهاده
الخاص .

ثم راعت هذه التشريعات المصلحة

المواطن وبالتالي يبيع الوطن للنعموة
والخور والخيلاء . . وينتزع من الدولة
كل مواطنيها ، إذ يجعلهم عبيداً
لبعضهم البعض ، وكلهم عبيداً للأهواء
والمطامع . . .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام أيضاً
التبذير وأوجب على الجماعة الحجر
على السفينة المبذر وكف يده عما
يملكه من مال قال تعالى :

(ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل
الله لكم قياماً)

(النساء ٥)

كما حرم الإسلام اكتناز المال ،
وعمل على عدم تكديس الثروات ،
وعلى توزيعها واستمرار تداولها حتى
تخدم أكبر قدر ممكن من المجتمع ..
وقرر أوجه التكافل الاجتماعي على
أوسع مدى وأتم صورة وأكمل منفعة ..
ووسع مجال الإرث فأشرك عدداً
كبيراً من الورثة في المال الموروث
حتى تتسع دائرة الانتفاع فتشمل
أكبر عدد من الأقرباء ، وبذلك
تتوزع الثروة ولا تتكدس في يد وارث
واحد كما هو الحال في كثير من
القوانين المعاصرة . . وجعل مال التركة
التي لا وارث لها إلى بيت المال وهو

وجعلت العمل واجباً قبل أن يكون حقاً ، فيجوز للحاكم أن يجبر عليه من يكون ضرورياً له وهو قادر عليه ، وسنت التزامات التكافل الاجتماعي ، واستعانت بالقوة الروحية في الدين وبكل ما فيه من مثل ومبادئ أخلاقية . . فتوهت بالبر ، وأشادت بالتعاون ، ودعت إليهما ، وضاعفت لهما الثواب والبركة ، وبذلت في هذا الصدد كل جهد يمكن أن يبذل ، وسلكت كل سبيل يمكن أن يطرق ، حتى جعلت للقيم الروحية والمبادئ الأخلاقية الفضل والسيطرة على المادية والمتاع الدنيوى .

« قل إن متاع الدنيا قليل »

(الآية)

ومن هذا يتضح أن الإسلام قد قد عالج المشاكل الإنسانية معالجة حكيمة حصيفة.. فلم يدع للحرية الفردية أن تطغى على مصلحة المجتمع ، كما لم يترك لسيطرة المجتمع أن تحد من حرية الفرد وكرامته . وهو في نفس الوقت لم يتخل عن تحقيق العدالة والمساواة . . والكيفية التي حقق بها الإسلام كل هذا النجاح في حل القضايا الإنسانية يجب أن تظل على الدوام محل عناية واهتمام الباحثين يستكثرون خفاياها ،

المطلقة والحرير المطلق يستوى في ذلك الفرد والمجموع . . فحصرت وسائل الحصول على الملكية فيما لا يعود منه ضرر على المجموع . . فحرمت الربا والمقامرة والنهب واستغلال ضعف الآخرين ، وجعلت العلاقة بين العامل وصاحب العمل تقوم على أساس من المنفعة المتبادلة وعلى قدم المساواة في الحق والكرامة . . وحاربت الجشع الغريزي في نفس الإنسان فحرمت عليه أن يشق على نفسه ويهلكها ببذل ما فوق طاقته من جهد في سبيل الحصول على المزيد من الثروة ، وحددت كيفية الاستمتاع بالمال ، فحرمت اكتنازه واحتكاره واتخاذ وسيلة لإيذاء الغير أو التنكيل بهم أو التحكم فيهم ، كما منعت الاستهتار بالمال والتبذير فيه . ثم راعت هذه التشريعات حق الجماعة في مال الفرد وفرضت فيه نفقة الأقارب والزكاة ونفقات الدولة ، وأعطت للجماعة حق الحد من الملكية الفردية أو انتزاعها كلها ، في إطار ما تقتضيه المصلحة العامة نظير تعويض مادي مجز لصاحبها . . ومنعت تضخم الثروات فوزعها بالميراث ، واعتبرت الفقر رذيلة يجب درؤها بكل الوسائل . . فحثت على التخلص منه بالسعى والعمل ،

وفي وسط هذا كله يوشك هذا التناحر المذهبي الذي يدور على شكل حرب باردة - أن يتطور إلى حرب ساخنة في عصر بلغ فيه العلم تقدماً كبيراً في السيطرة على قوى الطبيعة الهائلة.. ومنح كلا من المعسكرين طاقات ضخمة جبارة ، ومضى كل معسكر يستغل هذه القوى الهائلة والطاقات الجبارة في تهديد الآخر ، بل وكرّس كل جهوده في الاستعداد لتدمير منافسه وإفناؤه . . بدلا من الاستعانة بها على توفير الرخاء والهناء للشعوب المضناة المكدودة القلقة المرتاعة . .

وهذه القوى الهائلة الجبارة وقد استُغِلَّت على هذا النحو السيئ أصبحت خطراً رهيباً مفرعاً ، لأنها جديرة بإهلاك العالم وفناء الحياة من فوق سطح الكرة الأرضية كلها . .

وعلى هذا الخطر المدهمّ المترقب يقف سكان العالم بأجمعه وأبصارهم زائغة وأعصابهم مشدودة . . يترقبون الهلاك ، ويتوقعون الفناء والدمار في كل لحظة وفي كل آونة . .

ولم تصل الأمور بهذا العالم إلى هذه الخطورة المرعبة إلا لأن كلا من النظامين المتناحرين قد نشأ فاسداً ، وقام على اعتبارات ناقصة غير كاملة ،

ويستخرجون كنوزها ، ويكشفون عن كل ذلك . . فيقدّمون أجلّ خدمة للعالم المعاصر الذي ناءت الجهود البشرية عن أن تقدم حلولاً صحيحة لمشاكله المعقدة ، فوقع الناس جميعاً فيه ضحايا المذاهب وأفكار فجة عاجزة ، وبدلاً من أن يحققوا لأنفسهم قدراً - ولو ضئيلاً - من السلام والاستقرار والسعادة . . وانقسم الشطر الأكبر من سكان هذا العالم إلى معسكرين اخترع كل منهما لنفسه طريقة للحكم ، ونظماً اجتماعياً ونهجاً اقتصادياً خاصاً به ، وظن كل فريق أن ابتكاراته كفيلة أن تصل به إلى النجاح والسعادة ، وادعى كل منهما لنفسه حق القوامة على الآخر فتغاضياً عن إمكانية التعايش وراحا يتنابدان بل يتناحران باسم الديمقراطية وباسم الحرية وباسم العدالة وباسم المساواة .

وفي الحقيقة أن كلا من هذين النظامين قد خلا من الديمقراطية الحقّة ومن الحرية الحقّة ومن العدالة الحقّة ومن المساواة الحقّة ، بل في كليهما ضاعت كرامة الإنسان وأهدرت حرите وتعطلت حقوقه.. وليس في هذا الضجيج إلا الشعارات الجوفاء والألفاظ التي فقدت مدلولاتها الصحيحة . .

وانتهج أساليبَ خاطئة فعمى كلُّ منهما
عن أن يحقق خيراً للبشرية أو يعالج
مشكلة من مشاكلها ، أو أن يكون
عاصماً دون الشر والقسوة . .

ولقد بدأت الرأسمالية كفكرة مثالية
أراد بها دعاة الإصلاح الاجتماعي في
أوروبا أن يخلصوا شعوب القارة من
إقطاع القرون الوسطى الذي أهدر حرية
الإنسان وكرامته إهداراً كلياً.. حيث
كان الناس آنذاك عبيداً يعملون بلا
أجر في مزارع الإقطاعيين . . وكانت
الكنيسة تملأ هذا الإقطاع ضمناً
لمصالحها . . وتضفي عليه تأييداً دينياً..
ووسط هذا الظلام الحالك الذي ران

على أوروبا عبر القرون الطويلة . .
كانت تبدو بين الحين والحين كالبرق
الواهن لمعات من الأفكار الحرة التي
تتضمن مبادئ إصلاحية تحررية . .
وهذه وإن كانت جهوداً فردية فجأة
عديمة الجدوى لكنها لم تتوقف . .
ولم تستطع المقاومة العنيفة التي كان
يبدونها الإقطاعيون وكرادلة الكنيسة أن
تقضي عليها أو تثدها . . بل ظل
المشعل ينتقل من يدٍ فدايةٍ إلى أخرى
خلال الأجيال والقرون . . حتى استطاع
في عصر النهضة أن يكون له آثاره
الإصلاحية المجدية . .

ومن هؤلاء الفدائيين الذين جهروا
بآرائهم الإصلاحية ، وجابهوا بها أمراء
الإقطاع ذوي القوة والجبروت والطغيان ،
ورجال الدين ذوي النفوذ والدهاء
متجولد Mitgold وهو داعية بابوي
تنكب الطريق المرسوم له من قبل
الكنيسة ، وبشر بآرائه الحرة في حوالى
سنة ١٠٨٠ م . . ثم القديس توما
الإكويني (حوالى سنة ١٢٥٠) . .
وقد كتب اللورد آكتون يقول : « إن
القديس توما الإكويني لديه قدر كبير
جداً من التحررية السياسية » . .
ثم قام هوكر Huker ليعلن أن
إنسان أوروبا قد آن له أن يسترد حريته..

وجاء الفيلسوف الإنجليزي لوك Locke
وكان عبير الثقافة قد بدأ يُعطر جوَّ
أوروبا وخلق ظروفاً مناسبة لنجاح
الحركات الإصلاحية ، وانتشار مبادئها ،
وذبوع أفكارها . . وقد أقبل الشعب
البريطاني في هذا الوقت المبكر على
قراءة مقالات لوك وسماع محاضراته ،
لأنها تميّزت بالمهارة في عرض الأفكار
والمبادئ التحررية المعقدة في أسلوب
بسيط يسهل تناوله على الناس العاديين..
ووضع لوك الأسس الرئيسية للعقد
الاجتماعي Sociol Contraet

« تلك الأسس التي قام روسسو

Rousseau وهيوم Hume فيما بعد بتفصيلها وبسطها .

ولقد غلبت نسبة هذا العقد الاجتماعي إلى روسسو لأنه أولاً : كان أديباً يملك ناصية التعبير أكثر مما كان فيلسوفاً يملك زمام الفكر ، فاستطاع أن يصوغ الأفكار والمبادئ بأسلوب رشيق جذب إليها عقول الناس وحببها إلى نفوسهم ، فازدادوا اقتناعاً بها واستعداداً للتضحية في النضال من أجلها . . . ولأنه ثانياً كان يكتب باللغة الفرنسية التي كانت في هذا الوقت أكثر اللغات الأوروبية انتشاراً وأشدها تأثيراً وأدقها تعبيراً وأقواها على الإقناع . . . ومن أجل ذلك عرف الناس العقد الاجتماعي من خلال روسسو الذي لم يكن مجرد مترجم لأفكار غيره وإنما كانت له فيه ابتكاراته الخاصة - بصورة أشمل وأعم - . . . وبقدر لم يتح لشريكه لوك وهيوم . . .

ويتحدث لوك عن الملكية في الفصل الخامس من رسالته الثانية التي ضمنها طوقاً للإصلاح الاجتماعي والحكم فيقول : « إنه من الجلي أن الله - كما يقول داود الملك في المزمور ١١٥ - قد أعطى الأرض لبني آدم ومنحها للجنس البشري مشاعاً . . . وعلى الرغم من أن الأرض وجميع المخلوقات الدنيا مشاع بين

الناس جميعاً ، فإن كل شخص يملك شيئاً في شخصه كجسمه وعمل يديه ، فأى شيء أخرجه المرء عن الحالة التي وجد عليها في الطبيعة يصبح ملكاً لهذا الإنسان ، لأنه قد خلط عمله بإنتاج الطبيعة ، وأضاف إلى إنتاج الطبيعة شيئاً جديداً من عنده هو ، فاستحق أن يملكه بحق . . .

والطبيعة قد حددت وضع الملكية تماماً بمدى ما يبذله الناس من عمل وبمطالب الحياة ، فلا يستطيع إنسان أن يخضع بعمله كل شيء ، أو يأخذ كل شيء لنفسه ، كما أن حاجته لا يمكن أن تستهلك سوى جزء بسيط ، وبهذه الطريقة كان من المستحيل على أى شخص أن يعتدى على حق لغيره ، وهكذا كف العمل في بداية الأمر الحق في الملكية حيثما شاء أى إنسان أن يستخدمه في الأشياء التي كانت مشاعاً . . . وبهذه الصيحات التي أطلقها لوك ومن بعده هيوم وروسسو تحددت الأسس التي قام عليها النظام الرأسمالي ، وهي تتلخص في حرية الفرد في أن يملك كل ما يستطيع تملكه عن طريق استغلال قدراته وجهوده ومواهبه ، وأنه لا يحق للكنيسة ولا للدولة ولا للمجتمع أن يقوم في وجه سعي المرء للارتقاء والانتفاع . . .

من تشريعات . . هي في الحقيقة لا تنفيذ إلا الذين يملكون المال، ولا تساعد أبداً أى واحد من المعدمين . .

ولم يمض طويل وقت حتى اتضح فشل الرأسمالية في حل المشكلة الإنسانية..

بل لأنها زادت الطين بلة . . بأن حررت الناس من روح الدين ، وأبعدتهم عن الفضيلة ، وقتلت في نفوسهم مثالية الأخلاق، وقذفت بهم إلى حمأة المادية الجشعة . . . فلم يجدوا فيها أى خير بل وجدوا فيها الرذيلة والبؤس واليأس . .

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام داعية نشيط يعلن أنه قد ابتكر علاجاً يخلص الناس من جحيم الرأسمالية ويحقق لهم الرفاهية والخير في عدل وفي مساواة .. وكان هذا الداعية هو كارل ماركس وكان العلاج الذى ابتكره هو الشيوعية . وقامت الشيوعية على أساس النظريات

التي قامت عليها الرأسمالية وهي تساوى حقوق الناس في موارد الطبيعة المشاعة .. ولكن الشيوعية خالفت الرأسمالية في التطبيق ، فقد انتحت جانب ثبوت الحق دون الحرية فيه . . فأنكرت حرية التملك ، بل منعت مجرد الملكية الفردية . . وتركت كل الموارد على شيوعها ، ليستغلها المجتمع كله تحت إشراف حكومة يجب أن تقوم عليه

وأنه ينبغي لحرية الفرد أن تنطلق إلى آمام غير محدودة في كل شعبة من شعب الحياة وفي كل طريق من طرق العمل ، وأن تطلق من كل قيد من القيود الرسمية والدينية . .

ولا شك في أن هذا الكلام كان يبدو جميلاً براقاً في أعين هؤلاء المستعبدين الذين كانوا يباعون مع الأرض التي يفلحونها ، ويحصد خيراتها السيد الإقطاعي . . فما أسعد أن يتحرر العبد ، وأن يملك نتاج جهده وعمله يديه . . ولكن ما إن دخلت الرأسمالية في دور التطبيق حتى سرعان ما تكدست الثروات في يد من هم أقدر من غيرهم على التحرر من سلطان الضمير والأخلاق . . وراح هؤلاء يكونون إقطاعاً جديداً يتحكم في رقاب الناس عن طريق الحاجة إلى لقمة العيش وضرورات الحياة . . حتى هذه اللقمة التي كان يضمنها إقطاعيو القرون الوسطى لعبيدهم أصبحت في ظل النظام الرأسمالي غير مضمونة ، بل غير ميسورة . . وأصبحت الحريات في ظل هذا النظام شيئاً لا معنى له . . أو شيئاً يسمع عنه الناس ويبحثون عنه فلا يجدونه حتى ولو استعانوا بكل ما حوته مجلدات الدساتير وكتب القانون

ثم توزع المنافع على الجميع . . . وفي ظروف الأزمة العصبية التي خلقتها الرأسمالية في العالم ، وجدت هذه الأفكار الجديدة من يستمع إليها ، بل من يتعصب لها ويتحمل المشاق في سبيل نشرها والدعوة لها ، من أمثال أنجلز ولينين الذي أتاح له الثورة الشعبية في روسيا ضد القيصر ونظامه الفاسد سنة ١٩١٧ قبل نهاية الحرب العالمية الأولى فرصة تجربة هذا العقار الجديد في مساحة شاسعة وشعب كبير . . . هي مساحة روسيا كلها وشعب روسيا بأكمله . . . ولكن لشد ما كانت تفاهة هذا العقار وفساده.. ولشد ما كانت فداحة التجربة وقسوتها.. وسرعان ما أسفرت هذه التجربة عن دكتاتورية عنيفة قتلت في نفس كل فرد كل أمل وكل رغبة في الطموح ، وكل قدرة على تحمل أى قدر من المسئولية ، وحرمته كل حق في الحرية أو الاختيار ، وأفقدته كل قدرة على التمييز ، وجعلت من الناس قطعاناً تصنف وتساق وتوجه ، ولا تجد في النهاية إلا القليل الرديء السيئ من المرعى . . .

فالرأسمالية قد فشلت لأنها اعتبرت حق الناس في الحرية ولم تهتم بتحقيق

العدالة.. والشيوعية قد فشلت لأنها راعت جانب المساواة في الحق والعدالة فيه ، وأنكرت الحرية وأهدرت الكرامة . . . وكلاهما قد جانبت الصواب حين قبعت في نطاق المادية ، وابتعدت عن الاعتبار الروحية والمثل الأخلاقية .. وحين اقتصر في علاجها للأدواء الإنسانية في الجوانب السطحية وعلى نطاق جزئى . . .

أما الإسلام فإنه أخذ في اعتباره جميع المشاكل الإنسانية برمتها ، وتعمق فيها من جميع جوانبها وأنحائها ، واعتبر فيها الإنسان من حيث ضرورته الروحية وحاجاته المادية وأحواله المتباينة... اعتبره فرداً وجماعة.. واعتبره قوياً وضعيفاً.. واعتبره حاكماً ومحكوماً . . . واعتبره غنياً وفقيراً . . . واعتبره جسماً وروحاً ، واعتبره عقلاً وغريزة ، أخذ فيه بجميع الاعتبار والاحتمالات ، ثم خرج بالعلاج الصحيح عاماً وشاملاً ، وباللدواء الناجع كلاً مُتَكَامِلاً.. وما أشد الفرق بين دواء تفضل به الله ، وبين دواء هو من إعداد نفر من البشر من أمثال لوك وروسو وهيوم وماركس وأنجلز ولينين.

زاهر عزب الزغبى

القرآن والأحرف السبعة

النهي عن المراء في القرآن

دكتور / روفى شبي

نماذج النوع الرابع :

أحاديث ناهية عن المراء في القرآن :

١ - في تفسير الطبرى :

إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه
كفر^(١) . . . ١ هـ .

٢ - أنزل القرآن على سبعة أحرف
فالمراء في القرآن كفر - ثلاث مرات -
فما عرفتم منه فاعلموا به وما جهلتم منه
فردوه إلى عالمه^(٢) . . . ١ هـ .

٣ - اختلف رجلان في سورة فقال
هذا : أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقال هذا أقرأني النبي صلى الله عليه
وسلم ، فأتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبر بذلك قال : فتغير وجهه
وعنده رجل فقال :

اقرأوا كما علمتم فإنما أهلك من كان
قبلكم اختلافهم على أنبيائهم^(٣) .

٤ - قال عبد الله بن مسعود تمارينا
في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون
أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدنا عليا يناجيه قال : فقلنا : إنا
اختلفنا في القراءة قال : فاحمر وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم
بينهم قال : ثم أسر إلى علي شيئاً
فقال لنا عليّ : إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كما علمتم^(٤) .
٥ - عن شقيق قال : قال عبد الله :
إني قد سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين
فاقرأوا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما

(٣) الطبرى ج ١ ص ١٢ .

(٤) الطبرى ج ١ ص ١٢ .

(١) الطبرى ج ١ ص ١٩ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ١ .

هو كقول أحدكم هلم وتعال^(١) .
 هذه الأحاديث والآثار تقصى القرآن
 الكريم عن معركة الجدل وتيسره لكل
 لسان وقوم وجنس .

نماذج النوع الخامس :

أحاديث تدل على تيسير قراءة القرآن
 للناس كافة

٧ - قال علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه : ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل
 حسن جميل ج ١ ص ١٣ الطبري .

* من هذه النماذج ندرك أنه
 لا يمكن تحديد الحروف السبعة وليست
 واحدة مما ذكر من الاختلاف في :
 القراءة ، واللغة ، والوجه بالمراد من
 الحروف السبعة لا هي منفردة ولا هي
 مجتمعة .

١ - إن هذا القرآن أنزل على سبعة
 أحرف فاقروا ما تيسر منه ج ١ ص
 ١٣ الطبري .

٢ - إن القرآن كانه صواب ما لم
 تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة
 ج ١ ص ١٣ الطبري .

٣ - أنزل القرآن على سبعة أحرف
 كلها شاف كاف ج ١ ص ١٣ ، ١٩ .
 ٤ - نزل القرآن على سبعة أحرف
 فما قرأت أصبت ج ١ ص ١٤ ، ١٥
 الطبري .

٥ - إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على
 حرف فقلت اللهم رب خفف عن
 أمي قال أقرأه على حرفين . . .
 فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من
 سبعة أبواب من الجنة كلها شاف
 كاف ط ص ١٦ ، ٢٠ الطبري .

* كذلك من النماذج السالفة ندرك
 أن طرح موضوع الحروف السبعة
 لإدراك صدقها في مجال البحث
 العقلي الصرف مراء ممنوع منه الخلقاء
 الذين لهم إيمان صاف ، وذاتية إسلامية
 لا تأبه بالعلمانية الاستشراقية الغربية
 التي تريد أن تبيع الذاتية الإسلامية في
 البحث العلمي حتى يتخلص المسلمون
 من أخص خصائهم . . وأنهم البانون
 حضارة الإنسان بمنهج الذاتية الإسلامية
 التي تعبد كل شيء لله رب العالمين .
 * ومع هذا نجد في النماذج السالفة
 كذلك حث وتيسير لمن شاء أن يقرأ

في جميع مجالات الحياة وذلك ما كان
يحرص عليه النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة المهديين بنور إرشاده وبركاته.

ثالثاً - استعمال الحرف في الأسلوب
العربي :

وهل يمكن استعماله اللغوي من
مساعدة تحديد المراد من الحروف
السبعة ؟

أولاً - قال في لسان العرب :

الحرف يطلق على حرف التهجى :
أ - ب - ت وعلى ما يقابل الفعل
والاسم في تقسيم الكلمة إلى :

اسم وفعل وحرف .

ويمكن إطلاق الحرف على اللغة ،
وعلى الناقصة الضامرة ، وكل كلمة تقرأ
على وجه من الوجوه تسمى حرفاً .

وفي القاموس المحيط : الحرف من
كل شيء طرفه وواحد حروف التهجى
وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم
ولا بفعل ، ومن الناس من يعبد الله
على حرف أى وجه واحد ..

ثانياً - قال في أساس البلاغة : ومن
المجاز : هو على حرف من أمره :
أى على طرف كالذى في العسكر إن
رأى غلبة استقر وإن رأى ميلاً فر ،

القرآن كما تعلم من شيخه دون خروج
على ما تعلم .

قال ابن حجر :^(١) وحاصل ما ذهب
إليه هؤلاء أن معنى قوله - عليه الصلاة
والسلام - أنزل القرآن على سبعة أحرف
أى نزل موسعاً على القارئ أن يقرأه
بأى حرف منها وذلك لتسهيل قراءته^(٢) .

* وليس معنى أن يقرأ الإنسان
حسب هواه بغير علم ..

قال ابن حجر : إن الإباحة
المذكورة لم تقع بالتشهي :

أى أن كل أحد يغير الكلمة بمردافها
في لغته بل المراعى في ذلك السماع
من النبي صلى الله عليه وسلم ويشير
إلى ذلك - يعنى إلى فهم ابن حجر -
قول كل من عمر وهشام في حديث
الباب - يعنى المروى في البخارى ،
أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) اه .

وعلى هذا فإنه لا ينبغي أن نمارى
في تحديد المراد من الحروف السبعة
حتى لا ننقل العمل بالقرآن من الجوه
الإسلامي البنائي التطبيقي إلى مدرجات
وقاعات المحاضرات والبحث دون أن
ينفذ القرآن كلاماً وهاد وصادق وأنيس

(١) فتح البارى ط ص ٤٠٤ .

(٢) فتح البارى ط ص ٤٠٢ .

في مجال الجدل — والمناقشة وذلك مرء ممنوع منه الفرد المسلم : لا تماروا في القرآن فإن المرء فيه كفر .

• اقرءوا القرآن ما أثلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا . . .
• كلاهما حسن .

• أى ذلك قرأتم أصبتم .
وتلك كلها توجيهات نبوية تنضم إلى النص القرآني . .
« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . .

قال ابن كثير في تفسيرها :
سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أرادَه
ج ٤ ص ٢٦٤ .
ثانياً — يُقَوَّى أن المراد بالعدد هنا المعنى المجازي ذكره في وحدة المائة بلفظ سبعين :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .
(٨٠ — التوبة)

فإن المراد من العدد هنا كثرة الاستغفار وقد اتفق في العربية على أن العدد إذا ذكر سليماً من الكسور كان مراداً به المعنى المجازي مثل : سبعة وسبعين وسبعمائة .

وناقة حرف شبيهة بحرف السيف في هزالتها .

وعلى هذا فالحرف يستعمل في الحقيقة وفي المجاز .

• فهو حقيقة : في حرف التهجي :
أ — ب — ت .

وفي الحرف المقابل للاسم والفعل ،
وفي طرف كل شيء . .

• وهو مجاز : في الناقة الضامرة ،
وموقف الرجل المتأرجح وهو الوجه الخاص في تصرف من التصرفات .

وبعد :

أفلا يجعلنا ذلك الاشتراك أن نقول بأن المراد من الحروف السبعة هنا المفهوم الكنائى المجازى لا الحقيقى ؟
إن الإمامين حجر يقول : ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة الآحاد .

كما يطلق السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين .

وإلى هذا جنح الإمام عياض صاحب كتاب الشفاء وهذا هو ما ينبغي أن يستقر عليه الأمر ودليل ذلك :

أولاً — أن تفسير الحرف بمعناه الكنائى المجازى يدفع عرض الموضوع

على حرف يسر الله لهم ما دام ذلك
عن شيخ مجود للقرآن مأمون الخلق
والعلم والسلوك . .

رابعاً :

ارتباط الأحرف السبعة برأفة النبي
صلى الله عليه وسلم وعالمية الدعوة
الإسلامية :

١ - الدعوة الإسلامية دعوة عالمية
للإنسان على وجه الأرض مهما اختلفت
لغته وجنسيته ووطنه ، والقرآن الكريم
هو النبع الصافي الذي يستقى منه
البشر جميعاً مبادئ الإسلام ، ومن
خصائص هذا القرآن أن الله يسره
لذكر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مذكر » . وهذا التيسير مباح
لجميع البشر . . . ونموذج هذا التيسير
واضح في شعب جنوب شرق آسيا . .
ذلكم الشعب الطيب الذي يقرأ القرآن
بيسر وسهولة وخشوع دون أن يعرف
للعربية نحواً أو صرفاً .

٢ - وقد شاء الله تعالى أن تتحمل
خصائص القرآن الكريم عالميته للناس
جميعاً . . . والنبي صلى الله عليه وسلم
وهو الذي لا ينطق عن الهوى أبداً . .
يدرك خصائص القرآن ويسره على
لسان المسلم في كل وطن . ومن هنا

أما إذا كان العدد فيه كسور مثل :
الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين
جزءاً من النبوة « كان العدد » ست
وأربعين هنا مقصوداً .. فقد اتفق العلماء
أن مدة الرؤيا الصادقة ستة أشهر
والنبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد
النبوة ثلاثة وعشرين عاماً فتكون ستة
أشهر جزء من ست وأربعين جزءاً من
النبوة لأن العام فيه اثنا عشر شهراً
ونصفها ستة .

وعلى هذا فالاستعمال العربي والقرآني
معاً يقويان وجهة نظر أن المراد من
الحروف السبعة المعنى المجازي .

ثالثاً - التعبير النبوي نفسه كاف
بجمل الإشكال فقد أنزل القرآن على
سبعة أحرف ولم ينزل بسبعة أحرف ،
ومعنى على يفيد الشرط كأنه نزل
مشروطاً بالتسهيل والتيسير .

يقول فضيلة الشيخ الزرقاني : كأنه
قال :

أنزل على هذا الشرط وعلى هذه
التوسعة .

وإذن فالسبعة أنزل عليها ولم ينزل
القرآن بها لقد نزل كما شاء الله . ميسراً
سهلاً ونزل على هذه السهولة واليسر .

« وأى ذلك قرأتم أصبتم »
والمهم أن يتدارس المسلمون القرآن

فقد شاء الله تعالى أن يمنح أمته في كل جزء من الأرض مندوحة القراءة مع اليسر والتسهيل .

٣ - وقد روى الطبرى بسنده قال :

سمعت عبدا لله بن عمر عن سيار أبي الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . ذكر : أن رجلين اختصما ، في آية من القرآن ، وكل يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه فتقارءا إلى أبي ، فخالفهما أبي فتقارءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم أنك أقرأته ، فقال لأحدهما : اقرأ ، قال : فقرأ ، فقال : « أصبت » ، وقال للآخر : اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه فقال : « أصبت » ، وقال لأبي : اقرأ فقرأ ، فخالفهما ، فقال : « أصبت » قال أبي : فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخل لي من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى وجهى ، فرفع يده فضرب صدرى ، وقال : « استعذ بالله من الشيطان الرجيم » ، قال : فنضضت عرقاً ، وكأني أنظر إلى الله فرقاً وقال :

إنه أتانى آت من ربى فقال : إن

ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتى ، قال : ثم جاء فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتى قال : ثم جاء الثالثة : فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمتى قال : ثم جاءنى الرابعة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة : قال : قلت : رب اغفر لأمتى ، رب اغفر لأمتى ، واختبأت الثالثة شفاعت لأمتى ، حتى إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن ليرغب فيها^(١) .

٤ - ومن حديث أبي بن كعب قال :

أتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل وهو لدى بنى غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ، قال : فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف فإنهم لا يطبقون ذلك ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، قال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال :

(١) الطبرى ج ١ ص ١٨ .

مطلقاً وقالت للخطيب : كان يتخلل حديثك كلام تقشعر منه نفسي وتستجيب له عواطفى ، كنت أحس أن نوراً ينقذف فى قلبى ، فما هذا الذى كنت تقوله وسط كلامك ؟ . . فقال لها الأخ المسلم الكريم سيد قطب - رحمه الله - وهو الخطيب فى هذه الحادثة : إنه القرآن الكريم .

هكذا يسر الله القرآن للذكر والتذكر .. وتلك واحدة من خصائص القرآن وعالميته ، وواحدة من بركات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولهذا فإن الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم هى تلك السهولة والتيسر الذى امتاز به القرآن الكريم على اللسان والقلب والمشاعر ، يدور الزمن ويطول العمر ليلتى ظلالاً على مفهوم نزل القرآن على سبعة أحرف بعيداً عن التشاكس والعراك المذهبى والكلامى . ليعلم المسلمون أن الله قد يسر لهم أمر دينهم وأفسح لهم فى رخصة واسعة تلاوة كتابه العزيز .

وفى المحيط الإسلامى : نجد إخواننا المسلمين هنا . . وخاصة الناس فى القرى على اتصال دائم بتلاوة القرآن الكريم دون دراية لهم بالنحو والصرف . ودون تعلم اللغة العربية ، وهم يخشعون

معافاته ومغفرته - إنهم لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ^(١) .

وواضح من هذه النصوص أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى أن ييسر تلاوة القرآن للأمة الإسلامية فى كل صقع من أصقاع الأرض .

ولقد يسره الله على القلوب والآذان فقد قص بعض الإخوان أنهم وهم فى سفرهم إلى أمريكا على باخرة استأذنوا الربان فى إقامة صلاة الجمعة وكان مظهراً فريداً فى عالم الرحلات البحرية أن تتجمع جماعة إسلامية فوق ظهر باخرة فى وسط المحيط ثم يأخذون فى تأدية شعائر صلاة الجمعة ، والتف الناس حولهم يستمعون للخطبة . . وبعد الصلاة تقدمت سيدة غير مسلمة ولا تعرف العربية أبداً ولا زارت بلاد العرب

(١) الطبرى ج١ ص ٢٠ .

فى القراءة كأنما المعانى تتسرب إلى قلوبهم نوراً وضياءً . . . وتلك هى واحدة من تيسر القرآن للذكر . . . وهى من نفحات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأفته بأتمته وعالمية دعوته .

خامساً :

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف

١- روى الإمام الترمذى عن أبى ابن كعب قال : لنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « لنى بعثت إلى أمة أمين ، فيهم الشيخ الفانى ، والعجوز الكبير ، والغلام ، قال : فرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » قال الترمذى حسن صحيح .

فالحكمة هنا كما وضعناها سالفاً هى الرأفة التى قصدها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوسعة التى أرادها لأتمته فى قراءة القرآن .

٢- بيان حكم من أحكام الشريعة ، فى قوله تعالى :

• « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل

واحد منهما السدس » فى قراءة سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه « وله أخ أو أخت من أم » بزيادة (من أم) فتبين بهذه الزيادة أن المراد من الأخوة فى هذا الحكم الأخوة لأم دون الأشقاء ومن كانوا لأب وهو أمر مجمع عليه .

• ومثال ذلك أيضاً :

« فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » هناك قراءة (رقبة مؤمنة) بزيادة (مؤمنة) فتبين بهذا الشرط أن الرقيق الذى يكون كفارة لا بد وأن يكون مؤمناً . . . وذلك واحد من أساليب الإسلام للقضاء على الرقيق بأسلوب القرآن الخاص فى سياسته الشرعية للتغلب على المشاكل الاجتماعية دون حدوث مضاعفات فيما بعد .

• ومثال ذلك أيضاً :

« فاعتزلوا النساء فى الحيض ولا تقرّبوهن حتى يطهرن » هناك قراءة بتشديد الطاء (يطهرن) فعلى الأولى يفيد انتهاء فترة انتهاء فترة الانعزال بمجرد انتهاء فترة الحيض ، وعلى الثانى يفيد أن انتهاء فترة الانعزال مشروطة

قرئ كالصوف المنفوش ، فوضحت القراءة الثانية معنى العهن وأنه مراد به الصوف .

وتلك واحدة من الحروف السبعة التي يسر الله بها للأمة الإسلامية قراءة وتدبير كتاب الله الكريم .

سادساً :

آراء العلماء في الحروف السبعة :

وبعد ما قدمته من عرض قائم على أساس الذاتية الإسلامية ، فإنه دون بأس لا أجد مانعاً أن نقف على ما ارتآه علماؤنا الأجلاء من معان للحروف السبعة .

وفي مقدمة هؤلاء العلماء :

- ١ - ابن قتيبة .
- ٢ - أبو الفضل الرازي .
- ٣ - القاضي ابن الطيب .
- ٤ - ابن الجوزي .

وقبل أن أعرض آراءهم أحب أن أذكر أنهم جميعاً متفقون على أن الاختلاف المراد هنا هو اختلاف التضاد وليس اختلاف التباين ، لأنه لا يمكن أن يكون الشيء دائراً بين شيئين متباينين ، مع صحة كل منهما كالحل والحزمة ، فإن ذلك

بالطهارة والاستحمام من الحيض فلا بد من الاغتسال .

٣ - للدلالة على حكمين شرعيين :

« فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » .

قرئ (وأرجلكم) ينصب اللام عطفاً على وجوهكم وأيديكم وهذا في حالة الوضوء عند عدم الحاجة .

وقرئ (وأرجلكم) بكسر اللام وذلك عند الضرورة والمسح على الخفين . فأفادت القراءةان حكمان شرعيين في حالتين مختلفتين .

٤ - رفع توهم ما ليس مراداً :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » .

قرئ (فامضوا) فعلى الأول يمكن أن يفهم أن المراد الجري والسرعة في المشي عند سماع آذان الجمعة ، وعلى الثاني أفاد أن المراد هو حضور الجمعة مطلقاً فرفعت ما يمكن أن يتوهمه القارئ في القراءة الأولى .

٥ - تفسير كلمة غريبة :

« وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

لا يقع إلا في التغاير وهو خاص بالناسخ [والممنسوخ وقد مر أنه قيل :
- قرئ : بآعد على صيغة الفعل الماضي .

« لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى »^(١) .

قال الإمام الطبري :

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصبوب جميعهم ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه^(٢) .

لهذا فإن الاختلاف المراد هو اختلاف التضاد :

أولاً - رأى ابن قتيبة :

١ - اختلاف في حركة الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولا المعنى مثل : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » - قرئ ولا يضار بفتح الراء دون تشديد .

٢ - اختلاف في حركة بناء الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولكن بتغير المعنى مثل :

« ربنا بآعد بين أسفارنا » (١٩ سبأ) .

٣ - اختلاف في حروف الكلمة دون تغير في الصورة والإعراب وبتغير المعنى مثل :

« وانظر إلى العظام كيف ننشزها » (٢٥٩ البقرة) قرئ ننشزها فاختلف المعنى مع حروف الكلمة دون الصورة والإعراب .

٤ - اختلاف في صورة الكلمة دون المعنى مثل :

« إن كانت إلا صيحة واحدة » (٢٩ يس) قرئ زقية .

٥ - اختلاف في الصورة والمعنى مثل :

قرئ (وطلع) - وطلع .

٦ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (١٩ ق) قرئ : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٧ - اختلاف بالزيادة والنقص مع اتحاد المعنى مثل :

« وما عملت أيديهم » (٣٥ يس) - قرئ : وما عملته أيديهم .

ثانياً - رأى أبي الفضل الرازي :

١ - اختلاف الأسماء : إفراداً وتثنية وجمعاً مثل :

(١) الطبري ج ١ ص ٢٣ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٢١/٢١ .

ويضيق صدرى - بإسكان القاف -
قرئ :

ويضيق صدرى - برفع القاف .

٢ - تغير المعنى مع بقاء الصورة
ربنا باعد بين أسفارنا - قرئ :
باعد - الأول دعاء - والثاني إخبار .

٣ - تغير الحروف والمعنى مع بقاء
الصورة :

ننشرها - ننشرها .

الأول بالزاي - ومعناها الخلق .

والثانية بالراء - ومعناها البعث .

٤ - تغير الصورة دون المعنى مثل :

« كالعهن المنفوش » قرئ :

كالصوف المنفوش .

٥ - تغيير الصورة والمعنى معاً .

طلع منصود

طلع منصود

الطلع - هو الموز

والطلع هو البرعم أو الرائحة للطلع .

٦ - التقديم والتأخير مثل :

وجاءت سكرة الموت بالحق - قرئ

وجاء سكرة الحق بالموت .

٧ - الزيادة والنقص :

« له تسع وتسعون نعجة » قرئ

له تسع وتسعون نعجة أنثى - بزيادة

لفظ (أنثى) .

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »

- قرئ : لأمانتهم - بالأفراد .

٢ - اختلاف الأفعال : ماضى -
مضارع ، أمر ، مثل :

« ربنا بَاعِدْ بين أسفارنا » - قرئ :

ربنا بَاعَدَ - على أنه مبتدأ .

٣ - اختلاف وجوه الإعراب -
مثل :

« ولا يضار كاتب ولا شهيد » -

قرئ : ولا يضار - بالرفع على أن

لا نافية فالفعل مرفوع .

٤ - اختلاف بالنقص والزيادة مثل :
مثل :

وما خلق الذكر والأنثى - قرئ :

والذكر والأنثى ، بدون (ما خلق) .

٥ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق » -

قرئ : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٦ - اختلاف بالإبدال مثل :

وطلع ممدود (بالحاء) - قرئ :

وطلع ممدود (بالعين) .

٧ - اختلاف اللهجات :

وهل أتاك حديث موسى - تقرأ

بالفتح وتقرأ بالإحالة وهى الكسر المرخم .

ثالثاً - رأى القاضى أبى الطيب :

١ - تغير الحركة مع بقاء المعنى

والصورة :

رابعاً - رأى ابن الجوزى :

١ - اختلاف في الحركات دون تغيير

في الصورة والمعنى مثل :

« إن يمسسكم قَرَحٌ » (١٤٠ آل عمران) قرئ قُرَحٌ - بضم القاف .

٢ - اختلاف في المعنى فقط دون الصورة :

واذكر بعد أمة (٤٥ يوسف قرئ بعد أمة - بالتخفيف ومعناه النسيان .

٣ - اختلاف في الحروف والمعنى دون الصورة مثل :

« هنالك تبلو كل نفس (٣٠ يونس) قرئ

هنالك تتلو

الأول معناه : تتحمل

الثاني معناه : تقرأ

٤ - اختلاف في الحروف والصورة

دون المعنى مثل :

« وزادكم في الخلق بسطة (٦٩ الأعراف) .

قرئ : بصطة - بالصاد والمعنى

واحد .

٥ - اختلاف في الصورة والمعنى مثل :

« فاسعوا إلى ذكر الله »

قرئ - فامضوا

٦ - اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق »

قرئ : وجاءت سكرة الحق بالموت

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (١١٢ النحل)

قرئ - فأذاقها الله لباس الخوف

والجوع .

٧ - اختلاف بالزيادة والنقص مثل :

أوصى ربك - قرئ : ووصى

إن الله هو الغنى الحميد (٢٦ لقمان) .

هذا وبالله التوفيق

دكتور رؤوف شلبي

المراجع

- ١ - تفسير الطبري ج ١
- ٢ - فتح الباري ج ١٠
- ٣ - مسلم ج ١
- ٤ - مناهل العرفان ج ١
- ٥ - مباحث في علوم القرآن
- ٦ - التبيان في علوم القرآن
- ٧ - البرهان للزركشي
- ٨ - الإتيقان للإمام السيوطي
- ٩ - النبأ العظيم
- ١٠ - القرآن والنبي
- ١١ - تاريخ القرآن
- ١٢ - مدخل لدراسة القرآن الكريم
- ١٣ - تقريب النشر في القراءات العشر
- ١٤ - سراج القارئ المبتدئ
- ١٥ - التفسير والمفسرون
- ١٦ - المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز
- ١٧ - مواقع العلوم من مواقع النجوم
- ١٨ - جمال القرآن
- ١٩ - الإبانة في القرآن
- ٢٠ - علل القرآن
- ٢١ - المصاحف
- للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- مناع القطان
- الصابوني
- بدر الدين الزركشي ٧٩٢ هـ
- للدكتور محمد دراز
- للدكتور عبد الحليم محمود
- للأستاذ إبراهيم الأبياري
- الدكتور محمد أبو شهبه
- لابن الجوزي
- أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن
- أحمد ابن الحسن القاضي العنبري
- البغدادى
- الدكتور محمد حسين الذهبي
- لابن شامة ٩٦٥ هـ
- جلال الدين
- للسخاوى ٦٤١ هـ
- لابن حموش الأندلسي
- لابن علي الفارسي
- للسجستاني

في مواجهة الإلحاد المعاصر

مناقشة دعوى استئصال العلم التجريبي عن الدين

دكتور / محيى هاشم

كان عليه الإغريق واليونان .. خلافاً لما
اشتهر عنهم من أنهم أهملوا البحث
التجريبي .

إن البحث التجريبي له تاريخ طويل
ينشط بنشاط الحضارة ويضمحل
بمجمودها وتأخرها.. ولم يكن توهم الغربيين
أنهم كانوا البادئين بالمنهج التجريبي
إلا لأنهم كانوا العاملين على أمانته
وإخماده في فترة مرورهم في عصور
الظلام والعصور الوسطى ، فلما تحركت
فيهم عوامل النهضة تنبهوا إلى هذا المنهج
وبهروا به وحسبوا أنهم أصحابه
ومريدوه ، بينما هم فيه تبع لغيرهم .
ونحن لا ندعى بذلك أن هذا المنهج
هو اليوم كما كان في بداياته في عصر
اليونان ومن قبلهم في عصر المصريين
القدماء .

لا شك أنه صار اليوم أكبر وأعمق

لا بد لنا أولاً من أن نقرر :

أن القول بأن المنهج التجريبي من
اختراع الحضارة الأوروبية الحديثة في عهد
النهضة على يد فرنسيس بيكون قول مبني
على شيء كثير من الغرور والادعاء
والمغالطة ..

إن فرنسيس بيكون عندما دعا إلى
المنهج التجريبي كان مستمداً من
سلفه الذي ظهر قبله بقرنين (روجر
بيكون) .. وكان هذا مستمداً من علماء
الحضارة الإسلامية عندما اطلع على
تراثهم ، وتعلم على أيديهم .. والحضارة
الأوربية بصفة عامة متعلمة في هذا
على الحضارة الإسلامية أثناء احتكاكها
بها في الحروب الصليبية .

كذلك فإن الحضارة الإسلامية كانت
مستمدة في هذا من روح الإسلام
والقرآن والسنة وكذلك كانت مكتملة لما

مرجعه إلى أن الناس يعتمدون على ثلاث فلسفات متعارضة هي :

الفلسفة اللاهوتية ، والفلسفة الميتافيزيقية ، والفلسفة العلمية أو الوضعية .
وأنة قديماً سيطرت الفلسفة اللاهوتية بمضمونها الأسطوري الخرافي ، ثم أفسحت مجالاً للفلسفة الميتافيزيقية .. وهي وثيقة الصلة بالخرافة ، في حين أن الفلسفة الوضعية لم تتخذ طريقها إلى العقول إلا بعد تقدم العلوم الطبيعية المادية ابتداء من القرن السابع عشر .. ومع ذلك فإن هذه الفلسفة الأخيرة لم تستطع القضاء نهائياً على الرواسب اللاهوتية والميتافيزيقية مما أدى إلى ظاهرة الفوضى العقلية ، وما يترتب عليها من صراع وأخطاء أخلاقية واجتماعية .

واعتقد أوجست كونت أن النصر سيكون في آخر الأمر حليف التفكير الوضعي . والفلسفة الوضعية عنده تعني : أن كلاً من اللاهوت والفلسفة الميتافيزيقية ، قد استنفدت موضوعاتها وافتقدت ما يبرر وجودها إذ كانت قائمة عندما كانت بديلاً للعلم أو مرادفة له ، ولكن العلم قد انفصل عنها موضوعاً ومنهجاً وأصاب من النجاح ما لم يقدر شيء منه للميتافيزيقية أو اللاهوت . وتكاثرت بعد ذلك المذاهب المادية

وأشد سيطرة على العقول والقلوب والسلوك والتطور ومجرى الحياة .

كان في بدايته أكثر التصاقاً بالتفكير العقلي والتأمل المجرد . . وما ذلك إلا لضعف وسائل المنهج التجريبي ، وآلاته حينذاك .

أما اليوم فهو يبتكر هذه الآلات ويتقدم وينمو بها في أطوار متلاحقة يتضاعف فيها كل طور عن طور سابق ، ويبدو تراكم النمو في الأطوار الأخيرة هائلاً مذهشاً بينما معدل النمو واحد في البدايات والنهايات ، إذا أسقطنا من الاعتبار عوامل التأخر الحضاري .

وهنا يمكننا أن نقول :

أن هذا المنهج التجريبي منذ ظهر في الحضارة الأوروبية في عصر النهضة أعلن استقلاله عن الكنيسة ، دون أن يحسم موقفه من الدين بصفة نهائية ، حتى ظهرت الثورة الفرنسية . وفي أتون الثورة الفرنسية ظهرت الفلسفة الوضعية على يد الفيلسوف الفرنسي « أوجست كونت » الذي توفي (عام ١٨٧٥ م) . .

فقد رأى أوجست كونت أن الاضطراب العقلي الذي تعانيه الإنسانية

وهذا المصدر من مصادر الشعور ينبع من ميدان الدين . ويتصل بهذا الميدان أيضاً الإيمان بأنه من الممكن أن تكون القواعد التي تنطبق على عالم الوجود معقولة . أى تمكن إدراكها بالعقل ولا أستطيع أن أتصور عالماً حقاً بغير هذا الإيمان العميق . ويمكن التعليق على هذا الرأي بهذه الصورة : « العلم بغير دين أعرج والدين بغير علم أعمى »^(١) . ويقول الدكتور جيمس . ب كونانت :

إن الفلسفة التجريبية للقرن السابع عشر إنما نشأت في حجر نظام فلسفى يتصل بما وراء الطبيعة ، وأنه لولا هذا النظام الماوراء الطبيعة ما كان تجريب ولا كان علم . إنه ليس بين الملاحدة واللاأدريين من كان في قلبه من الإيمان باطراد الطبيعة واتساقها وما يكفى لممارسة العلم : وتجاريب العلماء^(٢) .

(١) أنظر كوخ ص ١٠٨ .

(٢) مواقف حاسمة في تاريخ العلم للدكتور جيمس . ب كونانت ترجمة الدكتور أحمد زكى نشر دار المعارف عام ١٩٦٣ ص ٦١ والدكتور كونانت من أعلام العلم الحديث ، تولى مناصب علمية مرموقة ، منها رئاسته لجامعة هارفارد من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٥٣ .

التي ترتدى مسرح العلم ، منكرة للدين مدعية أنها تستغنى عنه بالعلم . لافرق في ذلك بين ما يسمى وضعية أو وضعية منطقية أو ماركسية أو واقعية ، أو تجريبية ، أو سارترية ، أو غيرها من الأسماء . وهنا نتساءل :

هل حققت هذه المذاهب دعوى الاستغناء عن الدين باسم العلم ؟ أم تراها عن طريق هذا العلم نفسه . وجدت نفسها مضطرة لاصطناع دين جديد له الخصائص العامة للدين من حيث :

١ - الإيمان الأوّل .

٢ - والإيمان بغيبيات لا تقع تحت الإدراك الحسى المباشر أو غير المباشر .

٣ - وترقب الحياة المؤجلة التي يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .

٤ - والإيمان بأصل للوجود تخضع له الكائنات ؟

هذا ما نحاول الإجابة عليه فيما يأتى :
أما عن قيام العلم الحديث على الإيمان الأوّل واحتياجه إليه :

فإليك ما يقوله ألبرت أينشتاين على سبيل المثال :

إن العلم لا يخرعه إلا أولئك المتشبهون تماماً بحب الحق والإدراك السليم ..

ويقرر هربرت سبنسر في كتابه « المبادئ الأولى » في كلامه عن الأفكار العلمية القصوى أن العلم مضطر إلى الاستعانة بالكثير من المفاهيم العامة التي لا سبيل إلى تفسيرها : كالزمان ، والمكان ، والمادة ، والحركة والقوة وما إلى ذلك . وليس في استطاعة العقل البشري أن يستغنى عن أمثال هذه المفاهيم . . . ويقول أننا لو حاولنا أن نتصور كل هذه المفاهيم العلمية في العقل تصوراً واضحاً متميزاً لانتينها إلى مجموع من المتناقضات التي لا يمكن أن يقبلها العقل . ولننظر مثلاً إلى مفهوى المكان والزمان : فهل نقول بأنهما مفهومان واقعيان موضوعيان أم نقول بأنهما مفهومان ذهنيان ذاتيان ؟ هذا ما يجيب عليه سبنسر بقوله : أن العقل البشري عاجز تماماً عن تفهم حقيقة أمر كل من « المكان » ، والزمان . . .

وهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى المفاهيم العلمية الأخرى كمفاهيم المادة والحركة والقوة ، فإنها جميعاً تصورات غير قابلة للتعقل .

ولم يقتصر الأمر على الفيلسوف هربرت سبنسر بل نجد العلم الحديث يقدم لنا مفهوماً للزمان في منتهى الغرابة :

فقد اقترح ريتشارد فيلبس فايتان من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا نظرية مؤداها أن البوزيترون ليس سوى إلكترون يتحرك حيناً إلى الخلف في الزمان وحيناً إلى الأمام وأن في الكون مادة نقيضة لمادتنا تتحرك في الزمان عكس حركتنا . . ويقولون أنه قد ثبت صواب مفهوم فايتان من عكس الزمان حتى أنه استحق في عام ١٩٥٣ ميدالية ألبرت أينشتاين ، كما نال في عام ١٩٦٥ جائزة نوبل ، وقال عنه كبار العلماء أن نظرية فايتان تمثل أقوى لطمة منى بها مفهوم الزمان في علم الطبيعة . .

وقد نشأت عن نظرية فايتان صعاب منطقية وبذلت محاولات للتغلب عليها من بينها فرض أدريان دويس الذى يقول بوجود بُعْدَيْنِ زَمَانِيَيْنِ بدلاً من واحد ، وتحدث آخرون من العلماء منهم سيرادنجتون عن الكون ذى الأبعاد الخمسة : ثلاثة أبعاد مكانية وبعدين زَمَانِيَيْنِ .

والآن ما هى المادة في ظل العلم التجريبي الحديث ؟
لإنها لم تعد كائناً مادياً . .

يقول أحد كبار العلماء المحدثين :
« لقد حررت الذرة بالتدريج من كل الخصائص الحسية ، وأصبحت

الخصائص الهندسية هي الخصائص الوحيدة . التي ظهر أنها تحتفظ بها لمدة طويلة .. فهي تشغل الفضاء ولها مكان ولها حركة ... غير أن التطور في الفيزيقيا الذرية الحديثة قد أزال حتى هذه الخصائص .. ويقول أيضاً : « لقد وضع كل ما توصلنا إليه من تفهم للمادة في أشكال معادلات رياضية » . ويقول أحد مساعدي أينشتين في كتابه « الفيلسوف والعلم » :
« نحن نعتقد بوجود أجسام أصغر من الذرة .. »

لأننا رأيناها ولو بشكل غير مباشر ولكن لأن افتراض وجودها يشكل أسهل فرضية يمكن لها تعليل الوقائع المشاهدة » .

أليس هذا هو الإيمان المحض ؟ ويقول برتراند رسل : « أن علم الطبيعة وعلم النفس بدأا يلتقيان ظلاً من الشك على الازدواج بين العقل والمادة .. »
حيث أصبح دارسو علم الطبيعة مثالين ، وأصبح كثير من علماء النفس على حافة المادية .. »

« إن العقل والروح — شأن المادة — ليست سوى رموز لأشياء غير معروفة » .

والماديون يعتقدون أن للطبيعة المادية

قوانينها التي لا تقهر .. وهذا محض اعتقاد لم يساندهم فيه العلم الحديث .

إن العلم الحديث ينظر اليوم إلى القوانين الطبيعية على أنها لا تتضمن عنصر الضرورة ، وإنما تقوم على الاحتمال والرجحان .

إن القول بحتمية القوانين الطبيعية أكذوبة نجد افتضاحها في ميدان الفلسفة الحديثة وفي ميدان العلم التجريبي على السواء .

أما في ميدان الفلسفة فنجد ذلك عند ديفيد هيوم الفيلسوف الإنجليزى ، الذى ينكر إرجاع مبدأ العلمية الى ضرورة عقلية ، ويفسره بالتداعى والترابط العادى وقد سبقه إلى مثل ذلك الإمام الغزالى .

وذهب فتجنشتين — وهو من أعلام المنطقية الوضعية — إلى أن جميع قوانين العلوم الطبيعية قوانين احتمالية فقط لا ضرورة فيها .

بما فى ذلك قانون الاستقراء وقانون السببية .. »

أما فى العلم الحديث فقد تقرر أن عالم الذرة غير خاضع لضرورة أو حتمية .

إن علاقة عدم التحدد التى اكتشفها

ويقول كونانت :

« كثير من الظواهر الضوئية يكون تفسيراً لضوء فيها على أنه حركة موجبة ، وفي بعض هذه الظواهر يكون تفسيره على أنه شعاع من نور يتألف من دقائق . .

وكانت هذه النظرية — نظرية الدقائق — هي أقدم النظريتين ، وكان مكانها في العلم راسخاً حتى إذا جاء عام ١٨٠٠ حدث فيه أو حوله أن كشفت التجارب عن ظواهر يصعب تفسيرها — إن لم يتعذر — إلا بالنظرية الموجبة ، ثم ما انتصف القرن التاسع عشر حتى اطمأن العلماء إلى هذه النظرية ، النظرية الموجبة ، كل الاطمئنان .

وفي عام ١٩١٢ صار من الواضح أنه توجد ظواهر كثيرة في امتصاص الضوء وانبعائه لا يمكن تفسيرها إلا بنظرية الدقائق . .

ووقع العلماء في حيرة ، وكان لديهم الأمل في الخروج منها والاعتقاد بضرورة ذلك . . ولقد أذكر أني سمعت في تلك الأيام عمدة في عالم البصرييات بجامعة هارفارد يقول في محاضرة : « إن الضوء لا يمكن أن يكون موجات ودقائق في آن واحد ، إنه إذاً لسخف » . وعاد يؤكد لسامعيه أنه لا بد أن تجري مجلة الأزهر

هيزنبرج تبين أن الذرة حرة في أن تعمل هذا أو ذاك ، وكل أحكامنا عنها تشير إلى احتمالات لا إلى يقينيات . ومن الأمور المشهورة أن قانون الجاذبية هو مثل واضح للقوانين الطبيعية الثابتة ثبوتاً قطعياً مطلقاً .

لكن العلم الحديث اكتشف أن هناك ما يسمى بـ « التنافر الكوني » وهو يعمل بطريقة مناقضة تماماً لقانون الجاذبية . يقول السير آرثر أدنجتون من كبار أعلام العلم الحديث :

(من الاستنتاجات التي أخذناها عن النظرية النسبية أنه يجب أن توجد قوة تعرف باسم « التنافر الكوني » تعمل على نشوء هذا النوع من التشتت الذي معه يتباعد كل جرم عن أى جرم آخر » . وهذا التشتت هو ما أثبتته الكشوف الفلكية والطبيعية الحديثة » .

وفضلاً عن أنه لم يعد في مجال العلم ما يسمى بالقانون النهائي فإننا نجد العلم مضطراً في بعض الحالات إلى الأخذ بنظريتين متعارضتين ، يعلم العلماء ما بينهما من التعارض والتنافر ، ولكنهم يجدون أنفسهم مضطرين إلى الأخذ بهما معاً . .

وهذه الحالة نجدها في التفسير العلمي لظواهر الضوء . .

الذرة لا تخضع لقانون أو ضرورة .
وبدلاً من أن يفترض رسل أن الذرة
تدخل تحت قوانين غير قوانين الطبيعة
التي عجز العلم عن كشفها أخذ يفترض
عن طريق ما نسميه الإيمان الغيبي
بالمستقبل : «إن نظرية الذرة الفردية الحرة
تقع تحت رحمة علم الطبيعة التجريبي
الذي ربما استطاع في أى لحظة أن
يكشف القوانين التي تنظم سلوك الذرات
الفردية» .

وهكذا ينتهى بنا الإلحاد المادى إلى
وعد . .

مجرد وعد بالمستقبل المشرق . .

سواء في مجال الطبيعيات ، أو في مجال
الإنسانيات . . .

وأخيراً فإن الماديين الذين يستندون إلى
العلم الحديث لهم إله يعبدونه . . يقول
الأستاذ إسماعيل مظهر :

«لماذا حمل دكتور شلبي شميل على
الأديان ؟

حمل عليها متابعة لرأيه المادى ، بل
جرباً وراء غاية محدودة ، غاية سعى
إليها كثير من ماديى القرن الثامن عشر ،
وتنحصر تلك الغاية في أن يتبادل الناس
بينهم ديناً آخر» .

وما هو ذلك الدين ؟

هو عبادة المادة .

تجربة حاسمة تقضى بين النظريتين . .
وها نحن بعد عام ١٩٥٠ ولم تجر تلك
التجربة بعد ، وإنى لأشك في أن أجد
اليوم كثرة من العلماء تؤمن بأن هذه
التجربة الحاسمة لا بد آتية ، إن الظن
الغالب الأغلب أنها لن تأتى أبداً .
والرأى اليوم في تفسير الضوء أن هناك
نظريتين تفسران ظواهر الضوء جميعاً ،
وظلتا تفسرانها منذ عشرات السنين ،
إحداهما تفرض وجود دقائق وبها
تفسر بعض هذه الظواهر ، والأخرى
تفرض وجود الموج ، وبها تفسر
ظواهر أخرى» (١) .

أما من ناحية الإيمان بحياة مؤجلة فيها
يكمل ما نقص من هذه الحياة الحاضرة
فإننا نجد في ذلك كله أن العلم المادى قد
عجز عن تقديم تفسير للكون يريح العقل
وكما عجز عن تقديم نظام للحياة يسعد
الإنسانية .

هذا ما ذهبت إليه الاشتراكية
العلمية من وعد بحياة مؤجلة لم يتضح
الطريق إليها بعد تسعد فيها الإنسانية
في ظل سيادة الشيوعية .

وهذا ما ذهب إليه برتراند رسل
عندما أعلن العلم الحديث أن حركة

الفلسفات الإلحادية المعاصرة وأشهرها ونقصه بذلك الفلسفة الوضعية . ثم الفلسفة الماركسية . .

ففي الفلسفة الوضعية التي قامت على استبعاد الدين والميتافيزيقا انتهى زعيمها الفيلسوف أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٧٥) إلى اختراع ما سماه « دين الإنسانية » وفيه تكون « الإنسانية » هي المعبود ، وأبطالها هم موضع التعظيم والتكريم ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث وضع لهذا الدين الجديد معبداً حقيقياً ، تنصب فيه التماثيل ، ويصاغ فيه تماثيل المعبود « الإنسانية » على هيئة أنثى ، وتقام بجواره تماثيل نصفية لأبطال التاريخ .

وفي الفلسفة الماركسية التي قامت على المادية الديالكتيكية (الجدلية) انتهى التفكير إلى إضفاء صفات الأوهية على « المادة » فهي تتصف بأنها « أصل الوجود » وأنها « باقية » لا تغنى ، وأنها « لا نهاية » ، وأن قانونها « الديالكتيك » يفرض نفسه على كل الأشياء ، ثم ذهبت هذه الماركسية أيضاً خطوة أعمق في طريقها إلى جعل هذه الفلسفة « ديناً » ، حيث رأت ضرورة إدخالها في عقول العمال وقلوبهم ، باعتبارها فلسفة « الشغليلة » التي يعتمد عليها

أرادوا أن ينظروا إليها على أنها المصدر الأول للإنسان والعلّة الأولى التي فطرته . وأنها التي تحبوه بأسلوب الحياة التي ينعم بها فوق هذه الأرض .

ناهيك بأن إليها مرده ومعاذه (١) . . والتعبد للمادة : ليس سمة الماديين المحدثين فحسب بل هو سمة أسلافهم أيضاً :

انظر ما يقوله الإمبراطور مارك أوريل أنطونين أحد أعلام الرواقيين ، وهم ماديون :

« إنني إنما أتكوّن من صورة ومادة ، كلاهما لا يمكن أن يعدم إلى لا شيء ، أو يكون قد حدث من لا شيء .

كل ما يلائمك أيها الكون الفسيح يلائمني .

وكل ما تنتج أسبابك أيها الطبيعة العظمى ثمرة شهية عندي .

منك كل شيء .

وفيك كل شيء

وإليك يعود كل شيء (٢) .

فإذا اتجهنا إلى الفلسفات المادية الحديثة التي تدعى القيام على العلم التجريبي نجدها تتخذ لنفسها ديناً .

وسنأخذ المثال على ذلك من أكبر

(١) ملق السبيل لاسماعيل مظهر ص ٤٣ .

(٢) ملق السبيل ص ١٥٥ .

وعليهم في تغيير المجتمع وتثويره ، ومن أجل ذلك أدخل زعمائهم في إطار القداسة التي تضافى على الأنبياء ، وكان لهم أصنام وقرارات يحج إليها الناس من أرجاء البلاد .

وهذا يدل على أن الإيمان بالله فطرة في النفس البشرية ، وأن هذه الفطرة إن لم تجد تعبيراً لها في الدين الحقيقي . أدخلت في مسخ من المذاهب الإلحادية . ومن هنا يمكننا أن نحكم بأنه ليس بلازم أن تقوم المناقشة بين الدين الإلهي « الإسلام » وبين المذاهب الإلحادية على أساس سوق الأدلة على وجود الله ، ومناقشتها وإنما ينبغي أن تجرى على أساس المقارنة بين المعبود هنا والمعبود هناك . . وأخيراً فقد تبين لنا أن الإلحاد المادى

المعاصر يكذب كذبة بلقاء إذ يزعم أنه باستناده إلى العلم التجريبي حقق الاستغناء عن الدين . .

لأنه في حقيقة الأمر لم يتمكن إلا من الاستقلال عن الدين الصحيح ، وأنه في سبيل ذلك وجد نفسه في نهاية المطاف متورطاً في مسخ من المعتقدات القائمة على الإيمان بالغيب والمستقبل والاعتقاد في أصل للكون لا يمكن إدراكه بالحوس ، وهم لم يفعلوا إلا أن استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . وكذلك كان شأن الفلسفات القديمة .

والآن نأتى إلى القسم الأخير من هذه المقالة الذى نرجو أن نتعرض له في المقالة القادمة .

د. يحيى هاشم

قضايا لغوية

نظرات حول الترادف اللغوي

دكتور / توفيق محمد شاهين

(٣)

والصدق ، والذكر ، والوحى . . . وساق الشواهد على ذلك^(٤٤) .

أقول : إن نزعة الغلو هذه دفعت بالطرف الآخر إلى المسار المعاكس حين تضخم قاموس الترادف اللغوي أضعافاً مضاعفة لحشد ألفاظ كثيرة عُدَّت مترادفة على ضعف الشبه والصلة بينها ، مما دعا الطرف المنكر للترادف أن ينكره ويشكك في وجوده .

ولا ننسى أيضاً أن من العرب القدامى من شغلهم الموسيقى اللفظية ولعوا بها فتلمسوا المترادف ، وشغلوا به عن الفروق بين الدلالات ، وحدث أن تضخم قاموس المترادفات بحق وبغير حق ، ففرح المثبتون ، وتهكم المنكرون ، وكان العاصم هو الاعتدال والدقة .

ولا ترضينا نزعة الغلو هذه ، كما لم ترض غيرنا ، ذلك أن أصحابها . . .

والرأى الذى نذهب إليه إذن :

إن العرب عابجوا ألفاظ لغتهم معالجة استثمار ، فأكثرُوا فيها المترادفات لمعنى واحد ، أو معانٍ متشابهة ، ولا نقول : أن مترادفاتهم بلغت المئات والألوف . وليست العربية بدعاً في ذلك بين لغات البشر ، فكثير من اللغات تعرف هذا الترادف ، وتعبّر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظة ، كما في الإنجليزية مثلاً .

وإذا اعتبر صاحب القاموس ، أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، أو كماله في أمر من الأمور . . . فدلّت كثرة أسماء الأسد على كمال قوته ، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدتها وصعوبتها ، وكثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمتة ، وكثرة أسماء القرآن دلت على كمال شرفه وفضيلته ، وعَدَّ منها : القرآن ، والكتاب ، والفرقان ،

وشمول الاستقراء—إلا أنها اصطبغت
بصبغة «جدلية» ، كانت تنتهج
سبيلها على إشعاع مبدأ : إخضاع
اللغة للفلسفة ، خاصة وأن عقولهم
في ذلك الوقت كانت متأثرة
« بالميتافيزيك » كما يرى المستشرق «
(جاك بيرك) .

ومن ثم يجب ألا نترك الحبل على
الغارب لهذا الغلو فيكون ذلك داعياً
قوياً إلى إنكار الترادف ، والوقوف
في وجهه ، وكيال التهم للقائلين
بوجوده . . وسلفاً نحن لسنا أهلاً لأن
نكيل التهم لأجداد أفذاذ عملوا
وأخلصوا لوجه الله تعالى .

فالألغة لا تخضع للفلسفة ، وحرية
العربي فيها كبيرة كما أسلفنا .

وإذن فن المغالاة إذن ما ألمت
إليه د . بنت الشاطيء ، في كتابها
. . (كتاب العربية الأكبر) من أن
رفض الترادف في العربية يعلل بأنه
تزكية وإعلاء لها — حسب آفاق
مناهج علم اللغات الحديث — ذلك
أنه رأى في الترادف فقدان حسي
لغوي ، وعجز عن ضبط الدلالات
والمفاهيم . كما أن الفن الأدبي ينكر
لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها
بعشرات أو مئات أو ألوف الألفاظ .

« تناسوا كل الفروق بين الكلمات حتى
المتيزة منها ، وقد أوسع لهم هذا المجال
قدح الزناد بطلاقة لا تمت إلى الضبط
العلمي بأوثق الصلة ، زد على هذا الخلط
بين ألفاظ جاهلية وأخرى إسلامية ،
حسبها مترادفة »^(٤٥) . وسيحذ من هذا
الغلو — ولا شك — المعجم اللغوي
التاريخي ، على أن الفرق الزمني بين
العهدين ليس بالطويل في مرحلتى
الجاهلية والإسلام بالذات .

ولأن الغلو دعا إلى وجوب « تحديد
معاني الألفاظ تحديداً منطقياً ، فلا
نسرف في اصطناع المترادف الذى
يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود
المعاني »^(٤٦) حتى نجعل العربية مبسطة
وميسرة في مجال التطبيق التعليمي .

وقد ذهبت فئة متسرعة من
العلماء قديماً وحديثاً : تثير الشكوك
حول المترادف ، « وأظهروا بوضوح
عدم وجوده في العربية ، ولم يقفوا
بأبحاثهم عند هذا الجانب السلبي ،
بل تلمسوا الأدلة ، وأبرزوا الدواعى ،
واتجهت عنايتهم لبيان وتعداد الفروق
ومغامز الفصل بين الدلالات المقول
بترادفها .

وأبحاثهم — وإن كانت دقيقة
وعميقة التحليل ، وبعد التصور ،

فالعتيق هو الذى يدرك حديث جنسه فيكون بالنسبة إليه عتيقاً ، ولهذا لا يقال : إن السماء عتيقة وإن طال مكثها ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون بالنسبة إليه عتيقاً^(٥١) .

٢ - والبخل هو المنع من مال نفسه ، والشح هو بخل الرجل من مال غيره^(٥١) .

ويضاف إلى ذلك ما استقاه السيوطى من الأصفهاني في مفرداته وكذا الإمام الجويني ، مثل : الخوف والخشية ، والسبيل والطريق والإيتاء والإعطاء والتهام والكمال ..^(٥٢)

وأقول : تلك تفرقة جائرة . . بل صرح بعضهم بأن ما ظن من الترادف إنما هو من التباين ، إمّا لأن - أحدهما اسم للذات والآخر اسم للصفة ، أو صفة الصفة وهذا رأى قديم حديث : يقول ابن فارس : مذهبنا أن هناك فرقاً بين هذا وذاك . كما نفاه الإمام الرازى في الأسماء الشرعية^(٥٣) .

وفرق ثعلب وابن فارس بين الإنسان من النسيان ، والبشر من أنه ظاهر البشرية أى الجلد، والسيف

واستناداً إلى ذلك قررت - الدكتورة - أن القرآن حسم قضية الترادف ، لأن التتبع الدقيق لألفاظه يرينا أنه لا ترادف بين الألفاظ . واستشهدت لذلك باستعمال القرآن الكريم لمادتي (حلف ، وأقسم) ، وهما بمعنى واحد في كتب اللغة والتفسير لكن مواضع استعمالها في القرآن كله يمنع هذا الترادف ، حيث تأتي مادة (حلف) دائماً في مقام الحنث باليمين^(٤١) . اهـ

وعلى هذا المنهج يقول بويسون : « ويكفى قليل من التفكير لكى نرى أن اللغة الحية لا تحوى مترادفات كاملة » .

بل ذكر بعضهم - فى خبث - إن فى العربية ترادفاً ، ليسلط عليها حكماً بالحمود ، وهو فناء ، ف « العربية لا تصلح أن تكون لغة علم لعجزها عن تحديد دلالات الألفاظ ، وضبط مفاهيمها ، حيث تكثر المترادفات فيها بكثرة فاحشة »^(٤٩) . هكذا قالوا ، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وتجديف غير علمى . ومن نماذجهم فى التفرقة توصلا لجدد الترادف :

١ - الفرق بين القديم والعتيق :

اسم واحد وما بعده صفات .

كما قرر أبه على الفارسي في مجلس سيف الدولة ، منكرأ أن يكون للسيف أسماء كما ذكر ابن خالويه ،
تصل إلى الخمسين » (٥٤) .

ويبالغ ابن الأثير فيرى أن الذي « لا يفرق بين الأسد والفدوكس والغصن والعسلوج فليس بعالم » (٥٥) .
وألف الأب هنري كولا منسى اليسوعى : « فرائد اللغة في الفروق » معتمداً على فقه اللغة للثعالبي ، وكليات أبي البقاء ، ومفردات الأصفهاني والألفاظ الكتابية للهمداني ، ونفى بذلك وجود الترادف على زعمه .

ومن الطريف أن بعضهم ينكر الترادف ، لأن وجوده يحوج إلى حفظ الكل وفي هذا مشقة » (٥٦) .

وسياتى خير رد على ذلك في بيان الحاجة إلى الترادف .

ومثله طرافة : أنه (الترادف) لو وقع لعرى عن الفائدة ، واللازم باطل فبطل اللزوم لأن قيام الواحد كاف في الإفهام والزائد عبث لا يليق لحكيم » (٥٧)

هكذا قيل ، وهو دليل على ضعف الذاكرة ، وضعف الطبع

الغوى قبل أى شىء آخر .

وفى هذا المسار (مسار الإنكار) ما يراه المرحوم حنفى ناصف من أنه عند الإمعان لا ترادف في الحقيقة ؛ لأن قبائل العرب ليست بحاجة إلى أزيد من لفظ لكل معنى « . . والطريف أنه يرجع ما ورد - من مثل ذلك - إلى اختلاف القبائل التسع التي أخذت عنها اللغة . . وإذا كانت القبائل عربية فعلام نحمل كلامه بالرفض ، وهو الذى يروى في بحثه أن الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال يوماً لكاتبه :

« الصق روانقك بالحيوب ، وخذ العزيز بشناترك ، واجعل حندورتك إلى فيهل ، حتى لا أنغى نغية إلا أودعتها بحماسة جلعانك » .
ومرادف ذلك : ألصق مقعدتك بالأرض ، وخذ القلم بأصابعك ، واجعل عينيك إلى وجهى ، حتى لا أنبس نبسة إلا وعيتها وحفظتها في حبة قلبك . . (٥٨)

* * *

يقول ابن خلدون : مما ينبغى إثباته : أن اللغة إثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا » (٥٩) .

أى يختص كل لفظ بمعنى

قديمًا وحديثًا دعت بعض المفكرين والكتاب — ممن ليسوا ضليعين في اللغة إلى التردد والتوقف في قبول الترادف سقناها على طولها ، إنصافًا للجانبين ، وتلمسًا للحقيقة .

ونقول : إذا كانت اعتراضات المعارضين ، لتيسير العربية في المجال التعليمي والتطبيقي لظروف تقتضي ذلك — مجال آخر .

— كما أن الفروق اللغوية كثيرًا ما تمحى ، أو تنسى ، أو تموت ويصبح البديل في قوة الأصيل ، وسبق أن ذكرنا إن النقل القار للفظ كالنسخ في الحكم .

— وإخضاع اللغة للنزعات والسبحات الفلسفية ، والقيود المنطقية ، أمر لا يتفق وحرية العربي الواسعة في حياته ولغته .

— وإذا مالت صاحبة (كتاب العربية الأكبر) إلى إنكار الترادف وبخاصة في القرآن — كما أسلفنا في لفظي (حلف وأقسم) فهذا رأى قديم حديث .

إلا أنه بالاستقراء وللتابعة ، والرجوع لكبار المفسرين ، الضالعين في اللغة فأننا نلتى الترادف : « بكثرة في ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض

معين ، وبذلك تصبح الكلمة بمثابة العلاقة للمعنى ، ومتى طرقت السمع أثارت في الذهن دلالة معينة ، يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية » بهذا جرت الكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات في العالم ^(٦٠) وأقول : لعل تلك نظرة تعليمية وتيسيرية ، بعد أن عمت الشكوى من استعجام الطبع والذهن .

على أن ابن خلدون يقول : إن العربية دخلها تغيير حتى في قبائل العرب نفسها ، لأنه كثيرًا ما يجاب التفاعل الإنساني والحياة باتساع الثنايا ، وتنوع الكائنات ، وتشابه الحادثات ، وتقارب الظواهر والأشياء وتلاحمها . . . ويتسم كل ذلك باختلاف النظرة للمسميات تشتت ملكة التقييم . لذلك نشأت ألفاظ التقت في معناها أجزاء وأخرى تم فيها التطابق واستقر استعمالها عند الجميع ، بما فيها تلك المفردات التي تشترك في معنى واحد ، والتي صدر كل منها عن لسان قوم ^(٦١) .

وقد قلنا من قبل إن شبه الجزيرة العربية اعتبرت واحدة .

تلك نماذج من أحاديث واستنتاجات وعلل الرافضين للترادف

المفسرين أن يلتمسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم للترقية بين الالفاظ القرآنية « المترادفة »^(٦٢) ويسوق الأستاذ مصطفى بوهلال مثالا يؤكد ذلك من تفسير « التحرير والتنوير » للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، في تفسير قوله تعالى : « فن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون » ، فقد قال (المفسر) : الافتراء : الكذب وهو مرادف الاختلاق ، . . ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على الكذب ، فالافتراء مرادف للكذب ، وإردافه بقوله هنا « الكذب » تأكيد للافتراء ، وتكررت نظائر هذا الإرداف في آيات كثيرة^(٦٣) فالقول بخلو القرآن الكريم من الترادف تجديف في قضية كبرى . لا يكتفى الحكم فيها بنظرة عجلية ، ورأى قد يكون فطيراً ، لما شابه واكتنفه من العجالة في النظرة .

ولغتنا قد وسعت حضارات ، وتسمنت ذروة العظمة ، أيام كان أبنائها في أوج نشاطهم ورقيمهم الفكري ، وكانت حواضرهم مركز إشعاع علمي تنبئ به على حواضر الدنيا من حولهم ، فلما أمسوا من النائمين أو النامين ، فقدوا حسهم اللغوي والوجدى ، فلم تفقد اللغة حسها اللغوي ، وإنما فقد أبنائها ،

فالغيب فيهم وليس فيها .

* والترادف في كل لغات الدنيا ، وليست لغتنا بدعاً من بين هذه اللغات .
* وعابث من يدعى العبث في الألفاظ الزائدة ، وإلا فمن أين يتأتى حسن اختيار اللفظ المناسب ؟ ومن أين يتأتى تسم ذروة البلاغة ، والإبداع القولى ؟ وغير خاف أن اللغة للإمتاع ، كما هي للاستعمال .
* والقول بأن في حفظ الزائد من الألفاظ مشقة تذرع بلداء أو كسالى .
* ولا وجه للتشكيك في صلاحية لغتنا بمردفاتها ، لحجارة العصر بعلومه ، إذ فيها من المرونة والسعة مالا يبارى : فقد بدت حين بدا أصحابها ، وتحضرت حين تحضروا ، ووسعت ما وفد واستجد ودعت الحاجة إليه ، وضبطت بدقة متناهية المفاهيم والآلات ، وأثبتت أنها صاحبة قدرة فائقة على ملاحقة التقدم والتحديث والتعبير العلمى في مختلف المجالات . . فهي قديماً وحديثاً ومستقبلاً — بحق — أداة حضارة وصناعة بلاغ .

وتأصيل العلوم في أية أمة ناهضة إنما يكون بلغتها ، فعلى أبناء العربية الأخذ بيدها وإشاعة استعمالها في كافة الميادين ، وسيرون قدرتها على الوفاء بما يطلب منها ، وأنها جديرة بأن تكون

وعلينا ألا أن نؤمن بأن الحدث اللغوي هو الذي أمدنا — على ترائي الأجيال — بكلمات مترادفة أصلاً .

وعلينا ألا نستسلم للسبحات الفلسفية اللغوية ، ولا للخطرات الجوارية ، ونجعلها سبب الضيق أو السعة في وجود المترادفات .

وعلينا بالتالي ألا نفرط فنجعل من الترادف فوضى ، فينتظم الألف والمئات من الألفاظ ، كما صنع الفيروزبادي ، ولا نرفض ما كان من طبيعة اللغة ، وورثناه عن الموثوق بهم من علمائنا الأجلاء ولسنا أهلاً لأن ننظرهم فيما أفنوا أعمارهم فيه ، ولا نهمهم فيما وثقوه وأصلوه .

وعندئذ لن ينكر الحس اللغوي الصادق الترادف اللغوي وسنربط التعليم في مراحل المختلفة بالاجتماع في وطننا العربي بمودة وحب وإقبال ، ولن يكون هناك استيراد غير واع أو اقتراض بلا داع ، لنهضتنا في التعمير والتفكير . وستزدهر ثروتنا اللغوية ، وسيبعث ما في بطون المعاجم المليئة ، ليكون عوناً لنا حين نحتاج إليه مدداً ورديفاً طيباً . وما حفظته معاجمنا الحافلة به إلا للإرهاص بأنه رديف صالح يسد الحاجة وينق بها ذاتياً يجدارة عند الحاجة .

* * *

لغة العلم الحديث : تدريساً ، وتأليفاً ، وإستعمالاً ، وإمتاعاً . . . حين تكون المعاشية الكاملة لها ومعها . . . وحيماً الله شعوباً عربية سبقت في هذا المضمار ونجحت وبذت في جعلها لغة التدريس في كل المراحل التعليمية (كما في سوريا الشقيقة وغيرها) ، ولعل هذا النجاح يطامن من ادعاءات بعض رجالنا في جامعاتنا من أن العربية ليست لغة علم . . والتاريخ والواقع يكذبهم ، ومن جهل شيئاً عاداه . والمرء ابن اللغة ، وهم قد ألفوا غير العربية فشأنوا لغتهم وأبغضوها — جهلاً — وأحبوا غيرها تعصباً ، والتعصب بغير حق أعمى ومعيب .

* * *

ومعلوم أن اللغة — أية لغة — متينة الارتباط بالوجود الاجتماعي وتطوره ، ومفرداتها تتطور تبعاً لذلك خشونة ونعومة ، وثقلاً وخفة ويروضها الاستعمال والتداول استثناساً ووحشة ، إن قيل بالغرابة ، وعدم الألف لبعض المفردات في الترادف اللغوي عند الاستعمال .

فيجب إذن ألا نبالغ في التماس فروق — قد تبدو ضعيفة واهية — للتمييز بين المترادفات تمهيداً — لإنكارها أو التشكيك فيها ، فقيود المنطق الصوري وحدوده لا تطبق على العري ولغته .

لسياق ما يتوقعه الحس ، فهي (القيامة) خافضة رافعة^(٦٧) .

فلا ينكر - إذن - منصف ضرورة وجود المترادف وفائدته .. إذ ليسر انتقاء اللفظ الملائم ووسع مجال التصرف ، وستر العيوب اللسانية :

(١) وإذا كانت البلاغة هي : « أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية^(٦٨) » ، ففصحاناً بحاجة إلى الترادف ، كما في لفظي القارعة والواقعة للتصوير الدقيق .

(ب) والترادف وسع مجال التصرف فأصبح من نتائج سعة « العربية » به اقتدر أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ، ومهمل ، ومنقط ، ومشترك وبعض المفسرين كتب تفسيراً للقرآن الكريم بالفاظ ليس فيها حرف منقط^(٦٩) .

وإن كان ترفاً عقلياً ، فلا شك إن به إمتاعاً .

فيزة الترادف : في هذا الصدد : كثرة الطرق للإخبار عما في النفس ، واختيار الأخف والأظهر بين الألفاظ ،

وليس بصحيح - إذن - ما يقال : من أن الترادف يعاكس الروح العلمية . وأن روح العصر لا تستسيغ التكرار في الأدب .

١- لأن في الترادف ما يستعمل كوجه من أوجه السحر البياني ، مع فصاحة في التأنيق في الاختيار اللفظي : « بين كون هذه » اللفظة « مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية . أو أن حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن »^(٦٤) . كما مر في حديث أم الهثيم .

أو يكون لإحدى المترادفتين : (في تحسين المعنى وتزيينه ، وأحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى »^(٦٥) :

كتب الأستاذ سيد قطب في استعمال لفظة « القارعة » ما يلي صورة الفرع واللطم . . ومن تناسق العرض أن تسمى بالقارعة ، ليتسق الظل الذي يلقيه اللفظ ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها ، مع منظر الناس كالفراش المبثوث ، والجلال كالعهن المنفوش »^(٦٦) .

وفي استعمال لفظة « الواقعة » تثير في الشعور صوراً ومشاعر أخرى :

بما فيها مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيقع ، فينتظر له الحس فرقة ورجة ، وهكذا يلبي

كيف كان واصل بن عطاء يصنع في العدد : في عشرة ، وعشرين ، والمحرم ، وصفر ، ورجب ، وربيع ؟ فقال : مالى فيه إلا قول صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله

جم خواطره جواب آفاق^(٨٠)

وقد يستعذب الأديب نطق وتكرار ما لا يحسن نطقه ، ولا يستطيعه ، طرافة وملاحة ، أوحين يعجزه الإتيان بالمرادف ليتخلص من عيبه اللسانى فيمتص تهكم الآخرين بالعيب ، كصنيع أستاذنا الشيخ إبراهيم البديوى - وقد كان أديباً فكهاً وشاعراً فذاً ، وله خلق ، وفيه مروءة وسباحة - أراد أن يهنيئ الأميرة (فريال) وكان لا يحسن نطق الراء ، فقدم لقصيدته بقوله :

مالى خرجت اليوم عن مكنون عادائى
فنظمت قافيتى من « الراءات » .
« الراء » من « فريال » قد كررتها
فنجسا لسانى وانجلست عثراتى
فكانت مقدمته اعتذاراً بليغاً وملحة
طريفة .

وبعد :

فإن اللغات تزداد ثروة وحيوية بقدر ما يتاح لها من شروط النماء والحياة . . .
وفصحاناً أتيج لها من عوامل التنمية

أو الترويح والإمتاع بالأحاجى والألغاز
وعلق فضيلة الشيخ محيى الدين
عبد الحميد - فى تحقيقه على شرح
القصائد العشر - على إنكار ثعلب وابن
فارس للمترادف بقوله : « وهذا كلام
عجيب من ثعلب : فإن فائدة تعدد
الألفاظ لمعنى واحد ليست مقصورة على
دلالة اللفظ على معناه : فأين التفنن فى
الأسلوب ؟ وأين قوافى الشعر ؟ بل أين
أوزانه ؟ ألا ترى اللفظ قد يصلح قافية
فى بيت ، ولا يصلح فيه اللفظ الآخر ؟
وهذا لا يدع مجالاً للشك فى أن العرب قد
استعملوا ألفاظاً متعددة لمعنى واحد ،
والنصوص تؤيد ذلك . . . فادعاء غير
ذلك لا يقوم على دليل »^(٧٠) .

(ح) ويستر الترادف العيوب اللسانية ،
وما حكى عن الخطيب المصقع ، واصل
ابن عطاء ، مشهور غير منكور ، وقد
كان لا يحسن نطق « الراء » فخلت خطبته
- التى ذم فيها بشار - من الراء ، ومن
ثم مدحه الشاعر بقوله :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه

وجانب الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطراً والقول يعجله

فعاذ بالغيث إشفافاً من المطر

قال إلحاحظ : وسألت عثمان البرى :

وأنتم تسمون الطلع (الكافور)
والإغريض . ونحن نسميه (الطلع) ،
وقال الله تعالى : « ونخل طلعها هضيم » .
يقول الجاحظ عن أبي سعيد
عبد الكريم بن روح : فعده عشر
كلمات ، لم أحفظ أنا منها إلا هذه . اهـ .
ولعل هذا يطمئن من حدة المنكرين
للترادف اللغوي .

ويحكون إن إعرابياً وفد إلى اليمن
لزيرة زيد بن عبد الله بن دارم ، على
ربوته فقال له : « ثب » بمعنى اجلس
في لغة اليمن ، فقفر الإعرابي — سمعاً
وطاعة — من العلو الشاهق ، فدقت
عنقه ، لأنه ظن أن « ثب » بمعنى أقفز ،
فقفز . وبعض اللغويين يستشهد بهذه
القصة ، على أنه في الإمكان التعبير
عن شيء واحد بلفظين مختلفين ،
ما دامت البيئتان اللغويتان متباينتين ،
ولو صدر لفظ (وثب وقعد) بمعنى
واحد عن قبيلة واحدة ، وفي بيئة لغوية
واحدة . . لما كان ثمة احتمال للترادف
بين اللفظين ، على أن المراد باختلاف
بين لغتين الاختلاف بين لهجتين ،
كلتاهما فرع للغة واحدة ، وتفرعتهما
عن أصل واحد ، هو الذي يسوغ ضم ،
ما عند هذه إلى تلك ، فيصح لنا — على
هذا الأساس — التغني بمآثر لغتنا ، التي

الذاتية قبل غيرها ، بما لا نظير لها في
لغات العالم والكلمة الواحدة — قد تعطى
من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها
من الاستعمالات ، « لأن كثرة
الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة
تلبى بها مطالب الحياة والإحياء والرقى .
 واحتفاظ لغتنا بالمهجور لإرهاص بأنه
قد يستعمل ، ويستغنى به لأنه رديف
صالح » . .

بل وكان كل مِصْرٍ من العرب يفخر
باستعمال لهجته وأنها أفصح من غيرها :
يقول الجاحظ (البيان والتبيين ١/ ١٨)
قال أهل مكة لمحمد بن منذر الشاعر :
ليست لكم أهل البصرة لغة فصيحة ،
إنما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن
المناذر : أما ألفاظنا فأحكى لألفاظ
القرآن ، وأكثرها موافقة له فضعوا القرآن
بعد هذا حيث شئتم : (أنتم تسمون
« القِدْر » برمة ، وتجمعونها على برم .
ونحن نقول : قدر وقدور . وقال الله
سبحانه : « وقدور راسيات » .

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق
البيت « عليّة » وتجمعونها على علالي ،
ونحن نسميه « غرفة » ونجمعه على غرفات
وغرف . قال تعالى : « غرف من فوقها
غرف مبنية » . وقال تعالى : « وهم
في الغرفات آمنون » .

وغناء .. ويستطرد الشيخ العلايلي فيقول :
«ولكن ضعف الطبع اللغوي في اللغويين ،
جعلهم يتمنون على اللغة الأمانى :
يتمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من
الترادف غنى يتناول ما في العلم
وما تجيش به النفس !! ولكنها أمنية
— لو علموا — تنالهم أنفسهم دون
اللغة» (٧٢) .

وسيقى في هذا الترادف الذى سخروا
منه جوابها على مر الأيام والليالي ،
هتافاً يثير شاكلة انتباه من سمع من
يأتى من الأجيال :

أعزائى أبناء الضاد : هذا غناى
إلى حد التزيد ، وهذا ضعفكم حتى
عن الاستفادة بالأعلام المنشورة فى بطون
معاجمى ، وفى متعرف السبل .

فلا ينبغى أن نغض الطرف ، ونقصر
الجهد ، ونقر بالعجز ، ونرضى
بالقليل ، ونرفض ونرد الترادف وقد ثبت
وجوده ووضح كضوء الفجر الصادق ،
لا ريب ولا شك فى ذلك .. « والله يقول
الحق وهو يهدى السبيل » . .

توفيق محمد شاهين

تشتمل على محصول لغوى لا مثيل له
بين لغات العالم (٧١) .

وحسبنا أن نصفها عندئذ بأنها غنية
وغناها ذاتى حفلت به معاجمها المليئة
دليلاً على ذلك .

ولن نستنكف عن رد الاعتبار إلى
لهجة كل قبيلة لم تطرأ العجمة على
ألسنتها ، ولم تلابس اللكنة الدخيلة
ملاحظها ، فنثل هذه اللهجات سنستنبط
منها مزايا لغتنا ، ومعانى مفرداتها وتراكيبها
ومدى سعتها وتصرف أصحابها فى
طرق تنميتها .

والترادف أخيراً : — كما يقول الشيخ
عبد الله العلايلي : —

« عنوان على فراغ الأمة إلا من القول
من وجه ، وعلى مرونة اللغة من وجه
آخر . . وبما أنه أصبح صفة ظاهرة من
صفات العربية إلى حد التغرد . وليس
هذا فقط ، بل أصبح الأديب العربى
يضيق جداً إذا لم تكن له فسحة من
الألفاظ الشتى التى تتلاقى على معنى
واحد .

وجب على الواضع الحديث ألا يهمل
هذه الناحية أبداً ، وفى اللغة كفاء

المراجع

- ٤٤ - دلالة الألفاظ ٢٢١ .
- ٤٥ - مشكلات العربية للأستاذ محمود تيمور ١٥ نقلا عن « الفكر » التونسية .
- ٤٦ - « الفكر » التونسية س ٥ ع ٥ ص ١٠ .
- ٤٧ - المصدر السابق س ٢١ ع ٤ للأستاذ مصطفى بوهلال .
- ٤٨ - المصدر السابق .
- ٤٩ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣٤ .
- ٥٠ - التعريفات للجرجاني ٣٤ .
- ٥١ - الإتيقان للسيوطي ١٩٤/١ - ١٩٦ .
- ٥٢ - المزهر للسيوطي ٤٠٢/١ ، وحاشية البنان على المحلى ٢٩١ .
- ٥٣ - الصاحبي لابن فارس ٦٦ ، والمزهر ٤٠٣/١ .
- ٥٤ - المثل السائر لابن الأثير ٣٦٠ .
- ٥٥ - شرح البدخشى والإسنوى لمنهاج الوصول للبيضاوي ٢١٦ .
- ٥٦ - علم أصول الفقه للمرحوم الشيخ محمد عبد الله أبو النجا ٣٤ .
- ٥٧ - مميزات لغة العرب للأستاذ حفي ناصف ٣٩ .
- ٥٨ - مقدمة ابن خلدون ١٠٦٤ .
- ٥٩ - دلالة الألفاظ د. أنيس ٢١٠ .
- ٦٠ - الترادف اللغوي للأستاذ مصطفى بوهلال س ٢١ ع ٤ مجلة « الفكر » التونسية .
- ٦١ - دلالة الألفاظ ٢١٥ .
- ٦٢ - الفكر التونسية س ٢١ ع ٤ ص ٥٥ .
- ٦٣ - دلائل الإعجاز للجرجاني ٣٥٢ .
- ٦٤ - المصدر السابق ٣٢٤ .
- ٦٥ - مشاهد القيامة في القرآن ٦٦ .
- ٦٦ - المصدر السابق ١٠٨ .
- ٦٧ - دلائل الإعجاز ٨٥ .
- ٦٨ - تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ جرجى زيدان ٥٥ .
- ٦٩ - شرح القصائد العشر ، هامش ٣٢٢ (للمحقق) .
- ٧٠ - نوادر الخطوط ١٢١/١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ٧١/١ ، وأمالى المرتضى ١٣٩/١
- ٧١ - درات في فقه اللغة للشيخ صبحي الصالح ٣٠١ ، وراجع الصاحبي ٢٢ .
- ٧٢ - المقدمة للشيخ العلايلي ٢٢٧ .

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام

الأستاذ / محمد كمال السيد

٢

عهد الناس به . . لأن الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله .

وبعد الظاهر تولى ابنه المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) أى استمر

عهده ستين عاماً . وفى عهده حصلت الشدة العظمى المعروفة التى استمرت

سبع سنوات (٤٤٧ - ٤٥٤ هـ) لعدم فيضان النيل . فعزّت الأقوات

حتى أكل الناس القلط والكلاب . وكان فى مصر فضلاً عن المجاعة

الأوبئة . وفتنٌ فى الداخل . واعتداءاتٌ من الخارج . وعجزت الدولة عن القيام

بالتزاماتها فى المرتبات والأجور . فنهب الجند قصور الخليفة . وجرّدوها من

كل نفيس . وباعوا المنهوبات بأبخس الأثمان ليحصلوا على ما لهم من مستحقات .

وجلس الخليفة المنتصر على حصير

ذكرنا فى المقال السابق أن الحاكم بأمر الله أوقف سنة ٤٠٢ هـ رواتب

المقيمين بالجامع الأزهر كما أبطل ليالى الوقود .

وفُتقد الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ . وتولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله

فأمر بإعادة ليالى الوقود وصرف المرتبات . ويحدثنا المقرئ : أنه فى ليلة

النصف من رجب سنة ٤١٥ هـ حضر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ومعه

السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر الرعايا والعامّة . . فجلس الخليفة فى

المنظرة . . يعنى منظرة الجامع الأزهر السابق ذكرها . وكان أيضاً فى ليلة نصف

شعبان اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله . وأوقدت المساجد كلها

أحسن وقيد . وكان مشهداً عظيماً بَعُد

لا يجد القوت إلا من تَفَضَّلَ إحدى المحسنات عليه . هكذا ذكر المؤرخون وقد يكون فيه بعض المبالغة . ولكن كان من الطبيعي أن يصرف النظر عن ليالى الوقود .

ويبدو أيضاً أن إبطاها استمر أيضاً في عهد المستعلي بالله بن المستنصر بالله (٤٨٧ - ٤٩٥) حتى تولى الخلافة الأمر بأحكام الله بن المستعلي بالله (٤٩٥ - ٥٢٥ هـ) فأمر سنة ٥١٥ هـ بإعادتها . واستمرت حتى نهاية الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ .

ولم يكتف الفاطميون بالأزهر كأداة للدعاية لمذهبهم الشيعي فأنشأ الحاكم بأمر الله دار العلم .

وقد أمر بإنشائها سنة ٣٩٥ هـ وحمل إليها الكتب من خزائن القصر ، وفرشها وزخرفها وعلّق على أبوابها وممراتها الستائر ، وأجلس فيها الفقهاء والقراء والعلماء والأطباء . وأقام فيها من يقوم على الخدمة والملاحظة والحفاظة . وأباح الاطلاع على الكتب ونسخها لمن أراد . وكان كلّ حين يُحضّر جماعة منهم للمناظرة بحضرة . . وأجرى عليهم الأرزاق . . وأوقف عليها ما يكفي لنفقاتها .

وكان مكان دار العلم المذكورة حارة « برجوان » الحالية بالخرنفس . وبرجوان هذا المنسوبة إليه هذه الحارة كان خِصِيّاً أبيض تام الحلقة من خدم العزيز بالله . أوصاه العزيز عند وفاته على ابنه الحاكم بأمر الله . واستولى على السلطة وأحسن التدبير . وبلغ النهاية من العز والنفوذ . فاشتغل ببلداته . وأقبل على سماع الغناء والطرب . واجتمع لديه الشعراء والموسيقيون . . وكان يقضى في الأمور بدون استشارة . فنقم عليه الحاكم . ودبر له كميناً في إحدى حدائق القصر الشرقى وقتله سنة ٣٩٠ . وكان عمر الحاكم عند ذلك ١٥ سنة . وذكره أبو الفدا في المختصر باسم أرجوان .

ولما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى مصر في عهد المستنصر بالله الذى استدعاه من ولايته بعسقلان لمعالجة ما أصاب الدولة من ارتباك نزل بدر بدار « برجوان » وجعلها داراً للوزارة بدلا من دار يعقوب بن كلس السابق ذكرها في المقال السابق . ثم جعلت دار برجوان داراً للضيافة والاستقبال الرسل الوافدين من الخارج . وكانت دار العلم بجوار دار برجوان . وفي جزء من

المذكور هو والد الحافظ لدين الله الذى تولى الحكم بعد الأمر وهو سهو يلزم تصحيحه . فالحافظ هو ابن الأمير محمد أبى القاسم بن المستنصر بالله . فهو ابن أخى نزار لا ابنه (خطط المقرئى ، من المحاضرة للسيوطى ج ٢ ص ١٦ ، صبح الأعشى للقلقشندي ج ٢ ص ٤٣١ ، المختصر لأبى الفدا ج ٣ ص ٢١) .

ثم فتحت دار العلم بعد ذلك فى عهد الأمر بأحكام دين الله أيضاً . ولكن فى مكان آخر جنوبى القصر الشرقى الكبير فى الجزء الجنوبى من خان الخليلى فى موقع قريب من قهوة الفيشاوى الحالية . وظلت حتى انتهت الدولة الفاطمية .

وكما كان سكن المقرئى المؤرخ الكبير فى جزء من مكان دار برجوان بجوار دار العلم القديمة . فقد كان بجوار العلم الجديدة سكن مؤرخ مصرى آخر لا يقل أهمية عن المقرئى هو محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر (٦٢٠هـ - ٦٩٢هـ) وكتابه (الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة) بكل أسف مفقود ولكن قد استعان به المقرئى فى خططه واستعاد كثيراً من فقراته . وذكر المقرئى سكنه باسم درب ابن عبد الظاهر

مكان دار برجوان كان سكن المقرئى المؤرخ الكبير » .

وظلت دار العلم بمكانتها حتى وزارة الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى . فحدث سنة ٥١٣ أن بلغه أن بعض من فيها يفسدون العقول بفلسفتهم . وادعى أحدهم - واسمه القصار - الألوهية ، وتبعه كثيرون . فقبض على من وجده منهم وقتلهم . وهرب القصار . وأغلق الأفضل دار العلم .

ثم قتل الأفضل سنة ٥١٥ . وأمر الأمر بأحكام الله وزيره المأمون البطائحي بإعادة فتح الدار . ففتحت . وظهر القصار ثانية . واستفسد العقول . فقبض عليه وعلى أتباعه وقتلوا جميعاً . وأغلقت الدار ثانية .

ولم يكن غلق الدار هذه المرة لأسباب دينية وفقهية فقط . ولكن أيضاً لأسباب سياسية . فقد كان .. بخشى من التجمعات حتى لا يقوى شأن التزارية وهم الذين كانوا يرون أن نزاراً بن المستنصر بالله . وهو عم الأمر بأحكام الله بن المستعلى بالله . أحق بالخلافة من المستعلى والأمر .

وأود أن أشير هنا إلى ما ورد فى كتاب (الأزهر وتطوره) لإصدار وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ص ٨ أن نزاراً

توزيع أسهمها على المصارف المختلفة في جهاتها المذكورة .

وجدّد الحاكم بأمر الله الجامع الأزهر ورفع سقفه ذراعاً عما كان . ووضع في محرابه منطقة من الفضة وزنها ٥٠٠٠ درهم . وقد نزعها صلاح الدين الأيوبي بعد القضاء على الفاطميين . وبمتحف الفن الإسلامي (تحت رقم ٥٥١) باب الجامع الذي عمله الحاكم بأمر الله . وهو باب كبير بمصراعين ٢ متر ٣,٢٥X متر ١,٦٥ متر ١,٩٨X متر ١,٩٨ متر وهو تحت رقمي ٤٢٠ و ٤٤٢ بالمتحف .

وجدّد الجامع في عهد المستنصر بالله . كما جدّد في عهد الحافظ لدين الله . وأنشأ الحافظ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع . وكان موقع هذا الباب في نهاية الطرقة المؤدية إلى الباب الحالى الكبير المطل على الميدان والمعروف بباب المزينين إلى صحن الجامع . وعرفت هذه المقصورة باسم مقصورة السيدة فاطمة . لأن السيدة فاطمة الزهراء رؤيت فيها بالنام .

وقال : هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق (خان الخليلي) وفي صفه ، وهو من حقوق دار العلم التي استجذت في خلافة الأمر ووزارة المأمون البطايحي . فلما زالت الدولة اختط مساكن ، وسكن هناك القاضى محي الدين بن عبد الظاهر فعرف به . اهـ . وظل هذا الاسم حتى عهد على باشا مبارك بجهة الحلوجى والصنادقية حتى زال الاسم والمكان بفتح شارع الشنوائى امتداد شارع السكة الحديدية (شارع جوهر القائد حالياً) . ونود أن نذكر أن على مبارك في الخطط التوفيقية (ص ١٧ ص ٦٦) ذكر أن وفاة ابن عبد الظاهر كانت في سنة ٧٩٢ هـ . ومجئها سنة ٦٩٢ هـ كما ذكرنا وهو سهو أو خطأ في النقل أو الطبع . ويهنا من موضوع دار العلم فضلاً عن الناحية التاريخية أن نذكر أن لإنشاءها لم يؤثر على قيمة الأزهر عند الفاطميين . فقد ذكر المقرئ أن الحاكم بأمر الله أوقف أوقافاً عديدة على الجامع الأزهر والجامع الأنور . وجامع المقس . ودار العلم . وكان نصيب الأزهر وحده من هذه الأوقاف $\frac{7}{10}$ أى النصف تقريباً . وقد ذكر المقرئ في الخطط (ص ٢٧٤) حجة هذه الأوقاف وتفصيل

ودارسين ومجاورين ممّا أدى إلى رواج هذه الأسطورة .

وأسطورة أخرى ذكرها على باشا مبارك (الخطط التوفيقية ص ٢٠ ص ١٦) إن في أعلى المحراب الأصلي - أى قبل الأيوان الذى أضافه عبد الرحمن كتنخدا كما سنذكر بإذن الله - على يمين المصلى صندوقاً موضوعاً على رف يقال أن به قطعة من سفينة سيدنا نوح عليه السلام . وقطعة جلد من بقرة بنى إسرائيل . وأن لذلك سرّاً عجيباً فى عمارته .

وعلمت من قدامى الموظفين بالجامع أن هذا الصندوق نقل إلى متحف الفن الإسلامى سنة بضع وثلاثين من القرن الميلادى الحالى . وقصدت المتحف للاستدلال عليه . ولكن لم أوفق فى العثور عليه ، وذكر الأستاذ حسن عبد الوهاب (ص ١٦٠ فى المرجع السابق ذكره) أن هذا الصندوق فتح بمعرفة لجنة فى ١٠ / ٤ / ١٩٣٤ . وتبين أنه يحتوى على مجموعة من رقوق المصاحف الكوفية المدشوة . وقطعة خشب أصلها رأس عبد ملفوف عليها قماش أخضر . وبلغ عدد المصاحف المدشوة ١٦ مصحفاً بعضها بخط كوفى وبعضها بخط مغربى .

ولا يزال للآن من عمارة الحافظ لدين الله قبة بالحجاز حفلت جوانبها وقبتها بالزخارف والكتابات الكوفية ، وكلها آيات من القرآن الكريم فيها آية الكرسى وآيات من سورة يس ، وحفلت بزخارف جميلة ، وتعد أقدم قبة نقشت من الداخل

(الأزهر تاريخه وتطوره للمرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب) .

ورويت أسطورة أن بهذا الجامع طلسماً . فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به . وكذلك سائر الطيور من الحمام واليام وغيره . وهو صورة ثلاثة طيور كل صورة على رأس عمود . وحدد المقرئ فى خططه (ص ٢٧٣) مواقع هذه الأعمدة . ولكن المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب أثبت فى المرجع السابق ذكره بطلان هذه الأسطورة . فالطيور تغدو وتروح فى الجامع كقوله . وأن الأعمدة منقولة من آثار ومعابد قديمة . وأن نقش الطيور على أغلب هذه الأعمدة .

ونقول أنه ربما كانت الطيور لا تأوى فعلاً إلى الجامع . فهى تفضل الأشجار أو الأماكن الهادئة . ولا أشجار فى الجامع . وهو فى حركة دائمة ليل نهار بين مصليين ومتعبدين

بالغ في معارف الغربيين لهذا العلم في العصور الوسطى منذ روجر بيكون Bacon (١٢١٤ - ١٢٩٤م) حتى كيبلر Kepler (١٥٧١ - ١٦٣٠م) .

وقالت عنه دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهيثم هو أول مكتشف ظهر بعد بطليموس في عالم البصريات .

وتعني بطليموس كلوديوس الذي عرفه العرب باسم بطليموس القلوزي صاحب كتاب المجسطى الشهير في الجغرافيا والفلك الذي ترجم للعربية عدة مرات . وهو عالم يوناني عاش بمصر وتوفي بها سنة ١٦١م . فكان بينه وبين ابن الهيثم ما يقرب من تسعة قرون .

وقال عنه مارتون أنه أكبر عالم طبيعي مسلم . ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر والضوء في جميع الأزمان .

وعاش ابن الهيثم للعلم فلم يطمع في مال أو جاه . وكان يكسب قوته من نسخ الكتب . ومع ذلك ترك ثروة علمية ضخمة تقرب من مائتي مؤلف . منها ٤٣ في في الفلسفة والعلوم الطبيعية . و ٣٥ في العلوم الرياضية . وكتاب في الطب من ثلاثين جزءاً . وغيرها . وعرفت جميعها بالعمق والدقة والأحاطة . ورؤى عنه أنه فكر في إمكان ضبط

كذلك لم يؤثر إنشاء دار العلم على الأزهر في دوره الثقافي والدعائي فيحدثنا ابن أبي أصيبعة (عيون الأخبار في طبقات الأطباء ج٢ ص ٩٠) كما يحدثنا القفطي (إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٤) أن العالم العربي الشهير الحسن بن الهيثم كان يقيم بالأزهر .

والحسن بن الهيثم هو أبو علي الحسن ابن الحسن بن الهيثم الذي يعرفه الغربيون باسم Alhazen . وعاش من ٣٥٤ - ٤٤٢ هـ . أو بعدها (٩٦٥ - ١٠٥٠م) وكان أصلاً من بغداد واستقدمه الحاكم بأمر الله لما بلغه من علمه . فقدم مصر واستوطن بها . .

وتعلمت منه أوروبا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح ، وتشريح العين وكيفية تكون الصور على شبكتها وأساء أجزائها . وقد نقلت بعض هذه الأساء العربية إلى اللغات الأوروبية .

وقالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : (وكان من أهم علماء العرب في الرياضيات والطبيعات . وكانت له فوق ذلك مشاركة في الطب وعلوم الأوائل . خاصة فلسفة أرسطو . . . ثم قالت : وإن لكتاب (المناظر) أثر

أقدم من كتبوا عن تاريخ القاهرة وخططها . وكتابه (المختار في الخطط والآثار) مفقود . ويشير إليه المقرئى والقلقشندى وغيرهما من المؤرخين فى أكثر موضع .

والقضاى كان شافعى المذهب (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ١٨٢) . ولم يمنع هذا من ولايته القضاء والتدريس فى الأزهر للتسامح وسعة الأفق التى اتسم بها الفاطميون . وله مؤلفات كثيرة أغلبها مفقود . منها تفسير للقرآن فى عشرين جزءاً .

وخلط على باشا مبارك بينه وبين أبيه المتوفى سنة ٣٩٩ هـ . فذكر أن الأب هو المؤرخ . كما نسب للأب رؤيا لآحمد بن طولون . وهذا غير معقول لأن ابن طولون توفى سنة ٢٦٩ هـ (الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٤٨) .

وأمام الجامعة الأزهرية جامع الشيخ حسن العدوى أنشأه سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) وكان مكانه دار زينب بنت السلطان قلاوون . وقيل أن من ضمن المقابر التى بالجامع المذكور قبر محمد بن سلامة القضاى صاحب الخطط وقبر أبيه . ولكن على مبارك أنكر هذا الزعم وقال أنهما مدفونان بالقرافة .

مياه فيضان النيل عند أسوان . وهذا سبب استخدام الحاكم بأمر الله . وخرج الحاكم بنفسه لاستقباله عند الخندق (حى الدمرداش والحمدى بالقرب من العباسية) وأرسله إلى أسوان ومعه جماعة ليستعين بهم فى هندسته . ولكنه لما ذهب إلى هناك شعر باستحالة ذلك ، ولم تكن الأمكانات العلمية من إقامة القناطر والسدود متقدمة كالآن . واستصغر نفسه أن يحاول ما لم يحاوله الفراعنة الأقدمون الذين تركوا هذه الآثار الضخمة على ما فيها من دقة الصنعة والهندسة واعتذر للحاكم . فولاه بعض الدواوين . فقبل الوظيفة رهبة لا رغبة ، فالحاكم كان سفاكاً للدماء . ثم أراد التخلص فادعى الجنون . فأمر الحاكم بوضعه تحت الحراسة بمنزله . واستولى على موجوداته . وظل كذلك حتى فقد الحاكم سنة ٤١١ هـ فأظهر العقل وعاد إلى نشاطه العلمى .

وتوفى ابن الهيثم سنة ٤٤٢ هـ أو بعدها . بالقاهرة ودفن بها .

كذلك يحفظ لنا التاريخ اسما من علماء الأزهر وأحد مدرسيه فى العهد الفاطمى هو المؤرخ القضاى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ . وهو من

وهذا هو السبب في أن من أسماء الجامع الأنور (جامع الخطبة) .

وقد ذكرنا في مقال سابق نشر بمجلة الأزهر تحت عنوان (صلاح الدين الأيوبي وتعطيل الأزهر) عدد شعبان سنة ١٣٩٥ أغسطس ١٩٧٦ كيف لم يكتف صلاح الدين بذلك بل أخذ في إنشاء المدارس العديدة في القاهرة والفسطاط، وبجوار مقام الإمام الشافعي للمذاهب السنية الشافعي والحنفي والمالكي، وكيف تبع صلاح الدين في هذا من أعقبه في الحكم من بني أيوب . حتى بلغ عدد المدارس التي أنشأها الأيوبيون ٢١ مدرسة في مدة حكمهم التي لم تتجاوز ٨١ سنة . وهذه المدارس كانت عبارة عن كليات بكل معنى الكلمة .

وعانى الأزهر من هذه الحنة من انصراف الدولة عن الإنفاق عليه وإقبال الشيوخ والطلاب على المدارس الجديدة لما فيها من مزايا ومرتبات .

ولكن لم تكن الحنة كاملة فقد ظلت الدروس تلي في الأزهر . ويذكر لنا العالم العربي عبد اللطيف البغدادى الذى قدم مصر في أواخر عهد صلاح الدين واستمر بها في عهد ابنه العزيز . فقال في كتابه المسمى (الإفادة

الأزهر في عهد الأيوبيين :

وتوفى العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين في عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ . وكان وزيره صلاح الدين الأيوبي قد قطع اسمه من الخطبة قبل ذلك بيومين . ولم يشعر العاضد بما حدث لمرضه . ودعا صلاح الدين في الخطبة للخليفة العباسي المستضي بالله المستنجد بالله .

وبذلك انتهت الدولة الفاطمية . وبانتهائها انتهى أيضاً المذهب الشيعي رسمياً في مصر .

واستقل صلاح الدين بملك مصر مع التبعية الروحية للخلافة العباسية في بغداد . ولكن كان لمصر كامل السيادة والاستقلال . وأراد صلاح الدين القضاء على المذهب الشيعي (مذهب الفاطميين) ووجد في الأزهر أعلى بوق للدعاية والترويج لهذا المذهب . فقرر تعطيل خطبة الجمعة منه . اكتفاءً بالخطبة في الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم . مستنداً في هذا على فتوى القاضي الشافعي بأنه لا تجوز خطبة الجمعة في مسجدين في مدينة واحدة . وقال صلاح الدين أن الجامع الأنور أوسع من الجامع الأزهر - وكان كذلك وقتها .

١٢٦٦م) بعد تجديده وترميم الواهى من جدرانہ وإصلاح سقوفه وتبليطه وتبييضه وفرشه حتى عاد حراماً . وهذا بعد أن ظلت الخطبة منقطعة منه ٩٨ عاماً .

واستند بيبرس فى هذا على فتوى من القاضى الحنفى بجواز خطبة الجمعة فى مسجدین فى نفس المدينة . بعد أن رفض القاضى الشافعى ذلك . وأن هذا كان من الأسباب التى أدت بيبرس إلى إنشاء نظام القضاة الأربعة . أى قاضى قضاة لكل من المذاهب الأربعة الشافعى والحنفى والمالكي والحنبلى . ولكن ظل قاضى قضاة الشافعية مقدماً على غيره وله امتيازات مثل نظر الأوقاف وبيت المال ومال الأيتام وغيرها .

وقد اضطرت لهذا التلخيص من المقال السابق نشره ليتربط البحث أمام القارئ بما لا يدعوه للرجوع إلى أعداد سابقة .

وستكلم فى المقال التالى بإذن الله عن الأزهر فى عهد السلاطين المماليك .

محمد كمال السيد

والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) المعروف بمختصر أخبار مصر : (وكانت مسيرتى فى هذه المدة أن أقرئ بالجامع الأزهر من أول النهار إلى الساعة الرابعة . ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره . وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر . ويقرئ قوم آخرون . وفى الليل اشتغل مع نفسى . ولم أزل على ذلك إلى أن توفى العزيز) اهـ . والعزيز توفى سنة ٥٩٥ هـ . واستمر البغدادى بمصر حتى سنة ٦٠٢ هـ ثم تنقل فى بعض المدن الإسلامية ثم عاد إلى بغداد فتوفى بها سنة ٦٢٩ هـ . وفى هذا ما يدل على أن الدراسة بالأزهر ظلت مستمرة . وأن الطب كان من ضمن العلوم التى تدرس فيه .

الأزهر فى عهد السلاطين المماليك :
وقد ذكرنا أيضاً فى المقال السابق ذكره كيف أنه بعد انتهاء الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨ هـ وانتقال الحكم إلى دولة المماليك البحرية . وفى عهد السلطان الظاهر بيبرس أعيدت خطبة الجمعة إلى الجامع الأزهر فى يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ديسمبر سنة

الجمعة (البريد) ، لبنان غزوة مبوك

الاستاذ / السيد حسن كرد

بعقيدته ، ذلك أن الروم منذ بلغهم كتاب رسول الله إلى قيصر يدعوه فيه إلى الإسلام بدأ أتباعهم يتحرشون بأصحاب رسول الله ، فقد قتل الغساسنة أحد الصحابة ، وكان الغساسنة من الجنوب هاجروا إلى الشمال وأسسوا إمارة عربية تدين بسلطان الروم — فأرسل الرسول إليهم حملة تأديبية قوامها ثلاثة آلاف جندي بقيادة الأمراء : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة فكانت غزوة (مؤتة) ، ولكن هذه الحملة لم تحقق ما ذهبت إليه لأنها واجهت جيشاً كبيراً مكوناً من مائتي ألف جندي منهم مائة ألف من العرب ، وفي هذا يقول عبد الله بن رواحة .

فرحنا والحياد مسومات

تنفس في مناخرها السموم

فلا وأبى (مآب) لتأيتها

وإن كانت بها عرب وروم

فلا عجب إذا قتل الأمراء الثلاثة

تبوك آخر غزوات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم التي قام بها بنفسه وقد اجتمع له فيها جيش كبير بلغ عدده ثلاثين ألفاً على حين كان جيشه في غزوة بدر ثلثمائة وثلاثة عشر جندياً ، ففرق ظاهر بين هذا الجيش في السنة التاسعة من الهجرة ، وجيش بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وهذا يدل على أن الإسلام قد نما نمواً مطرداً ، ولا سيما بعد فتح مكة إذ دخل الناس في دين الله أفواجا .

وفي هذه الغزوة غير الرسول خطته فأخبر بوجهة غزوه ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، وليستقلوا سفراً بعيداً ، ولقاء عدو خطير ، فقد بلغ رسول الله أن الروم قد حشدت جموعاً كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق جنده لسنة ، وجلب معه من العرب لحم وجذام وعاملة وغسان ، إذ كانت تلك القبائل تحت سلطانه وتدين

النبي ، فأسلم هو ومن معه .. فالخطر من الشرق بعيد الاحتمال لموت كسرى والصراع حول عرشه .

أما الشمال فحدثت فيه تلك المناوشات التي صارت حروباً ، ومع أن قيصر أحسن استقبال رسول النبي إلا أنه كان للمسلمين بالمرصاد خوف أن يتزع الشام من يده .. وكان النبي وصحبه يشفقون على أتباعهم منه .

مم تكون جيش المسلمين الذهاب إلى تبوك : المهاجرون والأنصار هم جند الإسلام ، والمهاجرون إيمانهم خالص يسكنون المدينة كما يسكنها الأوس والخزرج ، ويمتازون عن الأنصار بوحدةهم الثابتة ولولائهم المحض .. ومع الأنصار الذين أخلصوا دينهم لله ووقفوا مع الرسول ضد المشركين واليهود ، كان جماعة من المنافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، ومعهم بقايا من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام للكيد له ، وهذا كله له أثره على الجيش المحارب الذي يقوده صفوة الخلق لتكون كلمة الله هي العليا وليحمي الدولة الناشئة من الأخطار . فقد تقدمت الدعوة حدود الجزيرة العربية حين بلغت كتبه الملوك والأمراء .

ومن بدء الأمر بالتهيؤ للرحيل

في معركة غير متكافئة ، واستطاع خالد ابن الوليد أن يداور ويناور ويرجع بالجيش إلى المدينة ، فإذا استعداد الرسول لملاقاة هؤلاء الأعداء الذين يهددون الأمة الإسلامية كان استجابة لحماية أتباعه ولحماية العقيدة حتى لا تكون فتنة ، وهذا ما دعاه إلى أن يخرج في وقت غير صالح للحرب ، فقد كان الصيف حاراً ، والثمار قد تهيأت لجنيتها والمال غير موفور . إنها ساعة عسرة تحتاج إلى إيمان قوى وعزيمة لا تعرف للجهاد زمناً ، لذا كانت امتحاناً له ولأصحابه .

وقد يدور في الأذهان سؤال لماذا تحرش الروم ولم يتحرش الفرس بسبب كتب النبي ؟ . . والجواب لقد تحرش كسرى حين بلغته الدعوة فمزق كتاب النبي فدعا عليه بتمزيق ملكه ، بل لقد أرسل إلى عامله « باذان » باليمن أن يبعث من قبله من يثق به ليمنع هذا العربي من دعوته ، فأرسل باذان رجلين من خاصته ، فلما بلغا المدينة وقابلا النبي أمرهما أن يحضرا إليه غداً ، ونفذاً أمره ، فحين حضرا أخبرهما أن كسرى قتل وقتله ابنه في يوم كذا ، فرجعا إلى باذان فأخبراه بحال النبي ومقتل كسرى ، وانتظر باذان ثم جاءته الأخبار بصدق

وللغزو ظهرت تيارات منبسطة ، وكان الوقت — كما قلت — وهو الصيف القائن وموعد جنى الثمار وقلة الأموال مما يساعد النفاق على إشاعة الروح الانهزامية.. وقد سجل القرآن تلك الغزوة تسجيلًا كشف النفاق وزلزل أركانه ، ومحص قلوب المؤمنين قبل الرحيل وبعده وأثناءه في سورة « التوبة » .

وقد تجلى إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين في أجلى صورة ، فأقبل المؤمنون على رسول الله بأموالهم وأنفسهم اختياراً لا اضطراراً ، فوجد عثمان بن عفان يتبرع بألف دينار غير راحله ، وعبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وهى نصف ماله فى ذلك الحين ، ويتبرع أبو بكر بماله ، فيقول له الرسول : ما أبقيت لعيالك ؟ فيجيب : أبقيت لهم الله ورسوله ، وكذلك فعل أغنياء الأنصار وفقراءهم . ولكن انظر معى إلى تصرف النفاق .

قال الرسول للجد بن قيس : يا جد ، هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر (الروم) فكان جوابه .. يا رسول الله أو تأذن لى ولا تفتنى ، فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى أن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ،

فأعرض عنه الرسول ، وعذره أقبح من ذنبه ، وقد سجل القرآن موقفه .. قال تعالى : —

«ومنهم من يقول : لا تأذن لى ولا تفتنى إلا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطه بالكافرين » .

وقال بعض المنافقين : لا تنفروا فى الحر نكوصاً عن الجهاد ، وشكاً فى الحق وإرجافاً بالنبى فأنزل الله فيهم ، « وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يعقلون . فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزء بما كانوا يكسبون » . فما أسخف عقولهم : إنها مشقة قليلة منقطعة بجانب حياة ناعمة متصلة ، وقد بلغ الأمر بهم أنهم كانوا يتآمرون بمنزل (سويلم اليهودى) ومادروا أن الوحى كاشفهم ، والرسول يتعقب أخبارهم ، ومن لؤمهم أنهم يلزمون المتبرعين بالأموال . قالوا عن عبد الرحمن ابن عوف وعاصم الأنصارى ما أعطى عبد الرحمن وعاصم لإرياء ، وقالوا عن أبى عقيل وقد تبرع بصاع من تمر لا يملك غيره : الله غنى عن صاع أبى عقيل . والقرآن يقول فيهم «الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

وهذه الغزوة لأهميتها وما تعطيه من نتائج أمر الله بها وحث عليها أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب فقال : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .
ومعنى هذا أن التخلف عن الجهاد نقيصة فى الدنيا وخزى فى الآخرة ، لذا جاء من لا يملك المال ولا وسيلة الانتقال إلى النبى يطلبون إليه أن يحملهم وهم البكاؤون فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه فقولوا وأعنيهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .
أما المنافقون فجاءوا معتذرين بأعذار واهية كانت لهم فضيحة فى ذلك المجتمع الذى يتهاى لنشر النور فى الآفاق .
وتجمع للرسول العدد والعدة فأمر بالمسير ، وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم نيتهم حتى تخلفوا عنه دون شك وارتياب ، منهم كعب بن مالك من شعراء الرسول ، ومرة بن الربيع وهلال بن أمية وأبو خيثمة ، وأبو ذر الغفارى ، فلما خرج رسول الله ضرب عسكره على ثنية الوداع واستعمل على المدينة « محمد ابن مسلمة الأنصارى » وضرب عبد الله ابن أبى بن سلول عسكره أسفل منه فى (ذباب) جبل بالمدينة وممن ضم

عسكره المتخلفين وذوى الارتياب . .
وكان عسكره زهاء عسكر النبى .
ورحل النبى ومن معه جلهم صادق الإيمان يرغبون فى الجهاد والاستشهاد وقليل منهم اندسوا فيهم إما حياء ورياء وإما تثبيطاً . وعلى بعد ثلاثة أميال من المدينة عند (الحرف) توقف الجيش ، على حين رجع ابن أبى وعسكره إلى المدينة كما فعل فى غزوة أحد انفصل بثلاث الجيش ورجع من حيث أتى ، وقال للأئمة : لا قتال هناك .
ولم يسكت المنافقون عن الشائعات والجيش قد رحل ، فقد أشاعوا للوقعة بين النبى وابن عمه وزوج ابنته فاطمة — على — وقد خلفه فى المدينة أن الرسول ما خلفه إلا استثقالا له وتخفيفاً منه ، وبلغ علياً مقاتلهم فحمل سلاحه وخرج يجد حتى أتى الرسول وهو بالحرف فقال : يابى الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني ، وتخففت منى . فقال : كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت من ورأى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك . أفلا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ؟ فرجع على وتحرك الجيش نحو مقصده . وكانت للمنافقين الذين رحلوا مع النبى مواقف نابية

عباد الله، إن في رجلٍ لداهية، وما أشعر.
أخرج أى عدو الله من رجلٍ فلا تصحبني.
ويتحدث المنافقون والجيش منطلق إلى
تبوك : أتخسبون جلاد بني الأصفر
كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله
لكأنا بكم غداً مقرنين في الجبال .

يقولون ذلك إرهاباً للمؤمنين، وإضعافاً
من عزائمهم ، وأنكر عليهم قوطم رجل
من أشجع ود أن يضرب كل منهم مائة
جلدة ولا ينزل القرآن فاضحاً لهم .
ويطلع الله رسوله على مقاتلتهم ، فيرسل
إليهم عمار بن ياسر قائلاً له أدرك
القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا،
فإن أنكروا فقل : بلى قلت كذا وكذا
فانطلق عمار إليهم بما حمل ، فهرعوا
إلى النبي يعتذرون فقال ودیعة بن
ثابت من بني عمرو بن عوف : يا رسول
الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فنزل
قوله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما
كنا نخوض ونلعب قل أبا الله وآياته
ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد
كفرتم بعد إيمانكم . . » وإذا كانت
هذه الصورة قائمة فإنك ترى بجانبها
صورة مشرقة مضيئة ، الإيمان يزيد بها
تألقاً وتنوّقاً^(١) ، ترى ذلك بيساً في رجلين

عابجها النبي بحكمته العالية ، فحين
نزل الجيش بقري النبي صالح (الحجر)
أمر النبي أصحابه ألا يشربوا من بئر
الظالمين ، ولا يستخدموا ماءها في الطعام
فلما أصبحوا ولا ماء معهم شكوا إلى
رسول الله ما يلاقونه من عطش ،
فدعا فأرسل الله سبحانه فأمطرت حتى
ارتووا واحتملوا حاجتهم من الماء، وإذا
برجل من بني الأشهل يعرف نفاقه .
قالوا له : هل بعد هذا شيء ؟ قال :
سحابة مارة.. وضلت ناقة لرسول الله فخرج
أصحابه في طلبها . فقال زيد بن اللصيت
القينقاعي - وهو في رجل عمارة بن
حزم ، وعمارة عند الرسول - أليس
محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر
السماء وهو لا يدرى أين ناقتة ؟ فقال
رسول الله وعنده عمارة بن حزم : إن
رجلاً قال : كذا وكذا - كأنه سمعه -
إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ،
وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي
في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة
بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ،
فذهبوا فجاءوه بها . ويرجع عمارة
إلى رجله ، فيقص ما جرى متعجباً
فقال رجل كان مع المنافق زيد : زيد
والله قال هذه المقالة ، فأقبل عمارة
عليه يطعنه في عنقه ، ويصيح : إلى

(١) تنوّق في الأمر تأنّق فيه وتجمّل .

فقص عليه أبو خيثمة قصته فقال له خيراً ودعا له بخير ، وصور ما جرى أبو خيثمة في شعر قال :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا

أتيت التي كانت أعف وأكر

وبايعت باليمنى يدي لمحمد

فلم أكتسب إثمًا ولم أغش محروما

وكنت إذا شك المنافق اسمحت

إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

وأما الآخر وهو أبو ذر ، فقد ركب

بعيره قاصداً رسوله فأبطأ عليه فنزل عنه

وحمل متاعه على ظهره وأسرع يدفعه

شوقه ، ونزل رسول الله في بعض منازل

فنظر من المسلمين فقال : يا رسول الله :

إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده .

فقال رسول الله : كن أبا ذر ، فلما

تأمله القوم قالوا : هو والله أبو ذر فقال

رسول الله : رحم الله أبا ذر يمشى وحده

ويموت وحده ، ويبعث وحده . وقد

كان وبلغ النبي تبوك فأتاه بحنة بن روية

صاحب (أيلة) ميناء على البحر الأحمر

فصالحه ودفع إليه الجزية وأمره النبي

على عمله وأتاه أهل جرباء وأذرج

فكتب لهم كتاب الأمان وقدموا لإياه

الجزية ، ثم أنظم النبي جيشه وأعد نفسه

لملاقاة بنى الأصفر وقيصر ، وأقام

تخلفاً عن رسول الله : أحدهما أبو

خيثمة مالك بن قيس الأنصاري ،

والآخر أبو ذر الغفاري . أما أبو خيثمة

فكان من أمره أنه تخلف أياماً عن

الرحيل ، ثم رجع إلى منزله يوماً

فرأى زوجته في بلهنية من العيش

الرخيم : بستان وطعام وماء ، فلما رآهما

على تلك الحال الحسنة قال : رسول الله

في الضح والريح والحر وأبو خيثمة في

ظل بارد ، وطعام مهياً ، وكامراً حسناً

في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف والله

لا أدخل عريش واحدة منكما حتى

ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ثم خرج يغذ السير ، وفي طريقه أدرك

(عمير بن وهب الجمحي) وعمير هذا

قرشي كان عدو الإسلام في غزوة

بدر ، وتآمر على قتل الرسول بعدها ،

ها هو قد أسلم وحسن إسلامه وخرج

يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه وطلب

إليه أبو خيثمة أن يتأني في سيره حتى

يسبقه إلى لقاء الرسول ، فأجابه عمير إلى

طلبه ، فلما دنا من الجيش قال الناس :

هذا راكب على الطريق مقبل فقال

الرسول : (كن أبا خيثمة) . فقالوا :

يا رسول الله إنه والله أبو خيثمة فلما أناخ

راحلته أقبل فسلم على رسول الله فقال له :

« أولى لك يا أبا خيثمة (يهده بذلك) »

تبارك سائق البقرات انى
 رأيت الله يهدى كل هاد
 فمن يك حائداً عن ذى تبوك
 فانا قد أمرنا بالجهاد
 وفى تلك المدة مات من أصحاب
 الرسول ذو البجاوين - سمي بذلك
 لأنه أسلم وأراد اللحاق بالرسول فمنعه
 قومه حتى أخذوا ملابسه فلم يبق له
 إلا كساء غليظ ، فشقه اثنين جعل
 منهما إزاراً ورداء فكان له هذا الاسم .
 تحدث عبد الله بن مسعود قال : قمت
 من جوف الليل وأنا مع الرسول فى غزوة
 تبوك ، فرأيت شعلة من نار فى ناحية
 العسكر فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر ،
 وإذا عبد الله ذو البجاوين قد مات
 وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله فى
 حفرة وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو
 يقول : أدنيا إلى أخاكما ، فدلياه إليه ،
 فلما هياه لدفنه قال : اللهم إنى
 أمسيت راضياً عنه فارض عنه . يقول
 ابن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .
 ثم أمر الرسول بالقفول إلى المدينة ،
 فلبى الجيش أمره ، وسار حتى بلغ
 المدينة ، وكان خروجه إلى تبوك فى
 رجب والعودة فى رمضان من نفس العام
 فقال : الحمد لله على ما رزقنا فى

بتبوك عشرين ليلة يصلى بها صلاة المسافر ،
 وينزل عليه الوحى وهرقل قيصر الروم
 بحمص لا يجرؤ على الإقدام عليه ،
 وكان رئيس حرسه (عباد بن بشر
 الأنصارى) ثم انتدب خالد بن الوليد
 فى أربعمئة وعشرين فارساً لفتح دومة
 الجندل - وكانت تتوسط موقعاً مهماً
 بين العراق والشام والحجاز ، كان
 أميرها (أكيدر بن مالك) رجل من
 كندة يدين بالنصرانية ، فقال لخالد :
 انك ستجده يصيد البقر . وصد من
 الله رسوله ، فقبل أن يدنو خالد بجيشه
 قالت امرأة أكيدر له واللييلة قمراء وقد
 نظرت من عل إلى بقرات تسرح :
 هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله .
 قالت : فمن يترك هذه ؟ فأغراه قولها
 بصيدها فترل فأمر بفرسه فأسرج له
 وركب معه نفر من أهل بيته فيهم
 إخوان له : حسان ومضاخ فخرجوا ،
 وطاردوا البقر ، وتصادف وصول خالد ،
 فاستأثر أكيدر ومضاخ وأبى حسان إلا
 القتال فقتل ، وهرب من كان معهم
 فدخل الجيش الحصن وأجار خالد
 أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله
 على أن يفتح له دومة الجندل ففعل
 وصالحه خالد على أشياء سماها له .
 فقال شاعر من طيء حضر المعركة .

سفرنا هذا من أجر وحسبة ثم وافاه خالد بن الوليد قادماً من دومة الجندل ومعه أكيدر وأخوه فصالحه على الجزية وحقق دمه ودم أخيه وخلي سبيلهما . ويحكى أنس بن مالك - وكان في الغزوة - يقول: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه . (القباء من ديباج مخصوص بالذهب) فقال رسول الله : - أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا :

وكان هذا توجيهاً سديداً من الرسول لأصحابه حتى لا تغرهم الدنيا فيجعلوا همهم إليها ، وأراهم نعيم الجنة لمن سبق منهم إلى دار البقاء مشيراً إلى الشهيد سعد بن معاذ ، لتكون القدوة ماثلة والزهد حاضراً .

انتهت الغزوة على الصورة التي قد منها ، وبيننا مالتى الرسول فيهما من الصادقين والمنافقين ، ولها نتائج يطيب لى أن أتحدث عنها من واقع الأحداث . لم تقع مواجهة بين المسلمين والروم في تلك الغزوة ، ولكنها أعطت انطباعاً في قلوب قيصر ومن معه ، وجعلتهم يحجمون عن الإغارة على الجزيرة العربية ، وقد دخل أمير دومة الجندل

في حوزة الإسلام وكذلك صاحب أيلة ، وبذلك عرفت حدود الدولة حينئذ ، ومن هنا يتسنى للنبي وأصحابه أن يواجهوا الجزيرة العربية بأسس الإسلام وقواعده من هنا تأمير أبى بكر للحج في هذا العام ، وإعلان على بن أبى طالب القبائل في يوم الحج الأكبر أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وأن من له عهد من الكفار فعنده إلى مدته . . . وتهايا الزمان ليؤدى في العام المقابل رسول الله فريضة الحج وقد زال الكفر وحل الإيمان وانتشر النور في كل مكان ، ولتكون تلك الحجة حجة الإسلام كما سماها السلف الصالح لا حجة الوداع كما هو المشهور .

وليتتهى النفاق ويقتلع من جذوره قال الله لرسوله :

(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) وأخذ الرسول يستقبل المعتذرين فيعذرون والله لا يعذرهم : « يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

إن النفاق قاتل لحامله ولجتمعه فصاحبه مضطر لأن يتعامل في جانبين يلقي المسلمين بوجه ويؤدى معهم الصلاة بحلة الأزهر

وضرب النبي بأمر الله النفاق في صلبه ، فأمر بهدم مسجد الضرار كما سماه القرآن ، وكان أصحابه واتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله : إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، ولو قد قدما - إن شاء الله - لأتيناكم فصلينا لكم فيه وأعلم الله رسوله أن هذا المسجد سيكون حرباً لله ورسوله ومعداً لاستقبال الفاسق أئى عامر الراهب : لذا وجب هدمه إبقاء على وحدة المسلمين ، ومنعاً للشغب ، وهذا العمل وضع المنافقين في حيز الرعب والنصب ، ومات رأس النفاق عبد الله بن أبي ، فوقف الرسول على قبره مجاملة لابنه المؤمن (عبد الله) وتحمل الرسول عتاب ربه ، قال تعالى ، يخاطب رسوله ، « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » . و يروى الرواة : أنه أسلم ألف من الخزرج لمجاملة النبي لابن هذا المنافق الفاسق . ومعنى هذا أن أعداداً كبيرة رجعت عن غيئها ، وآمنت بربها ودخلت في المجتمع الإسلامى بقلوب سليمة .

كسلان ، وينفق من ماله في النزوات مكرهاً وهذا يؤلم نفسه ويؤرق ليله ، ومن جهة أخرى يستخفى عن الأبصار ليجلس مع اليهود أو الكفار أو مع امثاله ممن هم مذنبون بين هؤلاء وهؤلاء فيقولون منكراً ويخوضون في أحاديث تحسب عليهم لألهم ، ثم هم مع هذا لم يبلغوا مبلغ الأذكياء الذين ينظرون إلى المستقبل من ستر رقيق فلو حكموا عقولهم ، وأزالوا الغشاوة عن أبصارهم لتكشفت لهم الأمور بما يسرهم ويبلهم همهم ، إن الدين قد كملت وسائله ومقاصده أو كادت ، ويوشك بعد قليل أن يكون مصدر تلقى لمن حوله ، لكنهم عموا فلا بد أن يعالجهم الرسول بثاقب رأيه ، وباهر عبقريته ، وبما يتلو عليهم من الآيات البيّنات . يقول النسفى إن المنافقين كانوا ثلثائة ، والمنافقات مائة وسبعين ، ويقول كعب ابن مالك أحد المؤمنين الصادقين الذين تخلفوا عن الجهاد : إن الذين تخلفوا كانوا اثلاثة وثمانين ومعنى هذا أن المدينة وهى دار الهجرة كانت تحتاج إلى جهاد من النبي وصحبه فإذا أضفنا من حولها من الأعراب وهم أشد كفراً ونفاقاً كما جاء فى سورة التوبة عرفنا مبلغ المعاناة ، والقدرة الكبيرة التى تواجه كل هذه الأعباء .

فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذ طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله فسكت وكرر منا شدته ثلاث مرات — فقال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي ، ثم عدت إلى السوق فبيتا أنا امشي بالسوق إذا نبطي يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه إلى أهل المدينة يقول : من يدل على كعب ابن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون له إلى حتى جاعني فدفع إلى كتاباً من ملك الشام ، فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك » قلت حين قرأتها وهذا من البلاء أيضاً قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك فعمدت بها إلى تنور فسجرت بها .

وحين تاب الله عليه فرح النبي بقبول توبته هو وزميلي ، ويشرهم المسلمون فرحين ، فقد أنزل الله على رسوله : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين

من كل ذلك أرى أن الرسول عالج الأمر بالعنف تارة وباللين أخرى حتى استقام الأمر في المدينة في هذا العام ولا ننسى موقفه من الثلاثة الذين خلفوا وهم قادرون على الغزو ، وقلوبهم مليئة بالإيمان ، فقد أقبلوا عليه واعترفوا بذنوبهم ، فجعل الرسول أمرهم إلى ربهم ، ونهى أصحابه عن الحديث إليهم أو التعامل معهم فكان هذا تأديباً له أثره في النفوس وخطره على الذين يخالفون جميعاً . والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك ومرة بن الربيع ، وهلال بن أمية وكلهم من الأنصار ، اعتزلهم المسلمون تنفيذاً لأمر النبي ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت — وضاقت عليهم أنفسهم ، ولزموا بيوتهم إلا كعب بن مالك فكان يخرج ولا يجد أحداً يكلمه ، وبعد أربعين ليلة من الاعتزال أمر النبي أن يعتزلوا نساءهم لأنهن مؤمنات حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . يقول كعب بن مالك : كنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه

والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت اعظم في نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا أكون كذبتة فأهلك الذين كذبوا ، فإن الله قال فيهم شر ما قاله لأحد قال تعالى . « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم، لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » ويقول — وهو فهم عظيم منه : وليس الذى ذكره الله من تخلفنا من الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عمن خلف واعتذر إليه فقبل منه . وهذا الأمر شغل أهل المدينة خمسين ليلة ، ولا ريب أنه ترك أثراً في كل سكانها فالمؤمنون زادوا إيماناً والمنافقون حاسبوا نفوسهم ، ورجعوا عن غيهم . وشيء آخر عاجله النبي فأفلح فيه

وحسمه في حينه ذلك أن المسلمين بعد أن رجعوا من تبوك جعلوا يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد انقطع الجهاد ، فبلغ ذلك رسول الله فنهاهم وقال : لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال ، وفي هذا العام جاءته الوفود من أنحاء الجزيرة العربية .

وهكذا كانت تلك الغزوة معلماً من معالم الدعوة ، ومنهجاً من مناهجها استكملت بها أركانها من صلاة وصيام وحج وزكاة ، وجهاد في سبيل الله — لا ينقطع ما دامت كلمة التوحيد تجمع المسلمين في كل مكان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . لذا ختمت سورة براءة بقوله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تولو فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وقد فهم خلفاؤه من بعده هذا الكلام فبلغوا به ذروة المجد في الدنيا ، ومناط الحمد في الآخرة وما زلنا في حاجة إلى الاقتداء بهم ، وبين يدينا كتاب الله وسنة رسوله ، ولن نضل ما تمسكنا بهما أبداً .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

السيد حسن قرون

الفراغ الديني ورسالة التصوف

الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي القرني

لا تكف الصحف والمجلات في الآونة الأخيرة عن ترديد كلمة « الفراغ الديني » كأنها مشكلة نشبت حديثاً ولم يكن لها وجود سابق قبل أن تنفجر الأحداث الأخيرة .

والحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان هي أن الفراغ الديني مرض صاحب المادية في زحفها على الشرق من الغرب ، وكان نتيجة لهذه الحمى المجنونة للقوة والسرعة وسيطرة المال وشهوة التسلط والجشع . لقد كان الفراغ الديني ميراثاً من مخلفات الحضارة الغربية التي عنيت بالمظهر دون الخبر ، وبالعرض دون الجوهر ، وكان من جراء ذلك أن تسابق الناس فيما لا طائل تحته ، وعنوا باختراع كل ما يكفل الغلبة والقوة والسيطرة دون اعتراف أو تفكير فيما يحقق الأمن ويكفل الأمان ويرفع من شأن الإنسان .

والحق الذي لا مرية فيه أنه لم

يتم التمكن للإنسان في عصر من العصور كما أتيح له في هذا العصر ، فهو قد قبض بيده على ناصية العلم يسخره في تحقيق كمالياته كما يشاء . . . ولقد بلغ من تمكنه أن وصل إلى أرض القمر يذرعه بقدمه جيئة وذهاباً ، ووصل به الفكر إلى قمة الخيال ، بل فاق الخيال ، وأخرجت المطابع - وما زالت تخرج في كل يوم وساعة - آلاف الكتب والمقالات من نتاج العقول وابتكارات الخيال ، ومن بين هذا النتاج كتب دينية لا حصر لها . . . كان في الإمكان أن تنير الطريق وتوضح المسالك وتهدى المسيرة ، وكثير من هذا النتاج رائق الأسلوب مشرق العبارة ، هذا إلى جانب ما تقدمه موجات الأثير من كلمات منيرة وبرامج مثيرة . . . ومع ذلك فقد ازدادت الأرواح جذباً والقلوب فقراً والعقول فراغاً . . . وما زلنا نمد أيدينا صباح مساء إلى ما يملأ

هذا الفراغ دون جدوى . لقد تقدم العلم حقاً ولكنه لم يقدم للإنسان حاجته من الحكمة الهادية والرحمة الحانية والدعوة الصافية ، إنه فصل بينه وبين الدين بسد منيع من المادية التي تلهي ، والمظهرية التي تغطي والنفعية التي تعمى ، لقد عادى العلم الدين حتى أصبح كل منهما في واد بعيد عن الآخر ، وحتى وصلت هذه العدوى إلى علماء الدين أنفسهم ، فأصبح الدين عندهم شكلاً ، وشعائره رسوماً ، وحقائقه مجرد مثل من المثل العليا التي يعبر عنها بأنها مطمح فوق إمكانية الوصول وغاية بعيدة المنال .

هذه الحيرة ما أسبابها :

لقد أفاق العلماء والمفكرون أخيراً على أحداث جسام ذكرتهم بما يجب عليهم ، وكانت فجيعتهم في أحد العلماء الأعلام بصورة بشعة شرارة ألهمت الخواطر حول ما يجري في نفوس الشباب من أعاصير الحيرة والضيق . ولقد صنع هذه الحيرة أسباب كثيرة أهمها - كما أشرت - تلك المادية الزاحفة التي أكلت كل غذاء للروح في طريقها ، والتي وضعت على العيون والعقول غشاوة لا ترى إلا بها ، ولقد غدا

كل ما يشغل البال هو جمع المال لا يبالي أن يكون جمعه من حرام أو حلال . ومنها افتقاد القدوة الطيبة التي يقتدى بها الشباب ، فليس أمامه ذلك المثل الكامل الذي يملأ سمعه وبصره نوراً وقلبه يقيناً . ومنها هذه الأفكار الواردة والتيارات العاصفة التي تملأ طريق الشباب بالأشواك وقلبه بالشكوك ورأسه بالأوهام ، ويظهر هذه الأفكار ويروج لها شياطين من الإنس همهم إشاعة البهتان والتعمية على الحق في كل ميدان . ومنها هذا الخجون الظاهر والفساد الرائج واللهو السائد والأغلال المتسلطة .. حتى أصبح كل ذلك هو القاعدة والعازف عنها هو الشاذ ، وما أقل هذا الشاذ ، وما أضعف رأيه وأسفه عقله في نظر الناس ، لقد أصبح في هذا العصر سخرية الساخر وضحكة العايب . ومنها وسائل الإعلام التي زينت الفساد بمختلف الألوان وقدمت للشباب مثلاً لا تتفق وقواعد الدين ومبادئ الأخلاق ، ولا تخلو دار من جهاز من أجهزة الإذاعة بنوعها ، ومن صحيفة أو مجلة ، ولا يكاد يخلو شارع أو حي من دار للخيالة أو ملهى من الملاهي .. وكل ذلك يسهم بنصيب في نفث السموم وبث الضياع .

وما العلاج إذن ؟

لقد طرحت هذه القضية للبحث وتناولتها أقلام الكتاب والعلماء ، فمنهم من حمل المسؤولية للمسجد ، ومنهم من حملها للمدرسة ، ومنهم من حملها لوسائل الإعلام ، ومنهم من حملها للبيت ، ومنهم من حملها لروح العصر وهكذا بحث من بحث عن المشجب الذى يعلق فوقه الثوب . . ولكن الأمر أكبر من ذلك ، فليست المشكلة فى البحث عمن يتحمل المسؤولية ولكن فى البحث عن كيف يتحمل المسؤولية .. حقاً إنها مسؤولية هؤلاء جميعاً . ولكن كيف يتمكن كل من هؤلاء أن يتحمل المسؤولية ؟ . . إنه لابد من إحياء الروح الدينى فى النفوس وإشاعته فى نواحي المجتمع المختلفة ، وبعث الطاقة الإيمانية الدافعة إلى العمل والمحافظة على تعاليم الدين السمحة ومبادئه الكريمة . . أما إحياء هذا الروح فذلك هو جوهر رسالة التصوف . .

ضرورة إحياء التراث الروحى :

إن المصلحين فى مختلف العصور لم يستطيعوا أن يغفلوا التنبيه لدور التراث الروحى ووجوب الانتفاع به فى خلق

ومنها هذا التأرجح القائم بين شخصيتين مختلفتين . إحداهما من صنع التراث العربى المفقود الذى له عبيره الفواح ، والأخرى من صنع هذا الحاضر الذى اشتركت فى صنعه عوامل متناقضة قد تغرى ببريق متوهج ولكنه لا يضىء ، ولقد نتج عن ذلك أن أصبح المسلمون غرباء ، وغربتهم — كما يقول الدكتور عون الشريف فى مقال أخير له — مزدوجة . فشبابهم الذين تربوا بعيداً عن التراث فى مناهج التربية الحديثة مبتورون عن جذورهم غرباء عن أصول حضارتهم ، وهم فى كثير من اتجاهاتهم العقلية والسلوكية يرددون صدى المنجزات التى تتحقق فى أرض غير أرضهم ، ويتمسك أكثرهم فى ذلك بدعوى عالمية الحضارة . . وبعضهم مبتورون عن روح العصر بحكم ثقافتهم المتخصصة ، وهم فى نفس الوقت مبتورون عن روح تراثهم الذى كان يتخذ الدين قاعدة الانطلاق فى آفاق المعرفة . ومن هنا برز الانفصام فى شخصيتهم .

هذه بعض أسباب الحيرة والفراغ ، وكان لذلك أثره المروع الذى ملأ الحياة ألماً وحسرة وضياً . .

وهذا فهم خاطئ للتصوف والمتصوفة
فالتصوف في حقيقته سمو ورفعة وتعطش
دائم للمعرفة ، ونزوع للخشية ، وملازمة
للتقوى ، ومجانبة للهوى ، ومراعاة
للإخلاص . .

هو مشاهدة للحقائق ، وابتعاد عن
التواكل ، ومراقبة دائمة ، ومحاسبة
ملازمة ، وتحل بمكارم الأخلاق ومحاسن
الصفات ، ونأى « عن سفاسف الأمور
وتفكر » في عواقبها .

هو فكرة مشتعلة ، ويقين كامل ،
وشوق متقد ، وحب لله لا تنطفيء
جذوته ولا تخدم شعلته ، هو عمل
متكامل لخيرى الدنيا والآخرة في ضوء
قوله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
وأحسن كما أحسن الله إليك » وهو
نشاط متواصل .

المتصوفة هم الذين عرفهم السيد
محمود أبو الفيض المنوفى في كتاب
المدخل إلى التصوف الإسلامى بقوله
« المتصوفة هم الختمة على الله همهم ،
المتعلقة بعظمته وحكمته ألبابهم ، الذين
لا تشهد سوى الله أسرارهم ، وليس
إلا إياه غدوهم ورواحهم . . فهم أحكم
الناس وأعقلهم ، وأقرب الخلق إلى
الحق وأكرمهم لأنهم أتقاهم » . .

مجتمع مثالى خال من العقد والفساد ،
ولئن فشل بعض هؤلاء فى تحقيق
ما يريدون فإنما يرجع هذا الفشل إلى أن
شعارهم الذى يرفعونه لم يتحول إلى
تطبيق عملى وحقيقة واقعة .

ولا شك أن التسليح بالقيم الروحية
يخلق طاقة دافعة للتقدم ، وعزيمة قوية
على الإصلاح . . ومن أجل ذلك كان
المعرضون — ولا يزالون — يحاولون تحطيم
هذا السلاح الروحى بوسائل مختلفة ،
من بينها خلق التفسيرات التى تجعل
الدين يتصادم مع الحياة . . ومن قبيل
ذلك ما يرمون به التصوف من جمود ..
وتخلف . . وأنه يقف حجر عثرة فى
طريق التقدم والازدهار ، وأنه لكى نتقدم
إلى الأمام لا بد أن نتخلص من ثقله .
ولقد قال ذلك من قاله لأنه يعتقد
أن الحياة يمكن أن تتقدم على المادة
فحسب . . ولقد جرب العالم كله ذلك
فوجد الحياة لا تثمر فى ظل المادة
سوى الشوك والحنظل ولم تؤد إلا إلى
الحيرة والضباب .

قال ذلك لأنه يعتقد أن التصوف
إنما هو « دروشة » وسلبية وخمول وكسل ..
وأن المتصوفة جميعاً هم أصحاب الشعور
الشعواء المرسلة والملابس المهلهلة والعبارات
الشاطحة والغيبيات الجاحمة . .

إن الذين دخلوا غمار المتصوفة وليسوا منهم أو ليسوا متخلقين بأخلاق التصوف حقيقة لا ينبغي أن يحسبوا على التصوف فى شىء ، وليس من أجلهم نرمى التصوف بكل نكير ونصم أتباعه بكل سوء ، ولكن علينا أن نكون موضوعيين فى نظرتنا إلى التصوف وأهله ولا جدال - كما تقول مقدمة كتاب اللمع للطوسى - ان التصوف ابتلى كما ابتليت المعارف الإسلامية كلها بالدخلاء والأدعياء سلوكاً وقولاً ، ولهذا نجد أئمة التصوف منذ القرن الثالث الهجرى وهم يحذرون وينذرون ، والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية وهى : أنهم علماء قاموا بشرط العلم ثم عملوا به ثم تحققوا فيه العمل فجمعوا بذلك بين العلم والحقيقة والعمل ، ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ نماذج للجلال الخلقى والروحى ونماذج للكمال التعبدى والإيمائى ونماذج عالية سامقة فى أفق العلم والمعرفة كما يقول ماسينيون : إن رجال المعرفة الصوفية فى الإسلام كانوا دائماً النماذج التى تقدم لنا الصورة الحية للمفكرين الكبار فى الإسلام .

وكيف إذن ندرك الغث من السمين :

والغيورون على التصوف الآن لا يبرئون أصحاب الطرق الصوفية من الشوائب التى تسربت إلى التصوف عبر عصور الضعف والاضمحلال الفكرى والحضارى - كما يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى فى مقال له بصحيفة الأهرام - حتى غلب على المتصوفة ما غلب على غيرهم من رجال الدين من العناية بالشكليات والرسوم التى لا صلة لها بجوهر التصوف ، وهذا الأمر هو الذى حدا بهؤلاء الغيورين إلى أن يعقدوا المؤتمرات لوضع حد للأخطاء التى يتردى فيها بعض المتصوفة عن قصد أو غير قصد ، حتى انتهت مؤتمراتهم إلى وضع قرارات وتوصيات وجدت طريقها إلى مجلس الشعب الذى صاغ لائحة جديدة لأبناء الطرق الصوفية وهى لائحة تبشر بالخير ان طبقت تطبيقاً صحيحاً ، ومن هنا يمكن إدراك الصوفى الحق من غيره ، فالصوفى الحق هو الذى يرمى بقصده إلى الله ، هدفه الأسمى تعمير باطنه وتنوير قلبه وتحرير نفسه من اسار شهواتها حتى تكون جذيرة بمعرفة الله . أما غيره فعنى بتزيين مظهره وتكثير

وفيوضاته الربانية ، ولرجاله الذين نرجو
أن ترسم خطاهم عزم راسخ وإرادة
صلبة ومثالية نادرة وإخلاص عظيم .

أتباعه وتحسين سمعته عند الناس جلباً
للثناء وطلباً للعطاء .

التصوف المستنير ورسالته :

إن احتياجنا إلى التصوف لا يقف
عند حدودنا وما تستوجبه ظروف بلادنا
من أعباء تتطلبه ، ولكن العالم كله من
أقصاه إلى أقصاه يشعر بحاجة الشديدة
إلى الدفعة الصوفية الملهمة لتسد طريقه
وتحرس خطاه ، لقد أفلست القوى
المادية وشعرت بقصورها عن تحقيق
السعادة للناس ، وآن للقوى الروحية أن
تأخذ طريقها الصحيح بين الشعوب وتنبأ
مكانتها العالية بين الأمم ، والثورة الروحية
التي يتوق إليها المصلحون تعني إنطلاق
القوى الصوفية السليمة في جميع جوانب
الحياة حتى تمتلئ قوة وعزة ، وعفة ونقاء
وصفاء وإخلاصاً ، لقد كان الروح
الصوفي هو القوة الكامنة وراء العزة
الإسلامية التي لم تهزم أمام الدنيا ، ولم
تزل حيال بريقها ولم تلن أمام وثبات
الجاهلية الباغية وحشودها عبر السنين
والقرون كما يقول صاحب كتاب اعلام
التصوف .

ولا يغفل أحد دور التصوف الحق
في بث الإيمان في نفوس الشباب وإثارة
الحماس الديني في قلوبهم ، وتبديد
البأس من حياتهم ، وإيقاظ جذوة
الشعور المبني على أساس من الحب
الملهم — الحب لله ولرسوله وللناس جميعاً
ذلك لأن التصوف له روحانيته القوية
ومبادئه السمحة وصفاءه المشرق وعزماته
الماضية مما يجعل له عصاً سحرية تنفذ
إلى الأعماق وتمس شغاف القلوب ،
فتبديد ظلمات النفس وتجعل العمل الذي
يقوم به الفرد خالصاً لوجه الله لا يبغي
من ورائه جزاء ولا شكوراً .

إننا لم نشعر بحاجةنا إلى التصوف
أكثر من حاجتنا إليه اليوم ونحن نبحث
عن أسباب الفراغ في نفوس الشباب ،
ونحن نرمي إلى إعادة بناء نهضتنا ومستقبلنا
ونحن نتطلع إلى سد الثغرات والانقسامات
والخلافات بين أبناء الإسلام في مشارق
الأرض ومغاربها ونحن نقاوم حملات
الإلحاد والتشكيك ونزعات الكفر
والتضليل ، فللتصوف إلهاماته القوية

إن الاتجاه المادي الذي يسيطر على
العالم اليوم ويدفعه إلى التسابق المجنون
في شتى ميادين الصراع يحتاج دائماً

إلى قوة تكبح جماحه ، ولن تكون هذه القوة إلا فى الاتجاه إلى الأفق الأعلى ، حيث يشعر الناس بالأمن والراحة والصفاء حيث ينسى الإنسان أحقاده وآلامه وشراسته ولا يذكر إلا أنه عبد ضعيف لا حول له ولا قوة . إن الإنسان الذى يملأ الدنيا ضجيجاً يصبح فى منتهى الذلة والمسكنة حينما يتعرض لأزمة أو تصيبه وعكة أو تضطرب الخطأ فى طريقه وحينئذ لا يجد مناصاً من أن يهتف من أعماقه طالباً النجاة فى حمى مولاه .

وهذا الاتجاه الإجبارى إلى الله إنما يفعله أهل التصوف طواعية بدافع الحب الذى يسيطر على قلوبهم نحو مبدع الوجود وخالقه ، لقد عرفوا الله بالحب فأبدلهم بالخوف أمناً وبالأضطراب اطمئناناً وبالقلق أنساً .

لم يعد هناك أمل فى إنقاذ الشباب إلا الروح وهذا واجب التصوف ، فبعد أن أفلت المذاهب والفلسفات فى الشرق والغرب لن تجد مفراً من أن تولى وجهها نحو جوهر الإسلام وحقيقته ، ذلك لجوهر الذى يكمن فى التصوف لأنه يعنى بذلك تمام العناية .

آثار فقدان القوة الروحية :

لو أن القوة الروحية هى التى توجه أنظار القادة والساسة فى العالم لما حدث هذا الصراع الدامى والمؤامرات المتفشية والقلق والاضطرابات التى تفزع الآمنين فى كل مكان ولما ذهبت بلايين (الدولارات) أدراج الرياح فى كشف لا تسمن ولا تغنى من جوع ولوجهت إلى ما فيه خير الإنسانية جمعاء ولا استطاعت أن تحل مشكلات الجوع والفقر والتخلف التى تسود بقاعاً مختلفة وتقتل أقواماً وتضعف آخرين .

إن التسابق المحموم نحو المادة يقضى فى عرفه اللا أخلاقى أن تهدر الغلات وتقذف المنتجات الزراعية فى المحيطات ويعاد إلقاء الأسماك إلى البحار بعد اصطيادها حتى لا تكون كثرتها سبباً فى تخفيض أسعارها .

فلو أن هناك قوى روحية توجه أسلوب العمل والحياة لما تردى هؤلاء إلى هذا الدرك من النفعية المزرية والاستغلال المقيت . وهذه أمثلة طفيفة لما يسود العالم ولا علاج لذلك وغيره إلا التصوف الحق ، فهو الذى يرفع الناس فوق ضعفهم البشرى ويمكنهم

من السيطرة على شهواتهم ورغباتهم المحمومة .

إن دعوة الإصلاح لا تثمر إلا إذا كانت نابعة من صميم قوم انتصروا على شهواتهم وارتفعوا إلى مستوى الأعمال النورية الناضجة ، والتصوف هو الذى يحقق ذلك بتربيته الصحيحة وقدرته الكريمة ومثاليته الفريدة . ذلك أن التصوف هو كما يظهر أمثلة لا تحصى من الأقوال والأفعال نذكر بعضها :

قال الشبلى : التصوف هو التألف والتعاطف والحرية هى حرية القلب .
ومن أقوال الخلدى : الفتوة الصوفية احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين ، وسعى الأحرار لإخوانهم لا لأنفسهم أما الجنيد فيقول : التصوف هو العلو إلى كل خلق شريف والعدول عن كل خلق دنى .

والصوفية القدامى كانوا صورة مثالية فى الإيثار والود والتعاون والاهتمام بأمر الخلق استجابة للأثر الوارد من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

المتصوف الذى نريده :

ولكننا إذا دعونا لأن يأخذ المتصوف زمام المبادرة وأن يتسلم راية القيادة

فعلينا أن ندعوه هو أولاً بأن يحقق روح التصوف فى نفسه ، بمعنى أن يكون صورة صادقة للصوفى الحق الذى رأيناه فى الحسن البصرى والفضيل بن عياض والحارث المحاسبى وحجة الإسلام الغزالى وأبى الحسن الشاذلى وعبد الوهاب الشعرافى ومحمد عبده وأمثالهم ممن تركوا فى الطريق الصوفى آثاراً طيبة تشهد بحسن ريادتهم وعظمة قيادتهم .

لا نريد من المتصوف أن يكون رسماً بدون حقيقة وشكلاً بدون مضمون وظلاً حائلاً بدون جوهر نريده أن يكون صورة للإشراق والسمو والرفعة والعمل الحق الدءوب حتى يظهر أثره السريع الواضح بين أتباعه ومريديه .

إن الصوفى الحق هو الذى ينطق الكلمة إذا بها شعلة حية مضيئة تضى قدماً إلى قلوب السامعين وتنطبع فى أرواحهم ، ذلك لأنها خرجت من فم مؤمن بما يقول فعال لما ينطق حريص على الصدق فى القول والعمل والنية ، ولقد سئل أحد الصوفية : ما بالك تعظ فيبكى كل الحاضرين وواعظ المدينة يعظ فلا يبكى عند سماعه أحد ؟ فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

مد دينى يبشر بصلاح الأمور وجدير
بالتصوف أن يأخذ مكانه فى هذا المد
لتكون اليقظة الدينية مبنية على أساس
روحى متين . لقد آن الأوان ليدرك
القائمون بأمر التصوف واجبهـم الروحى
الكبير فى قيادة هذا الشباب الحائر وفى
شغل فراغه بما يملأ نفوسه يقيناً ويشبع
أرواحه من زاد التقوى والصلاح .

إن الهدف الذى يشغل بال الصوفى
هو معرفة الله والوصول إليه وإشاعة
الحب بين الناس ولقد أسهر الصوفية
ليلهم وأظلموا نهارهم فى سبيل هذه
الغاية السامية ، وهيهات أن يشعر عارف
الله بفراغ .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

نريد أن يكون المتصوف إماماً فى
الزهد الإيجابى والمعرفة والتقوى والصلاح
وأن يكون شعلة متقدة لا تنجو من
الإصلاح والهداية ، وقودة طيبة فى
العمل الحى واليقظة الكاملة .

لا نريد أن يكون المتصوف عالة على
غيره جاهلاً فى قوله وفعله ، أداة تحطيم
للفنوس الواعية والقلوب العاملة .

نريده أن يكون جامعة إسلامية
عميقة يطمئن إليها المجتمع ويهتدى بهديها
ويقبس من لآلائها ، ولا نريده أن
يكون انطوائياً انزالياً داعياً إلى الهزيمة
والهروب أمام المسئوليات .

إننا الآن على الرغم مما يمر بنا فى

فى الصدق

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« إن الصدق يهـدى إلى البر ، وإن البر يهـدى إلى الجنة ،
وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن
الكذب يهـدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهـدى إلى النار ،
وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .

روح الحق في إنجيل يوحنا وهل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم :

المستشار محمد عزت الطوطاوى

إلا أن هذا الرأى لم يلق قبولا من جانب بعض طوائف النصرانية لذلك نشر أحد كهنتهم وهو الدكتور غرينوريوس تعليقا في صحيفة الجمهورية بتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٧٨ خلص فيه إلى أن سياق الحديث في النص الوارد بإنجيل يوحنا السابق الإشارة إليه عن روح الحق هو عن (الروح القدس وليس عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام بناء على تحقق وعد المسيح عليه السلام لتلاميذه ورسله وحوارييه عنه في يوم الخمسين كما أورده سفر أعمال الرسل في إصحاحه الثانى .

وقد حرر الدكتور محمد السنباطى مقالا آخر وافيًا تحت عنوان بيان وبيان بتاريخ ١٣ / ٣ / ١٩٧٨ ورد فيه أن النص المذكور يشير في تفسيره إلى أن روح الحق هو محمد عليه الصلاة والسلام وذلك بناء على شهادة كبار الدعاة

سبق للدكتور محمد السنباطى المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر أن حرر مقالا نشرته جريدة الجمهورية القاهرية في عددها الصادر يوم الجمعة ١٧ من فبراير سنة ١٩٧٨ تحت عنوان (رسول السلام لكل البشر) بمناسبة المولد النبوى أورد في هذا المقال فصلا من إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٦ عدد ١٣ ، ١٤ قوله على لسان المسيح عليه السلام (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية ذاك يمجدينى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم) . وانتهى الدكتور محمد السنباطى فى مقاله إلى القول بأن المسيح عليه السلام فى هذا النص إنما يحدث عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام (فمحمد هو نور الحق والحق هو السلام) .

(روح الحق) هو (روح القدس) قول لا دليل له عليه وفيه تحميل للنصوص بما لا تحتل والروح القدس كما فسرهُ الفيلسوف المسيحي سبينوزا في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) يعنى الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله - أما عن روح الحق فهو ليس بهذا المعنى والحقيقة أن (روح الحق) نبي لإنسان كما يشير النص به - وقد وضعه القديس يوحنا نفسه صاحب الإنجيل في رسالته الأولى بالإصحاح ٤ عدد ١ بذلك في قوله :

أيها الأحماء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم - بهذا تعرفون روح الله .

وقد استكمل القديس يوحنا ذلك الإيضاح بدقة في عدد ٦ من تلك الرسالة بقوله (من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال) أى من هذا نعرف النبي الصادق من النبي الكاذب ويكون ذلك بعد اختبار هؤلاء الأشخاص وامتحانهم

وفما ذكره السيد المسيح عليه السلام طبقاً لما ورد عنه بالإصحاح ١٦ عدد ١٣ بإنجيل يوحنا في قوله (لأنه لا يتكلم

والباحثين المسيحيين من أمثال (الأستاذ إبراهيم خليل) الذى كان أستاذاً للعقائد بكلية اللاهوت بأسبوط وقسيساً مبشراً بالإرسالية الألمانية في أسوان سابقاً - في كتابه (محمد في التوراه والإنجيل والقرآن) - كما أورد شهادة الأستاذ (بشرى زخارى ميخائيل) في كتابه (هكذا بشرت الأنجيل) .

ولئن كان في المقال القيم للدكتور محمد السنباطى الكفاية إلا أننى أرى من واجبي خدمة للبحث العلمى أن أضيف النقاط الآتية :

يذكر الدكتور غرينوريوس (أن سياق الحديث يشير إلى أن روح الحق هو الروح القدس بناء على تحقق وعد المسيح عليه السلام لتلاميذه ورسالته وحواريه عنه في يوم الخمسين لقيامته من بين الأموات) طبقاً لما ورد في سفر أعمال الرسل في إصحاحه الثانى وبالرجوع إلى هذا الإصحاح الثانى في سفر أعمال الرسل يتبين أنه لا يشير من قريب أو من بعيد إلى أن روح الحق هو روح القدس - بل إن عبارة (روح الحق) لم ترد إطلاقاً في الإصحاح المذكور - لذلك كان ماذهب إليه الأنبا غريغوريوس في تفسيره من أن

وشهد بطهارة أمه السيدة مريم بعد أن أنكر اليهود الرسالة والنبوة على السيد المسيح وطعنوا في شرف أمه .

قد يقول قائل إن النص الوارد في الإصحاح الرابع عشر عدد ٢٦ من إنجيل يوحنا يقرر أن (المعزى هو الروح القدس) وذلك في قوله (وأما المعزى الروح القدس) .

إلا أنه بالرجوع إلى الأصل اليوناني لذلك النص وهو أساس ترجمة إنجيل يوحنا إلى كل لغات العالم ومنها اللغة العربية نجد أن أصل تلك العبارة (Hepikhator) وقد ترجمت إلى باقي اللغات الأجنبية بعبارة (pericletos) ورسمت باللغة العربية (البارقليط) في طبعاات الكتاب المقدس القديمة وتعني هذه العبارة في معناها الحرفي (أحمد) وهو من أسماء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأمهته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ومفتاح صلاتهم الحمد لله - ومن ذلك نتبين أن المعزى هو روح الحق وليس الروح القدس (وقد قام بهذا التحقيق اللفظي للعبارات السابقة الباحث المسيحي الرحوم زكى النجار في أبحاثه التي ضمها كتابه (المنارات الساطعة في

من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية) قول لا يصدق إلا على إنسان يأتيه الوحي من السماء فهو لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع به من أمور الوحي يتكلم به فروح الحق طبقاً لهذا النص له صفة السمع والصفة لا تقوم إلا بذات .

وهذه البشارة ألا تصدق في دلالتها على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان إنساناً يأتيه الوحي من السماء فيبلغه للناس بعد سماعه له لذلك فهو لم يتكلم من نفسه بل كل ما سمع من الوحي تكلم به وأخبر بكثير من الأمور الغيبية طبقاً لما ذكرته واحتوته صحاح السنة المطهرة وكتب السيرة النبوية . وفي قول المسيح عليه السلام الوارد بإنجيل يوحنا بالإصحاح ١٥ عدد ٢٦ ، ٢٧ ما يؤيد القول بأن روح الحق نبي إنسان وهذا النص هو :

(ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى) فالسيد المسيح يقرر في هذا النص أن المعزى هو روح الحق ويشهد للمسيح عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم قد شهد للسيد المسيح بالنبوة والرسالة

ذلك للأسف بدلا من أن يبحث في توافق الوحي الإلهي عند المسيح عليه السلام وعند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيما أوحى إليه من آيات القرآن يفترض فرضاً غير معقول فيتهم المسيحيين بأنهم أقحموا تلك العبارة جهلا منهم في إنجيلهم بعد ظهور الإسلام وتأثرهم بالثقافة الإسلامية .

وأما عن روح القدس فإنه لا يقال له روح الحق لأن روح الحق لإنسان له صفة السمع (كما ذكرنا آنفاً) فلا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) - لكن روح القدس هو الذي كان يحل على الأنبياء عليهم السلام بمعنى أنه العناية الربانية روح الحكمة والفهم التي كانت تحل على هؤلاء الأنبياء والرسول وفي نصوص الكتاب المقدس ما يؤيد هذا القول طبقاً للآتي :

١ - ورد في مزمور ٥١ عدد ١٢ قوله على لسان داود عليه السلام .

(وروحك القدوس لا تنزع مني)

٢ - ورد في سفر اشعيا لإصحاح ١١ عدد ١ وما بعده قوله (ويخرج قضيب من جذع باسمى ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة

ظلمات الدنيا الخالكة والمطبوع سنة ١٣٦٩ هـ سنة ١٩٤٩ م .

ولقد سألت المرحوم الأستاذ عبد الوهاب النجار الدكتور (كارلونيلىو) المستشرق الإيطالى عن معنى الكلمة اليونانية السابق الإشارة إليها (Hedikharor) فقال ان معناها (الذى له حمد كثير) وهذا يوافق أفعل التفضيل في اسم أحمد ويتفق مع ما ذكره القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام لقومه في سورة الصف آية ٦ في قوله (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

وهذه المناقشة مع الدكتور (كارلونيلىو) الإيطالى أوردتها الأستاذ محمد رضا في كتابه (محمد رسول الله) ولقد بلغ من وضوح هذه العبارة ودلائلها على اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن أحد الباحثين الإنجليز وهو المستر (أدوين جونز) يذكر في كتابه (نشأة الديانة المسيحية) والمطبوع في مطبعة كيغن بول وشركاه بلندن إن عبارة (pericletos) تعنى صراحة اسم (محمد) والمسيحيون لا يمكنهم أن ينكروا ذلك ثم نجده بعد

وأن روح الحق تحوى بالإشارة أو بطريق
الدلالة البشارة من قبل المسيح عليه
السلام بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه
وسلم رسولا يأتي من بعده قال تعالى
(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم) سورة الإنعام ٢٠ .

محمد عزت الطهطاوى

والقوة روح المعرفة ومخافة الرب - ولذته
تكون فى مخافة الرب فلا يقضى
بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب
سمع أذنيه بل يقضى بالعدل للمساكين
الخ

وما تقدم يتضح بجلاء ان
روح الحق ليس هو روح القدس

فى التقوى

قال صلى الله عليه وسلم :
إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها
فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا ، وأتقوا النساء ، فإن أول
فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء .

أخطاء شائعة

الدكتور / عباس أبو السعود

انبسط وجهه ، ومن الحجاز قولك : إنه ليسطني ما بسطك ويقبضني ما قبضك : أى يسرنى ماسرك ويسوءنى ماساءك ، وفى حديث فاطمة رضى الله عنها « يسطنى ما يسطها » أى يسرنى ما يسرها ويقال : فلان بسيط اليدين إذا كان كريماً مساحاً ، والجمع بسط قال :

فى فتية بسط الأكف مسامح
عند الفصال^(٣) قد يمههم لم يدثر^(٤)
والبسطة السعة والفضيلة ، يقال فلان فى بسطة من العيش أو العلم قال تعالى « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » ، ويقال بسط فلان يده إذا مدها ، ومن هذا قوله تعالى « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك » ، كما

(٣) الفصال : الفطام .

(٤) لم يدثر : لم يندثر ، وبابه دخل ، يقال دثر الرسم يدثر دثوراً إذا درس وانمى .

٤٠١ ويصفون من لم يجرب أحداث الحياة بالبساطة ، فيقولون : هذا رجل بسيط ، كما أنهم إذا أرادوا أن يصفوا الشيء بالقلة قالوا : إنه بسيط ، وكل هذا خطأ ، لأن كلمة بسيط فعيل بمعنى مفعول أى مبسوط ، يقال : فراش بسيط ، وثوب بسيط أى مبسوط منشور ، ومنه البساط المعروف الذى يسط ويفرش على الأرض . وكذا يقال : أرض بسيطة أى منبسطة متسعة ، قال تعالى « والله جعل لكم الأرض بساطاً » . وقال الشاعر :

ولو كان فى الأرض البسيطة منهم
لخبط^(١) عاف^(٢) لما عرف الفقر

ويقال : رجل بسيط الوجه إذا كان مهتلاً مسروراً ، لأن الإنسان إذا سر

(١) الخبط : من يسأل بلا وسيلة ولا

قراءة .

(٢) العافى : طالب المعروف ، جمعه

عفاة كقفاة .

له عليهم سَلَاطة بفتح السين ، وسُلُوطة بضمها من قولهم سَلَطَ عليهم سَلَاطة كفصح فصاحة ، وظرف ظرافة .

أو يقال : له عليهم سُلطان أى تسلط وتحكم ، كما فى قوله تعالى « ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً » أى تسلطاً بالمؤاخذه وطلب القصاص ، وقوله سبحانه . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً » أى تسلطاً يكون سبباً فى انتصاركما على هؤلاء الكفرة المارقين .

وللسلطان فوق هذا المعنى معنيان آخران :

أحدهما الولى وتذكيره أغلب عند الحذّاق ، وقد يؤنث فيقال : قضت به السلطان أى السلطنة قاله ابن الأنبارى وجماعة ، وقال أبو زيد . سمعت من أثق بفصاحته يقول : أئتنا سلطاناً جائرة ، جمعه سلاطين ، وقد يطلق السلطان على الجمع كما فى قول الشاعر :

عرفت والعقل من العرفان
أن الفنى قد سد بالحيطان
إن لم يُغثنى سيد السلطان
أى سيد السلاطين وهو الخليفة
والمعنى الآخر الحجة والبرهان ، ومنه

يقال : بسط الله الرزق إذا وسَّعه وكثره ومن هذا قوله جل شأنه « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض » .

والبساطة السعة تقول : بسُط المكان بساطة كمنصح فصاحة إذا اتسع . مما أوردنا من معانى البساطة وما اشتق منها استبان أن هذه المعانى لاصلة لها بمعنى عدم الخبرة ، ولا بمعنى القلة وإصلاح تعبيرهم الأول ليؤدى المعنى الذى يريدونه ينبغى أن يقال : هذا رجل غرّ بكسر الغين أو غرّير بالفتح ، أو غير مجرب ، والأثنى غرة ، أو غريرة ، أو غربغير هاء بينة الغرارة ، والإسم الغريرة بالكسر ،

أو يقال : هو ساذج ، وهى ساذجة ، والجمع سُدَج وزان رقع .

وإصلاح التعبير الثانى يحس أن يقال : هذا شىء قليل ، أو هذا شىء يسير من يسر الشىء يسر يسراً من باب قرب فهو يسير ، أو يقال : هذا شىء تافه أو ضئيل ونحو ذاك .

٤٠٢ ويقولون : لهذا الرئيس على مرءوسيه سلطة هائلة ، يأمرهم فيأتمرون ، وينهاهم فينتهون ، يعنون قهره وشدته ، وهذا التعبير يشوبه الخطأ ، لأن كلمة السلطة عامية ، والصواب أن يقال :

ومنه قيل لما بين الكعبة والحجر الأسود ملتزم لأن الناس يعتقدونه أى يضمونه إلى صدورهم .

أما الثلاثى فإنه يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد ، تقول : لزمتم فلانا ألزمه من باب سمع لَزَمًا وَلَزُومًا وَلِزَامًا بالكسر أيضاً ، وقد يتعدى إلى المفعول بالباء فيقال : لزمتم بغريمى ليؤدى ما عليه لى .

٤٠٤ ويقولون : حظرت الحكومة التجول فى الشوارع ليلا ، وهذا فاسد ، لأن التفعُّل من الجول والجولان لم يرد عن العرب ، والفصحح أن يقال : حظرت الحكومة التجوال بفتح التاء قال الرضى : إذا قصدت المبالغة فى مصدر الثلاثى بنيته على التفعُّع ، تقول : التَّجوال فى كثرة الجولان ، والتَّسَّير فى كثرة السير ، والتَّقتال فى كثرة القتال ، كما فى قول الخنساء : فإن تكُ مرةٌ أودت به

فقد كان يكثُر تقتالها والتحنان فى كثرة الحنين كما فى قول الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

فما عجولُ على بوِّ تطيف به
لها حنينان إصغارُ وإكبارُ
لاتسمن الدهر فى أرض وإن رُبعت
ولأنما هى تحنان وتَسْجَارُ

قوله تعالى « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين » أى وحجة بالغة القوة . وقوله سبحانه على لسان سليمان عليه السلام فى الهدد . لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . أى ببرهان واضح على عذره ، وهو بهذا المعنى لا يجمع ، لأن مجراه مجرى المصدر ويقال : رجل سليط إذا كان فصيحاً حديد اللسان بين السلاطة ، وامرأة سليطة إذا كانت صحابة طويلة اللسان ، فهو مدح للذكر ، ذم للأنثى

٤٠٣ ويقولون : التزم فلان بدفع الغرامة المقررة علينا ، وهذا خطأ ، لأن هذا الفعل مطاوع لفعل ينصب مفعولين وهو ألزم كما فى قوله تعالى . وألزمهم كلمة التقوى » وقوله . « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » فلا بد أن ينصب المطاوع مفعولا به واحداً ، وهام أولاء قد عدوه خطأ بالباء فقالوا بدفع الغرامة ، والصواب أن يتعدى بنفسه فيقال : التزم فلان دفع الغرامة المقررة

ومثل هذا قولك : التزم هذا النصرانى الدين الإسلامى إذا اعتنقه ، فالدين الإسلامى مُلتَزَم بصيغة اسم المفعول ،

وقال أبو وجزة :

حَنَّ الفؤاد إلى سَعْدَى ولم تَتَب

فيم الكثيرُ من التَّحَنُّانِ والطَّرَبِ
والتطواف في كثرة الطوفان ، تقول :

جول في البلاد بالتشديد أى طرّف ، وهو
جوّالة جوابة ، وتجاولوا في الحرب تجاولوا :

جال بعضهم على بعض ، قال النابغة :

والخيلُ تعلمُ أننا في تجاولننا

يومَ الحِفاظِ أولو بُؤسى وإنعامِ

٤٠٥ ويقولون لمن كان كثير الشرب :

شَرَّيب بفتح الشين وكسر الراء مشددة ،

وعلى هذا الوزن قالوا لمن كان

كثير اللعب أو ماهراً فيه لَعَّيب ، ولن

كان ماهراً في ركوب الخيل رَكَّيب

والحق أن هذا الباب سماعي ، فقد

قالت العرب لمن أكثر أو مهر في بعض

الأشياء على وزنٍ فِعِيل بكسر الفاء

وتشديد العين مكسورة أوصافاً مسموعة

لا يقاس عليها منها :

١ - شَرَّيب لمن يشرب كثيراً ويولع

بالشراب

٢ - صِدِّيق لكثير الصدق أو دائم

التصديق ، وقد لقب بهذا اللفظ أبو بكر

رضى الله عنه فقيل أبو بكر الصديق .

٣ - حِدِيث لمن يكثر الحديث ويحسن

عرضه .

٤ - فِكَيْر : لمن يكثر التفكير .

٥ - خِمِير لمن داوم على شرب الخمر

٦ - فِسِّيْق : لمن يكثر الخروج عن

طاعة الله ، وقد قالوا : كان يزيد فِسِّيْقاً

خِمِيراً ولم يكن للمؤمنين أميراً .

٧ - شِرِير : لمن كان كثير الشر .

٨ - سِكِير : لمن كان كثير السكر

٩ - سِكَّيت : لمن كان طويل

السكوت .

أما كثير اللعب أو الماهر فيه فيقال

له لُعْبَة بالضم وزان همزة ، وتلعب ،

وتلعبه بكسر التاء فيهما ، وأما كثير

الركوب أو الماهر فيه فيقال : له :

رَكُوب وزان غفور ، وركاب وزان

غفّار كما يقال لكثير الطمع طَمُوع

وطَمَاع بفتح كل منهما .

٤٠٦ ويقولون لأصدقائهم : بين بلدنا

وبلدكم خمسُ محطات ، وبين بلدنا

والقاهرة محطة واحدة ، وهذا خطأ ،

لأن الخط هو التزول من علو إلى

سفل ، تقول حطوا الأحمال عن

ظهور الجمال يحطونها خطأ من باب رد

إذا أنزلوها ، واسم المكان مَحَطّ

وزان مفعّل بفتح الميم والعين لأنه

مصوغ من ثلاثي مضارعه مضموم العين ،

ومعناه مكان التزول ، ومثله في ذلك :

قال ابن منظور صاحب لسان العرب
في مادة (ذام) يقول أنس بن نُوَاس
الحجاري :

وكنْتَ مسوداً فيناً حميداً

وقد لا تعدم الحسنة ذاماً^(١)

وأصل الشطر الثاني لهذا البيت مثل
قالت حُبَيّ بنت مالك بن عمرو
العدوانية بعد أن تزوجها ملك غسان
لجمالها ، وكانت أعجلت عن التطيب ،
فلما أصبح الملك قيل له : كيف
وجدت أهلك ؟ قال : ما رأيت
كالليلة قط ، لولا رويحة أنكرتها ،
فقلت هي من خلف الستر : لا تعدم
الحسنة ذاماً أى لا تعدم من يذمها
ويعيبها وقال النمر بن تولب :

وأحب حبيلك حباً رويداً^(٢)

فقد لا يعولك^(٣) أن تُصرماً^(٤)

وقال صاحب القاموس : في مادة
(دغذغة)^(٥)

والدغذغة إنفعال في نحو الإبط

(١) الذام : من يعيب غيره ويذمه .

(٢) رويداً : على مهل : هو تصغير

رود بالضم .

(٣) يعولك : يثقل عليك .

(٤) الصرم : يقطع كلامك .

(٥) المدغذغة : الزغزعة وهي ضعف

الكلام والسخرية .

مَصَّب ومَحَل ، ويجمع مفعَل على
على مفاعل فيقال : محاطّ القطار ،
ومصابّ الأنهار ومحالّ الأزهار بتشديد
الطاء في المثال الأول ، والباء في المثال
الثاني ، واللام في المثال الثالث ، لأن
هذه الحروف أدغمت في نظائرها ،
والأصل محاطط ، ومصابب ، ومحالل .

وقد تلحق مَفْعَل هاء التأنيث سماعاً
كما في مقبرة ، ومزرعة ، ومدرسة ،
ومهلكة ولكن ذلك لم يسمع في محط .

٤٠٧ وينكرون أن يقال : قد

لا يعود المسافر اليوم ، معتمدين على أن
مجلة المجمع حرّمت أن يقال : قد
لا يفيد الدواء ، أى بإدخال قد على
الفعل المنفى ، ورأت أن يستبدل بهذا
التركيب : ربما لا يفيد الدواء .

ومعتمدين أيضاً على أن الفيروزابادى
قال في قاموسه : وأما قد الحرفية
فمختصة بالفعل المتصرف الخبرى المثبت
المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ،
وهي معه كالجزم ، فلا تفصل منه
بشيء ، اللهم إلا بالقسم .

والحق أن التعبير الذى أنكروه
عربى صحيح برغم ما أوردته مجلة المجمع ،
وما أثبتته القاموس إذ ورد مثله في الآثار
العربية القديمة .

والبضع والأخمَص وقد لا يكون لبعض الناس .

٤٠٨ وهم يوهمون حين يزعمون أن هناك فرقاً عظيماً في الاستعمال بين الفعلين : قضى ، وأدى ، فيقولون قضينا الصلاة إذا صلوها بعد فوات وقتها ، وأديناها إذا صلوها في وقتها المحدود شرعاً ، ويصرون على أنه لا يجوز أن يقال في الحالة الأولى أدينا الصلاة ، ولا في الحالة الثانية قضيناها .

والحق الذي لامرية فيه أن القضاء والأداء في الصلاة والدين ونحوهما متفقان وزنا ومعنى واستعمالاً ، ففي أمهات اللغة أدى فلان دينه قضاءه ، وقضى حاجته وحواله أداها وتأديت له من حقه قضيته ، وقضيت الحج والعمرة أديتهما .

وما يؤيد ذلك قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » . وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » . وقوله : « فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم » . « فقضاء الصلاة في الآيتين الأولى والثانية ، وقضاء المناسك في الآية الثالثة كل منها معناه الأداء ، ولا يعقل أن يكون حصولها بعد الخروج

من الوقت المعلوم ، وقال امرؤ القيس خليلي مرأى إلى أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب أى نؤدها وقد استعمل الفقهاء القضاء في الشيء الذى يفعل خارج وقته ، والأداء فيما يفعل في وقته وهذا مخالف للوضع اللغوى ، بيد أنه اصطلاح للتمييز بين الوقتين .

وينفرد القضاء بمعان أخر منها :
١ - الحكم كما في قولك : قضيت بين الخصمين إذا حكمت لأحدهما على الآخر ومن هذا قوله تعالى « إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » وقوله : « إن ربك يقضى بينهم بحكمه » وقوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » أى حكم بذلك وفرضه .

٢ - الموت : تقول : قضى فلان إذا مات ، وقضى الجندي على اللص إذا قتله ، وسُمَّ قاضٍ أى مميت ومن هذا اللون قوله جل شأنه : « فوكره موسى فقضى عليه » ، والقاضية الموت كالقضى وزان غنى ، وفي التنزيل « ياليتها كانت القاضية » .

٣ - الصنع والتقدير ، تقول : قضاه الله وقدره إذا صنعه وقدره ، ومن هذا قوله سبحانه : « فقضاهن سبع

سموات في يومين » .

٤ - الوصية والإنفاذ، كما في قولك :
قضى الرجل على أخيه عهداً إذا أوصاه
وأنفذه .

٤٠٩ - ويقولون : لمن لا يغار على
أهله : مُعرّس بضم الميم وتشديد الراء
وزان معظم ، أو عَرَّس وزان عدل ،
وهذا خطأ ، لأن هاتين الكلمتين -
على الرغم من أنهما عربيتان سليمتان -
تحمل كل منهما معنى لاصلة له
بالمعنى الذى أرادوه :

فالمعرّس هو المكان الذى ينزل فيه
المسافرون للاستراحة ثم يرتحلون ، اسم
مكان من التعريس وهو النزول على
الحال التى بينها ، ومنه قولهم : ما نزلوا
غير تعريسة كحسوة الطائر أى أن
النزلة كانت قصيرة ، وقول أحدهم :
مالى بأرض الهوان من مُعرّس ساعة ،
أما العرس فهو عمود في وسط الفسّطاط
والفصيح أن يؤدى المعنى الذى يريدونه
بأن يقال : هو ديوث وزان فروج ،
أو قُمعوث بالضم وزان زنبور ،
أو طَنَرع وزان كتف .

٤١٠ - ويزعم كثير من رجال الأدب
أن تجاهل فعل لازم ، متابعين مجلة
مجمع اللغة العربية حيث قالت في الجزء

الرابع : إن هذا الفعل لازم ، لأنه
بمعنى أظهر الجهل وليس بجاهل ،
ومعتمدين على أن معاجم اللغة لم تذكره
متعدياً والحق أنه ورد متعدياً في كتب
الأدب بمعنى جهله ، كما ورد ضده
وهو تعالم متعدياً بمعنى علمه .

١ - فى الجزء الرابع من تاريخ
الطبرى ص ١٥٨ كتاب لعمر بن العاص
يرد فيه على أربطون قائد الروم بالشام
يقول فيه :

جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى
قومك ، لو أخطأت خصلة تجاهلت
فضيلى وقد علمت أنى صاحب فتح
هذه البلاد . . . إلخ .

٢ - وفى ترجمة مجنون بنى عامر فى
الأغانى ص ٥٩ من الجزء الثانى : خبر
حبيبين يتعاتبان .
فيقول لها :

غدرت ولم أغدر ونحنت ولم أحن
وفى بعض هذا للمحب عزاء^(١) .
جزيتك ضعف الود ثم صرمتنى
فحبُّك من قلبى إليك أداء^٢
وتقول له :

تجاهلت وصلى حين جدت عمايتى^(٢)
فهلا صرمت الحبل إذ أنا أبصر

(١) صرمتنى : قطعت كلامى .

(٢) عمايتى : بلجيتى وغوايتى .

ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته
نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ موفرٌ
ولكني آذنت بالصرم بغتة
ولست على مثل الذى جثت أقدر
٣- وفي معجم الأدباء ص ١٦٢ من

الجزء الثامن عشر خطاب لأبي محمد بن
الحسن الخاتمي ، شافه به المتنبي ، ليدفعه
عن غروره ، ويوضح عيوب شعره
قال في تهكم لاذع ، وسخرية ساخرة :

يا هذا . إذا جاءك رجل شريف في
نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه
صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطان لم
تعرف موضعه ، فهل العز تراث لك دون
غيرك ؟ كلا والله ، لكنك مددت الكبر
سترًا على نقصك ، وضربت رواقًا دون
جهلك إلخ

ولم يعقب أحد من النقاد على ما جاء
في الأغاني ، أو في خطاب الخاتمي
ويُستأنس لجواز تعدية هذا الفعل بأن
العرب تحمل الشيء على ضده ، وما دام
قد ورد في المعاجم أن تعامل بمعنى علم
متعدية ، فلا مانع من قياس ضدها
عليها ، فيكون تجاهل بمعنى جهل
متعدياً .

إذاً لا عليك يا أمير الشعراء حين قلت :
فإن تجاهلته ذلك رب القلم

٤١١ ويقولون : ملأنا الغرارة بالحنطة ،
وملأنا الحُب بالماء ، وهذا خطأ مبين ،
لأن الباء لا تستعمل مع هذا الفعل ،
ولتأدية المعنى الذى يبتغونه ينبغي لنا أن
نستعمل أحد أسلوبيين :

أحدهما : أن نستبدل بالباء كلمة
(من) فنقول : ملأنا الغرارة من الحنطة ،
وملأنا الحب من الماء ، فالغرارة ملأى
وملأنة ، والحب مملوء وملآن ، وأوعية ملاء
قالت العرب : فلان مملوء من الكرم ،
ولم تقل مملوء بالكرم ، تقول : نظرت إلى
صديقي فلأت منه عيني ، ولا تقل ملأت
به عيني ، قال النمر بن تولب :

ألم ترها تريك غداة قامت
بملء العين من كرم وحُسن

وفي الحديث « املئوا أفواهكم من
القرآن » .

والميلء بالكسر ما يأخذه الإناء إذا
امتلاً ، تقول : أعطه من العسل ملء القدح
أوملأيه أو ثلاثة أملائه ، وحجر ملء
الكف وحجارة أملاء الأكف قالت
امرأة من بني حنيفة :

فإن تمنعوا منا السلاح فعندنا
سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

أمراً حتى تشهدون» والآخِر الخُلُق ،
ومنه الحديث أنه قال لأصحابه حين
ضربوا الأعرابي « أحسنوا أملاءكم »
والممالة المساعدة والمشايعة ، تقول :
مالأت فلاناً ممالة إذا ساعدته وعاونته
وفي الحديث « والله ما قتلت عثمان ولا مالأت
على قتله » .

والملىء هو الغنى المقتدر ، جمعه ملاء
تقول : هو أملاء القوم أى أقدرهم وأغناهم
والملاءة بالضم الربطة ، جمعها ملاء
بحذف الهاء تقول : عايمها ملاءة الحسن ،
قال ابن ميادة :

بذتهم^(٣) مياة تميد^(٤)

ملاءة الحسن لها جديد

٤١٢ ويسمون الماء الذى يمرق من اللحم
إذا غلت به القدر (شربة) بضم الشين ،
وهذه تسمية خاطئة والصواب أن يسمى
بأحد اسمين . أحدهما المرق بالتحريك
والمركة أخص منه .

تقول : أمرفت القدر ومرقتها
بالتضعيف إذا أكثر مرقتها ، ولحم
مرق إذا كان دسماً جداً يكثر المرق ،
وأطعمت ضيوفى مرقه مرقين وهى ماء
القدر يعاد عليه اللحم مرات ، وأصله

جلاميد^(١) أملاء الأكف كأنها
رءوس رجال خلقت^(٢) بالمواسم
والأسلوب الآخر : استعمال التمييز
وهو أجود ، تقول : ملأنا الغرارة حنطة ،
وملأنا الحب ماء ، ويقال : : فلان
يملاء العين حسناً .

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى :
« لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً
وللث منهم رعباً » وقوله « وأنا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً »
وقوله « فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهباً ولو افتدى به » .

قال أبو حاتم : يقال : حب ملآن ،
وقربة ملأى ، وجباب ملاء بالكسر ،
قال وإن شئت خففت الهمزة فقلت فى
المذكر ملآن ، وفى المؤنث ملاء ، ومنه
قول الشاعر :

حبذا دلوك إذ جاءت ملاء
وللملأ معنيان : أحدهما أشراف
القوم وعليتهم ، سمو بذلك للملاءتهم بما يلتبس
عندهم من المعروف وجودة الرأى ، ولأنهم
يتأثرون فى النواصب ، ومن هذا قوله تعالى :
حكاية عن الملكة بلقيس : « يا أيها الملأ
أفتننى فى أمرى ما كنت قاطعة

(١) الجلاميد : الصخور .

(٢) خلقت بالمواسم : خلق شعرها
بالمكواة والمواسم جمع ميسم بالكسر

(٣) بذتهم : غلبتهم وفاقهم .
(٤) تميد : تتحرك وتتبختر وتبائل .

النهر ، والمشربة بكسر الميم إناء يشرب فيه أما المشربة بفتح الميم والراء وقد تضم الراء فهي الغُرْفَة والعَلِيَّة .

ويقال : شرب به كسمع ، وأشرب به بالبناء للمجهول إذا كذب عليه ، وأشربتني ما لم أشرب أى ادعيت على ما لم أفعل .

٤١٣ ويقولون للراعى الحسن القيام على المال خَوْلَى بضم الخاء ، كما أنهم يطلقون هذا اللفظ لقباً لكثير من الناس تفاؤلاً فيقولون مثلاً محمد أحمد الخولى ، والصواب أن يقال له خَوْلَى بفتح فسكون فياء مشددة نسبة إلى الخَوْل وهو حسن الرعاية للمال ، إذ يقال : فلان يخول على أهله خولاً من باب قال ، أى يرعى عليهم أغنامهم ويكفيهم ، وبهذا النسب سمي بعض الصحابة ، منهم خولى بن أبى خَوْلَى الجعفى وخولى ابن أوس ، وجمع الخَوْلَى خَوْلٍ بالتحريك ، وللخول المحركة غير هذا المعنى معنيان أحدهما أصل فأس اللجام والآخر ما أعطاك الله تعالى من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، للواحد والجميع والذكر والأنثى ويقال للواحد خائل ، تقول : فلان خائل مال أى راعية ومصلحة ، قال (ولا تحسبن أنى

مأخوذ من المروق وهو الخروج ، ولهذا كانت العرب تسمى الخوارج بالمارقة لخروجهم عن الدين والآخر الحساء بفتح الحاء وزان سلام ، تقول : شرب الضيف الحساء ، وأحسيته المرق فحساه واحتساه ، وتقول تحساه إذا حساه فى مهلة ، قال السرقسطى : يقال : حسا الطائر الماء يحسوه حسواً من باب قال ، ولا يقال شربه ، وقال الأصمعى : ويقال فى الحافر كله وفى الظلف : جرّع الماء من بابى سمع ومنع إذا بسلعه

أما الشُّربة بالضم فهي حُمْرة تكون فى الوجه ونحوه ، تقول : أشربُ الثوب وفيه شُرْبة من الحُمْرة ، وأُشرب فلان حب صديقه إذا خالط قلبه ، ومن هذا قوله جل شأنه « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » . قال زهير :

فصحوت عنها بعد حب داخل
والحب يُشربه فؤادك داءُ
ويقال : شرب فلان ما ألقى عليه إذا فهمه ، واسمع ثم اشرب أى افهم بعد أن تسمع والشرب بالفتح مصدر شرب ، وهو أيضاً جمع شارب كصاحب من صاحب ، ويجمع الشارب كذلك على شاربين كما فى قوله تعالى « وأنهار من خمر لذة للشاربين » والشاربة هم الذين مسكنهم على ضفة

وتقول أيضاً : أضفته إضافة إذا
لجأ إليك من خوف فأجرته ، وتضيفني
فلان فضيفته إذا طلب القرى فقريته
أو استجارك فنعته ممن يطلبه ، وأضاف
ماله إلى مال أخيه إضافة إذا ضمه
إليه ، والمضاف في الحرب من أحيط
به .

ومن المجاز قولك أضاف إليه الأمر
إذا أسنده إليه واستكفاه ، وما هو هو
إلامضاف أى دعى كما قيل مسند
ومُلصق ، وضافه لهم ، وضاف وساده
إذا انزل به .

٤١٥- كثيراً ما نسمع ممن يريد أن
يعتذر لغيره عما فرط منه قوله : أنا أسف
يعنى أن حزنه شديد ، وهذا خطأ صراح
لأن الفاعل من الأسف لا يأتى
بزنة فاعل ، وإنما هو على وزن
فعل بفتح فكسر ، تقول : أسف فلان
على ما فات يأسف أسفًا من باب
تعب إذا اشتد حزنه وألمه فهو أسف ،
وزان تعب ، ومنه قوله تعالى « فرجع
موسى إلى قومه غضبان أسفًا » .

ولتأدية المعنى المراد يجب أن يقال :
أنا أسف على ما صدر منى إليك أو
متأسف أو يقال : آسفنى ما وجهته
إليك من لوم أو تأنيب ، أو يقال :

لأملك خائل) والخول ، والخدم ،
والحشم ، ثلاثها متفقة وزناً ومعنى
بيد أن كلمة الحشم فى معنى الجمع
ولا واحد لها من لفظها كما قال ابن
السكيت ، وفسرها بعضهم بالعيال
والقراية ومن يغضب له إذا أصابه أمر
والتخول التعهد وفى الحديث « كان النبی
صلی الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السامة » .

٤١٤ - ويزعمون أن كلمة -
الضيف لا تقال إلا للمفرد المذكر ،
والحق أنها تطلق على الواحد والواحدة
والجمع ، لأنها فى الأصل مصدر
قولك : ضافه يضيفه ضيفًا من باب
باع : الاسم الضيافة وما يؤيد صدق
هذه الدعوى قوله تعالى « إن هؤلاء
ضيفى فلا تفضحون » وقوله « هل أتاك
حديث ضيف إبراهيم المكرمين » ونجوز
المطابقة فيقال للأثنى ضيفة ، وللجميع
أضياف ، وضيوف ، وضيفان بالكسر.

قال ثعلب: تقول : ضيفتُ فلاناً
إذا نزلت به وأنت ضيف عنده ،
وأضيفته بالألف وضيفته بالتضيف -
إذا أنزلته عندك ضيفًا وقربته ،
والضيفين بزيادة النون هو من يجئ مع
الضيف متطفلاً من غير دعوة .

٤١٧ ويقولون : هذا الخلاق مشهور
بحسن الحِلاقة بكسر الحاء ، وهذا خطأ
صراح والصواب أن يقال : مشهور
بحسن الحَلْق ، لأن الفعل من بابه
ضرب ، تقول : حلق شعره يحلقه
حلقاً ، وحلاقاً بكسر الحاء وحلقاً
بضمها أيضاً ، قال تعالى « ولا تخلقوا
رءوسكم حتى يبلغ الهدى مَحَلّه »
ويقال : رأس فلان جيد الخلاق بكسر
الحاء ، كما يقال : لأملك الحَلْق
بضمها أى حلق الرأس .

ولك أن تقول حلق فلان شعره
تحليقاً للمبالغة والتكثير ، فهو محلّق
وهم محلّقون ومن هذا قوله تعالى « لتدخلن
المسجد الحرام إن شاء الله آمنين —
محلّقين رءوسكم » وللمحلّق^(١) غير
ما تقدم معنيان : أحدهما الطائر إذا
ارتفع في طيرانه ، والآخر الإناء إذا
دنا من الامتلاء ، يقال : مكوك واف
ومحلّق ، قال عبدة بن الطبيب :

شامية تجزى الجنوب بقرضها
مراراً فواف كيلها ومحلّق

يعنى أن الجنوب والشمال تختلفان
على الدار تتعارضان سنى التراب عليها ،

(١) من معاني المحلق : البسر قد بلغ
الإرطاب ثلثيه ، الواحدة بهاء .

إنى إليك معتذر ، أو معذر بتشديد
الذال مكسورة ، والمعذر هو المعتذر
الذى له عذر ومنه قوله سبحانه « وجاء
المعذّرون من الأعراب » .

٤١٦ ويقولون حين يدعون لريضهم
بالشفاء والعافية : محّا الشافى العافى
ما عندك من علة ، وكلمة الشافى —
سليمة ، أما كلمة العافى فلها ثلاثة
معان لاصلة لها بالمعنى المبتغى .

أحدها : من يصفح عن الذنب
ويترك عقوبة المستحق ، تقول : عفا
عنه ذنبه ، وعفا له ذنبه ، وعفا عن
ذنبه ، فهو عافٍ ، ويجمع على عافين
كما فى قوله تعالى « والعافين عن الناس »
والثانى : طالب المعروف ، تقول :
عفاه يعفوه عفواً من باب عدا إذا أتاها
يطلب معروفه فهو عافٍ ، وهم عفاة
بالضم كقاض وقضاة .

والثالث : الكثير ، تقول : عفا
الشيء إذا كثر ، وعفوته كثرته ،
يتعدى ويلزم ومنه قوله تعالى « ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا » أى
حتى كثروا .

والصواب أن يقال : محّا الشافى
المعافى ما بك من علة ، مأخوذ من
قولهم عفاه الله معافاة ويفاد بالكسر

فإذا جاءت نوبة الشمال ملأتها تارة ،
ونقصت من الملء أخرى .

أما الخلقة بالضم فهي ما حُلق من
الشعر ، تقول : ربي الحلاق بالخلقة
وللحلق غير المصدرية معنيان :
أحدهما الشؤم ، والآخر الحلقوم ، ومن
هذا قوله تعالى « فلولا إذا بلغت الروح
الحلقوم » أى الحلق .

ويقال : حلق الفلاح معزه ، ولا
يقال جزّه إلا فى الضأن ، وعنز مخلوقة
وشعر حليق ، ولحية حليق ، ولا يقال
حليقة .

وللحلق معنيان : أحدهما من
يخلق الشعر ، والآخر الجبل المنيف
وهو من تخليق الطائر ، أو من البلوغ
إلى حلق الجو ، تقول : هوى الولد
من حائق إذا هلك أما الحلق بكسر
الحاء فهو خاتم الملك أو خاتم من فضة
بلا فص ، تقول : أعطى فلان الحلق
إذا أمر قال المخبل :

وأعطى منا الحلق أبيض ماجد
رديف ملوك ما تُغِب نوافله
وحلاق بفتح الحاء وكسر القاف المنية
نقول : سقوا بكأس حلاقٍ إذا ماتوا ،
قال :

ما أرجى بالعيش بعد أناس
قد أراهم سقوا بكأس حلاقٍ
والخالقة قطيعة الرحم ، وكذلك هي
من تخلق شعرها فى المصيبة والحلقة
بسكون اللام هي الدرع ، وحلقة
الباب ، وحلقه القوم جمعها حلق
بالتحريك على غير قياس ، قال
الأصمعي : الجمع حلق كبدة وبدر ،
وقصعة وقصع وقال أبو عمرو الشيباني :
ليس فى الكلام حلقة بالتحريك إلا
فى قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين يخلقون
الشعر جمع حائق ككتبة وكاتب ،
وعن أبي عمرو بن العلاء حلقة محركة
للواحدة ، والجمع حلق وحلقات .

التفسير القرآنى للقرآن الكريم

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

المجلد الأول والثانى

عرض ونقد

دكتور / سعد ظلام

الحلقة الثانية

السياسية والمذهبية التى وقعت بين المسلمين .

وذكر أنه ما دام القرآن هو مصدر التشريع ، فلا بد من الفهم الصحيح له ذلك الفهم المبني على طول التأمل والتدبر لكل ما يثيره من قضايا وأفكار ، ويكون بذلك اتصالنا الوثيق بكتاب الله ، وتصور المسائل الدينية تصوراً واضحاً .

وعنوان الكتاب يعطى للقارئ انطباعاً يفهم منه أن المؤلف يفسر القرآن بالقرآن ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج . بل عارضه ، لأنه كما يقول يفسر القرآن من ناحية تسجيل

في حلقة سابقة نشرت في مجلة الأزهر الغراء في عدد شعبان سنة ١٣٩٧هـ (يوليو سنة ١٩٧٧م) تعرضنا بالدراسة والعرض والنقد لهذا الكتاب الذى صدر عن دار الفكر العربى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٦٧ القاهرة ، وذكرنا أن الكاتب افتتح الكتاب بمقدمة تاريخية تحدث فيها عن الأمة الإسلامية ، وأنها أمة القرآن رعته فرعاها ، وتمسكت به فأرشدنا الله وأعزها ، وما نأت عن الغاية إلا عندما وقعت الجفوة بينها وبين القرآن .

وقد أرجع السبب فى ذلك إلى الخلافات

خاصة غير صفة الشيطان والجن ،
ولما التزم القرآن ذكر إبليس في هذه
الصور المتعددة لموقف واحد . وقد
رددنا عليه .

وتعرض لذكر الشيطان بلفظ المفرد
والجمع - فيذكر الآيات التي تدل
على ذلك ويقع في مغالطة حين
يستعرض الآيات التي أمر الله فيها
إبليس بالسجود لآدم . ويستنتج منها
أن إبليس كان من الملائكة .
وقد رددنا عليه .

وتعرض لقضية خلق آدم ، فذكر أن
القرآن عرضها عرضاً محكماً ، ومع أنه
ليس كتاب علم . وليس من همه أن يقرر
الحقائق العلمية . فإنه في قضية خلق آدم
قد أمسك بها من جميع أطرافها ، وجاء بها
على الوضع الذي يلتقي على الحقائق
العلمية في أصدق وجوها وأضوائها .

وقد رددنا عليه بأن الأليق في العقل
والمنطق أن نجيء الحقائق العلمية إذا
جاءت مفسرة للقرآن ، لا أن يجيء
القرآن على الوضع الذي يخضعه للحقائق
العلمية .

وقد سار المؤلف مع الحقائق وأسلوبها ،
وأخضع الآيات إخضاعاً كلياً لها ، فقد
فسر الحمأ المسنون ، بأنه بشائر الحياة
محلة الأزهر

مشاعره إزاء ما يقرأ . وقد أفحم مشاعره
في كل فكرة ، واستغرق في دوامة
الرصد والتسجيل حتى نسي الغرض ،
وتبنى بعض الآراء ، واقتنع بها وألصقها
بالقرآن إلصاقاً ، ودافع عنها .

وذكر في مقدمته أن مباحث هذا
المجلد هي الجن والشيطان وإبليس ،
والنسخ ولا نسخ في القرآن ، هكذا
يقول - وآدم ومادة خلقه . . والوصية
للمتوفى عنها زوجها . وهو في تفسير سورة
الفاتحة قارن بينها وبين إصحاحات
في إنجيل متى . وذكر أن هناك تشابهاً
بينهما ، وهو بهذا يسلم بصحة الإنجيل
بل وأكد التشابه بين القرآن والإنجيل .

وانتقل إلى أفضلية آدم كخليفة لله
في الأرض . ويعلل لأفضليته على
الملائكة بما في الملائكة من بهاء وصفاء
وطاعة ، والإنسان بما له من عقل
وارادة هو المستأهل لهذه الخلافة .
هكذا يقول .

ولآدم في نظر المؤلف مفهوم مغاير
لمفهوم المفسرين الذين يرى المؤلف أنهم
اعتمدوا في معرفتهم على الإسرائيليات
وأساطير الأولين من قصة الخلق ومكان
آدم فيها . وتعرض للجن وإبليس
والشيطان ورأى أن إبليس على صفة

وهما أكبر من خلق آدم « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (غافر - ٥٧) .

وقد ربط بين خلق آدم وبين نظرية « دارون » مع أن إخضاع القرآن لقضايا العلم وتجاربه غير معقول وغير مستساغ كما سبق أن ذكرنا ولأنه مما يزعم الثقة بالقرآن إذا اهتزت نتائج البحوث والنظريات . أو ظهر بعد ذلك فسادهما واختلال معاييرهما .

ونحن نعتقد أن لكل علم مناهجه ، وربط قضية خلق آدم بنظرية « دارون » نوع من الاحتيال لإثبات أن القرآن يسائر مناهج العلم الحديث ، وهو ما لا نسلم به ولا يسلم به معنا الكاتب نفسه الذي يذكر أن نظرية « دارون » قد يكون فيها قليل أو كثير من الخطأ في الاستنتاج .

ولكنه مع ذلك يلجأ اليه للإيهام بأن تفسيره عسري .

كان هذا استعراضنا كما ذكرناه في الحلقة السابقة ، ونبدأ في هذه الحلقة استكمالاً لهذا الموضوع فنقول :

و « دارون » في نظر المؤلف من أشد الناس إيماناً بالله ، ونظريته إنما تقوم على علم وتجربة .

إذ هو « البكتريا » التي تولدت منها خمائر الحياة ، وظهرت فيها جرثومتها الأولى .

ويرى أن الطين الذي خلق منه الإنسان قد تقلب في أطوار عدة حتى ظهر منه الإنسان ، فهناك التراب وهناك الطين ، والطين اللازب ثم الصلصال ثم الحمأ المسنون .

وبلغة العلم يكون التراب فالطين فالصلصال فالحمأ المسنون ، أربعة أطوار تنتقل فيها بذرة الحياة .

ويستنتج من قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » بأن آدم لم ينجى مباشرة ، وإنما كان ذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات ، وبعد عمليات معقدة من التصفية - والانتخاب استمرت ثلاثين سنة حتى انتهت بظهور الإنسان .

ونسى أن عمليات التصفية المعقدة والانتخاب التي استمرت ثلاثين سنة حتى انتهت بظهور آدم لا تتفق مع قدرة الله المبدع الخالق وناموسه الإلهي القادر وأمره الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

وإذا كان خلق آدم استمر ثلاثين سنة فكيف استمر خلق السموات والأرض

فأى خروج على دعوة القرآن في عدم تطبيق منهج علم في البحث على منهج علم آخر ؟ .

والمؤلف - كما يبدو - حريص على أن يكون منهجه التفسيري أو رصد مشاعره وتسجيلها كما يجب أن يقول عن تفسيره - يحرص المؤلف على أن يكون منهجه عصرياً .

والعصرية عنده تكون بتبني النظريات الحديثة التي لم تثبت صحتها ولا أمنت نتائجها والترويج لتلك النظريات - والتهويل في قيمتها ورى من لا يؤمن بها بأنه ليس بمسلم يعترف دينه بالعقل ، والعصرية لا تكون برى آراء المفسرين في سلة المهملات لأنها لا تتواءم مع عقلية المؤلف العصرية .

وقد يكون فيما جمعه المفسرون ما لا نوافقهم عليه ، ولكن ليس كله بالخرافة ، أنه خلاصة عقول ، وثرأ فكري يحسدنا عليه غيرنا من الأمم الأخرى ، عقليات لم تتأثر بالمفاهيم الخاطئة ، ولم تهتز لإرادتها وفكرها ومنطقها أمام سانحة من سوانح الفكر الغربي ، بل إنها قرأته في عصرها وصفته من أوشابه ، وقدمته للحياة ودفعت فيه نبض الروح لأنها عندما قرأته قرأته وهي واثقة من عقليتها وترائها الفكرى .

أما آراء المفسرين فمن قبيل النقول الخرافية والمقولات الأسطورية والمؤلف يرى كل من لا يؤمن بنظرية « دارون » « بأنه » ليس بالمسلم الذى يعترف دينه بالعقل .

وقد نوافق المؤلف على حماسه العنرى لتأييد العقل وموازرتة ، ولكنه بشرط ألا يندفع هذا الحماس إلى المغالطات والتورط في الإيمان بأمر يقول هو عنها : « إن فيها كثيراً أو قليلاً من الخطأ في الاستنتاج » .

وقد نوافق على احترام العقل والتقدير للجهد الذى بذله صاحبها ، ولكن بشرط ألا ننسى أنها تجربة . والتجربة فيها مخاطر الخطأ والحجازة بالصواب ، أو نظرية وليس للنظرية كما للقانون من من الثبات والصحة .

وقد تكون معه عندما يقول : أن كل عقل مدعو إلى الوقوف عندها والنظر فيها وأخذها يطمئن إليه منها .

ولكننا لسنا معه عندما يقول : « أما صد العقل عنها ، وفراره من بين يديها فذلك ازدراء بالعقل وامتهان له ، وتعطيل لوظيفته التى خلق لها ، وخروج على دعوة القرآن التى دعاه إليها » (١) .

(١) القصص القرآني ص ٤٠٨ مطبعة دار السنة المحمدية سنة ١٩٦٥م القاهرة .

ويبدو أن حماس المؤلف لتلك النظريات ، وإيمانه بها جعله يرددها في أكثر من كتاب له .

فهو في كتابه « القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه » يقول عن نظرية « دارون » « هذه النظرية كانت ولا تزال عند كثير ممن أخذوا فهمهم للآيات القرآنية الواردة في خلق آدم عن هذه النقول الخرافية وهذه المقولات الأسطورية التي جمعها المفسرون والقصاص من كل ساقطة ولاقطة ، كانت ولا تزال هذه النظرية عند هؤلاء من الكفريات والإلحاد التي إن جرت على لسان كان مجرد جريانها كفراً وإلحاداً ولهم عذرهم في هذا ^(١) » .

وبعد أن يستعرض آراء بعض الصحابة في كتب المفسرين ينكر أن يكون لها مستند صحيح من كتاب أو سنة ، وإنما هي في نظره من الإسرائيليات والأساطير والخرافات ^(٢) ، هكذا يقول على طول الخط .

ثم ينتقل إلى الشجرة التي أكل منها آدم . فيفسر الشجرة بأنها مجرد شجرة ، ليست لها صفة خاصة تمتاز بها عن

الأشجار التي معها ^(٣) ، إلا أن التحريم وقع عليها دون غيرها ، إمتحاناً لآدم وابتلاء لعزيمته أمام الإغراء وحسب الاستطلاع الذي هو غريزة قوية عاملة فيه . فهو ينفي أقوال المفسرين ويطرحها ويصفها بأنها أساطير وخرافات وإسرائيليات ليطبق بعض نظريات علم النفس في الغرائز والمكبوتات والأخرى نظريات لم تصل بعد إلى أن تكون قانوناً ، وأحكامها غير جازمة ، وليست منضبطة ، وكان الأولى به ألا يخطئ أقوال المفسرين على طول الخط ، ولكن بالمناقشة الهادئة ، وما كان أجمله لو قام بها .

على أن الله سبحانه وتعالى أعلم بما في نفس آدم « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ^(٤) .

ثم يذكر بعد ذلك أنه « لو لم يقم إبليس بإغراء آدم بالأكل من للشجرة لسار وحده إليها ، ولكن لا يكون هذا إلا بعد زمن متراخ عن هذا الوقت الذي اقترب فيه بالفعل من الشجرة وأكل منها » ^(٥) .

(٣) المصدر السابق ص ٧١ .

(٤) الشمس ٧ - ١٠ .

(٥) التفسير القرآني في المجلد الأول

ص ٧١ ، ٧٢ .

(١) القصص القرآني ص ٤٠٧ .

(٢) التفسير القرآني المجلد الأول ص ٧٠ .

الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»^(١) .
فالفتنة على هذا النحو ، وإرادة سوء
كانت تدبير إبليس ، والقصد ترشيد آدم
وذريته من بعده بعدوهم الأبدى .

وينتقل المؤلف إلى الجنة التي أهبط
منها آدم^(٢) .

وينكر المؤلف أن يكون آدم قد أهبط
من جنة سماوية وإنما هي جنة أرضية أو هي
تصوير لحالة بدائية . ويكون الإنسان
فيها مقطوع الصلة بالبيئة التي يعيش
فيها ، ومن ثم فإنه لا يحس بلذعة المطالب
البشرية^(٣) .

والمؤلف بذلك يحمل لفظ القرآن على
غير وجهه دون دليل أو نص ، وما رأيه
في التعبير بالهبوط في قوله تعالى : « وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض
مستقر ومتاع إلى حين »^(٤) .

وفي التعبير بالاستقرار في الأرض بعد
الهبوط إليها ، وشقاء آدم من أجل مطالب
الحياة « فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى »^(٥) .

ومعنى هذا أن الله قد دفع لإبليس إلى
الوسوسة لآدم وإغرائه حتى يقع في الإغواء
في الوقت الذي حدده الله ، وفي هذه الحالة
يكون الله قد علم من آدم حالة الإغواء قبل
وقوعها ، وإنها قد تقع في وقت لا يتفق
والوقت الذي حدده للإغواء ، فدبر
وسوسة الشيطان له ، ليقع الإغواء في
الوقت المحدد له .

وذلك على إطلاقه غير صحيح ، إذ
لا يكون على إبليس إثم في هذا ،
لأن الله هو الذي دفعه إلى ما فعل -
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،
ولا يكون على آدم ذنب ويكون هبوطه من
الجنة على الصورة التي ذكرها المؤلف نوعاً
من التحايل والاحتياال . ويكون الله قد
دفع بآدم في الإغواء ، أو دفعه إلى
الإغواء وذلك مخالف لأقل المبادئ في
منع الوقوع في الذنب قبل التفكير فيه ،
ويكون لله سبحانه وتعالى هو الذي دبر
الوسوسة أو أوقع آدم في شرك الإغواء وهذا
مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى .

والواقع أن وسوسة الشيطان لآدم كانت
فتنة وإغراء قوياً « يا بني آدم لا يفتنكم
الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو
وقبيله من حيث لا ترونهم . » إنا جعلنا

(١) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

(٢) التفسير القرآني ص ٧٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٤) البقرة - ٣٦ .

(٥) طه - ١١٧ .

وما رأيه في إرشاد الله لآدم بأن الشيطان عدو له ولزوجه قبل الإغواء والوسوسة فبعد أن يبين الله لآدم أن إبليس عدو له ولزوجه يذكر بعد ذلك ما ترتب على مخالفة آدم لذلك الإرشاد الإلهي « . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها »^(١) .

على أن التعبير بلفظ « الجنة » قد ورد في كل السور التي وردت فيها قصة آدم ، كل ذلك يدل على أن آدم أهبط من الجنة ، وأداة التعريف تدل على ذلك وتؤيده .

وتعرض المؤلف للنسخ في القرآن^(١)

وقد رأى أنه لا نسخ في القرآن ، وأما الخلاف الذي بين المسلمين في أمر النسخ فقد وضع نتيجة للاختلاف في فهم الآية الكريمة^(٢) .

وقد فصل القول في هذا فعرف النسخ والمنسوخ ، وتساءل هل في القرآن نسخ ؟ ورد على من قال بأن في القرآن نسخاً ، وقد بان له بأنه ليس في القرآن نسخ وما دل على ذلك حملة على نساء وتأخير أو مجمل آخر بيانه أو خطاب حال بينه وبين أوله

خطاب غيره ، أو مخصوص من عموم ، أو حكم عام على خاص . . إلخ .

وقد أول الآيات التي يفهم منها معنى النسخ .

وتعرض للطلاق وحكمته عند تفسير قوله تعالى « الطلاق مرتان »^(٣)

وقد رد على الذين يتهمون على الشريعة بإحلالها الطلاق ، وعالج الموضوع معالجة حسنة وفسر الدرجة في قوله تعالى : « وللرجال عليهن درجة » فسرهما بمعنى الرتبة ، يقول : فكما كانا رجلاً وامرأة في الجنس كانا أولاً - وثانياً في الرتبة ، وليس هذا بالذي يدخل على أي منهما ما دام يحيا حياته على النحو الذي يلائم طبيعته^(٤) .

وإن كان ما ذكره بعد ذلك يشير إلى أنها درجة القوامة ، ولكن ليس في صراحة ووضوح .

وتعرض لعدة المتوفى عنها زوجها :

وقد ذكر أن العلة في كون عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً أن الوفاء لذكرى الزوج هو الداعي إلى ذلك . وأن للزوجة إذا ماتت مثل هذا

(٣) المصدر ص ١٢١ .

(٤) المصدر ص ٢٦٢ وما بعدها .

(١) طه - ١٢٠ .

(٢) التفسير القرآني ص ١٢٠ .

أشهر وعشراً إذا ماتت زوجة كما تعتد المرأة إذا مات زوجها فهذا ما لا يوافقه عليه شرع أو يسانده فيه نص . وإن كان يقصد أن الرجل يحتد أى يلبس الحداد على الزوجة أربعة أشهر وعشراً إذا ماتت فليس ذلك مما أمر به الشرع . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث له ما معناه « لا تحتد امرأة ولا رجل على امرأة ، ولا امرأة على رجل إلا المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشراً » . وفى ذلك صيانة الأنساب وحياطة لها ، واختبار للأرحام ، ووفاء من الزوجة للزوج ولهذا منع الشرع خطبة المرأة المتوفى عنها زوجها فى عدتها . وبالع فى فيها أكثر من المبالغة فى عدة المطلقة ، فإذا كانت العدة فى الطلاق ثلاثة أشهر مثلاً فقد زادت أربعين يوماً عليها عدة المتوفى عنها زوجها ، زيادة فى صيانة وحفظ وحياطة الأنساب ، واختبار الأرحام والوفاء الذى يحرص عليه الإسلام ، ويؤكد عليه فى الخلية الأولى للمجتمع بين الزوج وزوجه .

ومن هنا نهى الإسلام عن خطبة المتوفى عنها فى عدتها وحرمة العقد عليها فيها قال تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم فى أنفسكم على أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن

الحق على الزوج فى العدة وإن لم توجهه الشريعة .

وفرع على ذلك بأن بعض الزوجات المتوفى عنهن الأزواج قد يذهب بهن الطيش والتزق إلى قطع علائق الزوجية وآثارها ، وفى ذلك اعتداء على حرمة تلك الرابطة المقدسة .

وقد يكون فى كلام الكاتب شىء من الوجهة ، ولكن ليس الوفاء وحده السبب فى جعل عدة المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً ، ولكن السبب أن بعض الزوجات قد يكون منهن ما يوقعهن فى معصية إدخال طفل من رجل آخر على الزوج وقد نهى الرسول عن إدخال وارث وإخراج وارث .

ويكون ما ذكره الكاتب من قبيل الحيلة والحذر والتغليق لأبواب الشر التى أغلقها أو حاول الشرع إغلاقها^(١) .

ولست أدرى ما الذى يقصده الكاتب من أن للزوجة إذا مات مثل هذا الحق على الزوج فى العدة وإن لم توجهه الشريعة ؟ . إن كان يقصد بذلك الوفاء فذلك شىء محمود وهو نوع من البر والوفاء الذى تقضى به شعائر الإسلام ، وإن كان يقصد أن الرجل يعتد أربعة

هذا إذا لم تكن حاملاً ، فإن كانت حاملاً كانت عدتها وضع الحمل ولوزادت عن أربعة أشهر وعشراً فإذا انقضى تابع للعدة بالشهور (٣) .

كانت هذه رحلتنا مع هذا المجلد من هذا الكتاب الذى اعتبره صاحبه ونعتبره رصداً وتسجيلاً لمشاعره إزاء ما يقرأ من القرآن أحسن مما يقال إنه تفسير أو تفسير قرأنى للقرآن .

ومن خلال هذا الرصد وذلك التسجيل للمشاعر كانت ملاحظتنا ، ومن خلال محاولته أن يكون تفسيره عصرياً كانت وقفتنا معه ، وقد حرصنا على إبداء تلك الملاحظات فى هذه الصفحات ، ونأمل أن تكون خالصة لوجه الله . والله من وراء القصد ، وهو يقول الحق وهو يهدى السبيل .

دكتور سعد ظلام

سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حلیم» (١)

وقد أجاز الأئمة التعريض للمتوفى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة ، أما المواعدة سراً من نحو التصريح بحبها أو المعاهدة على أن تتزوجه أولاً تتزوج غيره أو أخذ الميثاق به فقد نهى الله عنه ولا يصح العقد فى مدة العدة ، واختلفوا فيما من تزوج امرأة فى عدتها فدخل بها فإنه يفرق بينهما . وهل تحرم عليه أبداً على قولين ، الجمهور على أنها لا تحرم عليه أبداً ، أما الإمام مالك فقبح ذهب إلى أنها تحرم عليه على التأبید ، إعمالاً لقاعدة من استعجل بشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه . وقاسها على القاتل فإنه يحرم الميراث (٢) .

(١) البقرة - ٢٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٦/٢٨٧

(٣) زاد المواد لابن قيم الجوزية ج ٤

ص ٢٢١ المطبعة المصرية رمضان ١٣٧٩ هـ .

الجلبي - القاهرة .

فهرس العدد

صفحة

- ١ - الأحوال الشخصية ومجلس الشعب
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحلیم محمود
٧١٧ - ٧٢٠
- ٢ - التصور الإسلامی لنظام الحكم
العلامة المودودی
٧٢١ - ٧٣١
- ٣ - حيرة الشباب المسلم أسبابها وعلاجها
العلامة أبو الحسن الندوی
٧٣٢ - ٧٣٩
- ٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر
الأستاذ أحمد حسین
٧٤٠ - ٧٤٤
- ٥ - المكتبات الإسلامية
الدكتور / عبد الجلیل شلبی
٧٤٥ - ٧٤٩
- ٦ - دراسات قرآنية - لا یذهب العرف بین الله والناس
فضيلة الشيخ مصطفى الحیدی الطیر
٧٥٠ - ٧٥٧
- ٧ - الفیل السراب - نقد لفیل « الرسالة »
لسماحة الشيخ حسن کتبی
٧٥٨ - ٧٦٤
- ٨ - القرآن والعمل
العلامة الشيخ عبد الله کنون
٧٦٥ - ٧٧٤
- ٩ - كتابة التاريخ
دكتور / محمد رجب البیوی
٧٧٥ - ٧٨٢
- ١٠ - النهاية المؤکدة
الشيخ سعد التمیمی
٧٨٣ - ٧٩٥
- ١١ - بلاغة الأسلوب النبوی
فضيلة الشيخ منشاوی عثمان عبود
٧٩٦ - ٨٠٠

صفحة

- ١٢- دور مصر في انتشار الإسلام
دكتور / عبد الودود شلبي
٨٠٥ - ٨٠١
- ١٣- الديناميكية في التصوف الإسلامي
للمستشرق الفرنسي روجر أرنالديز - ترجمة حامد طاهر
٨١٦ - ٨٠٦
- ١٤- النظام الاقتصادي في الإسلام
الأستاذ / زاهر عزب الزغبى
٨٢٦ - ٨١٧
- ١٥- القرآن والأحرف السبعة
دكتور / رءوف شلبي
٨٣٩ - ٨٢٧
- ١٦- في مواجهة الإلحاد المعاصر مناقشة دعوى استقلال العلم التجريبي عن الدين
دكتور / يحيى هاشم
٨٤٨ - ٨٤٠
- ١٧- قضايا لغوية - نظرات حول الترادف اللغوي
دكتور / توفيق شاهين
٨٦٠ - ٨٤٩
- ١٨- الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام
الأستاذ محمد كمال السيد
٨٦٩ - ٨٦١
- ١٩- المجتمع الإسلامي إبَّان غزوة تبوك
الأستاذ السيد حسن قرون
٨٨٠ - ٨٧٠
- ٢٠- الفراغ الديني ورسالة التصوف
الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرشى
٨٨٩ - ٨٨١
- ٢١- روح الحق في إنجيل يوحنا وهل هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟
بقلم المستشار محمد عزت الطهطاوى
٨٩٤ - ٨٩٠
- ٢٢- أخطاء شائعة
الأستاذ / عباس أبو السعود
٩٠٧ - ٨٩٥
- ٢٣- التفسير القرآنى للقرآن الكريم (نقد)
دكتور / سعد ظلام
٩١٦ - ٩٠٨
- ٢٤- القسم الإنجليزى
٩٤٨ - ٩٢٠

في التوكل على الله

قال صلى الله عليه وسلم :

من قال (يعنى إذا خرج من بيته) بسم الله ، توكلت
على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : هديت
وكفيت ، ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان وكان إذا خرج
من بيته يقول أيضاً :

بسم الله . توكلت على الله . اللهم إني أعوذ بك
أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم أو أجهل
أو يجهل على .

stand in need, benevolence unto parents and help unto the poor are all equally ordained. Briefly Islam enjoins good manners and nable conduct and so to labour in this world that you may attain happiness in the hereafter.

It is for this reason that Islam enjoins us to resist our own inclinations so that we may be of the elect abiding in the Kingdom of Heaven and that we may attain blessedness in this world and in the hereafter. It points out that our worst enemies are falsehood, misguidance, injustice, oppression and dissoluteness in any form they may assume, not only in others but even in our own selves.

Islam enjoins mercy and benevolence unto mankind and kindly treatment of them; to seek their benefit and to afford them opportunities of gain and, prosperity; and above all to ward off any evil befalling them.

In short it enjoined kindness, charity, faithfulness, kindly treatment of the neighbour, wayfarer, and guest and, lastly, kindness to animals.

Nor was the acquirement of knowledge left out of Islam. It ordained that man should acquaint himself with a measure of knowledge requisite for the amendment of beliefs, manners and conduct and the amelioration of life's conditions.

It enjoins righteousness which constitutes the refraining from any harmful act prejudicing one's

chances in this world or in the hereafter, loyalty and fidelity in the cause of Allah and the faithful performance of worship for as the Tradition says :

« اَعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ

تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »

“Worship Allah as if you behold Him, for if you do not behold Him, He beholdth you.”

(Tradition.)

It enjoins good counsel to mankind and the practice of patience and the resignation to the will of Allah.

It enjoins propriety of conduct, forbearance and satisfaction in the doing of good, as well as liberality, magnanimity, courage, zeal and manliness.

It enjoins prudence, judiciousness in judgment, thankfulness and fear of the Almighty and faith in and resignation unto Him. It further enjoins mercy to and compassion upon mankind, honesty and integrity, fulfilment of covenant and promise, perfect faith and yet to labour for one's living, toleration, hastening to the doing of good and also un wavering determination in upholding the tenets of the Religion. It enjoins love of Allah, the seeking of His favour, and reliance upon Him. Lastly it enjoins to free the human soul from the dire influence of desire and to bring it to account for the wrongs perpetrated by it, thus purging it of all the defects and imperfections which defile it.

“To be Continued”

pleasure of Allah and his approval of all that is pure and righteous of your actions, so that you may become the viceregent of your Lord and acknowledge no favours except those bestowed by Him.

It requires you to feel that you are an active and beneficent member of society who disdains to imitate or to be dependent on others or to be outrivalled by them in any virtue.

It enjoins you to seek exaltation through Allah and humility unto Him. It requires you to use your mind and powers in whatever useful avocation that has fallen to your lot, and to fear none save Allah as long as you practice what He has ordained.

Islam enjoins the belief in monotheism for which the reason can accept no other substitute and without which the hearts of men will find no comfort or peace.

All are humble unto Allah, mere subordinate creatures; and the most favoured by Him are the righteous who obey His commandments.

The creed ordained by Islam has thus rendered man great and self-respecting and caused his heart to feel pride and exaltation. Small wonder it should be so when man realises that such attributes as greatness, majesty and grandeur could only pertain to the one, omnipotent and all-pervading Lord, and that all are mere subordinate creatures seeking His favour.

One of the great injunctions of

Islam is to screen the failings of your fellow-Moslems and to keep away from places of suspicion lest others be tempted to evil thought and to slander.

Islam requires you to do favours unto your fellow-Moslems even by mere mediation or commendation.

Another commandment of Islam, is to hasten to greet and shake hands with any Moslem so that the credit of a good act will be yours.

Another commandment is to defend your friend in his absence and to protect, by word and deed, his honour and property.

Yet another commandment is to commiserate with your fellow-Moslems in their afflictions; to call on their sick, attend their funerals, visit their graves and offer prayers for the salvation of their souls.

Islam enjoins justice unto all people and to wish for them the same as you wish for your own self—exaltation, security, health, good reputation and prosperity.

It ordains prayers in gratitude and thankfulness to the Beneficent Bestower, fasting which leads to the elevation of minds and to the purification of souls, and almsgiving which constitutes the allotment to the poor of one fortieth (or two and half per cent) of the capital per year, in gaining Allah's favour and people's affection.

Nor are the other forms of charity left out in Islam. The giving unto the kindred of that which they

practices of the so-called Moslems of to-day.

Were it only for those radical reforms alone, which were introduced within a short period after the advent of Islam, and the reasons for which non-Moslems failed to discover for centuries after, the Moslem Religion should be accorded the highest honours by the just and discerning critic.

It should be remembered that this field of discussion is far too wide to be covered in detail with any tolerable measure of success I can only express very little of what I feel, which in turn is but a shadow of those comprehensive and all-pervading teachings of Islam.

The Quran says :

« قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »

“Were men and Djinn assemble to produce something equal to the Quran in eloquence, rhythm and superb meaning, they could not, under any circumstance, produce anything like it. Nay but they could not do it even though they co-operate together for the purpose and support one another as they may.”

(Alucy's Commentary.)

Surely the sense of justice and fair play will have moved you by now to appreciate this saying of the Prophet of Islam :

« بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

“I am sent unto mankind to perfect noble conduct”;

(Tradition).

as well as The Lord's saying in reference to the Quran :

« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

“It is an incomparable Book which yields to no abrogation or distortion and into which no falsehood could find a way from whatever side. It is a missive from The Wise. Lord to Whom all praise is due for the bounties He has bestowed upon mankind.”

(Baidawy's Commentary.)

* * *

We will now proceed to consider some of the injunctions of Islam.

Islam requires you to be self-respecting enough not to degrade yourself by imitation of the beasts below you; to be great enough not to be a slave to your passion and desires; and to be dignified enough not to glorify anyone save your Lord.

Islam enjoins you to seek the

IV

Islam directed mankind to the path of goodliness and pointed out the worldly advantages accruing therefrom, as exemptified by the Tradition :

« مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ زِيدَ لَهُ فِي
عُمُرِهِ وَوُسِّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ »

“Whoso giveth unto his kindred, will his life be blest and his prosperity augmented.”

(Tradition.)

One of the most excellent tenets enjoined by Islam is to feel, in the performance of worship, entire submission to the sublime majesty of Allah and to be filled with complete awe and veneration for His grandeur and glory as such will act as a deterrent against committing sin and cause the soul to revert to its original purity. It also impresses upon you that you have a spiritual entity apart from your worldly one, and that you should not seek the world eagerly to the exclusion of all else, as by so doing you will engage in protracted contention with people and will only earn their hatred and animosity.

The material world should have as little fascination as possible for you and should exercise no more than a passing influence over your heart; for only thus will you know

happiness and content and enjoy the love and good-will of people.

It would take a very long discourse indeed, should we continue to discuss all the moral and material features which Islam embraces. We may, however, later recount some of the excellent features of prayer and the other rites of Islam. Suffice it to say that ablution is now admitted by all people to be beneficial for many diseases particularly those of the nose. The thrice rinsing of the mouth and the constant use of the tooth brush requisite for the health and good care of the teeth and the sweetening of the breath were strongly insisted upon, particularly after sleep; so much so that the Prophet well nigh made of them a religious injunction.

No less healthy and cleanly is the practice of frequently washing the feet; this, moreover, prevents any odour emanating therefrom which would be the case should they be left for a long period without being washed.

As such and other features of Islam have become known to the world, many have taken up the cudgels for Islam because of their complete satisfaction and admiration thereof, being convinced that the true Moslem Religion utterly repudiates many of the obnoxious

Also :

«وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» .

“The recompense of evil is a like evil, but he who forgiveth the offender and reconcileth himself to his enemy and overlooketh the harm done him, will the Lord afford ample recompense.”

(*Alucy's Commentary.*)

It describes the righteous thus, as :

«وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» .

“Those who suppress anger and give no vent thereto and forego the punishment of offenders.”

(*Baidawy's Commentary.*)

Islam recognised the eagerness with which men seek the fleeting world and the sad regret with which they view the lost opportunities to secure material ends. They assign causes to their failure to avail themselves of those opportunities, but they progress no further in the direction of real knowledge and remain ignorant of the underlying causes which transcend all human knowledge or comprehension and whose minute workings are ordained from on high.

The following verse is significant in this connection :

«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي ~ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» .

“No misfortune is there, that afflicteth the earth as dearth, sterility, blighted crops or earthquakes; or that afflicteth your persons as disease, plague wound or injury, but ere Allah caused it, was known to Him and recorded in the Book of Divine Decrees; for such is easy unto The Lord.”

(*Alucy's Commentary.*)

Islam has strongly urged justice-in which is comprised the restraint imposed on the self to keep within certain assigned limits. It enjoined all virtues and forbade all vices for thus it saith :

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ» .

“Verily Allah enjoineth justice, the doing of good and the giving to the kindred that of which they stand in need; and forbiddeth the following of lustful desires, evil and oppression.”

(*Baidawy's Commentary.*)

ous, yet it recognised the tendency of the soul to succumb to the forbidden and ordained the most effectual remedy to counteract this tendency:

« اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .

“Fear Allah wherever you may be and cause the good deed to follow the evil so that it may be expiated thereby, and treat people in a kindly way;”

(Tradition).

and

« لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ دَرَجَةَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ » .

“Man will not attain to the exalted position of the pious until he refrain from the mere permissible lest he be tempted by it to lapse unto the forbidden.”

(Tradition.)

It recognised that souls are susceptible to take offence at the least thing and that hatred and malice may be borne even against a well-meaning offender. It has therefore urged to peace-making and reconciliation among people and made such an act one of the best a man could do :

« لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

“Vain are their deeds except those who enjoin charity, do good and make peace between men. Whosoever doth that to please the Lord, will the Lord recompense beyond all measure.”

(Alucy's Commentary.)

It recognised that human souls are prone to revenge and are not content, in the exercise of justice, with mere retribution. The offender might, out of pity, be forgiven on the grounds of ignorance or the overwhelming motive which impelled him to commit what he has committed. Forgiveness will, in such a case, be more compatible with mercy and farther removed from injustice and iniquity.

Islam has, therefore, repeatedly urged to forgiveness for thus it saith :

« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ »

“Use indulgence with sinners and forgive their transgression, and enjoin good deeds and return not the evil of the ignorant with a like evil.”

(Alucy's Commentary.)

"Let ye enjoin the good and forbid the evil, prevent the iniquity of the unjust and force him back to the truth, lest hatred of one another be engendered in your hearts and ye be accursed as were the sons of Israel."

(*Tradition.*)

Islam recognised the inherent love of life and the covetousness of material ends in born in men, the hatred and the envy engendered in the hearts of the poor against the rich and the love of pelf and the cupidity of the latter. It, therefore assigned a share of the wealth of the rich to the poor every year and prescribed its collection by force if need be.

Islam has furthermore urged the rich to charity so that enmity and hatred may be exterminated from the hearts of the poor and love and good-will substituted instead; also, that the rich may thus set themselves free from the vices of avarice and cupidity :

«وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ»

"Expend of what the Lord hath given unto you in the manner He ordained and save yourselves from the greed of your souls that ye may prosper."

(*Baidawy's Commentary.*)

It urged to lend the needy and set a greater value thereon than on

charity. By the forbiddance of all and any interest on loans, Islam has striven to strengthen the bonds of love and implant kindness and benevolence in the hearts of men.

It is deplorable, indeed, to see how far mankind have, to their detriment, disregarded the dictates of virtue. The reforms clamoured for by extremists in many Christian countries are not, indeed, without justification. Evil institutions are undermining the very edifice of society in those countries and a complete collapse is only averted through constantly grappling with the exigencies of the moment. But did they only give the question of religion their serious consideration, they would find in Islam and its benign teachings a perfect panacea for all their social evils.

Islam recognised the worldly needs of man and his tendency to covet material ends as a means to his welfare. It pointed out that therein lies the cause of his wretchedness and soul-ruin and ordained

«مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا فِي عَفَافٍ
كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ»

"Whoso seeketh the world within the bounds of the lawful and according to the dictates of virtue, will be reckoned in the same category as the martyrs."

(*Tradition.*)

It urged to righteousness and pointed out the signs of the righte-

“It is of good Islam that one should severely let alone what doth not concern one.”

(Tradition).

In view of the inherent propensities of men, Islam recognised the advantages accruing from the enjoinder of good and the forbiddance of evil

«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَيَدْعُوْا خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»

“Let ye enjoin the good and forbid the evil, or will the Lord send the wicked among you to perpetrate evil, then the righteous will pray for deliverance in vain.”

(Tradition.)

It showed that disregard of such an injunction would inevitably result in the disruption and downfall of nations. It referred to a people who evoked, through their sins, the wrath and damnation of the Lord thus :

«كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»

“The unbelievers forbade not one another such sins as they have committed before. Detestable indeed were their wicked actions.”

(Baidawy's Commentary.)

Another verse counsels :

«وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»

“Fear ye a sin that will affect not only those who committed it but will affect you, one and all, in your entirety.”

(Alucy's Commentary.)

The Prophet saith in this connection :

«إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مِنْ شَهِدَا فَانْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَارْضَاهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»

“If a sin be committed on earth, he who hath witnessed it and condemned it, will he be absolved of its sin; and he who hath not witnessed it and yet approved of it, will he be made a party thereto.”

(Tradition.)

Another Tradition ordains :

«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ لَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ؛ وَلَتَقْسِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَسْرًا ؛ أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ .»

own; but a mere illusion attaineth not unto any truth."

(*Alucy's Commentary.*)

Also :

«وَأِنْ تُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»

"If thou followest the counsels of the unbelievers or of the ignorant, they will lead you astray from the path of righteousness, for they counsel nought but evil and follow a mere conjecture, and utter only untruths."

(*Baidaw's Commentary.*)

It showed that the path of righteousness could not be approached by way of conjecture or falsehood and that it could only be found through sound and sane reflection. Hence the frequent repetition in the Quran of such verses as :

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»

"There is verily a sign in such and such a thing for a people who understand ;"

and

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

"There is verily a sign in such and such thing for a people who reflect."

It reproves others thus :

«أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا»

"Have they not reflected !"

and

«أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا»

"Have they not witnessed!"
and other like verses.

Islam recognised the value of time and that men are prone to waste it in vain discourse or futile pursuits. It warned against such waste and strongly urged us to make good use thereof. It described the blessed thus :

«وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ»

"Those who avoid vain discourse and futile pursuits and busy themselves with useful avocations."

(*Alucy's Commentary.*)

The Prophet said in this connection :

«إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ فَارِعًا

مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»

"Verily Allah detesteth to see man unoccupied with a pursuit of this world or of the hereafter;"

(*Tradition.*)

also

«مِنْ حَسَنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ

مَا لَا يَنْعِيهِ»

"The most bitter enemy is thine own soul that lieth within thy breast."

(Tradition.)

And

« إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ »

"Verily the soul inciteth to evil."

Islam has recognised the influence exercised by passion over the minds of men, and has forcibly cautioned them against it. It has exposed the role it assumes in the direction of their souls and to what extent it holds sway over their hearts.

So great indeed is the influence of passion over men, that it was referred to in the Qoran as a deity worshipped to the exclusion of Allah :

« أَفَرَأَيْتَ مَنْ تَتَّخِذُ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ
اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً .

"Hast thou not seen he who hath deviated from the right path and so eagerly followed his passion as to make a deity thereof, and Allah hath forsaken him knowing of his misguidance and corruption of his soul, and hath sealed up his ears and heart so that he hearkenth not to goodly exhortations and is heedless of the signs of Allah."

(Baidaway's Commentary.)

It warned against following the precipitous path of passion :

« وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »

"Follow not the passion of thy soul lest it causeth thee to miss the signs of Allah with which He hath indicated the path of rectitude."

(Alucy's Commentary.)

And promised the righteous :

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ .

"He who hath feared his trial before his Lord on the Day of Judgment, hath curbed the unlawful desires of his soul, and was heedless of wordly gratifications, verily, Paradise shall be his abode."

(Alucy's Commentary.)

Islam found mankind groping in the darkness of superstitions and delusions and reached forth a helping hand unto them to save them from the dire influence of conceit as signified by the verse :

« إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ
لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

"The unbelievers follow but a mere illusion, a false conceit of their

"A true Moslem is he who spareth his fellow-Moslems the evil of his hand and tongue."

(Tradition.)

It urged strongly to faithfulness and benevolence and warned against the insidiousness of hypocrisy and deceit whose taints corrupt the souls and detract from virtue :

« إِنَّ الشُّرَكَ (الرِّيَاءَ) أَخْفَى فِيكُمْ
مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ »

"Verily hypocrisy is more imperceptible in you than the crawling of ants in the darkest of nights."

(Tradition.)

It recognised the natural tendency of mankind to injustice and warned against it in the most vehement manner, for thus it saith :

« مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةٍ إِلَّا يُجَاءُ بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدَاهُ فَلَا يَفْكُهُ
إِلَّا الْعَدْلُ » .

"No prince is there who rules over but ten people, but will be brought on the Day of Judgment with his hands chained together, and none will set him free save the justice he dispensed."

(Tradition.)

It insisted on maintaining Divine Justice, also benevolence, charity and compassion and made this

incumbent on all people so that no one escaped the responsibility; for it most wisely saith in this connection

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ »

"Ye are all shepherds and ye are all responsible for you flocks."

(Tradition.)

Islam recognised the evil propensities of mankind and the ceaseless efforts on their part to satisfy their passions and desires, thus missing the good life and depriving themselves of blessedness and salvation.

It has transcended, in this respect, the knowledge of the greatest pedagogues that ever existed. It warned you against your own self as against your most inexorable enemy, for the wiles and guiles of the soul are the most pernicious and farthest removed from the sphere of consciousness. To succumb to temptation and to follow the precipitous path of passion will inevitably lead to deviation and perdition

The Tradition has said in this connection :

« أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ
جَنْبَيْكَ »

N.B. — The soul is distinguished from the spirit. It may be called the self or the animal soul.

It strongly urged doing good unto all people whether you happen to know them or not. Nay, it goes further still and ordains the clearance of all harmful things from the path of people and considers such an act a sign of true belief.

Nor was the social side neglected in Islam. Good manners were insisted upon to such an extent, that the eating of garlic and onions before going to a meeting or visiting a mosque was forbidden lest the susceptibilities of other people might not be offended. Nor is that all; a bodily cleanliness and, on the occasions of meeting people, the use of perfume is recommended.

Islam ordained cleanliness. It prescribed, over and above the daily ablution, bathing one's self as an essential obligation particularly on

Friday on account of the congregation that takes place on that day for prayer.

Not only has Islam urged to cleanliness, as pointed out before, but it requested further to have oneself perfumed. In short, it requested you to afford your brethren-in-Islam all possible pleasure and happiness and promised you the highest recompense therefore.

Islam united the believers with the strongest bond of brotherhood which Allah hath fostered between them and made them thereby one family despite the difference of their races and the distances that separate their countries :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »

“Verily believers are but brethren.”

III

Islam, so much enjoined love of one another that true belief was made conditional thereupon; for thus saith the Tradition :

« لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا »

“Ye shall not enter Heaven until ye believe, and ye shall not believe until ye love one another.”

It ordained good counsel and made it to cover the whole religion

as signified by the Tradition :

« الدِّينُ النَّصِيحَةُ »

“Religion is good counsel.”

It enjoined the believers to refrain from inflicting harm on others and made such desistence the very essence of Islam for thus it saith :

« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »

"The best of you is he who is benevolent unto his people, and the worst of you is he who is malevolent unto them;"

(Tradition.).

also :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْشَرُ مَعَ الْمُتَجَبِّرِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرُ أَهْلِ
بَيْتِهِ » .

"Verily, man will be huddled together with the overbearing tyrants on the Day of Resurrection and yet he has had no others to illtreat except his own folk."

(Tradition.).

The Holy Qoran prescribes :

« لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » .

"Worship ye none other than Allah and be kind and benevolent unto parents, the kindred, the orphans and the poor, and treat people with kindness."

(Baidawy's Commentary.).

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا » .

"And serve Allah and do not associate anything with Him and be good to the parents and to the near of kin and orphans and the needy and the neighbour of your kin and the alien neighbour (stranger) and the companion on your journey and the wayfarer' and those whom your right hands possess. Surely Allah does not love him who is proud, boastful."

It first of all enjoined the worship of one God for He is the source of all good; then it ordained benevolence towards the parents on account of their love for and favours to you; then the kindred on account of their relationship, and according to their proper degree of kinship; then the orphans who have lost their provider and found nowhere to turn to; then the poor and needy; and lastly kindly treatment to all others.

Islam insisted on the kindly treatment of the neighbour so much so that the Prophet Muhammad saith in this connection :

« مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ
حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ »

"So often did Gabriel exhort me to kindly treatment of the neighbour, that I bethought he will give him the right even to inherit."

(Tradition.).

nebulae⁽¹⁾ or diffused gaseous matter from the verse :

«ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ»

“After the creation of the earth, The Lord applied Himself to the creation of the heavens which were in a gaseous state.”

We quote the before-mentioned as we wish to point out that the Quran does not contradict the facts established by science; nor is it unyielding to the proofs thereof to deserve to be called an enemy of science as is alleged by wily missionaries and misinformed Christians who know nothing of Islam.

Many European philosophers have, however, commended the Moslem Religion and its teachings.

Bentham⁽²⁾, the great English philosopher and one of Europe's most able men of letters, has said that he who practices the tenets of virtue ordained by the Moslem Religion will never commit a sin or perpetrate a crime.

Societies in Europe and America have been established of late to promulgate a new religion which they call “the natural religion”;

(1) The nebular hypothesis expounded by Laplace and Sir W. Herchel to the effect that nebulae form the earliest stage in the formation of stars and planets.

(2) Jeremy Bentham (1784 - 1832) exponent of doctrine of utilitarianism summed up by Priestly as “the greatest happiness of the greatest number.”

all the fundamental principles thereof are identical with those of the Moslem Religion.

* *

We will now proceed to consider the teachings of Islam in some detail.

Islam ordains to seek your own welfare, that of your own people, your neighbours and all others. It forbids exposing yourself to danger as ordained in the verse :

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»

“Allah ordains, not to throw yourselves with your own hands into destruction.”

(Baidawy's Commentary.)

It forcibly warns against committing suicide and acts as a deterrent, through the love and veneration of Allah which it engenders in the hearts of men, to restrain people from exposing themselves to danger and rushing headlong into destruction.

Man-made laws exercise no such influence over mankind and utterly fail in restraining people from committing suicide. Hence the prevalence of this evil in Europe and America.

Islam enjoins esteem and kindly treatment of the wife-for thus the tradition ordains :

«خَيْرُكُمْ مَنْ كَانَ خَيْرُهُ لِأَهْلِهِ
وَشَرُّكُمْ مَنْ كَانَ شَرُّهُ لِأَهْلِهِ»

and

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ»

“We will shew the unbelievers Our signs through the signal triumphs of Islam in distant climes.”

(Baidawy's Commentary.)

Recent discoveries have disclosed many undreamt of marvels of heavens and earth to which the Qoran referred long before.

In this connection we should allude here to the possible meanings which many Qoranic verses may be taken to imply. The rotation of the earth for instance could be implied by the verse :

«وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»

“And each one, doth journey in an assigned orbit;”

(Alucy's Commentary)

In fact, the Qoran does not contradict anything which science has definitely established and very often includes a reference to scientific facts or is at least in harmony therewith.

The verse :

«وَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ»

“And a sign unto the ubelievers is that We have caused their offspring to embark on full-laden craft in pursuit of trade.”

(Baidawy's Commentary).

«وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ»

“And We have created of the like of them such other things as they may embark on.”

(Baidawy's Commentary.)

may be taken to refer to airships, etc.

Other modern vehicles could be inferred from the verse :

«وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

“Allah hath created among other animals, horses, mules and asses that ye may ride them and make use thereof in splendor and display : and other things which ye know not, doth He create.”

(Alucy's Commentary.)

It is feasible to deduce that the earth was a part of the sun as is now established by astronmers, from the verse :

«أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» .

“Have the unbelievers not known that the heavens and the earth were joined together in one solid mass and that Allah hath separated them and made of them distinct-bodies.”

(Alucy's Commentary.)

Again it could be easily inferred that the heavens were composed of

cuted by the French in Algiers and hounded down and banished by the Russians and were, therewithal, hated and despised where-soever they set foot.

and

«وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ
أَيْدِيهِمْ»

“But they shall never wish for death on account of the sins they have committed.”

The Jews who worshipped the calf, claimed that Paradise is exclusively assigned to them to the exclusion of all other people. In refutation of their claims they were challenged to wish for death if they were so sure of going to heaven, but never will they wish for it on account of the sins they have committed.

(Baidawy's Commentary.)

Nor was that the only prophecy that came true. The Qoran prophesied many other future events as testified by the following verses :

«سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»

“The host of unbelievers shall be utterly routed and shall take to their heels”(1)

(Alucy's Commentary.)

(1) This referred to the Battle of Badr in which the Muslims completely routed their enemies.

and

«لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ»

“Ye shall enter the Sacred Mosque by Allah's decree in full security.”

The Moslems were promised to enter Mecca in full security and this verse was revealed to the effect that they would enter the Sacred Mosque in Mecca; this entry was accomplished soon after;

(Alucy's Commentary.)

and

«غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ
وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ»

“The Greeks have been defeated by the Persians in the nearest boundary town. But after their defeat, they shall overcome their foes.”

The unbelievers of Mecca rejoiced at the victory as the Persians were unbelievers like themselves and the Greeks were followers of Scriptures like the Moslems. This verse was thus revealed foretelling a victory of the Greeks and over the Persians and was, fulfilled a few years later;(2)

(Baidawy's Commentary.)

(2) The victory of the Greeks referred to in the verse, took place about the third year of the Hejra.

Yet another discovery is the recognition of the advantages derived from ablution. Not only is it effectual against mouth and nose diseases, but it is also one of the most important preventive measures against consumption, the nose being the chief medium through which this virulent disease is contracted.

Small wonder therefore, that noses which are washed fifteen times a day should be completely free from the germs of this malignant malady. It is significant in this connection, that cases of consumption in Moslem countries are few and far between whereas they are decidedly more prevalent in other countries.

Again the Qoran proclaimed that men were created out of dust, a fact which was completely unrecognised at the time of its revelation—as signified by the verse :

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ»

“And of the signs of Allah, is that He hath created you out of mere sorry dust and then caused you to spread far and wide on the surface of the earth.”

(*Alucy's Commentary.*)

This fact is now as well known as it is indisputable. The germ of life owes its origin to nutriments derived from animals dependent for

their life on plants or from plants produced directly from earth.

Again the following verse is significant :

«بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ»

“Allah hath caused the first creation, but men are dubious of a new one.”

(*Alucy's Commentary.*)

The Qoran recognised the continual metabolism in man and that the tissues of the human body are periodically destroyed and renewed. The processes of anabolism and catabolism are ever taking place.

The Qoran has further foretold the persecution of the Jews and their continued suffering under the yoke of others as testified by the verse :

«وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ.»

“And thy Lord hath declared that He would surely send against the Jews, until the end of the world, those who would inflict on them severe punishment and subject them to tyranny and humiliation.”

(*Alucy's Commentary.*)

In fulfilment of the above, the Jews were scattered all over the world. They were ruthlessly perse-

ped in the days of yore to the exclusion of God."

(*Alucy's Commentary.*)

until recent discoveries disclosed that the Sun is a million and three hundred thousand times greater than the earth and that the Sirius is many times greater than the Sun and that the light of the Sun is one fiftieth of the light of the Sirius.

Through the development of natural sciences, many astronomical, medical and geographical facts referred to in the Qoran were definitely established. Nor did social, ethical and economic questions lack corroboration. Recent scientific and philosophical researches have fully borne out the concepts of Islam.

Some of these concepts pertaining to the hereafter and the planes of the spirit world, have long been made the object of derision and ridicule. The establishment by Islam of spiritual, apart from material worlds, was considered mythical and absurd. It was not until a faint ray of light from that prodigious world filtered through to us by means of spiritualism, which is already fast becoming an established fact, that the deriders of Islam realised their mistake and were convinced of what the Qoran says :

« وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ »

"And none is apprised of the varieties of Allah's creatures save the Lord Himself."

(*Alucy's Commentary.*)

They knew, through the manifestations of the spirit which has broken all known material laws, the secret of the Lord's saying :

« قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »

"Say ! the spirit which is the cause of life is a hidden secret which the minds of men fail to comprehend and whose reality is only known to Allah. The knowledge ye are given in that respect is but an iota compared with the infinite knowledge of Allah."

(*Alucy's Commentary.*)

Among other corroborative discoveries, is the prohibition of drinking water contained in a copper vessel and left exposed to the sun in hot climes on account of the chemical reaction that takes place.

Another discovery is that of eating salt which certain Islamic traditions hold to be an effectual cure of many diseases. Medical men were at first dubious regarding its efficacy and were disinclined to endow common salt with such curative properties. The discovery, however, was made and the facts thereof published in medical journals, the discoverer having shown that a hypodermic injection of saline solution is a sure remedy for many ailments⁽¹⁾.

(1) Dose 8 grammes of salt to every 1000 grammes of water injected under the skin.

مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا
لَا يَعْلَمُونَ .

“Glory be to Him who hath created all pairs of species of what the earth produceth⁽¹⁾, and of mankind themselves and of what they now not.”

(Baidawy's Commentary.)

Commentators used to interpret these verses according to the scientific standards recognised at the time. It was not, however, until natural sciences discovered male and female species in plants, that we realized the full significance of those verses.

Again, such a verse as :

«حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ
قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ .»

“Till they came to the Valley of Ants⁽²⁾; said an ant, “O ye ants, enter your dwellings, lest Solomon and his hosts crush you and they know it not”.

This verse taken for a mere simile or a kind of metaphor until the entomologists unravelled many astounding mysteries in the life of ants and the real meaning of the verse was thereby disclosed.

II

The Holy Quran contains, moreover, the most striking references to animals which have caused the scientists of Europe no small amazement. An orientalist is said to have remarked in this connection, that there is nothing more clearly significant of the importance of animals than the Quranic verse :

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ .»

“No kind of beast is there living on the surface of the earth in any

region thereof, nor bird that flieth in any clime with its wings, but are communities like unto you.”

(Alucy's Commentary.)

Again, we were not aware of the magnitude of the Sirius⁽³⁾ to which the Quran referred in the verse :

«وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ .»

“And that He (Allah) is the absolute Lord of the Sirius worship-

(2) A valley in Syria abounding in ants.

(3) The Dogstar or Canicula, the brightest star in the heavens, situated in the constellation of Canis Major, or the Great Dog.

(1) Plants and trees.

anity, an obligation of the rich towards the poor.

This measure of legal taxation for alms is what certain parties in European countries persistently clamour for. They insist on the assessment of a levy on capitalists who contribute nothing to the public treasury in contradistinction to property and land owners.

There are other parties which call for the adoption of certain reformatory measures corresponding, in more than one way, with the teachings of Islam; for lack of space these cannot be mentioned here.

Briefly : intuitive, scientific and empirical knowledge have all combined to prove the verity and truth of the Moslem Religion even in regard to the most transcendental questions as well as to other questions which were positively denied by past generations.

People were wont to deride the idea of the extinction of the luminary planets and the destruction of the universe until recent discoveries have shown that the celestial world is composed of the same constituents as this world; they discovered that potassium, for instance, is a constituent element of the sun, that the heat of the sun is gradually diminishing and that the laws of this terrestrial world obtain in the celestial worlds as well.

We have already pointed out that Islam is in complete harmony with the natural sciences. In fact,

Moslems themselves were ignorant of the significance of many of the Qoranic texts until the progress of natural sciences disclosed the meaning thereof—as for instance, the pollination of trees by winds which was only recently discovered. Over thirteen centuries ago the Qoran referred to this phenomenon in the verse : —

«وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ .»

“And We sent forth the pollinating winds.”

This verse was interpreted according to the standard of knowledge of the period, until its full meaning was at last disclosed and the verse stood out - a marvellous sign of the Holy Qoran.

Again the verse

«وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بِأُيُوجٍ .»

“And We have caused to grow in it⁽¹⁾ all pairs of beauteous species”.

and the verse

«وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ .»

“And of everything have We created a pair”

and the verse

«سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا

(1) The earth.

their bitter censure and condemnation. Subsequent events and disasters have, however, pointed to its efficacy under certain conditions and shown the advantages accruing therefrom. The consequent increase in the number of men, the following augmentation of power and the amelioration of conditions in every sphere of life are too evident to need to be enumerated. The necessity of polygamy is particularly shown after devastating wars in which thousands upon thousands of men are lost to the race and countless numbers of women are rendered widowed in consequence.

The Moslems have often been envied the great increase of their number within short periods; this is on account of the prevalence of marriage among them.

We have lately noted with interest, the vigorous campaign conducted in the Christian press to encourage marriage among Christians. It is significant in this connection that the question of illegitimate children in Christian countries is assuming great dimensions and causing serious consternation and alarm; this is because their people have turned from the lawful to the unlawful, from the limited to the unlimited and from truth and rectitude to hypocrisy and deceit.

England on her side has officially prohibited prostitution. It has recognised, as Islam did, the serious harm which affects the race when

such a breach of morality is licensed by the state.

Another teaching of Islam, is that in connection with speculation. Nations have introduced a law prohibiting speculation save within certain limits very nearly identical with the teachings of Islam.

Yet another teaching of Islam is alms-giving; regarding this a French orientalist says : —

“The Moslem Religion affords the most effectual safeguard against the menace of communism which threatens to disrupt the social structure and to shake the world-peace to its very foundations. This safeguard, is alms-giving ordained by Islam and constitutes the payment of a portion of the wealth of the rich to the poor every year. It made it incumbent on the ruler to collect these alms even though he had to enforce their collection in the name of the law.”

But the knowledge of this French orientalist is even deficient in respect to this matter. Islam has, over and above enjoining the payment of legal alms, urged its followers to secret and public charity and has forcibly insisted thereon. It urges them to lend the needy, and it has set more recompense for such charity than for legal alms-giving.

It ordained that loans should be given free of any interest or advantage accruing to the rich from the poor. Benevolence was thus rendered one of the rights of hum-

well-wielded the sceptre of authority over its followers and exercised the most astounding influence over their minds. It comprised the essentials of all human progress, *viz.* learning and its application. Islam has left out nothing that tends to purge the soul of its impurities and thus fit it for the fulfilment of its function.

Islam thus became the crowning conclusion of all Allah's dispensations and the ultimate end of man's salvation.

It aimed at strict moderation throughout and strove for the purging of minds of the taints of delusion, directing them to the sources of truth and blessedness.

It is inconceivable, therefore, that such a religion could be liable to abrogation or be doomed to extinction.

Indeed, time and the progress of civilisation are, ever and ever, offering fresh proofs of the verity and greatness of Islam. Many of its teachings were considered in olden days as merely devotional and appeared to have no justifiable ground or known cause : such, for example, was the scouring with earth of any vessel which a dog has licked and washing it thoroughly with water, for the dog, it is now maintained, often harbours different kinds of parasitic helminths which infect the human body with devastating results.

Pork, which is now commonly known to be the cause of many

diseases particularly tape worm and trichina⁽¹⁾ which play havoc with the human body and very often cause death, was also forbidden.

Abstinence from alcoholic drinks is another teaching of Islam. Science has definitely established the pernicious effects accruing from drinking. It weakens the heart, damages the causes cirrhosis⁽²⁾ of the liver, clouds the intellect and enfeebles the progeny.

Europe and America (consciously and unconsciously) are gradually coming nearer and nearer Islam and adopting its teachings day by day.

Non-Muslims were wont to condemn the institution of divorce in Islam. When, however, they found out that it was necessary for the progress of civilisation, and that it is unreasonable to force a man into continuation of matrimony in spite of incompatibility of temperament and inclination, they were obliged to adopt that institution. Divorce courts were therefore established and the number of divorce cases increasing year by year, proves their necessity.

Then again the institution of polygamy. This institution evoked

(1) A parasitic worm which infects the intestinal canal and the muscular tissue of man and certain animals especially the pig.

(2) Inflammation and proliferation tending to destroy the liver cells and impede the flow of blood through the veins of the liver.

procur their assigned share of the means of subsistence which Allah hath bestowed as commonweal upon all His creatures.

It forbade interference with their religions and did not compel their adoption of Islam; this was in order that its own merits and clear teachings might be the sole incentive to its adoption. *In no instance, indeed, did Islam have recourse to the sword to superimpose its will under penalty of death, as other religions did.* The holy wars prescribed at the beginning of Islam were not waged to force people to profess that religion, but they were waged in order to defend it against outside attacks and to pave the way for its announcement and propagation so that the world, which was in desperate need of a new religion, might hear of it.

Islam enjoins kindly treatment of the neighbour, the wife, the friend, the parents and children and all kinsmen and others whether they profess it or not. This is prescribed in the most eloquent and clear language. It warned against deviation from these rules on penalty of severe punishment in the hereafter and instituted such temporal penalties as were indispensable for the welfare of mankind.

Such then, are the main teachings which constitute the truths of Islam. They were the light that shone on a world steeped in a Stygian darkness of ignorance, penetrating its uttermost corners. It is

the religion of nature for which nature will accept no other substitute

The fundamental precept of Islam is the acceptance of monotheism and the purging of souls of sin and wickedness. Its texts clearly point out that salvation is the outcome of mental and moral striving and that deviation and perdition is the result of mental and moral inactivity.

A philosopher has rightly remarked in this connection that the great thinkers of the world have, even from of old, been deeply interested in the search for a religion which fulfils the material needs and the spiritual aspirations of mankind. They searched for one which combined these two in a just and harmonious accordance, thus establishing the right proportion between the respective claims of both in such a way as to keep them within bounds and to withhold the one from dominating the other. But they discovered it nowhere except in Islam, which guaranteed salvation in this world and the hereafter, and was not oblivious of either material or spiritual claims.

It is for this reason that the Islamic civilisation was assiduously pursued by mankind and that it spread in a fashion unprecedented in the annals of history.

Anyone who has studied history and social science must certainly find that this civilisation was the most progressive and far-sighted of all civilisations and that it has

the defects from which other religions suffer, such as the doctrine of incarnation, trinity, anthropomorphism⁽¹⁾, negation of certain divine attributes and other doctrines which are definitely incompatible with the perfect divinity of Allah.

While followers of other religions are faced with the most serious complications and ambiguities which baffle the intellects, not only of the proletariat but also of the learned classes, the Moslem Religion is absolutely clear on these points and both the proletariat and the learned classes are able fully to understand them. The teachings which were handed down to the followers of other religions were not of such clarity as to be understood without painstaking assiduity; they were so vague and ambiguous on so many points that inquirers were apt to lose their way in a labyrinth of complications.

As for the regulation of temporal affairs and the amelioration of life's conditions, the Moslem Religion is decidedly a clear and limitless fount of information, and an end beyond which no one could aspire.

Islam rendered mankind a most inestimable service which previous religions had failed to offer; nor could the master minds of legislators interested in the organisation of human activities and the amelioration of social conditions, ever dis-

cover anything approaching it. It rigidly enjoined charity and benevolence towards the followers of other religions though they are the first, whose maltreatment would strike the imagination as a possible religious injunction.

«وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» .

“Dispute not except in the kindest manner with the People of the Scriptures”.

(*Baidawy's Commentary*).

and the Prophet Muhammad says in this connection.

«مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

“Whosoever inflicteth harm on a Zimmi⁽²⁾, will I be his adversary on the Judgment Day.”

(*Tradition*.)

Islam enjoined that Moslems and all others should be treated on a footing of equity. This is clearly shown in various parts of the Qoran and the Traditions in order to realise the fulfilment of justice and the maintenance of equity so that non-Moslems may feel secure under the rule of Islam and may not find therein an unsupportable burden and also that they may

(1) The representation of the Deity in the form of man or with bodily parts.

(2) A Zimmi is a follower of the Scriptures under Moslem protection.

rouse their conscience by contemplation of Allah's blessings and marvels.

Thus it has thrown wide the door for reflection and has delivered mankind from the bondage of imitation.

It spared them the turmoils of faction, and enjoined that the Jew rever Jesus, that the Christian respect Moses and that all should venerate any messenger or prophet who might have been sent, unknown to us, to other people as pointed out in the verse : —

« وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ »

“And the story of others We have told thee not.”

Islam is, thus, a universal religion which relies on the mind as its sole arbiter and forbids the submission of man to man or the glorification of any creature.

The Islamic teachings which were revealed to the Prophet Muhammad to announce unto mankind, and the goodly exhortations which were sent through him, to purge the souls of recklessness and sin, constitute an irrefutable and unassailable argument in the face of the most virulent attacks of criticism. These teachings are established on a solid substratum of reason which no criticism could affect or prejudice.

The tenets of Islam are purely intellectual and absolutely uncontaminated with delusion, supersti-

tious beliefs or pernicious customs. They were not ordained in accordance with the consuetudinary approbation or censure of a particular people, but were instituted in strict accordance with intellectual truths established from all times and suited to all races of mankind.

It is for this reason that the message of Islam was universal; on account of its complete adaptability to all people in just the same way and same proportion, it was no more intended for the Arabs than for others or for urban than for nomadic communities; no wonder, therefore, that Islam is called the “Natural Religion”!

The teachings of Islam are classified into three main classes : —

1. Avowal of one Creator and the admitting of the Day of Judgment.
2. Actions which pertain to the Hereafter.
3. Actions which pertain to the regulation of temporal affairs and the amelioration of life's conditions.

These are the main divisions under which there are several other subdivisions, the consideration of which we defer for the time being.

As to the avowal of one Creator and the admitting of the Day of Judgment, they are nowhere more clearly ordained than in the Moslem Religion. It is for this reason that monotheism in Islam is free from

This is a fact which all just and unbiassed people will readily admit. Superstitions, unsupported by tradition and not sanctioned by mind or conscience, crept into religions prior to Islam and the most flagrant errors and misconceptions could easily be traced in those religions, in the beliefs in Allah and His holy prophets and precepts; the consideration of this we leave entirely to your own judgment.

Islam required mankind to believe in all prophets without distinction and addressed them thus : —

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

“Say ye believers: We believe in Allah and that which hath been sent down to us (The Qoran), and that which hath been sent down to Abraham and Ismaïl and Isaac and Jacob and his offspring; and that which was given to Moses⁽¹⁾ and Jesus⁽²⁾ and that which was given to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them and to Allah

we are resigned.”

It addressed the people of the Scriptures thus : —

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » .

“O People of the Scriptures! Ye have no reliable Faith until ye observe the Torah⁽³⁾ and the Evangel⁽⁴⁾ and that which hath been sent down to you from your Lord.”

(Baidawy's Commentary.)

And :

« وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

“Ye shall not barter my signs for a paltry price and fear ye me; and confuse not the truth with falsehood and conceal not the truth when ye know it.”

(Baidawy's Commentary.)

Islam has led mankind to the pure founts of religion and freed their minds from the confusion of misguidance and superstitions. It appealed to them to shake off the torpor from their minds and to

(1) The Mosaic Law.

(2) The Gospel.

(3) The Old Testament.

(4) The New Testament.

MESSAGE OF PEASE A TREATISE ON ISLAM

By

The late Prof. **Sheikh Youssof El-Degwy**
of Al-Azhar University and member of the Body of Grand Ulama.

Translated From the Arabic)

By

Aly Z . Husn. M.A.

Part : 1

ISLAM

The Ideal Religion

I

Islam is a universal religion revealed to rectify the corrupted beliefs of mankind and to set the seal to previous Scriptures. It enjoins respect and veneration for all Prophets and is not a religion of egoism that preaches hatred and animosity to others; nor does it require its followers to believe only in their particular prophet imputing perfidy and falsehood to those of other religions. Nay ! the magnanimous spirit of Islam rises far above this, and enjoins the belief in all Allah's Apostles for thus Muhammad was addressed : —

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ
لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » .

“And We have sent Apostles before thee; the story of some of whom We have told thee; and the story of others We have told thee not”.

in order to warn us against disbelief in or defamation of any of His prophets and to teach us to acknowledge that they were all sent with guidance, enlightenment and truth. The patriarchs and followers of anterior religions, however, have misconstrued and altered their texts and Islam was revealed to purify them from the taints of superstition and innovation and to lead mankind to the very sources of true belief. It honoured and revered their prophets and laid the responsibility of perverting on those who misconstrued and distorted the Word of Allah.

Muslems - and even by non - muslems - from many different parts of the world who are eager to scrutinize and assimilate the ideal concepts and high principles of Islam : "ALLAH'S GIFT" to mankind, that provides and grants success and happiness to humanity in this temporal life and in the final immortal existence.

"O' Our Lord: Lay not on us such a burden as Thou didst lay on those before us ! Our Lord : Impose not on us that which we have not the strength to bear !. Pardon us, absolve us and have mercy on us Thou, our Protector, and give us Victory over the disbelieving folk".. Amen.

Zaher A. El-Zoghby

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

English Section

EDITOR - IN - CHIEF : Dr. Abd-ul-Wadoud I. Shalaby

SUPERVISOR : Zaher A. El-Zoghby

The fiftieth year Fourth Volume Sha'aban 1398 H. — July 1978 A.D.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

In The Name of ALLAH, The Beneficent, The Merciful.

FOREWORD

By

Zaher A. El-Zoghby

Starting with this Volume, a well-written accurate and convincing treatise on Islam will be published successively.

This treatise was originally compiled in Arabic by the late Professor Sheikh Youssef El-Digwy of Al-Azhar University with the object of having it translated into English for the benefit of English - speaking people.

The Translation of this study has already been published in this

monthly "Al-Azhar Magazine" during the third decade of the twentieth century, under the comprehensive title: "MESSAGES OF PEACE" and consisted of three main parts: "ISLAM, THE IDEAL RELIGION — THE PROPHET MOHAMMAD — THE HOLY QURAN".

Although this translation first appeared more than forty years ago, We have been requested to reprint it by countless numbers of